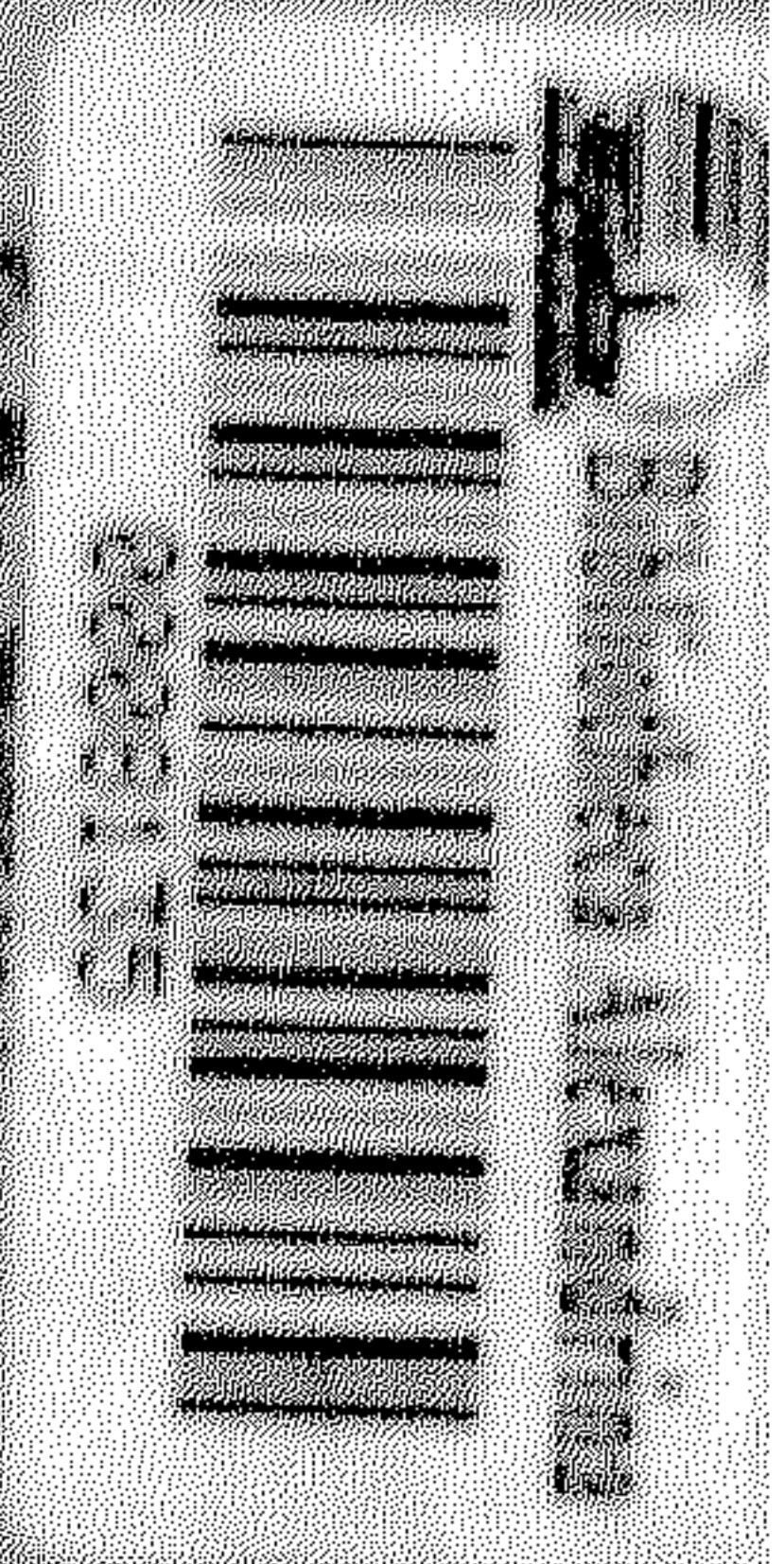


ديوان
حكايا فظ لبراهيم



مقدمة من محمد سعيد
محمد أمين يا احمد انريين ، ابراهيم الايباري





ديوان
حافظ الشرفي

ديوان حافظ إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

ابراهيم الابياري

أحمد الزين

أحمد أمين



الجمعية المصرية للمطالعة والنشر

١٩٨٧

الطبعة الثالثة





المرموم حافظ ابراهيم بك

نموذج من خط حافظ ابراهيم

شكرتُ جميل صنعكم بدعي
ودمع العين ثيابس الثعور
مدول مرة قد زاهد جفني
على ما ذاقه قمع السرور
منقذ ابراهيم

وهما بيتان قالهما في المجمع العلمي العربي بدمشق عند ما استقبل فيه

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة ديوانه حافظ ابراهيم

بقلم محمد اسماعيل كاني

المبحث الأول	في عصر الشاعر
المبحث الثاني	في نشأة الشاعر وبيئته وسيرة حياته
المبحث الثالث	في طبيعة الشاعر وما يميزه من خصائص
المبحث الرابع	في شعر الشاعر

تمهيد :

جرت العادة بتقديم ديوان الشعر بمقدمة تناول التعريف بالشاعر ومنشأه
وبيئته وعصره ، ثم تتحدث عن منهجه الشعري ومميزاته وخصائصه ، ثم تنتهي
المقدمة عادة بالحديث عن مكانته الشعرية ومرتبته بين الشعراء .

ولا شك في أهمية هذه المقدمة للدارسين ، حيث تعطيم فكرة عن الشاعر
وشعره ، تمكنهم من تقديره وتقويمه .

وحافظ ابراهيم ، كان علما من أعلام الشعر في العصر الحديث ، ووطنيا
مصريا وعربيا ضخما ، وقف حياته وشعره على النضال ضد قوى البغي والاستعمار
التي أحاطت بالعالم العربي كله من أنحريات القرن الماضي إلى ما جاوز منتصف
قرننا الحالي .

فدراسة شعر حافظ ، فوق أنها دراسة للأدب العربي المتطور إلى أرقى صور
الجزالة والرصانة والأصالة العربية ، هي أيضا دراسة لتاريخ مظلم طويل ،
وكفاح مضين مرير ، لمصر وللعالم العربي أجمع ، في تلك الحقبة العسرة من
التاريخ ... وهي على ما كانت عليه من ظلام وظلم ، فإنها تعتبر مفخرة من
مفخر الشعب المصري ، وآية من آيات أصالته وصلابته وقدرته على احتمال
الشدائد وتخطيها . فما كان هناك شعب يتحمل ما تحمله الشعب المصري في تلك
الحقبة الكالحة من حياته دون أن يستسلم أو يتلاشى ، ولكن الشعب المصري
يحمل وصبر ، وعمل وكافح ، لم يهدأ ، ولم يلبس ، ولم يستكن ، وظل ساهرا عاملا
واعيا مترقبا ، حتى انتصر واستعاد وجوده وكيانه واستقلاله .

مقدمة الطبعة الثانية

في تلك الحقبة السقيمة التي أسدلت ستورها السوداء على عالمنا العربي ،
ظهر حافظ ابراهيم ، فكان بشعره ووطنيته وكفاحه السياسي العنيف ، نتاجا
شريفًا ، ونبأ أصيلا طيبا ، لبيئته وعصره ، ولصريته وعروبته الخالصة
النقية .

لذلك اهتز العالم العربي كله بوفاته سنة ١٩٣٢ ، وحزن لفقده أشد الحزن ،
معتبرا وفاته نكبة وطنية أضافها إلى ما ابتلى به من محن وكوارث . . واجتمعت
العروبة بشعرائها وأدبائها وكبار قادتها ومفكرها في دار الأوبرا المصرية ، وأقيمت
حفلات التأبين ، ونشرت الصحف المصرية والعربية مجللة بالسواد ، وخصصت
مجلاتها أعدادا كاملة في رثائه وذكر فضله وعظيم بلائه في خدمة الوطن والعرب
أجمعين .

وتنهت وزارة المعارف العمومية في مصر ، إلى أن شعر شاعرها الكبير لم يجمع
في ديوان ، فخشيت عليه أن يندثر ويضيع ، فكان وزيرها الجليل المغفور له
على زكي العرابي باشا ، لجنة من الأدباء ، رأسها الأستاذ الكبير المغفور له
أحمد أمين ، عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد « جامعة القاهرة الآن » وعضوية
الشاعر الكبير المرحوم أحمد الزين والأستاذ الأديب المحقق ابراهيم الابياري ،
وعهد إليها بجمع قصائد حافظ وشرحها في ديوان تطبعه الوزارة ، وتوزعه على طلاب
مدارسها ، تنفيذية لهم بانق وأدم لبان الوطنية ، في أسنى الأساليب والصور
الشعرية ، وتعريفها لهم بأصالة أوطانهم العربية وكفاح آبائهم الجاد الدائب في
سبيل التحرر والاستقلال ، كفاحا قاسيا صريحا لم يؤثته إلا أولو الصزم من
الرجال .

مقدمة الطبعة الثانية

وقامت اللجنة الوزارية بجمع الديوان بمهامها ، وكان مرجعها في ذلك ما نشرته الصحف والمجلات من شعر الشاعر ، وشرحته شرحا طيبا ، كما وضع رئيسها الأستاذ الكبير المرحوم أحمد أمين مقدمة الديوان ، بذل فيها من الجهد ما يليق بمثله ، وما يليق بالشاعر العظيم .

ولكن العجلة التي اكتتفت عمل اللجنة ، فوق تعدد المصادر التي تعين الرجوع إليها ، وتناثرها واختفاء أكثرها لعدم العهد أو لاحتجاب كثير من الصحف والمجلات ، أدى كل ذلك إلى عدم عبور اللجنة على كثير وكثير جدا من شعر الشاعر الكبير ، ولا زال الكثير منها مفقودا .

وقد اتصل بي بعض محبي الشاعر وسريدييه ، يحملون إلى بعض القصائد التي سقطت من الديوان ، وقدم بعضهم قصاصات من الصحف نشرت فيها قصائد للشاعر خلا منها ديوانه . فجمعت هذا وذاك في انتظار إصدار طبعة ثانية جديدة للديوان

وكما تنبه المغفور له الأستاذ علي زكي العرابي باشا عندما كان وزيرا للعارف العمومية ، إلى وجوب المسارعة إلى جمع ديوان حافظ من الصحف والمجلات ، تنبه جميع وزراء الثقافة في مصر في عهد الثورة الوطنية ، إلى خلو المكتبة العربية من ديوان حافظ ، وإلى أن وزارة التعليم أوقفت طبعه من عهد طويل ، فضلا عن أنه لم يطبع من قبل لعامة الناس وخاصتهم ، فعهدوا إلى الهيئة العامة للكتاب بطبع الديوان وإخراجه للأمة العربية ، متضمنا ما عثر عليه أخيرا من شعر الشاعر بعد تحقيقه وشرحه .

وقد أبت الهيئة العامة للكتاب - كالعهد بها - إلا أن يخرج الديوان في صورة كاملة متطورة، فلم تر الأكتفاء بالمقدمة التي وضعها المغفور له الأستاذ أحمد أمين لطبعة وزارة المعارف للديوان، بل آثرت أن أضع بنفسى مقدمة طبعتها، فنى تقديرها أنى، وأنا من أسرة الشاعر، أقدر على الحديث عنه، وأكثر معرفة به من غيرى، وقد أصحح بعض ما جاء فى المقدمة السابقة، أو أجيب عن بعض ما ورد فيها من تساؤلات لم يجردوا لها وقت وضعها إجابات تشفى أو تعليقات مقبولة.

وكان لهيئة الكتاب ما أرادت، وهانذا أضع المقدمة، فما كان لى أن أعتذر بأى عذر ازاء الهيئة التى حملت مسئولية الكتاب فى مصر، وازاء حافظ وديوانه على وجه الخصوص

والواقع أن الحديث عن حافظ، حديث لا يفرغ ولا يمل، فقد كان أمة فى رجل .. كان ملء القلوب والأسماع والأبصار من رجال جيلنا الماضى فى كل أرجاء عالمنا العربى .. كان شخصية فذة متعددة الجوانب، حمل لواء الشعر الوطنى والاجتماعى ما عاش، يلهب حماس الجماهير ويدفعهم دفعا إلى الثورة على الاستعمار والمستعمرين، ويقرعهم بقوارص الكلم إذا وجد منهم استنامة أو استرخاء .. ويحى دارس الآمال فيهم، ويبعد عنهم أشباح اليأس وعوامل الاستسلام، ويتناول عيوبهم الاجتماعية فيبصرهم بها فى غير هوادة ولا مداراة، ويبين لهم سوء أثرها فى مجتمهم ومآل بلادهم. كان أستاذا فى السياسة، وأستاذا فى الاجتماع، نصب نفسه وأوقف حياته من أجل رسالته التى ارتضاها لنفسه، والتى دفعه إليها حبه المشالى لوطنه ولبنيه وللعروبة كافة. ولعل بابى

السياسة والاجتماع أهم أبواب شعره، بل لانعدو الحقيقة اذا قلنا اننا اذا اسقطنا هذين البابين من شعره ، مضافا إليهما باب المراثى باعتباره امتدادا لشعره السياسى، لا نجد أمامنا حافظا بما يتميز به عن سائر شعراء عصره وعن كثير قبلهم . وحسب الشاعر أن يجيد في باب من الأبواب الشعرية العديدة ، ليشتهر ويخلد ، فما بالنا وقد خلق حافظ أبوابا جديدة أضحت أهم أبوابه وأكثرها لفتا للناس ، نخرج بالشعر من الكمال إلى الضرورية، ومن الرفاهة الذهنية إلى استخدامه سلاحا روحيا لا يقاوم في كفاح المستعمرين وفي تهيئة أذهان الشعب وحفزه على الكفاح الوطنى الكبير .

حافظ ابراهيم إذن هو نتاج عصره ونتاج بيئته ونتاج مصرته وعروبته، كان بكل اختصار : « مصر تتحدث عن نفسها » .

ويقتضينا المنهج العلمى فى البحث ، أن نبدأ فى تقديم الديوان ، بعصر الشاعر ، ثم بنشأته وبيئته لئلا لها من كبر الأثر فيه وفى شعره ، ثم نتناول طبيعة الشاعر كإنسان وما يتميز به من خصائص ، ثم نتناول شعره بعد ذلك بالتقويم والتمحيص لنصل إلى مرتبته وأثره ومكانته فى اللغة والأدب وفى الشعر العربى خاصة .

فاذا نحن سلكنا هذا المسلك فى وضع التقديم ، نكون — على ما نرى — قد بلغنا القصد ، بإعطاء القارئ والباحث ما يرجوه من العلم بالشاعر وشعره كمدخل للديوان .

المبحث الأول ... فى عصر الشاعر

لم يعرف بالضبط تاريخ مولد الشاعر — ومن واقع الأوراق الرسمية فى ملف خدمته ، يتبين أنه عندما أحيل إلى القومسيون الطبى لتحديد سنه عندما أريد

مقدمة الطبعة الثانية

تعيينه في دار الكتب ، وكان ذلك يوم ٤ من فبراير سنة ١٩١١ ، قدر القومسيون الطبي منه يومئذ بتسع وثلاثين سنة . وتأسيسا على هذا قرر أنه ولد يوم ٤ من فبراير سنة ١٨٧٢ . ولما كان قد توفي يوم ٢١ من يولييه سنة ١٩٣٢ فكانه ماش ستين سنة وبضعة أشهر ، حكم مصر خلالها من أسرة محمد علي ، الخديويون اسماعيل ومحمد توفيق وعباس حلمي الثاني ، ثم السلطان حسين كامل والملك أحمد فؤاد الأول من بعده .

وفي سنة ١٨٨٢ أي بعد مولد حافظ بعشر سنين ، احتل الإنجليز مصر بعد إخفاق الثورة العرابية ، التي قامت أولا للطالبة بحق الضباط المصريين في التسوية بينهم وبين الضباط الأتراك والجراسية في الجيش المصري ثم امتد هدفها إلى المطالبة بحق الشعب المصري في إدارة شئونه . وظل احتلال الإنجليز لمصر حتى سنة ١٩٥٦ حين تم جلاؤهم عن البلاد في شهر يونيو من تلك السنة .

وكانت مصر ولاية تابعة لسلطان تركيا وقت قيام دولة الخلافة ، فلما احتل الإنجليز مصر ، أصبح يحكمها حاكمان : حاكم شرعي هو الخديوي أو السلطان أو الملك ، وهو في حقيقته أجنبي بأصله عن البلاد وإن استمد شرعية حكمه من القرارات التي كان يصدرها سلطان تركيا بجعل الولاية في مصر لكبير أسرة محمد علي ، ثم تعدلت إلى أكبر أبناء الخديو اسماعيل .

وحاكم فعلي ، وهو أجنبي أيضا عن البلاد والعباد ، هو معتمد الدولة البريطانية التي احتلت مصر بجيوشها ، وأصبح له كل الحول وكل السلطان الحقيقي في البلاد ، يمارسه خفية باستخدام الحاكم الشرعي حينما ، ويمارسه جهارا وعلانية بصفة مباشرة أحيانا كثيرة .

مقدمة الطبعة الثانية

ولعل السبب في ابقاء الحاكم الفعلي البريطاني على الحاكم الشرعي وهو الخديو، هو أن السند الذي استندت اليه بريطانيا في غزو مصر واحتلالها هو الإبقاء على العرش الخديو وتثبيت دعائمها ضد الخارجين عليه من الشعب ، فاذا هي طردت الخديو ، وأزالت وجوده ، فقد قضت على سند بقائها في مصر ، ولم تكن السياسة البريطانية لتقع في مثل هذا الخطأ ، فأبقت على الخديو ، إبقاء على وجودها ، وان نزعته منه كل سلطة .

وهكذا قدر لمصر في عصر حافظ أن يحكمها حاكم أجنبيان عنها ، تنافسا على السلطان وعلى سلب خيراتها ، كل بقدر ما استطاع وتمكن . . . تألفا في الظاهر والعلن ، وتباغضا أشد البغض في السر والباطن ، فقد عز على الحاكم الشرعي أن يشاركه في الحكم والسلطان من استعان به في تثبيت حكمه وعرشه ضد شعبه ، بل لقد تجاوز هذا الشريك كل حد معقول في المشاركة ، الى الاقتراد الحقيقي بالحكم والتوجيه ، حتى وجد الحاكم الشرعي نفسه وليس له من الأمر شيء ، وإن ألبس ثوب السلطان ، وإن أسكن في قصوره ، وإن دعوا له كولي أمر على المنابر .

أما عن الإنجليز ، فقد احتلوا مصر وغزوها بجيوشهم ، وبذلك أصبح لهم فيها حق الغزو والفتح ، ومن ثمت فلا محل لذلك السلطان المتداعي ، الأجنبي بأصله عن البلاد ، ولكن مقتضيات السياسة البريطانية وقتئذ وما سارت عليه في حكم البلاد التي تحتلها ، ألا تمس مظاهر الحكم فيها وما ألفه الناس ، تهدئة ومهادنة للشعور العام ، حتى لا تتورط عليهم تلك الشعوب فيكون ما لهم الطرد وان طال الزمن . هذا ما أمل على الإنجليز الإبقاء على الإمبراطورية الحاكمة في مصر ، فمن طريقها يحكون ، وعن طريقها ينسى الشعب وجودهم واحتلالهم ، ثم هي أسرة مكرومة من الشعب منعزلة عنه ، فلا خشية منها على الإنجليز ولا خطر .

مقدمة الطبعة الثانية

ومع هذا فيجب أن يعلم ذلك الحاكم الشرعى جيدا ، وألا ينسى ، أنه لم يعد في الوضع الذى كان عليه من قبل ، وضع الحاكم المنفرد المستقل بإرادته وبتصرف شئون الحكم في البلاد ، فقد قام الى جانبه ، بل مقدما عليه حاكم إنجليزى كبير مسئول ، فاذا لان الخديو وخضع بقى في مكانه ، وإلا بغيش الاحتلال موجود يستطيع أن يتناوله في أية لحظة ويلقى به خارج البلاد ، ويأتى بنخديو جديد ، وما أكثر الطامعين في المنصب من تلك الأسرة الحاكمة ، أسرة محمد على .

ولقد كان من آثار احتلال الانجليز لمصر أن ازداد نفوذ الأجانب وشوكتهم في مصر ، وبخاصة رمايا الدول الممتازة التي أقر لها السلطان العثماني بامتيازات لها ولرماياها في مصر . هؤلاء الأجانب جميعا وجدوا من الانجليز الناصر القوي الممكن لهم في مصر وثرواتها على حساب الشعب المصرى كله ، وفي سنوات قليلة استطاع هؤلاء الأجانب أن يستولوا على معظم أراضيا الزراعية وأن يسيطروا على أسواقها المالية والتجارية سيطرة تكاد تكون مطلقة ، وأخذوا يمتصون خيرات البلاد وينقلونها نقل نازح البثرالى بلادهم ، لا يتركون فيها من الفئات إلا أقل قدر يحبب أهلها في ضنك ، وبالجرمة التي تسمح للحياة بأن تسير في شرايين البلاد ضعيفة واهنة دون أن تقدر على ثورة أو تمرد .

فاذا بحثت بعد ذلك عن الشعب ودوره في ذلك الخضم النائر الفائر من الحصوم الأقوياء المتفقيين عليه ، وجدته شاردا ذاهلا من هول صدمة المفاجأة القاسية بهزيمة جيشه بقيادة أحمد سراي ودخول الجيش الانجليزى القاهرة ، وسيطرته على البلاد كل مسيطر ، وما وقر في نفسه بعد ذلك من شعور بالغ المرارة بالضياع ، وزاد من شعوره ذلك ، تلك الحملة الانتقامية المسعورة التي شنها الاحتلال على

مقدمة الطبعة الثانية

الوطنيين من أهل البلاد ، فصادر من ثروتهم ما صادر ، وحكم بالسجن أو بالنفي أو التشريد على من حكم عليه منهم ، ووقعت مصر كلها في طوفان من الظلم والعسف والتنكيل دون جزية إلا الوطنية الخالصة ، وإلا رفض احتلال الأجنبي وقيده ... وفي مثل هذه الظروف القاسية المعقدة بكل القيم ، تصبح الوطنية أوكما كان يقال « الحديث في السياسة » كبرى الجرائم ، تودى بصاحبها الى أسفل سافلين ، وما من منجد ولا من معين .

وإذا كان الشعب المصرى ، فى مبدأ عهد الاحتلال ، قد أخذ وفوجىء على غرة منه بما لم يكن فى حسابانه ولا توقعه ، فانهارت مقاومته فترة قصيرة من الزمان للاحتلال الغاشم المدجج بالسلاح ، وهو الشعب الأعزل المسالم ، فقد كان ذلك بسبب وقوعه فى طبيعة بشرية ، فماذا كان يمكن لأعزل يحكمه أجانبا أن يفعل شيئا إزاء طوفان هائج مدمر إلا أن يلم شعته ، وإلا أن يصبر ويحسن الصبر ، حتى تنكشف الآزفة التى ليس لها من دون الله كاشفة .

وبدأت عرابة الشعب المصرى تعمل ، وأصالته تطفو وتظهر بعد قليل من تلك الكارثة الطاحنة التى فاجأته وبقته ، وبدأ يسترد أنفاسه ويفيق من الصدمة ، وبدأ العملاق يتحرك بطيئا وينهض متثاقلا ، وينصب قامته ، ويسترد مواقعه موقعا فوقعا ، وظهرت زعاماته الوطنية ، مفتحا عهدا بحال الدين الأفغانى ، بفناء الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل ومحمد فريد وحسين رشدى وعلى شعراوى وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى وغيرهم وغيرهم ... ولا ننسى فضل شبابنا الوطنى الذى بذل من روحه ودمه ما يسجل له فى سجل الخالدين ، وظل الشعب بجميع طوائفه يكافح الاحتلال والاستعمار لا يهدأ ولا يلين ، وقامت

الثورات والجمعيات الوطنية حتى انتصر على أعدائه انتصارا نهائيا بثورة سنة ١٩٥٢ ، حينما أجبر قوات الاحتلال على الجلاء عن البلاد كلها في يونيه سنة ١٩٥٦ .

وكان من حظ حافظ أن عاش أيام بؤس مصر كلها ، ذاق مرارتها ، وتجرع غصصها حتى الثمالة ، وشارك في الجهاد الوطني بأوفى نصيب ، حينما سخر شعره وأوقفه على قضايا وطنه وقضايا العروبة والاسلام ، حتى لقي ربه راضيا مرضيا عنه في فجر الحادى والعشرين من شهر الثورات ، شهر يولييه سنة ١٩٣٢ . فانطوت بوفاته صفحة من أنقى وأطهر الصفحات في سجل جهادنا الحر الأمين .

المبحث الثانى . . فى نشأة الشاعر و بيئته وسيرة حياته

هو محمد حافظ ، ابن المهندس ابراهيم فهمى ، أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط، رزق بابنه حافظ وهو يقيم فى « ذهبية » كانت راسية على شاطئ النيل سنة ١٨٧٢ على السند التاريخى الذى أوضحناه من قبل .

ويعلق المرحوم الأستاذ أحمد أمين على ولادة حافظ على صفحة النيل ، بأنه « كان ارهاصا لطيفا، وإيماء طريفا، إذ شاء القدر إلا بولد شاعر النيل الاعلى صفحة النيل . »

وكان أبوه ابراهيم فهمى مصريا صميا . أما أمه فهمى السيدة « هانم بنت أحمد البورصه لى » من أسرة تركية محافظة عريقة تسكن حى المغربلين ، أحد الاحياء الشعبية القديمة بمدينة القاهرة، تعرف باسم أسرة الصروان . وسبب تسمية الأسرة بهذا الاسم أن والد أم حافظ، أى جده لأمه ، كان أمين الصرة فى الحج . فلقب

مقدمة الطبعة الثانية

« الصروان » معناه القيم على الصرة ، وهي المال الذي كانت تبعث به حكومة مصر سنويا في موسم الحج للأقطار المجازية ، معونة لساكني الاراضي المقدسة وحكومتها ، بعضه هبة من حكومة مصر ، والبعض الآخر هو ريع الأعيان المصرية الموقوفة على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة .

وبذلك اجتمع في حافظ دمان ، دم مصري صميم مستمد من والده ، ودم تركي طاهر نقي من والدته . ومن مجموع خصائص كلا الدماءين وتفاعلها في نفس وتكوين حافظ ، تكونت شخصية حافظ وبرزت خصائصه ومميزاته .

ولعل من أبرز الخصائص المصرية في حافظ هي قوة احتماله للكروه والسخرية الميزة منه ، وديمقراطيته الواضحة ، وتواضعه للناس جميعا وحبهم وأنسه بهم ، ولعل جراته التي لا تعرف الحدود في مواجهة السلطات دون أى تقدير للعواقب ، وتضحياته بلقمة العيش والأمن ، وترفعه عن كل المضربات ، وهزأه بكل المحاولات التي بذلت لاستمالة إلى الحاكمين ، وصلابته فيما يراه حقا وعدلا ، هي من الخصائص التركية فيه ، وإن شاركتها خصائصه المصرية أيضا .

ولقد تحدث المرحوم الأستاذ أحمد أمين عن الدم التركي الذي كان يجرى في حافظ فقال إنه « دم تركي ديمقراطي » وشتان بين الدم التركي الديمقراطي والدم التركي الارستقراطي .

وأرى أن أقف هنا وقفة قصيرة ، لأقول إن الدم يتأثر فعلا بالديمقراطية أو الارستقراطية . فالارستقراطية في الدم تدفع حاملها إلى الكبر والتعالى والشعور بالامتياز ، وما يتبع ذلك من الشعور بالأثرة وحب النفس والبعد عن الناس ، مما يؤدي إلى كراهيتهم له وعدم اطمئنانهم اليه . أما الدم الديمقراطي فذو خصائص

مقدمة الطبعة الثانية

واحدة في جميع الشعوب والأجناس . ولعل أقوى دليل على ديمقراطية الدم التركي في حافظ أن جده لأمه ، التركي الأصيل اختار حي المغربلين لإقامته ، أي في حي من صميم الأحياء الشعبية ، مجاورا ومخالطا ومندمجا في الشعب المصري ، فلولا ديمقراطيته الأصيلة لما أقام في هذا الحي ، ولاثر حيا خاصا يضمه والسادة الأتراك من مواطنيه وقتئذ .

ورغم مركز هذا الجلد ، كأمين للصرة المصرية وهو منصب كبير مرموق في ذلك العصر حيث كان يفتق له أكبر الشخصيات وأكثرهم أمانة وتقى ، فلم يترك لورثته شيئا يعيشون منه إلا ناتج عملهم وما يكسبونه بجهودهم . وفي ذلك ما فيه من دلالة على عفته وإبائه وترفعه عن كل ما يشين ، وإلا كان كغيره من السادة الأتراك الذين كانوا يسرقون وينهبون ويكثرون ما يجمعون من ثروات ضخام . ولعل أقوى دليل على ديمقراطية أسرة ذلك التركي العظيم أنها زوجت ابنتها لمهندس مصري صميم في مصريته هو والد حافظ ممن كان يأنف الأتراك والأرستقراطيون من جوارهم بله مصاهرتهم . وما لنا نتحدث عن ديمقراطية جده حافظ ، وحافظ نفسه أقوى دليل على هذه الديمقراطية الأصيلة الموروثة إلى جانب عفتها وإبائها وترفعها ! .

والفرع ينبي عن كريم أصوله * والشمس تبعث دفتها وشعاعها
وعاش حافظ في كنف أبيه أربع سنوات ، مات بعدها الوالد فعادت به أمه
من ديروط إلى بيت أسرتها . وتوفي جده حافظ قبل مولده ، فتولى أمره وأمر
الأسرة الصغيرة ، خاله محمد نيازي الذي كان مهندسا بتنظيم القاهرة ، وبلغ
حافظ السن التي تبعث به إلى المدرسة فأدخله خاله أقرب مدرسة إلى منزله في ذلك

الحين ، وكانت المدرسة الخيرية بالقلعة فتعلم فيها القراءة والكتابة وشيئا من العربية والحساب والدين ، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة القرية الابتدائية ، تحول بعدها إلى مدرسة المتديان ثم المدرسة الخديوية وهما من المدارس الثانوية .

والتقى حافظ وهو في المدرسة الخيرية بالقلعة بالزعيم مصطفى كامل ، حيث تزاملا في التعليم وحيث كانت بين أسرتهما صلات قرابة ونسب ، فقد كانت أم حافظ وأم مصطفى كامل بنتى خالة . ثم ما لبثت أن فرقت بينهما الأحداث حتى التقيا ثانية في شبابهما في الجهاد الوطني الذي خاضاه ضد الاستعمار .

ونقل خال حافظ الذي يرعاه ويتولى شئونه إلى وظيفة مهندس تنظيم طنطا ، فكان لزاما أن ينتقل معه حافظ ، وخرج حافظ من القاهرة إلى طنطا ، من عالمه الذي ألفه واطمأن إليه إلى عالم جديد غريب عليه ، ليس له فيه إلا خاله . وهذا الحال مهما كان عطفه وحده ، فهو رجل ، وإنه لرجل تركي جاد يسعى وراء لقمة العيش حيثما كانت وإنما كتبت له . ورجل بهذه الحال هو أبعد ما يكون عن الملاينة أو تقدير الظروف التي يمر بها الغلام ، والتي تحتاج إلى مداواة النفس مما ألحقته بها الأحداث .

وألحقه خاله بمدرسة ثانوية بطنطا لاستكمال تعليمه ، وانصرف خاله إلى عمله الذي يستغرق كل وقته . ويتمرد الغلام ، ويصعب تمرده على المدرسة ودروسها ، فكان يذهب يوما إليها ليغيب عنها عشرة ، لا انصرافا عن التعليم ، وإنما لأن الذي كان يتلقاه فيها من دروس لا يتفق وميوله الطبيعية التي وجدها في الجامع الأحمدي بطنطا ، فكان يجلس في حلقات الدرس يتلقى عن الأئمة العلماء دروسا في علوم اللغة والفقه والشريعة ، وتلفته اللغة وآدابها ، ويشد الشعر بموسيقاه ووقعه في النفس كل

مقدمة الطبعة الثانية

انتباهه ، ويملك عليه حواسه فيبدأ بدراسة الشعر ، ويطلع على دواوين الشعراء القدامى ويجد نفسه قد حفظ كل ما تقع عليه عيناه من عيون الشعر والأدب ، دون جهد يبذله أو تعمد للحفظ . ثم اذا به بعد قليل يفرض الشعر وينظمه على نحو آثار إعجاب الكثيرين من شيوخ الأدباء وذواق الأدب في مدينة طنطا . ولم يستطع خال حافظ أن يقبل من ابن شقيقته هذه الفوضى ولا هذا الانقلاب المضيق وهو المسئول الأول والأخير عنه ، فزاد من تأنيبه وتقريعه ، فيحتاج حافظ ويعزم على قطيعة خاله الذي يقف عقبة في سبيل سلوكه طريق الأدب الذي رضيه لنفسه واختطه لحياته ، وسرعان ما تلقفه نقيب المحامين في طنطا وقتئذ ، فضمه الى مكتبه مساعدا له في القضايا بعد ما لمس فيه من فصاحة اللسان وقوة الحجج ووزارة البيان . ولم تكن المحاماة وقتئذ منظمة بقانون أو مشترطا فيها مؤهل ، وانما كانت مهنة مفتوحة يلجها وينخرط فيها كل من آانس في نفسه صلاحا لها . وأخذ حافظ ينتقل من مكتب الى مكتب ، فقد كان ملولا بطبعه ، لا يستقر على حال ، ولعله داء القلق النفسى الذى لازمه طوال حياته نتيجة لما تعرض له من أزمات نفسية توالى عليه منذ طفولته .

في هذه الآونة كان هناك ضابط مصرى شاب اسمه محمد كانى ، يعمل مهندس أركان حرب بالجيش المصرى وكان يجاور أسرة حافظ فى السكن فى حى المغربلين .

ولما كان من شباب الجيش العربى المرموقين — كحاصل على أعلى شهادة فى هندسة أركان الحرب على يد الجنرال ستون الأمريكى الذى كان من كبار ضباط الحرب الأهلية الأمريكية واستقدمه الخديو اسماعيل للنهوض بمستوى

مقدمة الطبعة الثانية

الجيش المصرى وإعادة بنائه . ولما كان مهندسنا المصرى ذاك قد أبلى بلاء حسنا ضد الغزاة الانجليز باختياره مدينة كفر الدوار وتمحصينها ونجاحه فى منع وصولهم الى مصر من الاسكندرية ، فى مطلع غزو الانجليز للبلاد ، فقد كان أول المفصولين من خدمة الجيش المصرى بعد الاحتلال وأمر بملازمة قرينته التى جاء منها ، وهى القبرية المعروفة الى اليوم باسم « كفر قورص » من أعمال مركز أشمون محافظة المنوفية .

ثم لما رأى بعد ذلك إعادة تكوين الجيش ، دعى ثانية الى الخدمة لحاجة الجيش الحديد الى مهندسين حربيين بتركية من الجنرال ستون نفسه ، فعاد الى مسكنه القديم بالمغربلين . ولما أنس فى أسرة حافظ من عراقه الأصل والمحافظه تقدم اليها طالبا يد ابنتها عائشة شقيقة حافظ ، وتم القران ، وعاشت معه عمرا ليس بالطويل ، أعقب منها خلافا أربعة أبناء ، ثم توفيت . وتلفت أم حافظ بعد ذلك أبناء ابنتها الأربعة تربيهم وتقوم عليهم ، لغياب والدهم عنهم بسبب نقل الإنجليز له من الجيش الى وزارة الأشغال بعد ان ضاقوا به ذمرا كرجل وطنى خير مسالم لهم ، وألحق مهندسا للرى بأسيوط . وتلقى حافظ بفقد شقيقته صدمة أخرى ، بفقد شقيقته الحبيبة الأثيرة لديه وهى فى ميعه الصبا وزهرة العمر .

ولقد ساء صهر الاسرة محمد كانى الضابط بالجيش حال حافظ شقيق زوجته ، إذ رآه شابا صالحا قوى البنية متين البنيان وعلى ثقافة طيبة ، ولكنه مضطرب التفكير فى الطريق الذى يخطه لحياته العملية ، كما ساءه أن أدركته « محنة الأدب » فقد كان الأدب وقتذاك يعتبر محنة من المحن حيث لم يكن امتنانه يعنى من جوع ، فعرض عليه أن يلحقه بالمدرسة الحربية عندما كان لا يزال فى الجيش ، حيث لم يكن يشترط أكثر من الشهادة الابتدائية للالتحاق بها . فوافق حافظ مرحبا

مقدمة الطبعة الثانية

حيث وجدها تكفل له وظيفته تدرّ عليه راتبا شهريا يدرأ عنه الحاجة ، وفي الوقت نفسه يستطيع أن يشبع هوايته الأدبية كما يشتهي .

ذكرت كل ذلك ردا على ما جاء في مقدمة الأستاذ أحمد أمين لديوان حافظ عن قصة التحاقه بالمدرسة الحربية ، حيث يقول « فشل في المحاماة » ، ففكر فيما يعمل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا إلى القاهرة ويدخل المدرسة الحربية . . ويبدو هذا التفكير غريبا ، فأديب ناشئ ، ومحام فاشل ، يفكر في أن يكون ضابطا ، لسنا ندرى الباعث على هذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودي الحربى الشاعر ، وقد يكون ما رأى في نفسه من بسطة في الجسم ، وقد تكون المصادفة البهتة هيات له ذلك .

وتخرج حافظ سنة ١٨٩١ في المدرسة الحربية ضابطا في الجيش ، ثم نقل إلى الشرطة التي كانت تستعد ضباطها من الجيش وقتئذ ، ثم أعيد إلى الجيش وخدم في السودان ما يقرب من السنتين متنقلا بين سواكن وطوكر وقبلى حلقا ، ثم أحيل إلى الاستيداع مرتين ثم طلب إحالته إلى المعاش سنة ١٩٠٣ .

يتبين مما سبق أن حياة حافظ منذ نشأته حتى تركه خدمة الجيش ، حياة مضطربة لا تستقر على حال . فحيث أراد لنفسه الاستقرار بوظيفة تضمن له العيش إذا بطبيعته الثائرة والقلق الذى يلزمه بإبانه عليه الهدوء الذى ينشده والاستقرار الذى يتغنيه ، وإذا بوطنيته الثائرة تدفعه دفعا إلى أن يشعل ويشترك في حركات صغار الضباط في تمردهم على كبار ضباطهم الذين كانوا يضطرون إلى ممالأة الإنجليز . وكثيرا ما قدم هؤلاء الضباط الصغار إلى المحاكمات العسكرية فكانوا ينيون حافظا للدفاع عنهم ، مستفيدا من أيام المحاماة ، حتى جاءت

مقدمة الطبعة الثانية

سنة ١٨٩٩ م حدثت ثورة في الجيش المصري بالسودان ، فقد جاهرت فرقة من فرق الجيش السوداني بالمصيان ، وأخذ الإنجليز تلك الثورة بعد ذلك وحاكموا عددا من زعمائها أمام المجالس العسكرية ، فأحيل منهم ثمانية عشر ضابطا إلى الاستياداع وأبعثوا عن السودان إلى مصر وكان منهم حافظ ، وحكم على البعض الآخر بالسجن مددا مختلفة وأرسلوا إلى مصر ليقتضوا مدة السجن فيها .

وعاد حافظ إلى مصر ولا مورد له ولا عمل يقتات منه بعد أن استقال من الجيش وهو في الاستياداع يأسا من إمكان استمراره في خدمة جيش في قبضة عدو يضعه تحت المراقبة وينظر إليه نظرة الريبة فيه والنعمة عليه .

ودخل حافظ في طور جديد من حياته كان أهم ما مر به من أطوار .

كان حافظ قد بلغ من ذبوع الصيت والشهرة في الأوساط الوطنية التي بدأت تتحرك ، مبلغا كبيرا ، فقد شد شعره الوطني وسيرته كضابط حرجىء جسور ، كل الأنظار والأسماع ، وكان يتردد على مجالس الزعماء الأحرار في ذلك الوقت ، وعلى رأسهم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل باشا وسعد باشا زغلول ومحمود باشا سليمان وآل أباطة وآل عبد الرازق وغيرهم ، فأحبوه جميعا وقربوه إليهم ، وقد وجدوا فيه ذخيرة وطنية تستحق المراعاة ، كما وجدوا في شعره سلاحا من أمضى الأسلحة التي يجب استخدامها في الهاب الشعور الوطني في البلاد وتحريك مشاعر الجماهير تمهيدا للقيام بالحركة الوطنية .

وإذا كان الإنجليز قد طاردوه وأغلقوا في وجهه كل أبواب الرزق ، فقد كان في رعاية كبار زعماء البلاد له في ذلك الحين خير عوص . إلا أن كرمه الزائد الذي فطر عليه ، وهدم تقديره لعواقبه لم يمنعا عنه الشعور بالفاقة والحاجة الدائمة .

فقد كان يأتيه المال غزيرا من هنا ومن هناك ، وكان أحرى به أن يحافظ عليه وأن ينفق منه بحساب ، إلا أنه كان لا يمتثل وجود المال في يده دون أن ينفقه أو أن يرى صاحب حاجة دون أن يمد إليه يده ببذخ وسرف ، ولا أن يقصده . قاصد دون أن يعطيه ما في جيبه كله بالغا ما بلغ . وهكذا عاش حياته ، لا يقيم للنال وزنا ولا يرضن به على قاصد ولا محتاج ، وبخاصه أدباء عصره .

وتفرغ حافظ للشعر ومنابره ، لا يترك أمرا من الأمور ولا مناسبة وطنية إلا وضع فيها أقوى القصائد وأشدّها حرارة واشتعالا . صاحب مصطفى كامل ومحمد فريد ثم صاحب سعديا وفيره من الزعماء في جهادهم الوطني الطويل . وعلى ما كان بين الزعماء في ذلك الوقت من اختلاف كبير في وجهات النظر أدى إلى خلاف أكبر بينهم ، فإن حافظا ظل على علاقته الطيبة بهم جميعا ، يرى فيهم جميعا أبناء أوفياء بررة بوطنهم وإن ساءت منهم تلك الخلافات الصغيرة التي ظل أتباع كل منهم ينفخ فيها بنفثات الشيطان حتى صارت كبيرة وحتى استدار كل منهم لمحاربة الآخر . وكان ذلك أقصى ما كان يحلم به المستعمرون . وصارت فتنة في البلاد بهبوط أسهم الحزب الوطني بعد وفاة زعيمه مصطفى كامل وخروج محمد فريد من مصر وظهور حزب الأمة وبدء ظهور سعد زغلول وقد كان من رجال ذلك الحزب فألف حزب الوفد المصري ، ثم صارت فتنة ثانية في البلاد حينما انشق بعض رجال الوفد عليه وألّفوا حزب الأحرار الدستوريين ، وانقسمت البلاد قسمين . . . قسم غالب مع الوفد وقسم قليل مع الأحرار الدستوريين ، ولم تقف القسمة عند حد الخلاف في الرأي ، بل أصبح الوفد وأنصاره حربا على خصومهم في الرأي ، وكذلك كان الأحرار الدستوريين ، وإن كانت خصومة الأحرار قد ظلت ولم تتعد الخصومة العسكرية . ثم شاء الله خيرا

بمصر فانتلفت كامنهم ، تلاقى سعد زغلول وعدلى وثروت إلا أن ذلك الائتلاف لم يدم طويلا ، فقد سارع الموت باختطاف سعد ، ثم لحقه ثروت ، وعادت مصر إلى دوامة الخلاف الداخلى . وظل حافظ فى مستواه الوطنى العالى فوق الخصومات الحزبية ، لا يخضع لها ولا يخضعونه لها ، فكان صديقا لسعد ولرجال الوفد جميعا كما كان صديقا لعلى وثروت ورشدى ومجد محمود ولطفى السيد وهىكل من أقطاب الأحرار فضلا عن رجال الحزب الوطنى ، يزور هؤلاء وهؤلاء ويلقى قصائده فى محافل كل منهم ، والجميع حريصون على وده ومحبتة وإيثاره ، ولعله كان الوحيد من رجالات ذلك العهد من كان له مثل هذا الموقف الخاص ، العام فى الوقت نفسه ، ومرجع ذلك ولا شك أن حافظا كان من الرجال القلائل المشهود لهم بالوطنية الخالصة ، وبالاستقلال فى الرأى ، وكانت له مكاتته الوطنية الكبرى فى نفوس الشعب كله ، ولم يكن فى صالح أى حزب من الأحزاب أن يتخذ موقفا معاديا لحافظ ، بل على العكس كان كل حزب يشعر بحق أن حافظا قوة وطنية يجب أن تكسب ، فكان أن قبل منه ما لم يقبله من غيره . قبل منه هذا الموقف الذى يساوى بينها ولا يفرق .

وإذا كان هذا هو رأى رجالات مصر وأحزابها فى حافظ وموقفها منه ، فقد كان ذلك أيضا رأى القصر فيه وموقفه منه . فقد تقرب إليه الخديو عباس حلمى ثم السلطان حسين كامل وأخيرا الملك فؤاد ، رغم علم الجميع بعدم إمكان أحد احتوائه . فلقد عين رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب سنة ١٩١١ وأنعم عليه برتبة البيكوية سنة ١٩١٢ ثم بنيشان النيل حيث أطلق عليه بعد ذلك لقب شاعر النيل ، وإن كان يفضل دائما أن يلقب بالشاعر الاجتماعى . فقد كان يرى

أن النيل جزء من العروبة والعروبة جزء من الشرق والإسلام . وهو شاعر العروبة والشرق والإسلام بالمضمونين الاجتماعى والوطنى .

ولم يكن الإنجليز أقل إدراكا لمكانة حافظ الشعبية فى مصر والشرق العربى ، فأخذوا بدورهم يتقربون إليه بعد أن وجدوا أن حربهم عليه لم تجدهم نفعا ، ولم تنل منه شيئا ، فتعرف إليه السكرتير الشرقى لدار المندوب السامى وقتئذ وكان اسمه السيرو لتر سمارت ، وكان منصب السكرتير الشرقى من أكبر مناصب دار المندوب السامى ، إذ كان يل المندوب السامى مباشرة ، فكان يزور حافظا فى بيته بين الحين والحين ويدعو نفسه إلى مائدته الشرقية التى اشتهر بها حافظ . وقد سأله حافظ ذات مرة عما دهاه إلى التعرف به ومصادفته وزيارته ، فكان رد المستر سمارت أنهم يقدرون كل وطنى مخلص لبلاده ولو كان من ألد أعدائهم ، ويحترمون ويحنون الجباه لكل مجاهد نظيف ، وأنهم لذلك لا يغضبون منه ولا يحقدون عليه مهما قال فيهم ومهما أثار الشعب عليهم .

وعلى الرغم من زيارات أقطاب الحكام الإنجليز له فى بيته ، فلم يدخل حافظ دار المندوب السامى البريطانى طوال حياته . وظل حافظ على ولائه لبلاده ودعوته ضد الاحتلال رغم الصداقات الخاصة التى قامت بينه وبين بعض رجاله ، مثلما كانت تقوم بيننا ونحن طلبة بالمدارس الثانوية وبين أساتذتنا الإنجليز فى مدارسنا من صداقات ، وكثيرا ما كانوا يدعوننا إلى حفلات شاي صغيرة يقيمونها لنا فى بيوتهم . ورغم وجودنا فى بيوتهم وجلسنا إلى موائدهم لم يكن يحلو لنا الحديث إلا فى السياسة وإلا فى وجوب جلاء الإنجليز عن مصر واستقلالها التام بشؤونها . . . وكثيرا ما كانوا يصححون لنا بعض التعابير عندما كنا نقول مثلا تسقط إنجلترا باللغة الإنجليزية .

مقدمة الطبعة الثانية

والحق يقال . . إن الإنجليزي كفرد رجل ممتاز وصديق طيب، أما الإنجليزي
حكومة وسياسة فالصورة معكوسة تماما، هي القبح كله والغدر كله والانتهازية
كلها .

وما دمنا نتحدث عن صداقات حافظ ، فما أكثرها وما أكثر تنوعها . ولعل
السبب فيها بساطة في نفس الرجل ، وروح طيبة وديعة مرحة ، ونفس متفتحة
متقبلة للناس جميعا لا تعقيد فيها ولا التواء . ولذلك كنت تجد من أصفياه
وأحبائه أمراء البيت المالک وشيوخ الأزهر والآباء الروحيين والوزراء والعظماء
وأقطاب الأحزاب وأساتذة الجامعات والأطباء والمحامين والمهندسين ومن جميع
المهن ، حتى من لا مهنة له من عامة الشعب . . . قلبه مفتوح للجميع وبيته مفتوح
للجميع ويده مبسوطة للجميع .

— وبكل اختصار كان الرجل مثالا حيا لمصر . . بل لقد تجسدت مصر فيه كلها،
بترفها ، بلابائها بشممها بطيبتها ببساطتها بصدقها ، بعنادها ، بقوتها بصلابتها
بصبرها على المكاره ، بأخلاقها بديمقراطيتها بإيمانها بالله الواحد الأحد .

بقي أن نسأل أنفسنا، هل وطنية حافظ ومكانته كانتا السبب الوحيد في إقبال
تلك الجموع المتباينة عليه أم أن هناك سببا آخر . . الواقع أننا نرى أن الوطنية
وحدها لا يمكن أن تكون السبب الوحيد لذلك ، فقد كان الرجل حلوا المعشر
ساحر الحديث ، حاضر البديهة رائع النكتة راوية للشعر والأدب ولطائف
النوادر من الطراز الأول ، ولتصور ما كان يحدث إذا اجتمع حافظ والشيخ
عبد العزيز البشري والدكتور محبوب ثابت في مجلس ، ولكل منهم شخصيته
الفكهة المرحة النادرة المثال والتي قل أن يوجد بمثلها الزمان .

بقيت حزينة أخيرة في سيرة حافظ تتعلق بشخصه ، فقد تزوج حافظ بعد عودته من السودان ببضع سنين من إحدى قريات زوج خاله . ولكن لم تطق طبيعة حافظ المنطلقة قيود الزوجية ، وانتهى الأمر بالفروقة بين الزوجين ولما تنقض على الزواج بضعة أشهر ولم يعد حافظ بعد هذه التجربة إلى الزواج أو التفكير فيه .

وكان حافظ باراً بأهله ، يزورهم دائماً في بيوتهم ، ويدعوهم دائماً إلى زيارته في داره ، ويساعدهم بكل ما في طوقه . كفل طفلة يتيمة اسمها جلييلة ، رباه في داره حتى كبرت فزوجها وأث لها بيتها وظل يواليها برعايته حتى لقي ربه . كما ربى طفلة أخرى هي إحدى قريات زوج خاله ، اسمها ربيعة حتى كبرت ولحقت بأهلها قبيل وفاته .

وهو لم ينس رعاية السيدة أمينة هانم زوج خاله المرحوم المهندس محمد نيازي له أثناء إقامته معهما في مصر وطنطا على ما أسلفنا . فعندما مات خاله ولم تكن لزوجته أمينة هانم من يكفلها ضمها حافظ إليه معززة مكرمة وأصبحت سيدة داره والقيمة عليه . ولما توفيت قبل وفاة حافظ بحوالى ثلاث سنوات قام على خدمته خادمه حسن الذي أخلص له كل الإخلاص فعينه حافظ وزيراً لماليتيه المضطربة ، يعطيه مرتبه كله لينفق على البيت ، ويسحب منه ما يحتاج إليه من مال ، فلم يكن حافظ يطمئن إلى نفسه وإلى سلامة تديره الذي كثيراً ما أوقعه في أزمات .

*
*
*

المبحث الثالث : في طبيعة الشاعر كإنسان وما يُميّز به من خصائص :

علمنا مما سبق أن شاعرنا رجل من عامة الشعب ، نشأ وربى في أحيائه الوطنية بين أترابه المصريين البسطاء . كما علمنا ما اكتنف حياته منذ نشأته وفي أدوار طفولته وشبابه من مآسٍ يفقد أقرب الناس إليه بالوفاة ثم بانتقاله من بيت أبيه بعد وفاته إلى بيت جده بالمغربلين إلى بيت خاله بحى الخليفة بمصر وطنطا وقيام خاله برعايته والإنفاق عليه حيث لم يورثه أبوه مالا ، ولا شك فيما تركه ذلك كله في نفسه من جروح غائرة ، فكان بادی الحزن والتجهم ما انفرد بنفسه ، أما إذا خرج للناس فعكس ذلك تماما ، لا تشاهد منه إلا المرح ، والفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة . وقصارى القول إنه حيث كان يوجد حافظ يوجد السرور وتعلو الضحكات والفههة التي تنبعث عالية حتى من أشد الرجال تزمنا ووقارا .

ما السر في هذا . . هل ما يقال من أن شر البلية ما يضحك ؟ وأن الشيء إذا زاد على الحد انقلب إلى الضد ؟ كما تدمع عيوننا من شدة الضحك ؟ أو تجمد العيون عن الدمع عند اشتداد البلوى ؟

ومع ذلك فلا نكاد نرى لفكاهة الشاعر أثرا يذكر في شعره ، وإنما هو جاد كل الجد فيه ، رزين فيه كل الرزانة ، بل كثيرا ما تلمس في شعره من القوة والعنف والحزن الدفين والألم الممض ما لا يتصور في قائلها أن يكون مرحا فكها بساما في حياته الإجتماعية .

والذى أعتقد أنه شعر الشاعر كشاف لخبيثة نفسه ، ما صدق مع نفسه وصدق في شعره ، أما الحياة أمام الناس وما يرتديه لها من ألبسة وأقنعة ، فكلها مظاهر خارجية قد تقتضيها الظروف وترغم بها .

مقدمة الطبعة الثانية

فطبيعة شاعرنا إذن هي الطبيعة الجادة التي نطقت بها شاعريته المنبعثة من قرار مكين في نفسه . أما المرح والدعابة والفكاهة التي اشتهر بها بين الناس ، فقد تكون من باب إنسانية الشاعر ، فما ذنب الناس ليحملهم همومه ومتاعبه ، وما شأنهم فيما لاحقه به الدهر من مأس ونكبات ، ألا يكفي الناس ما يحملونه منها ؟ أما يكفيهم ذل الأسر والإحتلال ونكبة الوطن ليزيد همهم فوق همومهم .

إن المذكورين المهمومين أحق الناس بالتسرية عنهم ، فلماذا لا يكون عاملا على ذلك وقد أحب وطنه ومواطنيه الحب كله ، ذلك الحب الذي ملأ عليه فؤاده ومشاعره ولم يجعل فيها مكانا لحب آخر .

وخلق الإنسان هو نتاج طبيعته الخاصة والمظهر الذي يبدو فيه للناس ، فإذا نحن تكلمنا عن خلق إنسان فلنمنا في الواقع نتكلم عن طبيعته كما يكشف عنها خلقه .

وتأسيسا على هذا يمكن تلخيص طبيعة حافظ في أنها طبيعة حزينة ، يلفها أمام الناس برداء كثيف من المرح والفكاهة لعل السبب فيها ما ذكرنا من الإشفاق على الناس ، ولعلها الكبرياء الطبيعية فيه ، فقد يرى في الحزن ضعفا لا يليق بالرجال ، ولعله أخيرا التنفيس الطبيعي عن النفس ، شأنه في ذلك شأن المصريين جميعا ، حيث يقابلون كل مأساة أو نكبة بالنكبة اللاذعة والسخرية القارعة .

ومن المظاهر الواضحة في طبيعة حافظ أيضا أنها طبيعة قلقة لا تستقر على حال ، كما أنها طبيعة جادة في تناوله الشعر وتخير الأبواب الجادة منه ، في بساطة نفس أدت إلى بساطة في الأسلوب وبساطة في العرض وبساطة في التناول ، بغير عمق ولا تعسير ، كل ذلك في رصانة وقوة أداء وقوة في الإقناع . يعرف مواطن الحساسية في النفس فيضرب عليها حتى يثد إليه الأسماع والإفئدة والمشاعر جميعها .

مقدمة الطبعة الثانية

بقيت مسألة أخيرة تتعلق بطبيعة الشاعر وما يميز به من خصائص ،
أود أن أتعرض لها ، استكمالاً لهذا المبحث من المقدمة ، وردا على أسئلة كثيرة
راودت نفوس الباحثين وأفكارهم في شعره ، ويمكن إيجازها أو تضمينها السؤالين
التاليين :

السؤال الأول — ما هذه البساطة اللغوية الواضحة في شعر حافظ ، إذا
ما قورنت بشعر زميله ومعاصره أحمد شوقي ؟ صحيح
أن شعر حافظ من نوع السهل الممتنع ، وهذا إعجاز
في حد ذاته ، ولكن هل لهذا سبب يرجع إلى حصيلة
لغوية ضيقة أو محدودة ؟

السؤال الثاني — كيف يكون هذا الشاعر الضخم بلا مكتبة خاصة
يرجع إلى كتبها عند الحاجة ؟ بل كيف تنتهى حياته
وبنته خالٍ من قصائده حتى يرجع إلى الصحف
والمجلات العديدة في جمعها ؟

وللاجابة عن هذين السؤالين وغيرهما من الأسئلة العديدة أقول :

إن حافظا كان عالماً من علماء اللغة العربية ، درسها في الكتاب وفي المدارس
الأميرية ، ثم درسها دراسة أزهريه مستفيضة في الجامع الأحمدي بطنطا ، وبما
كان يقرأه ويستوعبه من أمهات الكتب العربية ، وعلى رأسها وفي مقدمتها
القرآن الكريم الذي أصبح من قديم المرجع الثبت الوحيد للغة العربية .

لا محل للشك مطلقاً في علو كعب حافظ في اللغة وتعمقه فيها ، ثم لم يوجد
كتاب في اللغة أو في الأدب ، ولا ديوان للشعر ، لم يطلع عليه حافظ أو لم
يدرسه دراسة واعية مستفيضة . بهذه الحصيلة الوفيرة الغنية ، لم يكن متمكناً

من اللغة فحسب ، بل كان مرجعا موثوقا به فيها ، يرجع إليه كثير من الكتاب والأدباء والشعراء فيما قد يتشككون في صحته . .

وكان لحافظ من اسمه أوفى نصيب . . كان قوى الحافظة بغير حدود . . لا يقرأ كتابا حتى يستطيع أن يعيد ما قرأه بالفاظه وأرقام صحائفه مهما طال به الزمن على قراءته . .

والأعجب من هذا ، أنه لم يكن يستعين بورقة وقلم في نظم قصائده ، بل كان ينظم القصيدة من مطلعها إلى نهايتها في ذهنه . . ينظمها ويهذبها ويرتب أبياتها ، ويقدم فيها ويؤخر ، كل ذلك يتم في ذهنه ، ثم يقبل على الحفل ، ويلقى قصيدته من الذاكرة ، وكان رجال الصحافة يُعدُّون أنفسهم له لسرعة التدوين حتى لا يفوتهم شيء منها .

فليس بصحيح إذن ، الظن بأن حصيلة حافظ اللغوية حصيلة ضحلة أو محدودة ، ولكن الصحيح أن حافظا اختط لنفسه أن يكون شاعر الشعب ، فكان عليه إذن وهو يخاطب الشعب أن يتخير من الألفاظ والعبارات والأساليب ما يسهل فهمه على الكافة ، وإلا انزل عن الشعب لاختلاف لغة التفاهم بينه وبينهم . . ولا شك في صعوبة مخاطبة الشعب بالعربية الفصحى ، والشعر أيضا ، وبالأسلوب وبالمعاني المؤثرة النافذة إلى صميم النفوس والوجدان ، وتلك قدرة وعبقرية انفرد بها حافظ ولا جدال . .

وقد بلغ من حرص حافظ الشديد على البساطة اللغوية مع الجزالة والمتانة الشعرية ، أنه تخير رجلا من عامة الشعب ، اعتبره المستوى العام لفهم « ابن البلد » المصرى ، وكان اسمه على محمود حسن الكرساتى ، فكان يعرض عليه أولا كل قصيدة يضعها ، بيتا بيتا ، فإذا وجد منه فهما للبيت أجازه ، وإلا غير وبدل ،

بل وحذف أحيانا ، حتى يطمئن إلى أن كل الشعب المصرى بمستوياته الثقافية المختلفة سيفهم وسيعى كل بيت فى القصيدة ، فإذا فهم الشعب المصرى فهمت بعده كل الشعوب العربية فى مختلف أرجائها . .

وكانت حافظة حافظ النادرة قد أغتته عن الرجوع إلى كتب اللغة وآدابها ، ثم كان فى عمله بدار الكتب المصرية كل الغنى عن الحاجة إليها أيضا ، وقليل ما كان يرجع إلى بعض الكتب ويطلب صفحات معينة فيها للاستيثاق مما فى ذاكرته منها ، وأشهد ، ويشهد معاصروه وقد أصبحوا أقل من القليل ، أن ذاكرته لم تخنه فى يوم من الأيام ، لا فى الموضوع الذى أراد ، ولا فى صفحة نشره .

ولقد كانت حافظته السبب فى عدم اهتمامه بتدوين قصائده والاحتفاظ بها فى بيته ، فقد كان يستطيع أن يعيد على المسامع قصيدة قالها من عشرات السنين ويذكر مناسبتها ويوم القائها بل ومن حضروها من الشخصيات البارزة وقتها . . فلما فاجأه الموت ، وقع المحذور ، وفقدنا بفقده كثيرا وكثيرا جدا من تراثه الغالى الثمين . .

أعتقد أن ما رددت به من ذلك على أسئلة السائلين قد أقنعهم ، وسد ثغرة كانوا يجردونها فى بحوثهم عن حافظ ، وقفوا إزاءها حائرين طويلا .

المبحث الرابع - فى شعر حافظ

الشعر فى حقيقته روح وإحساس وعاطفة ، وقد جاء لفظ الشعر من الشعور . ويجب أن تكون الروح فى الشاعر صادقة مرهفة والإحساس لديه عميقا نافذا والعاطفة قوية جياشة حتى يمكن أن يطلع بشعره على الناس فكرا صائبا وعرضا

جميلا لما يهتمهم وينفعهم . وليس لدى الناس كلهم الشعور الصادق المرهف ، ولا الإحساس العميق النافذ ، كما أنه ليس لدى كل الناس تلك النظرة الفاحصة المدققة اللاقطة لما يقع تحت بصرها من مرثيات ومشاهد ، يستبطنها ويستنبط منها ، ولكن هي ميزة لا تتوافر إلا في الأديب والشاعر . ثم إن الشعراء والأدباء يتفاوتون في ذلك أيما تفاوت ، ومن هنا يجيء شعراء المرتبة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة والرابعة وهكذا تبعا لما منحه الله للشاعر أو الأديب من وفرة في الشعور والإحساس والعاطفة . ثم تأتي بعد ذلك القدرة على التعبير عن الشعور والأحاسيس ، وفي ذلك يتفاوت الشعراء والأدباء أيضا . وإذا كان صدق الشعور ورهافته ، وعمق الإحساس ونفاذه في النفس ، هبتين من هبات الله للأديب أو الشاعر ، فكذلك القدرة على التعبير هي أيضا هبة من أجل الهبات ، ولكن بقدر ، إذ على الإنسان أن يقوى من هذه القدرة وينميها كملكة من أهم الملكات ، بالاطلاع والدرس واستيعاب جلائل ما أبدعته قرائح القدامى ، ليكون نفسه كأديب لا غنى له عن ذخيرة وفيرة تساعد وتثري شعره بما تعطيه له من نماذج وتعبيرات وطرق في تناول الموضوعات التي يطرقها . فالشاعر كالنحلة ، تسقط على ما يبهرها أو يجذبها من روائح الزهور ، فتمتص من رحيقها ما تمتص ، ثم تخرج ما امتصته بعد ذلك غذاء آخر شهيئا نافعا للناس ، وكلما حسنت تغذية النحل . واختير لها من أنواع الزهور ، كان نتاجها . فمن النحل ما يعطيك عسلا برائحة الزهور ، أو برائحة البرتقال أو بلا رائحة ، ولا يتأتى لها هذا بطبيعة الحال إلا بالنوع الذي استمدت منه رحيقه ، ومع ذلك فليس كل ما يعطيه النحل عسل ، فمن النحل ما لا يصيبك منه إلا لسعته ، وكذلك الشاعر .

أذن فالعناصر التي تكون الشاعر ثلاثة ...

العنصر الأول : هو الموهبة التي لا غنى عنها ولا محيص ، وتلك من هبات

الله جل شأنه ، يمنحها من يشاء من عباده ولا دخل للإنسان فيها .

وهنا نجد الفارق واضحا وكبيرا بين الشاعر والناظم . فالناظم فاقد الموهبة وإن تعلم أوزان الشعر وبحوره ، فيضع نظمه بلا روح شعرية فيكون شعره أشبه بالزهور الصناعية ، لا روح فيها ولا شذى ولا تأثيرا جماليا لها تنفعل به النفس .

العنصر الثاني : هو القدرة على التعبير عما يحس به الشاعر ويحرك

مشاعره . وعلى كل ذي موهبة شعرية أن ينمي من هذه القدرة بالقراءة والاطلاع والعلم بالأساليب وأصول اللغة وعلوم البلاغة وقواعد الشعر ، فهي أركان التعبير وأدواته ، وهي الجزء الذي يجب على الشاعر أن يستكمل في نفسه بنفسه . وبمعنى آخر هي الجزء العلمي المكتسب في أمر أساسه الموهبة .

والعنصر الثالث : والأخير هو ثقافة الشاعر ، فيقدر ما يتقن الشاعر

نفسه بثقافات عصره المتنوعة يحى شعره بقدرها ، بل عليه أن يزيد من حصيلته الثقافية حتى يسبق عصره أو يواكبه على الأقل بفكره فيما يقول . وكلما زادت ثقافة الشاعر زادت قيمة شعره وعلت مرتبته .

وفي شاعرنا حافظ نجد أن العنصرين الأول والثاني قد توافرا فيه إلى حد بعيد ، فالموهبة الشعرية قد وضحت فيه كل الوضوح ، بل هي التي قادته في مستقبل صباه إلى أن يتفرغ لها ، أما قدرته على التعبير فقد كان خيرا بارعا متمكنا منه ، يساس في الصياغة ، ويحسن اختيار الكلمات ، ويضع اللفظ موضعه تماما .

بل إنه تفوق في ذلك تفوقاً واضحاً في صياغته للشعر ، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أنه أول من صاغ الشعر صياغة خطابية تتفق وطبيعة موضوعات شعره وتزيده جلالاً وتأثيراً وانتشاراً . أما عن العنصر الثالث وهو ثقافة الشاعر ، فقد تناولها المرحوم الأستاذ أحمد أمين بقوله :

« ولكنه أكل ثقافته ، ووسع معارفه من نواح متعددة ، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب وأطال النظر خاصة في كتاب الأغاني ، فقد حدث أن قرأه مرات ، وتحدث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء ويتخير من أمثال شعر بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، والشريف الرضي ، وابن هانيء الأندلسي ، وابن المعتز ، والعباس ابن الأحنف ، وأبي العلاء المعري ، يدل على ذلك ما كان يحفظ من متنخل الأدب وعيون الشعر . فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك ، حتى لقد خيل إليّ أنه لو دون ما يحفظه لفاق أبا تمام في اختياره « ديوان الحماسة » إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظه قوية تسعف ذوقه وتلبي اختياره . فما يختار جيداً من القول حتى يرتسم في حافظته ، ويبقى في ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك في شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مستفيضة في عمق ولم يرسم له خطة يلتزمها في الدراسة ، بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة ومن تلك رشفة ، فهو يرضى ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المتنتقلة ، فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اخترته في نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الراتب المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ، عمل في الحمامة فلم تعجبه ، واشتغل في « البوليس » فملّه ، وفي الجيش فسئمه ، ولولا أنه كان حراً طليقاً — إلى حد كبير — في دار الكتب لملها

مقدمة الطبعة الثانية

أيضا ، ثم كانت هذه الفوضى في قراءته يتبعها إهمال في حياته الأدبية ، فقلما يكتب قصيدته وقلما يحافظ على شعره ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعنى أن يكون في بيته دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة ، كان لديه كتب تبعث ، فيأتي زائر ويأخذ جزءا من الأغاني ، وجزءا من غيره ، حتى أنه لما مات - رحمه الله - لم يكن في بيته من الكتب غير جزء من « تذكرة داود » وجزءا من تفسير الأحلام لابن سيرين ، فأما الأول فلأنه كان في سنيه الأخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ، فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى « تذكرة داود » ليرجع إليها فيما يتخيل من ادواء ، وأما « تفسير الأحلام » فلأنه كان يعتقد في الرؤى وأثرها في حياة الإنسان ، وكان يرجع إليه في التناذر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا ، في مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه يتنادرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد في الأحلام وصحتها ، ويتفائل بها في آماله في منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشيء آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الرأي في الأمة ، فقد اتصل بالاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعد نفسه فتاه ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس ، ويجلس في مجالسه ، ويصحبه في أسفاره ، ثم يغشى مجالس أمثال سعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم وكانت مجالسهم مدارس من أرقى المدارس ، تطرح فيها المسائل العلمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عولجت وما إلى ذلك - وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد

مقدمة الطبعة الثانية

عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل ، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التي صاغها في شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء في المقاهي والمنتديات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وامام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فمكثته من الاطلاع على شيء من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو ، وترجم بعض قطع بلجان جاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران في ترجمة كتاب « موجز الاقتصاد » وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزي ، كما ترى أثر ذلك في ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربي ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا في شعره ، انما شعره — على الأكثر — نتاج الأدب العربي ، والثقافة العربية والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقد أتاح له يؤسه الامتزاج بفهم الناس ومجالستهم ومشاركتهم في الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حماسة من حماسهم ، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم .

أما وقد اكتملت العناصر المكونة للشاعر في شاعرنا فما هي الطبيعة التي تميز حافظا وشعره عن غيره من الشعراء ؟ وما هي أبواب الشعر وفنونه التي

طرقها وبرز فيها ؟ فليس من المفروض ولا من المعقول أن يبرز الشاعر، أى شاعر، فى كل نواحي الشعر وأغراضه، فحسبه أن يجيد فى باب أو باين من أبواب الشعر اجادة تامة أو اجادة ملحوظة . والعبرة بالإجادة لا بالكثرة ولا بالتنوع . والعبرة أيضا بأن يعطى الشاعر ما تريده منه أمته وما يحتاج اليه شعبه وعصره . ولعل ذلك ما يفسر لنا تعريف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، كما يفسر لنا الحكمة العربية بأن لكل مقام مقالا .

فاذا كان ذلك كذلك ، فقد كان حافظ شاعر عصره ، وشاعر أمته وشاعر عربيته وشاعر شرقية بل شاعر عالمه الاسلامى فى ذلك الحين .

حدث أن كنت أتناول الغداء على مائدة المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وهو على ما نعلم كان أديب مصر والمؤرخ الكبير لقادة الإسلام ، والوطني الوفي ، والسياسى العملاق البعيد النظر فى الأمور ، وكان يحلوه على مائدة الغداء أن نتحدث فى بعض المسائل الأدبية أو الفقهية أو السياسية ، فسألنى عن رأى فى حافظ بعد أن فرغت من حديثى عن بعض معجزات شوقى الشعرية . ولما كنت أعلم أنه كان صديقا لكلا الشاعرين ومعجبا كل الإعجاب بكليهما ، ولما كنت أعلم أنه هو الذى وضع مقدمة ديوان شوقى، وأنه يعلم قرابتي لحافظ ، فقد صغت ردى على سؤاله صياغة ابتم لها ، حيث قلت إن من دلائل عظمة حافظ ومكانته الشعرية أنه استطاع أن يوجد له مكانا واسما الى جوار شوقى . وعجبت أيما عجب من تعقيبه على تلك الكلمة بقوله : ولم لا تقول إن من دلائل عظمة شوقى أنه استطاع أن يوجد له مكانا واسما الى جوار حافظ ، فقد كان الوقت وقت حافظ ، والعصر عصر حافظ ، والمجال مجال حافظ !!! وسكت الأديب العالم الحصيف عند هذا . . فاذا رجعنا الى ما سبق أن ذكرته عن ال

مقدمة الطبعة الثانية

البلاد في هذه المقدمة ، أيقنا بأن البلاد وهي في بالغ عسرتها الوطنية ، كانت أحوج ما تكون الى الشاعر الوطني والى الشعر الوطني ولا غير ، فالوصف والغزل والمديح وما أشبه لم تكن البلاد في حاجة اليها ولا حاجة لشبابها ورجالها الى سماعها والالتفات اليها ، وفي مثل تلك الأبواب تحفل دواوين كبار شعراء العربية مما لا مزيد بعده لمستريد .

إن البلاد والشعب المكافح في عسرتة ، كانا أحوج ما يكونان الى الشاعر الذي يلهب حماسهم ويجمع صفوفهم ويبصرهم بأحوالهم ، ويذكرهم بأجسادهم ، ويضرب الأمثال لهم ، ويعالج أدواءهم ويحيي دارس الآمال فيهم ، أما ما عدا ذلك فلا حاجة للبلاد والناس اليه ، فهي رفاهة وخيال ونعم ينكرها الشعب ، ويأبأها القادة المصلحون لشعب عليه أن يكافح ويستमित في كفاحه في سبيل الحرية والاستقلال .

وكما قال أستاذنا الجليل المرحوم الأستاذ أحمد أمين في مقدمته : إن ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت في شعره آمال أمته أولاً ، وآمال الشعب العربي ثانياً . كانت الامة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ، وتشكو من تضيق الغرب على الشرق ، وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ، وكان حافظ بما له من حس مرهف ، وعاطفة حساسة يجمع كل ذلك في نفسه ، فلما ثار على الشعر القديم وحطمه ، بنى على أنقاضه شعره الجديد في الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ، وكان في شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين وقادة الرأي الاجتماعيين ، يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم ، ويفغى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعراً

مقدمة الطبعة الثانية

قويا ملتبها ، يفعل في النفوس — وذلك شأن الشعر الحى — ما لا تفعله الخطب والمقالات ، فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره أحد في ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة ، فتارة يقرع الامة تقريرا جارحا مؤلما على استنامتها واخلادها الى السكون واستسلامها للأجانب ، وتارة تبدأ الامة بحركة وتقف موقفا مشرفا فيحيى أمله ، ويبشر بعد أن كان ينذر ، ويعاوده الأمل بعد اليأس ، والرجاء بعد الخيبة . . وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الامة بين اليقظة النوم ، والعمل والتواكل والاصابة والخطا فهو صدى لها في حركاتها ، وهو المدرس الحكيم الذى يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد ثورته على الشعر القديم ، نظم في موضوعاته ، ولكنه حتى في هذه لا ينسى مقامه ، ولا يجهل رسالته ، ولا يفوته غرضه ، فهو ينتهز فرصة تحية العام الجديد ، وتحية المليك ورتاء الفقيد ، وتباني العيد ، ليبتث في ذلك كله عاطفته الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، وليبشر وينذر ، ويرغب ويرهب ، فهو مجتد من هذه الناحية ، في موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمة ، حتى في وصفه لا يريد أن يخليه من غرضه الذى ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله أدبا صرفا فهو يشبه طول الليل بعهد الاحتلال الى كثير من أمثال ذلك . ويتغزل في هذا الطور من الحياة ، ولكن لا فى جارية ولا فى فلام ، ويتغنى ولكن لا فى كأس أو مدام ، إنما يتغزل فى مصر ، ويتغنى بمصر ، ويأرق فى حب مصر .

لم يشأ حافظ أن يكون شعره فى وطنياته طبلا أجوف ، يقول قولاً عاما لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية

في عصره أساسا لدعوته ، وسنادا لهجمته . فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض ، فيخلق منه موضوعا لشعره ، ويملؤه بما يجيش في صدره . . . كان في شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه ، ويصوغ منها أدبا قويا يستحث الهمم ويدفع الى النهضة ، سواء أضحك في شعره أم بكى ، أتم أم يئس . ويتسع أفقه في كثير من الأحيان ، فينظر الى الوحدة العربية ، والوحدة الإسلامية ، فكم قال في علاقة الشاميين والمصريين ، وفي الدعوة الى الإخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ، وكم قال في علاقة مصر بالآستانة ، وتمنى نهضة الخلافة ورفع لوائها وعودة مكاتها ، وكم شعر في وحدة الشرق وتعاونه وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقربا للقلوب داعيا الى ائتلاف الشعوب ، يتنهد لذلك كل فرصة ، بل أحيانا يزيد اتساع أفقه فينظر الى الانسانية كلها .

وقد أجاد حافظ كل الإجابة في الرثاء واحسن كل الإحسان ، وسبب ذلك أنه استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من حادثة فردية الى مأساة اجتماعية فموت الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده نكبة على مصر وعلى العالم الإسلامي ، وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحققة ، فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد تصوير الفقيده في صورة كاملة الى المسائل العامة الاجتماعية ، وبذلك يجلس حافظ على عرشه ، ويقول في سهولة وحزالة ما برع فيه وفاق أقرانه .

*
* *

ولقد عاب البعض على حافظ أنه لا يعتبر شاعرا من شعراء الطبيعة ، كأن الطبيعة هي كل شيء في الحياة ، أو كأن من لا يصف الطبيعة ليس شاعرا أو شاعرا محدود الشاعرية ، وينسى أو يتناسى القائلون بهذا أن الإنسان هو أول وأكبر مظهر للطبيعة في الوجود وهو أعقد مشكلاتها .

مقدمة الطبعة الثانية

ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا إننا لانجد شاعرا أحسن في وصف الإنسان وحالاته وخلجات نفسه ما أحسن حافظ . واذا كان الإنسان مخلوقا معقدا بطبعه وطبيعته ، فإنه لا يتعرض لوصفه ووصف حالاته إلا ذو القدرة المكين .

ثم إن كل إنسان ، أديب أو شاعر ، يستطيع ان يتعرض للطبيعة بالوصف ، ولكن ليس أحد من هؤلاء بمستطيع أن يتناول الإنسان بالوصف والتحليل وابرار المشاهد الإنسانية متناول حافظ لها ، ولترجع الى قصائده في الانقلاب العثماني وفي حادث دنشواي ، وفي رحلته الى إيطاليا ، وفي زلزال مسينا وفي غيرها من قصائده كثيرة ، تأكيدا لما نقول .

والشاعر بحق ، هو من ينقل أحاسيسه الصادقة بالطبيعة والحياة ، وشعوره بها ، الى نفس ووجدان ومشاعر قارئه ، ويترجمها له ترجمة دقيقة واضحة المعالم اخاذة نفاذة . وهكذا كان حافظ وصافا للثرثيات والمحسوسات ، بعيدا عن مجرد الخيال المحض ، بما يعجز عنه أى معبر مهما بلغ من عمق ودقة وبلوغ قصد .

والطبيعة أيضا من المرثيات والمحسوسات ، ولقد تناولها حافظ فيما تناول ، ولكنه لم يتناولها إلا عبورا وبمناسبة تلفت اليها ، فلم تكن في غالبية شعره مقصدا من مقاصده ، ولا هدفا من أهدافه .

والعبرة فيما يكتبه الشاعر ، سواء كان وصفا أو غيره ، انه حيث يتناول موضوعا من الموضوعات أن يأتي فيه بجديد ، يتعمق في الفكرة مع حسن العرض واكتماله . وكثيرا ما رأينا موضوعات نحسبها تافهة أو رخيصة ، فاذا تناولها الكاتب الكبير أو الشاعر الفحل ، تتغير فيها النظرة ، ونعجب كيف كنا بصفها بهذا الوصف . وعلى هذا يمكن أن نقول إن العبرة بالمتناول وقدرته ، لا بأهمية

الموضوع أو تفاهته، فالعظيم اذا تناول الحقيير من الأمور أضحى الحقيير بيده عظيماً، وكذلك الصغير اذا تناول أجل الامور أضحى الجليل بيده مستصغراً نافعاً .

تخضرتني في ذلك أبيات لشيخ المعرة، في وليد توفي بعد ثلاثة أيام من مولده، فلننظر في هذا الموضوع اليسير الذي لا غرابة فيه ، وكيف خرج من يد العظيم عظيماً . قال أبو العلاء :

أعجبت بالطفل الصغير بمهده * لم يخطُ ، كيف سرى بغير رواحل
قد عاش يوميه وعُمَّرَ ثالثاً * ثم استراح من المدى المتاحل
كم سار من سنة أبوه ، فياله * قطع المسافة في ثلاث مراحل
رَفَعَتْ له بُلُجُجُ البحارِ فعامها * ونجا ، وأصبح مالكاً بالساحل

وإذا كانت هذه المقدمة قد طالت ، ولم يعد فيها متسع للامثال من شعر حافظ على ما ذكرنا ، وهذا ديوانه كله بأيدينا، إلا أنني لا أرى بأما من إيراد وصفه لبعض المشاهد الإنسانية للدلالة على ما ذكرنا .

ففي زلزال مسينا الذي وقع في إيطاليا وقضى على المدينة ومن فيها من الأحياء

يصف هذا المشهد

رب طفل قد ساخ في باطن الار * ض ينادى أمى أبي أدركاني
وفناء هيفاء تشوى على الجمر تعانى من جره ما تعانى
وأب ذاهل الى النار يمشى * مستميتاً ، تمتد منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيه * مسرع الخطو ، مستطير الجنان
تأكل النار منه ، لا هوناج * من لظاها ، ولا اللظى عنه وان

ثم هو يصل الى أعلى مراتب الإنسانية حين يدعو الى تبرع المصريين لغوث هؤلاء المنكوبين فيقول :

ذاك حق الإنسان عند بني الإنسان لم أدعكم إلى إحسان
ويصف تنفيذ أحكام الأعدام والجلد في أهالي دنشواي ، وزهو المستشار
الإنجليزي في ساحة الأعدام :

جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا * بجال من شتقوا ولم يتهبوا
شتقوا ولو منحوا الخيار لأهلوا * بلظى سياط الجالدين ورحبوا
يتحاسدون على الممات ، وكأسه * بين الشفاه ، وطعمه لا يعذب
موتان ، هذا عاجل متنمر * يرنو ، وهذا آجل يترقب
والمستشار مكائر برجاله * ومعاجز ومناجز ومحزب
يختال في إنحائها متبسما * والدمع حول ركابه يتصبب

ثم يختم القصيدة بيتين سارا مسرى المثل مع ما فيهما من تقرير شديد للامة
على استكاتها ، صاغها في صورة نصيحة للعمد البريطاني وقتئذ :

واذا سئلت عن الكنانة قل لهم * هي أمة تلهو ، وشعب يلعب
واستبق غفلتها ، ونم عنها تم * فالناس أمثال الحوادث قلب
ومن المشاهد الإنسانية الدقيقة ما وصف به المرحوم الأستاذ حفي ناصف
كاب مفجوع في ابنته التي فقدتها في قصيدته في رثائها :

أنا لم أذق فقد البنين ولا البنات على الكبر
لكنني لما رأيت فؤاده وقد انفطر
ورأيت أنه قد كاد يحرق زائريه إذا زفر

ورأيتُه أني خطأ * خطوا تجبل أو عشر
أيقنت معنى الحز * ن حزن الوالدين، فما أمر
ولعل أحدا من الشعراء والكتاب لم يبلغ ما بلغه حافظ في وصفه للرجل
السياسي ، وهو ما جاء في رثائه للرحوم عبد الخالق ثروت باشا ، حيث قال :

لله سر في بناية ثروت * سبحان باني هذه الأعصاب
إني سألت العارفين فلم أفز * منهم على عرفانه بجواب
هو مستقيم ملتوي، هو لين * صلب، هو الواعي هو المتغابي
هو حوّل هو قلب، هو واضح * هو غامض، هو قاطع هو نابي
ما جاء من باب لصيد دهائه * إلا نجأ بدهائه من باب

والامثلة على ذلك كثيرة ، لو استطردنا فيها لما اتينا .

ومن ميزات حافظ الكبرى أنه كان يحسن إلقاء الشعر ، فكان يلقي قصائده
بنفسه ، ولا ينيب عنه أحدا في إلقائها إلا ما ندر لعذر قاهر يمنعه عن الحضور، كان
جهير الصوت ، قوى الاداء ، إذا اعتلى المنبر اهتز تحته ، كأنها البراكين تتفجر ، يعلو
صوته كالرعد في وطنياته ، وجوع الشعب تصبغى في اعجاب وانهار وقد ملك عليها
أفئدتها وأنفاسها وكل مشاعرها ، حتى إذا انتهى الى مقطع من مقاطع القصيد ،
جاوبه الشعب بهدير وزمجرة تعبر عن شعورهم وتقديرهم ومكنون ضمائرهم . وإذا رثى
لا يتمالك السامعون أنفسهم من البكاء والنحيب شعورا بما عبر عنه من فداحة
المصائب فيمن يرثيه . . وهكذا كان رحمه الله ... كانت قوته أيضا في إلقائه ، حتى
كان يؤثر عن المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد أنه قال : شعر حافظ لا يقرأ
وإنما يسمع : ولو كانت في عهده أجهزة تسجيل ، لسجل شعره بدلا من طبعه .

والآن ، ما هي مكانة حافظ بين شعراء عصره ؟ وما مكانته بين شعراء
العريسة .

عاصر حافظا شعراء كثيرون ، نذكر من كبارهم محمد عبد المطلب واحمد شوقي
وخليل مطران وولي الدين يكن واسماعيل باشا صبرى ، ومن قبلهم محمود سامى باشا
البارودى . إلا أن أكبر شاعر من هؤلاء المعاصرين كان بلا شك أحمد شوقي بك
الملقب بأمير الشعراء والذي عاصر حافظا وزامله في الشعر طول حياته : حتى لقد
لقيا الله في سنة واحدة هي سنة ١٩٣٢ ، حيث توفي حافظ في ٢١ من يولييه ،
وقفاه شوقي في ١٤ من أكتوبر من نفس السنة .

وقد انقسم الناس في عهدهما فريقين : فريقا فضل حافظا وآثره عن سواه ،
وفريقا فضل شوقي كعجزة شعرية مع حبه لحافظ وإعجابه به ، وقليل من وقف
موقفا وسطا . كانت هذه حال الناس ، لا في مصر وحدها ، بل في مشارق
الأرض العربية ومغاربها . . ولكل وجهة هو موليا . .

ولقد تناول عميد الأدب العربي المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين في كتابه
« حافظ وشوقي » فيما تناوله من دراسة الشاعرين ، اختلاف الناس فيهما ،
وتعرض للسؤال التقليدى الذى ثار بينهم حول من هو أشعر من صاحبه . ولعلنا
في هذه العجالة نحسن اذا نحن أتينا بخاتمة بحثه في رده على هذا السؤال . . حيث
يقول الدكتور العميد :

« وصل شوقي في شيخوخته الى ما وصل اليه حافظ في شبابه ، لأن شوقي
سكت حين كان حافظ ينطق ، ونطق حين اضطر حافظ الى الصمت . بالسوء
الحظ ، لبت حافظا لم يوظف قط ، وليت شوقي لم يكن شاعر الأمير قط . ولكن

هل تنفع شيئاً لبت ؟ لقد أسكت حافظ ثلث عمره ، ومجّن شوقي « في القصر »
ربع قرن ، وخسرت مصر والأدب بسعادة هذين الشاعرين العظيمين شيئاً كثيراً .
... كلا الشاعرين قد رفع لمصر مجداً بعيداً في السماء ، وكلا الشاعرين قد
غذى قلب الشرق العربي نصف قرن أو ما يقرب من نصف قرن بأحسن الغذاء .
وكلا الشاعرين قد أحيا الشعر العربي ورد إليه نشاطه ونضرتة ورواه . وكلا
الشاعرين قد مهد أحسن تمهيد للنهضة الشعرية المقبلة التي لا بد من أن تقبل .
هما أشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وأبو العلاء ، هما ختام هذه الحياة
الأدبية الطويلة الباهرة التي بدأت في نجد وانتهت في القاهرة وعاشت
خمسة عشر قرناً والتي ستستحيل وتتطور وتستقبل لوناً جديداً من ألوان الفن وضرباً
جديداً من ضروب المثل العليا في الشعر . هما أشعر العرب في عصرهما . . . ولكن
أيهما أشعر من صاحبه ؟

أفترى أن ليس من هذا الحكم بد ؟ أفترى أن تفضيل أحد الرجلين على
صاحبه يعني أو يفيد ؟ نعم ، ليس من هذا الحكم بد ، لأنه تقرير الحق الواقع ،
وفي هذا الحكم نفع عظيم لأنه وضع للأشياء في نصابها ، لأنه يبين للبندئين في الشعر
من الشباب أين يكون المثل الأعلى .

أما أنا فلا أستطيع أن أقول إن أحد الشاعرين خير من صاحبه على الإطلاق .
ولكن شوقي لم يبلغ ما بلغ حافظ من الرثاء ، ولم يحسن ما أحسن حافظ من تصوير
نفس الشعب وآلامه وآماله ولم يتقن ما اتقن حافظ من إحساس الألم وتصوير
هذا الإحساس وشكوى الزمان .

لم يبلغ شوقي من هذا ما بلغ حافظ . وهو بعد هذا أخصب من حافظ طبيعة ،
وأغنى منه مادة وأنفذ منه بصيرة ، وأسبق منه إلى المعاني ، وأبرع منه في تقليد

الشعراء المتقدمين ، لأن حافظا كان يقلد الالفاظ والصور ، وكان شوقي يقلد
فيهما وفي المعاني أيضا ، ولشوقي فنون لم يحسنها حافظ وما كان يستطيع أن يحسنها .
شوقي شاعر الغناء غير مدافع ، وشوقي شاعر الوصف غير مدافع ، وشوقي
منشئ الشعر التمثيلي في اللغة العربية .

يلتقى الرجلان في كثير ، ويفترق الرجلان في كثير ، ولكنهما على كل حال
أعظم المحدثين حفظا في إقامة مجدنا الحديث .

بهذا انتهى الدكتور طه في حكمه على كلا الشعاعين ، وليس بعد حكم الاستاذ
العميد حكم ، وخلاصته أن حافظا وشوقي كانا أشعرا أهل الشرق العربي منذ مات
المتنبي وأبو العلاء ، وأنهما كانا ختام حياة أدبية طويلة باهرة بدأت في نجد
وانتهت في القاهرة ...

وأن ليس أحد الشعاعين خيرا من صاحبه ، فلكلا الشعاعين مجاله وميدانه .
وأن كليهما قمة من قمم الشعر في عصرنا الحديث .

وبهذا يكون رأينا في مكانه شاعرنا حافظ وتحقيق مرتبته بين شعراء عصره
وبين شعراء العربية جميعا .

أما وقد اتينا الى ما اتينا اليه ، فلم يعد أمامنا إلا أن تقدم الديوان بما
حواه من ذخائر وقيم ، ودروس وعظات ، وتجديد للشعر في موضوعاته ، قلما
اجتمعت في ديوان من دواوين الشعراء قديما وحديثا .

والله نبال ، وهو نعم المسئول ، وخير مستعان ومأمول ، أن ينتفع به شباب
مصر والعرب أجمعين ، وأن يكون لهم ضياء يستضيئون به ، ومثلا طيبا يحتذونه ،
ودروسا في الجهاد الخالص لوجه الله والوطن ، وتاريخنا ولغة وأدبا يزيدهم ثقافة
وعلمها وبصرا بالحياة ما

محمد اسماعيل كاني

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة ديوانه حافظ ابراهيم للاستاذ أحمد أمين

معلومات رسمية عنه مستقاة من ملف خدمته
المحفوظ الآن بإدارة المعاشات

(١) لم يعرف بالضبط تاريخ مولده . ولم يعرفه حافظ نفسه ، كما أقر بذلك .
وقد عُرض على القومسيون الطبي عند ما أريد تعيينه في دار الكتب ، فقدر سنة
تسعا وثلاثين سنة . وكان الكشف الطبي عليه يوم ٤ فبراير سنة ١٩١١ ، برأسة
الدكتور بتسي ؛ وهذا هو السبب الذي اعتمد عليه من قال : إنه ولد يوم ٤ فبراير
سنة ١٨٧٢ م وهو سبب واه كما ترى .

(٢) كتب حافظ بخطه ما يأتي : ” ولدت في ذهبية (أى حراقة) بالنيل ،
بالقرب من قناطر (ديروط) بالصعيد “ .

(٣) كُتب الى (ديروط) للبحث في الدفاتر عن تاريخ ميلاد حافظ ، فأجابت
بأنها بحثت من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٨٠ فلم تعثر عليه في دفاترها .

(٤) كتب حافظ بخطه أن ” أباه اسمه إبراهيم فهمي ، واسم أمه الست هانم
كريمة أحمد البورصة لى بك “ .

(٥) الدبلومات والشهادات الحاصل عليها : ” عريضة ملازم أول “ .

(٦) وظائفه :

في وزارة الحربية :
ملازم ثان من ١٨٩١/ ٢/ ١٣ الى ١٨٩٣/ ٧/ ٣١
ملازم أول من ١٨٩٣/ ٨/ ١ الى ١٨٩٤/ ٥/ ٦

في وزارة الداخلية :

ملاحظ مركز بني سويف ... ١٨٩٤/ ٥/ ٧ الى ١٨٩٥/ ٣/ ٢٣
معاون بوليس مركز الإبراهيمية ١٨٩٥/ ٣/ ٢٤ الى ١٨٩٥/ ١٠/ ١٥

في وزارة الحربية ثانية :

أحيل على الاستيداع ١٨٩٥/ ١٠/ ١٦ الى ١٨٩٦/ ٣/ ١٧
ملازم أول بإدارة التعيينات ... ١٨٩٦/ ٣/ ٨ الى ١٩٠٠/ ٥/ ٢
أحيل على الاستيداع ١٩٠٠/ ٥/ ٣ الى ١٩٠٣/ ١٠/ ٣١
أحيل على المعاش ١٩٠٣/ ١١/ ١

(٧) كانت إحالته على المعاش بناء على طلبه ، فقد كتب تظلمها قال فيه "إنه

مكث بخدمة الجيش ١٢ سنة ، ولم يحصل فيها على غير رتبة ملازم أول . ومضى عليه أربع سنوات وهو في الاستيداع ، وأنه فقد الأقدمية ، ويلتمس إحالته على المعاش ليتمكن من وجود شغل له يقوم بنفقته ونفقة عائلته الكبيرة التي لا يقوم مرتب الاستيداع بلوازمها " . "وبناء على ذلك تقرر إحالته على المعاش كالتماسه" .

(٨) كان مرتبه في الاستيداع ٤ جنهيات .

(٩) في أثناء خدمته بإدارة التعيينات سافر الى السودان . وقد أمضى فيه

مدة ، منها :

مقدمة الطبعة الأولى

يوم	شهر	
١٥	٩	في سواكن .
٥	٢	» وطوكر .
-	١٠	قبلي حلفا .

(١٠) حينما أُحيل إلى المعاش كتب وكيل الحربية مانصه: "إن محمد حافظ إبراهيم الملازم أول المحال على المعاش سلم السيف والفايش (الذين كانوا في عهده) " .

(١١) عين رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب في ١٤/٣/١٩١١ تحت الاختبار، بمرتب قدره ٣٠ جنيها . وفي ١/٤/١٩١٢ عين بصفة دائمة . وفي ٧/٢/١٩١٦ عين رئيسا للغيرين بدار الكتب أيضا .

(١٢) كتب وهو في سن الخامسة والخمسين يطلب إحالته على المعاش ، وأن يعطى خمسين جنيها شهريا . لأنه خدم اللغة والأدب مدة طويلة ، فلم يُجِب إلى طلبه .

(١٣) ظل مرتبه في دار الكتب يزيد إلى أن بلغ ثمانين جنيها .

(١٤) أُحيل إلى المعاش من دار الكتب في ٤/٢/١٩٣٢

(١٥) مجموع مدة خدمته في الحكومة : ٣٥ سنة و ٤ أشهر و ٢٩ يوما .

وبيانها كالاتي :

يوم	شهر	سنة	
٨	٦	١٤	مدة خدمته في الحربية والداخلية .
٢١	١٠	٢٠	» بدار الكتب .

(١٦) ملف خدمته مملوء بطلب الإجازات الاعتيادية والمرضية . وفي سنة ١٩٢٣

طلب اجازة ثلاثة أشهر لقضائها خارج القطر ابتداء من ٣٠ غسطس .

حياته - حوالى سنة ١٨٧٢ م . كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة (ديروط) فى أعلى الصعيد، وكان يسكنها إبراهيم افندى فهمى أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط وزوجته الست هانم .

ففى يوم منها أو قريب منها ، ولد لهذه الأسرة فى هذه السفينة مولود سموه "محمد حافظ" وهو شاعرنا فيما بعد، فكان ذلك إرھاصا لطيفا، وإيماء طريفا، إذ شاء القدر ألا يولد "شاعر النيل" إلا على صفحة النيل .

كان أبوه "إبراهيم فهمى" مصريا صميا، وكانت أمه "هانم بنت أحمد البورصهلى" من أسرة تركية الأصل، تسكن "المغربلين" تعرف بأسرة الصروان، إذ كان والدها أمين الصرة فى الحج، فلقب بالصروان (القيم على الصرة) ولقبت الأسرة به .

ومع أن الدم التركى كان يجرى فى عروقه كالدّم المصرى، لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب، ولم يُشيد بذكر الأتراك إشادة (شوقى) بهم، لأن ما كان فى (شوقى) دم تركى أرسقراطى، وما فى حافظ دم تركى ديمقراطى؛ ولأن تركية شوقى غنثها بيئة القصور التى ولد ببابها، وعاش فى أكافها، وتنفس فى جوها؛ وتركية حافظ غلبتها حياته البائسة، وعيشه فى أوساط الجماهير، واندماجه فى غمار الناس، يعيش عيشتهم، ويحيا حياتهم، فماتت عصبية التركية إلا نادرا؛ فكان شوقى إذا شعر فى الترك وحرورهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتحدث عن قومه، يفخر بنصرهم، ويعتر بعزهم، ويراعى العلاقة القوية بين طابدين ويلدز، وبين الخديوى والخليفة؛ وإذا شعر حافظ فى ذلك لم تر عصبية جنسية، إنما هى عصبية دينية ووطنية، فهو يفخر بنصرة الترك، لأنها نصرة للإسلام، ويخشى على الخلافة لأن فى ضعفها ضعفا لدينه، وفى النيل منها نبلا من وطنه .



لم يعيش أبو حافظ طويلاً بعد ولادته، ولم يرزق ولداً غيره؛ وقد توفي إبراهيم في ديروط وحافظ في الرابعة من عمره، فانتقلت به والدته إلى القاهرة، ونزلت عند أخيها، فتولى أمره، وقام بتربيته .

أدخله خاله مدرسة "تسمى المدرسة الخيرية" كان مقرها (القلعة)، وكانت مكتبة تُعَلَّمُ فيه القراءة والكتابة وشيء من العربية وشيء من الحساب .
ثم دخل مدرسة القريية وهي مدرسة ابتدائية يُعَلَّمُ فيها ما يُعَلَّمُ في المكتب على نمط أرقى .

ثم تحوّل إلى مدرسة المبتديان، ثم صار إلى المدرسة الخديوية، ولكن لم يطل مقامه فيها، فانتقل مع خاله "محمد افندي نيازى" إلى طنطا، وكان خاله هذا مهندساً تنظيماً بها .

وقد تعرّف به هناك الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وكان هذا طالبا بالمعهد الأحمدي، وذلك في شعبان سنة ١٣٠٥ هـ - أبريل سنة ١٨٨٨ م . وسنّ حافظ إذ ذاك نحو ستة عشر عاماً . قال الأستاذ النجار: "عند ما عدت من القرشية إلى طنطا في شعبان من تلك السنة، رأيت إخواني وأصدقائي يلودون بفتى غض الإهاب، جديد الشباب، وقد أسرعوا بتقديمي إليه وتقديمه إليّ، باسم الأديب الشاعر "محمد حافظ إبراهيم" ولم تمرّ إلا عشية أو ضحاها حتى أحسست من نفسي ميلاً إليه يجاذب من الأدب الذي كان نهمة نفسي، حتى آل ذلك إلى غرام بادبه وما يشتمل عليه من ظرف ولطف محاضرة، وبديهة مطاوعة، وبسرعة خاطر، وحضور نادرة" .

” وقد قضينا رمضان هذه السنة نصلّي المغرب والعشاء والتراويح معا ، ثم نلبث في سمر ممتع ، ومطارحة للشعر ، ومذاكرة في نوادر الأدب ، وما كان يطرفني به مما يقف عليه من جيد القريض ، إلى أن يأتي وقت السحور ، ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه إلى انبثاق الفجر . فتؤدّيه ، ثم نخرج بغلس إلى خارج المدينة . ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع ، فيذهب كل منا إلى بيته ^(١) .“

فهو في سن السادسة عشرة يربي نفسه بالمطالعات ، ويحفظ جيد الشعر ، ويسمر به مع أصدقائه ، ويقلده فيما يقوله هو من الشعر ، لا عمل له ولا مدرسة إلا مدرسته التي أنشأها بنفسه لنفسه ، وكان فيها وحده المعلم والمتعلم .

وحدثت حادثة طريفة تدل على شدة شعوره بجمال الطبيعة ، وحسن ذوقه وجودة حسه ؛ فقد رأى طائرا جميلا هو (اللقاق) أو كما يسمى في مصر «البشروش» في حديقة مدرسة الفرير بطنطا ، فكان يفرعه بتحريك حلقة باب المدرسة ليرى جمال شكله وجمال حركته ، واستمر على هذا حتى ضج رجال المدرسة ، وأكمنوا له وقبضوا عليه ، وأسلموه للضبطية ، ثم عفوا عنه لما رأوا من سذاجته وطهارة الباعث على عمله ^(٢) .
طبيعي أن يمل خاله هذه الحال التي عليها ابن أخته ، ولو كان أبوه حيا ملتها منه ، فشاب ليس في مدرسة ، وليس له ثروة ، ثم لا يتكسب ، حالة توجب الملل ؛ أشعره خاله بذلك ، أو شعر هو به . فنظم له بيتين يدلان على ما في نفسه من ألم عميق ، فهو يقول :

تَقَلَّتْ عَلَيْكَ مُؤَوَّتِي * إِنِّي أَرَاهَا وَاهِيَةً
فَأَفْرَحُ فِإِنِّي ذَاهِبٌ * مُتَوَجِّهٌ فِي دَاهِيَةٍ

(١) مقال للأستاذ النجار نشر في مجلة أبولو : يولييه سنة ١٩٣٣ (٢) المصدر نفسه .

شعر ساذج في سنّ الصبا ، ولكنه يكنّ عاطفة قوية حزينة . موقف أليم في بيت خاله يذكره دائماً بيلمه وعدمه ، ويصوّره دائماً بؤسه وشقاءه ؛ وهذا يفسر لنا ما كان في نفس حافظ من حزن عميق ، وألم كامن ، على الرغم مما يلوح على سطحها من ضحك وسرور .

يذكر لنا الأستاذ النجار أنه في هذه الحالة ، كان كثيراً ما يشكو الدهر ويندب سوء حظه ، ويتبرم بأحداث الزمن . ويتمنى لو يوافيه حمامه ؛ فمن ذلك قوله :

عَجِبْتُ لِعُمْرِي كَيْفَ مَدَّ قَطَالًا * وَمَا أَثَرْتُ فِيهِ الْهُمُومُ زَوَالًا
وَاللِّمُوتِ ، مَا لِي قَدْ أَرَاهُ مُبَاعِدًا * وَجُلُّ مُرَادِي أَنْ أُوسَدَ حَالًا
فَلَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى بِهَا * ذَلِيلًا وَكُنْتُ السَّيِّدَ الْمَفْضَالًا

ماذا يصنع وقد ضاقت به السبل ، وعضه الفقر ، لقد أبي أن يأكل من بيت خاله ، فمن أين يأكل ؟

كانت أمامه إحدى سبيلين : سلكهما قبله من كان على شاكلته ممن تعلموا علماً لم يتبع نظاماً ، ولم يستند إلى «شهادة» وهي أن يكون معلماً في مكتب أو شبيهه . كما فعل قبله (عبد الله نديم) وكثير غيره ، أو يكون محامياً ، كلاهما إذ ذاك كان مهنة حرة يدخلها من شاء بلا قيد ولا شرط .

ولعل حافظاً رأى أنه طلق اللسان ، حسن التأتى إلى ما يريد ، مداور محاور ، وأن المحاماة تدرّ على صاحبها إذا نجح ما لا يدرّ عليه التعليم إذا نجح . ففضل أن يكون محامياً .

ولكنه لا يستطيع أن يفتح مكتباً ، وينتظر شهرته " فذهب إلى أحد المحامين الشيخ محمد الشيمي المحامي بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده في مكتبه ، وكان

يسافر إلى المحاكم الجزئية القرينية من طنطا، ويترافع في القضايا ويكسبها؛
ثم اختلف معه وتركه " وترك له بيتين وهما :

جِرابٌ حَظِيّ قَدْ أَفْرَعْتُهُ طَمَعًا * يَبَابِ أَسْتَاذِنَا الشَّيْمِي وَلَا عَجْبًا

فَعَادَ لِي وَهُوَ مَمْلُوءٌ فَقُلْتُ لَهُ * تَمًا؟ فَقَالَ: مِنَ الْحَسْرَاتِ وَأَحْرَبًا

ثم انتقل بعد ذلك الى مكتب محمد أبى شادى بك بطنطا ، فمكث عنده مدة
كان فيها مغتبطا كل الاغتباط ، وكان أبوشادى بك يرى نفسه قد عثر على كثر ثمين
فكانا يتنادران بالأدب ، ويتطارحان الشعر .

ثم نخرج من مكتبه إلى مكتب عبد الكريم فهم افندى المحامى ، فمكث فيه
مدة من الزمن يشتغل عنده^(١) .



لم تطمئن نفس حافظ إلى المحاماة ، ولم ينجح فيها ؛ ويرجع ذلك - فى نظرى -
إلى أمور : فالمحاماة تتطلب عكوكا على درس القضايا وكتابة وقائعها ، ووضع
مذكراتها ، وليس «حافظ» بالصبور على ذلك ، فهو يجيد الكلام ويجيد الدفاع
بالخطرات تخطر له ، ولكنه لا يجيد البحث والكتابة ؛ ثم كان قتي غرا ، فهو
فى السادسة عشرة ، أو السابعة عشرة لم تحنكه التجارب ، ولم تعلمه الأيام ، إنما كان
همه أن يستعرض ديوان شعريقع منه على ما يرضى ذوقه ، فيرتسم فى حافظته ؛
أما العناية بكتب الفقه والقانون ومراجعتها ، واستخراج الحكم منها ، فعمل لم يألفه
حافظ ، ولم يدرسه ، ولم يتذوقه ، ثم هو ملول لا يشتغل فى مكتب واحد حتى يمله
وهى خصلة لا تُنجح ، كالتاجر يفتح كل يوم دكانا فى مكان ثم يغلقها ليفتح فى مكان

(١) المصدر نفسه .

آخر - وأخيرا - هو متلاف ، ينفق كل ما تصل إليه يده ، فلا يستطيع أن يقتصد ما يمكنه من فتح مكتب يعتمد فيه على نفسه .

فشل في المحاماة ففكر فيما يعمل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا الى القاهرة ، ويدخل المدرسة الحربية .

يبدو هذا التفكير غريبا ، فأديب ناشئ ، ومحام فاشل ، يفكر في أن يكون ضابطا ! لسنا ندرى الباعث على هذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودي الحربي الشاعر ، وقد يكون ما رأى في نفسه من بسطة في الجسم ، وقد تكون المصادفة البحتة هيأت له ذلك .

وأيا ما كان فقد دخل المدرسة الحربية واغتبط بدخولها ومنى نفسه بمنصب حكومي يُضمن له فيه الرزق ، ثم يقول الشعر بعد ذلك ، يغنى به لنفسه ولإخوانه ، وظل في المدرسة الى أن تخرج سنة ١٣٠٩ هـ - ١٨٩١ م ، فيكون عند تخرجه في سنّ العشرين تقريبا .

وكانت المدرسة الحربية قد نظمت في عهد الخديوي توفيق باشا عقب الثورة العرابية ، وأدخل عليها تعديلات جديدة ، وعين لها البكاشي هولوت (Huleatt) الإنجليزي قومنداناً ، وكان ناظرها اللواء لارمي باشا الفرنسي . وزادوا عدد تلاميذها الى بضع وتسعين ، وكان ذلك سنة ١٨٨٧ ؛ وجعلت الدراسة فيها نوعين : دروسا مشتركة لجميع التلاميذ ، ودروسا خاصة للأقسام ؛ فالمشتركة هي القوانين ، والتعليقات العسكرية ، والجغرافيا ، واللغة الأجنبية ، والطبيعة ، والكيمياء ، والرسم ؛ والخاصة هي الطبوغرافيا ، والاستحكامات ، والتمرينات في الطوبجية والسوارى (والجنباذ والشيش) . وعين المستر براين الإنجليزي أيضا في وظيفة معلم أول بالمدرسة سنة ١٨٨٩ ، وأصدر السردار أمرا ببيان اختصاص القومندان والمعلم الأول

فكان اختصاص القومندان النظر في كل شيء يتعلق بإدارة المدرسة ، واختصاص المعلم الأول النظر في البرامج ؛ وبذلك سلب من الناظر الفرنسي كل شيء ^(١) . هذا هو عهد المدرسة أيام كان فيها حافظ ، بدأت تتدخل فيها السلطات وتحدد برامجها ، وتحدد من تعليمها . وكانت الثقافة فيها سطحية ضعيفة لم يستفد منها حافظ كثيرا من ناحية معارفه العامة ، فما كان عنده من ذلك فهو ما استفاده من مطالعته الشخصية .

عين في الحربية بعد تخرجه وظل بها نحو ثلاث سنوات ، ثم نقل إلى الداخلية ملاحظ بوليس في بني سويف ، ثم الإبراهيمية لأن مدرسة البوليس لم تكن أنشئت بعد فكان يؤخذ للبوليس من الحربية ، ثم أعيد للحربية . وسافر منها إلى السودان في الحملة الأخيرة التي كانت بقيادة اللورد كتشنر ، وكانت منطقة عمله في السودان الشرقى .

تبرم حافظ من عمله بالسودان ، وأكثر من الشكوى إلى أصدقائه ، وعاوده داء الملل القديم ، ولم يطق جو السودان ، ولا جفاء العيشة في السودان ، فتحسر على أصدقائه في مصر ، وليالى الأتس بها ، وجوها البديع ، وعيشها الناعم ، كما يدل على ذلك شعره في هذه الفترة .

قال في ذلك يصف حاله :

وما أعذرتُ حتى كان نعلي * دما ووسادتي وجه التراب
وحتى صيرتني الشمس عبدا * صبيغا بعد ما دبغت إهابي
وحتى قلم الإملاق ظفري * وحتى حطم المقدار نابي
متى أنا بالغ يا مصر أرضا * أشم بتريها ريح الملاب

(١) انظر الجزء الثاني من حقائق الأخبار لاسماعيل مرهوك باشا .

وزاد حاله سوءاً في السودان كراهية كتشترله ، إذ كان حافظ غير معنيّ بنظام ، ولا مراعيًا حسن هندام ، وعبر عن ذلك بما كتب به إلى الأستاذ الإمام من السودان ، إذ يقول ” وقعدت همسة النجمين ، وقصرت يد الحديدين ، عن إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد ؛ فلقد تما ضب ضغنه على ، وبدرت بوادر السوء منه إلى ، فأصبحت كما سر العدو ، وساء الجميم “ الخ .

وكان رئيس فرقته رفعت بك يكرهه ، ويرفع التقارير السيئة عنه ، إذ كان حافظ يعمل الأراجيز في ذممه يحدو بها هو وأصحابه ، فمنها قوله فيه :

تراه إذ ينفخ في المزمار * تحسبه في رتبة السردار
يحتب العاقل والنبها * ويعشق الجاهل والسفها



وافادته أيام عمله في المحامة فاستغلها في السودان ، فقد عرف بين إخوانه بقوة الحجّة ، وحسن البيان ، فكان كثيرا ما ينيبه الضباط المتهمون في الدفاع عنهم أمام المجالس العسكرية .

حتى إذا جاءت سنة ١٨٩٩ م حدثت ثورة في السودان ، اتهم فيها ثمانية عشر ضابطا ، كان من بينهم حافظ ، فحُكوا وأحيلوا إلى الاستيداع .

وقد قال اللورد كرومر في كتابه « عباس الثاني » عن هذا الحادث ما يأتي :

” عند ما شبت حرب جنوبي افريقيا ، عاد كثير — من أفضل الضباط البريطانيين ، الذين كانوا يقودون فرق الجيش السوداني — إلى فرقهم الأصلية في الجيش البريطاني ، ونظرا لبعض الملابس التي لا حاجة بي إلى ذكرها — والتي ما كانت تقع لو لم يضطر هؤلاء الضباط الخيرون إلى السفر — حدث استياء في الجيش

وجاهرت فرقة من فرق الجيش السوداني بالعصيان — وقد كثرت الإشاعة بأن الخديوي قد قال أقوالا تجعل الناشرين يعتقدون أنه راض عنهم عاطف عليهم . على أن الثورة أجمدت بدون إراقة دماء ، وحوكم عدد من الزعماء أمام المجالس العسكرية ، وحكم عليهم بالسجن مددا مختلفة ، وأرسلوا إلى مصر ليقضوها بها .

ولما حدثت الخديوي في هذه المسألة ، رأيت من الحكمة أن أتجاهل ما كان يقال عن اشتراكه في الثورة ، لأن ذلك لا سبيل إلى إثباته ، واقتصرت في حديثي على وصف الحادثة والحيانة العظمى التي ارتكبها بعض جنده نحو سموه ، واقترحت عليه أن يرى المحكوم عليهم ، ويخاطبهم بكلمات اخترتها وعربت لها ، فوجد الخديوي نفسه في مأزق حرج ، وموقف لا يدري كيف يخرج منه ، لأنه إذا رفض يعرض نفسه للشبهة في أنه حرض على الثورة في جيشه ، كما فعل جدّه من قبله ، وإذا قبل يتضح للناشرين أن لا أمل لهم بمساعدته ، وبذلك يفقد كثيرا من احترامه ونفوذه في الجيش ، على أنه — كما كنت أتوقع — اختار الأمر الأخير^(١) .

أثر هذا الحادث كثيرا في نفس حافظ وملاه ياسا وخالط نفسه شيء ليس بقليل من الخوف ، فلم يقل في ذلك شعرا ، أو قاله وكتمه ، وزاد في خوفه ويأسه ، ما صار إليه أمر الثورة ، وأمر الأمير .

وخير ما يمثل في هذا الموقف قوله :

إذا نطقتُ ففَاعُ السجين متكأ * وإن سكتُ فإنّ النفسَ لم تطبِ

ثم التمس إحالته إلى المعاش ، فأجيب إلى طلبه ، وكان قد أخذ يبحث عن عمل يعمل به ، فعرض نفسه على جريدة الأهرام ليتولى عملا فيها ، ويظهر أن ذلك كان

(١) كتاب الورد كرومر «عباس الثاني» .

بإيعاز الخديوي، لأنه شعر بتبعته نحو هؤلاء الضباط، وأنه هو السبب فيما آلت إليه حالهم، وأنه لا يستطيع توظيفهم في الحكومة، فأخذ يسهل لهم الأعمال الحرة، يدل على ذلك أن الذي قدم حافظا لصاحب الأهرام هو شوقي بك . وصلته بالقصر معروفة. ولكن ذلك لم يتم، ولستأ ندرى السبب في ذلك .

فظل بلا عمل يغشى مجلس الأستاذ الإمام، وكان قد اتصل به أيام كان في السودان، فلما عاد زاد اتصاله به، وعطف عليه الأستاذ، وأنهله من علمه وفضله، كما غشى مجالس الأدباء والعظماء، يسمع منهم، ويغنى لهم بشعره وأدبه، حتى كانت سنة ١٩١١ فساعدته المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وعينه رئيسا للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢، إذ أحيل إلى المعاش بعد أن ظل بها نحو من عشرين سنة .

كما أعانه حشمت باشا، إذ طلب له رتبة البكوية من الدرجة الثانية، فأنعم عليه بها سنة ١٩١٢ م . ثم أنعم عليه بنشان النيل من الدرجة الرابعة .

في سنة ١٩٠٦ بعد أن عاد حافظ من السودان، تزوج من أسرة بحى عابدين ولكن لم يدم زواجه أكثر من أربعة أشهر، فافترق الزوجان، ولم يعقب منها؛ ثم لم يعد بعد ذلك إلى الزواج .

وتوفيت والدته حول سنة ١٩٠٨ فظل يعيش مدة في بيت خاله، وبعد أن توفي خاله، كان يعيش مع زوجة خاله نيازي بك الست عائشة هانم؛ فكانت تدبر بيته، وتقوم بأمره، وكانت لم ترزق بأولاد، فكانت تبتني بنتين وظلت تقوم بشؤونهن إلى أن توفيت قبل وفاة حافظ بنحو ثلاث سنين .

وفى بيت صغير بالزيتون من ضواحي القاهرة ، توفى حافظ في الساعة الخامسة من صباح الخميس ٢١ يولييه سنة ١٩٣٢ ، أى بعد إحالته الى المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف .

دعا في ليلة وفاته صديقين من أصدقائه لتناول الطعام معه ، ولكنه لم يستطع مشاركتهما لما أحس من تعب . فاقصر على أن آتسهما بجديته .
وبعد انصرافهما ازداد ألمه ، فأسرع خادمه إلى مخاطبة صديق له ليحضر ومعه طبيب ، فلما حضرا ، كان حافظ في الترع الأخير ، وما لبث أن فاضت روحه ، رحمه الله .

أخلاقه — انتاب حافظا كثير من الشدائد منذ حداثة ، فقد مات والده صغيرا ، ولم يورثه ثروة . وكان بأنا في بيت حاله ، ولم ينجح في المحاماة ، وأصيب في منصبه فأحيل إلى الاستيداع ، ثم إلى المعاش في مقتبل عمره ، وكانت له إلى هذا نفس شاعرة ، وحس مرهف ، فأثر كل ذلك في نفسه أثرا بليغا ، فهو ناغم على الدهر ، ناغم على قومه ، يكثر من شكوى الزمان وشكوى الناس .

ولكن أبت الطبيعة إلا أن تجد لثوران نفسه منفذا ، ولشقاؤه مسعدا ، فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة ، فضحك من البؤس ، ومن الشقاء ، ومن كل شيء ؛ وكان له ذوق بارع في اختراع النكتة من كل ما يدور حوله ، فما يسمع حديثا ، أو يعرض أمامه شيء ، حتى يدرك موضع الفكاهة منه فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من أعماق صدورهم ، وقرارات قلوبهم ؛ فكان في مجالسه موضع إعجابهم ، ومنبع سرورهم ، يرسل النكتة من بديهة حاضرة ، فتستخف الوقور ، وتستهوى الرزين ، فهو زينة المجلس ، وبهجة النادي .

ومن العجيب مع هذا أنك قلما ترى للنوادر والنكات في شعره مجالا، فمن قرأ شعره وحده، ولم يعرف شيئا من صفاته، لا يشعر بأنه كان فكها مزاحا، وسبب ذلك أن الأديب في كثير من الأحيان تكون له شخصيتان أو أكثر؛ فله في حياته العامة شخصية خاصة، فإذا أراد أن يصوغ شعره أو نثره، انصب في قالب خاص، وتقمص شخصية أخرى؛ ولو قد أتيح له أن يدخل كثيرا من فكاهته في شعره، لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير. وسبب آخر، وهو أن الناس كانوا ينظرون إلى هذه النوادر، كأنها من الأدب الشعبي الذي لا يصح أن يرتقى إلى الأدب الأرستقراطي، ولذلك قل أن يدخلوا - حتى الآن - فكاهتهم ونواديرهم في الأدب، كما احتقروا القصة، واحتقروا ألف ليلة وليلة، وقصة عنتره ونحوها، ولم يعرها الأدباء الراقون اهتماما إلا في الأيام الأخيرة؛ فكان حافظ إذا قال شعرا في فكاهة أو مزح، عده من سقط متاعه، ولم ينظر إليه عند ما يتخير شعره للنشر أو التدوين.



ثم قد تعود في حياته ألا يقيم للمال وزنا، فهو كريم، واسع العطاء، ذاق طعم البؤس، فعرف موقعه من الناس، فسخت كفه، ونديت راحته، حتى لو ملك الدنيا كلها لفرقها في يوم واحد؛ قد عرض له الفقير البأس فيسمح له بما في يده وهو أحوج ما يكون إليه لسد رمقه وتفريج همه.

وكما كان كريما على الناس فهو كريم على نفسه، يمتعها بما تشتهي ما وجد إلى ذلك سبيلا، يأكل خيرا ما يؤكل، وقد عرف إخوانه بيته بذلك، ويدخن خيرا "سيجار" وأغلاه، ويستمتع بكل ما تصبو إليه نفسه، فإذا فرغ جيئه عرف كيف يصبر؛ له يد صناع في الكسب، خرقاء في الإنفاق؛ خيرا أيامه وهو "موظف"

بضعة أيام في أول الشهر، ثم لا شيء ، فاذا لم يكن "موظفاً" نخير أيامه ما استفاد فيها مالا فحسب ، لو كان تاجراً لأضاع رأس ماله في أول شهره ثم أعلن إفلاسه، ولو وضع ميزانية دولة لجعل الإنفاق كله في أيامها الأولى ثم لا إنفاق . ومن طريف ملاحظاته في ذلك أنه كان يقترح على الحكومة أن تعطى موظفها أكبر مرتب أول استخدامه، ثم تتقصه شيئاً فشيئاً كلما تقدمت به السن، لا أن تعطيه مرتباً يزيد مع القدم؛ وكان يعلل ذلك بأنه يبدأ وظيفته وهو يبدأ شبابه ، وهذا هو زمن الإنفاق، فاذا هرم ثم شاخ فيكفيه القليل، وحسبه من غنى شبع وري .

ومع هذا فلم يكن سخياً بمنصبه سخاءه بماله ، فهو حريص على بقائه في عمله بدار الكتب أشد الحرص ، ضنين به أشد الضنن ؛ فهو لا يقول شعراً يغضب به أحداً من ذوى السلطان خشية أن يزحروه عن منصبه ، أو ينالوه بأذى فيه ؛ وإن قال شعراً سياسياً أخفاه ولم ينسبه إلى نفسه ، فقد قال قصيدته في مظاهرة السيدات سنة ١٩١٩ ، ولكنها نشرت في منشور من غير اسمه ، ولم تنشر في الصحف إلا سنة ١٩٢٩ حين أمن عاقبة نشرها ؛ وكذلك قصيدته التي قالها حين خيف على الآستانة من احتلال الأجانب ، لم تنشر إلا سنة ١٩٣٢ ، وهكذا؛ وما قاله من الشعر السياسى في ذلك العصر — صراحةً — هادئ لين ، أو في ظروف تهميه ؛ بل قد قال في ذلك العهد أحياناً ما يخالف منهجه ، ولا يجرى مع ما عرف من حماسه ، كقوله للغفور له السلطان حسين يطلب إليه أن يوالى الإنجليز ويمادهم بحبال الود .

ووالِ القومِ إنهمُ كرامٌ * ميامينُ النقيبةِ أين حلُّوا
وليس كقومِهم في الغربِ قومٌ * من الأخلاقِ قد نهلوا وعلُّوا

وإن شاورتهم والأمر جيدٌ * ظفرت لهم برأي لا ينزلُ
فأددهم جبال الودِّ وأنهض * بنا قيادنا للخير سهلُ



ومن ثم كانت هذه الفترة في حياته — وما أطولها — فترة نضوب في شعره،
وجمود في قريحته إلا نادراً؛ فكان منصبه نعمة عليه، ونقمة على فنه، ومنفعة له،
ومضرة على الناس — ولعل أيام بؤسه الأولى روعته وأفزعته حتى قامت شبحاً
دائماً أمام عينه تنذره بالويل والثبور، وعظائم الأمور، إن هو أصيب في منصبه
أو مس في مرتبه .

ولعل ذلك الخوف لازمه بعد خروجه من وظيفته بإحاطته إلى المعاش، إذ ألف
حب الأمن واعتاده، وعقد عليه، حتى لقد أنشدني قبيل وفاته قصيدته التي مطلعها:
قد مرّ عامٌ يا سعاد وعامٌ * وابن الكنانة في حماء يضامُ
وكانت نحو مائتي بيت، يصف فيها وزارة إسماعيل صدقي باشا فأشرت
عليه أن ينشر بعضها، أو يكتبها، أو يملئها، أو يحتفظ بها بأى شكل من الأشكال
فقال: "إني أخاف السجن، ولست أحتمله".



ثم هو واسع الصدر في نقدك شعره، إذا كنت وهو على انفراد، فإذا نشرت
نقدك في صحيفة أو على ملاء من الناس، فهو غضوب أشد الغضب، ناغم أشد
النقمة: حريص على منزلته في فنه أكثر من حرصه على شخصه، حتى لأحب إليه
أن تهجوه من أن تهجو شعره .



وثقافته الرسمية — إن جاز هذا التعبير — ثقافة محدودة، فهي لا تعدو دراسته في مكتب أو مدرسة ابتدائية، ثم دراسة فنية وما تستلزمها في المدرسة الحربية . ولكنه أكل ثقافته ، ووسع معارفه من نواح متعددة، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب، وأطال النظر خاصة في كتاب الأغاني؛ فقد حدث أنه قرأه مرات . وتحدث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء ويتخير من شعرهم ويحفظ ما يتخير من أمثال شعر بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، والشريف الرضي ، وابن هاني الأندلسي ، وابن المعتز والعباس بن الأحنف ، وأبي العلاء المعري . يدل على ذلك ما كان يحفظ من متنخل الأدب وعيون الشعر ، فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك ، حتى لقد خيل إلى أنه لو دون ما يحفظه لفاق أبا تمام في اختياره "ديوان الحماسة" إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظه قوية تسعف ذوقه، وتلي اختياره ، فما يختار جيداً من القول حتى يرسم في حافظته ، ويبقى في ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك في شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مستفيضة في عمق ، ولم يرسم له خطة يلتزمها في الدراسة ؛ بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة ، ومن تلك رشفة ، فهو يرضى ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المتنتلة ؛ فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اخترته في نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الراتب المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ؛ عمل في المحاماة فلم تعجبه ، واشتغل في البوليس فله ، وفي الجيش

فسمعته ، ولولا أنه كان حرا طليقا - إلى حد كبير - في دار الكتب لملها أيضا . ثم كانت هذه الفوضى في قراءته يتبعها إهمال في حياته الأدبية ، فقلما يكتب قصيدته وقلما يحافظ على شعره ؛ بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعنى أن يكون في بيته دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة . كان لديه كتب تبعثر ، فيأتي زائر ويأخذ جزءا من الأغاني ، وجزءا من غيره ، حتى إنه لما مات - رحمه الله - لم يكن في بيته من الكتب غير جزء من تذكرة داود ؛ وجزء من تفسير الأحلام لابن سيرين . فأما الأول فلأنه كان في سنيه الأخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ؛ فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى تذكرة داود ليرجع إليها فيما يتخيل من أدواء ؛ وأما "تفسير الأحلام" فلأنه كان يعتقد في الرؤى وأثرها في حياة الانسان ؛ وكان يرجع إليه في التناذر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا ، في مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه يتنادرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد في الأحلام وصحتها ؛ ويتفاعل بها في آماله في منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشيء آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الرأي في الأمة ، فقد اتصل بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعد نفسه فتاه ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس ، ويجلس في مجالسه ، وقد يصحبه في أسفاره ؛ ثم يغشى مجالس أمثال سعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم ؛ وكانت مجالسهم مدارس من أرقى المدارس ، تطرح فيها المسائل العلمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عولجت

وما إلى ذلك - وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل ، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التي صاغها في شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء في المقاهي والمنتديات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وإمام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا مستفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فمكثته من الاطلاع على شيء من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو ، وترجم بعض قطع بلجان چاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران في ترجمة "كتاب موجز الاقتصاد" وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزي ، كما ترى أثر ذلك في ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربي ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا في شعره ، إنما شعره - على الأكثر - نتاج الأدب العربي ، والثقافة العربية ، والتجارب الشخصية .

وأخيرا - وإن شئت أولا - كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقد أتاح له بؤسه الامتراج بفجار الناس ومجالستهم ومشاركتهم في الخير والشرب ، ومطارحتهم النكات والنوادر ، كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه ، وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حماسة من حماسهم ، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم .

✧ شعره - منح حافظ عاطفة قوية ، ونفسا فنية سمت به عن أقرانه من نابتة العصر ، ومن طلبة المدرسة الحربية التي كان بها ، وإلا فما الذي جعله وسط صليل

السيوف، والتدريب العسكري، وترويض الخيل، يتجه نحو الشعر يطالعه ويتذوقه، ويتخيره ويحفظه، ثم يحاول أن يقلده، وينظم على غرارهِ؛ وكان له أسوة حسنة في محمود سامي البارودي باشا، فقد تخرج في المدرسة الحربية، وتعلم فنونها، وترقى في رتب الجيش، وخاض معامع القتال، وكان ربّ القلم، كما كان رب السيف، وكان مؤسس النهضة الحديثة في الشعر، أعاد إليه بهجته الأولى ونضارته وقوته. فاتخذ حافظ مثله الأعلى يحنو حذوه، ويختط نهجه، ويأمل أن يبلغ في الحياة مبلغه، فيكون ذا الرأسين، وحامل اللواءين، وقد عبر عن تقديره له للبارودي وإعجابه به في قصيدة من قصائده يمدحه بها إذ يقول فيه :

أمير القوافي إن لي مستهامة * بمدح ومن لي فيه أن أبلغ المدى
أعزني لمدحك اليراع الذي به * تمحط وأقرضني القريض المسددا
ومر كل معنى فارسي بطاعتي * وكل نقور منه أن يتوددا
وهبني من أنوار علمك لمعة * على ضوءها أسرى وأفقون اهتدى
وأربو على ذاك الفخور بقوله * إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

ومدحه في هذه القصيدة بالإجادة في الحماسة والنسيب واللعب بالسيف والتفنن في التشبيب، فكانه في مدحه البارودي يرسم لنفسه مثله، ويحدد مستقبله؛ وقد قلد البارودي أيضا في ناحيته الأدبيتين، فقد عنى البارودي بالتخير من شعر الفحول، فاختر ثلاثين شاعرا من الشعراء المولدين، ثم أنشأ شعرة، وجود نظمه، وكذلك فعل حافظ، فقد تخير وشعر، وحفظ ونظم. ولكن قعد بحافظ عن جمع مختاره ما عهد فيه من إهمال، ولولا نعمة الصحف والمجلات تنشره بعض ما نظم لكان مصير شعره مصير مختاره.

ولكن شاء الله لحافظ أن يقارب شأو البارودي في دولة القلم لا في دولة
السيف، فاتتهى - على عجل - تاريخ حافظ الحربى بإحاطته في شبابه إلى المعاش،
واستمر - طول حياته - تاريخه الأدبى، فلم يتحقق إلا شطر رجاءيه، ولم يدرك
من البارودي إلا إحدى دولتيه .

وكان حريا بحافظ أن يدرك أن ما ناله البارودي في عهد الاستقلال، لا يمكن
أن يناله حافظ في عهد الاحتلال، إذ كيف يرضى الاحتلال أن يبلغ أحد مبلغ
العظمة في الحروب، ومبلغ العظمة في الآداب، والاحتلال هو الذى حطم
سيف البارودي، بل وحطم قلمه القوى، وقدم له قلما آخريشكو به الدهر،
ويبكي على زمانه الغابر؛ ولكن أنى لشباب حافظ أن يدرك هذه الحقائق المرة،
والشباب يهزأ بكل قوة .

على أنه يخيل لى أن حافظا لم يخلق رجل قتال؛ نعم كان منظره رجل حرب،
فهو مستحكم الحلقة، وثيق التركيب، مفتول الساعدين، عريض المنكبين؛ ولكن
لا أظن أن قلبه يشاكل جسمه، لقد ظل وهو فى السودان يشكو فى شعره حره،
ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة وترفها ونعيمها :

فمن لى أن أرى تلك المغانى * وما فيها من الحسن المقيم
وها أنا بين أنياب المنايا * وتحت براثن الخطب الجسيم
أتيتك والخطوب ترف رحلى * ولى حال أرق من السديم

وهكذا ظل فى السودان يبكى ويتوجع ويتشوق، ويستغيث بالأستاذ الإمام
المرّة بعد المرّة أن يرده إلى مصر "ردّ الشمس قطرة المزن إلى أصلها"، ورد
الوفى الأمانات إلى أهلها". . وليست هذه بالنفس الحربية؛ ثم لما نار الضباط

في السودان وهو منهم، وطردهوا وعادوا إلى مصر، وأحيلوا إلى المعاش، لم ينطق بشكوى، ولم يثر على من ظلمه، ولم يهيج من نكبه؛ ولكنه سكت واستسلم، وأخذ يسعى إلى وظيفة في القصر، أو أن يكون شاعرا لخليفه أو أمير.

ولما عين في دار الكتب سكت وأمعن في السكوت، إلا ما كان يقوله في المواسم والحفلات، أو ما تدعو إليه المناسبات.

كل هذا يرينا أنه كان مغاليا في أمله - إن كان - أن يجمع في يده بين السيف والقلم.



ولكن إن أخفق حافظ في حربه فقد نجح في شعره، بدأ ينظمه في أغراض اعتاد الناس أن ينظموا فيها، من مدح للخديوي والأغنياء، ومداعبة الإخوان، والشكوى إليهم، ونحو ذلك؛ وقل أن تجد في هذا النوع من الشعر معنى جديدا أو خيالا رائعا، وإنما هو أسلوب من سبقه ومعانيهم وأغراضهم. ومع هذا فكان يرى في نفسه أنه في هذا العهد أكبر شاعر في مصر لا يفضله إلا شوقي؛ فيقول من قصيدته التي قالها سنة ١٩٠١ :

قل للألى جعلوا للشعر جائزة * فيم الخلاف ألم يرشدكم الله
إني فتحت لها صدرا تليق به * إن لم تحلوه فالرحمن حلاه
لم أخش من أحد في الشعر يسبقني * إلا فتى ماله في السابق إلاه
ذاك الذي حكمت فينا يراعتنه * وأكرم الله والعباس مشواه

وكان في عصره من كبار الشعراء المصريين أمثال البارودي، وإسماعيل صبري، وشوقي، ومحمد عبد المطلب.

ولكن يحق له هذا القول ، لأن حظ مصر في هذا العصر من الشعر ، بل من الأدب عامة ، كان حظا ضعيفا ، فلم يحافظ له ندا غير شوقي ، لأن البارودي على إجادته وفتحته للناس باب الشعر الحى القوى بعد أن أغلق طويلا ، كان فى أحرى أيامه ، وقد برحت به الحوادث ، ودلف إلى القبر ، إذ أدركته وفاته سنة ١٩٠٤ .

وإسماعيل صبرى باشا كان أشعر من حافظ فى ناحية خاصة ، وهى مقطوعاته الصغيرة ، يعبر بها عن معان دقيقة ، وعن شعور نفسى عميق — ولم يكن يحترف الشعر كما احترفه شوقي وحاول أن يحترفه حافظ — وكان منصبه الحكومى يسمو به عن ذلك .

لهذا جهر حافظ بأنه خير شاعر فى مصر إذا استثنى شوقي ، ولعله كان يرى فى أعماق نفسه أن "شوقى" لم يفضله بشاعريته ، وإنما فضله بقربه الى القصر وأنه شاعر الأمير ، ولولا ذلك لما فضله ، ويشير إلى هذا المعنى من طرف خفى فى هذه القصيدة نفسها ، إذ يقول :

ذاك الذى حكمت فىنا يراعتة * وأكرم الله والعباس مشواه

*
* *

قامت بعد ذلك حركة فى مصر من بعض الأدباء المثقفين ثقافة غربية وبعض قادة الرأى ، تعيب على الشعراء هذا الشعر التقليدى فى أسلوبه وفى أغراضه ، وفى أوزانه وقوافيه ، وتنقد شوقى وحافظا من النقد ، لأنهما قديمان فى أفكارهما ، مقلدان فى أغراضهما ، محافظان فى أوزانها .

كان من آثار هذه الحركة فى حافظ أن ثار هو أيضا على الشعر القديم ، فقال قصيدته المشهورة فى الشعر ، التى مطلعها :

ضعت بين النهى وبين الخيال * يا حكيم النفوس يا آبن المعالي
عاب فيها على شعراء الشرق شعرهم في الكاس والطاس ، والمدح والهجاء
والرثاء ، وحب سلمى وليلي ، ومكان الآثار والأطلال ، والرحال والجمال ، ثم يقول :

آن يا شعر أن تفك قيودا * قيدتنا بها دعاة المحال
فأرفعوا هذه الكرائم عنا * ودعونا نشم ريح الشمال

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم . فهل جدد حافظ بعد في شعره ؟
لم يجتد في بحوره وأوزانه . ولم يجتد في أسلوبه وبيانه ، ولا تفكيره وخياله ،
إنما جدد في شيء هو فوق ذلك كله ، جدد في موضوعه وأغراضه ، فبدلاً من
أن ينظم في موضوعات أمري القيس وطرفة ، أو جرير والفرزدق ، أو بشار
وأبي نواس ، نظم في موضوعات عصره وأمانى قومه .

وساعده على هذا الاتجاه تربته الحربية ، فإن فشل في حرب السيف
فليحارب بالقلم ، وإن تكسر سن رمح فليشرع سن قلمه ، وإن أخطأ النجاح
في ثورة الضباط في السودان ، فليكتب له التوفيق في إثارة الأمة على الاحتلال .

ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت في شعره آمال أمته أولاً ، وآمال الشعب
العربي ثانياً .

كانت الأمة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ، وتشكو من
تضييق الغرب على الشرق ، وكان زعماء الوطنية يلهجون حماسه ، ويشعلون غيرته ،
وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ؛ - وكان حافظ - يباله من حس مرهف ،
وعاطفة حساسة - يجمع كل ذلك في نفسه ، فلما ثار على الشعر القديم وحطمه ،

بنى على أتقاضه شعره الجديد في الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ؛ وكان في شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين ، وقادة الرأي الاجتماعيين ؛ يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا قويا ملتبها ، يفعل في النفوس - وذلك شأن الشعرا الحى - ما لا تفعله الخطب والمقالات ؛ فكان حافظ - حقا - شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره أحد في ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة ، فتارة يقرع الأمة تقريرا جارحا مؤلما على استنামتها وإخلادها إلى السكون ، واستسلامها للأجانب .

أمة قد فت في ساعدها * بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب في غير العلا * وتفدى بالنفوس الرتبا
وهى والاحداث تستهدفها * تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها * أم بها صرف الليالى لعبا
ويقول :

فما أنت يا مصر دار الأديب * ولا أنت بالبلد الطيب

*
*
*

وكمذا بمصر من المضحكات * كما قال فيها أبو الطيب
أمور تُمتر وعيش يُمتر * ونحن من اللهو في ملعب
وشعب يفتر من الصالحات * فرار السليم من الأجر

ويقول :

وإذا سئلت عن الكانة قل لهم * هى أمة تلهو وشعب يلعب
ونحو ذلك كثير في ديوانه .

وتبدأ الأمة بحركة ، وتقف موقفا مشرفا يوما ، فيحيي أمله ، ويبشر بعد
أن كان ينذر ، ويعاوده الأمل بعد اليأس ، والرجاء بعد الخيبة ، فيقول مخاطبا
سعدا :

قاوض نخلفك أمة قد أقسمت * ألا تنام وفي البلاد دخيل
عزل ولكن في البلاد ضراغم * لا الجيش يفزعها ولا الأسطول

ويقول :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا * سنزيره كيف يصيده زغلول

ويقول :

أقننا بعد نوم فوق نوم * على نوم كأصحاب الرقيم
إلى كثير من أمثال ذلك .

وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الأثرة بين اليقظة
والنوم ، والعمل والتواكل ، والإصابة والخطأ ، فهو صدى لها في حركاتها ، وهو
المدرس الحكيم الذي يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد هذه الثورة على الشعر القديم ، نظم في موضوعاته ، ولكنه حتى
في هذه لا ينسى مقامه ، ولا يجهل رسالته ولا يفوته غرضه ، فهو يتنزه فرصة تحية
العام الجديد ، وتحية الملك ، وثناء الفقيد ، وتهاني العيد ، ليبت في ذلك كله عاطفته
الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، وليبشر وينذر ، ويرغب ويهرب ، فهو مجتهد من
هذه الناحية في موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمة ، حتى في وصفه لا يريد
أن يخليه من غرضه الذي ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله أدبا صرفا ، فهو
يشبه طول الليل بعهد الاحتلال ، إلى كثير من أمثال ذلك .

ويتغزل في هذا الطور من الحياة ، ولكن لا في جارية ولا في غلام ، ويتغنى
ولكن لا في كاس أو مدام ، إنما يتغزل في مصر ، ويتغنى بمصر ؛ ويأرق
في حب مصر :

وما أنا والغرام وشاب رأسي * وغال شبابي الخطب الجسام
لعمرك ما أرققت لغير مصر * ومالي دونها أمل يرام
ذكرت جلالها أيام كانت * تصول بها الفراغة العظام
وأيام الرجال بها رجال * وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعي ما بات فيها * وباتت مصر فيه فهل ألام

لم يشأ حافظ أن يكون شعره في وطنياته طبلا أجوف ، يقول القول عاما
لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية في عصره
أساسا لدعوته ، وسنادا لهجمته .

فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعا لشعره ، ويملؤه
بما يجيش في صدره .

تقوم حركة الجامعة ، ويستخدم الجدال بين أنصار الكتائب وأنصار الجامعة ،
فيناصر الحركة الوطنية ، ويدعو إلى التبرع للجامعة ، ويبين مزاياها ، ويكتب هو
بالشعر - كما يقول - ليكتب قومه بالمسال .

وتحدث حادثة المؤيد؛ وينقسم فيها الرأي العام في مصر قسمين: قسم يطالب
بجزية المرأة في الزواج، وقسم يطالب بالمحافظة على التقاليد، فيتخذ ذلك وسيلة إلى
تقريع المصريين باهتمامهم بصغائر الأمور، وتركهم جسامها، وتخزيهم فئات: منهم
من يلوذ بالأمير، ومن يلوذ بالعميد، ومن يصبح مع الصائحين، ثم يلدعهم لندما

أليما في حبهم للجمالة ، وتركهم الصراحة ، وإلا فما لهم يقرعون صاحب المؤيد
على فعلته ، والوفود تتوافد على بيته .

وتحدث حادثة دنشواي فيشنّ الغارة على الانجليز في تصرفهم ، وعلى بعض
المصريين في معاوتهم ، وعلى المصريين جميعا في استكاثهم ، ويلهب الشعور ،
ويشعل الحماسة ، ويستثير الدمع .

ويتحدث الناس في اللغة العربية ، وهل هي أداة صالحة للعلوم الحديثة ،
والأدب الحديث ، فيبين محاسنها ، ويظهر مزاياها ، ويدعو إلى إنهاضها ، ويتبع على
من لم يأخذ بيدها ؛ وهكذا شعره في رعاية الأطفال ، والجمعية الخيرية الاسلامية ،
ومساعدة العميان ، وما إليها .

كان في شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه
ويصوغ منها أدبا قيما يستحث النفوس ، ويدفع إلى النهضة ، سواء أضحك في شعره
أم بكى ، وأمل أم يئس .

ويتسع أفقه في كثير من الأحيان ، فينظر إلى الوحدة العربية ، والوحدة
الاسلامية ، فكلم قال في علاقة الشاميين والمصريين ، وفي الدعوه إلى الإخاء
والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ؛ وكلم قال في علاقة مصر بالآستانة ، وتمنى
نهضة الخلافة ، ورفع لوائها ، وعودة مكاتها ؛ وكلم شعر في وحدة الشرق وتعاونه
وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقربا للقلوب ، داعيا إلى ائتلاف الشعوب ،
ينتهز لذلك كل فرصة ، كافتتاح السكة الحديدية المجازية ، وأعياد الدستور للأمة
التركية ، وحفلات التكريم التي يشترك فيها أدباء الشرق ، ونحو ذلك ، بل أحيانا يزيد
اتساع أفقه ، فينظر إلى الإنسانية كلها ، كالذى يقوله في زلزال مسينا :

فسلام عليك يوم تولد * بت بما فيك من مغان حسان
وسلام على امرئ جاد بالدم * مع وثني بالأصفر الرنان
ذاك حق الإنسان عند بني الإنسان لم أدعكم إلى إحسان
ومما يتصل بناحية حافظ الاجتماعية أشد اتصال، شعره في الرثاء، فقد أكثر
منه، كما في ديوانه، وقد قال في ذلك عن نفسه :

إذا تصفحت ديواني لتقرأني * وجدت شعر المرأى نصف ديواني
وقد أجاد فيه كل الإجادة، وأحسن كل الإحسان، وسبب ذلك، أنه
استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من مسألة فردية إلى مسألة اجتماعية،
فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر، وعلى العالم الإسلامي، وموت
مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة، فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد
تصوير الفقييد صورة كاملة، إلى المسائل العامة الاجتماعية، وبذلك يجلس حافظ
على عرشه، ويقول في سهولة وجزالة ما برع فيه وفاق أقرانه .

وشيء آخر، وهو أن الموت كان عند حافظ وسيلة من وسائل شكوى الزمان
والحنق عليه، والغنظ منه. فالزمان قد فعل بحافظ الأفاعيل، فرماه بالبؤس والفقر،
ورمى أمته بالتفرق والتواكل، وبالاحتلال، ورمى العالم الإسلامي بالغرب يمتص
دمه، ويسومه سوء العذاب، فما هو إلا أن يموت ميت من أصدقائه حتى يعر
جرحه وينفجر ألمه .

وثالث، هو أنه رحمه الله كان شديد الخوف من الموت، دعاء ذلك إلى أن ينسى
نفسه، ويتألم كثيرا لشيخوخته، وبتوهم المرض في كل عضو من أعضائه، فإذا مات
قرين له أو صديق أو نديم راعه ذلك . لأن موته إنذار بموت حافظ، وما أشد وقع
ذلك على نفسه .

فكان يصوغ من نبوغه في الناحية الاجتماعية، ومن بغضه للدهر وحنقه عليه،
ومن إشفاقه على نفسه، رثاء يقطع الأحشاء، ويذيب لفائف القلب؛ ولولا هذه
مجتمعة ما بلغ في الرثاء ما بلغ .



قد يؤخذ عليه أنه لم يكن يتعمق في دراسة المسائل الاجتماعية، ولم يكن يكون
فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها، ودرس حججها، كموقفه في مسألة الزوجية، لقد
هرب من إبداء رأيه فيها، ولم يتحيز إلى أحد الفريقين، وترك المتنازعين يتنازعون
في حرية المرأة وتقييدها، وحلق في المسائل العامة التي أشرت إليها قبل؛ وموقفه
إزاء دعوة قاسم أمين، فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه، أنه لم يقرأ كتاب
تحرير المرأة، وإن كان قال فيه شعرا، ولم يقطع بإصابة قاسم أو خطئه، ويظل على
هذا حتى في رثائه، فيقول :

إن رأيت رأيا في الخجاب ولم * تعصم فتلك مراتب الرسل
الحكم للأيام مرجعه * فيما رأيت فتم ولا تسئل
فإذا أصبت فأنت خير فتى * وضع الدواء مواضع العلل؟
أولا فحسبك ما شرفت به * وتركت في دنياك من عمل؟

فتراه مضطربا لا يستطيع الجزم برأى؛ أو هو لا يريد . وتراه في بعض
المواقف السياسية يكتب بسرد آراء الفريقين وحججهم، كما في قصيدته في وداع
الورد كرومر، فقد حكى فيها آراء المادحين وآراء الناقدين، ثم قال :

نهذا حديث الناس والناس أنسن * إذا قال هذا صاح ذلك مقندا
ولو كنت من أهل السياسة بينهم * لسجنت لى رأيا وبلغت مقصدا
ولكننى في معرض القول ساعر * أضاف إلى التاريخ قولاً مغلداً

وهرب بذلك من إبداء رأى ، وترجيح قول على قول .
ولكن قد يخفف من هذا النقص أن هناك فرقا كبيرا ، بين الأديب والعالم ،
فالعالم يلاحظ الأشياء ليستكشف ظواهرها وقوانينها ، وعلاقتها بالأشياء الأخرى ،
وعلاقتها بالظروف التي تحيط بها ، على حين أن الأديب يلاحظ الأشياء من حيث
علاقتها بعواطف الانسان وطبيعته الأخلاقية ؛ فالعالم بالنبات مثلا يدرسه ليكشف
كل الطبائع الخاصة ، وأوجه الشبه بينه وبين أمثاله من النباتات الأخرى ، ووظيفة
كل جزء منه ، والتغيرات التي تطرأ عليه كلما نما ، حتى يصل به إلى الموت والفناء .
أما الأديب فلا يهتم كل ذلك ، إنما النبات في نظره قد خلق لجماله ، وليست
شجرة الورد في نظره إلا زهرته الجميلة وأريجها العطر .

فهذه الناحية الخاصة التي يعنى بها الأديب تغتفر لحافظ قلة عمقه في البحث
وإمعانه في الدرس ، وتخفف حدة نقدنا في أنه كان ينظر إلى الأشياء نظرة عامة من
ناحية اتصالها بعواطف الجمهور .

ومما يتصل بهذا أن حافظا كان يؤثر في الجمهور بإلقائه بالقدر الذي يؤثر فيهم
بنفس شعره ، لقد كان في نبرات صوته وحسن إجادته في الإلقاء يلعب بعواطف
السامعين كما يلعب بها بالفاظه ومعانيه ، ومن أجل هذا ، يحسن ألا يقوم شعر
حافظ ومقدار أثره في الجمهور بمقدار ما يقيسه قارئ لديوانه ، فهو بقراءته يفقد جزءا
كبيرا من تأثيره السحري الذي كان يتركه في سامعه . ومن أجل هذا كان يطيل
الوقت في تخير اللفظ الذي يحسن وقوعه في السمع ، كما يتخير الانسجام فيتغنى بالبيت
قبل أن يدخله في عداد شعره ، وينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ
بإيقاعه على أسماع الناس .

وعلى الجملة ، كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصدها رجال مصر على اختلاف مناحيهم ؛ فيصوغها الصحفيون الوطنيون مقالات حارة قوية ؛ ويصوغها القادة وأولو الرأي أفكارا ينادون بها في مجلس الشورى ، أو الجمعية العمومية ، أو أحاديث وحكا وأمثالا في مجالسهم الخاصة ؛ ويصوغها حافظ شعرا قويا يغذى نفوس الشباب ، ويلهب شعور من سمعه .

كان طلبة المدارس الثانوية والعالية ينحازون إلى معسكرين : قسم يتعصب لحافظ ويفضله على شوقي ، وقسم يتعصب لشوقي ويفضله على حافظ ؛ وكنا نلاحظ أن من فضل حافظا كان يفضله لأن شعره غذاء قلبه ، وغذاء وطنيته ، ومن فضل شوقي فضله لفنه وخياله . فشيبة الوطنية إمامهم حافظ ، وشيبة الفن إمامهم شوقي .



ظل حافظ يعنى بشعره التقليدى - أولا - والحديد - ثانيا - نحو خمسة عشر عاما تنتهى سنة ١٩١١ ، لما عرضت عليه «وظيفة» دار الكتب . وطبعى أن «الوظيفة» الحكومية لم تكن تتفق وشعر حافظ السياسى والاجتماعى فهو يدعو المصريين إلى الثورة ، والانجليز إلى الجلاء ، وحرام على الموظف وقتذاك أن يتكلم فى السياسة ، وأن يتصل بالجرائد ، فكيف يسمح بالشعر السياسى عامة ، ولشعر حافظ خاصة .

كان حافظ يفهم كل هذا حق الفهم ، فلما قبل الوظيفة كان معنى قبولها سكوته فى هذا الباب ، وقد بر بوعدده ، ووفى بشرطه غالبا ؛ فلم يقل من الشعر إلا قليلا ، وفى مناسبات ملحة ، وبتحفظ تام وحذر شديد ، أو أن تجميه الظروف .

غيره كثيرون بذلك وبقبوله الوظيفة ، ولكن لماذا نعيه وحده بالوظيفة ولا نعيه من الجاه ، لماذا نطلب منه التضحية بقوته ، ونؤنبه على سكوته ، ولا نؤنب

الأمة وقتذاك تعجب به، ثم يتبخر هذا الإعجاب، ولا يتحول إلى قليل من مال يتبلغ به - الحق أن الأمة في تاريخها الماضي أبدت جمودا عجيبا وشحا أليما في حافظ وأمثاله؛ تصفق لهم طويلا، وتركهم يألون من الحاجة إلى ضروريات الحياة، وتعيهم إذا ركنوا إلى الوظيفة، ولا تشجعهم بقليل مما في أيديها، وتعم وتغرق في الترف، وتدعو المعنى أن يغنى لها، ثم تفضن عليه بأجره، فإذا طالبها به غضبت منه .

إذا - فليس من العدل أن نسرف في نقده على صمته، ونعيه بكسر عوده وقشارته، فلم يفعل غير ما فعله من قبله :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد * لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

إنما يضح أن يوجه إليه نقد من نوع آخر، وهو أن حافظا لم يكن يستطيع - حقا - وقد قبل المنصب في دار الكتب أن يقول الشعر فيما كان يقول فيه قبل من اجتماعيات وسياسيات، ولكن لماذا سكت عن فنون الشعر الأخرى، والمجال أمامه فسيح؟ فليس كل شعر سياسة واجتماعا، فهناك شعر الطبيعة، وهناك شعر القصص، وهناك شعر الوصف، وغيره من أنواع الشعر، ولم تكن وظيفته تمنعه من أن يقول في كل ذلك، أو في شيء من ذلك، وفي شوق المثل لهذا، فقد كان مقيدا في القصر بأشد من قيود دار الكتب، ومع هذا ظل يقول في فنون مختلفة من الشعر لا تتنافى وتقاليد القصر .

ولكن ما ذنب حافظ، ونبوغه إنما كان في ثورته، وإجادته في فورته، وطبيعته وتعليمه ودرسته تدعو إلى النبوغ في سياسياته واجتماعياته، لا في غزله ونهرياته، وما يعيب الموسيقى أن يكون ملك العود، وليس ملك القانون، أو ملك الكمان، وليس ملك الناي، فملك في إحداها خير عندي من سوقة في جميعها .



وبعد، فما منزلة شعر حافظ في الشعر، وما قيمته الأدبية؟

الشعر الجيد - في نظري - فيضان من شعور قوى، سما به الخيال، وحلاه اللفظ، ووقع على نغمات الأوزان. فهو لا بد أن تتجمع فيه - ككل نوع من الأدب - عاطفة وخيال، وصياغة وجمال؛ ويمتاز الشعر بأن له لغة خاصة غير لغة النثر، وللشاعر ملكة لا يمكن توضيحها تمام الوضوح، يستطيع بها أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنها أبعث على إثارة المشاعر، وأفعل في نفس السامع؛ ثم هو يضعها بعد في أساليب خاصة يتخيرها من بين التراكيب اللغوية، والأساليب الأدبية، يرى أنها تؤدي غرضه، وتخدم مآربه؛ كما يمتاز بما له من موسيقى عبر عنها بالبحور والأوزان، ولهذا الأوزان فعل في النفوس كفعل «رنات المثلث والمثنى»، وللشاعر قدرة على أن يختار منها ما يناسب موضوعه، من رقة ولين في شعر الغزل، وقوة وجلبة في شعر الحماسة. والقصيدة على قافية قد يكون لها من الأثر في النفس ما ليس لقافية أخرى، وهكذا. وأخيرا حاجة الشاعر إلى الخيال الخصب أقوى من حاجة النثر! فلا بد له من اختراع صور، وتأليف مناظر، ومقارنة صورة بصورة، ومنظر بمنظر، حتى يثير المشاعر، ويحرك العواطف، ويفعل في النفوس فعل السحر.

وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة، قوة العاطفة، وحسن الصياغة، وجمال الموسيقى. وأعوزه أمر منها وهو قوة الخيال.

فأما عاطفته فقوية فياضة، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارئ؛ فما يسمع شعره سامع ولا يقرؤه قارئ إلا تثبتت نفسه، وهاجت مشاعره؛ وعواطفه صحيحة لا مريضة، والعاطفة الصحيحة هي التي تدعو لأن تكون حياتنا

أسعد وأقوى؛ حافظ يريد منا أن نتبوا مقعدنا بين الأمم، وأن يرفع عنا نير الاحتلال، وأن يعادل الشرق الغرب، وأن تكون حياتنا الاجتماعية خيرا مما هي، فلا تواكل ولا استنامة ولا خنوع. ويريد أن تكون لغتنا حية قوية؛ وأن نجد في الحياة حتى تنعم بطبياتها، ونحو ذلك من وجوه الإصلاح، فهو يمتلئ شعورا بذلك، ثم يصوغه شعرا يسير فينا سير العافية؛ وأجمل ما في هذه العاطفة أنها ليست من ذلك النوع المألوف الذي اعتدناه في كثير من الأدب العربي من إفراط في المديح؛ فان العاطفة التي يبعثها ضعيفة من ناحية ميلها إلى أمور شخصية؛ والأدب الذي ينبعث من عاطفة عامة ويبعث عليها، خير من الذي ينبعث عن عاطفة شخصية ويبعث عليها. كما أن عاطفته ليست من هذا النوع الذي يذوب رقة في غزل، أو هياما في حب؛ فان هذا النوع قد كثر حتى مل، وهو في كثير من الأحيان أجوف؛ وهو في كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة، فليس من الخير أن يبيع الإنسان عواطفه بهذه السهولة وهذا الرخص.

فزية عاطفة (حافظ) في شعره عمومها وقوتها، وإن شئت فقل: وجدتها؛ فلم نعرف شاعرا عربيا قبله، ولا معاصرا له أفاض في العاطفة الوطنية والاجتماعية إفاضته.

قد يؤخذ عليه أن عاطفته يتقصها التنوع — كما أشرنا إلى ذلك قبل — فلا تجد كثيرا من شعره في جمال الطبيعة، بل لا تجد شعره فيها حيا قويا، كما ترى في قصيدته في الشمس.

وسبب ذلك — على ما يظهر — أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجي. كان مظهره الخارجي ضحوكا مرحا، لا يراه الرأى حتى يضحك

من ضحكة ، ولا يكون في مجلس حتى يملأه سرورا وضحكا، ولكنه في أعماق نفسه حزين ، كالشمعة تضيء وهي تحترق ، أو كالمثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو في نفسه يذوب حسرات .

وهذا ما يعلل أيضا ضعف الفكاهة في شعره، وقوتها في مجلسه؛ وهذا ما يعلل أن نصف شعره رثاء كما يقول هو .

هذا الطبع الحزين يبعث عواطف حزينة، ويحمل على الإجابة فيها، فتوافق طبعه وشكوى الزمان والرثاء والبكاء على الأمة وعلى الشرق، ونحو ذلك .

ومن أجل هذا أيضا أجاد حافظ في أحد وجهي الوطنية، أكثر مما أجاد في وجهها الآخر، ذلك أن الشعر في الوطنيات والسياسيات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والتشاؤم، والتأمل وعدمه، والترغيب والترهيب، والمدح للتشجيع، والذم للتقريع، فأجاد حافظ في التشاؤم وفي الترهيب وفي التقريع أكثر مما أجاد في التفاؤل والترغيب والتشجيع . لأن الضرب الأول أنسب لحزنه، وأقرب إلى نفسه، والثاني يحتاج إلى مقدار كبير من الأمل، والأمل يحتاج إلى سرور، وهو قليل في نفسه . نغير شعر حافظ ما اتصل بماطفته الحزينة؛ فاما فرح بالطبيعة، وفرح بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث من عاطفة السرور، فلم يكن له كبير مجال في شعره .

هذه العاطفة القوية التي شرحنا، بحثت لها عن الثوب الذي تلبسه حتى عثرت عليه، فكانت صيغتها قوية، وموسيقاها قوية . يفتش عن اللفظ حتى يجد أنسبه لنفسه، وأنسبه لمعناه، ويعرض للترادفات، يقلبها حتى يختار خيرا، وينثر كراته ليتخير أشدها عودا، وأصلبها مكسرا؛ ويعمد إلى الأساليب يتصفحها ليوائم بين المعنى واللفظ والأسلوب . وكان «حافظ» يسمى هذه «العملية» كلها «التذوق»،

يمدح بعض الشعراء بأنه «ذواق» يريد بذلك أن له ذوقا مرهفا في اختيار اللفظ واختيار الأسلوب، وقد بالغ في ذلك حتى كان جهده في اختيار الألفاظ والأساليب يفوق جهده في ابتكار المعاني، فهو يذهب مذهب من يرى أن المعاني مطروحة في الطريق، وإنما الإجابة في الصياغة. وهو يستعين على ذلك بالموسيقى، موسيقى اللفظ، وموسيقى الأسلوب، وموسيقى الأوزان والقوافي .

قد كان يصنع البيت فيردده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقعه على آذان الناس، ويتذوق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوقها الناس، فكان يراعى موسيقى الطول والقصر، وموسيقى الفخامة والرقّة، وموسيقى اللين والشدة، ويوائم بين ذلك وموضوعه، وبين ذلك ومعانيه وأغراضه، فيوفق في ذلك توفيقا كبيرا .

أما خياله، فكان مع الأسف - خيالا قريبا - قتل حظه من الابتكار، وقلل حظه من التصوير، قصر خياله عن أن يفوس في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة منه، ثم يخرج إلى الناس كما يشعر به؛ وقصر عن أن يخلق في السماء فيصوّر منظرا عاما يجذب النفوس إليه .

لقد حاول أن يخلق بخياله قصة، ولكنها خرجت قصة عرجاء، نتخلج على الأرض، ولا تسبح في السماء، قريبة المنال، مضحكة التصوير - إن شئت فاقرا. قصته في مدح البارودي التي مطلعها * تعمدت قتلى في الهوى وتعمدا * إذ يصف ذهابه إلى حبيبته خفية، فيقلد عمر بن أبي ربيعة في رأيتها المشهورة، ثم لا يحسن التقليد، ولا يأتي خياله بجديد، أو فاقرا قصته الشعرية التي وضعها في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت، والتي مطلعها :

ليسلاى ما أنا حى * يريجى ولا أنا ميت

ترخيالا ساذجا وتصويرا مهلهلا .

ولكن من ذا الذى حاز الكمال أجمع ، ومن ذا الذى بلغ شأو الفن فى جميع عناصره ، حسب الشاعر النابغة أن تكتمل فيه صفات ، ثم يستطيع أن يعوض ما نقص بالبراعة التامة فيما أتقن ؛ لئن نقص حافظ فى الخيال فقد غطى عيبه شيوع الجمال فى سائر نواحيه ، وكفاه ذلك موهبة .

*
* *

وقد رأى حضرة صاحب المعالى على زكى العرابى باشا وزير المعارف العمومية حبا منه فى الأدب ، وتقديرا لحق الوطن ، أن يجمع شعر حافظ ، وتقوم على طبعه وزارة المعارف .

وكان من حظى أن ندبني معاليه للقيام بهذا العمل ، فتفضل وطلب إلى جمع شعره وضبطه وشرحه ، وتبويبه وتقديمه ، فاغتبطت للساهمة فى هذا العمل الجليل ، لأن حافظا شاعرا كبيرا ، ومن واجبه الأدبى أن نخلد شعره ، ونحفظ ذكره ؛ وهو شاعر الوطنية فى عصرنا ، غذى شعره الشعور الوطنى ، وألهبه غيرة وحماسة ، وكان داعيا للنهضة والمطالبة بالحركة حتى ننال استقلالنا .

فكان واجبا — وقد بدأنا — نجنى ثمار جهادنا ، أن نؤرخ قادة حركتنا ، وأقول واجب نفعله فى تاريخ شاعر أن نجمع شعره ، ونعنى بنشره ، ونأخذ فى درسه . ومن حسن الطالع أن يكون صدور ديوانه ، معاصرا لنجاح دعوته ودعوة زملائه من القادة والزعماء والخطباء والأدباء الذين تعهدوا الحركة الوطنية ، وسهروا عليها ، وضحوا فى سبيلها ، ولم يدركهم فى ذلك سأم ولا ملل ، ولم يفت فى ساعدتهم

تعذيب ولا اضطهاد، حتى تمت المعاهدة، وبدأنا نعلم بالاستقلال، نحمل عبئنا
على ظهورنا، ونبذل جهدنا لنيل سعادتنا بأيدينا .

فإخراج ديوان حافظ أمانة في عنقنا تؤذيها، وواجب نهض به .



وكان من حظي أيضا أن شاركني في هذا العمل الأستاذان : (أحمد الزين)،
(وإبراهيم الإبياري) ؛ فقد لقيا من العناء في الضبط والشرح والتصحيح
والترتيب ما أترك تقديره للقارئ الكريم . وكان لهما من العمل وبذل الجهد في ذلك
فوق مالى . وإليهما يرجع أكثر الفضل في إخراج الديوان على هذا الوضع .

كان حافظ رحمه الله غير منظم في عمله ، ولا حريص على تدوين شعره ، فيكتبه
في ورقة حيثما اتفق ، ويلقيها أيضا حيثما اتفق ، فضاع كثير منه ، ولولا فضل
الصحف والمجلات في نشره والاحتفاظ به ، لما بقى من شعره إلا القليل .

وقد جمع في حياته بعضا منه ، معتمدا على ما نشر في الصحف والمجلات ، وعلى
ما كان منه عند الأصدقاء ، ولكن وقف في ذلك عند أجزاء ثلاثة صغارا؛ نشر الجزء
الأول منها سنة ١٣١٩ هـ مع تعليقات قيمة بقلم محمد إبراهيم هلال بك ، وقد استفدنا
منها ؛ ونشر الثاني سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م ، والثالث سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م ؛
فأما شعره بعد ذلك فلم يجمع في حياته .

فلما توفي حافظ جمع الأديب الدمشقي السيد أحمد عبيد طائفة من شعره لم تنشر
في ديوانه ، ونشرها بدمشق سنة ١٣٥١ ، وكذلك فعل في شوقي وجمع ما نشر
في رثائهما ، وبعض ما كتب عنهما ، وسمى كتابه " ذكرى الشعراء " .

ثم نشرت مكتبة الهلال في مصر سنة ١٣٥٣ ديوانه مجموعا فيه ما نشر من
قبل في الأجزاء الثلاثة ، وما نشره السيد أحمد عبيد " في ذكرى الشعراء " .

ولكن ما ورد في ذلك كله ليس وافيا ولا مستقصيا، فاضطررنا إلى أن نرجع إلى المجلات والصحف نتصفحها عددا عددا، من يوم أن نشر له شعر، إلى يوم وفاته؛ ورجونا على صفحات الجرائد من القراء أن يبعثوا إلينا ما كان عندهم من شعره، فتمت لنا بذلك مجموعة هي أقصى ما وصل إليه جهدنا .

ثم رتبناها حسب الموضوعات، فذكرنا كل ما قاله في المديح، ثم ما قاله في الهجاء... الخ . وفي كل باب رتبنا ما جاء فيه حسب تاريخ قوله أو نشره، ثم أتبعنا ذلك بما قاله ولم نقف على تاريخه بالضبط، حتى ولو كانت القرائن تدل على زمنه، ورأينا هذا الوضع أقرب إلى الإفادة، وأدل على مناحي الشاعر . ووضعنا فهرسا مرتبة فيها القصائد حسب حروف الهجاء في آخر الديوان، ليسهل الرجوع إلى القصيدة لمن حفظ قافيتها .

وقد ضبطناه ضبطا كاملا لتسهيل قراءته على الناشئ، وشرحناه نوعين من الشرح : شرحا يذكر ظروف القصيدة وملايساتها وتاريخ نشرها أو قولها، حتى يتمكن القارئ من معرفة إشاراتها وجوؤها؛ إذ في ذلك أكبر إعانة على فهمها وتقديرها؛ وشرحنا لغويا لمفرداتها وأساليبها؛ وبيانا المراد من عباراتها، وذكر الحوادث التاريخية التي أشار إليها في أبياتها، وقد نكون بالغنا بعض الشيء في كثرة الشرح والضبط، وعذرنا أننا راعينا نايبة الأدب، وناشئة الشعر، أكثر مما راعينا الخاصة والمنتهمين؛ وقد رنا أن الديوان ستتناوله أيدي الطلبة في المدارس الثانوية ومن في مستواهم؛ فقصدناهم بالشرح، ونظرنا إليهم في البسط. ونرجو أن نكون قد وفقنا في تحقيق ما ندبنا له، وأدبنا شيئا من واجب الأمة والوزير والشاعر، والله الموفق ما

ديوان حافظ ابراهيم

المحتويات

صفحة	
٣	المدائح والتهاني
١٥٩	الأهاجى
١٦٢	الإخوانيات
٢٠٥	الوصف
٢٣٩	الخمريات
٢٤٦	الغزل
٢٥٠	الاجتماعيات
٣١٩	السياسيات
٤٢٦	الشكوى
٤٤٥	المراثى
٥٦٣	قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى

(١)
فَرِحَتْ أَرْضُ الْجِجَارِ بِكُمْ * فَرَحَهَا بِالْمَاطِلِ الْمَسْتَنِ
(٢)
وَسَرَّتْ بَشْرَى الْقُدُومِ لَهُمْ * بِكَ مِنْ مِصْرِ إِلَى عَدِنِ

(٣)
تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء

(١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م)

(٤)
بَلَّغْتُكَ لَمْ أَنْسَبْ وَلَمْ أَتَعَزَّلِ * وَلَمَّا أَقْفَيْنَ أَلْهَوَى وَالتَّذَلَّلِ
(٥)
وَلَمَّا أَصِفُ كَأَسَا وَلَمْ أَبِكْ مَتَرَلًا * وَلَمْ أَنْجَلْ نَقْرًا وَلَمْ أَتَبَلَّلِ
(٦)
قَلَمٌ يَبْقَى فِي قَلْبِي مَدِيحُكَ مَوْضِعًا * تَجُولُ بِهِ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَتَرَلِ
(٧)
رَأَيْتُكَ وَالْأَبْصَارُ حَوْلَكَ خُشِعَتْ * فَقُلْتُ (أَبُو حَفِصٍ) بِرَدِّكَ أُمَّ (عَلِي)
(٨)
وَحَفَّضْتُ مِنْ حُزْنِي عَلَى مَجْدِ أُمَّةٍ * تَدَارَكْتَهَا وَأَلْخَطَبُ لِلْخَطْبِ يَعْتَلِي

- (١) سكن الشاعر « الفرح » لضرورة الوزن . والهاطل : المطر المتتابع العظيم القطر . والهنن : المنصب .
(٢) عدن : مدينة معروفة باليمن على ساحل بحر الهند . ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على اقتضاها . (٣) الشيخ محمد عبده ، هو ابن عبده بن حسن خير الله ؛ ولد في محلة نصر من إقليم البحيرة بمصر سنة ١٢٦٦ هـ . وتعلم العلم في الجامعين الأحمدى والأزهر ، وتولى عدة مناصب علمية وقضائية ودينية ، وآخر منصب تولاه منصب الإفتاء ، وظل فيه إلى أن توفي بالاسكندرية في سنة ١٣٢٣ هـ - سنة ١٩٠٥ م ، ودفن في القاهرة . (٤) بلغتك ، أى وصلت إلى مدحك . ولم أنسب : لم أشبب بالنساء . يريد أنه ابتداء القصيدة بمدحه ولم يسلك طريق الشعراء في تقديم التزك والفخر وما إليهما على المدح في أوائل القصائد . (٥) الخجل الشيء : ادعاه لنفسه وهو لغيره . وتبل الرجل : تكلف النبل وتشبهه بالنبل . (٦) يشير إلى بيت امرئ القيس :
فما نيك من ذكرى حبيب ومنزل * الخ
(٧) أبو حفص : كنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهى فى الأصل كنية الأسد . وعلى : هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . (٨) يريد بقوله « والخطب للخطب يعتل » : تراكم الخطوب بعضها فوق بعض .

(١) طَلَعَتْ بِهَا بِالْيَمِينِ مِنْ خَيْرِ مَطْلَعٍ * وَكُنْتَ لَهَا فِي الْقَوْزِ قَدَحٌ (أَبْنِ مَقْبِلِ)
 (٢) وَجَرَدَتْ لِلْفُتْيَا حُسَامَ عَزِيمَةٍ * بِحَدِيثِهِ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُنْتَزِلِ
 حَوَّتَ بِهِ فِي الدِّينِ كُلِّ ضَلَالَةٍ * وَأَثَبَتْ مَا أَثَبَتْ غَيْرَ مُضَلِّلِ
 لَنْ ظَفِيرَ الْإِفْتَاءِ مِنْكَ بِفَاضِلِ * لَقَدْ ظَفِيرَ الْإِسْلَامِ مِنْكَ بِأَفْضَلِ
 (٣) فَمَا حَلَّ عَقْدَ الْمَشْكَلَاتِ بِحِكْمَةٍ * سِوَاكَ وَلَا أَرَبِي عَلَى كُلِّ حَوْلِ



وقال يمدحه ويصف حضرته :

(٤) قَالُوا صَدَقْتَ فَكَانَ الْصَّدَقَ مَا قَالُوا * مَا كُلُّ مُنْتَسِبٍ لِلْقَوْلِ قَوْلُ
 (٥) هَذَا قَرِيضِي وَهَذَا قَدْرٌ مُمْتَدِحِي * هَلْ بَعْدَ هَذَيْنِ إِحْكَامٌ وَإِجْلَالُ
 إِنِّي لَا أَبْصِرُ فِي أَشْءٍ بُرْدَتِهِ * نُورًا بِهِ تَهْتَدِي لِلْحَقِّ ضُلَالُ
 (٦) حَلَلْتُ دَارًا بِهَا تُتَلَى مَنَاقِبُهُ * بِبَابِهَا أزدَحَمْتُ لِلنَّاسِ آمَالُ

(١) القدح (بكسر القاف) : واحد قداح الميسر، وهي مهامه . وقدح ابن مقبل ، يضرب مثلا في حسن الأثر والقوز . وابن مقبل : رجل من جاهلية العرب ، واسمه : تميم بن أبي بن مقبل ، شاعر مخضرم من المعمرين ، وكانت كثير المقامرة ، فاز قدحه سبعين مرة متواليه ، فضرب به المثل في القوز . (٢) جرد الحسام : سله من غمده . (٣) أربي : زاد . والحول : البصير بالأمور وتحويلها ، لا تؤخذ عليه طريق إلا تقذف في غيرها . (٤) القوال : حسن القول اللسن . أي قالوا صدقت في مدح الإمام وهم هادون فيا وصفوني به . (٥) القرىض : الشعر . وممدحى ، أي ممدوحى . (٦) المناقب : المفاخر والأفعال الكريمة ، الواحدة : منقبة .

- (١) تيممتها وأليل في غير زيه * وحاسدتها في الأثقي يغري بني العدا
 (٢) سريت ولم أهدر وكانوا يمرصد * وهل حذرت قبلي الكواكب رصدا
 (٣) فلما رأوني أبصروا الموت مقبلا * وما أبصروا إلا قضاء تجسدا
 (٤) فقال كبير القوم قد ساء فأننا * فإننا نرى حقا بحتف تقلدا
 (٥) فليس لنا إلا اتقاء سييله * وإلا أعل السيف منا وأوردا
 (٦) فغطوا جميعا في المنام ليصرفوا * شبا صارمي عنهم وقد كان مغمدا
 (٧) وخضت بأحشاء الجميع كأنهم * نيام سقاهم فاجئ الرعب مرقد
 ورحت إلى حيث ألتى تبعت ألتى * وحيث حدا بي من هوى النفس ما حدا

(١) تيممتها : قصدت إليها . ويريد بقوله « في غير زيه » : أنه ليل مقمر ليس في هيئته المعهودة من السواد والظلمة . ويريد « بالحاسد » (هنا) : البدر، لشيها به في الجمال . (٢) سري يسرى : سار بالليل . والمرصد : المرقب . والرصد : الرقاء ، جمع راصد . (٣) يريد بقوله : « تجسد » أنه قضاء محقق لا شك فيه ، حتى كأنه جسد يلمس وينظر . (٤) يقال : ساء فآله ، أى ساء ظنه . و« حقا بحتف تقلد » ، أى موتا تقلد موتا ، يريد نفسه متقلدا سيفه . وقد خطأ بعضهم حافظا في تعديته " قلد " بالباء في هذا البيت ، وقال : « إنه من الأفعال المتعدية بنفسها لا بالحرف » . وهو مردود بقول الزجاج في قوله تعالى : (ولا الهدي ولا القلائد) : إنهم كانوا يقلدون الإبل بلحاء شجر الحرم . (٥) أعل : من العلل (بالتحريك) ، وهو السقية الثانية . أى إن لم نخل له سييله سبق السيف من دمانا مرة بعد مرة . (٦) غط النائم غطا وغطيطا : نخر وتردد نفسه صاعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله . وشباة الصارم : حده ، وجمعه : شبا . وقد يستعمل هذا الجمع في الشعر مكان المفرد كما في هذا البيت ، قال الشاعر :

أما شبا السيف مسلولا على القم * فقد حدا ولم نذم شبا القلم

(٧) خضت بأحشاء الجميع : مررت وسطهم وعبرت عليهم . والمرقد : الشراب الذي يجلب

- (١) وحيثُ فتاةُ الحذرِ ترقبُ زورتي * وتَسألُ عني كَلَّ طيرٌ تفرّداً
(٢) وترجو رجاءَ اللصِّ لو أسبلَ الدجى * على البدرِ سترًا حالِكِ اللونِ أسوداً
(٣) ولو أنهم قدوا غداً فرعها * فحأكوا له منها نقاباً إذا بدأ
فلما رأتهُ مشرقَ الوجهِ مُقبلاً * ولم تثنيني عن موعدِي خشيةَ الردى
(٤) تَنادَتْ وقد أعجبتُها - كيف قهرهم * ولم تتخذِ إلا الطريقَ المعبداً
فقلتُ: سَلِي أحشاءهم كيف روعتُ * وأسبأتهم هل صأحتُ منهم يداً
(٥) فقالتُ: أخافُ القومَ والحقدُ قد برى * صدورهم أن يبلغوا منك مقصداً
(٦) فلا تتخذِ عندَ الرواحِ طريقهم * فقد يقنصُ البازي وإن كان أصيداً
(٧) فقلتُ: دَعِي ما تحذرينَ فإني * أصحابُ قلباً بين جنبي أيدا
(٨) فمالتُ لتغريبي وما لأها الهوى * فحدثتُ نفسي والضميرُ تردداً
(٩) أهَمُّ كما همَّتْ فأذكرُ أنني * فذاك فيدعوني هُداك إلى الهدى

- (١) تفرّد الطائر، كتردد: رفع صوته وطرب به . (٢) أسبل: أرخى . والحالك: الشديد
السواد . (٣) قدوا: قطعوا . والغدا: الضفائر . والفرع من المرأة: شعرها، جمع فروع .
وحأكوا: نسجوا . والنقاب: البرقع . ويريد بهذا البيت والذي قبله أن محبوبته ترجو كما يرجو اللص
أن يشتد الظلام ويستتر البدر، أو أن تجعل للبدر نقاباً من غداً لها السود سترًا محبوبها عن أعين الرقاب .
(٤) الطريق المعبد: المهد المسلوكة . (٥) برى الحقد صدورهم، أي أسقمها وأذابها .
(٦) يقنص: يصاد . والبازي: نوع من الصقور يتخذ للصيد . والأصيد (هنا): الأقدار على الصيد
الأعرف به . (٧) الأيد (بتشديد الياء): القوى الشديد . (٨) مالأها: ساعدها
وشايعها . (٩) يريد بهذا البيت والذي قبله أنها أنثت لتغريه بنفسها وساعدها على ذلك هوأها له
وهوأها لها، فهمت به وهم بها، ثم ذكر هدى المدوح فاهتدى بهديه .

- وَأُنشِدُ أَشْعَارِي وَإِنْ قَالَ حَاسِدِي * نَعَمُ شَاعِرٌ لَكِنَّهُ غَيْرُ مَكْتَارِ
 فَحَسْبِي مِنَ الْأَشْعَارِ بَيْتٌ أَزَيْتُهُ * بِذِكْرِكَ يَا (عَبَّاسُ) فِي رَفْعِ مَقْدَارِي (١)
 كَذَا فَلَيْكُنْ مَدْحُ الْمُلُوكِ وَهَكَذَا * يَسُوسُ الْقَوَافِي شَاعِرٌ غَيْرُ ثَرْنَارِ (٢)
 وَيَسْلُبُ أَصْدَافَ الْبِحَارِ بَنَاتِهَا * بِنَفْتَةٍ سِحْرِ أَوْ بِمَخْطَرَةِ أَفْكَارِ (٣)
 مَعَانٍ وَأَلْفَاظٍ كَمَا شَاءَ (أَحْمَدُ) * طَوَتْ جَزَلَ (بَشَارِ) وَرِقَّةَ مَهْيَارِ (٤)
 إِذَا نَظَرْتَ فِيهَا الْعَيْونُ حَسِبْنَاهَا * لِحُسْنِ أَنْسِجَامِ الْقَوْلِ كَالْجَدُولِ الْجَارِي (٥)
 أَمْوَالِي هَذَا الْيَدِ وَأَفَاكُ فَآجِبُهُ * بِجُلَّةِ إِقْبَالِ وَيْمَنِ وَإِشَارِ (٦)
 وَيَمْنُهُ وَأَنْثَرُ مِنْ سُعُودِكَ فَوْقَهُ * وَتَوَجَّهُ بِالْبُشْرَى وَمَرَّهُ بِالسَّفَارِ (٧)
 فَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ تَبَغِي سُعُودَهَا * لَدَى مَلِكٍ يَسْرِي عَلَى عَدْلِهِ السَّارِي (٨)
 وَلَا زِلَّتْ فِي دَسْتِ الْجَلَالِ مُؤَيِّدًا * وَلَا زَالَ هَذَا الْمُلْكُ فِي هَذِهِ الدَّارِ

- (١) يسوس القوافي : يروضها ويذلها . والثرثار : المتشدد الذي يكثر الكلام تكلفا .
 (٢) بنات الأصداف : اللآلئ التي تكون فيها . والنفث : النفخ ، وأضافه إلى السحر ، لأن الساحر
 ينفث في العقد . (٣) الظاهر أنه يريد « بأحمد » : أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي . ويقول :
 إن لشعره من الجزالة والرقه ما يفوق جزالة بشار ورقه مهيار . (٤) الجدول : النهر الصغير .
 (٥) حباه يحبوه : أعطاه بلا جزاء ولا من . وأثره إيثارا : خصه بالإكرام .
 (٦) يمينه ، أي أفض عليه من اليمين ، وهو البركة . والذي في القاموس وشرحه : « يمين عليه »
 بتعدية هذا الفعل بالحرف . والإسفار : الإضاءة والإشراق . (٧) يسري على عدله الساري .
 أي أن عدله قد ظهر واشتهر حتى صار منارا يهتدى به .
 (٨) الدست : صدر المجلس ؛ فارسي معرب .



وقال أيضا يمدحه ويهئته بعيد جلوسه في ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

(١) ما ذا أدخرت لهذا العيد من أدب * فقد عهدتُك ربَّ السَّبِقِ وَالْغَلَبِ

(٢) تَشْدُو وتُرهِفُ بالأشعارِ مُرْتَجِلًا * وتُبْرِزُ الْقَوْلَ بين السَّحْرِ وَالْعَجَبِ

(٣) وَتَصْقِلُ اللَّفْظَ في عَيْنِي فَأَحْبِبْنِي * أرى فِرْنَدَ سَيْوِفِ الْهِنْدِ في الْكُتُبِ

هذا هو العيدُ قد لاحت مطالعهُ * وكُنَّا بين مُشْتاقٍ ومُرْتَقِبِ

(٤) فَادْعُ الْبَيَانَ لِيَوْمِ لَا تُطَاوِلُهُ * يَدُ الْبَلَاغَةِ في الْأَشْعَارِ وَالْحُطْبِ

(٥) إِنِّي دَعَوْتُ الْقَوَافِي حِينَ أَشْرَقَ لِي * عِيدُ الْأَمِيرِ فَلَبَّتْ غُرَّةَ الطَّلَبِ

(٦) وَأَقْبَلْتُ كَأَيْدِيهِ إِذَا أَنْسَجَمَتْ * عَلَى الْوَرَى وَغَدَّتْ مِنِّي عَلَى كَثَبِ

(٧) فَكُنْتُ أَخْتَارُ مِنْهَا كُلَّ كَاسِيَةٍ * تَاهَتْ بِنَضْرَتِهَا في ثَوْبِهَا الْقَشِيبِ

وَحَارَ فِيهِ بَيَانِي حِينَ صَحَّتْ بِهِ : * بِالْعِزِّ بَدَأُ أُمَّ بِالْمَجْدِ وَالْحَسَبِ؟

(٨) يَا مَنْ تَنَافَسُ في أوصافِهِ كَلِمِي * تَنَافَسَ الْعَرَبُ الْأَجْمَادِ في النَّسَبِ

- (١) في هذا البيت وما بعده يوجه الشاعر الخطاب الى نفسه . (٢) تشدو : تترنم .
وأرهِف بالشعر : قاله على البديهة ولم يهينه قبل إنشاده . (٣) تصقل اللفظ : تجلوه وتكسبه
ورقًا وطلاوة . وفرند السيف : مائه الذي يجرى فيه ؛ معرب . يشبه الشعر في بهجته وبهائه بالسيف
في لبعانه وروائه . (٤) لا تطاوله : لا تبلغ مدى وصفه . (٥) غرة الطلب : أوله :
يريد أن الشعر أجابه أول ما طلبه ولم يجوجه الى تكرار الطلب . (٦) الأيادي : المنن .
وانسجمت : توالى وتتابعت . والكثب : القرب . (٧) الكاسية : ذات الكسوة ؛ ويريد
بها الألفاظ في ثوب من الجمال . والنضرة : الحسن . والقشيب : الجديد .
(٨) تنافس : تنافس وتبارى .

سَلُوا الْفَلَكَ الدَّوَارَ هَلْ لَاحَ كَوَكَّبٌ * عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَرْشِ أَوْ رَاحَ كَوَكَّبٌ؟
 (١) وَهَلْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ عَلَى مِثْلِ سَاحَةِ * إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ (الْحَمِيدِيِّ) تَنْسَبُ؟
 (٢) وَهَلْ قَرَّ فِي بُرْجِ السُّعُودِ مَتَوَجٌّ * كَمَا قَرَّ فِي (يَلْدِينِ) ذَلِكَ الْمُعْصَبُ؟
 (٣) تَجَلَّى عَلَى عَرْشِ الْجَلَالِ وَتَاجُهُ * يَهْشُ وَأَعْوَادُ السَّرِيرِ تَرْحَبُ
 (٤) سَمَا فَوْقَهُ وَالشَّرْقُ جَذْلَانُ شَيْقٍ * لَطَلَعَتْهُ وَالغَرْبُ خَذْلَانُ يَرْقُبُ
 (٥) قَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى تَرَعَّرَعَتْ * بِهِ دَوْحَةُ الْإِسْلَامِ وَالشَّرْكَ مُجْدِبُ
 (٦) وَقَرَّبَ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ تَقَرُّبًا * إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى فَنِعْمَ الْمُقَرَّبُ
 وَكَمْ حَاوَلُوا فِي الْأَرْضِ إِطْفَاءَ نُورِهِ * وَإِطْفَاءَ نُورِ الشَّمْسِ مِنْ ذَلِكَ أَقْرَبُ
 (٧) فَرَاعَهُمْ مِنْهُ بِجَيْشٍ مُدَجِّجٍ * لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَقِّ مَذْهَبُ
 يُدَانِي شُخُوصَ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّمَا * لَهُ بَيْنَ أَظْفَارِ الْمَيْتَةِ مَطْلَبُ

- (١) الحميدى : نسبة الى السلطان عبد الحميد . (٢) يلديز : كان قصر الخلافة بالآستانة .
 والمعصب : المتوج ، وذلك لأن التاج يحيط بالرأس كالعصابة ، قال عمرو بن كلثوم :
 بكل معصب من آل سعد * بتاج الملك يحيى المحجربينا
 (٣) تجلى : ظهر . ويهش : يرتاح . (٤) جذلان : من الجذل (بالتحريك) ، وهو
 الفرج . والشيق : المشتاق . ويريد بالجذلان : المخدول . ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما
 راجعناه من مدونات اللغة ؛ وإنما ذكرها الشاعر موافقة لقوله في الشطر الأول : « جذلان » .
 (٥) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . (٦) يريد « بالمسجدين » (هنا) :
 بيت المقدس ومسجد المدينة ؛ ويشير بذلك الى الخط الحديدي الجبازى من دمشق الى المدينة ، وقد بدى
 العمل فيه فى مايو سنة ١٩٠٠ م ، واحتفل بالفراغ منه وافتتاحه سنة ١٩٠٨ م .
 (٧) راعهم : أفرعهم . والمدجج : المسلح .

- (١) إذا نَارَ فِي يَوْمِ الْوَعْنَى مَا لَ مِنْكَ * مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَطْوَادِ وَأَنْهَالَ مِنْكَ
 (٢) لَهُ مِنْ رُءُوسِ الشَّمِّ فِي الْبَرِّ مَرْكَبٌ * وَمِنْ نَائِرِ الْأَمْوَاجِ فِي الْبَحْرِ مَرْكَبٌ
 (٣) فِدَى لَكَ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) عَصَابَةٌ * عَصَتْ أَمْرَ بَارِيهَا وَحِزْبٌ مُدْبَدَبٌ
 مَلَكْتَ عَلَيْهِمْ كُلَّ فَجٍّ وَجَلَّةٍ * فَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَهْرَبٌ
 (٤) تَقَاذِفُهُمْ أَيْدِي اللَّيَالِي كَأَنَّهُمْ * بِهَا مَثَلُ النَّاسِ فِي الْقَوْمِ يُضْرَبُ
 (٥) وَكَمْ سَأَلُوهَا لَمْ أَذِيَاكَ الَّتِي * لَهَا فَوْقَ أَجْرَامِ السَّمَوَاتِ مَسْحَبٌ
 فَمَا بَلَّغُوا سُؤْلًا وَلَا بَلَّغُوا مَنَى * كَذَلِكَ يَشَقِي الْخَبَائِنُ الْمُتَقَلِّبُ
 (٦) يَا صَاحِبَ الْعِيدَيْنِ لَا زِلْتَ سَالِمًا * يَهْنِكَ بِالْعِيدَيْنِ شَرْقٌ وَمَغْرِبٌ
 فِي كُلِّ رَوْضٍ مِنْكَ طِيبٌ وَنَضْرَةٌ * وَفِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْكَ عِيدٌ وَمَوْكِبٌ
 (٧) أَرَى مِصْرَ وَالْأَنْوَارَ : مِنْهَا مُورِدٌ * وَمِنْهَا الْجُبَيْنِيُّ ، وَمِنْهَا مُدْهَبٌ
 (٨) وَأَشْكَالُهَا شَتَّى فَهَذَا مَنْظَمٌ * وَذَلِكَ مَشُورٌ وَذَلِكَ مُقْبَبٌ

- (١) الوعى : الحرب لما فيها من الأصوات والجلبة . ومنكب من الأرض ، أى ناحية منها .
 والأطواد : الجبال العظيمة ، الواحد طود (بفتح الطاء) . والمعنى أن الأرض تتمد بهذا الجيش
 لكثرة رعدته . (٢) الشم : الجبال العالية ، واحدها : أشم .
 (٣) يشير الى حزب تركيا الفتاة الذى كان يعارض السلطان عبد الحميد فى سياسته .
 (٤) تقاذفهم ، أى تقاذفهم . وقد شبههم فى البلاد بالأمثال السائرة بين الناس
 من لسان الى لسان . (٥) سألوها ، أى سألوها الليالى . وأجرام السموات : أفلاكها .
 والمسحب : المكان الذى تسحب عليه الأذيال . (٦) يريد «بالعدين» : عيد جلوس السلطان
 وعيد تأسيس الدولة العثمانية . (٧) الجبيني : نسبة الى الجبين ، وهو الفضة . (٨) المقبب :
 المصنوع على أشكال القباب .

(١) وبعضُ تجلّى في مصاييحَ، زيتها * يضيءُ ولا نارٌ وبعضُ مكهربُ
(٢) وأنظرُ في بُستانها النّجمَ مشرقاً * فهل أنت يا بُستانُ أفقُ مكوكبُ
(٣) وأسمعُ في الدُّنيا دعاءً بنصره * يردده البيتُ العتيقُ ويثربُ

تهنئة جلاله ادوارد السابع بتويجه^(٤)

[نشرت في ٩ أغسطس سنة ١٩٠٢ م]

(٥) لمحتُ من مِصرَ ذاك التاجَ والقمرًا * فقلتُ للشعرِ هذا يومٌ من شعرا
(٦) يادولةً فوقَ أعلامٍ لها أسدٌ * تخشى بوادره الدنيا إذا زارا
(٧) بالأمسِ كانتُ عليكِ الشمسُ ضاحيةً * واليومَ فوقَ ذراكِ البدرِ قد سفرا
(٨) يؤولُ عرشُك من شمسٍ إلى قمرٍ * إن غابتِ الشمسُ أولتُ تاجها القمرًا
(٩) من ذابوا بك والأقدارُ جاريةً * بما تشائينَ ، والدنيا لمن قهرا

- (١) يريد بقوله : « يضيء ولا نار » : أن هذا الزيت صاف براق . (٢) المكوكب : ذوا الكواكب . (٣) البيت العتيق : الكعبة . ويثرب : امم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٤) ولد ادوارد السابع في سنة ١٨٤١ م ، وولى الملك في يناير سنة ١٩٠١ م ، وتوفى في سنة ١٩١٠ م .
(٥) يريد « بالقمر » : صاحب التاج . وشعر ، أى قال الشعر . (٦) الأسد : شعار الدولة الإنجليزية ، كما جعل النسر شعار الدولة الألمانية ، والهلال شعار الدولة العثمانية ، وغير ذلك .
والبواذر : جمع بادرة ، وهى ما ييدر من الشر . أى يسبق منه عند الحدة والغضب . (٧) يريد « بالشمس » : الملكة فكتوريا ملكة الإنجليز . والذرا : جمع ذرة ، وهى ما ارتفع من المواضع . ويريد « بالبدر » : ابنا الملك ادوارد السابع . وسفر : ظهر وانكشف . (٨) أولت : أعطت .
(٩) المناوأة : المعاداة والمعارضة .

- (١) اذا أَبْتَسَمْتِ لَنَا فَالْدَهْرُ مُبْتَسِمٌ * وَإِنْ كَثُرَتْ لَنَا عَنْ نَابِهِ كَشْرًا
 لَا تَعَجَبِي بِمُلْكٍ عَزَّ جَانِبُهُ * لَوْلَا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ لَهُ أَثْرًا
 (٢) مَائِلٌ رَبُّكَ عَرْشًا بَاتَ يَحْرُسُهُ * عَدْلٌ ، وَلَا مَدَّ فِي سُلْطَانٍ مَنْ عَدْرًا
 (٣) خَبَرْتَهُمْ فَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ سَهَرُوا * عَلَى مَرَاقِبِهِمْ وَالْمَلِكُ قَدْ سَهَرَا
 (٤) تَشَاوَرُوا فِي أُمُورِ الْمَلِكِ مِنْ مَلِكٍ * إِلَى وَزِيرٍ إِلَى مَنْ يَفْرَسُ الشَّجَرَا
 وَكَانَ فَارِسُهُمْ فِي الْحَرْبِ صَاعِقَةً * وَذُو السِّيَاسَةِ مِنْهُمْ طَائِرًا حَذْرَا
 (٥) بِالْبَرِّ صَافِنَةٌ دَاسَتْ سَنَايِكُهَا * مَنَاجِمَ التَّيْرِ لَمَّا عَافَتْ أَلْمَدْرَا
 (٦) وَفِي الْبِحَارِ أَسَاطِيلٌ إِذَا غَضِبَتْ * تَرَى الْبَرَائِكِينَ فِيهَا تَقْدِفُ الشَّرَا
 (٧) وَهَنْ فِي السَّلْمِ وَالْأَيَّامِ بِاسْمَةٍ * عَرَائِيسٌ يَكْتَسِينِ اللَّذْلَ وَالْخَفْرَا
 (٨) حَتَّى إِذَا نَشِبَتْ حَرْبٌ رَأَيْتَ بِهَا * أَغْوَالَ قَفِيرٍ وَلَكِنْ تَنْهَشُ الْحَجْرَا

(١) كشر عن نابه : كشف عنه وأبداه ؛ وهو مستعمل هنا في معنى التشر والغضب .

(٢) ثل الله عرشهم ، أى هدم ملكهم وأذهب عزهم .

(٣) المراقق : المنافع والمصالح . والملك (بتسكين اللام) : لفة في الملك (بكسرها) .

(٤) من يفرس الشجر ، أى الفلاح .

(٥) الصافنة : الخيل . والصافن منها : ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الزابطة ، وهو من الصفات

المحمودة فيها . والسنايك : أطراف الحوافر ، الواحد : سنبك (بضم السين والباء) . والمدر : التراب المطبد .

يريد أن جيوشهم ملكت من الأرض أغناها وأكثرها ثروة حتى إن خيولهم تدرس ما تضمنت الأرض من

ذهب ، لكثرة ما في أيديهم من الأماكن الغنية ، وكهت أن تدرس التراب .

(٦) شبه سفنهم في الحرب ببراكين النار . (٧) الخفر (بالتحريك) : شدة الحياء .

(٨) الأغوال : جمع غول ، شبه بها ما ترميه السفن من القذائف .

- (١) اليوم يُشْرِقُ "إِدْوَارٌ" على أَمْسٍ * كأنها البَحْرُ بِالْأَذَى قَدْ زَحْرَا
- (٢) لو أمطر الغيثُ أرضًا تَسْتَظِلُّ بهم * عدت رؤوسهم عن وجهها المطرَا
- (٣) اليوم يَلْتِمُ تاجُ العِزِّ مُحْتَشِمًا * رأسًا يدبر مُلْكًا يَكَلَّا البَشْرَا
- (٤) يَصْرَفُ الأَمْرَ مِن مِصْرٍ إلى عَدَنِ * فالهِنْدِ فَالكَابِ حَتَّى يَعبُرَ الجُزْرَا
- (٥) قد سألته الليالي حين أعجزها * عَقْدًا لِمَا حَلَّ أو تَقْوِيمُ مَا أَطْرَا
- (إِدْوَارٌ) دُمْتَ وِدَامَ المُلْكِ في رَغْدٍ * وِدَامَ جُنْدِكَ في الآفَاقِ مُتَّصِرَا
- (٦) حَقَنْتَ بِالصُّلْحِ والرَّأْيِ السَّيِّدِ دَمًا * رَوَى الشُّعَابَ وَرَوَى الصَّارِمَ الذِّكْرَا
- هُم يَذْكُرُونَكَ إِنْ عَدُوا عَدُوْلَهُمْ * وَنَحْنُ نَذْكُرُ إِنْ عَدُوا لَنَا (عُمَرَا)
- (٧) كَأَنَّكَ أَنْتَ تَجْزِي في طَرِيقَتِهِ * عَدَلًا وَحِلْمًا وَإِيقَامًا بِمَنْ أَشْرَا

- (١) آذى البحر : موجه ، وجمعه : أواذى (بتشديد الياء) . شبه به الأمم التي تحت سلطان التاج البريطاني في كثرتها . (٢) «عدت رؤوسهم» الخ . أي صرفت رؤوسهم المطر عن وجه الأرض . يصفهم بكثرة العدد ، حتى إنهم لكثرتهم يحبون وجه الأرض برؤوسهم فلا يمسه المطر .
- (٣) محتشما ، أي مستحيا . ويكلا : يحفظ ويحرس . (٤) يصرَفُ الأمر : يبره ويقبله كما يشاء . (٥) أطره ، عوجه وشاء . والمعنى أن الدهر قد صالحه وسأله حين لم يقدر على مناوآته ومعارضته فيما أراد . (٦) يقال : حقن فلان دم فلان ، إذا حل به القتل فأقذه . ويريد «بالشعاب» : الطرق ، الواحد : شعب (بكسر الشين) ، وهو في الأصل : الطريق في الجبل . والصارم الذكر : السيف الذي شفرته من الحديد الذكر ، ومنه من الحديد الأنث . والحديد الذكر : هو أيس الحديد وأجوده . ويشير بهذا البيت إلى الصلح في الحرب التي كانت بين البوير والإنجليز ، وقد ابتدأت في سنة ١٨٩٩م وانتهت في سنة ١٩٠٢م وهي السنة التي قال فيها الشاعر قصيدته في تنويع إدوارد السابع . (٧) أشر بأشر (من باب فرح يفرح) : بطر ، يريد العاصي المتمرد .

إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده^(١)

قالها في سفره إلى بعض بلاد الوجه البحري وكان مصاحباً له في هذا السفر

- (٢) صدفت عن الأهواء وألحرت بصديف * وأنصفت من نفسي وذو اللب ينصف
(٣) صحبت أهدى عشرين يوماً وليلة * فقرر يقيني بعد ما كان يرجف
(٤) فرحت وفي نفسي من اليأس صارم * وعدت وفي صدري من الحلم مصحف
(٥) وكنت كما كان (أبن عمران) ناشئاً * وكان كمن في (سورة الكهف) يوصف
(٦) كأن فؤادي إبرة قد تمغطست * بمجسك أنى حرفت عنك تعطف
(٧) كنت يراعى في مديحك ساجد * مدايمه من خشية الله تدرِف
(٨) كائنك والآمال حولك حوم * تميز على عطفيه طير ترفرف
(٩) وأزهر في طريسي يراعى وأتملي * ولقظي فبات الطرس ينجني ويقطف

(١) انظر التعريف بالأستاذ الإمام في الحاشية رقم ٣ ص ٤ من هذا الجزء . (٢) صدفت : أعرضت وصدت . (٣) يرجف : يضطرب . ويشير بهذا البيت إلى قصة سمعتها منه وهي أن حافظاً كان يظن بالأستاذ الإمام أنه شاك في عقيدته الدينية فبقائه بالشعائر الإسلامية من صلاة وصوم ونحوهما فلما صحبه في هذا السفر واتصل به تلك المدة المذكورة كان يراه في الليل يكثر الصلاة والتضرع لله تعالى مبالغاً في كتمان ذلك عن حوله ؛ فأحسب الشاعر اعتقاده بالأستاذ الإمام وأيقن أنه كان على خطأ في ظنه الأول به ؛ ثم اهتدى بهديه ، وبذل شكه يقينا . (٤) بشير إلى قصة نبي الله موسى الكليم مع الخضر عليهما السلام ، وإكثار موسى على الخضر في الأسئلة ؛ وقد ذكر الله تعالى ذلك في سورة الكهف . (٥) تعطف : ترجع . (٦) تدرِف : تيل . (٧) الحزم من الطيور : التي تدور حول الماء ، الواحد : حاتم . والنمير : الماء التاجع في الرى . والمطفان : الجانبان . (٨) أزهر : أخرج الزهر . والطرس : الصحيفة التي يكتب فيها .

(١) وَجَمَعَ مِنْ أَنْوَارِ مَدْحِكَ طَاقَةً * يُطَالِعُهَا طَرْفُ الرَّيِّبِ فَيُطَرْفُ
 (٢) تَهَادَى بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي كُلِّ مُحْضَرَةٍ * وَتَمْشَى عَلَى وَجْهِ الرِّيَاضِ فَتَعْرِفُ
 (٣) إِمَامَ الْهُدَى إِنِّي أَرَى الْقَوْمَ أَبْدَعُوا * لَمْ يَدَعَا عَنْهَا الشَّرِيعَةَ تَعْرِفُ
 رَأَوْا فِي قُبُورِ الْمَيِّتِينَ حَيَاتَهُمْ * فَقَامُوا إِلَى تِلْكَ الْقُبُورِ وَطَوَّفُوا
 (٤) وَبَاتُوا عَلَيْهَا جَائِمِينَ كَانَهُمْ * «عَلَى صَنْمٍ لِلْجَاهِلِيَّةِ عَكْفٌ»
 فَأَشْرَقَ عَلَى تِلْكَ النَّفُوسِ لَعَلَّهَا * تَرِقُّ إِذَا أَشْرَقَتْ فِيهَا وَتَلَطَّفُ
 (٥) فَانْتَبَهَتْ بِهِمْ كَالشَّمْسِ بِالْبَحْرِ إِنَّمَا * تَرُدُّ الْأَجَاجَ الْمِلْحَ عَدْبًا فَيُرَشَّفُ
 (٦) كَثِيرُ الْأَيَادِي، حَاضِرُ الصَّفْحِ، مُنْصِفٌ * كَثِيرُ الْأَعْدَى، غَائِبُ الْحَقْدِ، مُسَعِفٌ

(١) الأنوار: جمع نور (بفتح النون)، وهو الزهر . والطاقة : الحزمة من الزهر . ويطالعها طرف الريب ، أى تنظر إليها عينه . فيطرف ، أى يصاب بما يؤذيه ؛ يقال : طرف فلان عين فلان ، إذا أصابها شئ ، فدمعت ؛ وقد طرفت عينه (مبنيا للجهول) فهى مطروقة . يريد أن مدحه للاستاذ الإمام يفوق أزهار الربيع حسنا ، فاذا نظر اليه الربيع ارتد طرفه عنه حسيرا .

(٢) تهادى ، أى تهادى . والتهادى : المشى فى لين وثقل ؛ ويجوز أن يكون التهادى (هنا) من الإهداء ، أى أن الرياح تحمل طيب هذه الطاقة فيهدى بعضها بعضا به . والسحرة : أول وقت السحر . وتعرف (بضم الراء) ، أى تصير ذات عرف (بفتح العين وسكون الراء) ، أى رائحة طيبة ؛ أى أن الرياح تمر على الرياض حاملة طيب هذه الطاقة فتعطر الرياض به . (٣) أبدعوا : أحدثوا . وتعرف (بضم الزاى وكسرها) : تنصرف وتعرض . (٤) جائمون : ملازمون لما لم يرحوها ؛ وفعله من باب (نصر وضرب) . وقوله : «على صنم» الخ : يعجز بيت من نصيدة للفرزدق ، وقبلة :

لقد علم الجيران أن قدورنا

ترى حوطن المقترين كأنهم

على صنم الخ

والعكف : العاكفون ، من عكف على الشئ ، إذا لزبه وجلس قسه عليه .

(٥) بهم ، أى فيهم . ويشير الى ما هو معروف من تجمد ماء البحر بجمرة الشمس وصيرورة هذا البخار سخابا ، ثم مطرا . والأجاج من الماء : الشديد الملوحة . ويرشف ، أى يشرب . وأصل الرشف : مص الماء بالشفتين . (٦) الأيادى : النعم . وغائب الحقد : لا يحقد على أحد .

له كل يوم في رضى الله موقف * وفي ساحة الإحسان والبر موقف
 تجلى (جمال الدين) في نور وجهه ^(١) وأشرق في أنشاء برديه (أحنف)
 رأيتك في الإقناء لا تُغضب أحجا * كأنك في الإقناء والعلم (يوسف) ^(٢)
 فانت لها إن قام في الشرق مرجف * وانت لها إن قام في الغرب مرجف ^(٣)
 كملت كمالا لو تناول كُفروه * لأصبح إيمانا به يتحنف ^(٤)

+
 +

وقال يهنته بعودته من سياحته في بلاد الجزائر :

[نشرت في ٦ أكتوبر سنة ١٩٠٢ م]

بكرًا صاحبي يوم الإياب * وقفاي (بين شمس) قفاي
 إني والذي يرى ما بنفسى * لمشوق لظل تلك الرحاب ^(٥)

- (١) يشير الى أستاذ المدوح الشيخ جمال الدين الأفغاني العالم الفيلسوف المعروف ، ورد مصر في زمن إسماعيل باشا ، وتلقى عليه العلم أذكياء الطلاب بالأزهر ، ومنهم الأستاذ المدوح ، فكانوا دعاة النهضة الحديثة وهداتها . ويريد بالأحنف : الأحنف بن قيس التميمي ، وكان من سادات التابعين ، مشهورا بالحلم ، وأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ؛ وشهد بعض الفتوحات ، وتوفي حوالي سنة سبع وستين .
- (٢) الحجا : العقل . يريد أن الأستاذ الإمام وفق بين الدين والعقل في فتاويه . ويوسف ، هو نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ؛ ويشير الى قوله تعالى في سورة يوسف : (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما) الآية .
- (٣) لها ، أى لمة الإسلام . والمرجف : الذى يخوض في الأخبار السيئة على أن يوقع في الناس الاضطراب من غير أن يصح عنده شئ . منها . (٤) يتحنف به : يتعبد به . يشير الى ما هو مأثور في كلام الفرس من قولهم : كل شئ يتناوله الليل يتحول الى علة ، وكذلك العكس ، فكل شئ يتناوله الصحيح يتحول الى صحة ، والكامل لما يتناول الكفر صار إيمانا . وكان الأستاذ الإمام كثيرا ما يردد هذه العبارة . ويريد الشاعر أن كمال الأستاذ الإمام لو تناول كفر هذا المرجف لصيره إيمانا .
- (٥) الذى يرى ما بنفسه هو الله تعالى .

يا أمينا على الحقيفة والإف * ساء والشرح وأهدى والكتاب
 أنت نعم الإمام في موطن الرأ * ي ونعم الإمام في المحراب (١)
 خشع البحر إذ ركبت جواريد * به خشوع القلوب يوم الحساب (٢)
 وبدا ماؤه تحاطرك المض * قول أو كالفرند أو كالسراب (٣)
 يتجلى كأنه صُحف الأب * رار منشورة بيوم المآب (٤)
 علمت من ثقل فانبعثت لدا * قصد مثل أنبعائه للثواب (٥)
 فهي تسرى كأنها دعوة المض * طر في مسبح الدعاء ألجباب (٦)
 وضياء (الإمام) يوضح للرئيسان سبل النجاة فوق العباب (٧)
 بات يغنيه عن مكافئة البحر * ير ورقبي النجوم والأقطاب (٨)
 وسرى البرق للجزائر بالبش * رى بقسرب المطهر الأواب (٩)
 فسعى أهلها إلى شاطئ البحر * ير وفودا بالبشر والترحاب (٩)
 أدركوا قدر ضيفهم فأقاموا * يرقبون (الإمام) فوق السحاب (٩)

(١) الجوارى : السفن . (٢) المصقول : المجلج . وفرند السيف : ماؤه الذي يترقق فيه ؛ وهو فارسي معرب . والسراب : ما يرى على البعد في نهاية الأفق كأنه الماء وليس به . شبه الشاعر به ماء البحر في الصفاء . (٣) المآب : المرجع ، ويوم المآب ، أى يوم القيامة . شبه ماء البحر بصحف الأبرار في النصوص والنقاء . (٤) علمت ، أى السفينة . ونقل : تحمل . (٥) مسبح الدعاء ، أى طريقه . (٦) عباب البحر : موجه . (٧) الرقي : المراقبة . (٨) الأواب : الكثير الرجوع إلى الله ، (٩) يشير بهذا الكلام إلى ما ذهب إليه بعض الشيعة من أن محمد بن الحنفية سرجع إليهم في ظلال من الغمام ؛ فشبه الأستاذ الإمام به .

لَيْتَ مِصْرًا كَغَيْرِهَا تَعْرِفُ الْفَضْلَ * لَيْلَ لَدِي الْفَضْلِ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ
 لَهَا لَوْ دَرَّتْ مَكَانَكَ فِي الْمَجَى * يَدِ وَهْرَمَاكَ فِي صُدُورِ الصَّعَابِ
 وَتَفَانِيكَ فِي سَبِيلِ (أَبِي حَفْصٍ) * وَمَسْعَاكَ عِنْدَ دَفْعِ الْمَصَابِ (١)
 لَاظْلَمْتَكَ بِالْقُلُوبِ مِنَ الشَّنَةِ * سِيَّ وَوَارَتْ عِدَاكَ تَحْتَ التُّرَابِ
 أَنْتَ عَلِمْتَنَا الرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ * وَرَدَّ الْأُمُورِ لِلْأَسْبَابِ (٢)
 ثُمَّ أَشْرَقَتْ فِي (الْمَنَارِ) عَلَيْنَا * بَيْنَ نُورِ الْهُدَى وَنُورِ الصَّوَابِ (٣)
 فَقَرَأْنَا عَلَى ضِيَائِكَ فِيهِ * كَلِمَاتِ الْمُهِمِّينِ الْوَهَابِ (٤)
 وَسَكَنَّا إِلَى الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ * هُوَ وَكُنَّا مِنْ قَبْلِهِ فِي آرْتِيَابِ
 أَيُّهَا الْإِمَامُ أَكْثَرَتْ حَسَا * دِي فَبَاتَتْ نُفُوسُهُمْ فِي الْهِيَابِ
 أَبْصَرُوا مَوْقِفِي فَعَزَّ عَلَيْهِمْ * مِنْكَ قُرْبِي وَمِنْ عِلَّاكَ أَنْتَسَابِي (٥)
 أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً وَبَاتُوا * يُسْمِعُونَ الْوَرَى طِينِ الدُّبَابِ (٦)
 وَتَسُوا رَبَّهُمْ وَقَالُوا ضَمِينَا * بَعْدَهُ عَنِ رِحَابِ ذَاكَ الْجَنَابِ

- (١) « وتفانيك في سبيل أبي حفص » ، أي أسمايتك في نصره الحق ، وهو سبيل أمير المؤمنين
 عمر بن الخطاب . (٢) يريد (مجلة المنار) المعروفة ، التي كان يحزرها المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا
 تلميذ الأستاذ الإمام ، وقد أنشئت هذه المجلة في سنة ١٣١٥ هـ (سنة ١٨٩٨ م) .
 (٣) يشير بذلك إلى ما كان ينشر في (مجلة المنار) من تفسير الأستاذ الإمام لبعض آيات القرآن
 الكريم . (٤) سكن إلى الأمر : اطمان إليه ووثق به .
 (٥) أجمعوا أمرهم عشاء ، أي بنوا النية على الكيد والوشاية بي .
 (٦) يريد جناب الأستاذ الإمام .

(١) قُلْ لِمَجْمَعِ الْمُنَافِقِينَ وَمِنْهُمْ * خُصَّ بِالْقَوْلِ عَبْدَ أُمِّ الْحَبَابِ
 (٢) عَبْدَ تَلَكَ الَّتِي يُحْرِمُهَا اللَّهُ * هُ إِزَاءَ الْأَزْلَامِ وَالْأَنْصَابِ
 (٣) إِنَّ نَفْسَ الْإِمَامِ فَوْقَ مُنَاهِمُ * مَا تَمَنَّسُوا وَإِنِّي غَيْرُ صَابِي
 شَابَ فِيهِمْ وَلَاؤُهُمْ حِينَ شَابُوا * وَوَلَائِي فِي عُتُقِ الشَّابِ

+

وقال فيه عند عودته من بعض أسفاره :

(٤) لَوْ يَنْظِمُونَ الْأَلْيَ مِثْلَ مَا نَظَّمْتُ * مُدَّ غَبَّتَ عَنَّا عِيُونَ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
 (٥) لَأَقْبُرَ الْجَيْدُ مِنْ دُرٍّ يُحِيطُ بِهِ * وَالثَّغْرُ مِنَ لُؤْلُؤِ وَالكَاسُ مِنْ حَبِّ

+

وقال مدافعا عنه أيضا ضد من حمل عليه من أعدائه في الصحف

ورسموا له صورة تترى بقدره :

إِنْ صَوَّرُوكَ فَإِنَّمَا قَدْ صَوَّرُوا * تَاجَ الْقَهَّارِ وَمَطْلَعَ الْأَنْوَارِ

(١) أم الحباب : تسمية عن الخمر . والحباب : الفقاع التي تعلق الشراب في الكأس . ويريد « بعد أم الحباب » : أحد الساعين في التفريق بينه وبين الأستاذ الإمام ، وكان مدنا للخمر .
 (٢) إزاء الأزلام ، أى معها . والأزلام : مهام الميسر ، الواحد زلم (بالتحريك) . والأنصاب : ما ينصب من الأوتان ليعبد من دون الله ، الواحد نصب (وزان عتق وقفل) . ويشير بهذا الى قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) الآية . (٣) صابى ، أى صابى (زالم) ، وهو الخارج من دين الى دين ؛ واستعمله هنا فى المتحول عن مودته . (٤) يريد « بيون الفضل والأدب » : ما كان محببه الأستاذ الإمام فى غيبته من مقالات وخطب . (٥) الجيد : العتق . وحبيب الكأس : الفقاع التي تعلق الشراب . والمراد بهذا البيت والذي قبله أن الناس لو أرادوا أن ينظموا مثل ما نظمت فى خطبك ورسالتك لم يجدوا غير در الحور ولآل الثور وحبيب الكؤوس شيئا بما قلت ، ولا استفد نظمهم كل ذلك .

أَوْ نَقَّصُوكَ فَإِنَّمَا قَدْ نَقَّصُوا * دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ
 سَخَّرُوا مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي أُوتِيَتْهُ * وَاللَّهُ يُسَخِّرُ مِنْهُمْ فِي النَّارِ
 لَا تَجْزَعَنَّ فَلَسْتَ أَوَّلَ مَا جِدِ * كَذَبَتْ عَلَيْهِ صَحَائِفُ الْقُبَّارِ
 رَسَمُوا بِذَاتِكَ لِلنَّوَاطِرِ جَنَّةً * مَحْفُوفَةً بِمَكَارِهِ الْأَشْعَارِ
 وَتَقَوْلُوا عَنْكَ الْقَبِيحَ وَهَكَذَا * يُمْنَى الْكَرِيمُ بِغَارَةِ الْأَشْرَارِ
 لَنْ يَجْجُبُوكَ عَنِ الْوَرَى أَوْ يَجْجُبُوا * فَلَقَى الصَّبَاحَ وَمَشَرَاقَ الْأَقَارِ
 أَوْ يَبْلُغُوا عَلَيْكَ حَتَّى يَبْلُغُوا * بَيْنَ الزُّوَاهِرِ صُورَةَ الْجَبَّارِ
 مَا أَنْتَ ذِيَاكَ الْبَغِيضُ فَتَنْتَنِي * مُتَسَرِّبًا بِالْعَارِ فَوْقَ الْعَارِ
 لَعِبُوا بِهِ فِي صُورَةٍ قَدْ أَسْفَرَتْ * عَنْ عَزْلِهِ فَأَقَامَ حِلْسَ الدَّارِ

(١) يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم : «حفت الجنة بالمكاره» . شبه صورة الإمام في صف
 أعدائه وما كتبه حولها من مستكره المهجور بالجنة التي حفت بالمكاره . (٢) يقال : تقول عليه
 الخبر، اذا افتراه . ويعنى : يتلى ويصاحب : (٣) أو يججبوا، أى حتى يججبوا . وعلق الصباح :
 ضوءه أول ما يبدو . (٤) الزواهر : النجوم . والجبار : اسم الجوزاء ؛ يقال : «طلع الجبار»
 وذلك لأنها على صورة ملك متوج على كرمى . (٥) المتسريل : اللابس . (٦) حلس
 الدار : الذى يلزمها ولا يرحها . ويشير الى أنهم كانوا قد رسموه على صورة تشعرا أنه قد عزل من منصب
 الإفتاء وأقام فى داره . واستعماله «أسفرت» بمعنى «سفرت» ، أى كشفت وأظهرت ، لم يرد فى كتب
 اللغة التى بين أيدينا ؛ وهو استعمال شائع بين كتاب المصر . والذى فى كتب اللغة أن «أسفر» بمعنى أضاء
 وأشرق ؛ وليس مرادا هنا .

تهنئة الخديوي عباس الثاني بعيد الأضحى سنة ١٣٢١ هـ

[نشرت في ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٤ م]

- (١) طُف بِالْأَرِيكَةِ ذَاتِ الْعِزِّ وَالشَّانِ * وَأَقْضِ الْمَنَاسِكَ عَنْ قَاصٍ وَعَنْ دَانِي
- (٢) يَا عَيْدُ لَيْتَ الَّذِي أَوْلَاكَ نِعْمَتَهُ * بِقُرْبِ صَاحِبِ مِصْرٍ كَانَتْ أَوْلَانِي
- (٣) صُنْتُ الْقَرِيضَ فَمَا غَادَرْتُ لَوْلُوَّةً * فِي تَاجِ (كِسْرِي) وَلَا فِي عِقْدِ (بُورَانِ)
- (٤) أَغْرَيْتُ بِالغَوْصِ أَقْلَامِي فَمَا تَرَكْتُ * فِي بَحْتِ الْبَحْرِ مِنْ دُرٍّ وَمَرْجَانِ
- (٥) شَكَا (عُمَانُ) وَصَحَّ الْغَائِضُونَ بِهِ * عَلَى اللَّالِي وَصَحَّ الْحَاسِدُ الشَّانِي
- (٦) كَمْ رَامَ شَأْوِي فَلَمْ يَدْرِكْ سِوَى صَدْفٍ * سَامَحْتُ فِيهِ لِنِظَامِ وَوَزَانِ
- عَابُوا مُكُوتِي وَلَوْلَاهُ لَمَا نَطَقُوا * وَلَا جَرَتْ خَيْلُهُمْ شَوْطًا بِمِيدَانِ
- (٧) وَالْيَوْمَ أَتَشِدُّهُمْ شِعْرًا يُعِيدُهُمْ * عَهْدَ (النَّوَائِي) أَوْ أَيَّامَ (حَسَانِ)

- (١) الأريكة : سرير الملك . وقد شبه في هذا البيت ما يؤديه المخلصون للخديوي من شعائر الولاء بالذين يؤدون مناسك الحج . ومناسك الحج : أموره وشؤونه ، أو المواضع التي تذبح فيها ذبائحهم .
- (٢) أولاك : أعطاك . (٣) كسرى : لقب ملك الفرس . وبوران ، هي بوران دخت بنت كسرى ؛ أو هي بوران بنت الحسن بن سهل . شبه شعره باللائي التي في هذا التاج وذلك العقد .
- (٤) أغراه به : حظه عليه . (٥) عمان ، كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند يجلب منها اللؤلؤ . يقول : إن مناص اللؤلؤ بهذا الموضع ومن يفوضون به قد شكوا وتغيظوا من كثرة ما أناله من اللآلي الغالية التي أرصع بها شعري وأحول بينهم وبينها ؛ وهي مبالغة في تشبيه شعره بالنفاسة . والشانئ بالهمز (وسهل للشعر) : المبغض السيئ الخلق . (٦) الشار : الغاية . ويريد « بالنظام والوزان » : الذين يقولون الشعر خاليا من المعاني ذات القيمة . (٧) يريد « بالنواصي » : أبا نواس الشاعر المعروف . وحسان ، هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين هجرية .

- (١) أَزْفُ فِيهِ إِلَى (الْعَبَّاسِ) غَانِيَةً * عَفِيفَةً الْخُدْرِ مِنْ آيَاتِ عَدْنَانَ
- مِنِ الْأَوَانِسِ حَلَاهَا يَرَاغُ قَتَى * صَافِي الْقَرِيحَةِ صَاحِجٌ غَيْرِ تَشْوَانِ
- (٢) مَا ضَاقَ أَصْغَرُهُ عَنْ مَدْحِ سَيِّدِهِ * وَلَا اسْتَعَانَ بِمَدْحِ الرَّاحِ وَالْبَانِ
- (٣) وَلَا اسْتَهَلَّ بِذِكْرِ الْغَيْدِ مِدْحَتَهُ * فِي مَوْطِنِ يَجَلَلِ الْمَلِكِ رَيَّانِ
- أَغْلَيْتَ بِالْعَدْلِ مُلْكًا أَنْتَ حَارِسُهُ * فَأَصْبَحَتْ أَرْضُهُ تُشْرَى بِمِيزَانِ
- جَرَى بِهَا الْحِصْبُ حَتَّى أَنْبَتَتْ ذَهَبًا * فَلَيْتَ لِي فِي ثَرَاهَا نِصْفَ قَدَانِ
- نَظَرْتَ لِلنَّيْلِ فَاهْتَرَّتْ جَوَانِبُهُ * وَقَاضَ بِالْخَيْرِ فِي سَهْلِ وَوُدْيَانِ
- (٤) يَجْرِي عَلَى قَدَرٍ فِي كُلِّ مُنْحَدَرٍ * لَمْ يَحْفُفْ أَرْضًا وَلَمْ يَعْمِدْ لَطْفِيَانِ
- كَأَنَّهُ وَرِجَالُ الرَّيِّ تَحْرُسُهُ * مُمْلِكٌ سَارَ فِي جُنْدٍ وَأَعْوَانِ
- (٥) قَدْ كَانَ يَشْكُو ضِيَاعًا مَدَّ جَرَى طُلُقًا * حَتَّى أَقَمَتْ لَهُ نَحْرَانَ أُسْوَانِ
- (٦) كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي الْقَطْرَيْنِ صَالِحِيَةٍ * فَاضَتْ عَلَيْنَا بِجُودٍ مِنْكَ هَتَانِ

- (١) شبه قصيدته في حسنها وجمالها بالغانية ، وهي الغناة التي غنيت بجمالها عن الخلى . ويريد بقوله : « عفيفة الخدر » : اختصاص مدحته بالخدوي تشبها لها بالغانية التي لم يطرق خدرها غير حليلها . « ومن آيات عدنان » أي أنها عربية صميعة . (٢) أصغره ، أي لسانه . والراح : الخمر . ويريد بقوله : « ولا استعان » الخ . أنه لم يجز على طريقة الشعراء في ابتداء قصائد المدح بوصف الخمر وما إليها . (٣) استهل : ابتداء . والغيد من النساء : النواعم اللينات منهن ، الواحدة غادة . (٤) على قدر ، أي على حساب ومقدار . ويريد بقوله : « ولم يعمد لطفيان » : أنه لم يفرق البلاد بكثرة فيضائه . ويشير بهذا البيت الى ما يقوم به المهندسون في تدبير ماء النيل . (٥) طلقا (بضم الطاء واللام) ، أي منطلقا بلا قيد ولا حبس . (٦) يريد « بالقطرين » : مصر والسودان . وهتان ، أي منصب .

- (١) رَدَدْتَ مَا سَلَبْتَ أَيْدِي الزَّمَانِ لَنَا * وَمَا تَقَلَّصَ مِنْ ظِلِّ وَسُلْطَانِ
 (٢) وَمَا قَعَدْتَ عَنِ السُّودَانِ إِذْ قَعَدُوا * لَكِنْ أَمَرْتَ فَلَبَّى الْأَمْرَ جَيْشَانِ
 (٣) هَذَا مِنَ الْغَرِيبِ قَدْ سَأَلْتَ مَرَاكِبُهُ * وَذَا مِنَ الشَّرْقِ قَدْ أَوْفَى بِطُوفَانِ
 وَلَاكَ رَبُّكَ مُلْكًا فِي رِعَايَتِهِ * وَمَدَّهُ لَكَ فِي خِصْبِ وَعُمُرَانِ
 (٤) مِنْ كَرْدَقَانٍ إِلَى مِصْرٍ إِلَى جَبَلِ * عَلَيْهِ كَلِمَةُ (مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ)
 (٥) فَكُنْ بِمُلْكِكَ بِنَاءَ الرِّجَالِ وَلَا * تَجْعَلْ بِنَاءَكَ إِلَّا كُلَّ مِعْوَانِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى أُمَّةٍ لَوْلَاكَ مَا طَلَبَتْ * حَقًّا وَلَا شَعَرَتْ حُبًّا لِأَوْطَانِ
 (٦) لَأَذَتْ بِسُدَّتِكَ الْعَلِيَاءَ وَأَعْتَصَمَتْ * وَأَخْلَصَتْ لَكَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
 (٧) حَسْبُ الْأَرِيكَةِ أَنْتَ اللَّهُ شَرَفَهَا * فَاصْبَحَتْ بِكَ تَسْمُوقُ فَوْقَ كِيَوَانِ
 (٨) تَاهَتْ بِعَهْدِ مَلِيكَ فَوْقَ مَفْرَقِهِ * لِمَلِكِ مِصْرٍ وَلِلسُّودَانِ تَاجَانِ
 هَذَا هُوَ الْمَلِكُ فَلْيَهْنِ مُمْلَكَهُ * وَذَا هُوَ الشَّعْرُ فَلْتُنْشِدْهُ أَرْزَامَانِ

(١) تقلص، أى قبض وتقاصر . (٢) يشير بهذا البيت الى إعادة فتح السودان الذى تم

سنة ١٨٩٨ م . ويريد « بالجيشين » : الجيش المصرى والجيش الانجليزى .

(٣) أوفى بطوفان، أى جاء بعدد كثير كطوفان الماء . (٤) كردقان : إقليم من السودان

معروف . ويريد « بالجبل » : جبل الطور الذى كلم الله نبيه موسى بن عمران عليه السلام فوَقَّه .

(٥) يقول : هي لشعبك رجالا تعتد بهم شدة الشدائد ، ولا تعتمد إلا على كل عظيم المعونة منهم .

(٦) سدتك، أى بابك . (٧) كيوان : اسم زجل بالفارسية ؛ وهو ممنوع من الصرف

وإنما أورده الشاعر هنا مجرورا بالكسر لضرورة القافية . (٨) المفرق (بفتح الراء وكسرها) :

وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر .



وقال أيضا يهني سمّوه بالعام الهجري :

[نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٤]

(١) قَصَرْتُ عَلَيْكَ الْعُمَرَ وَهُوَ قَصِيرٌ * وَغَالَبْتُ فِيكَ الشُّوقَ وَهُوَ قَدِيرٌ
(٢) وَأَنْشَأْتُ فِي صَدْرِي لِحُسْنِكَ دَوْلَةً * لَهَا الْحُبُّ جُنْدٌ وَالْوَلَاءُ سَفِيرٌ
فؤادى لها عرشٌ وأنت ملكه * ودونك من تلك الضلوع ستورٌ
(٣) وما انتقضت يوما عليك جوانحي * ولا حلّ في قلبي سواك أميرٌ
كتمت فقالوا: شاعرٌ ينكر الهوى * وهل غير صدري بالغرام خيرٌ
(٤) ولو شئت أذهلت النجوم عن السرى * وعطلت أفلاكها بين تدورٌ
وأشعلت جلد الليل مني بزفرة * غرامية منها الشرار يطيرٌ
(٥) ولكنني أخفيت ما بي وإنما * لكل غرام عاذلٌ وعذيرٌ
أرى الحب ذلاً والشكايه ذلّة * وإني بستر الدلتين جديرٌ
(٦) ولي في الهوى شعران: شعرٌ أذيعه * وآخر في طيّ الفؤاد سفيرٌ
(٧) ولولا بلحاج الحاسدين لما بدا * لمكنون سرّي في الغرام ضميرٌ

- (١) قصرت عليك العمر، أي حبسته على حبك . (٢) الولاء. (فتح الواو) : الإخلاص .
(٣) انتقضت، أي فسدت ، كما تنتقض الإمارات على أمرائها، أي تخرج عليهم وتشق عصا الطاعة .
(٤) السرى : السير بالليل . يقول : إنني لو شئت بثت من اللوعة وحرارة الوجد ما يذهل النجوم
عن سيرها ، ويعطل الأفلاك عن دورانها ، فتصغي لبي، وترثي لوجدى . (٥) العذير : العاذر
والنصير أيضا . (٦) سفير، أي مستور، فعيل بمعنى مفعول . (٧) البلحاج : التماذى في العناد
والخصومة . يقول : لولا عناد ذرى الحسد والبغضاء لما بدا بما أكتمه من غرامى وشوقى ما يشعر الناس بهما .

(١) ولا شَرَعَتْ هَذَا الْبِرَاعَ أَنَامِلِي * لَشَكْوَى وَلَكِنَّ الْبَلَّاجَ يُبِيرُ
 (٢) عَلَى أَنِّي لَا أَرْكَبُ الْيَأْسَ مَرَبَّجًا * وَلَا أَكْبِرُ الْبِأْسَاءَ حِينَ تُغِيرُ
 (٣) فَكَمْ حَادَ عَنِّي الْحَيْنُ وَالسَّيْفُ مُصَلَّتْ * وَهَانَ عَلَى الْأَمْرِ وَهُوَ عَسِيرُ
 وَكَمْ لَمَعَةٍ فِي غَفَلَةِ الدَّهْرِ تَفَسَّتْ * هُمُومًا طَائِبِينَ الضُّلُوعَ مَسِيرُ
 فَقَدْ يَشْتَفِي الصَّبُّ السَّقِيمُ بَزُورَةٍ * وَيَنْجُو بَلْقِظٍ عَائِرٍ وَأَسِيرُ
 عَسَى ذَلِكَ الْعَامُ الْجَدِيدُ يَسُرَّنِي * بِبُشْرَى وَهَلْ لِلْبِأْسِيِّنَ بَشِيرُ
 (٤) وَيَتَنظَّرُنِي رَبُّ الْأَرِيكَةِ نَظْرَةً * بِهَا يَتَجَلَّى لَيْلُ الْأَسَى وَيُنِيرُ
 (٥) مَلِيكَ إِذَا غَنَى الْبِرَاعُ بِمَدْحِهِ * مَرَّتْ بِالْمَعَالِي هِزَّةٌ وَسُرُورُ
 (٦) أَمْوَالِي إِتَّ الشَّرْقُ قَدْ لَاحَ تَجْمُهُ * وَأَنَّ لَهُ بَعْدَ الْمَمَاتِ نُشُورُ
 (٧) تَفَاعَلْ خَيْرًا إِذْ رَأَى كَمُلْمَلِكَا * وَقَفَّكَ مِنْ نُورِ الْمُهَيَّمِ نُورُ
 (٨) مَضَى زَمَنٌ وَالْغَرْبُ يَسْطُو بِمَحْوَلِهِ * عَلَى وَمَالِي فِي الْأَنَامِ ظَهِيرُ

- (١) يقال : شرع الريح ، إذا سده وصوبه . شبه القلم بالريح في ذلك . ويشير : يهيج .
 (٢) «لا أكبر البأساء» الخ ، أى لا أستعظم الشدة إذا نزلت بي ، بل أستبين بها وأصبر على مضاها .
 (٣) الحين (فتح الحاء) : الهلاك . والسيف المصلت : المجزء من غمده . (٤) رب الأريكة
 هو خديوى مصر . والأريكة : العرش ؛ وأصل معناها السرير المنجد المزين في قبة أو بيت .
 (٥) الهزة (بكسر الهاء) : الأريحية والخفة . (٦) النشور : البعث . (٧) التفاضل :
 من القال (بسكون الهزة) ، وهو ضد التطير ، فهو فيما يستحب ، أما التطير ، فهو فيما يسوء .
 (٨) هذا البيت والذي بعده على لسان الشرق المتقدم ذكره . ويسطو : يعدو . والحول : القوة .
 والظهير : المعين والنصير .

إلى أن أتاح الله للصقر نهضة * فقلت غير آرا الخطيب وهو طير^(١)
 جرت أمة اليابان شوطاً إلى العلاء * ومضت على آثارها متسير^(٢)
 ولا يمنع المصري إدراك شأوها * وأنت لطلاب العلاء نصير^(٣)
 فقف موقف (الفاروق) وانظر لأئمة * إليك بجبات القلوب تسير^(٤)
 ولا تستشر غير العزيمية في العلاء * فليس سولها ناصح ومشير^(٥)
 فعرشك محروس وربك حارس * وأنت على ملك القلوب أمير^(٦)

تهنئة الى رفعت بك بوكالته لمصلحة السجون

أهنيك أم أشكو فراقك قائلاً * أيا ليتني كنت السجين المصفاً^(٥)
 فلو كنت في عهد (ابن يعقوب) لم يقل * لصاحبه : أذكرني ولا تنسني غداً^(٦)

- (١) كنى « بالصقر » عن الشرق . وفل السيف : نلم حده . وللفرار : الحد . والطرير : الحدد . يقال : طر السيف ونحوه يطره (من باب نصر) طرا وطرورا ، أى حده .
 (٢) الضمير في « شأوها » لأمة اليابان السابق ذكرها . والشاؤ : الغاية .
 (٣) الفاروق : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . (٤) يقول : اذا حاولت أمراً تكون غايته المجد والعلاء فافعله ، ولا تستشر غير عزيمك الوثاب ، وهنك البعده الغاية .
 (٥) المصفا : المقيد . (٦) يريد بهذا البيت : أن السجناء يتمنون بقاءهم في السجن لحسن أخلاقه وجميل عشرته ، فلو تولى السجن في عهد يوسف عليه السلام لآثر البقاء بجانبه في السجن ولم يقل لصاحبه الذي نجا : (اذكرني عند ربك) كما حكى الله تعالى ذلك في القرآن في سورة يوسف .

(١) مدحة كتب بها الى محمد بك هلال

(٢) هَجَمْتَ يَا طَيْرٌ وَلَمْ أَهْجِجْ * مَا أَنْتَ إِلَّا عَاشِقٌ مُدْعَى

(٣) لَوْ كُنْتَ تَمَنَّيَ يَعْرِفُونَ الْجَوَى * قَضَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ سُهْدًا مَعِي

(٤) يَا مَنْ تَحَامَيْتُمْ سَبِيلَ الْهَوَى * أَعْيَدُكُمْ مِنْ قَلْبِي الْمَضْجِعِ

(٥) وَحَسْرَةً فِي النَّفْسِ لَوْ قُسِّمَتْ * عَلَى ذَوَاتِ الطُّوقِ لَمْ تَسْجِعِ

وَيَا بَنِي الشُّوقِ وَأَهْلَ الْأَمَى * وَمَنْ قَضَوْا فِي هَذِهِ الْأَرْبَعِ

(٦) عَلَيْكُمْ مِنْ وَاجِدٍ مُغْرَمٍ * تَيْمَّةُ الْمُوجِعِ لِلْوَجِعِ

لِلَّهِ مَا أَقْسَى فِؤَادَ الدُّجَى * عَلَى فِؤَادِ الْعَاشِقِ الْمُوَلِّعِ

(٧) هَذَا غَلِيظٌ لَمْ يَرْضَهُ الْهَوَى * مَا يَبِينُ جَنِّيَ أَسْوَدٍ أَسْفَعِ

(٨) وَذَلِكَ فِي جَنِّيَ فَتَى مُدْنَفٍ * عَلَى سِوَى الرَّقَّةِ لَمْ يُطْبَعِ

- (١) هو ابن ابراهيم بك هلال؛ وكان — رحمه الله — شاعرا مجيدا وكاتباً فاضلاً، قد اشتغل بالصحافة زمناً غير قصير، وكانت له صحيفة أممها «التواب»، كما كان واسع العلم بأخبار ما حدث في البلاد في نصف القرن الأخير. وتوفي رحمه الله في ليلة الأحد ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٢ م.
- (٢) الهجوع: النوم بالليل. (٣) الجوى: الحرة وشدة الوجد من عشق أو حزن.
- (٤) تحامى الشيء: تجنبه وبعده. (٥) ذوات الطوق: الحمام؛ والطوق، هو البياض المحيط بأعناقها. وتسجع: تهلل وتردد أصواتها.
- (٦) الواجد: ذو الوجد.
- (٧) يشير بقوله: «هذا» إلى «فؤاد الدجى» السابق ذكره. وراضه يروضه: ذلله. والأسفع: الشديد السواد؛ يريد الليل.
- (٨) يشير بقوله: «ذاك» إلى فؤاد العاشق «السابق ذكره». والمدنف: الذي أثقله المرض المشرف على الموت.

(١) وَأَغْيِدِ أَسْكُتَهُ فِي الْحَشَا * وَقُلْتُ : يَا نَفْسُ بِهِ فَاقْنَسِي
 نِفَارُهُ أَسْرَعُ مِنْ خَاطِرِي * وَصَدُّهُ أَقْرَبُ مِنْ مَدْمَعِي
 (٢) وَخَدُّهُ لَا تَنْظِفِي نَارُهُ * كَأَنَّمَا يَقْبِسُ مِنْ أَضْلَعِي
 تَسَاءَلَتْ عَنِّي نُجُومُ الدُّجَى * لَمَّا رَأَيْتَنِي دَائِي الْمَصْرَعِ
 قَالَتْ : نَزَى فِي الْأَرْضِ ذَا لَوْعَةٍ * قَدَبَاتٌ بَيْنَ الْيَاسِ وَالْمَطْمَعِ
 (٣) يَبْتُ كَالْمَقْتُودِ أَوْ كَالَّذِي * أَصَابَهُ سَهْمٌ وَلَمْ يُتْرَعِ
 إِنْ كَانَ فِي بَدْرِ الدُّجَى هَائِمًا * أَمَا لِهَذَا الْبَدْرِ مِنْ مَطْمَعِ؟
 أَوْ كَانَ فِي ظَلِي الْجَمِيِّ مُغْرَمًا * أَمَا لِهَذَا الظُّلِيِّ مِنْ مَرْتَعِ؟
 (٤) هَيْهَاتَ يَا أَجْمُ أَنْ تَعْلَمِي * مُشِيرَ أَشْجَانِي أَوْ تَطْمَعِي
 (٥) إِنِّي لَضَنَانٌ يَذْكُرُ أَسْمِي * ضَنْنِي بُوَدَّ الْكَاتِبِ الْأَلْمِي
 (٦) الضَّارِبِ الْجَزِيَّةِ مِنْذُ أَنْتَشَى * عَلَى يَرَاعِ الشَّاعِرِ الْمُبْدِعِ

(١) الأغيد : المائل العنق ، الين الأعطاف ، المتنى لنا ؛ والأثى : غيداء .

(٢) قبس النار وأقتبسها : أخذ منها قبسا (بالتحريك) ، أى شعلة .

(٣) المقتود : المصاب بفؤاده .

(٤) أو تطمعي ، أى تطمعي في علم ذلك .

(٥) الضنان : الشديد الضن ، وهو البخل . والألمي : الذكي المتوقد ذكاء .

(٦) الجزية : ما يفرض من الضرائب على الروس . ومعنى البيت أن هذا المدوح قد فرض منذ نشأته على المبدعين من الشعراء أن يؤدوا إليه من المدح والثناء جزاء بما أسدى إليهم من النعم والآلاء . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة « انتشى » بمعنى نشأ ، كما هو المراد في هذا البيت .

- (١) والحاويل الأعلام مشروعة * كأنها بعض القنا الشرع
 (٢) اذا دعا القول أتى طائعا * وإن دعاه العي لم يسمع
 (٣) صحبته دهرًا فالقيته * قتي كريم الأصل والمنزع
 (٤) مودة كالتحريات عقت * جادت وفضل باسم المشرع
 (٥) وعزيمة لو قسمت في السورى * بأثوا من الشعرى على مسمع

تهنئة (على حيدر بك) بعيد الأضحى

وكان مديرا لبني سويف إذ ذاك

لله عيد كبير * يزهو بنور جبينك

(٦) لم تقبله البرايا * إلا للثم يمينك

- (١) المشروعة : المسددة نحو الغرض . والقنا : الرماح ، الواحدة قناة . والشرع ، بمعنى المشروعة .
 (٢) العي (بالكسر) : الحصر والعجز عن اليان . (٣) المنزع : الأصل الذى ينزع إليه
 أى يجذب ويميل ؛ ويقال : «نزع فلان الى عرق كريم» ، «ونزع الى أبيه» ، أى مال إليه وأشبهه .
 (٤) الحجر المعتقة (بتشديد التاء) : القديمة . والمشرع : المورد الذى يستقى منه . (٥) الشعرى :
 كوكب نير يطلع بعد الجوزاء . ومعنى البيت : أن عزمته لو وزعت على الناس لسماوا الى منزلة الشعرى .
 ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على قصتها .
 (٦) اقتبل الأمر : استقبله .

تهنئة سليمان أباطة باشا^(١)

بإبلاله من مرض ألم به ، وبعرس نجله (على بك)

تَرَأَى لَكَ الْإِقْبَالَ حَتَّى شَهِدْنَاهُ * وَدَانَ لَكَ الْمِقْدَارُ حَتَّى أَمِنَاهُ^(٢)

(سُلَيْمَانُ) ذَكَرْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ * بَعِزُّ (سُلَيْمَانَ) وَإِقْبَالِ دُنْيَاهُ^(٣)

إِذَا سِرْتَ يَوْمًا حَذَرَ النَّمْلَ بَعْضَهُ * نَحَافَةَ جَيْشٍ مِنْ مَوَالِيكَ يَغْشَاهُ^(٤)

وَإِنْ كُنْتَ فِي رَوْضٍ تَغَنَّتْ طُيُورُهُ * وَصَاحَتْ عَلَى الْأَفْنَانِ : يَحْرُسُكَ اللَّهُ^(٥)

وَكَانَ (أَبْنُ دَاوُدَ) لَهُ الرَّيْحُ خَادِمٌ * وَتَحْدُمُكَ الْأَيَّامُ وَالسَّعْدُ وَالجَاهُ

تَحُلُّ بِمَيْثِ الْأَجْدُ الْقَى رِحَالَهُ * «فَطَاهِرَةٌ» وَالْبَيْتُ وَالْقُدْسُ أَشْبَاهُ^(٦)

لَيْسَتْ الشَّنْفَا تَوْبًا جَدِيدًا مُبَارَكًا * فَالْبَسْتَنَا تَوْبًا مِنْ الْعِزِّ نَرَضَاهُ

وَكَانَ عَلَيْكَ الدَّهْرُ يَحْفِقُ قَلْبَهُ * فَلَمَّا شَفَاكَ اللَّهُ أَهْدَاتِ أَحْشَاهُ

وَهَنَّا جَدِيدَاهُ الزَّمَانَ وَأَصْبَحَتْ * تُسَوِّقُ لَنَا الْأَيَّامُ مَا تَتَمَنَاهُ^(٧)

- (١) سليمان أباطة باشا، هو ابن حسن أباطة؛ وكان مولده في نحو سنة ١٨٣٤م، وتولى عدة مناصب في الحكومة المصرية؛ وآخر منصب تولاه نظارة المعارف في عهد المغفور له توفيق باشا الخديوي عقب الثورة العرابية؛ وكانت وفاته في سنة ١٨٩٧م . (٢) تراءى لك : تصدى لك لراه . «ردان» : خضع . والمقدار : القدر بالتحريك . بالغ في تصوير الإقبال حتى جعله شيئاً يرى . (٣) يريد بسليمان الثاني نبي الله سليمان بن داود، عليهما السلام . (٤) يشير بهذا البيت الى ما حكاه الله تعالى عن النمل حين رأى نبي الله سليمان مقبلاً بجنوده، إذ قال تعالى في سورة النمل : (حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) . والموالى العبيد، الواحد مولى . (٥) الأفنان : الأغصان ، الواحد فنن (بالتحريك) . (٦) ألقى رحاله : أقام . وطاهرة : بلد باقليم الشرقية من أعمال مركز الزقازيق، وهو بلد المدوح . ويريد «بالبيت» : الكعبة . (٧) الجديدان : الليل والنهار . ولا يفردان، فلا يقال : الجديد لواحد منهما .

(١)
 وبات بنوك الغر ما بين رافيل * بحسلة يمن أو شكور لمولاه
 (سليمان) دم ما دامت الشهب في الدجى * وما دام يبرى ذلك البدر مسراه
 وكُن (علي) بهجة العرس إنه * بمزك في الأفراج تمت مزاياه
 ولا تنس من أمسى يقلب طرفه * فلم تر إلا أنت في الناس عيناه

(٢) فكتور هوغو

[نشرت سنة ١٩٠٧ م]

أعجبي كاد يعلو نجمه * في سماء الشعر نجمة العربي
 (٣)
 صانع العلياء فيها والتقى * « بالمعري » فوق هام الشهب
 (٤)
 ما تغور الزهر في أكامها * ضاحكات من بكاء السحب
 (٥)
 نظم الوشمي فيها لؤلؤا * كثنابا الغيد أو كالحبيب

(١) الغر : جمع أغتر ، وهو السيد الشريف الكريم الأفعال . ورفل في ثوبه : جر ذيله وتجنثر .
 والين : البركة . (٢) هو الشاعر الفرنسي المعروف ، ولد سنة ١٨٠٢ م ، وكانت وفاته بباريس
 سنة ١٨٨٥ م . ومن كتبه : كتاب البؤساء الذي نقله الى العربية المرحوم حافظ بك . وفي هذه
 القصيدة يشير حافظ الى نفي فيكتور بامر لويس بوناپرت في سنة ١٨٥١ م الى خصوصية فريجنه في منفاه ،
 وكثرة ما وضع من المؤلفات . (٣) الهام : اليريس ، الواحدة هامة . وقد قارنه بأبي العلاء
 المعري لأبنت كليما شاعر فيلسوف . (٤) الأكام : جمع كم ، وهو غطاء الزهر ، وكفى
 بضحك الأزهار عن فتحها . ويريد « بكاء السحب » : مطرها . (٥) الوشمي : المطراول
 الربيع . والثنايا : الأسنان الواحدة ثنية (فتح الثاء وتشديد الياء) . والنفيد : جمع غيداء ، وهي المرأة
 المتثنية لنا .

(١) عند مَنْ يَقْضِي بِأَبْهَى مَنظَرًا * مِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي تَلْعَبُ بِي

بَسَمَتْ لِلذَّهْنِ فَاسْتَهَوَتْ نُهَى * مُغْرِمَ الْفَضْلِ وَصَبَّ الْأَدَبِ

(٢) وَجَلَّتْهَا حِكْمَةً بِالْفَنَةِ * أَعْجَزَتْ أَطْوَاقَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ

(٣) سَائِلُوا الطَّيْرَ إِذَا مَا هَاجَكُمْ * شَدُّهَا بَيْنَ الْهَوَى وَالطَّرِبِ

(٤) هَلْ تَغْنَّتْ أَوْ أَرَنْتِ بِسَوَى * (شِعْرٌ هُوَ غَوِيٌّ) بَعْدَ عَهْدِ الْعَرَبِ

(٥) كَانَ مَرَّ النَّفْسِ أَوْ تَرْضَى الْعَلَا * تَنْظَمًا الْأَفْلَاكَ إِنْ لَمْ يَشْرِبِ

(٦) عَاقَ فِي مَنَافَاهُ أَنْ يَدْتُو بِهِ * عَقُو ذَاكَ الْقَاهِرَ الْمُتَقَصِّبِ

(٧) بَشُرُوهُ بِاللَّدَانِي وَنَسُوا * أَنَّهُ ذَاكَ الْعِصَامِيُّ الْأَبِي

(٨) كَتَبَ الْمَنِيُّ سَطْرًا لِلذِّي * جَاءَهُ بِالْعَفْوِ فَاقْرَأْ وَأَعْجِبِ

أَبْرِيءٌ عَنْهُ يَعْفُو مُذْنِبٌ ؟ * كَيْفَ تُسَدِّي الْعَفْوُ كَفَّ الْمُنْذِبِ ؟

(٩) جَاءَ وَالْأَحْلَامُ فِي أَصْفَادِهَا * مَا لَهَا فِي سِجْنِهَا مِنْ مَذْهَبِ

(١) يقضى : يحكم . وأبهى منظرا : خير «لما» في قوله السابق : «ما تغور» الخ .

(٢) جللتها : صقلتها . والأطواق : جمع طوق ، وهو الطاقة والجهد . (٣) شدوها :

تفريدها وترجمها . (٤) أرنت : صاح . (٥) مر النفس : شديد المراس .

(٦) يشير إلى نفي فكتور سنة ١٨٥١ إلى بروكسل حين اشترك في الحرب ضد لويس بوناپرت ، وقد بقي

بعيدا عن وطنه ثمانى عشرة سنة ، وقد أقسم ألا يعود إلى أرض فرنسا ما دام الامبراطور على العرش ، ولقد برز

يقسده ، فلم يعد إليها إلا بعد سقوط الامبراطور سنة ١٨٧٠ م . ويريد «بالقاهر المتقصب» : لويس بوناپرت

السابق ذكره . (٧) العصامي : الذى ساد بنفسه ، نسبة إلى عصام المذكور في قول الشاعر :

* نفس عصام سودت عصاما *

(٨) المنى : فكتور هوجو . (٩) الأحلام : العقول ، الواحد حلم (بالكسر) .

والأصفاة : القيود ، الواحد صفاة (بالتحريك) .

(١) طَبَعَ الظُّلْمُ عَلَى أَقْفَالِهَا * يَلْظَاهُ خَاتَمًا مِنْ رَهَبٍ
 (٢) أَمَنَّ التَّقْلِيدُ فِيهَا فَغَدَّتْ * لَا تَرَى إِلَّا بَيْنَ الْكُتُبِ
 (٣) أَمَرَ التَّقْلِيدُ فِيهَا وَنَهَى * بِجُيُوشٍ مِنْ ظِلَامِ الْحُجُبِ
 (٤) جَاءَهَا (هُجُوجٌ) بَعَزِمٌ دُونَهُ * عِزَّةُ التَّاجِ وَزَهْوُ الْمَوَكِبِ
 (٥) وَأَنْبَرِيٌّ يَصْدَعُ مِنْ أَغْلَالِهَا * بِالْيَرَّاعِ الْحُرِّ لَا بِالْقُضْبِ
 (٦) هَالَهُ أَلَّا يَرَاهَا حُرَّةً * تَمْتَطِي فِي الْبَحْثِ مَتْنِ الْكَوَكِبِ
 سَاءَهُ أَلَّا يَرَى فِي قَوْمِهِ * سِيرَةَ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ
 قُلْتَ عَنْ نَفْسِكَ قَوْلًا صَادِقًا * لَمْ تُشَبَّهُ شَائِبَاتُ الْكَاذِبِ :
 أَنَا كَالْمَنْجَمِ تَبْرُوتِي * فَاطْرَحُوا تُرْبِي وَصُونُوا ذَهَبِي

تهنئة سمو الخديوي عباس الثاني بعيد الأضحى^(٧)

(١٣٢٥ هـ - ١٩٠٨ م)

سَكَنَ الظُّلَامُ وَبَاتَ قَلْبُكَ يَخْفِقُ * وَسَطًا عَلَى جَنْبَيْكَ هَمٌّ مُقْلِقُ
 (٨) حَارَ الْفِرَاشُ وَحَرَّتْ فِيهِ فَأَنْتَمَا * تَحْتِ الظُّلَامِ مَعْدَبٌ وَمُورِقُ

- (١) اللغى : النار . (٢) أمنن : بالغ . (٣) الزهو : الاختيال . (٤) يصدع : يكسر ويحطم . والأغلال : السلاسل ، الواحد غل (بضم الغين وتشديد اللام) . والقضب : السيوف ، الواحد قضيب . (٥) المتن : الظهر . (٦) لم تشبه : لم تتخالطه . (٧) في هذه القصيدة يشكر سمو الخديوي على عفوه عن مسجونى دنشواى . وهو يجارى بهذه القصيدة قصيدة اسماعيل صبرى باشا التى مطلعها :
 لو أن أطلال المنازل تنطق * ما ارتد حران الجوانح شيق
 (٨) المؤرق : المسهد الذى ذهب عنه النوم .

(١) دَرَجَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مَفْتُونُ الْمُنَى * وَمَضَى الشَّبَابُ وَأَنْتَ سَاهٍ مُطْرِقُ
عَجَبًا يَلِدُ لَكَ السُّكُوتُ مَعَ أَهْوَى * وَسِوَاكَ يَبْعَثُهُ الْغَرَامُ فَيَنْطِقُ
(٢) خَلَقَ الْغَرَامُ لِأَصْغَرِيكَ وَطَالَمَا * ظَنُّوا الظُّنُونَ بِأَصْغَرِيكَ وَأَغْرَقُوا
وَرَمَوْكَ بِالسَّلْوَى وَلَوْ شَهِدُوا الَّذِي * تَطْوِيهِ فِي تِلْكَ الضُّلُوعِ لِأَشْفَقُوا
(٣) أَخْفَيْتَ أَسْرَارَ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا * سِرُّ الْفُؤَادِ مِنَ النَّوَاطِرِ يَسْرِقُ
(٤) نَفْسَ رَبِّكَ عَنِ فُؤَادِكَ كَرْبَهُ * وَأَرْحَمَ حَشَاكَ فَإِنَّمَا تَمَزَّقُ
وَإِذْ كُنَّا لَنَا عَهْدَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ * جَمَعُوا عَلَيْكَ هُمُومَهُمْ وَتَفَرَّقُوا
(٥) مَا لِلْقَوَافِي انْتَرَكْتَ وَلَمْ تَكُنْ * لِكَسَادِهَا فِي غَيْرِ سُوقِكَ تَنْفَقُ
(٦) مَا لِلْيَاثِ بَغْيٌ بِإِيكَ وَإِقْفَا * يَبْكِي وَيُعْجِلُهُ الْبُكَاءُ فَيَشْرِقُ
(٧) إِنِّي كَهَمِّكَ فِي الصَّبَابَةِ لَمْ أَزَلْ * أَلْهُوُ وَأُرْتَجِلُ الْقَرِيضَ وَأَعشَقُ
نَفْسِي بِرَغْمِ الْحَادِثَاتِ فِتْنَةً * عُوْدِي عَلَى رَغْمِ الْكَوَارِثِ مُورِقُ
(٨) إِنَّ الَّذِي أَغْرَى الشُّهَادَ بِمُقَلَّتِي * مَتَعَنَتْ قَلْبِي بِهِ مَتَعَلَقُ
(٩) وَاتَّقْتَهُ إِلَّا أَبُوحَ وَإِنَّمَا * يَوْمَ الْحِسَابِ يُحَلُّ ذَاكَ الْمَوْثِقُ

- (١) درج : ذهب ومضى ، ومفتون المتى ، أى طامع فيما لا ينال . (٢) الأصفران : القلب واللسان . وأغرقوا : بالنوا وأفرطوا . (٣) يقول : إن ما يكتمه الفؤاد تبديه العين . (٤) نفس : فرج وخفف . (٥) تنفق : تروج . (٦) يشرق : يفص . (٧) الهم : العزم والقصد . (٨) أغراه به : أوله به وحضه عليه . (٩) واقته : عاهده . يريد أن سرجه سيظل مكنوما الى يوم القيامة .

وَشَقِيْتُ مِنْهُ بِقُرْبِهِ وَيَعَادِهِ * وَأَخُو الشَّقَاءِ إِلَى الشَّقَاءِ مُوقِفٌ
 صَاحِبْتُ أَسْبَابَ الرِّضَا لِرُكُوبِهِ * مَتْنُ الخِلَافِ لِمَا بِهِ انْخَلَقُ^(١)
 وَصَبْرْتُ مِنْهُ عَلَى الَّذِي يَمِيَا بِهِ * حِلْمُ الحَلِيمِ وَيَتَّقِيهِ الأَحْمَقُ^(٢)
 أَصْبَحْتُ كَالدَّهْرِيِّ أَعْبُدُ شَعْرَهُ * وَجِينَهُ وَأَنَا الشَّرِيفُ المُعْرِقُ^(٣)
 وَغَدَوْتُ أَنْظِمُ مِنْ شَيْءٍ يَغْيِرُهُ * دُرًّا أَقْلَدُهَا المَهَا وَأَطُوقُ^(٤)
 (صَبْرِي) أَسْتَرْتُ دِفَائِنِي وَهَزَزْتَنِي * وَأَرَيْتَنِي الإِبْدَاعَ كَيْفَ يُنْسَقُ^(٥)
 فَاجْتَمَتْ لِي شَكْوَى الهَوَى وَسَبَقْتَنِي * فِي مَدْحِ (عَبَّاسٍ) وَمِثْلِكَ يَسْبِقُ
 قَالَ الرَّئِيسُ فَمَا لِقَوْلٍ بَعْدَهُ * بَاعَ تَطُولُ وَلَا لَمَدُجَ رَوْنِقُ^(٦)
 (شَوْقِي) نَسَبْتُ فَمَا مَلَكْتُ مَدَامِعِي * مِنْ أَنْ يَسِيلَ بِهَا النَّسِيبُ الشَّقِيقُ^(٧)

- (١) المتن : الظاهر . وركوبه متن الخلاف : كناية عن المغاضبة والشقاق . يقول : إنى وإياه
 مختلفان ، أنا ملازم فعل ما يرضيه ، وهو دائب على أن يخالف ما فى طبعى وأخلاقى . (٢) يعيا به :
 يعجز عنه . (٣) الدهرى : الملحد الذى ينكر الإله وينسب الفعل الى الدهر . ونخص الشاعر
 الشعر والجين بالذكر لما فى الأول من سواد يشبه ظلمة الليل ، وما فى الثانى من تألق يشبه بياض النهار ؛
 وليس الدهر إلا الليل والنهار . وهو فى البيت يعجب من جمعه بين شبه متباينين : إلحاد فى العقيدة ، وشرف
 فى النسب . والمعرق (فتح الراء وكسرهما) : الذى له أصل فى الكرم . (٤) المهيا : البقر الوحشى ،
 يريد النساء التى تشبهها فى جمال العيون ، الواحدة مهاة . (٥) استنار : هيج . ويريد « بالدقائن » :
 ما يضره القلب من الشجون ، الواحدة دقية . ويشير بذلك الى قصيدة صبرى التى أوردنا مطلعها فيما سبق .
 (٦) يريد « بالرئيس » : اسماعيل صبرى باشا . وطول الباع : كناية عن اتساع المقدرة وقوة
 الاستطاعة . (٧) يريد أحمد شوقى بك الشاعر . والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن .
 ويريد « بالشيق » : الشائق ؛ والذى وجدناه فى كتب اللغة أن « الشيق » بمعنى المشتاق ؛ وليس مرادنا
 هنا . ويشير بهذا البيت الى قصيدة شوقى فى هذا العيد ، والتى جارى فيها صبرى ، ومطلعها :
 أما التناوب فبالأحبة أخلق * والحب يصلح بالعتاب ويصدق

(١) أَعْجَزَتْ أَطْوَاقَ الْأَنَامِ مِدْحَةٍ * سَجَدَ الْبَيَانُ لِرَبِّهَا وَالْمَنْطِقُ
 لَمْ تَتْرُكْ لِي فِي الْمَدَائِحِ فَضْلَةً * يَجْرِي بِهَا قَلَمِي الضَّعِيفُ وَيَلْحَقُ
 نَفْسِي عَلَى شَوْقٍ لِمَدْحِ أَمِيرِهَا * وَيَرَاعَتِي بَيْنَ الْأَنَامِلِ أَشَوْقُ^(٢)
 مَاذَا أَقُولُ وَأَنْتَ فِي مَدْحِهِ * بَحْرَانِ بَاتَ كِلَاهُمَا يَتَدَقُّ
 الْعَجْزُ أَقْعَدَنِي وَإِنَّ عَزَائِمِي * لَوْلَا كَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ تُحَلَّقُ^(٣)
 فَلَيْتَنِي الْعَبَّاسُ أَنْ بَكَفَّهُ * عَلَمَيْنِ مِنْهُمَا الْوَلَاءُ الْمَطْلُوقُ^(٤)
 وَيَسْتَقُ ذُنُورًا لِلْبِلَادِ وَأَهْلِهَا * يَعْفُو وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْتِقُ
 (عَبَّاسُ) وَالْعَيْدُ الْكَبِيرُ كِلَاهُمَا * مَتَأَلَّقُ بِإِزَائِهِ مَتَأَلَّقُ
 هَذَا لَهُ تَجْرِي الدَّمَاءُ وَذَا لَهُ * تَجْرِي الْقَرَائِحُ بِالْمَدِيحِ وَتَعْنِقُ^(٥)
 صَدَقَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِيهِ وَحَسْبُهُ * أَنْ الزَّمَانَ لِيَا يَقُولُ مُصَدِّقُ:
 (لَكَ مِصْرٌ مَاضِيهَا وَحَاضِرُهَا مَعًا * وَلَكَ الْغَدُ الْمُنْتَحِمُ الْمُبْتَحِقُ)^(٦)

(١) الأطواق : جمع طوق ، وهو الوسع والطاقة . (٢) البراعة : القلم .

(٣) السماء : أحد مجيبي نيرين يقال لأحدهما : السماء الراح ، والآخر : السماء الأعزل .

(٤) يريد « بالعلمين » : صبرى وشوقى السابق ذكرهما .

(٥) هذا ، أى العيد الكبير . ويشير بقوله « تجرى الدماء » : الى دماء الأضاحى . وذا ، أى

العباس . وتعنى : تسرع .

(٦) هذا البيت من قصيدة صبرى فى هذا العيد ، والتي أشرنا الى مطلعها فيما سبق .

(١)
تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه

[نشرت في أول سبتمبر سنة ١٩٠٨ م]

(٢)
أَتَى الْحَجِيجُ عَلَيْكَ وَالْحَرَمَيْنِ * وَأَجَلَ عِيدَ جُلُوسِكَ الثَّقَلَيْنِ
أَرْضَيْتَ رَبَّكَ إِذْ جَعَلْتَ طَرِيقَهُ * أَمْنًا وَفُزْتَ بِنِعْمَةِ الرِّضْوَانِ
وَجَمَعْتَ بِالْمُسْتَوْرِ حَوْلَكَ أُمَّةً * شَتَّى الْمَذَاهِبِ بَحْمَةِ الْأَضْغَانِ
فَعَدَوْتَ تَسْكُنُ فِي الْقُلُوبِ وَتَرْتَعِي * حَبَابِهَا وَتَحُلُّ فِي الْوِجْدَانِ
رَاعَيْتَهُمْ حَتَّى عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ * بَلَّغُوا أَشَدَّهُمْ عَلَى الْأَزْمَانِ
فَجَعَلْتَ أَمْرَ النَّاسِ سُورَى بَيْنَهُمْ * وَأَقَمْتَ شَرْعَ الْوَاحِدِ الدِّيَانِ
لَوْ أَنَّهُمْ وَزَنُوا الْجِيُوشَ بِمَشْهَدِ * رَجَحْتَ بِمِجْيَشِكَ كِفَّةَ الْمِيزَانِ
لَوْ شَاءَ زَلَزَلَهَا عَلَى أَعْدَائِهِ * أَوْ شَاءَ أَذْهَلَهَا عَنِ الدَّورَانِ
يَمْشُونَ فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ إِلَى الْعِدَا * وَكَأَنَّهُمْ سَدُّ مِنَ الْإِنْسَانِ
وَكَأَنَّ مَقْدَمَهُمْ إِذَا لَمَعَ الضُّحَى * سَيْلٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ وَالْمُرَّانِ
يَتَوَاقِعُونَ عَلَى الرَّدَى وَصُفُوفُهُمْ * رَغَمَ الْوُثُوبِ كُنَّيْتِ الْبُيَّانِ

- (١) انظر التعريف بالسلطان عبد الحميد في الحاشية رقم ٤ ص ١٥ من هذا الجزء . (٢) الحجيج : جمع حاج . والثقلان : الإنس والجن . (٣) حبات القلوب : سويداواتها . وترتعي حباتها : الارتعاء : الرعى ؛ وهو تبالغة في تعلق القلوب به . (٤) زلزلها وأذهلها ، أى الأرض . يصف جيشه بالقوة والكثرة ، حتى إنه لو شاء أمال الأرض بأعدائه ، أو جعلها تقف ذاهلة لما ترى من بأسه وقوته . (٥) حلق الحديد : الدروع . (٦) الهندي : السيف . والميزان : الرماح القوية اللدنة ، الواحدة : مرانة . (٧) الردى : الهلاك .

فإذا المدافعُ في التّزَالِ تَجَاوَبَتْ * بزئيرها وتلاحم الجيْشانِ
 (١)
 وإذا القنابيلُ دَمَدَمَتْ وَتَهَجَّجَتْ * تحت الغبارِ تَهَجَّرَ البرُكانِ
 (٢)
 وإذا البنادقُ أرسَلتْ نيرانها * طلقاً وأسبابُ الملاكِ دواني
 (٣)
 أبصرتْ جنّاً في مسالِحِ قتيّة * وشهدتْ أفئدةً من الصُّوانِ
 (٤)
 مرهمٌ يخوضوا الزّاحراتِ وينسفوا * شُمَّ الجبالِ قُوّةَ الإيمانِ
 (٥)
 تَلَجَّتْ صُدُورُهُمْ وَقَرَّ قُرَارُهُمْ * لما حَلَقَتْ بأوثقِ الأيمانِ
 (٦)
 تالله ما شكُّوا بصدقك دُونها * هم يعرفون شمائلَ السُّلطانِ
 (٧)
 لكنهم درجوا على سننِ به * لوقايةِ الدُّستورِ خيرَ ضمانِ
 (٨)
 بأيها الشعبُ الكَرِيمُ تَماسَكُوا * وخُذُوا أُمُورَكُمْ بِغَيْرِ قِوَانِي
 مالي أذكركم وتلك رُبُوعكم * مرعى النّهي ومنايتُ الشُّجَمانِ
 أدركتم الدُّستورَ غيرَ ملوثٍ * بدمٍ ولا مُتَلَطِّخاً بهوانِ

(١) استعمال «القنابل» بمعنى قذائف المدافع، استعمال شائع في لغة العصر؛ ولم ترد به لغة العرب.
 ودمدمت عليهم، أي أرحفت الأرض بهم وأطبقت عليهم العذاب. (٢) طلقاً (بضم الطاء واللام)،
 أي انطلاقاً بلا احتباس ولا تقييد. (٣) المسالِح والمسالِح: الجلود، الواحد: مسلخ.
 يقول: إنهم جن في صور الإنس. (٤) الزّاحرات: البحار. وشُمَّ الجبال: أعاليها.
 (٥) تلج صدره بالشيء: برد وأطمأن وسكن قلبه إليه. ويريد «بأوثق الإيمان»: الإيمان التي حلفها
 السلطان على احترام الدستور. (٦) دونها، أي دون الإيمان. (٧) درجوا: ساروا.
 والسنن (بالتحريك): الطريق. يقول: إنهم ساروا على الطريقة الدستورية المتبعة في جميع الممالك
 وهي أن يحلف الملك الإيمان على احترام الدستور، وإن كان الملك مقطوعاً بصدقه عند رعيته، ولكن
 ليكون ذلك الحلف ضماناً للدستور. (٨) الهوان: القتل.

وَفَعَلْتُمْ فِعْلَ الرِّجَالِ وَكُنْتُمْ * يَوْمَ الْفَخَّارِ كَأْتَمَةِ الْيَابَانِ
 فَتَفَيْشُوا ظِلَّ الْهَيْلَالِ فَإِنَّهُ * جَمُّ الْمَبْرَةِ وَاسِعُ الْإِحْسَانِ ^(١)
 يَرَعَى مُوسَى وَالْمَسِيحَ وَأَحْمَدَ * حَقَّ الْوَلَاءِ وَحُرْمَةَ الْأَدْيَانِ
 نَخَذُوا الْمَوَاتِقَ وَالْعُهُودَ عَلَى هُدَى الْ * نُبُوءِ الْوَرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
 وَتَذَوَّقُوا مَعْنَى الْحَيَاةِ فَإِنَّهَا * فِي مِصْرَ الْقَطَاظِ بَغِيرِ مَعَانِي
 وَدَعُوا التَّقَاطُعَ فِي الْمَذَاهِبِ بَيْنَكُمْ * لِأَنَّ التَّقَاطُعَ آيَةُ الْخِذْلَانِ ^(٢)
 وَتَسَابَقُوا لِلْبَاقِيَاتِ وَأُظْهِرُوا * لِلْعَالَمِينَ دَفَائِنَ الْأَذْهَانِ ^(٣)
 وَلَى زَمَانُ الْمُعْتَدِينَ كَمَا أَنْطَوَتْ * حَيْلُ الشُّيُوخِ وَإِمْرَةُ الْخِصْيَانِ ^(٤)
 لَا الشُّكُّ يَذْهَبُ بِالْيَقِينِ وَلَا الرَّؤْيُ * مُجْدَى الْمُسِيءِ وَلَا رُقَى الشَّيْطَانِ ^(٥)
 وَوَضَعَ الْكِتَابُ وَسِيْقَ جَمْعُهُمْ إِلَى * يَوْمِ الْحِسَابِ وَمَوْقِفِ الْإِذْهَانِ

(١) تفيشوا ظل الهلال ، أى التجشوا إليه واستظلوا به ، يقال : تفياً الشجرة ، إذا دخل
 فى أفياؤها ، أى ظلها ، واستظل بها . (٢) الباقيات : المآثر الخالدة بمد زوال أصحابها .
 ويريد «دقائق الأذهان» : نتائج القرائح وثمرات العقول . (٣) يريد «بإمارة الخصيان» :
 السلطة التى كانت للافتاوات فى القصور . (٤) الرؤى : الأحلام ، الواحدة : رؤيا . والرقى :
 جمع رقية ، وهى العوذة التى يرقى بها من به علة . ويشير «بالرؤى والرقى» : الى أحوال أبى الهدى العبيدى
 فى زمن السلطان عبد الحميد ، وما كان يدخل به الى قلب السلطان من الحيل والأكاذيب بالرقى والتعاريذ
 والأحلام وغير ذلك . (٥) يشير بقوله : «وضع الكتاب» : الى قوله تعالى إخباراً عما يكون
 فى البعث يوم الحساب : (وضع الكتاب قترى المجرمين) الآية . والمراد بوضع الكتاب هنا : الاستعداد
 لحساب المجرمين من الشعب على ما قدمت أيديهم قبل الدستور . والكتاب ، هو السجل الذى أحصيت
 فيه أعمالهم . والإذنان : الخضوع والافتقار .

- (١) **وَتُوسَمُوهُمْ فِي الْقِيُودِ فِقَائِلُ * هَذَا فُلَانٌ قَدِ وَشَى بِفُلَانٍ**
 (٢) **وَمَلَّبَبٍ لَفْرِيْمِهِ وَمُطَالِبُ * بَدِمَ أَرِيْقَ بِمَسِيْحِ الْجِيْتَانِ**
 (٣) **قَدِ جَاءَ يَوْمَهُمْ هُنَا ، وَأَمَامَهُمْ * بَعْدَ النُّشُورِ هُنَاكَ يَوْمَ ثَانِي**
 (٤) **سُبْحَانَ مَنْ دَانَ الْقَضَاءُ بِأَمْرِهِ * لِيَدِ الضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ الْجَانِي**
 (٥) **يَا يَوْمَ عَادَ النَّازِحُونَ لِأَرْضِهِمْ * يَتَسَابِقُونَ لِرُؤْيَةِ الْأَوْطَانِ**
 (٦) **لِلَّهِ كُمْ أَطْفَاتٍ مِنْ نَارٍ ذَكَتْ * دَهْرًا وَكَمْ هَدَّاتٍ مِنْ أَشْجَانِ**
 (٧) **هَذَا يَطِيرُ إِلَى (فُرُوقٍ) وَمَنْ بِهَا * شَوْقًا وَذَاكَ إِلَى رَبِّي لُبْنَانِ**
 (٨) **خَلَعُوا الشَّبَابَ عَلَى الْبَشِيرِ وَأَخْلَقُوا * بِاللَّثَمِ عَهْدَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ**
 (٩) **وَتَعَانَقُوا بَعْدَ النَّوَى نَحْمَائِلُ * يَجْلُو بَيْنَ تَعَانُقِ الْأَغْصَانِ**
قَتَرَى النَّسَاءَ مَعَ الرَّجَالِ سَوَافِرًا * لَا يَتَّقِينَ عَوَادِي الْأَجْفَانِ

(١) توسمهم ، أي تفرسوا في وجوههم وتعترفهم . (٢) يقال : لب فلان فلانا ، إذا أخذ بتليبه ، أي جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثم جرّه . ومسبح الجيتان : البحر . يشير إلى من كان يأمر السلطان بإغراقهم في مضيق البسفور . (٣) النشور : الإحياء بعد الموت ، أي يوم القيامة . (٤) « دان القضاء » الخ : أي اقتص للضعيف من القوى . (٥) النازحون : البعدون ؛ ويريد رجال السياسة الذين كان قد نقاهم السلطان عبد الحميد عن بلادهم لمطالبتهم بإياه بالدستور . (٦) ذكت النار : اشد لها . (٧) فروع (بفتح الفاء) : اسم القسطنطينية . والرب : جمع ربوة ، وهي ما أرتفع من الأرض . (٨) خلعوا الشباب على البشير ، أي انهم كادوا من فرخهم يبشرى العودة إلى بلادهم يجلعون على من بشرهم بذلك حل شبابهم بدل ثيابهم . وأخلقوا باللثم الخ ، أي أكثروا من تقبيل عهد الخليفة إلى أن صار كالثوب الخلق ، أي الرث البالي . ويريد « بعهد الخليفة » : الفرمان المكتوب بعهد إليهم ، وتأمين الخائفين منهم . (٩) الخمائيل : جمع نخيلة ، وهي الموضع الكثير الشجر .

عَجَبًا لَهَنَ وَقَدْ خُلِقَنَ أَوَانِسَا * يَبْرُزَنَ فِي فَرَجٍ وَفِي أَحْزَانِ
 أَهْلًا بِحَاسِرَةِ اللَّثَامِ وَمَنْ إِذَا * سَفَرَتْ عَنَّا لَجْمَاهَا الْقَمْرَانِ
 خَطَرَتْ فَعَطَّرَتْ الْمَشَارِقَ عِنْدَمَا * هَبَّتْ نَسَائِمُهَا مِنَ الْبَلْقَانِ
 يَأَلِيهَا خَطَرْتُ بِمَضْرٍ وَأَشْرَقَتْ * فِي يَوْمٍ أَسْعِدِيهَا عَلَى طُهْرَانِ
 أَضْنَاهُمَا شَوْقٌ قَدْ أَبْيَضَتْ لَهُ * كَبِدَاهُمَا وَتَصَدَّعَ الْقَلْبَانِ
 عَرَفَ الْوَرَى مِيقَاتَهَا فَتَرَقَّبُوا * (تَمُوزُ) مِثْلَ تَرَقَّبِ الظَّمَانِ
 شَهْرٌ بِهِ بَعَثَ الرَّجَاءُ وَأَنْشِرَتْ * أُمَّمٌ وَبُدِّلَ خَوْفُهُمْ بِأَمَانِ
 فَلَهُ عَلَى الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ نِعْمَةٌ * يَشْدُو بِذِكْرِ صَنِيعِهَا الْفَتَيَانِ
 وَعَلَى فَرَنْسِيْسِ الْحَضَارَةِ مِنَّةٌ * تُثَلِّي أَنَاشِيدُهَا وَأَغَانِي
 تَمُوزُ، أَنْتَ أَبُو الشُّهُورِ جَلَالَةٌ * تَمُوزُ، أَنْتَ مَنَى الْأَسِيرِ الْعَانِي
 هَلَّا جَعَلْتَ لَنَا نَصِيْبًا عَلْنَا * تَجْرِي مَعَ الْأَحْيَاءِ فِي مَيْدَانِ
 أَيْبُودُ مِنْكَ الْأَمِلُونَ بِمَا رَجَوْا * وَنَعُودُ نَحْنُ بِذَلِكَ الْحِرْمَانِ

- (١) حاسرة اللثام : كاشفته . ويريد بها الحرية . وعنا : نخضع . والقمران : الشمس والقمر .
 (٢) طهران : مدينة بـإيران معروفة ، وهي عاصمتها . يمتنى في هذا البيت الدستور والحرية لمصر وإيران
 مثل تركيا . (٣) أضناه الشوق : أسقمه . وأبيضاض الكبد : كناية عن شدة الحزن .
 (٤) ميقاتها : وقتها . وتموز : اسم شهر من السنة المسيحية ، يقابل شهر يوليو ، وهو الشهر الذي نالت
 فيه الأمة العثمانية دستورها ، كما نالت فيه فرنسا حريتها ، واستقلت فيه أمريكا ؛ ولهذا جعله الشاعر
 ميقات الحرية وإبانها . (٥) أنشرت : من الإنشار ، وهو الإحياء بعد الموت .
 (٦) الدنيا الجديدة : أمريكا . ويشدو : يترنم . والفتيان : الليل والنهار .

تَمْوِزُ، إِنَّ بِنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةً * فَتَى الْأَوَانُ وَأَنْتَ خَيْرُ أَوَانٍ
 (١)
 مَنِّي عَلَى دَارِ السَّلَامِ تَجِيَّةٌ * وَعَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ
 (٢)
 وَعَلَى رِجَالِ الْجَيْشِ مِنْ مَا شِئْتُ بِهِ * أَوْ رَاكِبٍ أَوْ نَازِحٍ أَوْ دَانِي
 (٣)
 وَعَلَى الْأَلَى سَكُنُوا إِلَى الْحُسْنَى سَوَى * ذَاكَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْعِصْيَانِ
 (٤)
 وَإِلَى الْجِجَارِ الْخَارِجِيِّ وَمَا بِهِ * إِلَّا اقْتِنَاصُ الْأَصْفَرِ الرَّانِ
 (٥)
 مَا لِلشَّرِيفِ الْمُتَمَيِّ حَسَبًا إِلَى * خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ
 (٦)
 أَمْسَى بِمَالِكِهِ وَيَنْصُرُ غِيَّهُ * وَضَلَّاهُ بِجُمَالَةِ الْعُرْبَانِ
 (٧)
 تَاللهِ لَوْ جَنَّدْتُمَا رَمْلَ النَّقَا * وَنَزَلْتُمَا بِمَوَاطِنِ الْعِقْبَانِ
 (٨)
 وَغَرَسْتُمَا أَرْضَ الْجِجَارِ أَسِنَّةً * وَأَسَلْتُمَا بَحْرًا مِنَ النَّبْرَانِ
 (٩)
 وَأَقَمْتُمَا فِيهَا الْمَعَاقِلَ مَنَعَةً * مِنْ أَرْضِ تَمَجْدٍ إِلَى خَلِيجِ عُثْمَانَ
 (١٠)
 لَدَهَا تُكْمًا وَرَمَاكُمَا وَذَرَاكُمَا * مَا حَى الْحُصُونِ وَمَا سَحَى الْبُلْدَانِ
 إِنَّ تَأْتِيَا طَوْعًا وَإِلَّا قَاتِيَا * كَرَهَا بِلَا حَوْلٍ وَلَا سُلْطَانِ

- (١) دارالسلام : الآسنة . (٢) النازح : البعيد . (٣) سكنوا الى الحسنى :
 اطمانوا اليها ولاذوا بها . (٤) الأصفر الزنان : الذهب . ويشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان
 يضمه والى الجواز والشريف من عديان السلطان والانتقاض عليه إذ ذلك . (٥) الشريف :
 أمير مكة . والمتمي : المنتسب . (٦) يمالكه : يشايه . والختالة : سفلة الناس . (٧) الضمير
 في «جندتما» يعود الى والى الجواز وشريف مكة . والنقا : القطعة العظيمة من الرمل تنقاد محدودبة ، شبه بها
 الجنود في كثرة العدد . ويريد « بمواطن العقبان » : رهوس الجبال ، إذ هي التي تسكنها . والعقبان :
 جمع عقاب ، وهو من جوارح الطير ، وتسميه العرب بالكاسر . (٨) يريد « بالأسنة » : الرماح .
 (٩) المعادل : الحصون ، الواحد معقل . (١٠) يقال : ذرت الريح التراب في الهواء
 تذرره ذرورا وتذريه ذريا ، إذا فرقه وأطارته . ويريد « بماحى الحصون » الخ : السلطان .

- (١) وَإِلَيْكَ يَا فَرَعَ الْخَلَائِفِ مِدْحَةً * عَزَّتْ شَوَارِدُهَا عَلَى (حَسَانِ)
- (٢) مِنْ شَاعِرٍ تَتَبُّ النَّهْيَ لِقَرِيضِهِ * وَتَبَّ النَّفْسِ لِرَنَّةِ الْعِيدَانِ
- (٣) يَهْدِي الْمَدِيحَ إِلَى الْمَلِكِ سَبَائِكًا * تَعْنُو لَهْنُ سَبَائِكِ الْعَقْيَانِ
- (٤) إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا أَسْتَوَتْ أَلْبَسَتْهَا * بِالْمَدْحِ تَيْجَانًا عَلَى تَيْجَانِ

إلى أحمد شوقي^(٥) بك

يهنته حين أنعم عليه بالرتبة الأولى العلمية

إِنَّ هَنَاؤَكَ بِهَا فَلَسْتُ مُهِنًّا * إِنِّي عَهْدْتُكَ قَبْلَهَا مَحْسُودًا
قَدْ كَانَ قَدْرُكَ لَا يَجِدُ نَبَاهَةً * وَسَعَادَةٌ فَغَدَا بِهَا مَحْدُودًا

تهنئة الخديوي عباس الثاني بقدمه من الحج

[١٣٢٧ ١٩٠٩ م]

مَنْي تَلَّتْهَا يَا لَأَيْسَ الْجَمْدِ مَعْلَمًا * أَدِينًا وَدُنْيَا؟ زَادَكَ اللَّهُ أَنْعَمًا^(٦)

- (١) الشوارد من الشعر: المعاني التي تشرد عن أذهان الشعراء، وتعزب عنها لغرابتها. وحسان هو ابن ثابت الأنصاري الشاعر المعروف. (٢) القريض: الشعر. (٣) تعنو: تخضع. والعقيان: الذهب الخالص. (٤) استوت، أي جلست على عروشها وتملكت. (٥) ولد أحمد شوقي بك بالقاهرة حوالى سنة ١٨٦٨ م وبعد أن أتم علومه الابتدائية ثم الثانوية التحق بمدرسة الحقوق، وبعد تخرجه فيها اتصل بجمعية أمير مصر، ثم سافر إلى أوروبا ليتم دراسته، ثم عاد إلى المعية الثانية، وبقى بها حتى خلع عباس الثاني، فاستقال. ونوفى رحمه الله في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ عن نحو أربعة وستين عامًا، وله ديوان شعر مطبوع، جمع فيه أكثر شعره وغير ذلك من الكتب. (٦) الثوب المعلم، هو الذي له علم من طراز وغيره؛ شبه به المجد في وضوحه واشتهاره.

فَلِلَّهِ مَا أَبْهَكَ فِي مِصْرَ حَالِيَا * وَلِلَّهِ مَا أَتَقَاكَ فِي الْبَيْتِ مُحْرِمَا
 أَقُولُ وَقَدْ شَاهَدْتُ رَكْبَكَ مُشْرِقَا * وَقَدْ يَمُّمُ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ الْمُحْرِمَا :^(١)

مَشَتْ كَعْبَةُ الدُّنْيَا إِلَى كَعْبَةِ الْهُدَى * يَفِيضُ جَلَالُ الْمَلِكِ وَالَّذِينَ مِنْهُمَا
 فَيَالَيْتَنِي أَسْطَعْتُ السَّبِيلَ وَلَيْتَنِي * بَلَغَتْ مِنِّي الدَّارَيْنِ رَحْبًا وَمَغْنَمًا^(٢)

وَفِي الرَّكْبِ شَمْسٌ أَنْجَبَتْ أَنْجَبَ الْوَرَى * فَتَى الشَّرْقِ مَوْلَانَا الْأَمِيرَ الْمُعْظَمَا^(٣)

تَسِيرُ إِلَى شَمْسِ الْهُدَى فِي حَفَاوَةِ * مِنَ الْعِزِّ تَحْدُوهَا الزُّوَاهِرُ أَيَّمَا^(٤)

فَلَمْ أَرَأَقًا قَبْلَ رَكْبِكَ أَطْلَعْتَ * جَوَانِبُهُ بَدْرًا وَشَمْسًا وَأَنْجَمًا
 وَلَوْ أَنَّ نَبِيَّ خَيْرْتُ لِأَخْتَرْتُ أَنْ أَرَى * لِعَيْسِكَ وَحَدِي حَادِيًا مُتَرَمَّمَا^(٥)

أَسِيرُ خِلَالَ الرَّكْبِ نَحْوَ حَظِيرَةِ * عَلَى رَبِّهَا صَلَّى الْإِلَهُ وَسَامَا

إِلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ نَاطِقًا * بَأْيَاتِهِ إِنْجِيلَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَا
 حَلَّتْ بِأَكْثَافِ الْجَزِيرَةِ حَارِبًا * فَانْضَرَّتْ وَاذِيهَا وَكَانَتْ لَهَا سَمَا^(٦)

وَأَشْرَقَتْ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ زَائِرًا * فَبَاتَ عَلَيْكَ الْبَيْلُ يُحْسَدُ زَمْرَمَا^(٧)

(١) يمم : قصد . والبيت العتيق : الكعبة . (٢) اسطعت : استطعت ؛ ويريد قدرته على أداء فريضة الحج ؛ يشير الى قوله تعالى : (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .
 (٣) يريد « بالشمس » : أم الخديوي ، وكانت قد حججت معه . (٤) يريد « بشمس الهدى » : رسول الله صلى الله عليه وسلم . والحفاوة : العناية والإكرام . والزواهر : النجوم ، والمراد وصفياتها .
 وأنما ، أى أينما سارت . (٥) العيس : الإبل ؛ ويطلق في الأصل على الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ؛ ويقال : إنها كرام الإبل ، الواحد عيس ، والأثنى عيساء . (٦) أكثاف الجزيرة : جوانبها . وانضرت وادياها ، أى جعلته ناضرا حسنا بهيجا بن الحصب . ويريد بقوله : « وكننت لها سما » : أنه كان لها مطرا ؛ وقد هطل المطر في جزيرة العرب أيام حجه .
 (٧) البطحاء والأبطح : مسيل للواء واسع ، فيه دقاق الحصى . وبطحاء مكة : مسيل وادياها .

- (١) وما ظفرت من بعد (هارون) أرضها * بمثلك ميمون النقيبة منيما
 (٢) ولا أبصر الحجاج من بعد شخصيه * على عرفات مثل شخصك محرما
 (٣) رميت فسددت الجمار فلم تكن * جمارا على إيليس بل كن أسهما
 (٤) وإن الذي ترميه وقف على الردى * وإن لاذ بالأفلاك يا خير من رمى
 (٥) وبين الصفا والمروة أزددت عزة * يسعيك يا (عباس) لله مسليما
 (٦) نهروا للولى الكريم معظما * وتم هرول الساعى إليك وعظما
 (٧) وطقت وتم طافت بسدتك المنى * وتم أمسك الراجى بها وتحزما
 (٨) ولما استأمت الركن حاجت شجونه * فلو أنه أسطاع الكلام تكلم
 (٩) تذكرك (زين العابدين) وجدته * وما كان من قول (الفرزدق) فيها

(١) يريد هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف . وميمون النقيبة ، أى محمود المختبر (بفتح الباء) .
 (٢) الجمار : الحصى الذى يرمى به الحجاج فى منى . (٣) الردى : الهلاك . يقول : إن الذى ترميه هالك لا محالة وإن تحصن منك بأفلاك السماء . (٤) المرولة : الإسراع فى المشى .
 ويريد « بالساعى » : طالب المعروف . (٥) السدة : الباب . وتحزم بسدته : احتضى بها واستأمن من نواب الدهر بالوقوف بها كما يستأمن الداخل فى الحرم من العدوان عليه . (٦) شجونه ، أى أشواقه . (٧) زين العابدين ، هو أبو الحسن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم ، أحد الأئمة ، وهو من سادات التابعين ، ولد فى سنة ثمان وثلاثين للهجرة . وتوفى سنة أربع وتسعين ؛ وقيل : اثنتين وتسعين . والفرزدق ، هو أبو فراس همام بن غالب التميمى أحد فحول الشعر فى العصر الأموى ؛ وكانت ولادته ونشأته بالبصرة ؛ وتوفى بها نحو ستة مائة وعشر هجرية . ويشير الشاعر فى هذا البيت الى قول الفرزدق فى قصيدته المشهورة فى مدح زين العابدين ، ومنها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى التقى الطاهر العلم

(١) فلو يَسْتَطِيعُ الرُّكْنُ أَمْسَكَ رَاحَةً * مَسَحَتْ بِهَا يَا أَكْرَمَ النَّاسِ مُتَمَيِّئًا
 دَعَوْتَ لَنَا حَيْثُ الدُّعَاءُ إِجَابَةٌ * وَأَنْتَ بَدَعَوَى اللَّهِ أَطْهَرُنَا فَمَا
 أَمَانِيكَ الْكُبْرَى وَهَمَّكَ أَنْ تَرَى * بِأَرْجَاءِ وَاوَدَى النَّيْلِ شَعْبًا مُنْعَمًا
 (٢) وَأَنْ تَبْنِيَ الْمَجْدَ الَّذِي مَالَ رُكْنُهُ * وَأَنْ تُرَهَفَ السَّيْفَ الَّذِي قَدْ تَشَلَّمَا
 دَعَوْتَ لِصِيرٍ أَنْ تَسُودَ وَكَمْ دَعَتْ * لَكَ اللَّهُ مِصْرَ أَنْ تَعِيشَ وَتَسَلِمَا
 (٣) فَلَيْتَ مُلُوكَ الْمُسَالِمِينَ تَشَبَّهُوا * بِمَلِكٍ إِذَا مَا أَحْجَمَ الدَّهْرُ أَقْدَمًا
 سَلِيلِ مُلُوكٍ يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّهُمْ * أَقَامُوا عُمُودَ الدِّينِ لَمَّا تَهَدَّمَا
 (٤) لئن بَاتَ بِالْمَجْدِ الْمُؤْتَلِّ مُغْرَمًا * لَقَدْ كَانَ (إِبْرَاهِيمُ) بِالْمَجْدِ مُغْرَمًا
 (٥) وَإِنْ تَامَ حُبُّ الْمَكْرَمَاتِ فؤَادَهُ * لَقَدْ كَانَ (إِسْمَاعِيلُ) فِيهَا مُتِمًّا
 (٦) وَإِنْ سَكَنْتَ تَقْوَى الْمُهَيِّمِينَ قَلْبَهُ * فَقَدْ كَانَ مِنْهَا قَلْبُ (تَوْفِيقٍ) مُفْعَمًا
 (٧) وَإِنْ بَاتَ نَهَاضًا بِمِصْرَ إِلَى الدُّرَا * فَمِنْ جَدِّهِ الْأَعْلَى (عَلِيٌّ) تَعَلَّمَا

(١) المتسمى : الأصل الذي ينتمى اليه الإنسان ، أى يتنسب . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول الفرزدق في زين العابدين :

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
 (٢) أرهف السيف : حده . وتلم : تكسر حده ، أى تعيد لمصر القوة التي تطرق اليها الضعف .
 (٣) الملك (بسكون اللام) : لغة في الملك (بكسرها) . وأحجم : تأخر . (٤) المجد المؤتل :
 المؤصل الثابت . وإبراهيم ، هو إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا الكبير ؛ ولد سنة ١٧٨٩ م ؛ وتولى عرش مصر
 في حياة أبيه سنة ١٨٤٨ م وتوفى في نفس السنة التي ولى فيها . (٥) تامة الحب والعشق بما :
 استعبده . وإسماعيل ، هو إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ؛ ولد سنة ١٨٢٠ م ؛ وولى خديوية مصر في ١٨
 يناير سنة ١٨٦٣ م ؛ وعزل عنها سنة ١٨٧٩ م وتوفى في ٢ مارس سنة ١٨٩٥ م . (٦) توفيق ،
 هو محمد توفيق باشا ابن إسماعيل باشا ولد في سنة ١٨٥٢ م ، وتولى الخديوية سنة ١٨٧٩ م وتوفى
 سنة ١٨٩٢ م . والمفعم : المتلى . (٧) علي ، أى محمد علي باشا جد الأسرة المالكة ؛ ولد
 بمدينة قولة عام ١٧٦٩ م ؛ وولى مصر عام ١٨٠٥ م ، وتوفى في ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ م .

- (١) حَوَى مَا حَوَى مِنْ مَجْدِهِمْ وَنِجَارِهِمْ * وَزَادَ فَأَعْيَا الْمَادِحِينَ وَأَفْصَمَا
 (٢) دَعَا بِكَ وَأَسْتَسْقُوا فَلَبِي دُعَاءِهِمْ * مِنَ الْأَفْقِ هَتَانٍ مِنَ الْمِزْنِ قَدْ هَمَى
 (٣) أَلْحَ عَلَى أَوْعَارِهِمْ وَسُهُولِهِمْ * وَحَيًّا عَبُوسَ الْفَقْرِ حَتَّى تَبَسَّيَا
 (٤) وَلَمَّا طَوَى بَطْحَاءَ مَكَّةَ هَزَّهُ * إِلَى الْبَيْتِ شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ فِيمَا
 (٥) أَطَافَ بِهِ ثُمَّ أَنْتَى عَنِ فِنَائِهِ * وَلَوْ عَبَّ مِنْهُ (السَّامِرِيُّ) لِأَسْمَا
 (٦) طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ أَسْعَدَ الْخَلْقِ مَطْلَعًا * وَعُدَّتَ الْيَنَاءُ أَيْمَنَ الْخَلْقِ مَقْدَمَا
 رَجَعْتَ وَقَدْ دَاوَيْتَ بِالْجُودِ فَقَرَّهُمْ * وَكُنْتَ لَهُمْ فِي مَوْسِمِ الْجِجِّ مَوْسِمًا
 (٧) وَأَمَنْتَ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ طَرِيقَهُ * وَكَانَ طَرِيقُ الْبَيْتِ مِنْ قَبْلِهَا دَمًا
 (٨) وَيَسْرَتَهُ حَتَّى أَسْتَطَاعَ رُكُوبَهُ * أَخُو الْفَقْرِ لَا يَطْوِيهِ جُوعٌ وَلَا ظَلَمًا

- (١) النجار: الأصل . وأخفه : أعجزه عن الكلام . (٢) استسقوا ، أى طلبوا السقيا .
 والضمير فى «دعوا» «واستسقوا» لأهل مكة . والهتان : المنصب . والمزن : السحاب ذو الماء .
 وهى : سال لا يتنيه شئ . ويشير بهذا إلى مطر غزير نزل بمكة أيام حج الخديوى فأخصبت به الأرض
 وقاضت بالخير . (٣) ألح على أوعارهم : دام عليها . والأوعار : ما صعب من الأرض . وعبوس
 الفقر : ما أجذب منه وقل نباته ، فصار كالوجه العابس الذى لا بشر فيه . وتبسم ، أى أخصب وكثر
 نباته ، فاستعار «التبسم» لخصب الأرض وظهور ألوان النبات فيها . (٤) طوى ، أى المزن
 السابق ذكره . وبطحاء مكة : مسبل وادبها . وهزه : حركة . ويمم : قصد .
 (٥) الفناء : الساحة . ويريد الشاعر بهذا البيت والذى قبله أن السحاب لما روى بطحاء مكة
 تشوق إلى الكعبة فسار إليها ، ثم ارتد عنها إحلالا لها ولم يطر عليها . وعب منه : شرب . ويريد
 بالسامرى : موسى السامرى الوارد ذكره فى القرآن فى قصة بنى إسرائيل ، إذ صنع لهم عجلا من الحلى
 وحضهم على عبادته ، وكان ذلك فى غيبة نبي الله موسى عليه السلام فى ميقات ربه ؛ قال تعالى فى سورة
 طه : (قال فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامرى) الآيات . (٦) أيمن الخلق ، أى أبركهم .
 (٧) دما ، أى عملوا بالقتل وسفك الدماء . (٨) لا يطويه ، أى لا يردده ولا يصرفه .

(۱)
وَجَدْتَ وَجَدْتَ رَبَّةَ الطُّهْرِ وَالتَّقَى * عَلَى الْعَامِ حَتَّى أَخْصَبَ الْعَامُ مِنْكَ
فَلَمْ تَبْقِيَا فَوْقَ الْجَزِيرَةِ بَائِسًا * وَلَمْ تَتْرُكَا فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ مُعْدِمًا
فَأَرْضَيْتُمَا الدِّيَانَ وَالدِّينَ كُلَّهُ * لَقَدْ رَضِيَ الدِّيَانُ وَالدِّينُ عَنْكَ

(۲)
(تحية محمد سعيد باشا)

بمناسبة عودته من أوروبا في اليوم الحادي عشر من شهر شوال سنة ۱۲۳۰ هـ وكان رئيسا للحكومة إذ ذاك

(۳)
فِيكَ السَّعِيدَانِ اللَّذَانِ تَبَارِيَا * يَا مِصْرُ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
نَيْلٌ يَفِيضُ عَلَى سُهُولِكَ رَحْمَةً * وَقَى يَقِيكَ غَوَائِلَ الْعَثَرَاتِ
عَادَ الرَّئِيسُ فَرِحِي بِقُدُومِهِ * وَتَهَلَّى بِمُفْرَجِ الْأَزْمَاتِ

(الى أمين واصف بك)

قال هذين البيتين ليكتبا في لوحة مهداة إليه من مدرسة طوخ الصناعية ، إذ كان مديرا للقلوبية

[نشر في ۹ مايو سنة ۱۹۱۲]

لَمْ نَجِدْ مَا يَفِي بِقَدْرِكَ فِي الْجَمِّ * يَدِ فَيُهْدَى إِلَى حِمَاكَ الْكَرِيمِ
فَبَعَثْنَا إِلَيْكَ بِاسْمِكَ مَكْتُوًّا * بَأْ عَلَى صَفْحَةِ الْوَلَاءِ الْمُقِيمِ

(۱) يريد «بربة الطهر» : والدة الخديوي . (۲) محمد سعيد باشا هو الوزير المعروف
ولد في سنة ۱۸۶۲ م وبعد أن أتم علومه تولى عدة مناصب قضائية وعدة وزارات ؛ ورأس الوزارة مرتين
الأولى من سنة ۱۹۱۰ م الى سنة ۱۹۱۴ م والثانية سنة ۱۹۱۹ م وكان وزيرا للعارف في الوزارة السعدية
سنة ۱۹۲۴ م ثم اعتزل السياسة إلى أن توفي في ۲۰ يولييه سنة ۱۹۲۸ م ؛ وكان معروفا بالعقل
والدهاء في الشؤون السياسية . (۳) تباريا : تسابقا .



وقال يودّعه :

أنشدها في حفل أقامه بكار موظفي مديرية القليوبية إذ كان مديرا لمدير يهتم ونقل.

[نشرت في ٩ مايو سنة ١٩١٢]

إِنِّي دُعِيتُ إِلَى احْتِفَالِكَ بِحَفَاةٍ * فَاجَبْتُ رَغْمَ شَوَاغِلِي وَسَقَامِي
 (١) وَدَعَوْتُ شِعْرِي يَا (أَمِينُ) نَحَانِي * أَدْبِي وَلَمْ يَرَعِ الْقَرِيضُ ذِمَامِي
 فَأَتَيْتُ صِفْرَ الْكَفِّ لَمْ أَمْلِكْ سِوَى * أَمَلِي بِصَفْحِكَ عَنْ قُصُورِ كَلَامِي
 وَاتَّجَلَّتِي أَيُّكُونُ هَذَا مَوْفِي * فِي حَفَلَةِ التَّوَدِيْعِ وَالْإِكْرَامِ
 وَأَنَا الْخَلِيقُ بِأَنْ أَرْتَلَ لِلوَرَى * آيَاتِ هَذَا الْمُصْلِحِ الْمِقْدَامِ
 وَأَقُومُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ غَيْرِي بِمَا * يَقْضِي الْوَلَاءُ وَوَجِبُ الْإِعْظَامِ
 (٢) (بِنهَا) ، لَقَدْ وَفَّيْتَ قِسْطِكَ مِنْ مَنِي * وَسَعَادَةٍ وَرِعَايَةٍ وَنِظَامِ
 فَدَعَى سِوَاكَ يَفْزُ بِقُرْبِ مَوْفِي * هُوَ فِي الْحُكُومَةِ مُنْجَبَةُ الْحُكَامِ
 لَيْسَ التَّوَاضُّعَ حَلَةً وَمَشَى إِلَى * رَبِّ الْجَلَالِ مُسَدِّدِ الْأَقْدَامِ
 وَغَدَا بِأَبْرَاجِ الْعَلَا مُتَقَلًّا * كَالْبَدْرِ يُسْعِدُهُ السَّرَى بِتَمَامِ

(١) الذمام : الحق والحرمه .

(٢) بنها : عاصمة مديرية القليوبية .

تهنئة محمود سامي بك (باشا)^(١)

قالها في حفل أقيم لتكريمه بفندق الكونتنتال لمناسبة ترقبته إلى منصب كبير في نظارة الأشغال

[نشرت في ١٢ يولييه سنة ١٩١٢ م]

رَبَّكَ وَالِدُكَ الْكَرِيمُ عَلَى التَّقَى * وَعَلَى النَّزَاهَةِ وَالضَّمِيرِ الطَّاهِرِ
 فَنَشَأَتْ بَيْنَ رِعَايَةٍ وَعِنَايَةٍ * وَدَرَجَتْ بَيْنَ حَمَامِدٍ وَمَفَاخِرِ
 وَسَمَّوَتْ يَا (سَامِي) إِلَى أَوْجِ الْعُلَا * وَبَرَعَتْ قَوْمَكَ بِالذِّكَايِ النَّادِرِ
 رَبِّي أَبُوكَ عُقُولَنَا وَنُفُوسَنَا * فَأَهْنَأُ بِوَالِدِكَ (الْأَمِينِ) وَقَاهِرِ
 وَأَهْنَأُ بِمَا أُوتِيْتَهُ مِنْ نِعْمَةٍ * فِي عَهْدِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ الزَّاهِرِ
 يَا مَالِيَّ الْكُرْسِيِّ مِنْهُ مَهَابَةٌ * وَكِفَايَةٌ يَا مِلءَ عَيْنِ النَّاطِرِ
 إِنَّ الَّتِي قُلَّدْتَهَا فِي حَاجَةٍ * لِعَزِيمَةٍ تَمْضِي وَرَأْيٍ بَاتِرِ
 فَأَقْبِضْ ضِيَاءَكَ فِي النِّظَارَةِ كُلِّهَا * وَأَقْبِضْ عَلَى الْأَعْمَالِ قَبْضَ الْقَادِرِ
 وَأَخْدُمْ بِإِلَادِكَ بِالَّذِي أُوتِيْتَهُ * مِنْ فِطْنَةٍ وَأَقْلَمِ عِثَارِ الْعَائِرِ
 هَنَأْتُ مِصْرَ وَنِيلَهَا وَرِجَالَهَا * لَمَّا رَأَيْتُكَ فِي ثِيَابِ الْأَمِيرِ
 وَرَأَيْتُ فِي الدِّيْوَانِ قَدْرَكَ عَالِيًا * وَالنَّاسَ تَهْتَفُ بِالنَّشَاءِ الْعَاطِرِ

(١) هو ابن صاحب السعادة الأستاذ أمين سامي باشا المرعي المعروف . تولى رحمه الله عدة مناصب عالية في الحكومة المصرية آخرها منصب الوزير المفوض لمصر في أمريكا ، وتوفي في يولييه سنة ١٩٣٦
 (٢) يشير بهذا البيت إلى أن والد المدوح من رجال التربية بوزارة المعارف ، وكان ناظرا لمدرسة دار العلوم مدة طويلة من الزمن ، وتخرج في أيام نظارته لهذه المدرسة كثيرون من الأساتذة الأجلاء .
 (٣) العهد الزاهر : المضيء المشرق ، ويريد عهد الخديوي عباس الثاني . (٤) الباتر : النقاطع .
 (٥) يقال : أقال فلان عثار فلان وعثرته ، إذا صفح عن زلته ودفع عنه ما يتوقع بسببها من مكروه .

مَا يَبِينُ مُعْتَرِفٍ بِفَضْلِكَ مُعْلِنٍ * أَوْ ضَارِعٍ لَكَ بِالْدُعَاءِ وَشَاكِرٍ
 أَمُهَنْدِسِ النَّيْلِ السَّنْعِيدِ تَحِيَّةً * مِنْ مِصْرَ تَحْدُوها تَحِيَّةُ شَاعِرٍ
 يَدْعُو إِلَهَكَ أَنْ يُكَثِّرَ بَيْنَنَا * أَمْثَالَ (سَامِي) فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ

إلى الدكتور على ابراهيم بك (باشا) الجراح المعروف

[نشرت في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٢]

هَلْ رَأَيْتُمْ مُوَفَّقًا (كَعَلِيًّا) * فِي الْأَطِبَّاءِ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ
 أَوْدَعَ اللَّهُ صَدْرَهُ حِكْمَةَ الْعِدِّ * سِيمَ وَأَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءَ
 كَمْ نَفُوسٍ قَدْ سَلَّهَا مِنْ يَدِ الْمَوْتِ * تِ بِلُطْفٍ مِنْهُ وَكَمْ سَلَّ دَاءَ (١)
 فَأَرَانَا (لُقْمَانَ) فِي مِصْرَ حَيًّا * وَحَبَانَا لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءَ (٢)
 حَفِظَ اللَّهُ مِبْضَعًا فِي يَدَيْهِ * قَدْ آمَاتِ الْأَسَى وَأَحْيَا الرَّجَاءَ (٣)

تحية خليل مطران بك

أنشدتها في حفل أقيم بدار الجامعة المصرية لتكريمه بمناسبة الإنعام عليه بالنيشان المجيدى

يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣ م

جَازِي عَرَفُهَا فَهَاجَ الْغَرَامَا * وَدَطَانِي فزُرْتُهَا إِلْمَامَا (٤)
 جَنَّةٌ تَبْعُ الْحَيَاةَ وَتَجْلُو * صَدَا النَّفْسِ رَوْنَقًا وَنِظَامَا

(١) سلها: اتزعها وأترجها. (٢) لقمان: حكيم معروف. وحباننا: أعطانا. (٣) المبضع: المشروط. والأسى: الحزن. (٤) العرف: الرج العلية. وإلماما، أى زيارة قصيرة.

- (١) زُرْتُهَا مَوْهِنًا وَفِي طَيِّ نَفْسِي * ذِلَّةُ الصَّبِّ وَأَنْكَسَارُ الْبِتَامِي
- (٢) وَتَنَقَّلْتُ فِي حَمَائِلِهَا الْخُضْ * رِيْمِيْنَا وَيَسْرَةً وَأَمَامَا
- (٣) فَإِذَا رَوْضَاتٍ فِي ذَلِكَ الرَّوِّ * ضِ تَمِيسَانٍ تَحْتَ رِيحِ الْخُزَامِي
- (٤) جَاءَتَا تَخْطِرَانِ وَالنَّجْمُ سَاهٍ * وَعُيُونُ الْأَزْهَارِ تَبْنِي الْمَنَامَا
- (٥) جَازَتَا مَوْضِعِي فَهَبَّ نَسِيمٌ * أَذْكَى مِني الْأَسَى وَهَاجَ الْهِيَامَا
- (٦) فَتَرَسَّمْتُ مِنْهُمَا أَثَرَ الْخَطِّ * وَوِخَافَتُ فِي الْمَسِيرِ احْتِشَامَا
- (٧) وَتَسَمَعْتُ عَلَيَّ أَطْفِي الشُّو * قَ وَأَرْوِي مِنَ الْفُؤَادِ الْأَوَامَا
- (٨) فَإِذَا لَهَجَتَانِ مِنْ لَهَجَاتِ الشُّ * رَقٍ قَدْ شَاقَتَا فُؤَادِي فَمَامَا
- تلك سُورِيَّةٌ تَفِيضُ بَيَانًا * تلك مِصْرِيَّةٌ تَسِيلُ أَنْسِجَامَا
- فِطْنَةٌ عِنْدَ رِقَّةٍ عِنْدَ ظَرْفٍ * عِنْدَ رَأْيٍ تَخَالُهُ الْهَامَا
- (٩) مَالَتَا نَحْوَ دَوْحَةٍ تُرْسِلُ الْأَغْدَ * بَصَانًا وَأَخْتَارَتَا لَدَيْهَا مَقَامَا

- (١) الموهن : نحو نصف الليل . (٢) الخمائيل : المواضع الكثيرة الشجر، الواحدة حميلة .
- (٣) تَمِيسَان : تَبِخْرَان - والخزاي : خيري البر، وزهره من أطيب الأزهار رقمة .
- (٤) كنى « بسمو النجم » و « نوم الزهر » عن سكون الليل وركود ظلامه .
- (٥) يلاحظ أنه لا يستقيم الوزن إلا بحذف حرف العلة من قوله « أذكى » ؛ وهو خطأ لا يجيزه اللغة، ولعل في لفظي « أذكى » « وهاج » في هذا الشطر تقديمًا وتأخيرًا ؛ والصواب « هاج » في الأول و « أذكى » في الثاني لسم من ذلك العيب . والأسى : الحزن . والهيام : شدة الشوق .
- (٦) خافت في المسير، أى خفضت منه وخففت من وقع الخطو لئلا يسمع .
- (٧) الأوام : شدة العطش . ويريد الاشتياق إلى حديثهما .
- (٨) المراد « باللهجة » هنا : طريقة النطق بالألفاظ وجرس الكلام .
- (٩) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة .

- (١) ثم أَلَقْتُ قِنَاعَهَا بِنْتُ مِصْرٍ * وَأَمَاطَتْ بِنْتُ الشَّامِ الشَّامَا
 فَتَوَهَّمْتُ أَنْ قَدِ انْفَلَقَ الْبَدُ * رُ وَقَدْ كُنْتُ أَنْيَكِرُ الْأَوْهَامَا
 (٢) فَسَوَارِيْتُ ثُمَّ عَلَّقْتُ أَنْفَا * سِي مَا اسْطَعْتُ وَأَرْتَدَيْتُ الظَّلَامَا
 ظَنًّا ذَلِكَ الْمَكَانَ خِلَاءَ * لَا رَقِيًّا يُخْشَى وَلَا تَمَامَا
 بَحْرِي فِيهِ مَا جَرَى مِنْ حَدِيثٍ * كَانَ بَرْدًا عَلَى الْحَشَا وَسَلَامَا
 حِينَ قَالَتْ لِأُخْتِهَا بِنْتُ مِصْرٍ: * إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أَبَتْ أَنْ تُضَامَا
 (٣) صَدَقَ الشَّاعِرُ الَّذِي قَالَ فِيكُمْ * كَلِمَاتٍ نَبَّهْنَ مِنَ النَّيَامَا:
 (٤) رَكِبُوا الْبَحْرَ جَاوِزُوا الْقُطْبَ فَاتُوا * مَوْجَعَ النَّيِّرِينَ خَاضُوا الظَّلَامَا
 يَمْتَطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْدِ * شِ وَيَبْرُونَ لِلنَّضَالِ السَّهَامَا
 (٥) فَأَنْبَرْتُ ظَيِّئَةَ الشَّامِ وَقَالَتْ: * بَعْضَ هَذَا فَقَدْ رَفَعَتْ الشَّامَا
 أَنْتُمْ الْأَسْبِقُونَ فِي كُلِّ مَرَمِي * قَدْ بَلَّغْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرَامَا
 (٦) إِنَّمَا الشَّامُ وَالْكِنَانَةُ صِنُونَا * نِ رَغَمِ الْخُطُوبِ عَاشَا لِرَامَا
 (٧) أُمَّكُمْ أَمْنَا وَقَدْ أَرْضَعْتَنَا * مِنْ هَوَاهَا وَنَحْنُ نَأْبَى الْفِطَامَا
 (٨) قَدْ نَزَّلْنَا جِوَارِكُمْ فَمِدْنَا * مِنْكُمْ الْوُدَّ وَالنَّدَى وَالذَّمَامَا

(١) أماطت اللام : أبعدته ونحته . (٢) علقت أنفاسي ، أي حبستها عن التردد في صدرى

لئلا تسمع فيعرف مكاني . (٣) الشاعر ، هو حافظ ، والبيتان اللذان بعد هذا البيت من قصيدة

له ستأتى في هذا الديوان . (٤) النيران : الشمس والقمر . يصف عزم الشاميين وكثرة ارتحالهم

في طلب الرزق . (٥) بعض هذا ، أى قولى بعض هذا اذ لا تستحق كله . (٦) الصنو :

الأخ الشقيق . (٧) ريد « بالأم » : اللغة العربية (٨) الذمام : الحرمة والذمة .

وَحَلَّلْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَأَصَبْنَا * مَنَزِلًا مُخَصَّبًا وَأَهْلًا كِرَامًا
 وَغَشِينَا دِيَارَكُمْ حَيْثُ شِئْنَا * فَفَقِينَا طَلَاقَةً وَابْتِسَامًا
 (١)
 وَشَرِينَا مِنْ نَيْلِكُمْ فَفَسِينَا * مَاءَ لُبْنَانَ سَلْسَلًا وَالْغَمَامَا
 وَقَبَسْنَا مِنْ نُورِكُمْ فَكَتَبْنَا * وَأَجَدْنَا نِشَارَنَا وَالنُّظَامَا
 وَتَلَوْنَا آيَاتِ شَوْقِي وَصَبْرِي * فَرَأَيْنَا مَا يَبْهَرُ الْأَفْهَامَا
 مَلَأَ الشَّرْقَ حِكْمَةً وَأَقَامَا * فِي ثَنَابِ النُّفُوسِ أَنِّي أَقَامَا
 غَنِيَا الْمَشْرِقَيْنِ مَا تَرَكَ الْأَفْءُ * لَمَّا كَ حَيْرِي وَأَذْهَلَ الْأَجْرَامَا
 (٢)
 وَأَعَادَا عَهْدَ الرَّشِيدِ لَعْبَا * سِ فَكَانَا يَرَاعُهُ وَالْحُسَامَا
 (٣)
 فَأَشَارَتْ فِتَاةٌ مِصْرَ وَقَالَتْ : * قَدِّكَ، لَمْ تَتْرُكِي لِصِرِّ كَلَامَا
 أَنْتُمْ النَّاسُ قُدْرَةٌ وَمِضَاءٌ * وَنُهُوضًا إِلَى الْعُلَا وَأَعْتَامَا
 (٤)
 أَطَلَعْتُ أَرْضَكُمْ عَلَى كُلِّ أَفْقٍ * أَنْجُمًا إِثْرَ أَنْجُمِ تَنَرَامِي
 (٥)
 تَرَكْتُ الْمَهْوَلَ لَا تَفَادِي وَتَمِشِي * فَوْقَ هَامِ الصَّعَابِ لَا تَتَّحَامِي
 قَدْ سَمِعْنَا «خَلِيلِكُمْ» فَسَمِعْنَا * شَاعِرًا أَقْعَدَ النَّهْيِ وَأَقَامَا
 (٦)
 وَطَمَعْنَا فِي شَأْوِهِ فَقَعَدْنَا * وَكَسَرْنَا مِنْ عَجْزِنَا الْأَقْلَامَا

(١) السلسل : العذب . (٢) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسي ، وكان عصره

حافلًا بالأدباء والشعراء . ويريد « بعباس » : الخديوي السابق عباس حلمي الثاني .

(٣) قدك : حسبك . (٤) يريد « بالأنجم » : رجال سوريا المنفرقين في أنحاء العالم .

(٥) لا تفادي ، أي لا تفادي . (٦) الشار : الغاية .

نَظَمَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ وَمِصْرًا * سِلْكُ آيَاتِهِ فَكَانَ الْإِمَامَا
 فَشَى النَّثْرَ خَاضِعًا وَمَشَى الشُّعْرُ * وَأَلْقَى إِلَى الْخَلِيلِ الزَّمَامَا
 (١) وَرَأَى فِيهِ رَأَيْنَا صَاحِبُ النَّيِّ * لِمَ فَأَهْدَى إِلَيْهِ ذَلِكَ الْوِسَامَا
 شَارَةً زَانِتِ الْقَرِيضِ فَكَانَتْ * شَارَةَ النَّصْرِ زَانِتِ الْأَعْلَامَا
 فَعَقَدْنَا لَهُ اللَّوَاءَ عَلَيْنَا * وَاحْتَفَلْنَا زَيْدَهُ إِكْرَامَا
 ذَلِكَ مَا دَارَ مِنْ حَدِيثِ شَيْءٍ * يَسْتَفِزُّ النَّهْيَ وَيَسْتَجِي النَّدَامَا
 (٢) قَدْ تَسَقَطَتْهُ وَخَالَفَتْ فِيهِ * مَنْ يَرَى النِّقْلَ سُبَّةً وَاجْتِرَامَا
 فَمِنَ النَّقْلِ مَا يَكُونُ حَلَالًا * وَمِنَ النَّقْلِ مَا يَكُونُ حَرَامَا

* * *

صَدَقَ الْغَادَتَانِ يَا لَيْتَ قَوْمِي * نَا كَمَا قَالْنَا هَوَىٰ وَالنِّسَامَا
 نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى كُلِّ مَا يَدُّ * مِي قُوانَا وَيَرْبِطُ الْأَرْحَامَا
 فَاجْعَلُوا حَفْلَةَ الْخَلِيلِ صَفَاءً * بَيْنَ مِصْرٍ وَأَخْتِهَا وَسَلَامَا
 (٣) وَأَسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُدِيمَ عَلَيْنَا * مَلِكُ "عَبَّاسٍ" نَاضِرًا بَسَامَا
 هُوَ آمَانَا وَحَامِي جَمَانَا * أَيَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ وَأَدَامَا

(١) صاحب النيل، أي أمير مصر، وكان إذ ذاك عباس الثاني.

(٢) تسقط الأخبار: تقيها وأخذها شيئاً بعد شيء.

(٣) منع "عباساً" من الصرف لضرورة الوزن.

تهنئة له أيضا للإنعام عليه بالوسام السابق ذكره

[نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٣ م]

(١)
وَسِعَ الْفَضْلَ كُلَّهُ صَدْرُكَ الرَّحْمَ * بٌ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْتَبِهُ وَسَامَهُ
لَمْ يَزِدْكَ الْوِسَامُ قَدْرًا وَلَكِنْ * زَادَ قَدْرَ الْعُلَا وَقَدْرَ الْكِرَامَةِ
كَمْ وَسَامٍ كَمْ حِلْيَةٍ كَمْ شِعَارٍ * فَيْكَ كَمْ شَارَةٍ وَكَمْ مِنْ عَلَامَةٍ
لِإِبَاءٍ وَحِكْمَةٍ وَإِخَاءٍ * وَصَفَاءٍ وَهِمَّةٍ وَشَهَامَةٍ

تحية إلى واصف غالى بك (باشا)

أنشدها في فندق شبرد في ٤ يونية سنة ١٩١٤ عند ما نشر كتابه المعروف « بحديقة الأزهار »
الذى ترجم فيه بعض الشعر العربي القديم إلى اللغة الفرنسية ، وكان يلقي محاضرات وخطب
في فرنسا ينوه فيها بالعرب ومصر والشرق

(٢)
يَا صَاحِبَ الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ هَجَّتْ بِنَا * كَرَى الْأَوَائِلِ مِنْ أَهْلِ وَجِيرَانِ
نَشَرْتَ فَضْلَ كِرَامٍ فِي مَضَاجِعِهِمْ * جَرَّ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ ذَيْلَ نَسِيَانِ
إِنِّي أَحْيَيْكَ عَنْهُمْ فِي جَزِيرَتِهِمْ * وَفِي الْعِرَاقِ وَفِي مِصْرٍ وَلُبْنَانِ
جَلَوْتَ لِلْغَرْبِ حُسْنَ الشَّرْقِ فِي حُلِّ (٣)
* لَا يُسْتَهَانُ بِهَا نَسَاجَ (هَرْنَانِي)

(١) الضمير في « رسامه » للصدر . (٢) الروضة الغناء : هي التي تمر الريح فيها غير صافية

الصوت لكثافة نبتها والنفاه . (٣) نساج هرثاني . يريد تشبيه واصف غالى بفكنور هوجو

الشاعر الفرنسي المعروف مؤلف رواية هرثاني ، وهي رواية تمثيلية معروفة تعاد من عيون الأدب الفرنسي ،

وقد ترجمت إلى العربية .

- (١) ظَنُّوكَ مِنْهُمْ وَقَدْ أَنْشَأَتْ تَحْطِبُهُمْ * بِمَا عَنَّا لَكَ مِنْ سِحْرِ وَتَيْسَانِ
 مَا زِلْتَ تَبَهَّرُنَا طَوْرًا وَتَبَهَّرَهُمْ * حَتَّى أَدْعَاكَ وَحَيَّاكَ الْفَرِيقَانِ
 لَوْلَا أَسْمِرَارُكَ فَازُوا فِي أَدْعَائِهِمْ * (بِوَاصِيفِ) وَخَسِرْنَا أَيْ خُسْرَانِ
 غَرَسْتَ مِنْ زَهْرَاتِ الشَّرْقِ طَائِفَةً * فِي أَرْضِ (هَيْجُو) بِجَاءَتْ طُرْفَةَ الْجَانِيِ
 حَدِيثَةً لَكَ لَمْ نَعْهَدْهَا شَبَهَا * بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي زَهْرِ وَأَفْنَانِ
 يُحْيِي شَذَاهَا نُفُوسَ الْوَافِدِينَ وَمَا * مَرُّوا بِوَرْدٍ وَلَا طَافُوا بِرَيْحَانِ
 لَكِنَّهَا مِنْ أَزَاهِيرِ النَّهْيِ جَمَعَتْ * مَا لَا تُتْلَفُهُ أَزْهَارُ بُسْتَانِ
 بِالْأَمْسِ كَانَ لَهَا شَرْقٌ تَضُوعٌ بِهِ * وَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا بِالْعَرَبِ شَرْقَانِ
 أَسْمَعْتَهُمْ مِنْ نَسِيبِ الْقَوْمِ فَانْطَلَقَتْ * سُؤُونَ كُلَّ شَيْءٍ الْقَلْبِ وَلَهَانَ
 وَزِدْتَهُمْ مِنْ كَلَامِ (الْبُحْتَرِيِّ) قِطْعًا * مِثْلَ الرِّيَاضِ كَسَتْهَا كُفٌّ (نَيْسَانَ)
 سَلِّ (الْفَرِيدَ) وَ(الْمَرْيُونَ) هَلْ جَرِيَا * مَعَ (الْوَلِيدِ) أَوْ (الطَّائِي) بِمَيْدَانِ

(١) ظنوك منهم، أي ظنك الفرنسيون فرنسيًا منهم. وعنا: خضع وذل. (٢) يريد بالزهرات: المقطوعات الأدبية التي ترجمها. وهيجُو، هو فكتور هوجو الشاعر المعروف انظر التعريف به في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٨ من هذا الجزء. والطرفة: الغريب المستحسن المعجب. (٣) الشذا: قوة ذكاء، الراححة. (٤) تلافه، أي تباريه وتغالبه في النفع، أي الراححة الطيبة. (٥) تضوع: تفوح وتمتشر. (٦) النسيب: التشيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر. ويريد بالقوم شعراء العرب. والشؤون: مجاري الدموع. (٧) نيسان: شهر من شهور السنة المسيحية معروف، وهو يقابل أبريل. (٨) انظر التعريف بالفريد ديموسيه في الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٢٦ من هذا الجزء. ولا مارتين، هو الفونس دلامارتين الشاعر الفرنسي؛ ولد سنة ١٧٩٠ وتوفي في سنة ١٨٦٩ وهو معروف بركة الغزل حتى قيل له: شاعر الحب والجمال. والوليد، هو أبو عبادة البحتري. والطائي، هو أبو تمام حبيب بن أوس؛ وكلاهما شاعر معروف.

(١)
 وَهَلَّ هُمَا فِي سَمَاءِ الشَّعْرِ قَدْ بَلَّغَا * شَاوَوِ (النَّوَاسِيَّ) فِي صَوْعٍ وَإِتْقَانٍ
 (٢)
 وَدَا وَقَدْ شَهِدَا بِالْحَقِّ أَنَّهُمَا * فِي بَيْتِ (أَحْمَدَ) لَوْ يَرْضَى نَدِيمَانِ
 أَمْسَى كِتَابُكَ «كَالسِّيَا» يُعِيدُ لَهُمْ * مَرَأَى الْحَوَاثِ مَرَّتْ مِنْذُ أَرْمَانِ
 (٣)
 قَدْ شَاهَدَا فِيهِ تَحْتَ النَّعْمِ عَنْتَرَةٌ * يُصَارِعُ الْمَوْتَ عَنْ عَيْسٍ وَذُبْيَانِ
 وَشَاهَدُوا أَسَدًا يَمْشِي إِلَى أَسَدٍ * كِلَاهُمَا غَيْرُ هَيَابٍ وَلَا وَاوِي
 (٤)
 هَذَا مِنَ الْعَرَبِ لَا يُلَوِي بِهِ فَرَعٌ * وَذَلِكَ أَرْوَعٌ مِنْ آسَادِ خَفَّانِ
 بِنْتِ دَرِّ يَرَايَ أَنْتَ حَامِلُهُ * لَوْ كَانَتْ فِي أَعْمَلِي يَوْمًا لِأَغْنَانِي
 وَقَفْتَ تَدْفَعُ عَنْ آدَابِنَا تُهَمًّا * كَادَتْ تَقْوُضُ مِنْهَا كُلُّ بُنْيَانِ
 فَكُنْتَ أَوَّلَ مِصْرِيَّ أَقَامَ لَهُمْ * عَلَى نَبَالَةٍ مِصْرِيَّ أَلْفَ بُرْهَانِ

(١) وهل هما، أي ألفريد ولا مارتين . والنواسي ، هو أبو نواس الحسن بن هاني، الشاعر المعروف . والشاؤ : الغاية . (٢) يريد أبا الطيب أحمد بن الحسين النبي الشاعر المعروف . (٣) النعم : الغبار في الحرب . وعنترة ، هو ابن شداد العبسي ، وهو من فحول شعراء الجاهلية ومن فرسانهم المعروفين بالشجاعة والبأس ، وهو صاحب المعلقة التي أولها :

هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم

وعيس وذبيان : قيلتان من قبائل العرب معروفتان ، ويشير إلى أن المدوح قد ترجم بعض شعر عنترة في كتابه .

(٤) «لا يلوي به فرع» ، أي لا يصرفه ولا يردده خوف . والأروع : الشهم الشجاع . وخفان : موضع قرب الكوفة تأوى إليه الأسود . ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى قصيدة البديع الحمذاني التي قالها على لسان بشر بن عوافة ، وذكر فيها لقاءه للأسد وموابعته إياه حتى قتله ، وهي من القصائد التي ترجمها المدوح إلى اللغة الفرستية في كتابه السابق ذكره ، وأولها :

أفاطم لو شهدت يبطن خبت * وقد لاقى المزبر أخاك بشرا

- (١) ما زِلْتَ تُلْقِي عَلَى أَسْمَاعِهِمْ حُجَجًا * فِي كُلِّ نَادٍ وَتَأْتِيهِمْ بِسُلْطَانِ
(٢) حَتَّى أَنْتَبَيْتَ وَمَا لِلْعَرَبِ مُجْتَرِيٌّ * عَلَى الْبِنَاءِ وَلَا زَارِعٍ عَلَى الْبَانِي
(٣) مَحَوْتَ مَا كَتَبُوا عَلَيْنَا بِقَاطِعَةٍ * مِنَ الْبَرَاهِينِ فَلْتِ قَوْلِ (رَيْنَانَ)
(٤) أَنْحَى عَلَى الْأَدَبِ الشَّرْقِيِّ مُفْتَرِيًّا * عَلَيْهِ مَا شَاءَ مِنْ زُورٍ وَبُهْتَانِ
ظَنَّ الْحَقِيقَةَ فِي الْأَشْعَارِ تَقْصِينَا * وَاللَّفْظَ وَالْقَصْدَ وَالتَّصْوِيرَ فِي آنِ
(٥) وَأَنْتَا لَمْ نَصِلْ فِيهَا إِلَى مِئَةِ * عَدَا وَذَاكَ لِعِيٍّ أَوْ لِنُقْصَانِ
(٦) وَلَوْ رَأَى (ابْنَ جُرَيْجٍ) فِي قِصَائِدِهِ * لَقَالَ آمَنْتُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
مَالِي أَفْأَحِرُ بِالْمَوْتِ وَبَيْنَ يَدَي * مِنْ شِعْرِ أَحْيَانُنَا مَا لَيْسَ بِالْفَانِي
فِي شِعْرِ (شَوْقِي) وَ(صَبْرِي) مَا نَتَّبِعُهُ * عَلَى نَوَابِيهِمْ دَعَا شِعْرَ (مُطْرَانَ)
(٧) بُورِكَتْ يَا بَنَ الْوَزِيرِ الْحُرِّ مِنْ رَجُلٍ * لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ أَوْ فِي فَضْلِهِ آثَانِ
بَلَّغْ إِذَا جِئْتَ (بَارِيضًا) أَفَاضِلَهَا * عَنَّا التَّحِيَّاتِ وَأَشْفَعَهَا بِشُكْرَانِ

(١) السلطان : الجعة والبرهان . (٢) الزاري : العائب . (٣) رينان هو الفيلسوف الفرنسي المعروف الذي رد عليه الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده في ارمى الإسلام والمسلمين به من تهم ؛ وقد غمز الأدب الشرق بعدة مغامز سيذكرها الشاعر بعد . (٤) يقال : أنحى عليه بالشم ، اذا أقبل عليه به . والمفتري : الكاذب المخلوق . (٥) «وأنتا» الخ ، أى ظن أن شعراء العرب لم يصلوا فى القصيدة الى مئة بيت ، ونسب ذلك الى العجز فى المنطق ونقصان اللغة العربية وقصورها عن تادية ما يريد الشاعر . (٦) يريد بان جرير أبا الحسن على بن العباس بن جرير الرومى مولى بنى العباس ، الشاعر المكثر ، صاحب التوليد الغريب والمعاني المبتكرة ؛ ولد ببغداد سنة ٥٢٢١ هـ . وتوفى سنة ٢٨٣ هـ وهو مشهور بالمطولات من القصائد . (٧) الوزير ، هو بطرس خالى باشا أبو الممدوح .

- (١) وَخَصَّ كَاتِبَهُمْ (زُولَا) بِأَطْيَبِهَا * كَيْمَا يُقَابَلُ إِحْسَانٌ بِإِحْسَانٍ
(٢) وَاجْعَلْ لِسَفْرِكَ ذَيْلًا فِي شَوَاعِرِنَا * وَقِفْ لَهْنَ هُنَاكَ الْمَوْقِفَ الثَّانِي
(٣) وَاتُّرَعَى الْغَرِيبِ مِنْ تِلْكَ الْحَلَى وَأَشْدُّ * بِكُلِّ حُسْنَانَةٍ فِينَا وَحُسَانٍ
(٤) وَعُدَّ إِلَى الشَّرْقِ عَوْدَ الْفَاتِحِينَ لَهُ * وَخُذْ مَكَانَكَ فِيهِ فَوْقَ (كِيَوَانَ)
(٥) وَأَشْكُرْ رِعَايَةَ عَبَّاسٍ وَمِيتَهُ * وَأَشْرَحْ وِلَاءَكَ يَا (غَالِي) (لَعْمَانَ)
(٦) وَأَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَرَعَى أَرِيكَتَنَا * مَرْفُوعَةَ الشَّانِ مَا مَرَّ الْجَدِيدَانَ

تهنئة المغفور له السلطان حسين كامل بالسلطنة^(٧)

[نشرت في أول يناير سنة ١٩١٥م]

- هَيْنِيئًا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَجَلُّ * لَكَ الْعَرْشُ الْجَدِيدُ وَمَا يُظَلُّ
(٨) تَسْمُ عَرْشُ (اسْمَاعِيلَ) رَجَبًا * فَأَنْتَ لَصَوْبِحَانَ الْمَلِكِ أَهْلُ

- (١) هو اميل زولا الكاتب الفرنسي المعروف؛ وولد في باريس سنة ١٨٤٠م، وتوفي سنة ١٩٠٢م.
(٢) يرغب حافظ الى المدوح أن يترجم الى اللغة الفرنسية كتابا آخر من شعر النساء العربيات يكون ذيلًا لكتابه الأول.
(٣) أشاد بذكره، أي رفعه بالثناء عليه. وبكل حسنة وحسان، أي بكل مجيدة محسنة في الشعر ومجيد محسن. ويجوز أن يقرأ هذان اللفظان بفتح الحاء، على معنى شاعرة وشاعر يشبهان حسان بن ثابت.
(٤) كيوان: اسم كوكب زحل بالفارسية. (٥) يرغب الى مدوحه أن يشرح لعثمان مرتضى باشا إخلاصه للخليوي ليلطفه إياه، وكان عثمان باشا في سراي الخليوي عباس الثاني في منزلة كبير الأمناء الآن.
(٦) الأريكة: سرير الملك. والجديدان: الليل والنهار.
(٧) ولد السلطان حسين كامل في يوم (١٩ صفر سنة ١٢٧٠هـ) (٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣م)، وفي يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤م تولى عرش مصر؛ وتوفي رحمه الله في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧م. (٨) تسم العرش: علاه. والصوبحان: العصا الموجهة من الطرف؛ وهو لفظ فارسي معرب؛ وكانت الملوك تتخذ شعارا لللك.

وَحَصَّنَهُ بِإِحْسَانٍ وَعَدَّلِ * فِخْصُنُ الْمَلِكِ إِحْسَانٌ وَعَدْلُ
 وَجَدَّ سِيرَةَ الْعُمَرَيْنِ فِينَا * فَإِنَّكَ بَيْنَنَا لِلَّهِ ظَنَلُ^(١)
 لَقَدْ عَزَّ السَّرِيرُ وَتَاهَا لَمَّا * تَبَوَّأَهُ الْمَلِكُ الْمُسْتَقِيلُ^(٢)
 وَهَشَّ التَّاجُ حِينَ عَلَا جِينَانَا * عَلَيْهِ مَهَابَةٌ وَعَلَيْهِ نُبُلُ^(٣)
 تَمَنَّى لَوْ يَقْرَأَ عَلِيٌّ أَبِي * تَبْدُلُ لَهُ الْخَطُوبُ وَلَا يَبْدُلُ^(٤)
 وَقَدْ نَالَ الْمَرَامَ وَطَابَ نَفْسًا * فَهَاهُوَ ذَا بِلَايِسِهِ يُبْدِلُ^(٥)
 وَمَا كُنْتَ الْغَرِيبَ عَنِ الْمَعَالِي * وَلَا التَّاجُ الَّذِي بَكَ بَاتَ يَطْلُو^(٦)
 وَإِنَّكَ مَنْذُ كُنْتَ وَلَا أَعَالِي * حُسَامٌ لِلْأَرِيكَةِ لَا يُفْلُ^(٧)
 فَكَمْ نَهَيْتَ مِنْ غَرْبِ الْعَوَادِي * وَكَمْ لَكَ فِي رُبُوعِ النَّيْلِ فَضْلُ^(٨)
 وَمَا مِنْ جَمْعٍ لِلْحَيْرِ إِلَّا * وَمِنْ كَفَيْكَ سَمَّ عَلَيْهِ وَبُلُ^(٩)
 فَقَدْ عَرَفَ الْفَقِيرُ نَدَاكَ قِدْمًا * وَقَدْ عَرَفَ الْكَبِيرُ عُلَاكَ قَبْلُ
 لَكَ الْعَرَشَانِ: هَذَا عَرْشُ مِصْرٍ، * وَهَذَا فِي الْقُلُوبِ لَهُ مَحَلُّ
 قَالَتْ ذَاتَ بَيْنِهِمَا بَرَأِي * وَعَزِيمٌ لَا يَهْكُلُ وَلَا يَمَلُّ

- (١) العمران : أبو بكر وعمر رضی الله عنهما . (٢) تاه : اختال . وتبواه : جلس عليه .
 (٣) هش للأمر : ارتاح إليه . (٤) بدل ، أى يفرط في التيه والاختيال .
 (٥) قوله : « ولا التاج الذى بك بات يعلو » أى ليس التاج الذى علا بهلاك غريبا عن المعالى
 أيضا . (٦) لا أعالي ، أى لا أبالغ . ولا يفل ، أى لا يثلم حده . (٧) « نهيت من
 غرب العوادي » ، أى كفتت من النوايب وصرقتها عن مصر . وغرب السيف ونحوه : حده .
 (٨) الويل : المطر الكثير .

(١) فَمَرَّشْ لَا تَحْفُ بِهٖ قُلُوبٌ * تَحْفُ بِهٖ الْخَطُوبُ وَيَضْمَعِلُ
 (٢) (أَبَا الْفَلَاحِ) كَمْ لَكَ مِنْ أَيْادٍ * عَلَيَّ مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ تَدُلُّ
 (٣) وَأَلَاءٍ وَإِنَّ أَطْلَبْتُ فِيهَا * وَفِي أَوْصَافِهَا فَاَنَا الْمُقِلُّ
 (٤) عُيَيْتَ بِحَالَةِ الْفَلَاحِ حَتَّى * تَهَيَّبَ أَنْ يَزُورَ الْأَرْضَ مَحَلُّ
 وَكَيْفَ يَزُورُ أَرْضًا سِرَّتَ فِيهَا * وَإِنَّ الْغَيْثَ لَمْ يَمْسِكْهُ بَحْلُ
 (٥) وَكَمْ أَحْيَيْتَ مِنْ أَرْضٍ مَوَاتٍ * فَأَضْحَمْتَ تُسْتَرَادَ وَتُسْتَعْلُ
 (٦) وَأَخْصَبَ أَهْلُهَا مِنْ بَعْدِ جَدِّبٍ * وَفَاضَ عَلَيْهِمْ رَغَدٌ وَنَقْلُ
 (٧) وَكَمْ أَسْعَفْتَ فِي مِضْرٍ جَرِيحًا * عَلَيْهِ الْمَوْتُ مِنْ كَثْبٍ يُطْلُ
 (٨) وَكُنْتَ لِكُلِّ مُسْكِينٍ وَقَاءً * وَأَهْلًا حِينَ لَمْ تَنْفَعْهُ أَقْلُ
 (٩) وَكُنْتَ قَتِيَّ بَعْدَ أَيْبِكَ نَدْبًا * لَهُ رَأْيٌ يُسَدِّدُهُ وَفِعْلُ
 لِكُلِّ عَظِيمَةٍ تُدْعَى قُبْلِي * بَلَاءٌ مُجْرَبٍ يُحْدُوهُ عَقْلُ
 (١٠) تَوَلَّيْتَ الْأُمُورَ قَتِيَّ وَكَهْلًا * فَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاكَ قَتِيَّ وَكَهْلُ

- (١) يضمحل : يخل ويذهب . (٢) كان المقفوله اللطان حين كامل يعني كل
 العناية بخير الفلاح ورخائه ؛ وكان رئيسا لجمعية الزراعة مدة من الزمن . (٣) الآلاء : النعم .
 والنقل : الموجز في الكلام . (٤) المحل : الجذب . (٥) استراد المكان : طلبه
 ونخيره للنزول فيه . (٦) النقل : زيادة الخير . (٧) من كثب ، أى من قرب .
 (٨) الوقاء : الحفظ . (٩) التدب ، هو من اذا تدببت لحاجة أسرخ في فضاها ، والسريع
 الى الفضائل . (١٠) يشير بقوله : «توليت الأمور قتي وكهلا» ، الى المناسبات التي تولاه في عهد
 أبيه اسماعيل وأخيه توفيق وابن أخيه عباس الثاني .

(١) وَجَرَّبَتِ الْحَوَادِثَ مِنْ قَدِيمٍ * وَمِثْلَكَ مَنْ يُجْرِبُهَا وَيَسْلُو^(١)
 (٢) وَكُنْتَ لِمَجْلِسِ الشُّورَى حَيَاةً * وَنِيرَاسًا إِذَا مَا الْقَوْمُ ضَلُّوا^(٢)
 (٣) فَلَمْ يَأْتِهِمْ بِسَاحَتِهِ جُحُودٌ * وَلَمْ يَجْلِسْ بِهِ عَضُوْ أَسْلُ^(٣)
 (٤) وَمَا غَادَرْتَهُ حَتَّى أَفَاقُوا * وَمِنْ أَمْرَاضِ عَيْشِهِمْ أَبْلُوا^(٤)
 فِعْشَ لِلنَّبِيلِ سُلْطَانًا أَيًّا * لَهُ فِي مُلْكِهِ عَقْدٌ وَحَلُّ^(٥)
 (٥) وَوَالِ الْقَوْمِ إِنَّهُمْ كِرَامٌ * مَيَّامِينُ النَّقِيْبَةِ أَيْنَ حَلُّوا^(٥)
 (٦) لَهُمْ مُلْكٌ عَلَى التَّامِيْزِ أَصْحَبَتْ * ذُرَاهُ عَلَى الْمَعَالِي تَسْتَهْلُ^(٦)
 (٧) وَلَيْسَ كَقَوْمِهِمْ فِي الْغَرِبِ قَوْمٌ * مِنْ الْأَخْلَاقِ قَدْ نَهَلُوا وَهَلُّوا^(٧)
 فَإِنَّ صَادِقَتَهُمْ صَدَقُوكَ وَدَا * وَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا قَتَّشَتْ مِثْلُ^(٨)
 (٨) وَإِنْ شَاوَرْتَهُمْ وَالْأَمْرُ جِدُّ * ظَفِرَتْ لَهُمْ بِرَأْيٍ لَا يَزِلُّ^(٨)
 وَإِنَّ نَادِيَتَهُمْ لَبَّاكَ مِنْهُمْ * أَسَاطِيْلُ وَأَسْيَافٌ تُسَلُّ^(٩)
 (٩) فَمَادِدُهُمْ حِبَالُ الْوُدِّ وَأَنْهَضُ * بِنَا فِقِيَادُنَا لِلخَيْرِ سَهْلُ^(٩)

- (١) يسلو : يختبر . (٢) النبراس : المصباح . (٣) ألم بالمكان :
 زاره زيارة غير طويلة . (٤) أبل المريض : شفى .
 (٥) يريد بالقوم : الانجليز . وميمون النقيبة : محمود المختبر .
 (٦) التاميز : نهر بانجلترا معروف . والذرا : المرتفعات ، الواحدة ذروة . وتستهل : تظهر .
 (٧) النهل (بالتحريك) : الشرب الأول . والعلل (بالتحريك أيضا) : الشرب الثاني . يريد أنه
 ليس في أمم أوروبا أمة مثل الانجليز قد ارتوت من نهل الأخلاق . (٨) يزل : يخطئ .
 (٩) يقال : تماذا حبال الود ، اذا توادا .

(١)
 وَخَفَّفَ مِنْ مُصَابِ الشَّرْقِ فِينَا * فَنَحْنُ عَلَى رِجَالِ الْغَرْبِ ثِقَلُ
 إِذَا نَزَلَتْ هُنَاكَ بِهِمْ خُطُوبٌ * أَلَمْ بِنَا هُنَا قَلْبُكَ وَشُغْلُ
 جَارِي لَا يَقَرُّنَا قَرَارٌ * تُنَازِلُنَا الْخُطُوبُ وَنَحْنُ عَزَلُ
 فَاهْلًا بِالذَّلِيلِ إِلَى الْمَعَالِي * أَلَا سِرِّيَا (حُسَيْنُ) وَنَحْنُ نَتَلُو
 وَأَسْعِدُنَا بِعَهْدِكَ خَيْرَ عَهْدٍ * بِهِ أَيَّامُنَا تَصْفُو وَتَحْلُو
 فَامْرُكَ طَاعَةً وَرِضَاكَ غُفْمٌ * وَسَيْفُكَ قَاطِعٌ وَنَدَاكَ جَزَلُ
 (٢)
 (٣)

إلى الطيبة (لونا)

قال هذين البيتين فيها بمناسبة طفلة رزقها صديقه محمد بك بدر
 وكانت (لونا) هي المولدة

[نشرت في ١٥ فبراير سنة ١٩١٦ م]

(لُونا) شُهْرَةٌ فِي الطَّبِّ تَاهَتْ * بِهَا مِضْرُوتَاهُ بِهَا مَدِيحِي
 وَمِنْ عَجَبِ تَدِينُ بَدِينِ (مُوسَى) * وَتَأْتِينَا بِعَجِيزَةِ (الْمَسِيحِ)
 (٤)

- (١) يريد بالشرط الثاني من هذا البيت أن تأخرنا عن الغريمين جعلنا حملاً ثقيلاً على كواهلهم .
 (٢) العزل : الذين لا سلاح لهم ، الواحد أعزل .
 (٣) الجزل : الكثير .
 (٤) يريد تشبيه هذه الطيبة في طبها بنبي الله عيسى عليه السلام ، إذ كانت معجزته إحياء الموتى .

ذكرى شكسبير^(١)

قالها تلبية لدعوة المجمع العلمي بإنجلترا الذي أقام احتفالا

بذكرى شكسبير لمرور ثلثمائة عام على وفاته

[نشرت في ١ مارس سنة ١٩١٦ م]

يُحْيِكَ مِنْ أَرْضِ الْكِنَانَةِ شَاعِرٌ * شَغُوفٌ بِقَوْلِ الْعَبَقِيِّينَ مُغْرَمٌ
 وَيُطْرِبُهُ فِي يَوْمِ ذِكْرِكَ أَنْ مَشَتْ * إِلَيْكَ مُلُوكُ الْقَوْلِ عَرَبٌ وَأَعْجَمٌ^(٢)
 نَفَرَتْ بَيْنَ الْغَيْبِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ * وَفِي كُلِّ عَصْرِ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَحْمُكُمُ
 فَلَمْ تُحِطِ الْمَرْمَى وَلَا غَرَوْ أَنْ دَنَتْ * لَكَ الْغَايَةُ الْقُصُوى فَإِنَّكَ مُلْهَمٌ^(٣)
 أَفَقَ سَاعَةً وَأَنْظَرُوا إِلَى الْخَلْقِ نَظْرَةً * تَجِدُهُمْ - وَإِنْ رَاقَ الْبَلَاءُ - هَمُّ هَمٍّ^(٤)
 عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ شَرِّ أَطْيَاعِهِمْ دَمٌ * وَفَوْقَ عُجَابِ الْبَحْرِ مِنْ صُنْمِهِمْ دَمٌ^(٥)
 تَفَانُوا عَلَى دُنْيَا تَقْرُ وَبَاطِلٍ * يَزُولُ إِلَى أَنْ حَبَّتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ
 فَلَيْتَكَ تَحْيَا يَا أبا الشَّعْرِ سَاعَةً * لَتَنْظُرَ مَا يُصْبِي وَيُدْمِي وَيُسْؤِلُ^(٦)
 وَقَائِعَ حَرْبٍ أُجِجَ الْعِلْمُ نَارَهَا * فَكَادَ بِهَا عَهْدُ الْحَضَارَةِ يُجْتَمِ^(٧)

(١) وليم شكسبير، هو الشاعر الإنجليزي المعروف؛ وُلِدَ سنة ١٥٦٤م، وكانت وفاته سنة ١٦١٦م.

(٢) الأعمى: وصف يطلق على الجمع كما هنا، وعلى المفرد؛ يقال: رجل أعمى، وقوم أعمى.

(٣) القصوى: البعيدة. (٤) راقى طلاؤه: أعجبني ظاهره. (٥) ظهرها، أي

ظهر الأرض. (٦) أسماء السهم: قتله. (٧) أُجِجَ العلم نارها، أي أشعلها العلم

بمختراته المهلكة.

وَتَعْلَمُ أَنَّ الطَّبْعَ لَا زَالَ غَالِبًا * سَوَاءَ جَهُولِ الْقَوْمِ وَالْمُتَعَلِّمِ
 فَمَا بَلَّغْتَ مِنْهُ الْحَضَارَةَ مَارَبًا * وَلَا نَالَ مِنْهُ الْعِلْمُ مَا كَانَتْ يَزْعُمُ^(١)
 أَهَبْتَ بِهَذَا مِنْ قُرُونٍ ثَلَاثَةَ * وَكُنْتَ عَلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ تَتَّقِمُ^(٢)
 وَمَا هَدَمَ التَّجْرِبُ رَأْيَا بِنَيْتِهِ * وَلَا زَالَتِ الْآرَاءُ تُبْنَى وَتُهْدَمُ
 أَلَا إِنَّ ذِكْرِي شِكْسِيرٌ بَدَتْ لَنَا * بِشِيرِ سَلَامٍ ثَعْرَهُ يَتَبَسَّمُ^(٣)
 فَلَوْ أَنْصَفُوا أَبْطَلَمُسَ لَتَهَادَنُوا * قَلِيلًا وَحَيًّا شِعْرَهُ وَتَرَمَّمُوا^(٤)
 وَلَمْ يُطْلِقُوا فِي يَوْمِ ذِكْرَاهُ مِدْفَعًا * وَلَمْ يُزَهِّقُوا نَفْسًا وَلَمْ يَتَّقَحُّوا^(٥)
 لَهُ قَلَمٌ ماضِي الشَّبَابَةِ كَأَنَّمَا * أَقَامَ بِشِقِيهِ الْقَضَاءُ الْمُحْتَمُّ^(٦)
 طَهُورٌ إِذَا مَا دُنِسَتْ كَفُّ كَاتِبٍ * وَتُوبٌ إِذَا مَا قَرَّ فِي الطَّرْسِ مِرْقَمُ^(٧)
 وَلَوْعٌ بِتَصْوِيرِ الطَّبَائِعِ فَلَمْ يَحْزُرْ * بِمَاطِنَةِ إِلَّا حَيْبِنَاهُ يَرْسُمُ^(٨)
 أَرَانِي فِي (مَا كَيْتِ) لِلْفَيْدِ صُورَةً * تَكَادُ بِهَا أَحْشَاؤُهُ تَنْضَرُمُ^(٩)
 وَمِثْلَ فِي (شَيْلُوكَ) لِلْبُخْلِ بِمِثْنَةٍ * عَلَيْهَا خُبَارُ الْمُؤِينِ وَالْوَجْهَ أَقْتَمُ^(١٠)
 وَأَقْعَدَنِي عَنْ وَصْفِ (هَمَلِيَّتِ) حُسْنًا * وَفِي مِثْلِهَا تَبَا الْبِرَاعَةِ وَالْفَسَمُ

(١) مه، أى من الطبع . (٢) أهبت : دعوت .

(٣) تهادنوا قليلا، أى كفوا عن الحرب . يشير الى ما كان إذ ذاك من توقد نار الحرب العظمى .

(٤) تقم الحرب واقتمها : دخل فيها وخالطها . (٥) شباة القلم : مه .

(٦) المرقم : القلم . (٧) يشير بهذا البيت الى نصيدة شكسبير في خنجر ما هسكيت

التي ترجمها حافظ ونشرت في هذا الديوان . (٨) المسون : التذل . والأقتم : العابس

دَعِ السَّحَرَ فِي (رُمِيُو) وَ(جُولِيَت) إِنَّمَا * يُحِسُّ بِمَا فِيهَا الْأَدِيبُ الْمُتَمِّمُ
 أَتَاهُمْ بِشِعْرِ عَبَقَرِيٍّ كَأَنَّهُ * سَطُورٌ مِّنَ الْإِنْجِيلِ تُثَلَّى وَتُكْرَمُ
 نَدِيٌّ عَلَى الْأَيَّامِ يَزْدَادُ نَضْرَةً * وَيَزْدَادُ فِيهَا جِدَّةً وَهُوَ يَقْدَمُ^(١)
 يُؤْتِي إِلَى قُرَاتِهِ أَنْ نَسَجَهُ * لِيَوْمٍ وَأَنَّ الْحَائِكِ الْيَوْمَ فِيهِمْ^(٢)
 كَتَلِكَ النَّفُوسِ الرَّاهِيَاتِ بِمَعْبِدِ * لِفِرْعَوْنَ لَا زَالَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَسْلَمُ
 فَلَمْ يَدْنُ مِنْ إِحْسَانِهِ مَتَاخِرٌ * وَلَمْ يَجْرِ فِي مَيْدَانِهِ مُتَقَدِّمٌ
 أَطَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاءِ خَيَالِهِ * وَحَلَّقَ حَيْثُ الْوَهْمُ لَا يَتَجَشَّمُ^(٣)
 وَجَاءَ بِمَا فَوْقَ الطَّيْبَةِ وَقَعُهُ * فَأَكْبَرَ قَوْمٌ مَا أَتَاهُ وَأَعْظَمُوا
 وَقَالُوا تَحَدَّانَا بِمَا يُعْجِزُ النَّهْيُ * فَلَسْنَا إِذْنُ آثَارِهِ نَتَرَسَّمُ^(٤)
 وَلَمْ يَتَحَدَّ النَّاسَ لَكِنَّهُ أَمْرٌ * بِمَا كَانَ فِي مَقْدُورِهِ يَتَكَلَّمُ^(٥)
 لَقَدْ جَهَلُوهُ حِقْبَةً ثُمَّ رَدَّهُمْ * إِلَيْهِ الْهُدَى فَاسْتَغْفَرُوا وَتَرَحَّمُوا
 كَذَلِكَ رِجَالُ الشَّرْقِ لَوْ يُنْصَفُونَهُمْ * لَقَامَ لَهُمْ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَوْسِمٌ
 أَضَاءَ بِهِمْ بَطْنُ الثَّرَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ * وَأَعْقَابُهُمْ عَنْ نُورِ آيَاتِهِمْ عَمُوا

(١) يريد « بالندی » تشبیه شعره بالزهر المبتل بالندی ؛ والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى

(الندی) بخفيف الياء مع كسر الدال لا بتشديدها .

(٢) يقول : إن شعره بلجة معانيه ومساريتها لكل عصر ينجيل لقراءته أنه قد قيل في هذا العهد الذي

قراوه فيه ، وأن قائله لا يزال حيا بينهم . (٣) لا يجشم ، أي لا يتكلف .

(٤) تحدانا : بارانا ونازعنا الغلبة . وترسم آثاره : اقتدى بها وسار عليها .

(٥) الحقبة : المدة من الدهر .

فَقُلْ لِبَنِي التَّامِيزِ وَاجْمَعُ حَافِلُ * بِهِ يُنَادُّ الدَّرُّ الثَّمِينُ وَيُنْظَمُ
لئن كان في صَخْمِ الأَسَاطِيلِ نَحْرُكُمْ * لَفَخْرُكُمْ بِالشَّاعِرِ الفَرْدِ الأعْظَمِ

الى عظمة السلطان حسين كامل^(١)

ألقاها بين يديه أثناء زيارته لمدينة طنطا في السراوق الذي أقيم له هناك

[نشرت في ٦ مايو سنة ١٩١٦ م]

في سَاحَةِ (البَدَوِيِّ) حَلَّتْ سَاحَةٌ * عِزُّ البِلَادِ بِعِزِّهَا مَوْصُولُ^(٢)
وَأَتَى (الحَسِينُ) يَزُورُ قُطْبَ زَمَانِهِ * يَرَعَى وَيَجْرُسُ رَكْبَهُ (جَبْرِيلُ)
زَادَتْ مَوَاسِمُنَا (بَطْنَطَا) مَوْسِمًا * لِمَلِيكِهِ التَّقِيدِيسُ وَالتَّبَجِيلُ
بِالسَّاحَتَيْنِ لِكُلِّ رَاجِحٍ مَوْئِلُ^(٣) * وَلِكُلِّ عَافٍ مَرَبَعٌ وَمَقِيلُ
قُلْ لِلْفَقِيرِ إِذَا سَأَلَتْ فَلَا تَحْفَ * رَدًّا فَمَا فِي السَّاحَتَيْنِ بَنَجِيلُ
بَرَكَاتُ هَذِي لَا يَفِيضُ مَعِينُهَا * نَفَحَاتُ تِلْكَ كَثِيرُهَا مَأْمُولُ^(٤)
قَدْ أَحْصَبَ الإِقْلِيمُ حِينَ حَلَّتْهُ * وَالتَّيْتُ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مَحْوُلُ^(٥)

(١) انظر التعريف بالمنفور له السلطان حسين كامل في الحاشية رقم ٧ ص ٦٧ من هذا الجزء .

(٢) يريد « بالبدوي » : السيد احمد البدوي المعروف ضريحه ومسجده بطنطا . ويريد بالساحة الثانية : ساحة السلطان . (٣) العافي : طالب المعروف . والمربع : المكان يقام فيه وقت الربيع . والمقيل : موضع الراحة نصف النهار . (٤) « هذي » ، إشارة الى ساحة البدوي . ولا يفيض معينا ، أى لا يقل ولا يتقص موردها . والمعين في الأصل : الماء الجاري . « وتلك » ، إشارة الى ساحة السلطان . (٥) المحول : الجذب .

وَبَدَا يَمْسُجُ بِسَاكِنِهِ وَعِطْفُهُ * قَدْ كَادَ مِنْ طَرَبِ اللَّقَاءِ يَمِيلُ^(١)
 ذَكَرُوا بِمَقْدَمِكَ الْمُبَارَكِ مَوْقِعًا * قَدْ قَامَ فِيهِ أَبُوكَ (إِسْمَاعِيلُ)
 فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ خَلَّدَ ذِكْرَهُ * أَثْرُهُ بَيْنَ الْعِبَادِ جَلِيلُ
 تَرَ السُّعُودَ عَلَى الْوُفُودِ وَحَوْلَهُ * يَتَجَاوَبُ التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
 دَامَتْ مَاثِرُهُ وَمَنْ يَكُ صُنْعُهُ * كَأَيْكَ إِسْمَاعِيلَ كَيْفَ يَزُولُ؟
 فَاهْنَا بِمُلْكِكَ يَا (حُسَيْنُ) فَمَهْدُهُ * عَهْدٌ بِتَحْقِيقِ الرَّجَاءِ كَفِيلُ
 وَأَنْهَضَ بِشَعْبِكَ فِي الشُّعُوبِ فَإِنَّمَا * لَكَ بَعْدَ رَبِّكَ أَمْرُهُ مَوْكُولُ
 وَلِيَهْنِي الْبَسْطِيُّ أَنَّ صَدِيقَهُ * عَنْ وَدِّهِ الْمَعْهُودِ لَيْسَ يَحْسُولُ
 قَدْ جَاءَهُ يَسْعَى إِلَيْهِ وَحَوْلَهُ * أَعْلَى وَأَكْرَمُ مِنْ سَقَاهُ النَّيْلُ^(٢)

(١) يمسج : يضطرب . والعطف : الجانب .

(٢) يريد « بالأعلى » و « الأكرم » : من كان في ركب السلطان .

عمر بن الخطاب^(١)

انشدها في الحفل الذي أقيم لسبع هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف بدرب الجمايز

سواء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨ م

- (٢) حَسْبُ الْقَوَائِي وَحَسْبِي حِينَ أُقِيهَا * أَنِّي إِلَى سَاحَةِ (الْفَارُوقِ) أُهْدِيهَا
(٣) لَاهُمْ ، هَبْ لِي بَيَانًا أَسْتَعِينُ بِهِ * عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ نَامٍ قَاضِيهَا
(٤) قَدْ نَارَعَتْنِي نَقِيبِي أَنْتَ أَوْفِيهَا * وَليْسَ فِي طَوْقِ مِثْلِي أَنْ يُؤَفِّيَهَا
(٥) فُسْرِي الْمَعَانِي أَنْ يُؤَاتِيَنِي * فِيهَا فَإِنِّي ضَعِيفُ الْحَالِ وَاهِيهَا

(مقتل عمر)

- (٦) مَوْلَى الْمُغْيِرَةِ، لَا جَادَتَكَ غَادِيَةً * مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا

(١) ولد أبو حفص عمر بن الخطاب بمكة سنة ٢٧ قبل الهجرة، وكان قبل إسلامه من أشد الناس عدواة للإسلام وأهله، ثم أسلم رضي الله عنه بعد ست سنين من بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهدته كلها؛ ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له اليد الطولى في حسم الخلاف بين المسلمين على الخلافة؛ ولما أحس أبو بكر بدتو أجله استخلف عمر. وتاريخ عمر حافل بالأموال الجسام؛ وقتل رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ.

(٢) الفاروق: اسم لعمر بن الخطاب، سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه فرق بين الحق والباطل.

(٣) لاهم، أي اللهم. (٤) الطوق: الجهد والطاقة. (٥) سري المعاني: شريفها ورفيعها. وبواتيني: يطعنني ويمدني.

(٦) مولى المغيرة، هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه وهو قارسي الأصل، وكان قد شكا إلى عمر ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه المغيرة، ورجاه في تخفيفه، فلم يجبه إلى ما طلب، فأسرهما في قمه، وتحين به الفرص حتى طعننه بخنجره وهو قائم يصلي. ويقال: إن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد أبي لؤلؤة عليه، ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاطلين فيها الهرمزان الفارسي، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الفرض. والغادية: السحابة تتشأ غدرة واجمع النوادي. وجادتك: أمطرتك؛ يدعو عليه بانقطاع الخير والرحمة عنه.

- (١) مَزَّقَتْ مِنْهُ أَدِيمًا حَشْوَهُ هِمٌّ * فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَالِيهَا وَمَاضِيهَا
 (٢) طَعَنْتَ خَاصِرَةَ (الْفَارُوقِ) مُتَّقِمًا * مِنْ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِيهَا
 (٣) فَاصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ حَائِرَةً * تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لَمَّا مَاتَ آسِيهَا
 (٤) مَضَى وَخَلَفَهَا كَالطُّودِ رَائِحَةً * وَزَانَ بِالْعَدْلِ وَالتَّقْوَى مَغَانِيهَا
 (٥) تَبَوُّوا الْمَعَاوِلَ عَنْهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ * وَالْمَهَادِمُونَ كَثِيرٌ فِي نَوَاحِيهَا
 حَتَّى إِذَا مَا تَوَلَّاهَا مُهَدِّمُهَا * صَاحَ الزَّوَالُ بِهَا فَاذْنُكَ عَالِيهَا
 (٦) وَأَهَا عَلَى دَوْلَةٍ بِالْأَمْسِ قَدْ مَلَأَتْ * جَوَانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيَادِيهَا
 (٧) كَمْ ظَلَلَتْهَا وَحَاطَتْهَا بِأَجْنِحَةٍ * عَنْ أَصْبِنِ الدَّهْرِ قَدْ كَانَتْ تُوَارِيهَا
 (٨) مِنَ الْعِنَايَةِ قَدْ رِيثَتْ قَوَادِمُهَا * وَمِنْ صَمِيمِ التَّقَى رِيثَتْ خَوَافِيهَا
 (٩) وَاللَّهِ مَا غَالَهَا قَدَمًا وَكَادَهَا * وَأَجْتَتْ دَوْحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيهَا
 لَوْ أَنَّهَا فِي صَمِيمِ الْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ * لَمَّا نَعَاهَا عَلَى الْإَيَّامِ نَاعِيهَا

- (١) الأديم : الجلد . وقوله : « عَالِيهَا وَمَاضِيهَا » يصف همة عمر بالرفعة والمضاء .
 (٢) الخاصرة : الخصر . وفي أعلى مجالها ، أى فى أروض مظاهرها .
 (٣) الأسمى : الطيب . (٤) الطود : الجبل العظيم . والمغانى : المنازل ، الواحد مغانى .
 (٥) تبو : تكل وترتد . (٦) الأيادى : النعم . (٧) كم ظللتها ، أى أن هذه الدولة
 ظللت جوانب الشرق . (٨) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى بكار الريش
 الواحدة قادمة . والخوافى : صغار الريش ، وهى تحت القوادم . (٩) غالها : اغتالها وأهلكها .
 راجبت : استأصل . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل ، والجمع دوح . ويريد « بالموالى » : غير
 العرب . ويشير بهذا البيت الى نكبة الدول الإسلامية على أيديهم ، فهم الذين قتلوا عمر ، وكانوا سببا
 فى إسقاط الدولة الأموية وإضمار الدولة العباسية حتى سقطت .

(١)
 يَالْبَيْتِمْ سَمِعُوا مَا قَالَه (عُمَرُ) * وَالرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ مِنْه تَرَاقِيهَا :
 لَا تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِيكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ * مَطَامِعًا بِسَمَاتِ الضَّعِيفِ تُخْفِيهَا

(إسلام عمر)

(٢)
 رَأَيْتَ فِي الدِّينِ آرَاءَ مُوقِّعَةً * فَأَنْزَلَ اللهُ قُرْآنًا يُزَكِّيهَا
 وَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ قَرَّتْ بِصُحْبَتِهِ * عَيْنُ الحَنِيفَةِ وَأَجْتَازَتْ أَمَانِيهَا
 قَدْ كُنْتَ أَعْدَى أَعَادِيهَا فَصُرْتَ لَهَا * بِنِعْمَةِ اللهِ حِصْنًا مِنْ أَعَادِيهَا
 نَخَرَجْتَ تَبَغِي أَذَاهَا فِي (مَجْدِهَا) * وَلِلْحَنِيفَةِ جَبَّارُ يُوَالِيهَا
 فَلَمْ تَكَدْ تَسْمَعُ الْآيَاتِ بِاللِّغَةِ * حَتَّى أَنْكَفَّتْ تُتَاوَى مِنْ يُنَاوِيهَا

- (١) يقال بلغت روحه التراقي ، اذا شارف الموت . والترقي : أعلى الصدر حيث يترقى النفس .
 (٢) يزكيا : يعزها ويؤيدها . ويشير بهذا البيت الى ما كان من عمر — رضى الله تعالى عنه — حين كان يرى الرأى فينزل به القرآن ، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية ، منها آية التحريم في الخمر لما قال : « اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا » . ومنها آية الاستئذان في الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائما ؛ فقال : « اللهم جرم الدخول » ؛ فنزلت آية الاستئذان الخ . (٣) يشير الشاعر بهذا البيت الى ما عرف عن عمر من شدته على النبي والمسلمين قبل إسلامه ، ثم ما كان منه بعد ذلك من إعزاز الإسلام بدخوله فيه . (٤) يواليا : يناصرها ، وهو الله تعالى . ويشير الشاعر بهذا البيت والآيات بعده الى السبب في إسلام عمر ، وذلك أنه كان خرج في يوم من الأيام ليواصل أداء النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقه نعيم بن عبد الله وأخبره بإسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد ؛ وعيره ذلك ، فرجع عمر اليهما غاضبا ، وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئها إياها ؛ فلما دنا عمر من البيت سمعهم ، وأحسوا هم به ، فاختنى خباب ، ودخل عمر ، فعثر على الصحيفة وقرأ ما فيها ، فأعجب به وأطراه ، ومال قلبه الى الإسلام ، فقصد الى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه .
 (٥) انكفا : رجع ، وتناوى : تآوى ، أى تعادى .

- (١) سَمِعْتَ (سُورَةَ طه) مِنْ مَرَّتِلِهَا * فزَلَزَتْ نِيَّةً قَدْ كُنْتَ تَنْوِيهَا
 (٢) وَقُلْتَ فِيهَا مَقَالًا لَا يُطَاوِلُهُ * قَوْلُ الْمُحِبِّ الَّذِي قَد بَاتَ يُطْرِيبُهَا
 (٣) وَيَوْمَ أَسَلْتِ عَزَّ الْحَقُّ وَأَرْتَفَعَتْ * عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَنْتَقَالَ يُعَانِيهَا
 (٤) وَصَاحَ فِيهِ (بِلَالٌ) صَيْحَةً خَشَعَتْ * لَهَا الْقُلُوبُ وَلَبَّتْ أَمْرَ بَارِيهَا
 (٥) فَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الْمُخْتَارِ) مُنْجِدُهَا * وَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الصَّديقِ) مُنْجِيهَا
 (٦) كَمْ أَسْتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ مُغْتَبِطًا * بِحِكْمَةِ لَكَ عِنْدَ الرَّأْيِ يُلْفِيهَا

(عمر وبيعة أبي بكر)

- (٧) وَمَوْقِفِكَ بَعْدَ (المُصْطَفَى) أَفْتَرَقْتُ * فِيهِ الصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا
 بَايَعَتْ فِيهِ (أَبَا بَكْرٍ) فَبَايَعَهُ * عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا

- (١) يريد «بالنية»: النية التي كان ينويها عمر قبل اسلامه من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.
 (٢) لا يطاوله: لا يغالبه. وأطراه يطريه: أحسن الثناء عليه وبالغ في مدحه.
 (٣) الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق. (٤) بلال، هو ابن رباح، وكان مولى لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، اشتراه ثم أعنته، وكان له خازنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية. ويشير الشاعر بهذا البيت الى اظهار المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعد ما كانوا يخفونه خوفا من المشركين، وجهر بلال بالأذان.
 (٥) يريد بالصديق: أبا بكر أول الخلفاء الراشدين؛ ويشير بالشرط الثاني من هذا البيت الى الخلاف الذي سبق مبايعة أبي بكر، وحسنه عمر يوم السقيفة، ومناصرتة لأبي بكر مدة خلافته، ويشير الشاعر الى ذلك بعد. (٦) استراك: أصلها استراهك، أي طلب رأيك. (٧) يشير الى اختلاف المسلمين في يوم السقيفة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة في اختيار خليفة لهم، وإلى فضل عمر يومها بله شعهم وإسراعه الى مبايعة أبي بكر بثلاثة.

- (١) وَأُطِفَّتْ فِتْنَةٌ لَوْلَاكَ لَأَسْتَعَرْتُ * بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَأَنْسَابَتْ أَفَاعِيهَا
 (٢) بَاتَ النَّبِيُّ مُسَجِّجِي فِي حَظِيرَتِهِ * وَأَنْتَ مُسْتَعِيرُ الْأَحْشَاءِ دَائِمِيهَا
 (٣) تَهِيمٌ بَيْنَ عَجِيجِ النَّاسِ فِي دَهْشٍ * مِنْ نَبَأَةٍ قَدْ سَرَى فِي الْأَرْضِ سَارِيهَا
 (٤) تَصِيحٌ: مَنْ قَالَ نَفْسُ الْمُصْطَفَى قُبِضَتْ * عَلَوْتُ هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ أُبْرِيهَا
 أَنْسَاكَ حُبُّكَ طَهَّ أَنْهُ بَشْرٌ * يُجْرِي عَلَيْهِ شُؤُونَ الْكَوْنِ مُجْرِيهَا
 وَأَنْتَ وَارِدٌ لَا بَدَّ مَوْرِدَهُ * مِنْ الْمَنِيَّةِ لَا يُعْفِيهِ سَاقِيهَا
 نَسِيتَ فِي حَقِّ طَهَّ آيَةٌ نَزَلَتْ * وَقَدْ يُذَكَّرُ بِالْآيَاتِ نَاسِيهَا
 (٥) ذَهَلَتْ يَوْمًا فَكَانَتْ فِتْنَةً عَمَمٌ * وَتَابَ رُشْدُكَ فَانْجَابَتْ دِيَابِجِيهَا
 (٦) فَلِلْسُقَيْفَةِ يَوْمٌ أَنْتَ صَاحِبُهُ * فِيهِ الْخِلَافَةُ قَدْ شِيدَتْ أَوَاسِيهَا
 (٧) مَدَّتْ لَهَا (الْأَوْسُ) كَفًّا كَيْ تَتَاوَلَهَا * فَمَدَّتْ (الْخَزْرَجُ) الْأَيْدِي تُبَارِيهَا

- (١) استعرت : اتفدت . (٢) سبجي الميت : مد عليه ثوبه وغطاه به .
 (٣) هام يهيم : ذهب على وجهه لا يدري أين يذهب . والعجيج : الصباح ورفع الصوت . والنبأة :
 الصوت الخفى ، ويريد نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . ويشير بهذا البيت والآيات الخمسة بعده الى
 ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إن عمر وقف بينهم يهددهم
 بقطع رأس كل من يقول : " مات محمد " حتى جاءهم أبو بكر ، فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى :
 (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ؛ فعادوا الى صوابهم . (٤) الهامة : الرأس .
 (٥) عمم : عامة ، وانجابت : انقضت وزالت . والديابجي : الظلمات .
 (٦) الأواسي : جمع آسية ، وهي العمود .
 (٧) الضمير في « لها » و « تاوَلها » للخلافة . والأوس والخزرج : قبيلتا الأنصار . وتباريها :
 تنازعها الغلبة على الخلافة .

(١).
وظن كل فريق أن صاحبهم * أولى بها وأنى الشحنة آتيا
(٢)
حتى أنبريت لهم فارتد طامعهم * عنها وأنى (أبو بكر) أواخيا

(عمر وعليّ)

(٣)
وقولة (عليّ) قالها (عمر) * أكرم بسامعها أعظم بملقيا!
حرق دارك لا أبى عليك بها * إن لم تُبايع وبنّت المصطفى فيها
ما كان غير (أبي حفص) يفوه بها * أمام فارس (عدنان) وحاميا
كلامها في سبيل الحق غزمته * لا تتنى أو يكون الحق ثانيا
فاذكروها وترحم كل ما ذكروا * أعظما ألسوا في الكون تأليا

(عمر وجبله بن الأيهم)

(٤)
كم خفت في الله مضعوقا دعاك به * وكم أخفت قويا ينتنى تيا
(٥)
وفي حديث قتي غسان موعظة * لكل ذى نعمة يابى تنا سينا

(١) صاحبهم ، أى الذى نصبوه للخلافة منهم . (٢) أنى أواخيا ، أى مكن لها ووثق صلاتها وقواها . والأواحي : العرا ، الواحدة آخية . (٣) يشير بهذه الأبيات الى امتناع علي عن البيعة لأبى بكر يوم السقيفة ، وتهديد عمر إياه بخرق بيته اذا استمر على امتناعه وكان فيه زوجة على فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . (٤) المضعوف ، أى الضعيف ؛ والقياس مضعف ، كقولهم : أسعد الله فهو مسعود ؛ والقياس مسعد (فتح العين) . وبه ، أى بالله . وتيا : كبرا . (٥) قتي غسان ، هو جبله بن الأيهم أحد أبناء النساسنة ملوك الشام ، كان قد اعتنق الإسلام ، وبينما هو يوما يطوف إذ وطئ أعرابي ثوبه ، فلطمه جبلة لكمة هشت أنفه ، فشكاه الأعرابي الى عمر ، فأمر أن يقتص منه ، وأبى جبلة ذلك ، وحرب ، والتجا الى القسطنطينية ، وتنصر . والنقرة (بفتح العين) — وسكنت هنا للضرورة — : الخيلاء والكبر .

فما القوي قويا رَغَمَ عِزَّتَهُ * عند الخُصومةِ (والفاروق) قاضيا
وما الضعيفُ ضعيفا بعد حُجَّتِهِ * وإن تخاصمَ واليها وراعيا

(عمر وأبو سفيان)

وما أَقَلَّتْ (أبا سفيان) حين طَوَى * عنك الهديةَ مُعْتَرًا بمهديا^(١)
لَمْ يُغْنِ عنه وقد حاسبته حَسْبُ * ولا (معاوية) بالشام يُجيبها
قِيَدَتْ منه جليلاً شاب مَفْرِقُهُ * في عِزَّةٍ ليس من عِزِّ يَدَانِيهَا^(٢)
قد نُوِّهوا بِأَسْمِهِ في جاهليته * وزاده سَيِّدُ الكونينِ تَوِيهَا^(٣)
في فَتْحِ مَكَّةَ كانت داره حَرَمًا * قد أَمَّنَ اللهُ بعدَ البيتِ غاشيا^(٤)

(١) وما أقلت أبا سفيان، أي ماتركته ولا تفاضيت عنه . وبمهديا، أي معاوية . ويشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن معاوية - وهو على الشام - بعث مرة إلى عمر بن الخطاب بمال وأدم وكتب إلى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر، فخرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والأدم؛ فذهب أبو سفيان بالأدم والكتاب إلى عمر، واحتبس المال لنفسه؛ فلما قرأ عمر الكتاب قال: فأين المال يا أبا سفيان؟ قال: كان علينا دين ومعوقة، ولنا في بيت المال حق، فاذا أخرجت لنا شيئاً قاضيتنا به؛ فقال عمر: اطرحوه في الأدم (أي القيد) حتى يأتي بالمال، فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال، فأمر عمر بإطلاقه من الأدم، فلما قدم الرسول على معاوية قال: رأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدم، قال: نعم، وطرح فيه أباك؛ قال: ولم؟ قال: جاءه بالأدم وحبس المال؛ قال: أي والله، والخطاب لو كان لطرحه فيه .

(٢) يريد بقوله: "جليلاً" وما بعده من الأوصاف: أبا سفيان . والمفروق: وسط الرأس .
(٣) توه به . رفع ذكره ومدحه وعظمه . (٤) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان يوم فتح مكة من جعل بيته آمناً لمن دخله واعتصم به من المشركين . وقوله: «بعد البيت»، أي بعد الكعبة .

وكلُّ ذلك لم يشفعَ لدى (عُمَر) * في هَفْوَةٍ (لأبي سفيان) يأتِيها

(١)

تالله لو فَعَل (الخطاب) فَعَلْتَه * لما تَرَخَّصَ فيها أو يُجَازِيها

(٢)

فلا الحَسَابَةُ في حَقِّ يُجَامِلُها * ولا القَرَابَةُ في بَطْلِ يُجَازِيها

(٣)

وتلك قُوَّةٌ نَفِيسٌ لو أرادَ بها * شَمَّ الجبالِ لما قَرَّتْ رَواصِيها

(عمر وخالد بن الوليد)

(٤)

سَلَّ قَاهِرَ الفُرسِ والرُّومانِ هل شَفَعَتْ * له الفُتُوحُ وهل أَغْنَى تَوَالِيها

(٥)

غَزَى فَاثِلِي وَخَيْلُ اللهِ قد عَقِدَتْ * باليَمِينِ والنَّصْرِ والبُشْرَى نَوَاصِيها

(٦)

(١) ترخص في الأمر : تساهل . يقول : لو فعل الخطاب ، وهو أبو عمر ، مثل هذا ، ما تساهل في عقابه حتى يجازيه . (٢) الحسابة : الحسب . والبطل : الباطل . (٣) الشم : المرتفعة . والرواصي : الثابتة . (٤) بينما كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين في فتح الشام ، إذ جاء البريد من المدينة ينعي أبا بكر ، ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ، ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد ، وإسناد إمارة الجيش العامة إلى أبي عبيدة بن الجراح ، فكتب أبو عبيدة الأمر عن خالد ريثما تم النصر للمسلمين ، وكان وصول البريد على أصح الروايات والمسلمون على حصار دمشق . ويقال : إن سبب عزل خالد أمران : أولهما ما كان في نفس عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد منذ قتل خالد مالك بن نويرة ، وتزوجها امرأة في حرب الردة ؛ وثانيهما إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد وحبهم له واستماتتهم بين يديه في جميع حروبه في العراق والشام ، وذلك ليمين طالعه في الحروب وشجاعته . وقد علم عمر بذلك ، فغشى من افتتان الناس به ، لهذا بادر بعزله قبل أن يصل خبر توليه الخلافة إلى المسلمين ؛ وخالد أمير على جيش عظيم منهم . ولم يكتم عمر عن خالد ما في نفسه من جهته ، بل أظهره له ، فقال له بعد عزله : « وما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن الناس بك ، نغمت أن تفتن بالناس » . وبقى خالد إلى آخر حياته مطيعاً لعمر ، وقبل موته أوصى عمر بأولاده ؛ وقد أشار الشاعر إلى ذلك . (٥) قاهر الفرس والرومان : خالد بن الوليد . (٦) النواصي : جمع ناصية ، وهي مقدم الرأس . والمسموع في مثل هذه العبارة إدخال الباء على « النواصي » لآعلى « اليمين » كما هنا ؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « الخليل معقود بنواصيها الخير » فدخلها على اليمين على سبيل القلب ، والقلب في اللغة سماعي .

- (١) يرمى الأعدى بأراءٍ مُسَدَّدةٍ * وبالقواريس قد سالت مذاكيها
 (٢) ما واقع الروم إلا فرقارحها * ولا رمى الفرس إلا طاش رامياها
 (٣) ولم يجرز بلدة إلا سمعت بها * الله أكبر تدوى في نواحيها
 (٤) عشرون موقعةً مرتت محجلةً * من بعد عشر بنان الفتح تُخصيها
 (٥) و (خالد) في سبيل الله موقدها * و (خالد) في سبيل الله صالحها
 (٦) أناه أمر (أبي حفص) فقبله * كما يقبل آى الله تاليها
 و استقبل العزل في إبان سطوته * وجمده مستريح النفس هاديها
 (٧) فأعجب لسيد مخزوم وفارسها * يوم التزال اذا نادى مناديها
 (٨) يقوده حبشي في عماتيه * ولا تُحرك مخزوم عواليها
 (٩) ألقى القيادة إلى الجراح مُتمثلاً * وعزة النفس لم تُجرح حواشيها
 وأنضم للجند يمشى تحت رايته * وبالحياء إذا مالت يقديها

(١) المذاكى : الخيل التي تم سنها وركلت قوتها . وانسبال المذاكى : كناية عن انتشارها وكثرتها
 تشبها بانسبال الماء . (٢) قارحها ، أى القوى المكمل منهم . (٣) المسموع
 تدوى (بتشديد الواو) ، أى يرتفع الصوت بها . (٤) محجلة ، أى واضحة مشرقة بالانتصار فيها .
 ومعنى البيت أن خالدًا ظفر في ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح . (٥) صالحها : أى يقاسى
 حرها وشدها . (٦) أمر أبي حفص ، أى أمر عمر بعزله . (٧) مخزوم : قبيلة خالد .
 (٨) يريد « بالحبشي » بلال بن رباح ، وهو الذى قذف أمر عمر في خالد بأن يجبره بعامة حين استعجا
 أبو عبيدة من تقيده ، فهد بلال عمامة خالد ووضعها في رقبته ، ثم رجمها الى رأسه ثانية ، وقال : نطع
 أمراءنا ونكرم ساداتنا . والعوالى : الرياح . ونحريكها : كناية عن الثورة على عمر والانتصاف لخالد .
 (٩) الضمير فى "ألقى" : يعود الى فارس مخزوم خالد بن الوليد . والجراح ، هو أبو عبيدة بن الجراح .

(١) / وما عرته شُكوكٌ في خليفته * ولا ارتضى إمرة الجراح تمويها
 (٢) (نخالد) كان يدري أن صاحبه * قد وجه النفس نحو الله توجيها
 (٣) فما يعالج من قول ولا عمل * إلا أراد به للناس ترفيها
 لئلك أوصى بأولاده (عمرًا) * لما دعاه إلى الفردوس داعيها
 (٤) وما نهى (عمر) في يوم مضرعه * نساء مخزوم أن تبكي بواكيها
 (٥) وقيل: خالفت يا (فاروق) صاحبنا * فيه وقد كان أعطى القوس باريها
 فقال: خفت أفتان المسلمين به * وفتنة النفس أعتت من يداويها
 (٦) هبوه أخطأ في تأويل مقصده * وأنها سنقطة في عين ناعيها
 (٧) فلن تعيب حصيف الرأي زلته * حتى يعيب سيوف الهند نايها
 تالله لم يتبع في (ابن الوليد) هوى * ولا شفى غلة في الصدر يطويها
 (٨) لكنه قد رأى رأياً فاتبعه * عزيزة منه لم تثل مواضيا

- (١) التمويه: إظهار ما يخالف الباطن. (٢) صاحبه، أي عمر بن الخطاب. (٣) الترفيه: الرغد والنعيم. (٤) يشير إلى ما يروى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بني المنيرة اجتمعن في دار يمين علي بن خالد بن الوليد، فقال: وما علمن أن يمين أبا سليمان ما لم يكن تقع أو لقلقة. (٥) صاحبنا، يريد أبا بكر، «وفيه»، أي في خالد. وأعطى القوس باريها، أي استعان في الحرب بمن له معرفة وحذق، وهو مثل يضرب في تفويض الأمر إلى من يحسنه ويبيده. (٦) هبوه. أي هبوا عمر، وهو خطاب من الشاعر إلى الناس. وفي عين ناعيها، أي في عين من يتدد سقطات عمر وزلاته. (٧) حصيف الرأي: جيده ومحكمه. و«نايها»، أي ما ينبو من سيوف الهند ويكل ويرتد. يقول: من عرف بالحكمة في الرأي لا تعيبه زلة، كما لا يحط من قدر سيوف الهند أن تنبومرة. (٨) المواضي: السيوف الماشية. و«لم تثل»، أي لم تكسر أشفارها.

(١) لَمْ يَرَعِ فِي طَاعَةِ الْمَوْلَى خُؤُولَتَهُ * وَلَا رَعَى غَيْرَهَا فِيمَا يُنَافِيهَا
 (٢) وَمَا أَصَابَ ابْنَهُ وَالسَّوْطُ يَأْخُذُهُ * لَدَيْهِ مِنْ رَاقَةٍ فِي الْحَدِّ يُبْدِيهَا
 (٣) إِنْ الَّذِي بَرَأَ (الْفَارُوقَ) نَزَّهُه * عَنِ النَّقَائِصِ وَالْأَغْرَاضِ تَتْرِيهَا
 فَذَلِكَ خُلِقَ مِنَ الْفِرْدَوْسِ طَبِئَتُهُ * اللَّهُ أَوْدَعَ فِيهَا مَا يُنْقِيهَا
 لَا الْكِبْرِيَسُكُنْهَا ، لَا الظُّلْمَ يَصْحَبُهَا ، * لَا الْحِقْدَ يَعْرِفُهَا ، لَا الْحِرْصَ يُغْوِيهَا

(٤) (عمر وعمر بن العاص)

(٥) شَاطَرَتْ دَاهِيَةَ السَّوَّاسِ ثَرَوَتَهُ * وَلَمْ تَخْفَهْ بِمِصْرِ وَهُوَ وَالِيهَا
 وَأَنْتَ تَعْرِفُ (عَمْرًا) فِي حَوَاضِرِهَا * وَلَسْتَ تَجْهَلُ (عَمْرًا) فِي بَوَادِيهَا
 لَمْ تُنْبِتِ الْأَرْضُ كَابْنَ الْعَاصِ دَاهِيَةً * يَرْمِي الْخُطُوبَ بِرَأْيٍ لَيْسَ يُحْطِ بِهَا

(١) - خؤولته ، أى خؤولة قبيلة خالد لعمرو : فأم عمر حنيفة بنت حاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . وفيما ينافيها ، أى فى معصية المولى .
 (٢) يقول : إن ابنه لم ينل منه راقية وهو يجتهد فى شرب الخمر ، والسياط تأخذ من جسمه . ويشير بذلك الى حده ولده عبد الرحمن فى الخمر وقد مرض بعد ذلك ومات .
 (٣) برأ الفاروق : خلقه .
 (٤) كان شأن عمرو رضى الله عنه مع عماله أن يصادروهم فى أنصاف أموالهم ؛ لأنه كان يرى أن ما يجعونه من المال إنما هو حق للملين ، فينبغى أن يؤخذ منهم ويرد لبيت المال ، فعل هذا عمر مع من رأى لديهم ثروة لم يعلم مصدرها . وقد كتب الى عمرو بن العاص : إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآتية وحيوان لم تكن حين وليت مصر . فكتب اليه عمرو : إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج اليه لنفقتنا . فكتب اليه : إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكأبك إلى كتاب من ألقاه الأخذ بالحق ، وقد مؤت بك ظنا ؛ وقد رجعت اليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فأطلعه عليه وأخرج اليه ما يطالبك به ، وأعفه من الغلظة عليك . فلم يسع عمرو بن العاص على دهائه وعلو مكانته وبعدد عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به ، ومقاسمة ابن مسلمة ماله . وإلى هذه القصة يشير الشاعر .
 (٥) داهية السواس : عمرو بن العاص .

(١) فلم يرغ حيلةً فيما أمرت به * وقام (عمرو) الى الأجمال يزجياً
(٢) ولم تُقل حاملاً منها وقد كثرت * أمواله وفشا في الأرض فاشياً

(٣) (عمر وولده عبد الله)

(٤) وما وثى أبوك (عبد الله) أينقه * لما أطلعت عليها في مراعيها
يها في حماء وهي سارحة * مثل القصور قد أهدرت أطالها
فقلت: ما كان (عبد الله) يُسبعها * لو لم يكن ولدي أو كان يرويه
قد أستعان بجاهي في تجارته * وبات باسم (أبي حفص) ينميا
ردوا النياق لبيت المال إن له * حق الزيادة فيها قبل شاريها
وهذه خطة لله وإضعها * ردت حقوقاً فأغنت مستميجها
ما الاشتراكية المنشود جانبها * بين الورى غير مبني من مبانيها
فإن نكن نحن أهلها ومنيتها * فلأنهم عرفوها قبل أهلها

- (١) أراغ يرغ : طلب . ويزجياً : يسوقها . (٢) ولم تقل حاملاً منها ، أى لم تصف أحداً من عمالك من مشاطرة ماله . وفشا ، أى انتشر وكثر .
(٣) يشير الشاعر بهذه الأبيات الى ما يروى من أن عمر مر يوماً بنوق قد بدت عليها آثار النعمة فسأل عن صاحبها ، فقيل له : عبد الله ، فساقها الى بيت المال فلما علم أنه ثروة ابنه لا تفي لها ، وأنه لولا جاهه بين الناس ما قدر على إطعامها . (٤) الأيتى : النياق .
(٥) ينميا : يزيدها . (٦) أغنت مستميجها ، أى أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها والتماسها بمنزلة السؤال . (٧) المنشود : المطلوب . يريد أن المذهب الاشتراكي المعروف ما هو إلا فرع من هذه الخطة التي سار عليها عمر . (٨) فإن نكن نحن ، أى العرب ، أهل هذه الخطة وفيها نبت ، فإن الغربيين قد عرفوها وعملوا بها قبلنا ونحن أحق بها وأهلها .

(عمر ونصر بن حجاج^(١))

جَنَى الْجَمَالَ عَلَى (نَصْرٍ) فَعْرَبِهِ * عَنِ الْمَدِينَةِ تَبِيكِهِ وَيَبِيكِيهَا
 وَكَمْ رَمَتْ قَيْمَاتُ الْحُسْنِ صَاحِبَهَا * وَأَتَعَبَتْ قَصَبَاتُ السَّبْقِ حَاوِيَهَا^(٢)
 وَزَهْرَةُ الرُّوضِ لَوْلَا حُسْنُ رَوِّقِهَا * لَمَّا اسْتَطَالَتْ عَلَيْهَا كَفُّ جَانِبِهَا
 كَانَتْ لَهُ لِمَّةٌ فَيَنَانُهُ عَجَبٌ * عَلَى جَبِينِ خَلِيقِ أَنْتَ يُجَلِّبُهَا^(٣)
 وَكَانَ أَيُّ مَشَى مَالَتْ عَقَائِلُهَا * شَوْقًا إِلَيْهِ وَكَادَ الْحُسْنُ يَسْبِيهَا^(٤)
 هَتَفَنَ تَحْتَ اللَّيَالِي بِأَسْمِهِ شَفَقًا * وَلِلْحَسَنِ تَمَنَّى فِي لَيْالِيهَا
 جَزَزَتْ لَيْتَهُ لَمَّا أُتِيَ بِهِ * فَفَاقَ عَاطِلُهَا فِي الْحُسْنِ حَالِيهَا^(٥)

(١) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما روى من أن عمر -رضي الله عنه- مر ليلة في المدينة فسمع امرأة تقول :

هل من سبيل إلى نحر فأشربها * أو من سبيل إلى نصر بن حجاج

فقال لها امرأة معها : من نصر؟ قالت : رجل أود لو كان مني طول ليلة ليس معنا أحد . فدعا بها عمر ، فحققها بالدرة ، ودعا بنصر فخلق له ، فداد أحسن مما كان ؛ فقال : لانا كنى في بلدة يتملك النساء بها ، وأخرجه إلى البصرة . وحاول نصر أن يعود إلى المدينة ، فأبى ذلك عليه عمر وقال : أما ولي سلطان فلا . وكان نصر من أجل الناس .

(٢) قيمات الحسن : مجاليه . وقصبة السبق : ما ينصب في ميدان السباق ، فن سبق أقتلها وأخذها ليعلم أنه السابق .

(٣) اللة (بالكسر) : الشمر المجاور شحمة الأذن ، والجمع لم . وفينانة : طويلة حسنة .

(٤) عقائلها ، أي عقائل المدينة . وعقائل النساء : كرائمهن ، الواحدة عقيلة .

ويسبها : يأسرها .

(٥) عاطل اللة : المهجود منها . وحاليها : المتزين بها .

فَصَحَّتْ فِيهِ تَحْوَلٌ عَنْ مَدِيَنَتِهِمْ * فَإِنَّمَا قِتْنَةٌ أَخْشَى تَمَادِيهَا
 وَفِتْنَةُ الْحُسَيْنِ إِنْ هَبَّتْ نَوَاحِيهَا * كِفْتِنَةُ الْحَرْبِ إِنْ هَبَّتْ سَوَافِيهَا^(١)

(٢)
 (عمر ورسول كسرى)

وَرَاعَ صَاحِبَ (كِسْرَى) أَنْ رَأَى عُمَرَا * بَيْنَ الرَّعِيَةِ عُطْلًا وَهُوَ رَاعِيهَا^(٣)
 وَعَهْدُهُ بِمُلُوكِ الْفَرَسِ أَنْ هَا * سُورًا مِنَ الْجُنْدِ وَالْأَحْرَاسِ يَجْمِيهَا
 رَأَى مُسْتَغْرِقًا فِي نَوْمِهِ فَرَأَى * فِيهِ الْجَلَالََةَ فِي أَسْمَى مَعَانِيهَا
 فَوْقَ الثَّرَى تَحْتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلًا * بِبُرْدَةٍ كَادَ طُولُ الْعَهْدِ يُبْلِيهَا^(٤)
 فَهَانَ فِي عَيْنِهِ مَا كَانَ يُكْبِرُهُ * مِنْ الْأَكْبِيرِ وَالذَّنْبِ بِأَيْدِيهَا
 وَقَالَ قَوْلًا حَقٌّ أَصْبَحَتْ مَثَلًا * وَأَصْبَحَ الْجَيْلُ بَعْدَ الْجَيْلِ يَرْوِيهَا:
 آمَنْتَ لِمَا أَقَمْتَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ * فَنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا

(١) نواحيها: أي روائعها الطيبة، جمع ناختة. وسوافي الحرب، أي عوامقها - والأصل في السواقي: الريح تحمل الغبار. يقول: إن الحسن يفعل في النفوس بطفه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدتها. ويرويه بعض الأدباء نقلًا عن حافظ «لواحيها» باللام مكان «نواحيها» بالنون، واللواحي: الرياح الحارة المحرقة، جمع لاختة؛ والمعنى عليه يستقيم أيضًا كما هو ظاهر.

(٢) يشير بهذه الأبيات إلى ما يروى من أنه لما وصل رسول كسرى إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة جعل يستهدى إلى قصره، فعلم أنه لا يسكن قصرًا، وانتهى به الأمر إلى أن وصل إلى بيت كعب بن لؤي أفقر العرب وهناك كان الخليفة العظيم راقدا على الرمل أمام البيت، جاعلًا منه وسادة أسند إليها رأسه، ولم يكن حوله من مظاهر هذه الحياة ما يعيزه من أصغر فرد في رعيته؛ فلما رأى الرسول ذلك دهش، ووقف أمامه خاشعًا وقال عبارته المعروفة: عدلت يا عمر وأمنت فمنت. (٣) عطلا (بالضم)، أي متجردًا من مظاهر الأبهة. (٤) الدوح: جمع دوحه، وهي الشجرة العظيمة المتسعة الظل، واشتمل الرجل بثوبه: تلفف به وأداره على جسده.

(عُمَر والشورى)^(١)

يارافعاً رايةَ الشورى وحارسها * جزاك ربك خيراً عن محيبيها
 لم يُلْهِكَ التزعُّعُ عن تأييدِ دولتها * ^(٢) وللمنيّةِ آلامٌ تُعانيها
 لم أنسَ أمرَكَ للبقْدادِ يَحْمِلُهُ * الى الجماعةِ إنذاراً وتنبئها
 إن ظلَّ بعدَ ثلاثٍ رأياً شعباً * ^(٣) بجرْدِ السيفِ وأضربُ في هواذِها
 فأعجبَ لقوّةِ نفسٍ ليس يَصْرِفُها * طَعْمُ المنيّةِ مرّاً عن مرامِها
 درى عبيدُ بني الشورى بموضعِها * فعاش ما عاش يَبْنِيها ويعلِّمها
 وما استبَدَّ برأى في حكومته * إن الحُكومةَ تُغري مُستبديها
 رأى الجماعةَ لا تشقى البلادُ به * رغمَ الخِلافِ ورأى الفردَ يُسقيها

(١) كان عمر من يأخذون بالشورى في أمورهم ، وكان يقول : لا خير في أمر أبرم من غير شورى .
 وهو أول من قرر قاعدة الشورى في انتخاب الخليفة ، فقد سئل عند ما طعن عن يوصى به بعده ، فقال
 للقداد بن الأسود : اذا وضعتوني في حفرتي فأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف
 وطلحة إن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ، ولا شيء له من الأمر ، وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع نخمة
 ورضوا رجلا وأبي واجد فاضرب رأسه بالسيف ؛ وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبي اثنان فاضرب
 رأسيهما ، فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم ، فحكوا عبد الله بن عمر ، فأى الفريقين حكم له فليخاروا
 رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين
 إن رضوا عما اجتمع عليه الناس . والى هذه القصة يشير الشاعر .

(٢) دولتها ، أى دولة الشورى .

(٣) بعد ثلاث ، أى بعد ثلاث ليال . والهواذى : الأعتاق .

(مِثَالٌ مِنْ زُهْدِهِ)

(١) يَا مَنْ صَدَفْتَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِيَّتَهَا * فَلَمْ يَغْرُكَ مِنْ دُنْيَاكَ مُغْرِيهَا
 (٢) مَاذَا رَأَيْتَ بِيَابِ الشَّامِ حِينَ رَأَوَا * أَنْ يُلْبَسُوكَ مِنَ الْأَثْوَابِ زَاهِيهَا
 (٣) وَيُرْكَبُوكَ عَلَى الْبِرْدُونِ تَقْدُمُهُ * خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحْلُو مَرَائِيهَا
 (٤) مَشَى فَهَمَلَجَ مُخْتَالًا بِرَاكِبِهِ * وَفِي الْبَرَادِيزِ مَا تُرْهِى بِعَالِيهَا
 (٥) فَصَبَحَتْ : يَا قَوْمُ ، كَادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُنِي * وَدَاخَلْتَنِي حَالٌ لَسْتُ أَدْرِيهَا
 (٦) وَكَادَ يَصْبُو إِلَى دُنْيَاكُمْ (عُمَرُ) * وَيَرْتَضِي بَيْعَ بَاقِيهِ بِفَانِيهَا
 (٧) رُدُّوا رِكَابِي فَلَا أَبْنِي بِهِ بَدَلًا * رُدُّوا شِيَابِي فَحَسْبِي الْيَوْمَ بِأَلِيهَا

(مِثَالٌ مِنْ رَحْمَتِهِ)

(٦) وَمَنْ رَأَاهُ أَمَامَ الْقَيْدِ مُنْبَطِحًا * وَالنَّارُ تَأْخُذُ مِنْهُ وَهُوَ يُذَكِّيهَا
 (٧) وَقَدْ تَحَلَّلَ فِي أَشْيَاءٍ لِحَيْتِهِ * مِنْهَا الدُّخَانُ وَفَوْهُ غَابَ فِي فِيهَا

- (١) صدف: أعرض وصدت. (٢) البردون: ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحر. ويشير بهذا البيت وما بعده إلى أن عمر لما شخص إلى بيت المقدس رأى فرسه يتوجى، فنزل عنه وأتى برذون فركبه، فهزه، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال: قبح الله من عليك، هذا من الخيلاء، ثم دعا بفرسه بعد ما أجه أيا ما فركبه؛ ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس، ولم يركب قبله ولا بعده برذونا.
- (٣) الهملجة: حسن السير في تجتر. وأزهى (بالبناء للجهول): اختال. وعاليها: راكمها.
- (٤) يصبو: يميل. (٥) يشير بالأبيات الآتية إلى ما روى من أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يتعسس بالليل، فرأى امرأة توقد النار على حصى وماء، تشغل بذلك أولادها عن طلب الطعام حتى يناموا، فحمل إليها عمر من بيت المال شيئا من الدقيق، وجلس هو يشعل النار وينضج الطعام؛ ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا. (٦) انبطح: نام على وجهه ممتدا على الأرض. وأذكى النار: أوقدها. (٧) فوه غاب في فيها، أي فوه غاب في فم النار وهو ينفخها.

رَأَى هُنَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا * حَالِ تَرْوَعٍ - لَعَمْرُ اللَّهِ - رَائِيهَا
يَسْتَقْبِلُ النَّارَ خَوْفَ النَّارِ فِي غَدِهِ * وَالْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةِ سَأَلَتْ مَا قِيهَا^(١)

(مَثَلٌ مِنْ تَكْشِفِهِ وَوَرَعِهِ)^(٢)

إِنْ جَاعَ فِي شِدَّةٍ قَوْمٌ شَرِكْتَهُمْ * فِي الْجُوعِ أَوْ تَجَلَّى عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا^(٣)
جُوعُ الْخَلِيفَةِ - وَالدُّنْيَا بِقَبْضَتِهِ - * فِي الزُّهْدِ مَنَزَلَةٌ مَسْحَانٌ مُوَلِّيهَا
فَمَنْ يُبَارِي (أَبَا حَفِصٍ) وَسِيرَتَهُ * أَوْ مَنْ يُحَاوِلُ (لِلْفَارُوقِ) تَشْبِيهَا
يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحَلْوَى فَقَالَ لَهَا : * مِنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ الْحَلْوَى فَأَشْرِيهَا
لَا تَمْتَطِي شَهَوَاتِ النَّفْسِ جَامِحَةً * فِكْسَرَةُ الْحُبْزِ عَنْ حَلْوَاكِ تَجْزِيهَا^(٤)
وَهَلْ يَفِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا * تُوحِي إِلَيْكَ إِذَا طَاوَعَتْ مُوَحِيهَا^(٥)
قَالَتْ : لَكَ اللَّهُ إِنِّي لَسْتُ أَرْزُوهُ * مَالًا لِحَاجَةِ نَفْسٍ كُنْتُ أَنْغِيهَا^(٦)
لَكِنْ أُجَنِّبُ شَيْئًا مِنْ وَظِيفَتِنَا * فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى حَالِ أَسْوِيهَا

(١) المآقي : جمع ماق ومؤق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف ، وهو مجرى الدمع .

(٢) يشير الشاعر بهذه الأبيات الآتية الى حادثتين من تكشف عمر : الأولى ، ما يحكى عنه من أنه كان اذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته ، وياخذ طعامه ويشترك مع القوم الى أن تنتهي المجاعة ، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون . والثانية ، ما يحكى عنه من أن امرأته اشتبهت الحلواء ، فاذنرت لذلك من تفقة بيتها حتى جمعت ما يكفي لصنعها ، فلها نبي هذا الى عمر رد ما اذنرت الى بيت المال ونقص من تفقتها بقدر ما اذنرت . (٣) «أوتجلى» الخ ، أى حتى تكشف عنهم غواشيها ، أى ما يفتشاهم ويشملهم من الشدة والقحط ، الواحدة غاشية . (٤) تجزيها ، أى تغنى عنها .

(٥) لست أرزوه مالا ، أى لست أصيب من بيت المال شيئا .

(٦) وظيفتنا ، أى ما يجرى علينا من بيت المال .

(١)
 حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْنَا مَا يُكَافئُهَا * شَرِيئَهَا ثُمَّ إِنِّي لَا أَثْنِيهَا
 (٢)
 قَالَ : اذْهَبِي وَأَعْلَمِي إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً * أَنَّ الْفَنَاءَةَ تُغْنِي نَفْسَ كَاسِيهَا
 وَأَقْبَلْتِ بَعْدَ تَحْسِينِ وَهِيَ حَامِلَةٌ * دُرِّيَمَاتٍ لِيَقْضِي مِنْ تَشْبِيهَا
 قَالَ : نَبَّهْتِ مِنِّي غَافِلًا فَدَعِي * هُدَى الدَّرَاهِمِ إِذْ لَا حَقَّ لِي فِيهَا
 (٣)
 وَيَلِي عَلَى عُمَرَ يَرْضَى بِمُوفِيَةٍ * عَلَى الْكَفَافِ وَيَنْهَى مُسْتَرِيدِيهَا
 مَا زَادَ عَنِ قُوْتَا فَالْمُسَائِمُونَ بِهِ * أَوْلَى فُقُومِي لِيَبْتَ الْمَالِ رُدِّيهَا
 كَذَلِكَ أَخْلَاقُهُ كَانَتْ وَمَا عُدَّتْ * بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَخْلَاقُ تُحَاكِيهَا

(مِثَالٌ مِنْ هَيْبَتِهِ)

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ هَيْبَتُهُ * تَثْنِي الْخُطُوبَ فَلَا تَعْدُو عَوَادِيهَا
 فِي طَلْقِ شِدَّتِهِ أَسْرَارُ مَرَحَمَةٍ * لِلْعَالَمِينَ وَلَكِنْ لَيْسَ يُفْشِيهَا
 (٤)
 وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ فِي أَوْفَى صِرَامَتِهِ * فُؤَادٌ وَالسُّدَّةُ تَرَعَى دُرَارِيهَا
 (٥)
 أَغْنَتْ عَنِ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ دِرَّتُهُ * فَكَمْ أَخَافَتْ غَوَى النَّفْسِ طَائِيهَا
 (٦)
 كَانَتْ لَهُ كَعَصَا (مُوسَى) لِصَاحِبِهَا * لَا يَنْزِلُ الْبَطْلُ مُجْتَازًا بِوَادِيهَا

(١) لا أثنيها، أى لا أعود ال طلب ذلك مرة ثانية . (٢) كاسيا، أى المتجمل بها .
 (٣) بموفية على الكفاف ، أى بما يزيد على الحاجة من الرزق . (٤) أوفى صرامته ، أى
 فى أقصى شدته . (٥) الصارم المصقول : السيف المجلج . والذرة : العصا يضرب بها ، ودرة
 صخر معروفة . والغوى : الضال . (٦) البطل (بالضم) : الباطل . ويريد بالسطر الثانى أنه
 لا يضرب بها إلا فى حق .

- (١) أَخَافُ حَتَّى الدَّرَارِي فِي مَلَاعِيهَا * وَرَاعَ حَتَّى النَّوَانِي فِي مَلَاعِيهَا
- (٢) أَرَيْتَ تِلْكَ الَّتِي لِلَّهِ قَدْ نَذَرْتُ * أَنْشُودَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ تُهْدِيهَا
- قَالَتْ: نَذَرْتُ لئن عادَ النَّسَبُ لَنَا * مِنْ غَزْوَةِ لَعَلِّي دُقُّ أَعْيُنِيهَا
- وَيَمَّتْ حَضْرَةَ الْهَادِي وَقَدْ مَلَّاتُ * أَنْوَارُ طَلَعَتْهُ أَرْجَاءَ نَادِيهَا
- (٣) وَأَسْتَأْذِنْتُ وَمَشَّتْ بِالذَّفِّ وَانْدَفَعْتُ * تُشْجِي بِالْحَائِيهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا
- (المصطفى) (وأبو بكر) بِجَانِبِي * لَا يُنْكِرَانِ عَلَيْهَا مِنْ أَعْيُنِيهَا
- حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بَعْدِهَا (عُمَرُ) * خَارَتْ قُورَاهَا وَكَادَ الْخَوْفُ يُرْدِيهَا
- (٤) وَخَبَّاتُ دُفَّهَا فِي ثَوْبِهَا فَرَقًا * مِنْهُ وَوَدَّتْ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِيهَا
- (٥) قَدْ كَانَ حِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ يُؤْنِسُهَا * بِخَاءِ بَطْشِ (أَبِي حَفْصِ) يُخَشِّئُهَا
- فَقَالَ مَهِيْطٌ وَخِيَ اللَّهُ مُبْتَسِمًا * وَفِي ابْتِسَامَتِهِ مَعْنَى يُوَسِّئُهَا
- قَدْ فَرَّ شَيْطَانُهَا ، لَمَّا رَأَى عُمَرَا * إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بَأْسَ مُخْرِئِهَا

(١) النوانى : النساء غنين بحسنهن وجمالهن عن الزينة ، الواحدة غانية .

(٢) أريت ، أى أرايت : ويشير الشاعر بهذا البيت وما بعده الى ما يروى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا ، فنذرت جارية من قريش لئن رده الله تعالى أن تضرب بالدف ، وتغنى بين يديه ؛ فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية لتغنى بنذرها ، وضربت على الدف وكان أبو بكر إلى جانب الرسول لا ينكران عليها ذلك ، فلما طلع عليها عمر أسقط في يدها واضطربت ففرح عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال متبسما : «لقد فر شيطانها» حين رأى عمر .

(٣) تشجى : تطرب . (٤) خارت قواها : ضعفت . وأرداه : أهلكه .

(٥) الفرق : الخوف . (٦) يخشئها : يخوفها .

(١)
(مِثَالٌ مِنْ رُجُوعِهِ إِلَى الْحَقِّ)

(٢) وَقِيَّةٍ وَلِعُوا بِالرَّاحِ فَاتَّبَعُوا * لَهُمْ مَكَانًا وَجَدُوا فِي تَعَابِهَا
(٣) فَظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ لَمَّا عَلِمَتْ بِهِمْ * وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ سَاجِيهَا
(٤) حَتَّى تَبِيلْتَهُمْ وَانْتَمَرُوا قَدْ أَخَذَتْ * تَعَلُّوْ ذُوَابَةَ سَاقِيهَا وَحَاسِيهَا
(٥) سَفَّهَتْ آرَاءَهُمْ فِيهَا فَمَا لَبَّثُوا * أَنْ أَوْسَعُوكَ عَلَى مَا جِئْتَ تَسْفِيهَا
(٦) وَرُمْتَ تَفْقِيهِهُمْ فِي دِينِهِمْ فَإِذَا * بِالشَّرْبِ قَدْ بَرَّعُوا (الْفَارُوقَ) تَفْقِيهَا
قَالُوا : مَكَانَكَ قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ * وَجِئْنَا بِثَلَاثٍ لَا تُبَالِيهَا
(٧) فَأَتِ الْبُيُوتَ مِنَ الْأَبْوَابِ (يَا عَمْرُؤُ) * فَقَدْ يُزَنُّ مِنَ الْحَيْطَانِ آتِيهَا
(٨) وَأَسْتَأْذِنُ النَّاسَ أَنْ تَغْشَى بِيُوتَهُمْ * وَلَا تُسَلِّمْ بِدَارٍ أَوْ تُحْيِيهَا

- (١) يشير بهذا البيت وما بعده إلى ما روى من أن عمر تسود الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يياغتهم ، فانكروا عليه أمورا ثلاثة أتاها ، وهي دخوله عليهم من غير الباب ، وعدم استئذانه ، ومحسسه عليهم ، وكل هذه نهي عنها الله ، فالتقى عنهم بعد أن لزمته جهنم . (٢) الراح : الخمر .
(٣) ظهر الحائط : علاه . واعتكر الليل : اختلط ظلامه . والليل الساجي : الساكن الراكد الظلمة .
(٤) يريد بالذوابة أعلى الرأس . والذوابة في الأصل : الصغيرة من الشعر . وحاسيا : شاربها .
(٥) فيها ، أى فى الخمر . (٦) الشرب : الشاربون . وبرعوا : فاقوا .
(٧) نون « عمر » هنا لضرورة الوزن . وفى كتب النحو أن المنادى المبنى على الضم إذا اضطر الشاعر إلى تنوينه فله فيه وجهان : الضم والنصب ؛ فن الأول :
* سلام الله يامطر عليها *
ومن الثانى :
* يا عديا لقد وقتك الأوقى *
وزن : يهم . (٨) أى لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها .

ولا تجسس فهدي الأيُّ قد نزلت * بالنهي عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد أكرت حجهم * لما رأيت كتاب الله بملئها
وما أنفت وإن كانوا على حرج * من أن يحجك بالآيات عاصيها

(٢)
(عمر وشجرة الرضوان)

وسرحة في سماء السرج قد رفعت * ببيعة المصطفى من رأسها تيبها
أزلتها حين غالوا في الطواف بها * وكان تطوافهم للدين تشويها

(الخاتمة)

هذي مناقبه في عهد دولته * للشاهدين والأعقاب أحكيها
في كل واحدة منهن نائلة * من الطبايع تغذو نفس واعيا
لعل في أمة الإسلام نابتة * تجلوا لحاضرها مראה ماضيها
حتى ترى بعض ما شادت أوائلها * من الصروح وما عاتاه بانيتها
وحسبها أن ترى ما كان من (عمر) * حتى ينبسه منها عين غافيا

(١) الحرج: الإثم . وجه يحجه: قلبه بالجهة . (٢) شجرة الرضوان: هي الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها يوم الحديبية ، وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها ويطوفون بها ، تخاف أن ينصرف تكريمهم لها إلى معنى من معاني الوثنية ، فأمر بقطعها ، ققطت ، وإلى هذا يشير الشاعر بالآيات الآتية . (٣) السرحة: الشجرة الطويلة ؛ أو هي من الشجر الماشوك فيه . يقول : إن هذه الشجرة قد تعالت تها وافتخارا على مثيلاتها من أعلى الأشجار بهذه البيعة . (٤) ظالوا : بالغوا وأكثروا . (٥) نائلة: أي حبيبة شريفة من مجايا النبل . (٦) النابتة : الناشون . (٧) الغافي : النائم .

تحية محمد عسران عبد الكريم

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتكريمه في فندق شبرد في ٧ يولييه سنة ١٩١٩ م حين استقال من الحكومة

أول مرة، وهي على لسان تجار الغلال

لقد عاشرتنا فليئت فينا * مثلاً للتأهية والكمال
 بجليم كان محمود المزايا * وعند كان تمدود الظلال
 فإن كنت اعتزلت إباء ضميم * فشك بالوظائف لا يبالي
 حبات القلوب تسوق شكرًا * إليك بقدر حبات الغلال^(١)

تحية أحمد شوقي بك

وكان حافظ قد أعدّها ليستقبله بها عند قدومه الى مصر من منفاه بالأندلس ، ولكنه عجل بنشرها

قبل قدومه مخافة أن يلحقه القدر المحتوم ، كما قال في رسالته الى الأهرام

[نشرت في ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩ م]

ورد الكنانة عبقرى زمانه * فتظري يا مضر سحر بيانه^(٢)
 وأتى الحسان فهتوا ملك النهى * بقيام دولته وعود حسانه^(٣)
 النيل قد ألقى إليه بسمعه * والماء أمسك فيه عن جريانه
 والزهر مصيغ والجمائل خضع * والطير مستمع على أفنانه^(٤)

(١) حبات القلوب : سويداواتها . (٢) نظري : انتظري .

(٣) الحسان من الرجال (بضم الحاء) والحسن (بالتحريك) : كلاهما بمعنى واحد

(٤) الجمائل : المواضع تكثر فيها الأشجار الواحدة جميلة .

- (١) والقَطْرُ في شَوْقٍ لِأَنْدَلِيسِيَّةٍ * شَوْقِيَّةٌ تَسْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِهِ
 (٢) يُصْنِي لِأَحْمَدَ إِنْ شَدَا مَرْتَمًا * إِصْغَاءَ أُمَّةٍ أَحْمَدٍ لِأَذَانِهِ
 (٣) فَاصْدَحْ وَغَنِّ النَّيْلَ وَأَهْرَزْ عَطْفَهُ * يَكْفِيهِ مَا عَانَاهُ مِنْ أَحْزَانِهِ
 (٤) وَأَذْكَرْ لَنَا الْحَمْرَاءَ كَيْفَ رَأَيْتَهَا * وَالْقَصْرَ مَاذَا كَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ
 (٥) مَاذَا تَحَطَّمَتْ مِنْ ذُرَاهُ وَمَا الَّذِي * أَبَقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أَرْكَانِهِ
 وَاهَاً عَلَيْهِ وَأَهْلِهِ وَبُنْيَانِهِ * أَيَّامَ كَانَ النُّجْمُ مِنْ سُكَّانِهِ
 (٦) إِذْ مَلَكَ أَنْدَلِيسُ عَرِيضُ جَاهُهُ * وَشَبَابُهُ الْمَبْكِيُّ فِي رِيْعَانِهِ
 الْفَتْحُ وَالْعُمُرَانُ آيَةُ عَهْدِهِ * وَكَتَائِبُ الْأَقْدَارِ مِنْ أَعْوَانِهِ
 (٧) لَيْسَتْ بِهِ الدُّنْيَا لِيَأْسَ حَضَارَةٍ * قَدْ كَانَ يَجْلَعُهُ عَلَى جِيرَانِهِ
 (٨) زَالَتْ بِشَاشَتُهُ وَزَالَ وَأَقْفَرَتْ * مِنْ أَنْسِهِ الدُّنْيَا وَمِنْ إِنْسَانِهِ
 (٩) وَطَوَى الثَّرَى سِرَّ الزُّوَالِ فَيَأْتُرِي * هَلْ ضَاقَ صَدْرُ الْأَرْضِ عَنْ كِتَابِهِ

(١) أندلسية شوقية، أي قصيدة من شعر شوقي في وصف الأندلس .

- (٢) يريد « بأحمد » الثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) صدح : رفع صوته بالثناء .
 والعطف : الجانب ، (٤) الحمراء ، هو ذلك البناء الذي لا يزال على طول عهده في غرناطة أجل ما يرى في البلاد الأيبانية ، وكان قلعة تضم بين جدرانها القصر السلطاني ، وفي هذا القصر كان يعيش سلاطين بني الأحمر . (٥) تحطم : تهدم . وذراه : أعاليه . وصروف الزمان : حوادثه وتغييراته .
 (٦) ريعان كل شيء : أوله . (٧) جيرانه ، أي ممالك الغرب المجاورة للأندلس .
 (٨) إنسانه ، أي أهله . (٩) سر الزوال ، أي السبب في زوال ملك العرب عن الأندلس يستفسر الشاعر في هذا البيت والذي بعده : هل ضاق صدر الأرض عن حفظ ذلك السرفاج به لشوقي لما وقف على أطلال الحمراء ؟

فَتَكَلَّمْتَ تِلْكَ الطُّلُوبُ وَأَفْصَحْتَ * لَمَّا وَقَفْتَ مُسَائِلًا عَنْ شَانِهِ
 وَلَعَلَّ نَكْبَتَهُ هُنَاكَ تَفَرَّقُ * وَتَعَدُّ قَدْ كَانَ فِي تَيْجَانِهِ
 عِبْرٌ رَأَيْنَاهَا عَلَى أَيَامِنَا * قَدْ هَوَّنَتْ مَا نَابَهُ فِي آئِنِهِ
 وَحَوَادِثُ فِي الْكَوْنِ إِثْرَ حَوَادِثِ * جَاءَتْ مُشْمَرَةٌ لَهْدُ كِيَانِهِ
 سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ الْعُلَا * وَمُقَلَّبِ الْأَكْوَانِ فِي أَكْوَانِهِ
 أَهْلًا بِشَمْسِ الْمَشْرِقَيْنِ وَمَرْحَبًا * بِالْأَبْلَجِ الْمَرْجُوِّ مِنْ إِخْوَانِهِ
 أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَزَمْرَةٍ * جَرَحَتْ فُؤَادَ الشُّعْرِ فِي أَعْيَانِهِ
 كَمْ خَارِجٍ عَنْ أَفْقِهِ حَصَبِ الْوَرَى * بِقَرِيضِهِ وَالْعَجَبِ مِلءُ جَنَانِهِ
 يَخْتَالُ بَيْنَ النَّاسِ مُتِّدَ الْخَطَا * رِيحُ الْغُرُورِ تَهْبُ مِنْ أَرْدَانِهِ
 كَمْ صَبَّكَ مَسْمَعَنَا يَجْنَدِلُ لَفِظِهِ * وَأَطَالَ مِحْنَتَنَا بِطُولِ لِسَانِهِ
 مَا زَالَ يُعَلِّنُ بَيْنَنَا عَنْ نَفْسِهِ * حَتَّى اسْتَغَاثَ الصَّمُّ مِنْ إِعْلَانِهِ
 نَصَحَ الْهُدَاةُ لَهُمْ فَرَادَ غُرُورِهِ * وَاشْتَدَّ ذَلِكَ السَّيْلُ فِي طُغْيَانِهِ
 أَوْ لَمْ تَرَ الْفُرْقَانَ وَهُوَ مُفْصَلٌ * لَمْ يَلْفِتِ الْبُودِيَّ عَنْ أَوْثَانِهِ

(١) الأبلج : الطلق الوجه . (٢) أعيانه، أى رجال الشعر المبرزين فيه . « ويريد بالزمرة »
 ضعاف الشعراء ، وكان منهم فى رأى حافظ عبد الحليم المصرى الشاعر، وهو المقصود بقوله بعد : « كم
 خارج » الخ وكانا قد تلاحيا قبل مقدم شوقى ثم احتكما اليه حين قدم . (٣) أصل الحصب : الرى
 بالحصى ثم استعمل فى كل رى . (٤) متند : متمهل . وأردانه، أى أوثابه . والأردان : جمع
 ردن بضم الراء، وهو أصل الكم . (٥) الجندل : الصخر .

- (١) قُلْ لِلذِّي قَد قَامَ يَشَاوُ أَحْمَدًا * خَلَّ الْقَرِيضَ فَلَسْتَ مِنْ فُوسَانِهِ
- (٢) الشَّعْرُ فِي أَوْزَانِهِ لَوْ قَسَمْتَهُ * لظَلَمْتَهُ بِالذَّرِّ فِي مِيزَانِهِ
- (٣) هَذَا أَمْرٌ قَدْ جَاءَ قَبْلَ أَوَانِهِ * إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَاءَ بَعْدَ أَوَانِهِ
- (٤) إِنْ قَالَ شِعْرًا أَوْ تَسَمَّ مِنْبَرًا * فَتَعَوَّذَا بِاللَّهِ مِنْ شَيْطَانِهِ
- (٥) تَجِدُ الْخِيَالَ لَهُ بَرَأَقًا فَاعْتَلَى * فَوْقَ السُّهَائِلِ فِي طَيْرَانِهِ
- (٦) مَا كَانَ يَأْمَنُ عَثْرَةً لَوْ لَمْ يَكُنْ * رُوحَ الْحَقِيقَةِ تُمْسِكًا بِعِنَانِهِ
- فَأَنَّى بَمَا لَمْ يَأْتِهِ مُتَقَدِّمٌ * أَوْ تَطْمَعُ الْأَنْهَانَ فِي آتِيَانِهِ
- (٧) هَلْ لِلخِيَالِ وَالْحَقِيقَةِ مَنَهْلٌ * لَمْ يَبْغِهِ الرُّوَادُ فِي دِيوَانِهِ
- (٨) إِنَا لَنَلَهُوَ إِذْ تَجِدُ وَإِنَهُ * لِيَجِدُ إِذْ يَلَهُو بِنَظْمِ جُمَانِهِ
- (٩) أَقْلَامُهُ لَوْ شَاءَ شَكَّ قَصِيرُهَا * هَامَ الثَّرِيًّا وَالسُّهَائِلَ بِسِنَانِهِ
- يُمَلِّي عَلَيْهَا عَقْلَهُ وَجَنَانَهُ * مَا لَيْسَ يُنْكِرُهُ هَوَى وَجَدَانِهِ

- (١) يشار أحداً، أي يبلغ غاية شوق . (٢) في أوزانه، أي في الأوزان التي ينظم منها شوق . و « بالدر » : متعلق بقوله : « قسه » . (٣) يريد أن شوقياً قد جاء في غير زمانه، وزمانه الجدير به إما أن يكون زمن السابقين من الفحول الأقدمين ، أو من سيحود بهم الزمن بعد اكتمال الفن . (٤) تسنم الشيء : علاه . (٥) البراق ، هي الدابة التي يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ركبها ليلة المعراج . والسها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى . ويستقن : يسرع . (٦) العنان : سير الجمام الذي تمسك به الدابة . يقول إن الذي حنى شعره من الزلل والخلط ، وهو أنه جعل الحقيقة غرضه الذي يرمى إليه في قصائده ، ولولا ذلك لم يأمن الزلل . (٧) المنهل : المورد ينهل منه الظالمون . والرواد : الطالبون . (٨) الجمان : التلؤلؤ . (٩) الهام : الرهمن الواحدة هامة .

- (١) بَسَلٌ عَلَى شُعْرَانِنَا أَنْ يَنْطِقُوا * قَبْلَ الْمُثُولِ لَدَيْهِ وَأَسْتِئْذَانِهِ
 (٢) عَافَ الْقَدِيمَ وَقَدْ كَسَتْهُ يَدُ الْبِلَى * خَلَقَ الْأَدِيمَ فَهَانَ فِي خُلُقَانِهِ
 (٣) وَأَبَى الْجَدِيدَ وَقَدْ تَأَقَّ أَهْلُهُ * فِي الرَّقِيشِ حَتَّى غَرَّ فِي أَلْوَانِهِ
 (٤) بَجْدِيدِهِ بَعَثَ الْقَدِيمَ مِنَ الْبِلَى * وَأَعَادَ سُؤْدَدَهُ إِلَى إِبَانِهِ
 (٥) وَرَمَى جَدِيدَهُمْ نَحْرَ بِنَاؤِهِ * بِرُوءٍ زُنْحُفِهِ وَبَرَقِ دِهَانِهِ
 (٦) شُعْرَاءُ تَفْحِجِ الطَّيِّبِ أَتَشَرُّ ذِكْرَهُمْ * فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَدِيبُ زَمَانِهِ
 (٧) وَدَّ (ابْنُ هَانِيٍّ) (وَابْنُ عَمَارٍ) بِهَا * لَوْ يَنْظُرَانِ مَعًا بَلْثَمِ بِنَانِهِ
 (٨) وَلَوْ أَسْتَطَاعَا فَوْقَ ذَاكَ لِأَقْبَلَا * رَغَمَ الْبِلَى وَالْقَبْرِ يَسْتَبْقَانِهِ
 (٩) يَا كَرَمَةَ (الْمَطْرِيَّةِ) أَبْتَهِجِي بِهِ * وَاسْتَقْبِلِي الظُّمَانَ مِنْ أَخْدَانِهِ
 مَدَى الظَّلَالِ عَلَى الْوُفُودِ وَجَدْدِي * عَهْدًا طَوَاهُ الدَّهْرُ فِي بُسْتَانِهِ

- (١) بسل : حرام . (٢) عاف القديم : تجنب القديم من أغراض الشعر ومعانيه التي رثت وبلت . (٣) الرقيش : النقش والتزيين . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . وإبان الشيء : زمانه . (٥) الرواء : حسن المنظر . (٦) تفحج الطيب ، هو كتاب تفحج الطيب تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقرئ المغربي ، نزيل فاس ، ثم مصر ، المتوفى في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ . وصف في هذا الكتاب جزيرة الأندلس ورجالها من الكتاب والشعراء وغيرهم . ومعنى البيت أن شوفيا قد أحيأ بحسن شعره ذكر الشعراء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب . (٧) بها ، أي بالأندلس ، وابن هاني هو أبو القاسم محمد بن هاني الأسدي الأندلسي الشاعر المعروف ، ومنع «هائنا» من الصرف لضرورة الوزن . وابن عمار ، هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي الشاعر المشهور ، وقد مات بأشبيلية سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وكانت ولادته سنة اثنين وعشرين وأربعمائة . (٨) يستبقانه ، أي يمشیان أممه بحجة واحتراما . (٩) المطرية : ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وفيها كان بيت المرحوم شوقي بك المعروف بكلمة ابن هاني .

(١) كم تجلس للهوفيه شهده * فسكرت من ديوانه ودنانه
 (٢) غنى مغنيه فهاج غناؤه * شجوا الحمام على ذوائب بانه
 (٣) فترحت أشجاره وتمألت * أعوادها طرباً على عيدانه
 (٤) فكان مجلسنا هناك قصيدة * من نظمه طلعت على عيدانه
 فالحمد لله الذي قد رده * من بعد غربته الى أوطانه
 فتنظروا آياته وتسموا * قد قام بلبكم على أغصانه

في حفل عكاظ

أشد هذه القصيدة في حفل من الأدباء والشعراء برئاسة أحمد شوقي بك بدار التمثيل العربي لتحية جريدة عكاظ يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وقد سمي صاحب الجريدة هذا الحفل « سوق عكاظ » .
 وهي تتضمن مدحا لشوقي بك رئيس الحفل ونعيا على المصريين امتنانهم بلحث ملوكهم الأقدمين

أتيت سوق عكاظ * أسمى بأمر الرئيس
 (٥) أزجى إليه قواف * منكسات الرؤوس
 (٦) لست بذات رواء * تزهى به في الطروس
 ولا بذات جمال * يسرى بها في النفوس

(١) الدنان : جمع دن (بالفتح) ، وهو إناء كبير للخمر . (٢) شجوا الحمام : بكأوه . والبان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانه . وذوائبه : أعاليه . (٣) يريد عيدان الغناء . (٤) الضمير في "نظمه" لشوقي . وعيدانه (بضم العين وكسرها) ، أى عيدته من بقية الشعراء . (٥) أزجى : أسوق . (٦) الرواء : حسن المنظر . والطروس : الصحف يكتب فيها ، الواحد طرس .

(١)
 لَمْ يَجِبْهَا فَضْلُ شَوْقٍ * بَقِيَّةً مِنْ نَسِيْسٍ
 فَهَنْ قَفْرٌ خَوَالٍ * مِنْ كُلِّ مَعْنَى نَفِيْسٍ
 وَهَنْ جُهْدٌ مُقِلٌّ * حَلِيْفٌ هَمٌّ وَبُوسٍ
 قَالَ الرَّئِيْسُ وَمَنْ ذَا * يَقْنُولُ بَعْدَ الرَّئِيْسِ
 سَقَى الْحُضُورَ شَرَابًا * يُنْسِي شَرَابَ الْقُسُوسِ (٢)
 مَعْتَقًا قَبْلَ عَادٍ * فِي مُظْلِمَاتِ الْحُبُوسِ
 تُذَكِّي الدِّيَارَاتُ مِنْهُ * نَارًا كَنَارِ الْمَجُوسِ (٣)
 يُرِيكَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ * شَمُوسُهُ فِي الْكُؤُوسِ
 بَنَاتُ أَفْكَارِ شَوْقٍ * فِي جَلْوَةِ كَالْعُرُوسِ (٤)
 تُزْهِى بِمَعْنَى سَرَى * أُنَى بِمَعْنَى شَمُوسِ (٥)
 وَلَيْلَةٌ مِنْ "عُكَاظٍ" * ضَمَّتْ حُمَاةَ الْوَطِيْسِ
 أَحْيَا بِهَا ذِكْرَ عَهْدٍ * آثَارُهُ فِي الْعُطْرُوسِ (٦)
 عَهْدٌ سَمَا الشَّعْرُ فِيهِ * إِلَى جَمَالِي الشُّمُوسِ

(١) النسيس : بقية الروح . (٢) يريد «شراب القسوس» : الخمر، وذلك لما اشتهر به
 القساوسة والرهبان من أدخار الخمر وتعتيقها في الأديار . (٣) تذكي : تشعل .
 ونار المجوس : النار التي يعبدونها ؛ ويضرب بها المثل في قوة الاشتغال ودوامه . وقد شبه بها الخمر
 في الحرة حتى كأنها تلهب . (٤) السرى : الرفيع . والشموس : الثغور الصعب المتال .
 (٥) الوطيس : الحرب . ويريد «بجماة الوطيس» : حملة الأعلام . (٦) يريد عهد سوق
 عكاظ الأول في الجاهلية ، أيام كان يحضرها لحول الشعراء يتناشدون الأشعار .

(١) وَوَرْدُهُ كَانَ أَصْفَى * مِنْ مَوْرِدِ الْقَامُوسِ
 بِخَشْتِهَا بِجَدِيدِ * أَسْوَاقِهِ لِلْجُلُوسِ
 قَدْ زُرْتُ مُتَحَفِّ مِصْرٍ * فِي ظَهْرِ يَوْمِ الْخَمِيسِ
 (٢) فِي زُمْرَةٍ مِنْ رِفَاقٍ * غُرِّ الشَّمَائِلِ سُوسِ
 (٣) فَضِغْتُ ذَرْعًا بِأَمْرِ * عَلَى النَّفُوسِ بَيْسِ
 (٤) وَكَدْتُ أَصْرَعَ غَمًّا * لِحَظِّهَا الْمَعْكُوسِ
 (٥) وَصَرَعَةُ الْغَمِّ أَدهَى * مِنْ صَرَعَةِ الْخَنْدَرِيسِ
 (٦) رَأَيْتُ جِثَّةَ (خُوفُو) * بِقُرْبِ (سِيزُوسْتَرِيسِ)
 فَكَلْتُ يَا قَوْمُ هَذَا * صُنْعَ الْعُقُوقِ الْخَسِيسِ
 (٧) أَجْسَادُ أَمْلاكِ مِصْرٍ * وَشَائِدِي مَنفِيسِ
 (٨) مِنْ بَعْدِ نَحْمَسِينَ قَرْنَا * لَمْ تَسْتَرِحْ فِي الرُّمُوسِ
 أَرَى فَرَاعِينَ مِصْرٍ * فِي ذِلَّةٍ وَنُحُوسِ
 مَعْرُوضَةٌ لِلْبَرَايَا * أَجْسَادُهُمْ بِالْفُلُوسِ

(١) القاموس : البحر أويلته . (٢) شوس ، أى من طلبة القوم وعظائهم ، الواحد أشوس وهو فى الأصل : الذى يتطرب بمؤثر العين تكبرا وتبها . (٣) بيس : شديد .
 (٤) حظها ، أى حظ مصر . (٥) الخندريس : الخمر المعتقة . (٦) خوفو وسيزوستريس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين . (٧) منفيس : مدينة مصرية قديمة كان لها شأن كبير معروف فى تاريخ مصر القديم ؛ وموضعها الآن البدرشين ومبنة رهبة . (٨) الرموس : القبور ، الواحد رمس .

(١)
عَنَّهُمْ نَبَشْنَا زَمَانًا * فِي مَظْلِمَاتِ الدُّرُوسِ
فَدَيْسَ ظُلْمًا حَامِمًا * وَكَانَ غَيْرَ مَدُوسِ
(٢)
لَعَلَّهُمْ حَصَّنُوهُمْ * مِنْ هَادِمَاتِ الْفُؤُوسِ
(٣)
عَلَّمَا بَأَنَّ سَوْفَ يُمْنَى * بِيَوْمِ شَرِّ عَبُوسِ
(٤)
لَوْ أَنَّ أَمْثَالَ (مِينَا) * فِي الْغَرْبِ أَوْ (رَمْسِيْسِ)
بَنَوْا عَلَيْهِمْ وَخَطُّوا * حَظَائِرَ التَّقْدِيسِ

مدحة للغفور له (فؤاد الأول)

(٦)
أُنشدها بين يدي جلالة حين زيارته مدرسة فؤاد الأول بقصر الزعفران في ديسمبر سنة ١٩٢٢ م

أَقْصَرَ الزُّعْفَرَانَ لِأَنَّكَ قَصْرٌ * خَلِيقٌ أَنْ يَتِيَهَ عَلَى النُّجُومِ
(٧)
كَلَّا عَهْدِيكَ لِلْأَجْيَالِ نَحْرٌ * وَزَهْوٌ لِلْحَدِيثِ وَاللَّقْدِيمِ

- (١) الدروس : العفاء والبلب . ويريد «بمظلمات الدروس» : طبقات الأرض التي دفنوا فيها .
(٢) يشير إلى ما اشتهرت به مقابر قدماء المصريين من التحصين والامتناع على من يريد اقتحامها .
(٣) الضمير في «يمنى» يعود على «حمى» المتقدم ذكره . ويمنى : يتلى ويصاب . (٤) مينا ورمسيس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين . (٥) ولد المنفور له الملك فؤاد الأول بقصر الجيزة في ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ هـ وارتقى عرش المملكة المصرية في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ وتوفي بعد ظهر يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ . (٦) قصر الزعفران بالعباسية ، من القصور التي بناها المنفور له إسماعيل باشا الخديوي ، وسمى قصر الزعفران لأن الأرض التي بنى فيها كان يزرع بها الزعفران قديما ، وكانت هناك ترعة يقال لها : ترعة الزعفران ، وردمت هذه الترعة قريبا . وهذا الموضع الذي بنى فيه القصر يتبع الوايل الصغرى ، وقد استبدل به المنفور له الملك فؤاد الأول قطعة أرض في مركز طلخا ، مديرية الغربية من أملاك الحكومة . (٧) يريد « بالعهدين » : عهد هذا القصر أيام إسماعيل ، وعهده أيام كان مدرسة ثانوية .

تَوَى بِالْأَمْسِ فَيْكَ عَلًا وَمَجْدًا * وَأَنْتَ الْيَوْمَ مَشْوَى لِلْعُلُومِ^(١)
 فَمِنْ نُبَيْلٍ ، إِلَى مَجْدِ أُثَيْبِ ، * إِلَى عِلْمٍ ، إِلَى نَفْعِ عَمِيمِ
 أَضْفَتَ إِلَى صُرُوحِ الْعِلْمِ صَرْحًا * بِزُورَةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْحَكِيمِ
 فَيَاكَ مَنَزِلًا رَجَبًا سَرِيًّا * بَنْتَهُ أَنْأَمِلُ الذُّوقِ السَّلِيمِ
 وَحَاطَتْهُ بُلْبُستَانِ أُثَيْبِي * يُرِيكَ جَمَالَهُ وَجَهَةَ النِّعَمِ^(٢)
 (أَبَا فَارُوقَ) أَنْتَ وَهَبْتَ هَذَا * لِمِصْرَ وَهَكَذَا مَنَحُ الْكَرِيمِ
 وَلَا تَعْجَبْ فَمِصْرٌ عَلَى وِلَايَةٍ * وَمَالِكُهَا عَلَى خُلُقِي عَظِيمِ
 يُطَالِمُهَا بِرُكْلٍ يَوْمٍ * وَيُرْعَاهَا بِعَيْنِ أَبِي رَجِيمِ
 وَيُرِيهِفُ مِنْ عَزَائِمِ آلِ مِصْرٍ * إِذَا خَارَتْ لَدَى الْخَطْبِ الْجَسِيمِ^(٣)
 كَسَوْتَ الْأَزْهَرَ الْمُعْجُورَ ثَوْبًا * مِنْ الْإِجْلَالِ وَالْعِزِّ الْمُقِيمِ
 قَضَيْتَ بِهِ الصَّلَاةَ فَكَادَ يُزْمِي * بِزَائِرِهِ عَلَى رُكْنِ الْحَطِيمِ^(٤)
 رَأَى فَيْكَ (الْمِعِزُّ) زَمَانَ أَعْلَى * قَوَاعِدَهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَدِيمِ^(٥)
 فَهَشَّ وَهَزَّهَ طَرْبٌ وَشَوْقٌ * كَمَا هَشَّ الْجَمِيمُ إِلَى الْجَمِيمِ^(٦)
 وَهَلَّلَ كُلُّ مَنْ فِيهِ وَدَوَّتْ * بِهِ أَصْوَاتُ شَعْبِكَ كَالْمُزِيمِ^(٧)

- (١) توى : أقام . والمثوى : المكان يقام فيه . (٢) الأنيق : الذي يعجبك بحسه .
 (٣) أرهف السيف والسكين ونحوهما : شحذه وحده . وخارت : ضعفت . (٤) الحطيم :
 حجر الكعبة (بكر الحاء وسكون الجيم) . (٥) يريد المعز لدين الله الفاطمي ، الذي اختطت
 في أيامه القاهرة ، وبني الأزهر . وظهر الأديم : وجه الأرض . (٦) الجميم : الصديق .
 (٧) دوى : علا صوته فسمع . والمزيم : صوت الرعد .

(١) كَذَا فَلْيَحْمِلِ التَّاجِينَ مَلِكٌ * يُعِزُّ شَعَائِرَ الدِّينِ الْقَوِيمِ
 وَيَخْشَى رَبَّهُ وَيُطِيعُ مَوْلَى * هَدَاهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
 أَيَاذَنُ لِي الْمَلِكُ الْبِرَّانِي * أَهْنَى مِصْرَ بِالْأَمْرِ الْكَرِيمِ
 فَيَا مِصْرَ أَسْجُدِي لِلَّهِ شُكْرًا * وَتِيهِي وَأَقْعِدِي طَرَبًا وَقَوْمِي
 فَقَدْ تَمَّ الْبِنَاءُ وَعَنْ قَرِيبٍ * تُرْفُ لَكَ الْبَشَائِرُ مِنْ «نَسِيمِ»^(٢)
 قَدَارُ (الْبِرَّانِ) أَعَزُّ دَارٍ * تُشَادُّ لَطَالِبِ الْمَجْدِ الْعَمِيمِ
 بِهَا يَجْمَلُ الْعَرْشُ الْمُقَدَّى * وَتَحْيَا مِصْرُ فِي عَيْشِ رَخِيمِ
 فَشَرَّفَهَا بِرَبِّكَ وَأَخْتَمَهَا * وَأَسْعِدَهَا بِدُسْتُورِ تَمِيمِ
 بَابِي (مُحَمَّدٍ) وَبَابِي (عَيْسَى) * فَعَوَّذُهُ وَآيَاتِ (الْكَلِيمِ)^(٣)
 (أَبَا فَارُوقَ) خُذْ يَدَ الْأَمَانِي * وَحَقِّقْهَا عَلَى رَغْمِ الْخَصِيمِ
 أَقْفَنَا بَعْدَ نَوْمٍ فَوْقَ نَوْمٍ * عَلَى نَوْمِ كَأَصْحَابِ الرَّقِيمِ
 وَأَصْبَحْنَا يَمِينِكَ فِي نُهْوِضٍ * يُكَافِي نُهْضَةَ النَّبْتِ الْجِيمِ
 فَخَطْنَا بِالرَّعَايَةِ كُلَّ يَوْمٍ * نَحْفُوكَ بِالْوَلَاءِ الْمُسْتَدِيمِ^(٤)^(٥)^(٦)

- (١) يريد « بالتاجين » تاج الملك ، وتاج الدين . (٢) يريد بالبناء : دار البرئان .
 ويريد « بنسيم » : محمد توفيق نسيم باشا ، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك . (٣) التميم : التام .
 (٤) الضمير في « عوذته » للدستور . والكليم : موسى عليه السلام . (٥) يريد
 « بأصحاب الرقيم » أهل الكهف ؛ ويضرب المثل بطول نومهم . قال تعالى : (ولبثوا في كهفهم
 ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) الآية . والرقيم : لوح كتبت فيه أسماءهم ، أو هو كهفهم الذي
 بناوا إليه . (٦) اليمن : البركة . ويكافئ : يماثل . والجيم من النبات : الناهض المنتشر .

تہنئة المغفور له سعد زغول باشا بالنجاة^(۱)

قالها على أثر الاعتداء عليه بإطلاق النار في محطة القاهرة إذ كان مسافرا إلى الاسكندرية^(۲)

[نشرت في ۱۲ يولية سنة ۱۹۲۴ م]

أحمدُ الله إذ سَلِمْتَ بِمِصْرٍ * قد رَمَاهَا فِي قَلْبِهَا مَنْ رَمَاكَ

أحمدُ الله إذ سَلِمْتَ بِمِصْرٍ * ليس فيها لِيَوْمٍ جِدِّ سِوَاكَ

أحمدُ الله إذ سَلِمْتَ بِمِصْرٍ * ووقاها بُلُطْفِهِ مَنْ وَقَاكَ

قد شُغِلْنَا يَا (سَعْدُ) عَنْ كُلِّ شَيْءٍ * وَشُغِلْنَا بِأَنْ يَتِمَّ شِفَاكَ

فِي سَبِيلِ الْجِهَادِ وَالْوَطَنِ الْمُحِ * جُوبِ مَا سَأَلَ أَحْمَرًا مِنْ دِمَاكَ

قُلْ لِدَاكِ الْأَيْمِ وَالْفَاتِكِ الْمَفِ * تُتَوْنِ: لَا كُنْتَ، كَيْفَ تَرْمِي السَّمَاءَ؟^(۳)

أَمَا قَدْ رَمَيْتَ فِي شَخِصِ (سَعْدِ) * أُمَّةً حُرَّةً فَشَلَّتْ يَدَاكَ

- (۱) ولد المغفور له سعد زغول باشا باباينا من أعمال مركز قوة سنة ۱۸۶۰م وبعد أن قضى في الأزهر حيناً من الزمن تولى بعض أعمال التحرير في الوقائع المصرية، وكتب فيها بعض المقالات في الاستبداد والشورى والأخلاق، ثم التحق ببعض الأعمال الإدارية في الحكومة، وفصل لاتباهم بالاشتراك في الثورة العرابية، فاشتغل بالمحاماة إلى أن أختير للقضاء بحكمة الاستئناف الأهلية سنة ۱۸۹۲ م وهو أول محام ولى مناصب القضاء في مصر، ثم ولى منصب وزارة المعارف، وهو أول من قرّر دراسة العلوم الرياضية باللغة العربية، ثم تولى وزارة الحفانية، ثم كان عضواً بالجمعية التشريعية، وتولى زعامة النهضة الوطنية ورئاسة الوفد المصري، وظل زعيماً لتلك النهضة من سنة ۱۹۱۹ م إلى أن توفى في أغسطس سنة ۱۹۲۷ م رحمه الله .
- (۲) في يوم ۱۲ يولية سنة ۱۹۲۴ بينا كان سعد زغول باشا والوزراء في محطة القاهرة يريدون السفر إلى الاسكندرية تهنئة جلاله الملك بعيد الأضحى (سنة ۱۳۴۲هـ) (۱۹۲۴م)، ومن ثم يسافرون إلى إنجلترا للفارشات، تقدم من سعد باشا عبد الخالق عبد اللطيف الدلبشاني وأطلق عليه رصاصة مرت بالذراع اليمنى فيما يلي الإبط، ومست التدى الأيمن، وكان الجرح غير شديد، فشفي منه بعد أيام .
- (۳) يريد بالأئيم الفاتك عبد الخالق الدلبشاني، وهو الذى اعتدى على المغفور له سعد زغول باشا .

وقال فيه أيضا :

أنشدها في الحفل الذي أقامه أعضاء البرلمان يوم الخميس ٢٤ يولية سنة ١٩٢٤ بكازينو سان استيفانو بالاسكندرية تكريما لسعد وابتهاجا بإنجائه من حادث الاعتداء عليه

الشَّعْبُ يَدْعُو اللَّهَ يَا زَغْلُولُ * أَنْ يَسْتَقِلَّ عَلَى يَدَيْكَ النَّيْلُ
 إِيَّا الَّذِي أَنْدَسَ الْإِيْمُ لِقَتْلِهِ * قَدْ كَانَ يَحْرُسُهُ لَنَا جَبْرِيلُ
 أَيُّمُوتُ (سَعْدُ) قَبْلَ أَنْ نَحْيَا بِهِ؟ * خَطْبُ عَلَى أُنْبَاءِ مِصْرَ جَلِيلُ
 يَا (سَعْدُ) إِنَّكَ أَنْتَ أَعْظَمُ عُدُوِّ * ذُحِرْتَ لَنَا تَسْطُو بِهَا وَنُصُولُ
 وَلَآئِكَ أَمْضَى نَبْلَةٍ تَزِي بِهَا * فَانْقُذْ وَأَقْصِدْ فَالِنَّالُ قَلِيلُ (١)
 النَّسْرُ يَطْمَعُ أَنْ يَصِيدَ بِأَرْضِنَا * سُرِّيهِ كَيْفَ يَصِيدُهُ زُغْلُولُ (٢)
 أَنَا رَمِينَاهُمْ بِنَدْبِ حَوْلٍ * عَنْ قَصِيدِ وَاوَدَى النَّيْلِ لَيْسَ يَحْوَلُ (٣)
 بِأَشَدَّنَا بَأْسًا وَأَقْدَمِنَا عَلَى * خَوْضِ الشَّدَائِدِ وَالْحَطُوبِ مَثُولُ (٤)
 بَقِيَّ جَمِيعِ الْقَلْبِ غَيْرِ مُشْتَتٍ * إِنْ مَالَتْ الْأَهْرَامُ لَيْسَ يَمِيلُ (٥)
 فَاوِضْ وَلَا تَخْفِضْ جَنَاحَكَ ذِلَّةً * إِنَّ الْعَدُوَّ سِلَاحَهُ مَقْلُولُ (٦)
 فَاوِضْ وَأَنْتَ عَلَى الْمَجْرَةِ جَالِسٌ * لِمَقَامِكَ الْإِعْظَامُ وَالتَّبَجِجِيلُ (٧)
 فَاوِضْ نَخْلَفَكَ أُمَّةٌ قَدْ أَقْسَمَتْ * أَلَّا تَتَامَ فِي الْبِلَادِ دَخِيلُ

(١) أقصد السهم : أصاب المقتل . (٢) يريد بالنسر : الإنجليز ؛ واستعمله هنا لإثارة

العجب من أن يصيد الزغلول (فرخ الحمام) النسر . (٣) الضير في « رميناهم » للإنجليز .

والندب : الماضي في الحاجة ، النافذ في قضائها . والحول : الشديد الاحتيال . (٤) مثول ، أى

ماتلات حاضرة . (٥) جميع القلب : لا يتفرق من الخوف . (٦) مقلول : مملوم

مكسر الحد لا يصلح للضرب والطمان . (٧) يريد علق مكانته وارتفاع منزله .

- (١) عَزَلٌ وَلَكِنْ فِي الْجِهَادِ ضَرَاغِمٌ * لَا الْجَيْشُ يُفْرِعُهَا وَلَا الْأَسْطُولُ
 أُسْطُولُنَا الْحَقُّ الصُّرَاحُ وَجَيْشُنَا أَلْ * حُجَّجَ الْفِصَاحُ وَحَرَّبْنَا التَّدْوِيلُ
 (٢) مَا الْحَرْبُ تُذَكِّيهِ قَنَا وَصَوَارِمٌ * كَالْحَرْبِ تُذَكِّيهِ نَهْيٌ وَعُقُولُ
 خُضُّهَا هُنَالِكَ بِالْيَقِينِ مُدْرَعًا * وَاللَّهُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ كَفِيلُ
 (٣) أَرْعِيمُهُمْ شَاكِي السَّلَاحِ مَدِجٌ * وَزَعِيمُنَا فِي كَفِّهِ مَنَدِيلُ؟
 وَكَذَلِكَ الْمَنَدِيلُ أْبْلَغُ ضَرْبَةٍ * مِنْ صَارِيمٍ فِي حَدِّهِ التَّضْيِيلُ
 لَكَ وَقْفَةٌ فِي الشَّرْقِ تَعْرِفُهَا الْعُلَا * وَيُحْفَهَا التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
 (٤) زَلَّزِلْ بِهَا فِي الْغَرْبِ كُلِّ مُكَايِرٍ * لِيرَى وَيَعْلَمَ مَا حَوَاهُ الْغَيْلُ
 (٥) لَا تَقْرَبِ (التَّامِيزَ) وَأَحْذَرِ وِرْدَهُ * مَهْمَا بَدَا لَكَ أَنَّهُ مَعْسُولُ
 (٦) الْكَيْدُ مَمْزُوجٌ بِأَصْفَى مَائِهِ * وَالخَلْتُ فِيهِ مَذُوبٌ مَصْقُولُ
 (٧) كَمْ وَارِدٍ يَا (سَعْدُ) قَبْلَكَ مَاءَهُ * قَدْ عَادَ عَنْهُ فِي الْفُؤَادِ غَلِيلُ
 (٨) الْقَوْمُ قَدْ مَلَكَوا عِنَانَ زَمَانِهِمْ * وَهُمْ رِوَايَاتٌ بِهِ وَفُصُولُ

- (١) العزل : الذين لا سلاح معهم ، الواحد أعزل . والضراغم : الأسود .
 (٢) أذكي الحرب : أشعل نارها . والقنا : الرياح ، الواحدة قناة . والصوارم :
 السيوف القواطع . (٣) شاكي السلاح ، أى ذر شوكه وحدة فى سلاحه . والمدجج :
 اللابس السلاح . (٤) الغيل : الأجمة وموضع الآساد .
 (٥) معنى النهى عن قرب التاميز : التحذير من خداع أهله . (٦) الختل : الخداع والمكر .
 (٧) الغليل : شدة العطش . (٨) القوم : الإنجليز . والعنان : سير الجمال الذى
 يمسك به الفرس .

(١)
 وَلَهُمْ أَحَابِيلُ إِذَا أَلْقَوْا بِهَا * قَنَصُوا النَّهْيَ فَاسِيرَهُمْ مَجْبُولُ
 فَاحْذَرِ سِيَاسَتَهُمْ وَكُنْ فِي يَقْظَةٍ * سَعْدِيَّةٌ إِنَّ السِّيَاسَةَ غُولُ
 إِنْ مَثَلُوا فَدَعِ الْخَيَالَ فَإِنَّمَا * عِنْدَ الْحَقِيقَةِ يَسْقُطُ التَّمَثِيلُ
 الشُّبْرُ فِي عُرْفِ السِّيَاسَةِ فَرَسُخٌ * وَالْيَوْمُ فِي فَلَكِ السِّيَاسَةِ جِيلُ
 وَلِكُلِّ لَفِظٍ فِي الْمَعَاجِمِ عِنْدَهُمْ * مَعْنَى يُقَالُ بَأَنَّهُ مَعْقُولُ
 نَصَلَتْ سِيَاسَتُهُمْ وَحَالَ صِبَاغُهَا * وَلِكُلِّ كَاذِبَةٍ الْحِضَابِ نَصُولُ
 جَمَعُوا عَقَاقِيرَ الدَّهَاءِ وَرَكَّبُوا * مَا رَكَّبُوهُ وَعِنْدَكَ التَّحْلِيلُ
 يَا (سَعْدُ) أَنْتَ زَعِيمُنَا وَوَكِيلُنَا * وَعَلَيْكَ عِنْدَ مَلِكِنَا التَّمْوِيلُ
 فَادْفَعْ وَنَاضِلٌ عَنِّ مَطَالِبِ أُمَّةٍ * يَا (سَعْدُ) أَنْتَ أَمَامَهَا مَسْئُولُ
 النَّيْلُ مِنْبَعُهُ لَنَا وَمَصَبُهُ * مَا إِنْ لَهْ عَنِّ أَرْضِهَا تَحْوِيلُ
 وَثِقْتَ بِكَ الثَّقَةَ الَّتِي لَمْ يَنْفَرِجْ * لِلرَّيْبِ فِيهَا وَالشُّكُوكِ سَبِيلُ
 جَعَلْتَ مَكَانَكَ فِي الْقُلُوبِ نَجْمَةً * أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْوَلَاءِ دَلِيلُ
 كَادَتْ تُجِنُّ وَقَدْ جُرِحَتْ وَخَانَهَا * صَبْرٌ عَلَى حَمْلِ الْخَطُوبِ بِجَمِيلُ
 لَمْ يَبْقَ فِيهَا نَاطِقٌ إِلَّا دَمًا * لَكَ رَبُّهُ وَدُمَاؤُهُ مَقْبُولُ
 يَا سَعْدُ كَادَ الْعِيدُ يُصْبِحُ مَأْمَا * الدَّمْعُ فِيهِ أُمِّي عَلَيْكَ يَسِيلُ

(١) الأحابيل، أي المصايد .

(٢) فصلت : انكشفت وتخرجت من لونها الكاذب الى لونها الصادق . وحال : تمحّول .

(٣) العيد، أي عيد الأضحى من سنة ١٠٨١٣٤٢ . وقد حطت فيه التهاى بسبب الاعتداء على سعد باشا .

لولا دِفَاعُ اللَّهِ لَأَنْطَوَتِ الْمُنَى * عند أَنْطَوَائِكَ وَانْقَضَى التَّامِيلُ
 شَلَّتْ أُنَامِلُ مَنْ رَمَى، فَلِكَفِّهِ * حَزُّ الْمُدَى وَلِكَفِّكَ التَّقْيِيلُ^(١)
 هَذَا وَسَامُكَ فَوْقَ صَدْرِكَ مَا لَهُ * مِنْ بَيْنِ أَوْسِمَةِ الْفَخَارِ مِثْلُ^(٢)
 حَلِيَّتِهِ بِدَمِ زَكِيِّ طَاهِرٍ * فِي حُبِّ مِصْرٍ مِصْرُونُهُ مَبْدُولُ^(٣)
 فِي كُلِّ عَصِيرٍ لِبُحْنَةِ جَرِيرَةٍ * لَيْسَتْ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ تَزُولُ^(٤)
 جَارُوا عَلَيَّ (الْفَارُوقِ) أَعْدَلُ مَنْ قَضَى * فِينَا وَزَكِيُّ رَأْيِهِ التَّنْزِيلُ^(٥)
 وَعَلَى (عَلِيٍّ) وَهُوَ أَطْهَرُنَا فَمَا * وَيَدَا وَسَيْفُ نَيْنَا الْمَسْلُوكُ^(٦)
 قِفْ يَا خَطِيبَ الشَّرْقِ جَدِّدْ عَهْدَنَا * قَبْلَ الرَّحِيلِ لِيُقَطَعَ التَّأْوِيلُ^(٧)
 فَأَوْضُ فَإِنْ أَوْجَسَتْ شَرًّا فَاغْتَرِمِ * وَاقْطَعْ حَبْلُكَ بِالْمُدَى مَوْصُولُ^(٨)
 وَأَرْجِعْ إِلَيْنَا بِالْكَرَامَةِ كَأَسِيًّا * وَعَلَيْكَ مِنْ زَهْرَاتِهَا إِكْلِيلُ^(٩)
 إِنَّا سَنَعْمَلُ لِلتَّلَاصِ وَلَا تَنِي * وَاللَّهُ يَقْضِي بَيْنَنَا وَيُدِيلُ^(١٠)
 كَمْ دَوْلَةٌ شَهِدَ الصُّبْحُ جَلَالَهَا * وَأَتَى عَلَيْهَا اللَّيْلُ وَهِيَ فُلُولُ^(١١)
 وَقُصُورِ قَوْمِ زَاهِرَاتٍ فِي الدُّبَى * طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ طُلُولُ^(١٢)

(١) المدي : جمع مدية ، وهي السكين . (٢) يريد «بالوسام» ما أصاب صدره من الدم .
 (٣) الجريرة : البغاية . (٤) الفاروق ، هو عمر بن الخطاب . يشير إلى قتل أبي لؤلؤة
 إياه غيلة . وزكي : عزيز . يريد ما كان ينزل من الآيات تعريزا وموافقة لما كان يراه عمر .
 (٥) يشير إلى قتل عبد الرحمن بن ملجم عليا رضي الله تعالى عنه غيلة أيضا . (٦) وفي بني :
 قصر . ويديل : يجعل الدولة لنا عليهم . (٧) وهي فلول ، أي متفرقة مهزومة .
 (٨) الطلول : جمع طلل ، وهو الشاخص من آثار الديار .

(١) يَا أَيُّهَا النَّشَاءُ الْكِرَامُ تَحِيَّةً * كَالرُّوْضِ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِ قُبُولُ
 يَا زَهْرَ مِصْرَ وَزَيْنَهَا وَحَمَاتَهَا * مَدْحِي لَكُمْ بَعْدَ الرَّئِيسِ فُضُولُ
 (٢) جَدْتُمْ لَهَا بِالنَّفْسِ فِي وَرْدِ الصَّبَا * وَالْوَرْدُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ ذُبُولُ
 (٣) كَمْ مِنْ سَبِيحٍ دُونَهَا وَمُجَاهِدٍ * دُمَهُ عَلَى عَرَصَاتِهَا مَطْلُولُ
 سِيرُوا عَلَى سَنَنِ الرَّئِيسِ وَحَقَّقُوا * أَمَلِ الْبِلَادِ فَكَلِّمُوا مَأْمُولُ
 (٤) أَتَمُّ رِجَالٍ غَدٍ وَقَدْ أَوْفَى غَدٌ * فَاسْتَقْبِلُوهُ وَجَجَلُوهُ وَطُولُوا

الى الأستاذ أحمد لطفى السيد بك (باشا)

وجهها اليه حين ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو سنة ١٩٢٤ م

يَا كَائِسِي الْأَخْلَاقِ فِي * بَلَدٍ عَنِ الْأَخْلَاقِ عَارِي
 (٥) لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُجَا * دِلٌ فِي مَقَامِكَ أَوْ يُمَارِي
 (٦) بِالْأَمْسِ قَدْ عَلَّمْنَا * أَدَبَ الْكِتَابَةِ وَالْحِوَارِ
 (٧) وَالْيَوْمَ قَدْ أَلْطَفْنَا * بِالطَّيِّبَاتِ مِنَ الثَّمَارِ

- (١) القبول : ربح الصبا . (٢) في ورد الصبا ، أى في زهرة الشباب .
 (٣) العرصات : جمع عرصة ، وهى كل بقعة ليس فيها بناء ؛ يريد ميادينها . ومطلول : لم يثار به .
 (٤) أوفى : أتى . وججلوه ، أى اجعلوه يوما أبيض . وطولوا : انغروا واعتزوا .
 (٥) يمارى : ينازع . (٦) يشير بهذا البيت الى عهد المدوح فى رامة تحرير «الجريدة»
 وما كان يكتبه فيها من مقالات . (٧) ألقه بكذا : أتحفه به .

(١) بكتاب رَسْطَالِيسَ تَا * ج نَوَادِرِ الْفَلَكَ الْمُدَارِ
 جَاهَدْتَ فِي تَفْصِيلِهِ * وَوَصَلْتَ لَيْلَكَ بِالنَّهَارِ
 تَرِنَ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ * مَأْسُ بِيْمَزَانِ التَّجَارِ
 وَتَصُونُ مَعْنَى رَبِّهِ * صَوْنُ اللَّالِي فِي الْحَارِ
 وَتَضَنُّ دِهْقَانَ الْكَلَا * مِ كَضْنِ دِهْقَانِ النَّضَارِ
 حَتَّى حَسِبْتُكَ فِي الْأَنَا * عِ وَالْأَخْتِبَارِ وَالْأَخْتِبَارِ
 صَنَعًا يَصُورُ فِي الْفُصُورِ * صِ لَدَى الْفَرَاعِنَةِ الْكِبَارِ
 إِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَهُ * بَيْنَ الْخُشُوعِ وَالْأَعْتِبَارِ
 فَذَا الْمُتَرْجِمُ مَائِلٌ * جَنْبَ الْمُؤَلِّفِ فِي إِطَارِ
 وَعَلَيْهِمَا نُورٌ يَفِي * ضُ مِنْ الْمَهَابَةِ وَالْوَقَارِ
 قَالُوا : لَقَدْ هَجَرَ السِّيَا * سَةَ وَأَنْزَوَى فِي عُقْرِ دَارِ
 تَرَكَ الْجَمَالَ لغيرِهِ * وَرَأَى النُّجَاةَ مَعَ الْفِرَارِ
 لَا تَطْلُبُوا رَبَّ النَّهْيِ * وَحَذَارِ مِنْ نَخَطِ حَذَارِ
 هَجَرَ السِّيَاةَ لِلْسِّيَا * سَةَ لَا لِنَوْمٍ أَوْ قَرَارِ

(١) تاج نوادر الفلك، أي أمن نوادر الزمن وأقسامها . (٢) ربه، أي مؤلفه
 أرسطوطاليس . (٣) دهقان الكلام (بالنصب)، على النداء . والدهقان (بكسر الدال وتضم) :
 التاجر . والنضار : الذهب . (٤) الصنع (بالتحريك) : الحاذق بالصنعة ؛ وشبهه بالمصور
 في القصص لما في ذلك من مراعاة الدقة . (٥) الخطل : الخطأ والزلل .

لو أَنَّهُمْ عَلِمُوا الَّذِي * يَبْنِي لَهُمْ حَلْفَ السَّتَارِ
 (١)
 لَسَعَوْا إِلَى حَامِي الْقَضِيهِ * لِمَةَ وَالْحَقِيقَةَ وَالذَّمَّارِ
 (٢)
 وَأَفَاهُمْ بِدَعَائِمِ .ال * أَخْلَاقِ وَالْحِكْمِ السَّوَارِي
 (٣)
 أَسَّ السِّيَاسَةَ وَالنَّجَا * حِجِّ وَحِصْنِ سَيِّدَةِ الْبِحَارِ
 (٤)
 كَكَيْفَتِهَا وَتَمَسَّكَتْ * قَبْلَ الْفِيَالِقِ وَالْجَوَارِي
 (٥)
 يَا مَاشِقَ الْخُلُقِ الصَّرِيدِ * حِجِّ وَشَانِيَّ الْخُلُقِ الْمَوَارِي
 لَمَآني اخْتَبَرْتِكَ فِي الْكُهْوِ * لَمَةَ وَالصَّبَا حَقَّ اخْتِبَارِ
 (٦)
 لَمْ يَجْرِ فِي نَادِيكَ هُجْرٌ * رُ الْقَوْلِ أَوْ خَلَعُ الْعِذَارِ
 حُلُوُّ التَّوَاضُّعِ وَالتَّوَا * ضِعُ آيَةُ الْقَوْمِ الْخِيَارِ
 (٧)
 مَرُّ التَّكْبُرِ حِينَ يَدُ * عُرُوكَ التَّوَاضُّعِ لِلصَّغَارِ
 سِرٌّ فِي طَرِيقِكَ وَإِدْمَا * فَلَانَتْ مَأْمُونُ الْعِشَارِ
 (٨)
 وَأَجْعَلْ عَلَى لُقْمِ الطَّرِيدِ * قِيَّ صَوِيَّ تَلُوحٍ لِكُلِّ سَارِي

- (١) الذمار: كل ما يلزمك حفظه وحمایته . (٢) الدعائم: العمدة، الواحدة دعامة .
 والسواری: جمع سارية، أي التي تسير في الناس . (٣) يريد « بسيدة البحار»: انجلترا .
 (٤) الفيالق: الجيوش العظيمة، الواحد فيلق . والجواری: السفن، الواحدة جارية .
 (٥) الشانئ: المبعض . (٦) هجر القول: القبيح منه . وخلص العذار: تخاية عن التهنك
 وعدم المبالاة . (٧) الصغار: الذل . (٨) لقم الطريق (بفتح اللام وضمها):
 وسطه . والصوي: العلامات التي تجعل على الطريق لينتدى بها؛ الواحدة صوة (بضم الصاد
 وتشديد الواو) .

(١) إنا إلى (كُتِبَ السِّيا * سَة) يا حَكِيمُ على أوَارِ
 (٢) عَجَّلْ بها قَبْلَ (الفسا * دِ) وَقَبْلَ عَادِيَةِ البَوَارِ
 (٣) إنا نُنَاضِلُ أُمَّةً * أَقْطَابُهَا أُسْدُ ضَوَارِي
 (٤) عَرَكُوا الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ * وَتَحَصَّنُوا مِنْ كُلِّ طَارِي
 آمَسَتْ سِيَّاسَتَهُمْ كَطِلْسِمٍ يُحَيِّرُ كُلَّ قَارِي
 إِنْ يُنْكِرُوا بَعْضَ العُمُ * ضِ على أَدِيْبِ ذِي أَقْتِدَارِ
 (٥) فَلانَّهُمْ لَمْ يَذْكُرُوا * أَنْ المُرْتَجِمَ فِي إِسَارِ
 (٦) لَمْ يَبَيِّحْ أَحْمَدُ أَنْ يَبِي * ءَ بَأَيِّ قَيْسٍ أَوْ نِزَارِ
 (٧) وَهُوَ المَجَلِّيُّ فِي أَسَا * لِيِبِ الفِصَّاحَةِ والمُبَارِي
 (٨) لَغَةُ العُلُومِ حَقَائِقُ * هِيَ عَن زَخَارِفِنَا عَوَارِي
 (٩) تَأَبَى العُلُوُّ وَتَحَسَّبُ ال * بِإِغْرَاقِ كَالثُوبِ المُعَارِ
 والنَّقْلُ إِنْ عَدِمَ الأَمَا * نَهَ كَانَتْ عُنُوانَ الخَسَارِ

- (١) يريد بكتب السياسة : كتاب أرسطو فيها . والأوار : شدة العطش . (٢) يشير إلى كتاب (الكون والفساد) الذي كان يترجمه الأستاذ أحمد لطفى السيد وقتئذ ، وكان يود حافظ لو أن الأستاذ ترجم كتاب أرسطو في السياسة ونشره قبل كتاب الكون والفساد . (٣) يريد الأمة الانجليزية . والضواري : المتعودة الصيد والأقراس . (٤) عركوا الزمان : خبروه . والطاري ، أى الطارئ ، أى ما يطرأ على الدول من أحداث . (٥) «أن المترجم» الخ : أى أنه متقيد بأغراض المؤلف وعباراته لا يعدوها . (٦) يريد بقوله : «بأى قيس أو نزار» : بيان العرب الأقدمين . وقيس ونزار : قبيلتان من العرب معروفتان . (٧) المجلى : السابق الذى ينجى . أولاً . (٨) زخارفنا ، أى ما يزين به الأدباء أشعارهم ورسائلهم من تحلية وتميق . (٩) الغلو والإغراق فى الشيء : المبالغة فيه .

الى حفنى بك محمود

قالها حين رشحه الوفد لعضوية البرلمان عن بندر الجزيرة

[نشرت في ١١ مايو سنة ١٩٢٦م]

(١)
يا كاسى الخلق الرضى وصاحب ال * أدب السرى ويا فتى الفتيان
(٢)
إن رشحك فانت من بيت رمى * بسهامه عن حوزة الأوطان
زكاك إقدام ورأى شاهد * ونقى إيمان وحسن بيان
(٣)
لو كنت بين الناخبين لأدرگوا * ما فيك يا (حفنى) من رضوان

الى سعد زغلول باشا

أشدها بين يديه على أثر قدومه من مسجد وصيف إلى العاصمة على الباهرة دندرة

[نشرت في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦م]

(٤)
ما بال (دندرة) تميمس هادياً * ميس العروس مشت على إستبرق
والنيل يجرى تحتها متهللاً * والموج بين مهلل ومصفق
(٥)
أعلها والتيه يثني عطفها * حملت ركاب زعيم قلب المشرق

(١) السرى : الرفيع . (٢) حوزة الأوطان ، أى ما يجب الدفاع عنه وحمايته منها .

(٣) يشير بهذا البيت الى أن المدوح من بلد آخر غير البلد الذى رشخ للنيابة عنه ، ولو كان منه لأدرك

أهله ما فيه من رضى وخير . (٤) تميمس : تمايل وتبجح ، والإستبرق : الديباج الغليظ ،

وهو لفظ معرب . (٥) العطف : الجانب . ويريد « قلب المشرق » : مصر ، لأنها منه بمنزلة

القلب من الجسد .

إِنِّي أَرَى نُورًا يَفِيضُ وَطَلْعَةً * قَدْ زَانَهَا وَصَحَّ الْجَبِينِ الْمَشْرِيقِ
 (١)
 هَذَا زَعِيمُ النَّيْلِ حَلَّ عَرِينَهُ * بَعْدَ الْغِيَابِ فَيَاوُفُودُ تَدْفِقِي
 (٢)
 وَتَيْمَنِي بِقُدُومِهِ وَتَرْفَقِي * عِنْدَ الزَّحَامِ فَسَلِّمْ وَتَفَرَّقِي
 (٣)
 وَتَنْظُرِي إِنْ الْخَلَاصَ مُحَمَّمٌ * فَاللَّهُ أَسْلَمَ أَمْرًا لِمُوفَقِي
 (٤)
 كَمْ أَزْمَةٌ مَرَّتْ بِنَا فَأَجْتَا حَهَا * (سَعْدٌ) بِسَبِيلِ بَيَانِهِ الْمُتَدَفِّقِي
 (٥)
 يَأَيُّهَا السَّبَّاقُ فِي طَلَبِ الْعَلَا * هَا قَدْ آتَيْتَ مُجَلِّبًا لَمْ تُسَبِّقِي
 (٦)
 سَبَقَ الْبَشِيرِ رِكَابُ سَعْدٍ جَارِيًا * وَرِكَابُ سَعْدٍ وَإِنِّي لَمْ يُلْحَقِي

تهنئة أحمد شوقي بك^(٧)

أُنشدها في المهرجان الذي أقيم لتكريمه بالأوبرا في ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٧ م

وقد اشترك فيه بعض شعراء الأقطار الشرقية

بَلَابِلَ وَاوْدِي النَّيْلِ بِالْمَشْرِقِ أُنْجَعِي * بِشِعْرِ أَمِيرِ الدَّوْلَتَيْنِ وَرَجَعِي
 (٨)
 أَعْيِدِي عَلَى الْأَسْمَاعِ مَا غَرَّدَتْ بِهِ * يَرَاعَةُ شَوْقِي فِي أَبْتِدَاءِ وَمَقْطَعِ
 (٩)

- (١) العرين : ماوى الأسد . (٢) يروى أن الرئيس ابتم عند ما أنشد هذا البيت ، وقال :
 "إلا أنت يا حافظ". (٣) تنظري : انتظري . (٤) اجتاحها : استأصلها وأودى بها .
 ويقال : إن حافظا لما أنشد هذا البيت خاطب الرئيس وقال : "لم يحصل ؟" ، فضحك سعد
 وقال : «أنا لا أعرف» . (٥) المجلي : السابق الذي يجي ، أولا . (٦) يقول : إن سعدا
 قد أفاض من صفته — وهى السبق فى سبل العلا — على البانحة ، فسبقت البشير وهو يجرى ، ولو كانت
 وانية لسبقته أيضا ، لأنها اكتسبت فضيلة السبق بمن حل بها . (٧) انظر التعريف بالمرحوم
 (أحمد شوقي بك) فى الحاشية رقم ٥ من ص ٥٠ (٨) يد « بالدولتين » : النظم والنثر .
 والترجيع : ترديد الصوت بالغناء . (٩) فى ابتداء ومقطع ، أى فى أول القصيدة وآخرها .

- (١) بَرَاهَا لَهُ الْبَارِي فَلَمْ يَنْبُ سِنَهَا * إِذَا مَا نَبَا الْعَسَالُ فِي كَفِّ أَرْوَعِ
 (٢) مَوَاقِعُهَا فِي الشَّرْقِ وَالشَّرْقُ مُجْدِبٌ * مَوَاقِعُ صَيْبِ الْغَيْثِ فِي كُلِّ بَلْقَعِ
 (٣) لَدَيْهَا وَفُودُ اللَّفِظِ تَتَسَاقُ خَلْفَهَا * وَفُودُ الْمَعَانِي خُشَعًا عِنْدَ خُشَعِ
 (٤) إِذَا رَضِيَتْ جَاءَتْ بِأَنْفَاسِ رَوْضَةٍ * وَإِنْ غَضِبَتْ جَاءَتْ بِنَجَاءِ زَعْرَعِ
 (٥) أَحْنُ عَلَى الْمَكْدُودِ مِنْ ظِلِّ دَوْحَةٍ * وَأَحْنَى عَلَى الْمَوْلُودِ مِنْ ثَدْيِ مُرَضِعِ
 (٦) عَلَى سِنِّهَا رَفَقٌ يَسِيلُ وَرَحْمَةٌ * وَرُوحٌ لِمَنْ يَأْسَى وَذِكْرٌ لِمَنْ يَبْعَى
 (٧) تَسَابِقُ فَوْقَ الطَّرْسِ أَفْكَارُ رَبِّهَا * سِبَاقُ جِيَادٍ فِي مَجَالِ مَرِيحِ
 (٨) تَطِيرُ بَرُوقُ الْفِكْرِ خَلْفَ بَرُوقِهَا * تُنَاشِدُهَا بِاللَّهِ لَا تَتَسَرَّعِي
 (٩) تُحَاوِلُ فَوْتَ الْفِكْرِ لَوْ لَمْ تُكْفَهَا * أَنَا مِلَهُ كَفِّ الْجَمُوحِ الْمُرُوعِ

- (١) نبا، ينبو: كل وارتد. والعسال: الرخ يهزل لنا. والأروع: الشجاع الشهم.
 (٢) صيب (بتسكين الياء) أصلها صيب (بتشديدها)، وهو المطر المنهمر المنصب. والبلقع: الأرض القفر لا نبات بها. يقول: إن آثار قلبه تفعل في نفوس الشرقيين الظامنة ما تفعل السحب في الأرض المجبة.
 (٣) يقول: إن براعة هذا الشاعر قد ملكت ناصيتي الألفاظ والمعاني لا يستعصى عليها منها شيء. (٤) النجاء: الريح تتحرف عن مهب الرياح، وتقع بين ريحين. والزعرع: الشديدة العصف. (٥) المكدود: من أضناه الكد والمشقة. والدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة الظل. (٦) الروح: الراحة والرحمة. ويأسى: يحزن. ويبى: يحفظ.
 (٧) تسابق، أي تتسابق. والطرس: الصحيفة يكتب فيها. والمجال: حيث تجول الجياد، أي تجرى.
 (٨) بروق الفكر، أي بروق فكر الشاعر. والضمير في «بروقها» يعود على «البراعة» المتقدمة. شبه فكر الشاعر وبراعته في مرعيتها بالبروق، وجعل برق براعته أسرع من برق فكره.
 (٩) الجموح: الفرس الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء. والمروع: المفزع. يقول: إن براعته تسبق أفكاره لولا أن أنامله تردها وتكبحها.

- (١) فهذا (كَلِيمُ اللَّهِ) قد جاءَ قَبْلَهُ * (بهارون) ما يَأْمُرُهُ بِالْوَحْيِ يَصْدَعُ
 (٢) بَلَغَتْ بَوْصِفِ النَّيْلِ مِنْ وَصْفِكَ الْمَدَى * وأيامَ (فِرْعَوْنَ) ومعبودِهِ (رَع) ^(٢)
 (٣) وما سُقَّتْ مِنْ عَادِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا * وما قُلَّتْ فِي أَهْرَامِ (خُوفُو) و(خَفْرَع) ^(٣)
 (٤) فَأَطْلَعَتْهَا شَوْقِيَّةٌ لَوْ تَنَسَّقَتْ * مع النَّسِيرَاتِ الزُّهْرِ خُصَّتْ بِمَطْلَعِ ^(٤)
 (٥) (مِنْ أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقُرَى) قد تَفَجَّرَتْ * يَنَابِيعُ هَذَا الْفِكْرِ أَمْ (أَخْتُ يَوْشَعَ) ^(٥)
 (٦) وَفِي (تُوتٍ) مَا أَعْيَا آيْتِكَا مُوَفَّقٍ * وَفِي (نَاشِئٍ فِي الْوَرْدِ) إلهامٌ مُبْدِعِ ^(٦)

(١) كليم الله : نبيه موسى عليه السلام . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . ويشير الى ما ورد في القرآن حكاية عن موسى عليه السلام : (واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخى أشد به أزرى) الآيات . (٢) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت الى قصيدة لشوقي في النيل وتاريخ من ملكه من القراعة بحث بها الى مرجليوث المستشرق المعروف في سنة ١٩١٤ م ، وأولها :
 من أي عهد في القرى تتدفق * وبأى كف في البرية تفسد
 «ورع» : اسم للشمس عند قدماء المصريين ، وهو من معبوداتهم . (٣) العاد : جمع عادة ؛ يريد عادات قدماء المصريين . وخوفو وخفرع : ملكان معروفان من ملوك مصر القراعة .
 (٤) تنسقت : انتظمت . والنيرات الزهر : النجوم . (٥) «من أي عهد في القرى» : مطلع القصيدة السابق ذكرها في الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة . وأخت يوشع : الشمس ؛ وأطلق عليها ذلك لما روى من أنها تأخرت عن المغيب لأجل يوشع . ويشير الى قصيدة لشوقي في توت عنخ آمون ، أولها :
 قفى يا أخت يوشع خيرينا * أحاديث القرون الغابرينا

(٦) يشير بقوله : «وفي توت» الى قصيدة لشوقي في توت عنخ آمون أولها :
 درجت على الكنز القرون * وأتت على الدن السنون
 وبقوله : «ناشئ في الورد» الى قصيدة له في المتعربين لرسوبهم في الامتحانات ، أولها :
 ناشئ في الورد من أيامه * حسب الله اباالورد عثر

- (١) ^(١) أَسَأَلْتُ (سَلَا قَلْبِي) شُؤْنِي تَذَكُّرًا * كَمَا تَثَرَّتْ (رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ) اَدْمَعِي
 (٢) ^(٢) وَ (سَلٌ يَلْدِيًا) إِنِّي رَأَيْتُ جَمَاهَا * عَلَى الدَّهْرِ قَدْ أُنْسَى جَمَالَ (المَقْفَعِ)
 (٣) ^(٣) أَطَلَّتْ عَلَيْنَا (أَخْتُ أَنْدَلِيسَ) بِمَا * أَطَلَّتْ فَكَانَتْ لِلنَّهْيِ خَيْرَ مَشْرَعِ
 (٤) ^(٤) وَفِي تَسْبِيحِ (صَدَّاحِ) آتَيْتَ بآيَةٍ * مِنْ السَّهْلِ لِاتِّقَادِ (لِابْنِ المَقْفَعِ)

(١) يشير بقوله : "سلا قلبي" الى قصيدة لشوقي قالها في استقباله لمصر عند عودته من متناه بالأندلس ، أزلها :

سلا قلبي غداة سلا وتابا * لعسل على الجمال له عتابا

وبقوله : "ريم على القاع" الى قصيدة له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم سماها : نهج البردة ، وأزلها :
 ريم على القاع بين البان والعلم * أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
 والشون : الدموع .

(٢) يشير الى قصيدة للمدوح في خلع السلطان عبد الحميد سماها : (عبرة الدهر) أزلها :

سل يلدزا ذات القصور * هل جاءها نبا البسدور

ويريد بالمقنع : المقنع الكندي ، وهو لقب غلب عليه لأنه كان أحسن الناس وجها وأندم قامة وأكلمهم خلقة ، فيروون أنه كان إذا سفر اللثام أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت ، فكان لا يمشي إلا مقنعا ؛
 واسمه محمد بن ظفر بن عمير ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان ذا منزلة وشرف بين قومه .
 (٣) أطلت علينا ، أى ظهرت لنا من أعلى . ويشير الى قصيدة لشوقي في رثاء مدينة أدرنة ، وهى من أمهات مدن الدولة العثمانية ، وكانت قد سقطت في يد البلغار في الحرب البلقانية ، وأول القصيدة :
 يا أخت أندلس عليك سلام * هوت الخلافة عنك والإسلام
 والمرجع : المورد الذى يستقى منه .

(٤) يشير الى قصيدة لشوقي في تفصيل حجاب المرأة على سفورها ، يخاطب بها المرحومة باحثة البادية ، أزلها :

صداح يا ملك الكفا * روى أمير الببل

وابن المقفع ، هو عبد الله بن المقفع الكاتب المعروف .

- (١) ورائع وصف في (أبي الهول) مقتته * كبستان نور قبل رعيتك ما رعى
 (٢) خرجت به عن طوق كل مصور * يجيد دقيق الفن في جوف مصنع
 (٣) وفي (انظر الى الأقمار) زفرة واجيد * وأنه مقرح الفؤاد موزع
 بكت على سر السماء وطهرها * وما ابتدأوا من خدرها المترفع
 (٤) شياطين إنس تسرق السمع خلصة * ولا تحذر المخبوء للتسمع
 (٥) وسينية (البحترى) نسختها * بسينية قد أحرست كل مدعى
 (٦) أتى لك فيها طائعا كل ما عصى * على كل جبار القرية المعى

- (١) الرائع : ما أعجب الناس بحسته . ويشير الى قصيدة لشوق في وصف أبي الهول ، وأولها :
 أبا الهول طال عليك العصر * وبلغت في الأرض أقصى العمر
 والنور (فتح النون) : زهر النبات .
- (٢) الطوق : الجهد والطاقة . (٣) يشير الى قصيدة لشوق في رثاء فتحى ونورى الطيارين
 العمانيين ، وكانا قد سقطت بهما طائرتهما أثناء رحلتهما إلى مصر قبل نشوب الحرب العظمى ، وأولها :
 انظر الى الأقمار كيف تزول * وإلى وجوه السعد كيف تحول
 والواجد : ذو الوجد . والفؤاد الموزع : المفرق بما اختلف عليه من الشجون . (٤) يريد
 بشياطين الإنس : الطيارين . ويريد « بالمخبوء للتسمع » : الشهب التي يرمح بها من الشياطين من يسرق
 السمع من السماء . (٥) يشير بهذا البيت الى قصيدة لأبي عبادة البهترى على قافية السين في وصف
 إيوان كسرى ، أولها :
 صنت نفسى عما يدنس نفسى * وترفعت عن جدا كل جيس
 وقصيدة لشوق يمارضه بها ، يذكر فيها بعده عن بلاده في منفاه ، ويرثي فيها الأندلس ، وأولها :
 اختلاف النهار والليل ينسى * اذكرا لى الصبا وأيام أنسى
 (٦) الأملئ (بتشديد الياء وخفت للشعر) : الذكى المتوقد .

(١) شَجَا (الْبُحْتَرِي) إِيوَانُ (كَسْرِي) وَهَاجَهُ * وَهَاجَتْ بِكَ (الْحَمْرَاءُ) أَشْجَانٌ مُوجِعٌ
 وَقَفْتَ بِهَا تَبِكِي الرُّبُوعَ كَمَا بَكَى * فَيَا لَكُمَا مِنْ وَاقِفَيْنِ بَارُبُّعٍ
 فَتَسْجُكَ كَالدِّيَاجِ حَلَاهُ وَشَيْهُ * وَفِي النَّسِجِ مَا يَأْتِي بِشَوْبٍ مُرَقِّعٍ
 وَشِعْرُكَ مَاءُ النَّهْرِ يَجْرِي مُجَدِّدًا * وَشِعْرُ سَوَادِ النَّاسِ مَاءٌ بِمَنْتَقِعٍ
 أَلْأَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَفَضَّهُ * مِنْ الْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ أَمْ قَوْلٌ لَوْدَعِي
 وَ(قَلْبِي أَدَّكَتَ الْيَوْمَ غَيْرَ مُوَفِّقٍ) * رَقِي السُّحْرِ أَمْ أَنَا تُ أَسْوَانٌ مُوَلِّعٍ
 تَمَلَّكَتَ مِنْ مُلْكِ الْقَرِيضِ فَسِيحَهُ * فَلَمْ تُبْقِي يَا (شَوْقِي) لَنَا قَيْدَ إِصْبَعٍ
 فَبِاللَّهِ دَعِ لِلنَّائِرِينَ وَسَيْلَةً * تُنْفِي عَنْهُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ وَأَقْنَعِ
 عَمِلْتَ عَلَى نَيْلِ الْخُلُودِ فَنَيْتَهُ * قُضِيَ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ يَا رَبِّ أَوْزِعِ
 جَلَا شِعْرَهُ لِلنَّاسِ مِرَاةَ عَصِيرِهِ * وَمِرَاةَ عَهْدِ الشُّعْرَيْنِ مِنْ عَهْدِ (تُبَّعِ)

(١) البحتري ، هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله الطائي ، الشاعر المعروف . والحمراء : قصر بفرناطة بالأندلس ، بنى في عهد دولة بني الأحمر ، ولا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم . (٢) الوشى : النقش . وشبه في الشعر الثاني الشعر الذي لا تستوي أجزاؤه في الحسن وضده بالتوب المرقع . (٣) سواد الناس : عامتهم . والمنقع : الموضع يستنقع فيه الماء . (٤) يشير إلى قول شوقي في رثاء اللورد كارنارفون الذي كشف عن قبر توت عنخ آمون :

أفضى إلى ختم الزمان قفضه * وحبا إلى التاريخ في محرابه

واللودعي : الذكي الدهن . (٥) الأسوان : الحزین . والرقى : جمع رقية ، وهي العوذة يتعوذ بها من العلل والآفات . (٦) تنفي ، عليهم ، أى تعود عليهم بالخير والرزق . (٧) أوزعه الله الشكر : ألهمه إياه . ويشير إلى قوله تعالى حكاية عن سليمان بن داود عليهما السلام في سورة النمل : (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) الآية . (٨) تبع : لقب للملك حمير . ويريد بهذا البيت أن شعر الممدوح قد صور القديم والجديد .

- (١) يَجِيءُ لَنَا أَنَا (بِأَحْمَدَ) مَائِلًا * وَأَوْنَةً (بِالْبُحْتَرِيِّ) الْمُرْصَعِ
 (٢) وَيَشَاوُرُقِي (هُوْجُو) وَيَأْتِي نَسِيْبُهُ * لَنَا مِنْ لِيَالِي (الْقَرِيدِ) بِأَرْبَعِ
 (٣) وَإِنْ خَطَرْتُ ذِكْرِي الْفُحُولِ بِفَارِسِ * وَمَا خَلَّفُوا فِي الْقَوْلِ مِنْ كُلِّ مُشْبِعِ
 (٤) أَنَا نَا بَرَوْضِ مُزْهِرٍ مِنْ رِيَاضِهِمْ * وَ (حَافِظُهُمْ) فِيهِ يُغْنِي وَيُرْتَمِي
 (٥) قُلُّ لَلَّذِي يَبْنِي مَدَاهُ مُنَافِسًا * طَمِعَتَ لَعَمْرُ اللَّهِ فِي خَيْرِ مَطْمَعِ
 (٦) فَذَلِكَ سَيْفٌ سَلَّهُ اللَّهُ قَاطِعٌ * فَأَيَّانَ يَضْرِبُ يَفْرِ دِرْعًا وَيَقْطَعُ
 (٧) وَهَلْ تَدْفَعُ الدَّرْعُ الْمَنِيعَةَ صَارِمًا * بِهِ يَضْرِبُ الْمِقْدَارُ فِي كَفِّ سَلْفَعِ

(١) يريد «أحمد» أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبى الكوفي الكندي الشاعر المعروف . (٢) يشاؤ: يسبق . ورقى هوجو، أى أشعاره التى تشبه رقى السحر . وفكتور هوجو، هو شاعر فرنسا المعروف . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٨ والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . والقريد : هو القريد ديموسيه من كبار شعراء فرنسا ، ولد بباريس سنة ١٨١٠ م ، وتوفى بها سنة ١٨٥٧ م وكان ممتازا فى شعره بالركة ولطف الصياغة ، وهو صاحب الليالى الأربع المشار إليها فى هذا البيت فى الحب والشك والسلوان ، وهى ليلة من (آيار) وليلة من (كانون أول) ، وليلة من (آب) وليلة من (تشرين أول) . وفى كل ليلة من هذه الليالى الأربع يشرح حالا من أحواله المتعلقة بالحب ؛ وهذه الليالى هى التى رفعته إلى الطبقة الأولى بين شعراء فرنسا . (٣) بفارس ، يريد أمة الفرس ، وقد عرف شعراؤها بالإبداع فى المعانى ، وفى هذا يقول حافظ من قصيدة له فى مدح البارودى :

ومر كل معنى فارسي بطاعتي * وكل قصور منه أن يتوددا

(٤) يريد «بحافظ» : شمس الدين محمد الشيرازى الشاعر الفنائى المعروف ، ولد بشيراز فى مستهل القرن الثامن الهجرى ، وتوفى سنة ٨٧٩٣ . يقول فى هذا البيت والذى قبله : إنه إذا ذكر الفحول من شعراء الفرس وما ابدعوا فيه من المعانى وأجادوا ، تمق شوقى من رياض أشعاره ما يحكى رياض أشعارهم حتى إن شاعرهم الكبير حافظ الشيرازى ليتغنى ويرتعى فى رياض ذلك الشاعر العربى (شوقى) .

(٥) المدى : الناية . (٦) يفرى : يشق . (٧) المقدار : القدر . والسلفع : الجرى ، الشجاع .

(١) نُفَيْتَ فَلَمْ تَجْزَعْ وَلَمْ تُكْ ضَارِعًا * وَمَنْ تَرَمِهِ الْأَيَّامُ يَجْزَعْ وَيَضْرِعُ
 (٢) وَأَخْصَبْتَ فِي الْمَنَى وَمَا كُنْتَ مُجْدِبًا * وَفِي النَّثَى خِصْبُ الْعَبْقَرِيِّ السَّمِيدِ
 (٣) لَقَدْ زَادَ (هُجُوجُ) فِيهِ خِصْبَ قَرِيحَةٍ * وَأَبَّ إِلَى أَوْطَانِهِ جِدًّا مُرِيعُ
 (٤) وَأَدْرَكَ (سَامِي) بِالْجَزِيرَةِ غَايَةَ * إِلَيْهَا مُلُوكُ الْقَوْلِ لَمْ تَتَطَّلِعْ
 (٥) تَدَكَّرْتَ عَذْبَ النَّيْلِ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ * إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ كُوبِ مَاءٍ مُشْعِشِ
 (٦) وَأَرْسَلْتَ تَسْتَسْقِي بَنِي مِصْرَ شَرِبَةً * فَقَطَّعْتَ أَحْشَابِي وَأَضْرَمْتَ أَضْلَعِي
 أَنْزَوِي وَلَا تَرَوِي وَأَنْتَ أَحَقُّنَا * يَرِي فَيَا قَلْبَ النَّبُوءِ تَقَطَّعْ
 (٧) وَإِنْ شِئْتَ عَنَا يَا سَمَاءُ فَأَقْلِعِي * وَيَا مَاءَهَا فَاكْفُفِي وَيَا أَرْضُ فَأَبْلِعِي
 حَرَامٌ عَلَيْنَا أَنْ نَلْدَّ بِنَهْلَةٍ * وَأَنْتَ تُنَادِينَا وَنَحْنُ بِمَسْمَعِ
 أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَرُدَّكَ سَالِمًا * وَمَنْ يَرَعُهُ يَسْلَمُ وَيَغْنَمُ وَيَرْجِعُ

(١) يضرع : يذل . (٢) يريد بقوله : « اخصبت في المنى » : أنت شعره جاد وحسن في المنى ، وما كان مجدبا من قبل . والسמיד : السيد الكريم . (٣) « فيه » أى في المنى . والمرع : الخصب . شبه شوقيا (بهوجو) كلاهما زاده المنى خصبا في قريحته ونضوجا في شاعريته . (٤) ملوك القول : فحول الشعراء . ويشير إلى فن المرحوم محمود باشا سامى البارودى إلى جزيرة سيلان عقب الثورة العراقية ، وما قاله في أثناء المنى من الشعر . (٥) النهلة : السقية . والمشعشع : المزوج . يشير بهذا البيت وما بعده إلى الأبيات التى بعث بها شوقى وهو فى منفاه إلى حافظ ، وهى :

ياساكنى مصر إنا لا نزال على * عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا

الأبيات . انظر صفحة ١٨٦ من هذا الجزء . وانظر رد حافظ عليها فى ص ١٨٧ .
 (٦) أضرمت : ألهبت . (٧) أقلت السماء : كفت عن المطر . ويشير إلى قوله تعالى فى سورة هود : (وقيل يا أرض أبلعي ماءك ويا سماء ألقى) .

- (١) وَعَدَّتْ فَفَرَّتْ عَيْنٌ مِصْرٍ وَأَصْبَحَتْ * رِيَاضُ الْقَوَافِي فِي رَيْبِ مَوْشَعٍ
 (٢) وَأَدْرَكْتَ مَا تَبَغَى وَشَيْدَتْ آيَةً * عَلَى الشَّاطِئِ الْغَرْبِيِّ فِي خَيْرِ مَوْقِعٍ
 (٣) يَحْفُ بِهَا رَوْضٌ يُحْيِي بُدُورَهَا * بُكُورًا رِيًّا عَرَفَهُ الْمُتَضَوِّعُ
 (٤) حَمَى يَتَهَادَى النَّيْلُ تَحْتَ ظِلَالِهِ * تَهَادَى خَوْدٍ فِي رِءَاءِ جُجْزِعِ
 (٥) لَقَدْ كُنْتَ تَرْجُو مِنْهُ بِالْأُمْسِ قَطْرَةً * فَدُونَكَ فَا بَرْدُ غَلِيْلِكَ وَانْقِسَاعُ
 أَمِيرِ الْقَوَافِي قَدْ آتَيْتُ مُبَايَعًا * وَهَيْدَى وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي
 (٦) فَغَنَّ رُبُوعَ النَّيْلِ وَأَعْطَفَ بِنَظْرَةٍ * عَلَى سَاكِنِي النَّهْرَيْنِ وَأَصْدَحَ وَأَبْدَعَ
 (٧) وَلَا تَلَسْ (نَجْدًا) إِنَّهَا مَنِيَّتُ الْهَوَى * وَمَرَعَى الْمَهَا مِنْ سَارِحَاتٍ وَرُتِعِ
 وَحَى ذُرًّا (لُبْنَانَ) وَأَجْعَلْ (لِتُونِسَ) * نَيْصِيًّا مِنْ السَّلْوَى وَقَسِّمْ وَوَزِّعِ
 فِي الشَّعْرِ حَثَّ الطَّامِحِينَ إِلَى الْعَلَا * وَفِي الشَّعْرِ زُهْدُ النَّاسِكِ الْمُتَوَرِّعِ
 (٨) وَفِي الشَّعْرِ مَا يُغْنِي عَنِ السَّيْفِ وَقَعَهُ * كَمَا رَوَّعَ الْأَعْدَاءَ بَيْتُ (لَأَشْجَعِ)

- (١) الربيع الموشع : الموشى بألوان الزهر والنبات . (٢) يشير الى قصر شوق الذي بناه على الشاطئ الغربي للنيل بالجيزة . (٣) الريا والعرف : الراحة الطيبة . وبكورا ، أى فى بكرة الصباح . والمتضوع : المنتشر الراحة . (٤) يتهادى : يمشى فى لين ونخفة . وانلود : الشابة الحسنة . والمجزع : المختلف الألوان . (٥) تقع ظمأ بالماء : أرواه . (٦) يريد بساكينى النهريين : أهل العراق . والنهران : دجلة والفرات . واصدح ، أى غن بالشعر . (٧) المهام : بقر الوحش ، الواحدة مهامة ؛ يريد النساء اللاتي تشبهها فى سعة العيون وجمالها . ويطلب الى الشاعر أن يغنى نجداً بشعره ، كما يغنى أهل مصر . (٨) يشير الى بيت لأشجع بن عمرو السلى الشاعر العباسى المعروف من قصيدة يمدح بها الرشيد :

وعلى صدرك يا بن عمم محمد * رصدان ضوء الصبح والإظلام

فاذا قلبه رمته وإذا خفا * سلت عليه سيوفك الأحلام

والمقصود هنا البيت الثانى .

وفي الشعر إحياء النفوس وربها * وأنت لرى النفس أعذب منبع
 فنبه عقولاً طال عهد رقادها * وأفئدة شئت إليها بأنسع^(١)
 فقد غمرتها محنة فوق محنة * وأنت لها يا شاعر الشرق فأدفع
 وأنت بجمد الله ما زلت قادراً * على النفع فاستهض بيانك وأقعج^(٢)
 وخذ بزمام القوم وأنزع بأهله * الى المجد والعليا أكرم مترج^(٣)
 وقفنا على النهج القويم فإننا * سلكنا طريقاً للهدى غير مهيج
 ملأنا طباق الأرض وجداً ولوعة * بهند ودعد والرباب وبوزع^(٤)
 وملت بنات الشعر منا مواقفاً * بسقط اللوى (والرقتين) (ولعلج)
 وأقوامنا في الشرق قد طال نومهم * وما كانت نوم الشعر بالمتوقع^(٥)
 تغيرت الدنيا وقد كان أهلها * يرون متون العيس ألب مضعج^(٦)
 وكان يريد العلم عيراً وأينقاً * متى يعيها الإيجاف في اليد تظلع
 فأصبح لا يرضى البخار مطبئة * ولا السلك في تياره المتدفع

(١) الأنسع : جمع نسع (بكسر النون) وهو سير من جلد تشد به الرحال . يريد وصف الأفتدة
 بالثقيد والأسر في أغلال العادات القديمة . (٢) وأنزع بأهله ، أى قد أهل الشرق وسريهم .
 (٣) قفنا على النهج القويم ، أى أرشدنا الى الطريق المستقيم في أعراض الشعر . والمهيج : الطريق
 الواضح الين . (٤) بنات الشعر ، أى معانيه وأغراضه . و « سقط اللوى » الخ :
 أسماء مواضع في بلاد العرب وردت في شعر القدماء . (٥) متون العيس : ظهور الإبل .
 (٦) العير : القافلة . والإيجاف : الإسراع . واليد : جمع يدا . وتظلع : تعرج في مشيتها .
 يقول : كانت وسائل العلم فيما مضى السفر على ظهور الإبل التي لا تسعف راكبيها .

وقد كان كل الأمر تصويب نبلة * فأصبح بعض الأمر تصويب مدفع
 ونحن كما غنى الأوائل لم نزل * نغنى بأرماج وبيض وأدرع^(١)
 عرفنا مدى الشيء القديم فهل مدى * لشيء جديد حاضر النفع متمتع^(٢)
 لدى كل شعب في الحوادث عدة * وعدتنا نذب التراث المضيع^(٣)
 فإضاعة الأقاليم إن لم تُقيم بها * دعامة ركن المشرق المترزع^(٤)
 أمشي به شم الأنوف عدائه * ورب الحمى يمشى بأنف مجدع^(٥)
 عزيز عليه يا بني الشرق أن ترى * كواكب في أفقه غير طلوع^(٦)
 وأعلامه من فوقه غير خفي * وأعلامه من تحتها غير شرع
 وكيف يوقى الشر أو يبلغ المنى * على ما ترى من شمليه المتصدع
 فإن كنت قوالاً كريماً مقالهُ * فقل في سبيل النيل والشرق أودع

(١) يريد بالبيض : السيوف .

(٢) المدى : الغاية .

(٣) نذب التراث المضيع ، أى البكاء على ما خلفه العرب الأقدمون من مآثر ومفاتيح .

(٤) الدعامة : عماد البيت . والمترزع : المضطرب .

(٥) شم الأنوف : وصف يقال للسادة الأعزاء . والمجدع : المقطوع ، ويقال ذلك للدليل .
يقول : إن أعداء الشرق والطامعين فيه قد عزوا به وسادوا ، وأهله ذلوا به وأستكانوا . ويشير بذلك
الى ما جتته الامتيازات على الشرق .

(٦) الشرع : المسددة المصوبة الى الغرض .

الى المحتفلين بتكريم حافظ

بيان قالمها في المأدبة التي أقامها بعض أدباء القرب في (جروبي) لتكريمه هو (وشوق) (ومطران)

[نشرت في ٣١ يناير سنة ١٩٢٨م]

(١)
 قَدْ قَرَأْنَاكُمْ فَهَشَّتْ نُهَانَا * فَاقْتَبَسْنَا نُورًا يُضِيءُ السَّبِيلَا
 فَاقْرَأُونَا وَمَنْ لَنَا أَنْ تُصَيَّبُوا * بَيْنَ أَفْكَارِنَا شُعَاعًا ضَيَّلَا

تحية لجمعية المرأة الجديدة

[نشرت في ١٢ أبريل سنة ١٩٢٨م]

إِلَيْكُمْ يُهْدَى النَّيْلُ أَلْفَ تَحِيَّةٍ * مَعْطَرَةٍ فِي أَسْطُرٍ عَطِرَاتِ
 وَيُنْبِي عَلَى أَعْمَالِكُمْ مَوْكَلِي * بِإِطْرَاءِ أَهْلِ الْبِرِّ وَالْحَسَنَاتِ
 أَقْمَتُنَّ بِالْأَمْسِ الْأَسَاسَ مُبَارَكَا * وَجِئْتُنَّ يَوْمَ الْفَتْحِ مُغْتَبِطَاتِ
 صَنَعْتُنَّ مَا يُعْبِي الرِّجَالَ صَنِيعُهُ * فَرِذْتُنَّ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
 يَقُولُونَ: نِصْفُ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ عَاطِلٌ * نِسَاءُ قَضِيَّةِ الْعُمَرِ فِي الْجُجُرَاتِ
 وَهَذِي بَنَاتُ النَّيْلِ يَعْمَلْنَ لِلنَّهْيِ * وَيَغْرِسْنَ غَرْسًا دَائِي الثَّمَرَاتِ

(١) قرأناكم، أي قرأنا ما أنشأتموه من نظم وشر.

(٢) موكلي، أي أن النيل قد أنابه عنه في إبلاغهن ثناءه عليهن وشكره لهن.

- (١) وفي السَّنةِ السُّوداءِ كُنْتُ قُدُوةً * لنا حينَ سألَ المَوْتَ بالمُهْجَاتِ
 (٢) وَقَفْتُ في وَجهِ الخَمِيسِ مُدَجِّجًا * وَكُنْتُ بِالإيْمَانِ مُعْتَصِمَاتِ
 (٣) وما هَالَكُنَّ الرِّيحُ والسَّيْفُ مُصَلَّتَا * ولا المِدْفَعُ الرَّشَّاشُ في الطَّرِيقَاتِ
 تعلمَ منكَ الرجالُ فأصْبَحُوا * على غَمَرَاتِ المَوْتِ أهْلَ ثَبَاتِ
 (٤) (صَفِيَّةُ) قَادَتُكُنَّ لِلجِدِّ والعُلَا * كما كانَ (سَعْدُ) قَائِدَ السَّرَوَاتِ
 عَرَفْنَا لها في جِدِّ (سَعْدِ) نَصِيبَهَا * مِنَ الحَزْمِ والإِقْدَامِ في الأَزْمَاتِ
 تَهَوَّنُ للشَّيخِ الجَلِيلِ هُجُومَهُ * على الهَوْلِ بالتَّشْجِيعِ والبَسَامَاتِ
 (٥) وتَدْفَعُهُ لَلْمَوْتِ والثَّغْرُ بِاسِمٍ * وفي صَدْرِهَا نَوْءٌ مِنَ الزَّفَرَاتِ
 (٦) كذا فَلْيَكُنْ صُنْعُ الكَرِيمِ وَصَبْرُهُ * على دَهْرِهِ والدَّهْرِ غَيْرِ مُوَاتِي
 لَتَحَى الغَوَايِ في ظِلَالِ مَلِيكَةِ * سَمَّتْ في مَعَالِيهَا على المَلِكَاتِ
 وظَلَّ (فُؤَادُ) مَفخَرَ الشَّرْقِ كُلِّهِ * ككَثِيرِ الأيَادِي صَادِقِ العَزَمَاتِ

(١) يريد بالسنة السوداء : سنة ١٩١٩ م التي احتدمت فيها نار الثورة الوطنية ، وقد أخذ السيدات
 المصريات من الجهاد فيها بنصيب وافر . (٢) الخميس : الجيش . والمدجج : لابس السلاح .
 ويشير بهذا البيت وما بعده الى مظاهرة السيدات التي تعرض لها الجنود أيام اشتعال الثورة الوطنية ، وثبت
 السيدات لهم ولم يتفرقن ؛ وقال حافظ في هذه الحادثة قصيدته المعروفة التي أقرها :

خرج الغواي ينجبجج * ورحت أرقب بجمهته

- (٣) المصلت : المجرد من غمده . (٤) سروات الناس : أشرافهم .
 (٥) نوء من الزفرات ، أي ثقل منها تنوء باحتماله . (٦) المواق : المواقف .

إلى مجد حسين هيكل بك و خليل مطران بك

قالها في مناظرة كانت بين هيكل ومطران في مدرّج كلية الآداب ، موضوعها :

” هل الأدب العربي قديمه وحديثه يكفى وحده لتكوين الأديب ؟ “

[نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

(١) سَمَا الخَطِيْبَانِ فِي المَعَالِي * وَجَازَ شَأَوُهُمَا السَّمَاكََا

(٢) جَالَا فَلَمْ يَتْرُكَا مَجَالَا * وَاعْتَرَاكَ بِالنَّهْيِ عِرَاكََا

فَلَسْتُ أُدْرِى عَلَى اخْتِبَارِي * مَنْ مِنْهُمَا جَلَّ أَنْ يُجَاكِي

فَوَحَى عَقْلِي يَقُولُ : هَذَا * وَوَحَى قَلْبِي يَقُولُ : ذَاكََا

(٣) وَدِدْتُ لَوْ كُلُّ ذِي غُرُورٍ * أَمْسَى لَتَعْلِيْمَا شِرَاكََا

تحية الشام

أنشدها في الحفل الذي أقيم لسماح هذه القصيدة بالجامعة الأميركية ببيروت

[نشرت في ٢ يونيو سنة ١٩٢٩ م]

(٤) حَيَّا بِكُورِ الحَيَا أَرْبَاعَ لُبْنَانٍ * وَطَالَعَ اليَمْنَ مَنْ بِالشَّامِ حَيَانِي

(٥) أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ طَوَّقْتُمْ عُنُقِي * بِمِنَّةٍ نَحَرَجْتُ عَنْ طَوْقِ تَبْيَانِي

- (١) الشَّاورُ : الغاية . والسَّاهِكُ : أحد كوكبين يبرزين يقال لأحدهما : السَّاهِكُ الرَّاحِ ، وللآخر : السَّاهِكُ الأَعْرَلُ . (٢) النَّهْيُ : العقول ، الواحدة نَهْيَةٌ . (٣) شَرَاكَ النَّعْلِ : سيره الذي يكون على ظهر القدم ، وهو مثل في القلعة . (٤) بَكُورِ الحَيَا : المطر المبكر . والأَرْبَاعُ : المنازل الواحد ربيع . وطَالَعَهُ : طلع عليه . وَالْيَمْنُ : البركة والخير . (٥) الطَّوْقُ : الطاقة والجهد .

(١) قُلْ لِلكَرِيمِ الَّذِي أَسَدَى إِلَى يَدَا * أَنَّى تَزَحَّتْ فَاثَتْ النَّازِحُ الدَّانِي
 (٢) مَا إِنْ تَقَاضَيْتُ نَفْسِي ذِكْرَ مَارِفَةٍ * هَلْ يَحْدُثُ الذِّكْرُ إِلَّا بَعْدَ نَسْيَانِ
 (٣) وَلَا عَتَبْتُ عَلَى خَلِّ يَضُنُّ بِهَا * مَا دَامَ يَزْهَدُ فِي شُكْرِي وَعِرفَانِي
 أَقْرَعَيْتَنِي أَنَّى قُمْتُ أَنشِدُكُمْ * فِي مَعَهْدِ بَحْلَى العِرْفَانِ مُزْدَانِ
 وَشَاعَ فِي سُرُورٍ لَا يُعَادِلُهُ * رَدُّ الشُّبَابِ إِلَى شَعْرِي وَجُفَانِي
 لِي مَوْطِنٌ فِي رُبُوعِ النَّيْلِ أَعْظَمَهُ * وَلِي هُنَا فِي حِمَاكُم مَوْطِنٌ ثَانِي
 أَنَّى رَأَيْتُ عَلَى أَهْرَامِهَا حُلَا * مِنْ الجَلَالِ آرَاهَا فَوْقَ (لُبْنَانِ)
 (٤) لَمْ يَمُحَّ مِنْهَا وَلَا مِنْ حُسْنِ جِدَّتِهَا * عَلَى التَّعَابِقِ مَا يَمْحُو الجَدِيدَانِ
 حَسِبْتُ نَفْسِي تَزِيلًا بَيْنَكُمْ فَإِذَا * أَهْلِي وَصَحْبِي وَأَجْبَابِي وَجِيرَانِي
 (٥) مِنْ كُلِّ أَلْبَجِّ سَامِي الطَّرْفِ مُضْطَلِعِ * بِالخَطْبِ مُبْتَهَجٍ بِالضَّيْفِ جَدْلَانِ
 (٦) يَمْشِي إِلَى العَجْدِ مُخْتَالًا وَمُبْتَسِمًا * كَأَنَّهُ حِينَ يَسْدُو عُدُودُ مُرَّانِ

- (١) أسدى : بذل وأعطى . واليد : المعروف والجليل . ونزح : بعد ، أى أنت إذا بعدت عنا بجسمك ، قريب بتذكرنا لأيا يدك علينا .
 (٢) تقاضى : طلب . والعارقة : المعروف . يريد أنه ما طلب إلى نفسه يوما أن تتذكر جملة أسدى إليها ، فهي دائما تذكره ولا تنساه ، ولا يتذكر الإنسان شيئا إلا بعد نسيانه .
 (٣) يرضن بها ، أى بالعارقة . وعرفانى ، أى معرفتى .
 (٤) الجدة : ضد القدم . والجديدان : الليل والنهار ، ولا يفردان ، فلا يقال للواحد منهما : الجدير .
 (٥) الأبلج : الطلق الوجه . وسامى الطرف : مرتفعه ، أى طموح إلى المعالي . واضطلع بالأمر : نهض به . والجذلان : الفرح .
 (٦) المران : الرماح اللينة ، الواحدة مرانة . شبهه بالريح فى استقامة القامة .

- (١) سَكَنْتُمْ جَنَّةً فَيَحَاءَ لَيْسَ بِهَا * عَيْبٌ سِوَى أَنِّهَا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي
- (٢) إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي صُنْعِ الْإِلَهِ بِهَا * لَمْ تَلَقْ فِي وَشْيِهِ صُنْعًا لِإِنْسَانٍ
- (٣) فِي سَهْلِهَا وَأَعَالِيهَا وَسَلْسِلِهَا * بَرءُ الْعَلِيلِ وَسَلْوَى الْعَاشِقِ الْعَانِي
- (٤) وَفِي تَضْوَعِ أَنْفَاسِ الرِّيَاضِ بِهَا * رَوْحٌ لِكُلِّ حَزِينِ الْقَلْبِ أَسْوَانٍ
- (٥) أَيْ تَحَيَّرْتَ مِنْ (لُبْنَانٍ) مَثْرَلَةً * فِي كُلِّ مَثْرَلَةٍ رَوْضٌ وَعَيْنَانِ
- (٦) يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ دُنْيَايَ فِي دَعَا * قَلْبِي بِجَمِيعِ وَأَمْرِي طَوْعٌ وَجَدَانِي
- (٧) أَقْضَى الْمَصِيفِ بُلْبَانَ عَلَى شَرْفٍ * وَلَا أَحَوْلُ عَنِ الْمَشْتَى (بُحُلْوَانِ)
- (٨) يَا وَقْفَةً فِي جِبَالِ الْأَرْزِ أَنْشُدْهَا * بَيْنَ الصَّنَوْبِرِ وَالشَّرْبِينِ وَالْبَانَ
- (٩) تَسْتَهْبِطُ الْوَحْيَ نَفْسِي مِنْ سَمَاوَتِهَا * وَيَنْثِي مَلَكًا فِي الشُّعْرِ شَيْطَانِي
- (١٠) عَلَى أَجَاوِدِكُمْ فِي الْقَوْلِ مُقْتَدِيًا * بِشَاعِرِ الْأَرْزِ فِي صُنْعِ وَإِتْقَانِ

- (١) الفيحاء : الواحة . (٢) الوشى : نعمة الثوب ونقشه وتحسينه ، شبه به اختلاف الألوان في الزهر والنبات . (٣) السلسل : الماء العذب السلس السهل . والعاني : المعذب . (٤) التضوع : انتشار الراححة . والروح : الراحة والرحمة . والأسوان : الحزين . (٥) « في كل » جواب « أنى » الشرطية . (٦) الدعاء : السكون والراحة . وجميع ، أى غير متفرق ولا مشتت الشؤون . (٧) الشرف : المرتفع من الأرض . (٨) جبال الأرز : مرتفعات لبنان . والأرز : شجر معروف بها ، وكذلك الصنوبر . والشربين : شجر كالسرو إلا أنه أشد حمرة وأزكى راححة وأعرض ورقا وأصغر ثمرًا . والبان : شجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانه ، وبه تشبه القدود . (٩) من سماوتها ، أى من أعلى هذه الجبال . (١٠) جاوده في القول ، أى باراه في جودته . ويريد « بشاعر الأرز » : خليل مطران بك .

- (١) لا يَدْعُ إِنِّ أَخْصَبْتُ فِيهَا قَرَأْتُكُمْ * فَأَعْجَزْتُ وَأَمَادْتُ عَهْدَ (حَسَانِ)
- طِيبُ الْمَوَاءِ وَطِيبُ الرُّوضِ قَدْ صَقَلَا * لَوْحَ الْخَيْالِ فَأَغْرَاكُمْ وَأَغْرَانِي
- (٢) مَنْ رَامَ أَنْ يَشْهَدَ الْفِرْدَوْسَ مَائِلَةً * فليَغْشَ أَجْيَاءَكُمْ فِي شَهْرِ نَيْسَانَ
- (٣) تَاهَتْ بَقِيرِ (صَلَاحِ الدِّينِ) تُرْبَتُهَا * وَتَاهَ أَحْيَاؤُهَا تَيْهَا (بِمَطْرَانَ)
- يَلْبِي وَيَهْدِمُ فِي الشُّعْرِ الْقَدِيمِ وَفِي الشُّعْرِ الْحَدِيثِ فَنِعْمَ الْهَادِمُ الْبَانِي
- (٤) إِذَا لَمَحْتُمْ بِشِعْرِي وَمَضَ بَارِقَةٌ * فَبَعْضُ إِحْسَانِهِ فِي الْقَوْلِ إِحْسَانِي
- رَعِيَا لِشَاعِرِكُمْ ، رَعِيَا لِكَاتِبِكُمْ * بَرَأَهُمَا اللَّهُ عَنِّي مَا يَقُولَانِ
- (٥) أَرَى رِجَالًا مِنَ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ فِي الدُّنْيَا الْقَدِيمَةِ تَبْنِي خَيْرَ بُيُوتَانِ
- قَدْ شَبِدُوا آيَةً بِالشَّامِ خَالِدَةً * شَتَّى الْمَنَاهِلِ تَرَوِي كُلَّ ظَمْآنِ
- (٦) لئنْ هَدَوْتُمْ لَقَدْ كَانَتْ أَوَائِلُكُمْ * تَهْدِي أَوَائِلَهُمْ أَزْمَانِ أَزْمَانِ
- (٧) لَاغْرُوا إِنْ عَمَرُوا فِي الْأَرْضِ وَأَبْتَكُرُوا * فِيهَا أَفَانِينَ إِصْلَاحِ وَعُمْرَانِ

(١) يريد بحسان : حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر المعروف .

(٢) نيسان (بالفتح) : شهر من شهور السنة المسيحية ، وهو يقابل أبريل .

(٣) يريد بصلاح الدين : الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية بمصر ، ورجل الحروب الصليبية المعروف ، وكانت وفاته بدمشق سنة ٥٨٩ هـ . ويريد بمطران :

خليل مطران بك الشاعر المعاصر المشهور . (٤) الومض : اللعان .

(٥) يريد « بالدنيا الجديدة » : أمريكا . و« بالبنات » : الجامعة الأمريكية ببيروت التي

أنشد فيها الشاعر قصيدته هذه . (٦) يشير إلى فضل الشرق قديما على العالم . ويريد بقوله :

« أزمان أزمان » : الإيمان في القدم . (٧) لاغرو : لا عجب . والأفانين : الضروب

الواحد أفنون (بالضم) .

- (١) فَيْلِكَ دُنْيَاهُمْ فِي الْجَوْقِ قَدْ تَزَعَتْ * أَعْنَةَ الرَّيْحِ مِنْ دُنْيَا سُلَيْمَانَ
(٢) أُمَّتِ أُمَيَّةٌ أَنْ تَفْنَى مَحَامِدُهَا * عَلَى الْمَدَى وَأَبَى أَبْنَاءِ غَسَّانِ
(٣) مِنْ غَطَارِقَةٍ فِي (جَلْقِ) نُجْبٍ * وَمِنْ غَطَارِقَةٍ فِي أَرْضِ (حَوْرَانَ)
(٤) عَافُوا الْمَدْلَةَ فِي الدُّنْيَا فَعِنْدَهُمْ * عِزُّ الْحَيَاةِ وَعِزُّ الْمَوْتِ سَيِّانِ
لَا يَصْبِرُونَ عَلَى ضَمِّ يُحَاوِلُهُ * بَاغٍ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ طَاغٍ مِنَ الْجَانِ
شَقَقْتُ أَسْوَاقَ (بَيْرُوتِ) فَمَا أَخَذَتْ * عَيْنَايَ فِي سَاحِلِهَا حَانُوتَ يُونَانِي
فَقَلْتُ فِي غِبْطَةٍ : اللَّهُ دَرَاهِمُ * لَيْسَ الْفَلَّاحُ لِيَوَانٍ غَيْرِ يَقْظَانَ
(٥) تَيَمَّمُوا أَرْضَ كَوْلِبٍ فَمَا شَعَرَتْ * مِنْهُمْ بَوَاطِءَ غَرِيبِ الدَّارِ حَيْرَانَ
(٦) سَادُوا وَشَادُوا وَأَبْلَوْا فِي مَنَاكِبِهَا * بَلَاءَ مُضْطَلَعٍ بِالْأَمْرِ مِعْوَانَ
(٧) إِنْ ضَاقَ مَيْدَانُ سَبْقِي مِنْ عِزِّ أَعْمِيهِمْ * صَاحَتْ بِهِمْ فَارُوهَا أَلْفَ مَيْدَانِ

- (١) الأعنة : جمع عنان ، وهو سير الجمام الذي تمسك به الدابة . وسليمان ، هو سليمان بن داود عليهما السلام . ويشير بهذا الى تفوق الأمر يكيين في الطيران . (٢) الغسانيون : أمراء مخوم الشام قديما من العرب ، وكانت لهم فيها حضارة ، ثم كان الشام ملك بني أمية ، وكانت دمشق دار خلافتهم نحو تسعين عاما ، وإلى هاتين الدولتين يشير الشاعر .
(٣) الغطارقة : الأشراف والسادة ، الواحد غطريف (بالكسر) . وجلق (بكسرتين وتشديد اللام) اسم لكورة القوطة كلها ؛ أو هي دمشق نفسها . وحوران (بالفتح) : كورة راسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع . (٤) عافوا : أبوا وكرهوا . (٥) تيمموا : قصدوا . وأرض كولب : أمريكا ، نسبة الى كاشفها كريستوف كولب . يشير الى هجرة الشاميين إليها واستيطانهم لها حتى أصبحوا كأنهم من أهلها . (٦) ابلوا في مناكبها : جدوا واجتهدوا في نواحيها : ومضطلع بالأمر : ناهض به قوى عليه والمعوان (بالكسر) : الحسن المعونة الكثيرها .
(٧) الضمير في « صاحت » يعود على عزائمهم .

لَا يَسْتَشِيرُونَ إِنْ هُمَا سِوَى هِمَمٍ * تَأْتِي الْمَقَامَ عَلَى ذُلٍّ وَإِذْعَانٍ
 وَلَا يُسْأَلُونَ إِنْ كَانَتْ قُبُورُهُمْ * ذُرَا الشَّوَاخِجِ أَوْ أَجْوَافِ حَيْثَانٍ
 فِي الْكَوْنِ مَوْرِقُهُمْ فِي الشَّامِ مَغْرِبُهُمْ * وَالْفَرَسُ يَزْكُو تَقَالًا بَيْنَ بُلْدَانٍ
 إِنْ لَمْ يَفُوزُوا بِسُلْطَانٍ يُقْرِهُهُمْ * فِي الْمُهَاجِرِ قَدْ عَزَّوَا بِسُلْطَانٍ
 أَوْ ضَاقَتِ الشَّامُ عَنْ بُرْهَانِ قُدْرَتِهِمْ * فِي الْمُهَاجِرِ قَدْ جَاءُوا بِبُرْهَانٍ
 إِنَّا رَأَيْنَا كِرَامًا مِنْ رِجَالِهِمْ * كَانُوا عَلَيْهِمْ لَدَيْنَا خَيْرَ عُنْوَانٍ
 أَنَّى التَّقِينَا التَّقَى فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ * أَهْلُ بَأَهْلِ وَإِخْوَانُ بِلَاخْوَانٍ
 كَمْ فِي نَوَاحِي رُبُوعِ النَّيْلِ مِنْ طُرْفٍ * (لِلْيَازِجِيِّ) وَ (صَرْوِيِّ) وَ (زَيْدَانِ)
 وَكَمْ لِأَحْيَائِهِمْ فِي الصُّخْفِ مِنْ أَثَرٍ * لَهُ (الْمُقَطَّمُ) وَ (الْأَهْرَامُ) رُكْنَانِ
 مَتَى آرَى الشَّرْقَ أَدْنَاهُ وَأَبْعَدَهُ * عَنْ مَطْمَعِ الْغَرِيبِ فِيهِ غَيْرَ وَسْنَانِ
 تَجْرِي الْمَوَدَّةُ فِي أَعْرَاقِهِ طُلُقًا * بِحَرِيَّةِ الْمَاءِ فِي أَثْنَاءِ أَفْنَانِ

- (١) ذرا الشواخج : أعالي الجبال . (٢) مورقهم ، أي حيث آثارهم النضرة وأعمالهم الناجحة ؛ وهو من ورق الشجيري (وزان وعد بعد) ، أي ظهر ورقه . يقول : إن آثارهم الباهرة وأعمالهم الموقفة في مختلف نواحي العالم ، وموطنهم الذي نشأوا فيه بلاد الشام . ويزكو : ينمو . شبههم بالفرس الذي يستفيد من تغير بيئته وتربته قوة ونماء . (٣) المهاجر (بالضم وفتح الجيم) : اسم المكان من هاجر . (٤) المقطم والأهرام : صحيفتان مصريتان معروفتان أصحابهما من إخواننا اللبنانيين . (٥) الوسنان : النائم . (٦) طلقا : منطلقا . والأفنان : الأغصان ، الواحد فتن بالتحريك . والذي في نسخة الديوان أفناء أفنان ؛ ولم نجد لقوله « أفناء » معنى يناسب سياق البيت . وقد أثبتناها بالناء مكان الفاء نقلا عن الشاعر نفسه .

- لا فَرَّقَ ما بينَ بوذَى يَعِيشُ به * ومُسْلِمٍ ويَهُودِيٍّ وَتَضَرَّائِي
(١)
- ما بالُ دُنْيَاهُ لما فاءَ وارِفُها * عليه قد أدبرت من غيرِ إِيذَانِ
(٢)
- عَهْدُ (الرَّشِيدِ) (بِغَدَادِ) عَفَا وَمَضَى * وفي (دِمَشقِ) انطوى عَهْدُ (ابنِ مَرْوَانَ)
(٣)
- ولا تَسَلْ بَعْدَهُ عن عَهْدِ (قُرطَبَةِ) * كيف أُنمَحَى بينَ أَسْيَافِ وَنِيرانِ
فَعَلَمُوا كُلَّ حَىٍّ عِنْدَ مَوْلَاهُ : * عَلَيْكَ اللهُ وَالْأوطَانِ دِينَانِ
(٤)
- حَمٌّ قَضَاؤُهُمَا، حَمٌّ جَزَاؤُهُمَا * فَأَرَبًا بِنَفْسِكَ أَنْ تُنمَى بِجُحْرَانِ
(٥)
- (النَّيْلُ) وَهُوَ إِلَى (الأردنِّ) فِي شَغْفٍ * يَهْدِي إِلَى (بَرْدَى) أَشْوَاقَ وَهَمَانِ
(٦)
- وفي (العِراقِ) به وَجَدُ (بِدَجَلَتِهِ) * وَ(بِالْفِرَاتِ) وَتَحَنُّنُ (السَّبْحَانِ)
(٧)
- إِنْ دَامَ ما تَحَنُّنُ فِيهِ مِنْ مُدَابَرَةٍ * وَفِنْيَةٍ بَيْنَ أَجْناسِ وَأَدْيَانِ
(٨)
- رَأَيْتُ رَأَى (المَعْرَى) حِينَ أَرَهَقَهُ * ما حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوَانِ

- (١) فاء وارفها : أقبل خيرها ونعيمها . والوارف : الظل المنتشر المتسع . والإيذان : الإعلام .
(٢) يشير إلى عهد بغداد الخافل أيام الرشيد من (سنة ١٧٠ هـ) (سنة ٧٨٦ م) إلى (سنة ١٩٣ هـ)
(سنة ٨٠٩ م) وإلى عهد دمشق الزاهر أيام بني أمية ؛ وقد بقيت فيها الخلافة ٩٠ عاما من (سنة ٤١ هـ)
(سنة ٦٦١ م) إلى سنة (١٣٢ هـ) (سنة ٧٥٠ م) . (٣) قرطبة : بلد معروف بالأندلس .
ويريد به هنا : دولة العرب بها . (٤) يقال : إن أربابك عن هذا الأمر ، أى أرفضك
عه ولا أرضاه لك . وتمنى : تصاب . (٥) الأردن : نهر معروف بالشام ، يصب في البحر الميت .
ويردى (بالتحريك) : نهر بدمشق . (٦) دجلة والفرات : نهران معروفان في العراق بصيان
في الخليج الفارسي . ويريد «بصيحان» : نهر سيحون في آسيا الوسطى الروسية الذي يصب في بحر آرال .
(٧) المدابرة : المقاطعة . (٨) أرهقه : آذاه . والمعرى ، هو أبو العلاء المعرى .

- (١) لَا تَطْهَرُ الْأَرْضُ مِنْ رَجِيسٍ وَمِنْ دَرَنِ * حَتَّى يُعَاوِدَهَا (نُوحٌ) بِطُوفَانٍ
- (٢) وَلَى الشَّيْبَابُ وَجَازَتْنِي قُوَّتُهُ * وَهَدَمَ السُّقْمَ بَعْدَ السُّقْمِ أَرْكَانِي
- (٣) وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى السَّيِّئِ أَسْأَلُهَا * أَسُوفْتُ أُمَّ أَعْدَتِ حُرِّ أَكْفَانِي
- (٤) شَاهَدْتُ مَضْرَعَ أَتْرَابِي فَبَشَّرَنِي * بِضَجْعَةٍ عِنْدَهَا رَوْحِي وَرَيْحَانِي
- كَمْ مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَأَوْجَعَنِي * وَكَمْ عَزِيزٍ مَضَى قَبْلِي فَأَبْكَانِي
- (٥) مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَن قَوْمِي فَلْيَهْمُ * وَلَوْ سِرَّامًا وَخَلَّوْا ذَلِكَ الْوَانِي
- إِنِّي مَلَيْتُ وَقُوفِي كُلَّ آوِنَةٍ * أَبْكِي وَأَنْظِمُ أَحْزَانَنَا بِأَحْزَانِ
- إِذَا تَصَفَّحْتَ دِيْوَانِي لِتُشْرَانِي * وَجَدْتَ شِعْرَ الْمَرَاثِي نِصْفَ دِيْوَانِي
- (٦) آتَيْتُ مُسْتَشْفِيًا وَالشُّوقُ يَدْفَعُ بِي * إِلَى رَبَائِكُمْ وَعُودِي غَيْرُ فَيْنَانِ
- (٧) فَأَنْزِلُونِي مَكَانًا أَسْتَجِمُّ بِهِ * وَيَتَجَلَّى عَن قُوَادِي بَرْحِ أَحْزَانِي
- (٨) وَجَنَّبُونِي عَلَى شُكْرِ مَوَائِدِكُمْ * بِمَا حَوَتْ مِنْ أَفَاوِيهِ وَالْوَانِ
- حَسْبِي وَحَسْبُ النَّهْيِ مَا نَلَيْتُ مِنْ كَرَمٍ * قَدْ كِدْتُ أُنْسِي بِهِ أَهْلِي وَخُلَانِي

- (١) الرجس : النجس . والدرن : الدنس . ونوح ، هو نوح النبي عليه السلام ، وقصة الطوفان في عهده معروفة ، ورد ذكرها في القرآن . ويشير بهذا البيت الى قول أبي العلاء :
والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تفسل
- (٢) جازتني : خلفتني وتركتني . (٣) حر كل شيء : خالسه . (٤) الروح : الراحة .
- (٥) الواني ؛ أي المتأخر عنهم . (٦) غير فينان ، يريد أن عوده ذابل ذاور . والفينان من النبات : ما طال منه وحسن . (٧) استجيم : استريح . والبرح : الأذى والسقم .
- (٨) يريد «بالأفاريه» : التوابل .

تهنئة محمد محمود باشا

لقب دكتور الشرف في الحقوق الذي منحه إياه جامعة أكفورد، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك

[نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩م]

شَرَفُ الرَّاسَةِ يَاحُ مَدُّ زَانَهُ شَرَفُ النَّهْيِ
 بُرْدَانٍ مِنْ نَسِجِ الْجَلَا * لِإِلِيهِمَا الْفَخْرُ أَتَيْتِي
 جَعَلَا مَقْرَكَ يَاحُ مَدُّ فَوْقَ أَكْنَافِ السَّهْيِ^(١)
 زَانَتِكَ أَأَلْقَابُ الرَّجَا * لِإِلِ الْعَامِلِينَ وَرِزَّتَهَا
 أَمْنِيَّةٌ قَدْ نَالَهَا * أَمَلُ الْخُلُودِ وَنَلَّتَهَا
 فَاسْلُوكَ سَبِيلِكَ فِي إِجْهَا * دِمُوقًا وَمُسْتَرَهَا
 وَأَحْفَظْ لِمَصْرَ حُقُوقَ مِصْرٍ * مَرَفَاتٍ فِي الْجُلَى لَهَا^(٢)

إلى الدكتور علي ابراهيم بك (باشا)

قالها وقد عمل الدكتور عملية لصاحب الدولة محمد محمود باشا

[نشرت في ٢٥ يولييه سنة ١٩٣٠م]

أَيَا يَدَا قَدْ خَصَّهَا رَبُّهَا * بَأْيَةِ الْإِعْجَازِ فِي الْخَلْقِ
 وَمِشْرَطًا جَمَعَ مِنْ رَحْمَةٍ * وَصَيَّغَ مِنْ يَمِينٍ وَمِنْ رِيفِي
 نَجِيحًا مِنْ مَرِيضٍ قَاتِلٍ * مَطَّلَعَ آمَالِ بَنِي الشَّرْقِ

(١) السهي : كوكب خفي من بنات نعل الصغرى . (٢) الجلى : ما جل من الشدائد .

لَوْلَا كُنَّا لَأَنْدَكُ صَرَحُ الْعَلَا * وَأَنْحَدَرَ الْبَدْرُ عَنِ الْأَفْقِ
وَبَاتَتِ الْأَخْلَاقُ فِي حَسْرَةٍ * عَلَى نَيْبِ النَّفْسِ وَالْحُلُقِ
صَانِكُ اللَّهِ لِبُرِّ الْوَرَى * وَصَانَهُ لِلْعُرْفِ وَالْحَقِّ^(١)

وقال فيه أيضا :

(ارتجلهما في حفل أقيم لتكريمه سنة ١٩٣٠م)

قُلْ لِلطَّيِّبِ الَّذِي تَعْنُو الْجِرَاحُ لَهُ * مَاذَا أَعْتَدْتِ لِحَرْجِ الْعَاشِقِ الْعَانِي^(٢)
قَدْ كَانَ مَبْضَعُهُ وَأَجْرَحَ يَرْمُقُهُ * يَمْنَى الْحَيِّبِ تُوَامِي صَدْرَ وَهَسَانِ^(٣)

الى المستشار محمود غالب بك^(٤)

والأستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة المصرية

[نشرت في ٣١ مارس سنة ١٩٣٢م]

قَدْ رَاعَ دَارَ الْعَدْلِ طُنْدُ * يَانُ وَرَاعَ الْجَامِعَةَ

فَمَيْتَمَا حَرَمَيْهَا * رَغَمَ الْخُطُوبِ الْفَاجِعَةَ

(١) العرف : الخير والجلود . (٢) تعنو : تخضع وتذل . واعتدت ، أى أعدت .
والعاني : الأسير . (٣) المبضع : المشرط . (٤) يشير الشاعر بهذه القصيدة الى حادثتين :
إحداهما ، أن محمود بك غالب (محمود باشا الآن) المستشار بحكمة الأستاذ كان رئيسا لإحدى دوائر
محكمة الجنائيات ، وقد عرضت على الدائرة التى يرأسها قضية القنابل المرفوقة ، اتهم فيها جماعة بالقاء
القنابل على بيوت بعض الكبراء ، واستمر غالب بك ينظر هذه القضية ثلاث جلسات ، فلما كانت الجلسة
الرابعة يوم ٢٣ مارس سنة ١٩٣٢م تقضى عن النظر فيها ، وقال : إنه يرى من الحكمة أن يمسك عن ذكر
الأسباب التى حملته على هذا التنعى . وإنه لم يرضع فى هذا إلا لسلطان ضميره . والثانية ، أن الأستاذ
أحمد لطفى السيد بك (لطفى السيد باشا الآن) مدير الجامعة كان قد استقال من منصبه فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢م
لنقل الدكتور (طله حسين) عميد كلية الآداب الى وزارة المعارف بدون رضاه ، ودون رضا الجامعة .

(١)

وقهرتُما الباغِي على * ردَّ الحُقُوقِ النَّاصِعَةَ

(٢)

لِلَّهِ دَرُّ الْمُسْتَشَا * رٍ وِدْرُ ذَاكَ الْبَاقِعَةَ

فَهُمَا اللَّذَانِ تَكْفَلَا * عَنَا بِصَدِّ الْقَارِعَةَ

(٣)

نَظَرَ الْحِيَادُ بَيْنَهُ * فِي النَّاسِ هَوْلَ الْوَاقِعَةَ

(٤)

أَمْنِي الْمُحَايِدِ أَنْ يَرَى * مِصْرَ الْعَزِيزَةِ ضَارِعَةَ

كَذَبَ الْحِيَادُ فَلَنْ تَكُو * نَ جُهُودُ مِصْرٍ ضَائِعَةَ

(٥)

فَالْحَقُّ لَا تُلَوِي بِهِ * تِلْكَ السُّيُوفُ الْأَمِيعَةَ

أَصْبَحْتُ أَسْأَلُ خَاطِرِي * وَالنَّفْسُ مِنِّي جَارِعَةَ

أَعِيشُ تَحْتَ اللَّيْلِ أَمْ * تَحْتَ الشُّمُوسِ السَّاطِعَةَ

الى الدكتور طه حسين

أُنشدهما في حفل أقيم للدكتور يفتدق مينا هارس من طلبة الجامعة بعد فصله من منصبه

[نشر في ٧ أبريل سنة ١٩٣٢م]

(٦)

قَدْ أَجَدَّبَتْ دَارَ الْجَمَا وَالنَّهْيِ * بَعْدَكَ مِنْ آرَائِكَ النَّافِعَةَ

وَأَخْصَبَتْ أَرْجَاءُ مِصْرٍ بَيْنَ * صَيْرٍ مِصْرًا كُلِّهَا جَامِعَةَ

(١) الناصعة، أى الظاهرة التى لا يسع أحدا نكرانها . (٢) الباقعة : الذكى العارف ، الذى

لا يفوته شئ ولا يدهى . (٣) كنى «بالحياد» عن الإنجليز، لأنهم كانوا فى هذا العهد يدعون أنهم على

الحياد فى الشؤون الداخلىة فى مصر، وأن المسئولية كلها على الوزراء المصريين . (٤) ضارعة : ذليلة .

(٥) أوى بالشئ : ذهب به . (٦) يريد «بدار الجما والنهى» : الجامعة المصرية .

تهنئة المغفور له جلالة الملك فؤاد بعيد جلوسه

(١) أَرَأَيْتَ رَبَّ التَّاجِ فِي * عِيدِ الْجُلُوسِ وَقَدْ تَبَدَّى

وَشَهِدْتَ جِبْرِيلايْمَ * عَلَيْهِ ظِلُّ اللَّهِ مَدَا

وَنظَرْتَ تَطَوَّافَ الْقُلُوبِ * بِبَسَاحَةِ الْعَرْشِ الْمُفَدَّى

وَسَمِعْتَ تَسْبِيحَ الْوُفُودِ * دِجْمِيدِهِ وَفَدَا فَوْفَدَا

(٢) هَذَا ابْنُ إِسْمَاعِيلَ رَبُّ * النَّيْلِ مَنْ أَغْنَى وَأَسَدَى

(٣) النَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَهُ * فَيُخَذُ وَجْهَ الْأَرْضِ خَدَا

(٤) يَهْبُ النَّضَارَ كَأَنَّهُ * مِنْ فَيْضِ جَدْوَاهِ أَسْمَدَا

(٥) وَكَأَنَّمَا هُوَ عَالِمٌ * بِالْكِيمِيَاءِ أَصَابَ جَدَا

يَدْعُ الثَّرَى تَبْرًا فَهَلْ * شَهِدَ الْوَرَى لِلنَّيْلِ نَدَا

النَّاسُ يَوْمَ جُلُوسِهِ * يَسْتَقْبِلُونَ الْعَيْشَ رَغْدَا

أَنْ سَلَكْتَ سَمِعْتَ أَدَّ * عِيَّةَ لَهُ وَسَمِعْتَ حَمْدَا

عِشْ يَا (أَبَا الْفَارُوقِ) وَالِدِ * بَسْ مِنْ نَسِيحِ الْحَمْدِ بَرْدَا

(٦) هَا صَوْبِلِحَانَ الْمَلِكِ مِنْ * شَجَرِ الْجَنَانِ إِلَيْكَ يَهْدَى

(١) تبدى : بدا وظهر . (٢) أسدى : أعطى . (٣) يخد : يشق .

(٤) النضار : الذهب . والجودي : العلية والمعروف . (٥) الجد : الحظ .

(٦) الصوبلحان : العصا المنعطفة الرأس ؛ والجمع صوابلحة ؛ وهو لفظ فارسي معرب ؛ ويقال :

صوبلحان الملك ، لأن الملوك قديما كانوا يتخذونه شعارا للملك .

(١) حَدَّتْ عَلَا صَيْدِ الْمُلُو * كِ وَلَا أَرَى لُعْلَاكَ حَتَا
 (٢) فَابِينِ الرَّجَالِ بِنَايَةً * يَسْقَى الْعَدُوَّ بِهَا وَيَرْدِي
 (٣) وَأَضْرِبُ بِسَوْطِ الْبَأْسِ أَع * طَافَ الزَّمَانِ إِذَا أَسْتَبَدَّ
 أَيُّ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ * لَكَ مَكَانَةٌ وَأَعَزُّ جُنْدًا ؟
 (٤) مَنْ مِنْهُمْ كَفَّاهُ يُو * مَ الْبَدْلِ مِنْ كَفِّكَ أَنْدَى ؟
 مَنْ مِنْهُمْ نَامَتْ رَع * تَهُ وَقَامَ اللَّيْلَ سُهْدًا ؟
 (٥) مَنْ مِنْهُمْ سَامَاكَ أَوْ * سَامَى جَلَالِكَ أَوْ تَحَدَّى ؟
 (٦) مَنْ مِنْهُمْ أَوْفَى حِجَا * وَحَصَانَةً وَأَبْرُوعِدَا ؟
 فِي الشَّرْقِ فَانظُرْ هَلْ تَرَى * حَسَبًا (كَلِشْمَاعِيلَ) عُدَا ؟
 (٧) هَيْدِي (الْجَزِيرَةَ) وَالْعِرَا * (قُ) (وَفَارِسُ) يَهْدِنَ هَذَا
 وَإِلَيْكَ (مَكَّةَ) هَلْ تَرَى * أَحَدًا بِهَا وَإِلَيْكَ (تَجْدَا)
 وَإِلَيْكَ (تُوُسَ) وَالْجَزَا * (رِ) قَدْ لَيْسَنَ الْعَيْشَ نَكْدَا
 لَمْ يَرْتَفِعْ فِي الشَّرْقِ تَا * حُ فَوْقَ تَا حِجِ (النَّيْلِ) مَجْدَا
 جَدَّدْتَ عَهْدَ (الرَّاشِدِيَّةِ) * (نَ) تُقَى وَإِحْسَانًا وَزُهْدَا
 وَنَرَى طَيْبِكَ تَحَايِلَ ال * خُلَفَاءِ إِنْصَافًا وَرُشْدَا

(١) الصيد: جمع أصيد، وهو المتكبر المزهر. (٢) يردى: يهلك. (٣) الأعطاف: الجوانب، الواحد عطف (بالكسر). (٤) أندى: أسخى. (٥) ساماك، أى غالبك في السموة. وتحدك: نازمك الغلبة. (٦) الحجا: العقل. والحصافة: جودة الرأي. (٧) يهتدون هذا، أى إن أركان العمران تتداعى فيها.

(١) جَلَّتْ صِفَاتُكَ، كَمْ مَحْوُ * تَ أَسَى وَكَمْ أَوْرَيْتَ زَنْدًا
 (٢) أَعْطَيْتَ لَا مُتَرَبِّحًا * أَوْ مُخْفِيًا فِي الْجُودِ قَصْدًا
 (٣) رَوَيْتَ أَفْئِدَةَ الرَّعْبِ * بِتِي مِنْ هَوَاكَ فَكَيْفَ تَصْدَى
 (٤) وَمَلَكْتُهُنَّ كَمَا مَلَكْتَ * تَ زِمَامَ (مِصْرَ) أَبَا وَجَدًا
 فَإِذَا نَهَيْتَ فَطَاعَةً * وَإِذَا أَمَرْتَ فَلَا مَرَدًّا
 أَعْطَوكَ طَاعَةَ مُخْلِصٍ * وَمَنْحَتَهُمْ عَطْفًا وَوَدًّا
 (٥) أَوْضَحْتَ لِلْمِصْرِيِّ نَهْجَ * سَبْحِ صَلَاحِهِ فَسَعَى وَجَدًا
 أَعَدَّدْتَهُ وَكَفَلْتَهُ * وَرَعَيْتَهُ حَتَّى اسْتَعَدَّا
 وَدَعَوْتَهُ أَنْ يَسْتَرِدَّ * نَخَارَ مِصْرٍ فَاسْتَرَدَّا
 وَرَدَّ الْحَيَاةَ عَزِيزَةً * فَنَجَا وَكَانَ الْمَوْتُ وَرَدًّا
 وَحَمَى الْكِنَانَةَ بَعْدَ مَا * حَفَرَتْ لَهَا الْأَطْمَاعُ لَحْدًا
 (٦) فَتُّحْتَ أَعْيُنُنَا فَأَبْدَ * مِصْرَ النَّضِيَاءِ وَكُنْ رُمْدًا
 (٧) وَأَقَمْتَ جَامِعَةً بِمِصْرٍ * رَأْسُودَ أَزْرِ الْعِلْمِ شَدًّا
 (٨) كَمْ سَيِّدٍ بِالْعِلْمِ كَمَا * نَبْرَعْمِهِ لِلْجَهْلِ عِبْدًا

(١) الأسى: الحزن. وإيراء الزند: كناية عن إغاثة الملهوف وإجابة السائل. والأصل في إيراء الزند، استخراج ناره. (٢) لا متربجحا، أى غير مترقب من وراء معروفك وإعطائك نفعالك. (٣) تصدى: تظلم. (٤) الزمام (بالكسر): ما تقاد به الدابة. (٥) النهج: الطريق. وجد: اجتهد. (٦) الرمد: المصابة بالرمد، الواحدة رمداء. وكنى بذلك عن الجهل. و«بالضياء» عن العلوم والمعارف. (٧) تشد أزر العلم، أى تقويه وتنهضه. (٨) يقول: كم من رجل سوده العلم وكان قبل ذلك على الرغم منه عبدا لجهله.

(١)
 وَرَفَعَتْ فِي تَغْرِ الثُّغُورِ * رِ الْمُنْشَاتِ الْبَحْرِ بِنْدَا
 أَسَّسَتْ مَدْرَسَةً تُعِيدُ * نَدُّنَا بِمَلِكِ الْبَحْرِ عَهْدَا
 فَمَتَّى أَرَى أَسْطُولَ مِصْرَ * رَ يُشِيرُ فَوْقَ الْبَحْرِ رَعْدَا
 وَمَتَّى أَرَى جَيْشَ الْبِلَا * دِ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ سَدَا
 (٢)
 وَنَظَرْتَ فِي الطَّيْرَانِ نَظْرًا * رَةً مُصْلِحٍ لَمْ يَأَلْ جُهْدَا
 أَعَدَدْتَ عُدَّتَهُ وَلَمْ * تَرَمْنَهُ لِلْأَوْطَانِ بُدَا
 أَعْظَمَ بِأَسْطُولِ الْهَمَا * إِذْ أَنْبَرَى فَسَطَا وَشَدَا
 (٣)
 مَنْ رَأَاهُ يَوْمَ التَّرَا * لِي رَأَى النَّسُورَ تَصِيدُ أَسَدَا
 (٤)
 وَتَرَاهُ عِنْدَ السَّلْمِ سِرًا * بَأَمِنْ طَوَاوِيرِ تَبَدَّى
 (٥)
 وَطَوَائِفِ الْعَمَالِ كَمَّ * أَوْلَيْتَهَا رِفْدًا فَرَفِدَا
 مَنْ ذَا يُطِيقُ لِبَعْضِ مَا * أَصْلَحْتَ أَوْ أَسَدَيْتَ عَدَا
 دَمَّ يَا (فُؤَادُ) مُؤَيَّدَا * بِالْمَالِ وَالْأَرْوَاحِ تَقْدَى
 (٦)
 وَأَعِدْنَا عَهْدَ الْمُعْرِزِ * فَالْفَاطِمِيِّ فَانْتَ أَهْدَى

(١) يريد «بشر الثغور» الاسكندرية . والمنشآت : السفن . والبند : العلم الكبير ، فارسي . يشير إلى مدرسة البحرية التي أنشأها المغفور له الملك فؤاد الأول . (٢) لم يأل : لم يقصر . وفي عهد المغفور له الملك فؤاد الأول نظمت مصر الطيران ، وانشأت أول أسطول جوي . (٣) رآه : رآه . والنزال : الحرب . (٤) السرب : جماعة الطير . والمعنى أن هذه الطائرات في أيام السلم تشبه الطواريس في الإعجاب بجمالها والاختيال بحسنها . (٥) الرشد : العطاء والصلة . يشير إلى ما ناله تقابلات العمال في عهد جلالة من تأييد ومساعدات . (٦) كان «المعز» رابع خلفاء الدولة الفاطمية ، ولى الخلافة سنة ١٠٣٤١ . وتوفي سنة ١٠٣٦٥ . وفي أيامه دخل الفاطميون مصر ، وكان عهده من أزهى عصورها وأزهرها .

تهنئة لصاحب السعادة نجيب الهلالي بك

قال هذين البيتين مرتجلا عند ما تولى وكالة المعارف للتعليم الفني والفنون الجميلة سنة ١٩٢٩ م

أَصْحَى (نَجِيبٌ) وَيَكَلِّأُ * لَنَا وَتَعَمَّ الْوَكِيلُ

فَلْيَتَعَمَّ الشُّعْرُ بِالْأَلَا * فَالشُّعْرُ فَنٌ جَمِيلُ

التقریظات

(١) تقریظ كتاب "فحول البلاغة" لمؤلفه السيد توفيق البكري

[نشر هذان البيتان في سنة ١٣١٣ هـ]

هَذَا كِتَابٌ مَدُّ بَدَا سِرُّهُ * لِلنَّاسِ قَالُوا : مُعْجِزٌ ثَانِي

(٢) أَنَابَكَ اللَّهُ عَلَى جَمْعِهِ * ثَوَابَ (عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ)

(٣) تقریظ "جريدة مصباح الشرق" لصاحبها إبراهيم المويلحي بك

أَهْلَ الصَّحَافَةِ لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ * فَسَأَوْكُمْ قَدْ زَانَهَا (المصباح)

(٤) الْحَقُّ فِيهِ زَيْتُهُ، وَفَتِيلُهُ * صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَنُورُهُ الْإِصْلَاحُ

- (١) ولد السيد توفيق البكري في سنة ١٨٧٠ م، وقد كان قريبا للأشراف ومشیخة الطرق الصوفية، كما كان عضواً بمجلس شورى القوانين. وكان يجيد اللغتين الفرنسية والانجليزية فوق إجادته للعربية التي عد فيها من أئمة الأدب والبيان. وقد أنعم عليه السلطان عبد الحميد، وسمو الخديوي السابق بكثير من الأوسمة. وله غير هذا الكتاب، صهاريج اللؤلؤ، وأراجيز العرب، والمستقبل للإسلام؛ وتوفي رحمه الله يوم السبت ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٢ م. (٢) خص «عثمان بن عفان» بالذكر لأنه هو الذي نال ثواب جمع القرآن. (٣) مصباح الشرق: صحيفة سياسية أدبية، وكانت تصدر في كل أسبوع في مصر، أنشئت في (سنة ١٣١٥ هـ) (سنة ١٨٩٨ م) واحتجبت في (سنة ١٣٢١ هـ). (٤) الفتيل: جمع فتيلة، وهي ذبالة المصباح. (سنة ١٩٠٣ م).

تقرير ديوان الشاعر الكاتب مصطفى صادق الرافعي

(سنة ١٣٢١ هـ - سنة ١٩٠٤ م)

- (١)
أَرَاكَ - وَأَنْتَ تَبْتُ الْيَوْمَ - تَمْشِي * بِشِعْرِكَ فَوْقَ هَامِ الْأَوَّلِينَا
- (٢)
وَأُوْتِيَتِ النَّبُوءَةَ فِي الْمَعَانِي * وَمَا دَانَيْتَ حَدَّ الْأَرْبَعِينَا
- (٣)
فَزِنْ تَاجَ الرَّأْسَةِ بَعْدَ (سَامِي) * كَمَا زَانَتْ فَرَائِدُهُ الْجَيْنِينَا
- (٤)
وَهَذَا الصُّوْبُلْجَانُ فَكُنْ حَرِيصَا * عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ وَكُنْ أَمِينَا
- (٥)
فَحَسْبُكَ أَنْ مُطْرِيكَ (أَبْنُ هَانِي) * وَأَنْتَ قَدْ غَدَوْتَ لَهُ قَرِينَا

(١) الهام : الرموس ، الواحدة هامة .

(٢) يشير بهذا الى ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله : بعثت على رأس الأربعين .

(٣) يريد «سामी» : المرحوم محمود سامي البارودي باشا . انظر التعريف به في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٧ . وفرائد اللؤلؤ : يتأمله التي لاتوائم لها .

(٤) الصوبلجان (في أصل معناه) : العصا المعوجة من طرفها ؛ وهو لفظ فارسي معرب ، ويقال : صوبلجان الملك ، لأن الملوك كانوا في القديم يتخذونه علامة على توليهم الملك .

(٥) مطريك : مادحك . ويريد «بأبن هاني» : المرحوم أحمد شوقي بك ، وكان يلقب بأبن هاني ، وسمى داره بالمطرية : كرامة ابن هاني تشبها (بالحسن بن هاني) المعروف بأبن نواس .

تهنئة المؤيد بداره وبمظهره الجديدين

[نشرت في ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦م]

(١)
أَحْيَيْتَ مَيْتَ رَجَائِنَا بِصَحِيفَةٍ * أَثْنَى عَلَيْهَا الشُّرُقُ وَالْإِسْلَامُ
(٢)
أَضَحَّتْ مُصَلِّىَ اللَّبَاقَةِ عِنْدَمَا * سَجَدَتْ بِرَحْبِ فَنَائِهَا الْأَقْلَامُ
فَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْجَدِيدِ تَحِيَّةٌ * وَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْقَدِيمِ سَلَامُ

تقريظ "حديث عيسى بن هشام"

لصاحبه محمد المويلحي بك^(٣)

[نشر في أول مارس سنة ١٩٠٧م]

قَلَمٌ إِذَا رَكِبَ الْأَنَامِلَ أَوْ جَرَى * سَجَدَتْ لَهُ الْأَقْلَامُ وَهِيَ جَوَارِي
(٤)
يَحْتَالُ مَا بَيْنَ السُّطُورِ كَضَيْغِمٍ * يَحْتَالُ بَيْنَ عَوَامِلٍ وَشِفَارِ
(٥)
تَأْوِي الظُّبَاءُ إِلَيْهِ وَهِيَ أَوَائِسُ * وَتَحِيدُ عَنْهُ الْأَسْدُ وَهِيَ ضَوَارِي

- (١) يخاطب بهذا البيت وما بعده صاحب المؤيد وهو الشيخ علي يوسف . (٢) الفناء (بكسر الفاء) :
الساحة أمام البيت . (٣) هو محمد بك ابن ابراهيم بك المويلحي ؛ ولد بالقاهرة
سنة ١٨٥٨م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم تولّى عدّة مناصب في الحكومة المصرية ، واشترك في تحرير
عدّة صحف ، وكان هو وأبوه ابراهيم بك من أعلام الكتاب المشهورين في مصر إذ ذاك ، وهما صاحب
صحيفة مصباح الشرق . ومحمد بك المويلحي ، هو مؤلف كتاب عيسى بن هشام ؛ وتوفى يوم السبت أول مارس
سنة ١٩٣٠م . (٤) الضيغم : الأسد ؛ ويريد به هنا : الشجاع . والعوامل : صدور الرماح ،
الواحد عامل . والشفار : جمع شفرة ، وهي حدّ السيف . (٥) الضواري : المدربة على الصيد
والاقراس . يريد أن هذا القلم إذا رُق ولطف أنست إليه الظباء ؛ وإذا قسا : خافته الآساد .

- (١) ما حال خُلِقُ الماءِ بينَ سُطُورِهِ * إلا إلى خُلِقِ الزَّنَادِ الوَارِي
 فإذا رَضِيَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ رَحْمَةٍ * وإذا غَضِبَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ نَارِ
 (٢) يابن الذي غنى اليراعُ بكَفِّهِ * فصَبَّتْ إليه مَسَامِعُ الأَقْدَارِ
 (٣) لك في دمي حَقُّ أَرَدْتُ وِفَاءَهُ * يومَ الوَفَاءِ فَقَصَّرْتُ أَشْعَارِي
 لم يُنْسِنِي مَرُّ الزَّمانِ ولم يَنْزِلْ * حِفْظُ الوِدَادِ بِيَعِيَّتِي وشِعَارِي
 (٤) هَذَا كِتَابُكَ فَدَحَكْتُ آيَاتُهُ * آيَاتِ موسى التَّسْعِ في الإِكْبَارِ
 (٥) تَسْعَ الحَرِيرِ أبوكَ تَسْعَ نِجَارِهِ * وَتَسَجَّتْ أنتَ حَرَارَةُ الأَفْكارِ
 (٦) فإذا نَثَرَتْ على الصَّحيفَةِ خِلْتَهَا * غَمْرًا أَلْحَ عليه صَوْبُ قِطَارِ

- (١) ما حال ، أى ماتحول . ويريد « بخلق الماء » : الرقة والعذوبة . و « بخلق الزناد » :
 ما فيه من التوقد والالتهاب . والزناد الواري : الذى خرجت ناره .
 (٢) صببت : مالت . (٣) كان المدوح كثير الإغداق على حافظ ، فهو إلى ذلك يشير
 بهذا البيت . (٤) آيات موسى التسع ، أى معجزاته ، وهى مذكورة كلها فى القرآن ، قال الله تعالى
 فى سورة الإسراء : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) الآية .
 (٥) النجار : الأصل والمختد . ويشير بهذه العبارة إلى أن أبا المدوح وهو إبراهيم بك المولطى
 كان من كبار تجار الحرير بمصر ، وكان شريكا فى هذه التجارة لأخيه عبد السلام المولطى باشا عم المدوح
 وقد أخطأهما التوفيق فى تجارتها ، فدالهما يد المساعدة المغفورة لإسماعيل باشا الخديوى ، واختصهما
 بجمعها وحدهما المقدمين لجميع ما يلزم للبيت الخديوى من أنواع الحرير ؛ واتسدى به فى ذلك
 سراً مصر ووجهاتها ، فصلحت حالهما بعد ذلك .
 (٦) إلح السحاب على النبات : دام مطره عليه . والقطار : الأمطار ، الواحد قطر (فتح فسكون) .
 يريد تشبيه ما يكتب فى صحفه بأنواع الزهر الغض المرعر مما توالى عليه من الأمطار . وفى الديوان
 المطبوع : « نثار » مكان « قطار » .

- (١) يا صاحب المصباح ما ذنبُ النهى * حتى حجبت مَطالِعَ الأنوارِ
 (٢) قد كنت تهديها السبيلَ بضوئِهِ * فتركتها في ظلمةٍ وعِشارِ
 باتت تُرجى منك عَوْدَةَ غائبِ * نُورُ البصائرِ فيه والأبصارِ
 (٣) وشمائلِ الفكرِ التي أرسلتها * حِكْمًا فأغنتها عن الأسفارِ
 (٤) فاشرعَ يراعك يا (مُحمَّدُ) إنه * نارُ اللّثامِ وجنَّةُ الأحرارِ
 (٥) وأبعث لنا (عيسى) فهذا وقته * فالناسُ بينَ مُخادِعٍ ومواريِ
 (٦) ومطاولِ في الكاتِبينَ ومُدِّعِ * في العالمينَ ومولعِ بفَخارِ
 (٧) أمِنوا يراعك حينَ طالَ سُكُونُهُ * فتطلَّعُوا لمَراتِبِ الأَقْمارِ
 (٨) إني لأنظِمُ ما نثرتَ وإن يَكُنْ * نثرُ النُظُمِ مَطيَّئَةَ الشَّارِ

- (١) قد سبق التعريف بصحيفة «مصباح الشرق» في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٤٩ من هذا الجزء .
 (٢) تهديها أى تهدي النهى . (٣) الأسفار: الكتب ، الواحد سفر (بكسر السين وسكون الفاء) .
 (٤) اشرع يراعك ، أى سدد قلبك وصوّبه نحو الأضرار السامية . (٥) يريد كتاب عيسى
 ابن هشام . ويشير بذلك إلى ما ورد من أن نبي الله عيسى عليه السلام سيعود في آخر الزمان لهداية الناس .
 والمواري : المدارى الذى يبطن خلاف ما يظهر . (٦) المطاول : المفاخر . والعالمين : جمع عالم
 (بكسر اللام) فيما . (٧) يقول : ان هؤلاء المدعين قد آمنوا بطش قلبك بهم حين احتجبت صحيفتك
 فتطلعوا الى المراتب العالية التى لم يكونوا ليتطلعوا اليها لو أنك دائب على الكتابة . (٨) يقول :
 إن شعري في الحقيقة ليس إلا نظما لما نثر ، فهو مقتبس من وحي قلبك ، وإن تكن عادة التجاب
 ثم ما ينظم الشعراء .

تقريظ كتاب مرآة العروض

المطبوع سنة ١٣٣٥ هـ تأليف الشيخ أحمد عثمان المحرزي القاضي الشرعي

(١)
عُثْمَانُ إِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مُوقَّفاً * شَرَوَى سَمِيكَ جَامِعَ التُّزَيْلِ
جَمَعْتَ أَشْأَتَ الْقَرِيضِ وَزِدْتَهُ * حُسْنًا بِهَذَا الشَّرْحِ وَالتَّذْيِيلِ
وَجَلَوْتَ (مِرْآةَ الْعُرُوضِ) صَفِيْلَةً * لِلنَّبِيلِ فَاسْتَوْجِبْتَ شُكْرَ النَّبِيلِ

تقريظ صحيفة كوكب الشرق

لصاحبها محمد حافظ عوض بك

[نشرهذان البيان في أول عدد صدر منها في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م]

يَا كَوْكَبَ الشَّرْقِ أَشْرِقْ * فَالْحَادِثَاتُ تَجِيءُ
لَا تَمُحُّ طَالِعَ سُوءٍ * فَكَوْكَبُ الشَّرْقِ سَعْدُ

تهنئة المقتطف بعيدها الخمسيني

[نشرت في أول يونيو سنة ١٩٢٦ م]

(٢) شَيْخَانٍ قَدْ خَبَّرَا الْوُجُودَ وَأَدْرَكَا * مَا فِيهِ مِنْ عِلَلٍ وَمِنْ أَسْبَابِ
 (٣) وَأَسْتَبْطَنَّا الْأَشْيَاءَ حَتَّى طَالَعَا * وَجَهَ الْحَقِيقَةَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
 (٤) نَحْمَسُونَ عَامَا فِي الْجِهَادِ كَلَامُهُمَا * شَاكِي الْبِرَاعَةِ طَاهِرُ الْجَلْبَابِ
 لَا تَعَجَّبُوا أَنْ خَضَّبَا قَلَمَيْهِمَا * وَبَيَّضُوا شَيْبَيْهِمَا بِغَيْرِ خَضَابِ
 فَلِكُلِّ حُسْنٍ حَلِيَّةٌ يُزْهِى بِهَا * وَأَرَى الْبِرَاعَةَ حَلِيَّةَ الْكُتَّابِ
 إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْبِرَاعَةِ فِي يَدِي * فَحَسِبْتُهَا فِي الْقَدْرِ عُوْدَ ثِقَابِ
 وَنَظَرْتُهَا تَنْقُضُ مِنْ كَفَيْهِمَا * فَوْقَ الطُّرُوسِ نِخْلَتَهَا كِشْبَابِ
 (٥) يُزْهِى مُدَجِّجْنَا بَرْمُجٍ وَاحِدٍ * وَأَرَاهُمَا لَا يُزْهِيانِ بِنَابِ
 (٦) مُتَوَاضِعَانِ وَلَا أَرَى مُتَكَبِّرًا * غَيْرَ أَجْهُولٍ مُدَنَّسًا بِالْعَابِ

- (١) أنشئت هذه المجلة في سنة ١٨٧٦ م وكان مقرها أولا سورية ، ثم انتقلت إدارتها الى مصر في سنة ١٨٨٥ م . (٢) يريد « بالشيوخين » : الدكتور فارس نمر ، والدكتور يعقوب صروف ؛ أما الأول منهما فهو العالم السوري المعروف عضو مجمع اللغة العربية الملكي في مصر ، ومنشئ مجلة المقتطف وبيردة المقطم مشتركا مع صاحبه السابق ذكره في كلتا الصحيفتين . أما الثاني وهو الدكتور يعقوب صروف ، فولد بلبان في سنة ١٨٥٢ م وكان الدكتور متطعا الى تحرير المقتطف ، وانقطع الدكتور نمر الى تحرير المقطم ؛ وكانت وفاة الدكتور صروف في سنة ١٩٢٧ م . (٣) استبطننا الأشياء : اختبرا بوطانها . (٤) شاكي البراعة ، أى ذو شوكة وحدة في قلبه . (٥) المدجج : لابس السلاح . والغاب : جمع غابة ، وهى الشجر الكثير . ويطلق أيضا على القصب الفارسي تتخذ منه الأقلام . والشاعر يرمي الى المعنيين . (٦) العاب والعيب ، كلاهما بمعنى واحد .

- (١) يَجَادِبُ الْقَطْرَانِ مِنْ فَضْلَيْهِمَا * ذَيْلَ الْفَخَارِ وَلَيْسَ ذَا بُعْجَابِ
 فُهِمَا هُنَا عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِنَا * وَهُمَا هُنَاكَ نُجْبَةُ الْأَنْجَابِ
 (٢) جَاذَا مَدَى السَّبْعِينَ لَمْ يَتَوَانِيَا * عَنْ وَصْلِ حَمْدٍ وَأَجْتِنَابِ سَبَابِ
 نَسْبَاهُمَا قَلْبَاهُمَا فَلَيْسَ حَبَابًا * ذَيْلًا عَلَى الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ
 (٣) قَلَمَانِ مَشْرُوعَانِ، فِي شَقِيهِمَا * وَحَى يُفِيضُ عَلَى أُولَى الْأَبَابِ
 مُتَسَانِدَانِ إِذَا أَنْحَطُوبُ تَأَلَّبَتْ * مُتَعَاقِبَانِ تَعَانَقَ الْأَجَابِ
 (٤) نَفَحَاتُ (آذَارِ) إِذَا لَمْ يُظْلَمَا * فَإِذَا هُمَا ظَلِيمَا فَلَفْحَةُ (آبِ)
 مَا سَوْدَا بَيْضَاءَ إِلَّا بَيْضَا * بِالكَاتِبَيْنِ صَحِيفَةَ الْإِعْجَابِ
 (٥) لِلْقَيْصِدِ الْأَسْمَى لَدَى حَرَمِ النَّهْيِ * رَفَعَا قِبَابًا حُوجِرَتْ بِقِبَابِ
 خَطًّا بِمُقْتَطِفِ الْعُلُومِ بَدَائِعَنَا * وَرَوَائِعًا بَقِيَتْ عَلَى الْأَحْقَابِ
 جَاءَ لَنَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ * أَوْ كُلِّ فَنٍّ مُتَمِّعٍ بُلْبَابِ
 فِي كُلِّ لَفْظٍ حِكْمَةٌ مَجْلُوءَةٌ * وَبِكُلِّ سَطْرِ مَهْبِطٌ لِصَوَابِ

- (١) القطران : مصر وسورية . (٢) جازا : جاززا . والمدى : الغاية .
 (٣) يقال : سحب الذيل على كذا، أى أنه لم يحفل به ولم يأبه له . (٤) مشروعان ، أى
 مصروبان مستدان . (٥) تألبت : تجملت وتضافت . (٦) آذار وآب : شهران من شهور
 السنة المسيحية معروفان ، وتكثر الأزهار في الأول ، ويشند الحز في الثانى : واللفحة من قولهم : لفتحه النار
 والنسوم (فتح السين) : أى أحرقتة بجزءها . (٧) بالكاتبين : متعلق بقوله بعد : «الإعجاب» .
 أى لم يكتبوا بالمداد الأسود صحيفة بيضاء إلا كتبوا عند قرائتها صحيفة أخرى مملوءة بالإعجاب بهما .
 (٨) قبايا حوجرت بقباب ، أى متصلة بعضها ببعض . (٩) الروائع من الأشياء :
 ما أعجبتك بحسبها . والأحقاب : الدهور .

فاللفظ فيه مقوم بصحيفة * والسطر فيه مقوم بكتاب
 (١)
 داني القطوف كريمة أفاؤه * عذب الورود مفتوح الأبواب
 (٢)
 ذلل مسالكه فأني جنته * ألفت نفسك في فسيح رحاب
 (٣)
 تتسابق الأقلام فيه ولا ترى * من عاثر فيها ولا من ناني
 (٤)
 كم من يراعة كاتب جالت به * ولعابها في الطرس حلو رضاب
 (٥)
 كم من سؤال فيه كان جوابه * إلهام نايضة وفصل خطاب
 (٥)
 كم فيه من نهر جرى بطريقة * ترد النهي منه ألد شراب
 (٦)
 وقفت سقاة الفضل في جنباته * تروى النفوس بمترع الأكواب
 (٦)
 ماذا أعد وهذه آياته * في العد تجز أمهر الحساب
 (٧)
 قد نسقت وتآلفت فكأنتها * في الحسن مثل تألف الأحزاب
 (٧)
 وترى تهاقتنا عليه وحرصنا * فتخال فيه مقاعد النواب
 (٧)
 ياثروة القراء من علم ومن * فضيل ومن حكم ومن آداب
 (٧)
 الشرق أثبت يوم عيدك أنه * ما زال في رى وخصب جناب
 (٧)

(١) الأفاؤه: الظلال. ويريد بقوله: «داني القطوف» قرب ماخذه وسهولة الاستفادة من بحوثه.
 (٢) ذلل مسالكه: سهلة ممهدة. (٣) نبا ينبو: كل وأرتد عن المقصد. (٤) اللباب: الريق.
 ويريد به هنا: المداد. والرضاب: لعاب العسل. (٥) النهر: يجري الماء المعروف. ويومئ به
 إلى العمود من الصحيفة، وهو استعمال صحفى معروف في هذا العصر. (٦) المترع: المملوء.
 (٧) نسقت: نظمت. ويشير الشاعر بالتشبيه الذي في هذا البيت إلى ما كان في هذا العهد الذي أنشئت فيه
 هذه القصيدة من تألف الأحزاب المصرية واجتماعها بعد الافتراق، وتكوين وزارة وبرلمان أثلاثيين.

عَادَتْ سَمَاءُ الْفَضْلِ فِيهِ فَاطَّلَعَتْ * زُهْرًا مِنَ الْأَعْلَامِ وَالْأَقْطَابِ^(١)
 الْعِلْمُ شَرِقَى تَغَافَلَ أَهْلُهُ * عَنْهُ فَعَاقَبَهُمْ بِطُولِ غِيَابِ
 وَتَنَبَّهُوا لِمُصَابِهِمْ فَتَضَرَّعُوا * فَعَفَا وَعَاوَدَهُمْ بِغَيْرِ عِتَابِ
 فَتَذَوَّقُوا طَعْمَ الْحَيَاةِ وَأَدْرَكُوا * مَا فِي الْجَهَالَةِ مِنْ أَدَى وَتَبَابِ^(٢)
 الْعِلْمُ فِي الْبِأْسَاءِ مُزْنَةٌ رَحْمَةٌ * وَالْجَهْلُ فِي النَّعْمَاءِ سَوِطٌ عَذَابِ^(٣)
 وَلَعَلَّ وَرَدَ الْعِلْمُ مَا لَمْ يَرَعَهُ * سَاقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَرَدُّ سَرَابِ^(٤)
 إِنِّي قَرَأْتُكَ فِي الْكُهُولَةِ وَالصَّبَا * وَمَلَأْتُ مِنْ ثَمَرِ الْعُقُولِ وَطَائِبِ
 وَأَتَيْتُ أَقْضَى بَعْضِ مَا أَوْلَيْتَنِي * وَأَقُولُ فِيكَ الْحَقَّ غَيْرَ مُحَابِي
 لَوْ كُنْتُ فِي عَهْدِ الْفُتُوَّةِ لَمْ أَزَلْ * لَوْ هَبْتُ لِلشَّيْخِينَ بَرْدَ شَبَابِي
 لَكُنْتُ أَبْلَيْتَهُ وَطَوَيْتَهُ * وَتَخَذْتُ مِنْ نَسِجِ الْمَشِيْبِ ثِيَابِي^(٥)
 وَأَرَى رِكَابِي حِينَ شَابَتْ لِمَتِي * يَحْتَشُّهَا سَفَرٌ بَغَيْرِ إِيَابِ
 (يَعْقُوبُ) إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَلَمْ تَزَلْ * فِي الْعِلْمِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَصَابِي
 لَاحَتْ بِرَأْسِكَ هِزَّةٌ وَلَعَلَّهَا * مِنْ وَقَعِ فِكْرِكَ لَا مِنْ الْأَعْصَابِ^(٦)
 فِكْرٌ سَرِيعٌ كَرِهَ مُتَدَفِّعٌ * كَتَدَفِّعُ الْأَمْوَاجِ فَوْقَ عُبابِ
 لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يُجَدِّثُ نَفْسَهُ * أَنْ يَنْتَقِي عَنْ جَيْئَةٍ وَذَهَابِ

(١) الزهر : النجوم . (٢) التباب : النقص والحسران . (٣) المزنة : السحابة المثلثة بالماء . (٤) الوطاب : جمع وطب ، وهو في الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد هنا : أنه ملا فكره ونفسه . (٥) اللة : الشعر المجاور لشمحة الأذن . ويحتشها : يسرع بها . ويريد « بالسفر » : الموت . (٦) العباب : معطم السيل .

(١) أو أنها طربٌ بنفسك كما * وفتت في بحث وكشف قهاب
 أو أنها استنكار ما شاهدته * في الناس من هيو وسوء مآب
 (٢) لم يلهك الإثراء عن طلب العلا * بالجهد لا بتصيد الألقاب
 لك في سبيل العلم أجر مجاهد * والصبر أجر ملازم المحراب
 (٣) وإليك من جهد المقل قصيدة * يغنيك موزنها عن الإسهاب
 (٤) لولا السقام وما أكيد من آسى * للفتت في هذا المجال صحابي

تقرير كتاب "في ظلال الدموع"

لصاحبه محمد شوكت التونى

[نشر في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩م]

قد قرأنا ظلالكم فاشتفينا * بارك الله في (ظلال الدموع)
 علمتنا لدى الأسمى كيف تشفى * مرسلات الدموع داء الضلوع
 (٥) وأرتنا من الحديد بيانا * لم يكن قبلها كثير الشيوخ
 (٦) في طراز كأنما نسقته * من مجاني الربا بنان الربيع
 فعلى كاتب الظلال سلام * من حزين وبائس وصريح

- (١) أو أنها ، أى هزة رأسه . والقاب : اللثام . (٢) الإثراء : كثرة الأموال . والجهد :
 الاجتهاد . (٣) المقل : الفقير . والإسهاب : الإطالة . (٤) صحابي ، أى الذين تكلموا
 في هذا الحفل وأثروا عليك ، وأجادوا القول فيك . (٥) الجديد ، أى الأدب الجديد .
 (٦) نسقته : نظمته ؛ شبه بيانه بأزهار الربا في الربيع .

الأفصاح

قال في هجاء الجرائد

[نشر في أول ديسمبر سنة ١٩١٧م]

جرائد ما خط حرف بها * لغير تفريق وتضليل^(١)
يحلونها الكذب لأربابها * كأنها أول إبريل

في عياب كثير العيوب

[نشر في ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١م]

يا ساكن البيت الزحا * ج هبت، لا ترم الحصونا^(٢)
أرايت قبلك عارياً * يبني زوال الدارين^(٣)

في ملك ضعيف الراي

لا تعجبوا قليكم لعبت به * أيدي البطانة وهو في تضليل
إني أراه كأنه في رقة الشطرنج أو في قاعة التمثيل

- (١) أول إبريل : يوم يملح فيه بالكذب عند بعض الافرنج؛ وكذبة إبريل معروفة .
(٢) كنى بيت الزجاج عن كثرة عيوب هذا المهجور ، وأنه من اليسر على الناس فضيحه والخط من شأنه ، كما كنى بالحصون عن عكس ذلك . « وهبت » بالبناء للفاعل ، كما قاله بعض النورين . وقال ثعلب : القياس « هبت » بالبناء للجهول ، أي ثكلتك أمك . (٣) الدارعون : لابسو الدروع .

فِي رَجُلٍ عَظِيمِ الْبَطْنِ ضَخْمِ الْبَدَنِ

عَطَّلَتْ فَنِّ الْكَهْرَبَاءِ فَلَمْ تَجِدْ * شَيْئًا يَبُوقُ مَسِيرَهَا إِلَّا كَمَا^(١)

تَسْرِي عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ لِحَظَّةٍ * فَتَجُوبُهَا وَتَحَارُّ فِي أَحْشَاكَا^(٢)

وَقَالَ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ^(٣)

[فِي مَحْبُوبٍ نَافِرٍ]

أَنْحَرِقُ الدُّفَّ لَوْ رَأَيْتُ شَكِيًّا * وَأَفْضُ الأَذْكَارَ حَتَّى يَغِيْبَا^(٤)

هُوَ ذِكْرِي وَقِبْلَتِي وَإِمَامِي * وَطَيْبِي إِذَا دَعَا زُتُّ الطَّيِّبَا

لَوْ تَرَانِي وَقَدْ تَعَمَّدَتْ قَتْلِي * بِالتَّنَائِي رَأَيْتَ شَيْخًا حَرِيْبَا^(٥)

كَانَ لَا يَنْحَنِي لِفَيْرِكَ إِجْلَا * لَا وَلَا يَسْتَهِي سِوَاكَ حَيِيَا

لَا تَعَيِّنْ يَا شَكِيْبُ دَيْبِي * (إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَيْبِيَا)^(٦)

كَمْ شَرِبْتَ المُدَامَ فِي حَضْرَةِ الشَّيْءِ * سَخَّ جِهَارًا وَكَمْ سُقِيْتَ الحَلِيْبَا

- (١) الكهرباء : مقصور؛ وقد مدّه الشاعر هنا للضرورة . (٢) تسرى ، أى الكهرباء
والبسطة : الأرض . وتجوبها : تقطعها . يقول : إن أحشاه أوسع من الأرض مسالك .
(٣) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة في باب الهجاء لما تفيد من وصف هذا الصوفي بصفة قيحة ؛
وهو ما يقصد إليه حافظ وإن كانت القصيدة في الغزل . (٤) شكيب : غلام تركى زعموا أنه كان
يمشقه هذا المتصوف . والدف (بالضم) أو (بالفتح) : والأول أفصح ، نوع من الطبل معروف ، يضربون
عليه في اللهو وبعض حلقات الذكر . (٥) تعمدت : قصدت . والتنائى : التباعد . والحريب :
المسلوب . (٦) الدبيب : المشى على هيئة كشي الشيوخ ؛ ويستعمل في الزحف آنسلا .
والشطر الأخير من هذا البيت عجز بيت لشاعر قديم ، وصدره :

زعمتني شيخا ولست بشيخ * إنما الشيخ ... البيت

فَسَلُّوا سُبْحَتِي فَهَلْ كَانَ تَسْبِيهِ * حِي فِيهَا إِلَّا (شَكِيًّا شَكِيًّا)
 (١)
 وَإِذَا أَدَقَّ الشُّبُوحَ غَرَامُ * كُنْتُ فِي حَلَّةِ الشُّبُوحِ قَيِّمًا
 (٢)
 عُدُّ إِلَيْنَا فَقَدْ أَطَلَّتِ التَّجَافِي * وَأَرْكَبِ الْبَرْقَ إِنْ أَطَقْتَ الرُّكُوبَا
 (٣)
 وَإِذَا خِفْتَ مَا يُخَافُ مِنَ الْيَمِّ فَرَشْنَا لِأَحْمَصِيكَ الْقُلُوبَا
 (٤)
 وَدَعَوْنَا بِسَاطِ صَاحِبِ بَلْقِيدِ * سَسَ فَلَئِي دُعَاءَنَا مُسَجِّجِيَا
 (٥)
 وَأَمَرْنَا الرِّيَّاحَ تَجْرِي بِأَمْرِي * مِنْكَ حَتَّى تَرَكَ مِنَّا قَرِيْبَا

فِي بَائِعِ كُتُبِ صَفِيْقِ الْوَجْهِ

أَدِيمُ وَجْهِكَ يَا زَنْدِيقُ لَوْ جُعِلَتْ * مِنْهُ الْوِقَايَةُ وَالتَّجْلِيدُ لِلْكَتَبِ
 لَمْ يَلْهَأْ عَنْكَبُوتٌ أَيْمًا تَرَكْتُ * وَلَا تُخَافُ عَلَيْهَا سَطْوَةُ اللَّهَبِ

فِي مَنْ كَثُرَتْ مَخَازِيهُ

هِنَا بَسْتِغِيثُ الطَّرْسِ وَالتَّقْسِ وَالَّذِي * يَحْطُ وَمَنْ يَتْلُو وَمَنْ يَتَسَمَعُ
 مَخَازِيْمَا أَدْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتَهَا * إِلَى الْحَمْدِ أَدْعَى أَوْ إِلَى اللُّومِ أَدْفَعُ

- (١) أدقته المرض : أقله وأضناه . (٢) اليم : البحر . والأحص : ما لا يحس الأرض من باطن القدم ؛ ويراد به القدم كلها كما هنا . (٣) بلقيس ، هي ملكة سبأ ، وصاحبها هو نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام ، وقصتها مع ذلك النبي الكريم مشهورة ؛ وقد ورد ذكرها في القرآن في سورة النمل . (٤) يريد بهذا البيت والذي قبله أننا نمهد لك وسائل الإسراع في العودة . (٥) أديم الوجه : جلده ؛ يصف في هذا البيت وما بعده جلدة وجهه بالصفاء . (٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة يكتب فيها . والتقس بكسر النون : المداد .

الأخوانية

ذكرى وتشوق

كتبها من السودان إلى صديقه محمد بك يريم

[نشرت في سنة ١٩٠٠م]

- (١) أثرت بنا من الشوق القديم * وذكرى ذلك العيش الرخيم
 وأيام كسوناها جمالا * وأرقصنا لها فلك النسيم
 (٢) ملأناها بنا حسنا فكانت * بجيد الدهر كالعقد النظيم
 (٣) وفتيان مساميح عليهم * جلايب من الذوق السليم
 (٤) لهم شيم الله من الأماني * وأطرب من معاينة النديم
 (٥) كهمك في انخلاء والتصابي * وإن كانوا على خلق عظيم
 دعوهم إلى أنيس فوافوا * موافاة الكريم إلى الكريم
 (٦) وجاءوا كالقطا وردت تميرا * على ظمأ وهبوا كالنسيم

(١) أثرت : هيجت . والعيش الرخيم : اللين الناعم . (٢) الجيد : العتيق .

(٣) المساميح : جمع مساح ، وهو الجواد الكريم .

(٤) الشيم : السجايا والأخلاق . والمعاينة : المناولة ؛ ويريد بها مناولة النجم .

(٥) كهمك ، أى كهمك وإرادتك . أى هم كما شئت من خلاصة وهو .

(٦) القطا : الحمام ، الواحدة قطاة ، ويضرب بها المثل في الاهتداء ، فيقال : « أدل من قطاة »

لأنها لا تخطئ الطريق ليلا في القلاة . والماء التمر : الناجع في الرى .

- (١) وكان اللَّيْلُ يَمْرَحُ فِي شَبَابٍ * وَيَلْهُو (بِالْمَجْرَةِ) وَالنُّجُومُ
 (٢) فَوَاصَلْنَا كُثُومَ أَرَاحٍ حَتَّى * بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَنْوَارُ الصَّرِيمِ
 (٣) وَأَعْمَلْنَا بِهَا رَأْيَ (أَبْنِ هَانِي) * فَأَلْحَقْنَا بِأَصْحَابِ الرَّقِيمِ
 (٤) وَظَبِي مِنْ بَنِي مِضِرِّ غَرِيرٍ * شَهِيَّ اللَّفِظِ ذِي خَدِّ مَشِيمِ
 (٥) وَلَحِظِ بَابِلِيٍّ ذِي أَنْكَسَارٍ * كَأَنَّ بَطْرَفَهُ سِيَا الْيَتِيمِ
 (٦) سَقَانَا فِي مُنَادِمَةٍ حَدِيثًا * نَسِينَا عِنْدَهُ بِنْتَ الْكُرُومِ

- (١) مرح يمرح (وزان فرح يفرح) : تبخر وأختال . وشباب الليل : أوله . والمجرة : مجموعة نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بياض في السماء ، وتشبه بالنهر ، فيقال : نهر المجرة .
- (٢) الصريم (هنا) : الصبح . (٣) يريد أبا علي الحسن بن هاني الحكيم ، المشهور بابي نواس من أئمة شعراء الدولة العباسية ، ولد بالبصرة سنة خمس وأربعين ومئة ، وقيل سنة ست وثلاثين ومئة . وتوفي سنة خمس وتسعين ومئة ؛ وقيل سنة ثمان وتسعين ومئة ، ودفن ببغداد ؛ وكان كثير المهون ، دائم التشبيب ، مدمنا للخمر . وأصحاب الرقيم : هم أصحاب الكهف المذكورون في القرآن الكريم في قوله تعالى : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) الآية . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى نومهم في كهفهم ، أي مغارتهم ، مدة طويلة ، قال تعالى : (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسماً) . والرقيم : قرينهم التي خرجوا منها ، أو جبلهم الذي كان فيه الكهف . وقيل : الرقيم لوح رصاص نقش فيه نسبهم وأسمائهم وقصصهم ودينهم ، وممّ هم بوا . يريد أنهم جروا على مذهب أبي نواس في الشرب حتى ناموا نومة أهل الكهف .
- (٤) الغرير : الحديث السن الغافل ، الذي لم يجرب الأمور لحداثته . والمشيم : الذي فيه شامة ، أي خال في خده .
- (٥) البابل : نسبة إلى بابل ، وهي ناحية بالعراق ، منها الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . ويريد «باللحظ البابل» أنه يعمل في العقول والنفوس عمل الخمر والسحر . وانكسار اللفظ : فتوره . وسيا اليتيم : ضعفه ومذله ، لأنهما أظهر ما يكونان في اليتيم . والسياء والسياء : العلامة والهيئة .
- (٦) بنت الكروم : الخمر ، لأنها تعتصر منها .

سَلَامُ اللَّهِ يَا عَهْدَ التَّصَابِي * عَلَيْكَ وَفِيهِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
 أَحْنُ لَهُمْ وَدُونَهُمْ قَلَاةٌ * كَأَنَّ فَسِيحَهَا صَدْرُ الْحَلِيمِ^(١)
 كَأَنَّ أَدِيمَهَا أَحْشَاءُ صَبَّ * قَدْ أَتَهَبْتُ مِنَ الْوَجْدِ الْأَلِيمِ^(٢)
 كَأَنَّ سَرَابَهَا إِذْ لَاحَ فِيهَا * خِدَاعٌ لَاحَ فِي وَجْهِهِ اللَّئِيمِ^(٣)
 تَضَلُّ بِلَيْلِهَا (لَهْبٌ) فَتَحْكِي * (بِوَادِي أَلْتِيهِ) أَقْوَامَ الْكَلِيمِ^(٤)
 وَتَمَشِي السَّافِيَاتُ بِهَا حَيَارَى * إِذَا نُقِلَ الْهَجِيرُ عَنِ الْجَحِيمِ^(٥)
 فَمَنْ لِي أَنْ أَرَى تِلْكَ الْمَغَانِي * وَمَا فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ الْقَدِيمِ؟^(٦)
 فَحَظُّ (أَبْنِ دَاوُدَ) كَحَظِّي * وَلَا أُوتِيْتُ مِنْ عِلْمِ الْعَلِيمِ^(٧)

- (١) القلابة : الصحراء الواسعة . (٢) أديم القلابة : وجهها وظاهرها .
- (٣) السراب ، هو ما تراه نصف النهار على بعد عند اشتداد الحر (بحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) . ويشبهون به من يطعمك ظاهره وتونسك حقيقته .
- (٤) لهب (بكسر اللام وسكون الهاء) : قبيلة من الأزد باليمن كانت على معرفة تامة بالنجوم تسرى على ضوئها وتعرف بها السبل ، كما كان يضرب بها المثل في العياقة والزجر . ووادى التيه : هو القسم المنحصر بين خليج السويس وخليج العقبة من شبه جزيرة طورسينا ؛ وسمى بالتية لأن بنى إسرائيل قد تاهوا فيه أربعين سنة ، كما قص الله تعالى ذلك في القرآن الكريم . والكليم : نبي الله موسى عليه السلام . يقول : إن ما بيننا من فياف لو سرت فيها لهب لما أفادتها خبرتها ، ولضلت كما ضل قوم موسى في التيه .
- (٥) السافيات : الريح التي تسفئ التراب ، أي تجمله وتذروه . والهجير : شدة الحر . أي أن الرياح تسير فيها حائرة لا تهتدي إلى وجهة من أتساع أقطارها ، وتبحث عن كنف من ذلك الحر الذي كأنه أقتطع من الجحيم .
- (٦) المغاني : المنازل التي غنى بها أهلها ، أي أقاموا ، الواحد مغنى (بفتح الميم وسكون القين) .
- (٧) ابن داود ، هو نبي الله سليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه . والمعنى أنه لم يؤت من الحظ ما أوتى سليمان بن داود من تسخير الرياح والجن لأمره ، فيحملانه إلى تلك المغاني والمنازل التي يتشوق إلى رؤيتها والإقامة فيها .

- (١) ولا أنا مُطَلَّقٌ كالفِكْرِ أُسْرِي * فَاسْتَبَقَ الضَّوَاحِكَ فِي الْغَيُومِ
 (٢) وَلَكِنِّي مُقَيَّدَةٌ رِحَالِي * بِقَيْدِ الْعُدْمِ فِي وَادِي الْحُمُومِ
 (٣) تَزَحْتُ عَنْ الدِّيَارِ أَرُومُ رِزْقِي * وَأَضْرَبُ فِي الْمَهَامِهِ وَالتُّخُومِ
 (٤) وَمَا غَادَرْتُ فِي السُّودَانِ قَفْرًا * وَلَمْ أَصْبِحْ بِتَرْيِّهِ أَدِيمِي
 (٥) وَهَاتَا بَيْنَ أَنْيَابِ الْمَنَابِيَا * وَتَحْتَ بَرَاثِنِ الْخَطْبِ الْجَسِيمِ
 (٦) وَلَوْلَا سَوْرَةٌ لِلْمَجْدِ عِنْدِي * قَنَيْتُ بَعِيشَتِي قَنَعَ الظَّلِيمِ



- (٧) أَيَابِنَ الْأَكْرَمِينَ أَبَا وَجَدًا * وَيَابِنَ عُضَادَةَ الدِّينِ الْقَوِيمِ
 (٨) أَقَامَ لِدِينِنَا أَهْلُوكَ رُكْنًا * لَهُ نَسَبٌ إِلَى رُكْنِ الْحَطِيمِ

- (١) « استبق الضواحك » الخ : أسبق البروق في السحب ، أى أجوزها وأخلفها ورأى .
 (٢) العدم : الفقر . (٣) تزحت : بدت . وضرب في الأرض : خرج فيها ساعياً .
 والمهامه : جمع مهمه ومهمه ، وهى المفازة البعيدة المتسمة . والتخوم : الحدود بين الأرضين .
 (٤) الأديم : الجلد . يريد أنه لم يترك قفرا في السودان إلا خلط جلده بترابه . فقوله :
 « لم أصبح » الخ : صفة لقوله « قفرا » ، وإقران جملة الصفة بالوارك هنا غير مقيس ، وزيادتها
 لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، ومنه قوله تعالى : (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) .
 (٥) المعروف المشهور « هاتذا » إلا أن مثل هذا ورد في الشعر ، ومنه قوله :
 فهاتنا تائب عن حب ليل * فالك كلما ذكرت تدوب
 والبراثن : مخالب الأسد ، الواحد برثن (بضم الباء والتاء وسكون ما بينهما) .
 (٦) سورة المجد : أثره وأمارته . والظليم : ذكر النعام . وقد ضرب الشاعر قناعة النعام مثلاً
 فى الاكتفاء بأقل القوت ولو كان مما لا يقتات به ، وذلك لأن النعام يقتات بما يجده فى الفسلة من
 الحصى والحجارة إذا أعوزه القوت وعز عليه الكلاء . (٧) المضادة : الذى يماضدك
 أى يماونك . (٨) الحطيم : حجر الكعبة ، أو هو ما بين الركن والمقام .

- (١) فإطاف العفاة به وعادوا * بغير العسجدية واللطيم
 (٢) آيتك وأنطوب تزف رحلي * ولي حال أرق من السديم
 (٣) وقد أصبحت من سعي وكدي * على الأرزاق كالثوب الرديم
 (٤) فلا تخلق - فديت - أديم وجهي * ولا تقطع مواصلة الخيم

(٥) عتاب محمد البابل بك

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

- (٦) أحي والله قدمي الوطاب * وداخلي بصحبتك آرتياب
 (٧) رجوتك مرة وعتبت أخرى * فلا أجدي الرجاء ولا العتاب
 نبذت مودتي فأهنا بيعدى * فأحر عهدنا هذا الكتاب

(١) العفاة : طلاب الأرزاق والمعروف ، مفردة العافي . والمسجدية : الإبل التي تحمل المسجد أي الذهب . واللطيم : الإبل التي تحمل الطيب واليز ، واحده لطيمة . أي ما قصد أهلك قاصد إلا عاد مثقلا بالعطاء من ذهب وثياب . (٢) تزف رحلي ، أي تحملني على الإسراع اليك ؛ يقال : أزهه : إذا حمله على الزيف ، وهو الإسراع . ويجوز أن يقرأ تزف (بفتح التاء وضم الزاي) على سبيل التشبيه بزفاف العروس ، وهو إهداؤها . والسديم : الضباب الرقيق ، جمه سديم (بضمين) .
 (٣) الكدح : هو الدثوب في طلب الرزق وكسبه بمشقة . والرديم : الثوب الخلق البالي .
 (٤) تخلق ، من أخلق الثوب إذا أبلاه . وأديم الوجه : جلده . وإخلاق أديم الوجه : نخاية عن إذلاله وابتذال حياته بالإلحاف في المسألة . والحيم : الصديق ، جمه أحما . (بكسر الحاء وتشديد الميم) .
 (٥) هو محمد البابل بن عبده البابل بك الذي كان من كبار تجار الجواهر في مصر ؛ وقد أدخل ولديه محمدا وأحمد في مدرسة البوليس ، وبعد اتمامهما الدراسة بها ألحقا ببعض الأعمال في الحكومة المصرية ، ولكنهما لم يمكنا طويلا حتى تركا الحكومة وتفرغا لأعمالهما ؛ واشتهر محمد بظرفه وفكاهته الحلوة حتى إن بعض الأدباء قد جمع كتابا ممتعا في نكتة وطرائفه ؛ وكان من أصدقاء حافظ الملازمين له ؛ وكانت وفاته في سبتمبر سنة ١٩٢٤ م . (٦) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) ، وهو في الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد أنه قد أكثر من فعل ما يريب حتى امتلأت نفسه بالشك في صدق مودته . (٧) أجدي : نفع .

بين حافظ وداود عمون

بعث حافظ بهذه القصيدة إلى داود عمون بك الشاعر اللبناني والحامي المعروف

فأجابه عليها بقصيدة تأتي بعد

[نشرت في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢ م]

(١)
شَجْتَنَا مَطَالِحُ أَقْمَارِهَا * فَسَالَتْ نُفُوسٌ لَتَذْكَارِهَا
وَبُنَا نَحْنُ لِنَلِكِ الْقُصُورِ * وَأَهْلِ الْقُصُورِ وَزُقَارِهَا
(٢)
قُصُورٌ كَأَنَّ بُرُوجَ السَّمَاءِ * خُدُورُ النِّوَانِي بِأَدْوَارِهَا
(٣)
ذَكَرْنَا حِمَاهَا وَبَيْنَ الضُّلُوعِ * قُلُوبٌ تَلْظِي عَلَى نَارِهَا
فَمَرَّتْ بِأَرْوَاحِنَا هِزَّةً * هِيَ الكَهْرَبَاءُ بِنَيَّارِهَا
(٤)
وَأَرْضٌ كَسَتْهَا كِرَامُ الشُّهُورِ * حَرَارِيمٌ تَسْجُجُ (أَذَارِهَا)
(٥)
إِذَا تَقَطَّتْهَا أَكْفُ الفَمَامِ * أَرَّتَكَ الدَّرَارِي بِأَزْهَارِهَا
(٦)
وَإِنْ طَالَعَتْهَا ذُكَاؤُ الصَّبَاحِ * أَرَّتَكَ البُجَيْنِ بِأَنْهَارِهَا

- (١) شجتنا: أطربتنا وشوقتنا. وسالت نفوس، أي ذابت من اللوعة والشوق. والضمير في قوله: «أقمارها» و«تذكارها»: للقصور في البيت التالي. (٢) يشبه خدور النوانى، أي حيث يستترن بروج السماء في الامتاع على من رامها. وأدوار القصور: طبقاتها؛ وهو استعمال عامى.
- (٣) تظلى: تظلى، أي تحترق. (٤) وأرض (بالرفع): عطف على قوله في البيت الثالث: «قصور». وآذار: الشهر الثالث من السنة المسيحية، وهو شهر تكثر فيه الأزهار.
- (٥) الدرارى (بتشديد الياء، وخففها الشاعر لضرورة الوزن): الكواكب المتوقدة المتلألئة، الواحد درى (بتشديد الياء). يقول: إن هذه الأرض إذا أمطرها السحاب أنبتت من الأزهار ما يشبه الكواكب في إشراقها ولمعانها. (٦) ذكاء: الشمس. والبجين: الفضة. يقول: إذا طلعت الشمس على هذه الأرض بدت أنهارها تحت الشعاع كأنها الفضة في صفائها وبريقها.

(١) وَإِنْ هَبَّ فِيهَا نَسِيمُ الْأَصِيلِ * أَتَاكَ النَّسِيمُ بِأَخْبَارِهَا
 (٢) وَخِلٌّ أَقَامَ بَارِضِ الشَّامِ * فَبَاتَتْ تُبَدِّلُ عَلَى جَارِهَا
 وَأَضْحَتْ تَتِيهُهُ رَبِّ الْقَرِيضِ * صَكَّتِيهِ الْبَوَادِي بِأَشْعَارِهَا
 وَلَلنَّيْلُ أَوْلَى بِذَاكَ الدَّلَالِ * وَمِصْرٌ أَحَقُّ (بِبَشَارِهَا)
 (٣) فَشَمْرٌ وَعَجَلٌ إِلَيْهَا الْمَتَابِ * وَخَلَّ الشَّامَ لِأَقْدَارِهَا
 فَكَيْفَ لَعَمْرِي أَطَقْتَ الْمَقَامِ * بَارِضٌ تَضَيِّقُ بِأَحْرَارِهَا؟
 وَأَنْتَ الْمُشَمَّرُ إِثْرَ الْمَظَالِ * يَمُ تَسْعَى إِلَى مَحْوِ آثَارِهَا
 (٤) تَأَرَّتَ اللَّيَالِي وَأَقْعَدَتْهَا * بِمَصْقُولِ عَزَمِكَ عَنْ تَارِهَا
 (٥) إِذَا تُرَّتَ مَا جَتَّ هِضَابُ الشَّامِ * وَبَاتَتْ تَرَامِي بِشُؤَارِهَا
 (٦) أَلَسْتَ قَتَاهَا وَمُخْتَارِهَا * وَشِبْلَ قَتَاهَا وَمُخْتَارِهَا؟
 وَإِنْ قُلْتَ أَصَغْتَ مُلُوكَ الْكَلَامِ * وَمَالَتْ إِلَيْكَ بِأَبْصَارِهَا
 (أَدَاوُدُ) حَسْبُكَ أَنْ الْمَعَالِ * سَى تَحْسَبُ دَارَكَ فِي دَارِهَا
 وَأَنْ ضَمَّائِرَ هَذَا الْوُجُودِ * تَبُوحُ إِلَيْكَ بِأَسْرَارِهَا

(١) الأصيل : وقت ما بعد العصر إلى المغرب . يقول : ان النسيم اذا هب على هذه الأرض حمل من طيها وروائحها العطرة ما يدل على ما فيها من الأزهار والرياحين . (٢) يريد بالخلل : داود بك المدوح . وتدل : من الدل ، وهو معروف . ويريد «بجاراتها» : وادي النيل . (٣) المتاب : الرجوع . (٤) المصقول من السيوف : المجلو . ومعنى البيت أنه جعل الليالي عنده تارة بانتصاره على أحداثها ونوائها ، ثم أعجزها عن طلب تارها بمضاء عزمه . (٥) ترمى : ترمى . (٦) الشبل : ولد الأسد .

(١) وَأَنْتَ إِذَا مَا حَلَّتَ الشَّامَ * رَأَيْتَكَ جَدْوَةَ أَفْكَارِهَا
(٢) وَإِنْ كُنْتَ فِي مِصْرَ نَعْمَ النَّصِيرِ * إِذَا مَا أَهَابَتْ بِأَنْصَارِهَا

أبيات داود بك التي أجاب بها حافظا

(٣) أَمِنْ ذِكْرِ مَسْمَى وَتَذْكَارِهَا * نَثَرْتَ الدَّمُوعَ عَلَى دَارِهَا
(٤) وَعِغَتَ الْقُصُورَ لِأَجْلِ الطُّلُولِ * تُطَالِعُ طَامِسَ آثَارِهَا
(٥) وَقَفْتُ بِهَا لَيْلَى نَاشِدًا * عَسَاهَا تَبُوحُ بِأَسْرَارِهَا
(٦) وَلِلدَّارِ أَنْطَقُ آيَاتِهَا * مِنْ الرَّاويَاتِ وَأَخْبَارِهَا
تُعِيدُ عَلَيْكَ لَيْلَى الْحَمَى * بِأَنْجُمِهَا وَبِأَقْمَارِهَا
(٧) سَلَامٌ عَلَيْكَ زَمَانَ الشَّبَابِ * رَبِيعَ الْحَيَاةِ بِأَذَارِهَا
(٨) لِأَنَّتَ مُخَفِّفَ أَحْزَانِهَا * وَأَنْتَ مُسَوِّغُ أَكْدَارِهَا
وَلَوْلَا الشَّبَابُ وَذِكْرَى الشَّبَابِ * لَعَاشَ الْفَتَى عُمْرَهُ كَارِهَا
(٩) قَطَفْنَا الْحَيَاةَ بِهِ حُلْوَةً * وَقَدْ جَاءَ إِبَانُ أَمْرِهَا
أَطُوفُ فِي الشَّرْقِ عَلَى أَرَى * بِإِلَادَا تَطِيبُ لِأَحْرَارِهَا

(١) الجدوة (بتلث الجيم) : الجرة الملتبة . (٢) أهاب به : دعاه . (٣) يلاحظ أن التذكار هو نفس الذكر ؛ فالجمع بينهما تكرر ظاهر . (٤) عاف الشيء : رغب عنه وزهد فيه . وتطالع : تنظر . والطامس من آثار الديار وغيرها : ما اندثر منها وانحى . (٥) الناخذ : السائل . (٦) أنطق آياتها ، أى آثارها أنطق ؛ وفي هذه العبارة نبوراضطراب ظاهران ؛ ومعنى البيت أن آثار الديار أوضح بيانا عن أنباء من سكنوها عن يحدث عنها ويروى أخبارها . (٧) شبه زمن الشباب بالربيع ، وهو أنضر فصول السنة . (٨) مسوغ أكدارها ، أى سهل وقع مصائبها وأحزانها . (٩) إبان الشيء : وقته .

فَلَمْ أَرَ إِلَّا أُمُورًا تَسُوءُ * وَتَصْدَعُ أَكْبَادَ نَظَائِرِهَا
 (١)
 فَظَلِمْتُ بِتِلْكَ وَذُلُّ بِهَيْدِي * وَجَهْلٌ مَغْشٌ لِأَبْصَارِهَا
 (٢)
 تَعْقُ مَرَاحِمَ رُعْيَانِهَا * وَتَرَعَى الْوَلَاءَ بِلِجْزَائِرِهَا
 (٣)
 إِذَا شَاءَ (قَاسِمٌ) رَفَعَ الْحِجَابَ * تُسَمِّيهِ هَاتِكَ أَسْتَارِهَا
 (٤)
 فَلَا قَوْلَ إِلَّا لِجُهَايَا * وَلَا رَأْيَ إِلَّا لِأَغْرَارِهَا
 يَدِبُّ التَّرَانِيحَ عَلَى تَرْبِهَا * وَيَجْرِي الْخُمُولُ بِأَنْهَارِهَا
 (٥)
 مَنَالُ التَّرَقِّيِّ بِإِرْغَامِهَا * وَمَرْجَى الْفَلَاحِ بِإِجْبَارِهَا
 أَهَذَا الَّذِي أَوْرَثَتْ أَهْلَهَا * بِإِلَادِ الْعُلُومِ وَأَنْوَارِهَا؟



عَدِمْتُ حَيَاتِي إِذَا لَمْ أَقِفْ * حَيَاتِي عَلَى تَفْهِعِ أَمْصَارِهَا
 (أَحَافِظُ) هَذَا بِجَالِ الْعَلَا * فَشَمَّرَ لَسَبْقِي بِمَضْمَارِهَا
 (أَشَوْقِي) (أَحَافِظُ) طَالَ السُّكُوتُ * وَتَرَكْتُ الْأُمُورَ لِأَقْدَارِهَا
 (٦)
 فَصُوغًا الْقَوَائِي مَصْقُولَةً * وَشَقًّا الْجُلُودَ بِتَّارِهَا

(١) مغش لأبصارها، أي يحجبها بفسادها . (٢) الولاء : الحب . يريد أن الأمم الشرقية
 تمجد الجليل لأنصارها وأرليائها، وتسدى المودة لخصومها وأعدائها . (٣) يريد المرحوم قاسم بك
 أمين . وقد منعه من الصرف هنا لضرورة الوزن . ويشير بهذا البيت إلى رأى قاسم أمين في حرية المرأة
 وما لقيه في سبيل ذلك من القصد الشديد . (٤) الأغرار : الذين لا تجربة لهم ، واحده غر بكسر
 الغين وتشديد الراء . (٥) يريد أن الرق والفلاح إنما ينالهما في هذه الأمم الشرقية من أطاع المستعمرين
 في إرغامها على ما تكره وأكراهها على ما لا تحب . (٦) المصقولة : الصافية المجلوة . والبتار من
 السيوف والبار : القاطع منها .

(١)
عَسَاهَا تُحَرِّكُ أَوْطَانَنَا * وَتُنْشُرُ مِيتَ أَحْيَائِهَا
أَقُولُ وَأَعْلَمُ أَنِّي سَأُرْمَى :: بَأَنِّي مُحَرِّكُ نُوَارِهَا
(٢)
وَأَنِّي الدَّخِيلُ وَأَنِّي الغَرِيبُ * وَأَنِّي النَّصِيرُ لِقَهَّارِهَا
أَحِبُّ بِلَادِي عَلَى رَغْمِهَا * وَإِنِّ لَمْ يَنْلِنِي سِوَى عَارِهَا
(٣)
وَأَسْتُ بِأَقْوَلِ ذِي هِمَّةٍ * تَصَدَّى الزَّمَانُ لِإِنْكَارِهَا

(٤)
(إلى إسماعيل صبري باشا)
عند استقالته من وكالة الحفائية

[نشرت في ٩ فبراير سنة ١٩٠٧م]

(٥)
يَا صَارِمًا أَنْفَ الثَّوَاءِ يَنْعَمِيهِ * وَأَبَى الْقَرَارِ، أَلَا تَزَالُ صَقِيلًا
(٦)
فَالْبَيْضُ تَصَدًّا فِي الْجُفُونِ إِذَا ثَوَّتْ * وَالْمَاءُ يَأْسِنُ إِنْ أَقَامَ طَوِيلًا

- (١) نشر المبت وأنشره : أحياه . ويلاحظ أن هنا غلطا في حرف الروى ، إذ عدل الشاعر في هذا البيت عن الراء إلى الهمز . (٢) الدخيل في القوم ؛ الداخل فيهم المنتسب إليهم وليس منهم . (٣) تصدَّى : تعرض . (٤) ولد المرحوم إسماعيل صبري باشا في سنة ١٨٥٤م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر ونال شهادة الحقوق سافر إلى أوروبا فأتته علومه القانونية هناك ؛ ونال الشهادة من كلية إكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وأتم منصب تولاه وكالة الحفائية ، واعتزله في سنة ١٩٠٧م وكانت وفاته في ربيع سنة ١٩٢٣م وشعره معروف بالركة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالاجادة في المقطعات الصغيرة . (٥) الصارم : السيف القاطع . والثواء : الإقامة . والصقيل : المجلو ؛ يقال : صقله بصقله (بضم القاف) صقلا وصقلا ، إذا جلاه وكشف صدأه . شبه صبريا بالسيف القاطع المجلو ، ومنصبه الحكومى بالقعد الذى يستقر فيه السيف . (٦) البيض : وصف يكنى به عن السيوف . وجفون السيوف : أغمارها ، الواحد جفن . وثوت : أقامت . وأسن الماء (من باب ضرب ونصر وعلم) فهو أسن : تغير فلم يشرب .

- (١) أَهْلًا بِمَوْلَى الرَّئِيسِ وَلَيْسَ مِنْ * شَرَفِ الرَّأْسَةِ أَنْ أَرَاكَ وَكِلا
فَأَطْرَحَ مَعَاذِيرَ السُّكُوتِ وَقُلْ لَنَا * هَلَّا وَجَدْتِ إِلَى الْكَلَامِ سَبِيلًا؟
(٢) وَأَضْرِبْ عَلَى الْوَتْرِ الَّذِي أَهْتَرْتِ لَهُ * أَعْطَانَا زَمْنَا وَغَرَّ النَّيْلَا
(٣) وَأَرْدُدْ عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ جَمَالَهُ * تَصْنَعُ بِصَاحِبِكَ الْقَدِيمِ جَمِيلًا
(٤) مَا زَالَ يَرْجُو أَنْ يُقَالَ عِشَارُهُ * حَتَّى أَقَالَ اللَّهُ (إِسْمَاعِيلًا)

(ذكري وتشوق)

كتب بها إلى صديقه أحمد بك بدر وهو في كلية ادنبره بإنجلترا

[نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩٠٨م]

- (٥) مُلِكْتُ عَلَى مَذَاهِبِي * وَعَصَانِي الطَّبَعُ السَّلِيمُ
وَجَفَا يَرَا عِي الصَّاحِبَا * نِ فَلَ التَّيْرُ وَلَا النَّظِيمُ
أَشَقَى وَأَكْتُمُ شِقْوَتِي * وَاللَّهُ بِي وَبِهَا قَلِيمُ
(٦) حَلِمَ الْأَدِيمُ وَمَا الَّذِي * أَرْجُو وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

- (١) ويكلا، يريد وكالة ممدوحه لوزارة الحفانية، وهي أتمر المناصب التي تولها .
(٢) الأعطاف : الجوانب، الواحد عطف . (٣) يريد «بصاحبه القديم» : الشعر .
(٤) يقال : أظلت فلانا عثرته وأظفته منها، أي عفوت عنه ودفعت عنه شر ما كان يتوقع بسببها .
ويريد بالإقالة الثانية : تخلى ممدوحه عن منصبه . وأصل الإقالة في البيع فسخه والتحلل مما يوجبه عقده .
(٥) ملكت عليه مذاهبه، أي سدت عليه سبل القول .
(٦) حلم الأديم : مثل يضرب في فساد الأمر حتى لا يربحى صلاحه . والأديم : الجلد ؛ يقال :
حلم الأديم بحلم (وزان علم يعلم)، اذا وقع فيه الحلم (بالتحريك)، وهو دود يقع فيه حتى يفسد ويتقرب .

(١)
 لَا مِضْرُ تُصِفُنِي وَلَا * أَنَا عَنْ مَوَدَّتِهَا أَرِيمُ
 وَإِذَا تَحَوَّلَ بِأَسِّ * عَنْ رَبِّهَا فَأَنَا الْمُقِيمُ
 فِيهَا صَحْبَتُكَ وَأَصْطَفَيْدُ * تَكَّ أَيُّهَا الْحِلُّ الْحَمِيمُ
 أَنَا مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ خَبَّرَهُ * تَ وَمَنْ مَوَدَّتَهُ تَلُومُ
 (٢)
 لِلَّهِ ذِيَاكَ الْجَوَا * رُ وَذَلِكَ الْعَيْشُ الرَّخِيمُ
 بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فَوُ * قَ النَّيْلِ وَالذَّنْبِ نَعِيمُ
 أَيَّامَ يَعْرِفُنَا السُّرُ * رُ بِهَا وَتُنَكِّرُنَا الْهُمُومُ
 (٣)
 أَيَّامَ نَلْهُو بِالظُّبَا * ءِ وَفِي مَسَارِحِهَا نَهِيمُ
 لَا أَنْتَ تُصْنِي لِلْعَدُو * لِ وَلَا أَبَالِي مَنْ يَلُومُ
 لِلَّهِ أُنْدِيَّةٌ لَنَا * قَدْ زَانَهَا أَنْخَلِقُ الْكَرِيمُ
 لَمْ يَغَشَّهَا وَغَدُ وَلَمْ * يَنْزِلَ إِسَاحَتِهَا لَيْثِيمُ
 (٤)
 تَمْشِي الْخَلَاعَةُ فِي نَوَا * حِيهَا تُرَاقِبُهَا الْحُلُومُ
 (٥)
 هُوَ كَمَا شَاءَ الصَّبَا * وَحِجَا كَمَا شَاءَ الْحَكِيمُ
 (٦)
 وَمُدَامَةٌ يَسْعَى بِهَا * مَتَادِبُ وَيَطُوفُ رِيمُ

(١) أريم : أتحوّل . (٢) العيش الرخيم : اللين الرغد .

(٣) المسارح : المراعى ، الواحد مسرح .

(٤) الحلوم : العقول ، الواحد حلم . ويريد بقوله : «تراقبها الحلوم» : أن هذه الخلاعة لم يجاوز

فيها الحد . (٥) الحجأ : العقل . (٦) الريم : الظبي الخالص البياض ، شبه به الساق .

يَجْرِي عَلَى كَاسَاتِهَا * أَنَسٌ يَخْفُ لَهُ الْحَلِيمُ
لَا تَشْتَكِي مِنَّا وَلَا * يَشْكُو عَوَاقِبَهَا النَّدِيمُ
وَالنَّيْلُ مِرَاةٌ تَنْفُ * سَ فِي صَحِيفَتِهَا النَّسِيمُ
سَلَبَ السَّمَاءَ نُجُومَهَا * فَهَوَتْ بِلُجَّتِهِ تَعُومُ
نَشَرَتْ عَلَيْهِ غِلَالَةً * بَيْضَاءُ حَاكَّتْهَا الْغُيُومُ
شَفَّتْ لِأَعْيُنِنَا سِوَى * مَا شَابَهُ مِنَّا الْأَدِيمُ
وَكَاثْنَا فَوْقَ السَّمَاءِ * وَتَحْتَنَا ذَاكَ السَّيِّدِيمُ
تَجْرِي الْحَوَادِثُ حَيْثُ تَجْمُ * مِرَى لَا نُضَامُ وَلَا نَضِيمُ
لَا الصَّبْحُ يُزِجُّنَا بَأَذ * بِيَاءِ الزَّمَانِ وَلَا الصَّرِيمُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَذ * مَتَّ وَكَيْفَ حَالُكَ يَا زَعِيمُ
أَمَّا أَنَا فَكَمَا أَنَا * أَبْلَى كَمَا يَبْلَى الرَّيِّمُ
لَا يَخُلُ بَعْدَكَ مُؤْنِسٌ * نَفْسِي وَلَا قَلْبٌ رَحِيمُ

(١) يريد بهذا البيت أن نجوم السماء قد تمثلت على صفحة لصفاء مائه .

(٢) الغلالة (بالكسر) : ثوب رقيق . وحاكها : نسجها .

(٣) شفت : رقت . وشابه : خالطه ومازجه . « ويريد بالأديم » : أديم السماء ، أى ظاهرها .
يقول : إن هذه الغلالة تمثلت على صفحة الماء كالثوب الممزق . وكانت النجوم قطعاً في السماء ، فاصادف
من وجه الماء انعكاس غيم كان شفافاً يبين ما تحته ، وما صادف منه أديم السماء بدا غير شفاف .

(٤) السديم : الضباب الرقيق ، شبه به البحر الذي يجري من تحتهم .

(٥) الصريم : الليل . (٦) الرديم : الثوب القديم .

(١) كَادَ الزَّمَانُ لَنَا وَلَا * عَجَبٌ إِذَا كَادَ الْغَرِيمُ
 (٢) أَمْسَى أَحْتَوَاكَ الزَّمْهَرِيدِ * رُ وِظَلٌّ يَصْهَرُنِي الْجَحِيمِ
 (٣) فَشَرَابُكَ الْمَاءُ الشَّنَاءُ * نُ وَشُرْبِي الْمَاءُ الْجَحِيمِ
 (٤) وَمُنَاكَ لَوْ طَلَعَتْ ذُكَا * ءُ عَلَيْكَ فِي يَوْمٍ يَصُومُ
 (٥) وَمُنَايَ لَوْ مَحَقَّتْ ذُكَا * ءُ وَغَالَهَا لَيْلٌ بِهِمِ
 (٦) فَبَلَيْتِي الْحَرُّ الْأَلِي * مٌ وَخَطْبُكَ الْقُرُّ الْأَلِيمِ
 (٧) فَكَأَنِّي فِرْعَوْنٌ مِصْرَ * رَ وَأَنْتَ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ
 (٨) فَأَبَعْتُ إِلَى بَنَفْحَةٍ * بَرْدًا بِهَا يَحْدُو الْهَزِيمِ
 (٩) أَبَعْتُ إِلَيْكَ بَلْفَحَةٍ * حَرِّي بِهَا تَجْرِي السُّمُومِ
 أَتَا تَمَيُّنُنَا إِلَيْ * سِكَ فَسَوْفَ يَشْرَحُهَا الرَّقِيمِ

- (١) الغريم : الخصم . (٢) الزمهرير : شدة البرد . ويريد بالزمهرير : شدة البرد في اسكتلندا . (٣) الماء الشنان (بالضم) : البارد . والماء الجيم : الحار . (٤) ذكاه (بالضم) : اسم الشمس ، غير منصرف للعلية والتأنيث . ويقال : صام النهار : اذا قام قائم الظهيرة وأعتدل ، ويقال : صامت الشمس (أيضا) اذا استوت . (٥) ليل بهيم : مظلم . (٦) القر (بالضم) : البرد . (٧) شبه الشاعر نفسه بفرعون مصر ، لأنه يعذب بالنار ، وصديقه بالشیطان الرجيم ، لأن الشيطان تارى الطبع يعذب بالزمهرير . (٨) البرد : حب القمام ، وهو مفعول « يحدو » . يقول : اهد الى قفحة من جوب بلادكم بردا يسبقه رعد . ويحدو ، من الحداء . والهمزيم : الرعد . (٩) السموم : الريح الحارة . ولفحتها : إحراقها .

شكر

أنشد هذه القصيدة في فندق الكوتنتنال في الحفل الذي أقيم تكريمه

في يوم الجمعة ٣١ مايو ١٩١٢ م

مَلَكْتُمْ عَلَى عِنَانِ الْخُطْبِ * وَجُرِّمْتُمْ بِقَدْرِي سَمَاءَ الرَّبِّ
 فَمَنْ أَنَا بَيْنَ مُلُوكِ الْكَلَامِ * وَمَنْ أَنَا بَيْنَ كِرَامِ الْحَسَبِ
 أَتَسْعَى إِلَى حِمَاةِ الْقَرِيضِ * وَتَمْشِي إِلَى سَرَاةِ الْعَرَبِ
 وَتَنْظِمُ فِي عُقُودِ الْجَمَانِ * وَتَنْثُرُ فَوْقَ نِشَارِ الذَّهَبِ
 وَأَكْرَمَ حَتَّى كَأَنِّي نَبَتْ * وَنُتِّمْتُ لِمَصْرَ بَمَا قَدْ وَجَبْتُ؟
 فإِذَا أَتَيْتُ مِنَ الْبَاقِيَاتِ * وَهَذَا شَبَابِي ضَيَاعًا ذَهَبْتُ
 عَمِلْتُ لِقَوْمِي جُهْدَ الْمُقِلِّ * عَلَى أَنَّهُ عَمَلٌ مُقْتَضِبٌ
 فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا وَلَمْ يُجِدِيهِمْ * وَلَمْ يَسْقِ إِلَّا بَقَاءَ الْحَبِّ
 وَهَلْ أَنَا إِلَّا أَمْرٌ وَشَاعِرٌ * كَثِيرُ الْأَمَانِي قَلِيلُ النَّشْبِ
 يَقُولُ وَيُطْرَبُ أَتْرَابَهُ * وَيَقْنَعُ مِنْهُمْ بِذَلِكَ الطَّرْبِ
 تَعَلَّقْتُ حِينَ بَدَيْلِ الْبَيَانِ * وَأَدْخَلْتُ نَفْسِي فِيمَنْ كَتَبُ

(١) حماة القرية : رجال الشعر . والسراة : جمع سرى ، وهو الرفيع القدر من الناس .

(٢) الجمان : التلوي ، الواحدة جمانة . شبه به وبنثار الذهب ما قيل من الشعر والخطب في مدحه

والثناء على أدبه . (٣) المقتضب : المقتطع قبل التمام . (٤) الحبيب : الفقاع

التي تكون على سطح الماء . ويشبه به زوال الشيء بسرعة . (٥) النشب : المال .

(٦) أترابه : أمثاله في السن ، الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .

فلا السُّبْقُ لِي فِي مَجَالِ النَّهْيِ * ولا لِي يَوْمَ الفَخَارِ الغَلَبُ
 ولا أَنَا مِنْ عِيَةِ الكَاتِبِينَ * ولا أَنَا بِالشَّاعِرِ المُتَخَبِّ^(١)
 وَلَكِنْ سَمَّابِي عَطْفُ الأَمِيرِ * ورَأَى الوَازِرُ وَفَضَّلُ الأَدَبِ^(٢)
 وما كُنْتُ أَحْلَمُ - لولا الوَازِرُ - * بِهذا المَناءِ وَهذا اللَّقَبِ^(٣)
 على أَيادٍ لَهُ جَمَّةٌ * وَفَضَّلُ قَدِيمِ شَرِيفِ السَّبَبِ^(٤)
 فَأَنَا أَقَالَ بِهِ عَثْرِي * وَأورَى زِنادِي وَأَنَا وَهَبِ^(٥)
 تَقِيَّاتٌ مِنْهُ ظِلالَ النِّعَمِ * وَأصْبَحْتُ أعْرِفُ لُبْسَ القَصَبِ^(٦)
 وَأُمِشِي أَحْتِيالًا إلى عَازِدِينَ * يُطالِعُنِي بِدُرِّها عَن كَتَبِ^(٧)
 وَالنِّمُّ كَفَّ كَرِيمِ الجُدُودِ * غِيَاثِ العُفاةِ مُزِيلِ الكُربِ^(٨)
 وَأَحْتَتُ بَيْنَ وَفُودِ السَّراةِ * مَطايَا الرِّجاءِ لِذاكَ الرَّحَبِ^(٩)
 أَنوا خالِصِينَ لوجهِ الأَمِيرِ * فلا عَن رِياءٍ ولا عَن رَهَبِ^(٩)

- (١) يريد « بالوزير » : أحد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك . ولد في كفر المصلحة من إقليم المنوفية في (سنة ١٢٧٥هـ) (سنة ١٨٥٨م) وبعد أن أتم علومه ونال شهادة الحقوق تولى عدة مناصب قضائية وإدارية في الحكومة المصرية ، وأتم المناصب التي تولاها نظارته للمعارف العمومية ، وتوفي في سنة ١٩٢٦م وكان له من الأيادي البيضاء على حافظ ما جعله يلهج بشكره في هذه القصيدة .
- (٢) يريد لقب (البكوية) الذي أنعم عليه به في السنة المشار إليها في أول هذه القصيدة .
- (٣) الأيادي : النعم . (٤) الضمير في « به » للفضل . يقال : أورى فلان زندي ، إذا أجازني إلى ما أطلب . والأصل في إراء الزند ، أن تستخرج ناره . (٥) تقياً الظل : التجأ إليه واستظل به . (٦) يريد « باليد » : الخديوي عباس الثاني ، والكاتب (بالتحريك) : القريب . (٧) العفاة : طلاب المعروف ، الواحد عاف (كقاص) . (٨) أحث مطايا الرجا ، أي أبعثها في سرعة . والسراة من الناس : الرقيق المنزلة ، الواحد سرى (بفتح السين) . (٩) الرهب : الخوف .

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْ رَبِّهِمْ * رِضَاءُ الْأَمِيرِ وَنَيْلُ الْأَرَبِ
 (١) وَاللِّكَاثِمِينَ نَكَالُ الزَّمَانِ * وَنَحْسُ النُّجُومِ ذَوَاتِ الذَّنْبِ
 فَمَهْدُ الْأَمِيرِ كَمَهْدِ الرَّشِيدِ * يَمْتُ إِلَيْهِ بِجَبَلِ النَّسَبِ
 (٢) إِلَيْكَ (أَبَا حَسَنِ) أَتَمِّي * فَازَلَّ مَوْلَى إِلَيْكَ أَنْتَسَبُ
 (٣) عَرَفْتَ مَكَانِي فَأَدْنَيْتَنِي * وَشَرَفْتَ قَدْرِي (بِدَارِ الْكُتُبِ)
 وَعَرَفْتَ دَهْرِي مَكَانَ الْأَدِيبِ * وَقَدْ كَانَ دَهْرِي شَدِيدَ الْكَلْبِ
 (٤) فَلَوْ أَنَّ لِي مَرْقِصَاتِ (الْخَلِيلِ) * وَإِعْجَازَ (شَوْقِي) إِذَا مَا رَغِبَ
 لَقَمْتُ بِشُكْرِكَ حَقَّ الْقِيَامِ * وَلَكِنْ طَلَبْتُ فَعَزَّ الطَّلَبُ
 فَشُكْرِي لَصُنْعِكَ شُكْرُ النَّبَاتِ * يَبْطُنُ الْفَلَاةَ لِقَطْرِ السُّحْبِ
 وَشُكْرًا (لشَوْقِي) رَسُولِ الْقَرِيضِ الـ * كَرِيمِ الْإِخَاءِ الْمَتِينِ السَّبَبِ
 (٥) وَشُكْرًا (لداود) رَبِّ الْيَرَاعِ * وَشُكْرًا (لسركيس) رَبِّ الْعَجَبِ
 وَشُكْرًا لِكُلِّ كَرِيمٍ سَعَى * إِلَى وَكُلِّ أَدِيبٍ خَطَبِ

- (١) الكاشمون : الأعداء الذين يبطنون العداوة ، الواحد كاشم ، وذلك لأنه يتباعده منك ويوليكَ كشمه . (٢) اتمي : انتسب . ويريد « بأبي حسن » : المرحوم أحمد حشمت باشا . (٣) يشير إلى أن حشمت باشا هو الذي عين حافظاً في منصبه المعروف بدار الكتب . (٤) يريد « بالخليل » : خليل بك مطران الشاعر المعروف ؛ ومرقصاته : قصائده . (٥) داود ، هو داود بركات الكاتب اللبناني المعروف ، وكان رئيساً لتحرير جريدة الأهرام . ولد بقرية مجشوش من أعمال لبنان سنة ١٨٧٠ م ، وتوفي في ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٣ م . وسركيس ، هو سليم سركيس الكاتب اللبناني المعروف ، محرر جريدة المشير ومجلة سركيس ، ولد في بيروت عاصمة لبنان سنة ١٨٦٩ م ، وكانت وفاته في سنة ١٩٢٥ م .

(١) هُمُ شَجَعُونِي عَلَى أَنْ أَقُولَ * وَمَا كَانَ لِي بَيْنَهُمْ مُضْطَرَبٌ
 (٢) هُمُ الْمَمُونِي فَصِيحَ الْكَلَامِ * هُمُ عَلَمُونِي طَرِيقَ النَّخْبِ
 فَعَنَّهُمْ أَخَذْتُ وَعَنْهُمْ صَدَرْتُ * وَمِنْ عِنْدِهِمْ فَضْلِي الْمَكْتَسَبُ
 فَخِيسُوا عَزِيزَ الْبِلَادِ الَّذِي * عَلَى السُّحْبِ ذَيْلَ الْمَعَالِي سَحَّبُ
 وَحَيُوا (مَسْعِدًا) وَزَيْرَ الْأَمِيرِ * قَرِيبَ الصَّوَابِ بَعِيدَ النَّضْبِ
 (٣) تَوَلَّى الرَّأْسَةَ وَالْحَادِثَاتِ * تَرُوعُ النَّفُوسَ يَوْجُ النَّوَبِ
 فَسَاسَ الْبِلَادَ وَأَرْضِي الْعِبَادِ * وَأَرْضِي الْأَمِيرَ وَأَرْضِي الْأَدَبِ

إلى حفي ناصف بك^(٤)

قالها في حفل أقامه أعضاء نادي طنطا لتكريم حفي بك لانتقاله من القضاء إلى الضمير بنظارة المعارف

[نشرت في ٥ أكتوبر سنة ١٩١٢ م]

(٥) يَا يَوْمَ تَكْرِيمِ (حَفْنِي) * أَرَهَفْتَ لِلْقَوْلِ ذِمَّنِي
 فَيَا قَرِيضُ أُجِبْنِي * وَيَا بَيَانُ أَعِنِّي

(١) المضطرب: المذهب. (٢) طريق النخب، أي طريق المتخب من الكلام المختار منه، وهو جمع نخبة (بضم النون وسكون الخاء أو بضمهما). (٣) يريد المرحوم محمد سعيد باشا وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك. (٤) حفي بك ناصف هو ابن الشيخ إسماعيل ناصف؛ ولد عام ١٢٧٢ هـ في ضاحية من ضواحي القاهرة تدعى بركة الحاج، ثم دخل كتاب القرية فالأزهر فدارالعلوم، ثم كان أستاذ اللغة العربية في مدارس الحكومة، وأختير للتدريس في مدرسة الحقوق، فرأى أن يشارك طلبتها في دروسهم، فتعلم القانون وترك التدريس وانتخب كاتب سر للنائب العمومي، ثم عين قاضيا بالمحاكم الأهلية سنة ١٨٩٢ م فولا لاحدى المحاكم، وانتخب لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية وهي أهلية، ثم انتخب مفتشا للغة العربية بوزارة المعارف؛ وتوفي في سنة ١٣٣٧ هـ - سنة ١٩١٩ م وكان رحمه الله فكا الحديث، مليح النادرة، مشاركاً في كل علم رغب من علوم اللغة وفنونها. (٥) الإرهاف: الشد والتعديد.

عَلَيَّ أَفِي بَعْضِ دَيْنِي * إِنَّ كَانَ ذَلِكَ يُغْنِي
 يَا مَنْ ضَرَبْتَ بِسَهْمٍ * فِي كُلِّ عِلْمٍ وَفَنٍّ
 بَنَيْتَ لِلشُّعْرِ فِينَا * وَالنَّثْرِ أَعْظَمَ رُكْنِ
 وَمَا خُلِقْتَ لَعَمْرِي * فِي الشَّرْقِ إِلَّا لِتَبْنِي
 فَكُلُّ رَبِّ يَرَاعِ * فِي مِصْرٍ حَرَّيْحٍ (حَفْنِي)
 إِنَّ قَالَ شِعْرًا فَرَّاحٌ * تُدَارُ فِي يَوْمِ دَجْنِ^(١)
 أَوْ قَالَ نَثْرًا فَرَّوحٌ * يَمْتَازُنَا غِبُّ مَزِينِ^(٢)
 فَإِنَّ بَدَأْتَ بِقَوْلٍ * مِنْهُ فَبِالكَأْسِ ثَنِّ
 وَطِرَ إِلَى اللّٰهِوِ وَأَرْغَبَ * عَنْ حِكْمَةِ الْمُنَانِي^(٣)
 فَالْعَيْشُ فِي بِنْتِ فِكْرِ * مُجَلِّي وَفِي بِنْتِ دَنْ^(٤)
 وَإِنْ طَلَبْتَ مَزِيدًا * فِي مَنَاجَاةِ خُنْدِ
 لَوْلَا الْحَيَاءُ وَلَوْلَا * دَيْنِي وَعَقْلِي وَسِنِّي
 لَقَمْتُ فِي يَوْمِ (حَفْنِي) * أَدْعُو لِسَكْرَةٍ «يَنِّي»^(٤)

(١) الراح : الخمر . والدجن : ظل النسيم في اليوم المطير . وقديماً مدح الشعراء الشرب
واللهو فيه .

(٢) الروح : الريح . والمزن : المطر ، وأنقى ما يكون النسيم قب مطر .

(٣) بنت الفكر : نتاج القرائح والأفكار . وبنت الدن : الخمر . والدن : وطء كبير لها .

(٤) سكرة بنى ، مثل مصري يضرب في كثرة الشرب والإفراط في السكر .

- (١) وَلَا أَقُولُ (لِحَفْنِي) * مَا قِيلَ قَدَمًا (لِمَعْنِ)
- (٢) لَا تَنْسَ عَيْشًا تَوَلَّى * مَا بَيْنَ شَرْحٍ وَمَتْنٍ
- وَلَى شَبَابُكَ فِيهِ * مَا بَيْنَ مَدٍّ وَغَنٍّ
- (٣) وَذُقْتَ مِنْ «جَاءَ زَيْدٌ» * وَمِنْ سُورِجِ (الشَّمْنِيِّ)
- (٤) وَمِنْ حَوَاشِي الْحَوَاشِي * عَلَى مُتُونِ (ابْنِ جِنِّي)
- (٥) مَا لَمْ تُذِقْكَ اللَّيَالِي * قَلْبِنَ ظَهَرَ الْمَجْنُونِ
- (٦) أَيَّامَ (سُلْطَانٍ) يَلْهُو * (بِمَشْهُ) وَيُغْنِي

(١) يشير بهذا البيت الى ما ورد من أن شاعرا أراد أن يجرب حلم معن بن زائدة الشيباني ويستثير حفيظته ، فهجاه بقصيدة ، منها :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة * وإذ نعلك من جلد البعير

(٢) يريد بهذا البيت وما بعده من الأبيات تذكير حفني بمهده في الأزهر وما لاقاه من شظف العيش فيه أيام كان طالبا به مع زميله المرحوم سلطان محمد بك .

(٣) الشمني ، هو أبو العباس تقى الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري الحفني من علماء القرن التاسع ، ولد بالاسكندرية سنة ٨٠١ هـ وتوفي في شهر ذي الحجة سنة ٨٧٢ هـ .

(٤) ابن جنني ، هو أبو الفتح عثمان بن جنني الموصل ، إمام من أئمة النحو معروف ، ولد قبل سنة ٣٣٠ هـ وتوفي في صفر سنة ٣٩٢ هـ .

(٥) « ما » : مفعول لقوله قيل : « وذقت » . والمجن : الرسم . وقلبن له ظهر المجن ، أى تفرن عليه وتكرن له ؛ وهو مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على مودة ثم تحول عنها .

(٦) يريد بسلطان : المرحوم سلطان محمد بك زميل حفني بك ، وكان مجاورا معه في الأزهر ، وتخرج في دار العلوم ، ثم كان أستاذا بها وبالجامعة المصرية القديمة أيضا .

يَبِيْتُ يَقْصَعُ مَا لَمْ * أَسْمَهُ أَوْ أُكْتَى
 يَشْكُو إِلَيْكَ وَتَشْكُو * إِلَيْهِ عَيْشَةَ غَبْنِ
 أَيَّامٌ يَدْعُوكَ (حَفْنِي) : * مِنْ الْحَيَاةِ أُحْرِنِي
 هَاتِ الْمُسَدَّسَ لِي * سَمِتْ (مَشِي) وَ (جَبْنِي)
 مَنْ لِي بِدِرْهِمٍ لَحْمٍ * عَلَيْهِ حَبَّةٌ تَمِينِ
 قَرِمْتُ وَاللَّهِ حَتَّى * صَاحَتْ عَصَافِيرُ بَطْنِي
 أَيَّامٌ عَيْدُكَ يَوْمٌ * تَفُوزُ فِيهِ بِدُهْنِ
 أَيَّامٌ (مَهْيَا) أَشْهَى * إِلَيْكَ مِنْ (سَنْ جُونِي)



أَقُولُ هَذَا وَإِنِّي * لَمُحْسِنٌ فِيكَ ظَنِّي
 فَإِنَّ قَدَوْتَ وَزِيرًا * يَوْمًا وَجِئْنَا نُهْنِي
 فَلَا تَكُنْ ذَا حِجَابٍ * وَلَا تُطَلِّ فِي التَّجَنِّي
 وَلَا تُقَلِّ مِنْ غُرُورٍ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

(١) الحبة . جزء من ثمانية وأربعين جزءا من درهم .

(٢) قرم الى اللحم قرما (بالتحريك) : اشتدت شهوته اليه . وصياح عصافير البطن : سخاية من

شدة الجوع .

(٣) مهيا : اسم لبائع أطعمة أكثرها من الفول بجوار الأزهر . (وسان جوني) : اسم لبائع

حلوان في مدينة حلوان .

(٤) لاني ، أي لاني وكذا وكذا بما يحدث به عن نفسه في معرض الفخر .

+
+ +

(١)
 أَخْشَى عَلَيْكَ الْمَنَابِيا * حَتَّى كَأَنَّكَ مِنِّي
 إِذَا شَكَّوْتَ صُدَاعًا * أَطَلْتُ تَسْهِيْدَ جَفْنِي
 وَإِنْ عَرَكَ هُزَالٌ * هَيَّأْتُ لِحْدِي وَقُطْنِي
 وَإِنْ دَعَوْتُ لِحِي * يَوْمًا فَيَأِيكَ أَعْنِي
 عُمْرِي بِعَمْرِكَ رَهْنٌ * فَعِشْ أَعِشْ أَلْفَ قَرْنِ
 تَبَقَى وَإِبْلِيسَ فِيهَا * نُبِيِّ اللَّيَالِي وَنُقْنِي
 أَسْرَفْتُ فِي الْمَرْحِ فَاصْفَحْ * يَا سَيِّدِي وَأَعْفُ عَنِّي
 فَالذَّنْبُ ذَنْبٌ (شُدُوْدِي) * فَالْعَنَ (شُدُوْدِي) وَدَعْنِي (٢)
 قَدْ سَنَّ فِينَا مُزَاحًا * عَلَي الْحَقِيْقَةِ يَجْنِي
 ذُقْتُ الْأَمْرَيْنِ مِنْهُ * فَسَلِّ (سَلِيًّا) وَسَلِّي (٣)
 وَأَسْمَعْ مَدِيحَ مُجَبِّ * يُطْرِي بِحَقِّ وَيُنِّي

(١) يشير بهذا البيت وما بعده من الأبيات الخمسة الآتية بعده إلى حادثة معروفة بين حفني وحافظ ، وذلك أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده وقف على قبره يوم تأبته ستة من الخطباء ، وهم : الشيخ أبو خطوة ، وحسن عاصم باشا ، وحسن عبد الرازق باشا ، وقاسم أمين بك ، وحفني ناصف بك وحافظ ابراهيم بك ، وقد مات الأربعة الأتولون واحدا بعد واحد على حسب ترتيبهم في يوم التأبين وجاءت النوبة على حفني بك ، وكان قد بعث إلى حافظ بأبيات يذكره فيها بالموت ، ويدعوه إلى الاستعداد له إذا نزلت به المنية .

(٢) هو الدكتور ابراهيم شلودي الرمدى الشاعر الأديب المعروف وكان قد نظم مقطوعة في تكريم حافظ نحا فيها هذا النحوم المرح ، وذكر حافظا عهده السابق في الجيش .

(٣) يريد سليم مركيس انظر التعريف به في الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٧٨

لقد جمعت خلافا * تَضَمَّنَتْ كُلَّ حُسْنٍ
 (١) مُقْتَسَمًا وَفَقِيهَا * وَقَاضِيًا وَأَبْنَ فَنَّ
 إِنَّ (الْمَعَارِفَ) فَازَتْ * بِمِئِنَةِ الْمُتَمَسِّئِ
 (٢) بِجِحْمَتٍ وَ(عَلَى) * أَبِي الْفُتُوحِ وَ(حَفْنِي)

اعتذار إلى أحمد شوقي بك

كتب به إليه حينما أقيم حفل زواج كريمته السيدة أمينة هانم بحامد العلايل بك
 في كريمة ابن هاني ولم يحضره حافظ لمرض ألم به
 [نشرت في ١٥ يناير سنة ١٩١٢ م]

يَا سَيِّدِي وَإِمَامِي * وَيَا أَدِيبَ الزَّمَانِ
 قَدْ عَاقَبَنِي سُوءَ حَظِّي * عَنْ حَفَلَةِ الْمِهْرَجَانِ
 (٣) وَكُنْتُ أَوَّلَ سَاعٍ * إِلَى رِحَابِ (أَبْنِ هَانِي)
 لَكِنْ مَرِضْتُ لِنَحْسِي * فِي يَوْمِ ذَلِكَ الْقِرَانِ

(١) ابن فنن : كلمة شائعة الاستعمال يوصف بها الظرفاء وأصحاب النكت الطريفة
 والفكاهات الرقيقة .

(٢) يريد بجحمت : أحمد حشمت باشا ناظر المعارف إذ ذلك . وعلى أبو الفتوح باشا ويكلها .

(٣) يريد بابن هاني : أحمد شوقي بك ، وكان يكنى بهذه الكنية تشبهاً بأبي نواس الحسن بن هاني
 الحكيم الشاعر العبّاسي المعروف ، لما بين الشاعرين من الشبه في الاتصال بالملوك ومخالطتهم ، والاتحاد
 في بعض أغراض شعرهما .

وَقَدْ كَفَانِي عِقَابًا * مَا كَانَ مِنْ حِرْمَانِي
 حَرَمْتُ رُؤْيَا (شوق) * وَلَمْ تَلِكِ الْبَنَانِ
 فَاصْفَحْ فَأَنْتَ خَلِيقُ * بِالصَّفْحِ عَنْ كُلِّ جَانِي
 وَعِشْ لِعَرْشِ الْمَعَانِي * وَدُمُ لِنَاجِ الْيَانِي
 إِنَّ فَاتِي أَنْ أَوْفَى * بِالْأَمْسِ حَقَّ التُّهَانِي
 فَأَقْبَلْهُ مِنِّي قَضَاءً * وَكُنْ كَرِيمَ الْجَنَانِ^(١)
 وَاللَّهُ يَقْبَلُ مِنَّا الصَّلَاةَ بَعْدَ الْأَوَانِ

دعابة

رزق الشيخ أمين تقي الدين الأديب السوري بمولود سماه حافظا

وقال فيه :

لِي وَلَدٌ سَمِيَتْهُ حَافِظًا * تَيْمَنَّا بِحَافِظِ الشَّاعِرِ^(٢)

[نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٣م]

فقال حافظ :

كحافظ إبراهيم لكانه * أجمل خلقا منه في الظاهر

فلعنهُ اللهُ على (حافظ) * إن لم يكن بالشاعر الماهر

لعل أرض الشام تُرهمي به * على بلاد الأدب الزاهر^(٣)

(١) الجنان : القلب . (٢) لم يتون اسم حافظ لضرورة الوزن .

(٣) يريد « يبلاد الأدب » : مصر .

(١)
 على بلاد النيل تلك التي * تاهت بأصحاب الذكا النادر
 (شوقي) و(مطران) و(صبري) ومن * سمته في مطلبي الباهر
 فقال الشيخ أمين :

وانجحتي ان لم ينجي شاعرا * ينسي آباء حكمة الناير
 شعر نظمناه ولولا الذي * رزقته ما مرر بالخاطر
 فقال حافظ :

(٢)
 فيا وليدي كُنْ غدا شاعرا * وأبدأ بهجوي الوالد الامر
 فالذنب ذنبي وأنا المعتدي * هل يسلم الشاعر من شاعر

بين شوقي وحافظ

[نشرت في سنة ١٩١٧ م]

كان (أحمد شوقي بك) قد بعث بأبيات ثلاثة وهو في منفاه بالأندلس

الى حافظ، وهي :

با ساكني مصر إنا لا نزال على * عهد الوفاء - وإن غبنا - مقيمينا
 (٣)
 هلا بعثتم لنا من ماء نهركم * شيئا نبيل به أحشاء صاديننا
 (٤)
 كل المناهل بعد النيل آسنه * ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

(١) تاهت : افتخرت . (٢) الأمر، أي الذي يأمرك بصنع الشعر .

(٣) الصادي : الظمان . (٤) المناهل : الموارد . والماء الآسن : المتغير .

فأجابه حافظ بهذه الأبيات

[نشرت في ٨ مايو سنة ١٩١٧م]

عَجِبْتُ لِلنَّيْلِ يَدْرِى أَنْ يَلْبَهُ * صَادٍ وَيَسْقِي رَبًّا مِصْرٍ وَيَسْقِينَا
 وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلأَصْحَابِ مَوْرِدُهُ * وَلَا أَرْتَضُوا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لَنَا
 لَمْ تَتَأَنَّ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتَ شَاطِئَهُ * وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَا^(١)

بين حافظ والهرّاوى

احتجب المرحوم حافظ ابراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام
 فى بيته بالجيزة سنة ١٩١٨ م فذهب صديقه محمد الهرّاوى الشاعر المعروف ليزوره
 ولما رآه على غير حاله المألوفة جالت بعض المعانى فى خاطره، فارتجل هذه الأبيات :

يَا رَيْسَ الشَّعْرِ قُلْ لِي * مَا أَلَّذَى يَقْضَى الرَّيْسُ^(٢)
 أَنْتَ فِي الْجِيزَةِ خَافٍ * مِثْلَمَا تَخْفَى الشُّمُوسُ
 قَابِعٌ فِي كِسْرِ بَيْتٍ * قَدْ أَظْلَمَتِ الْغُرُوسُ
 زَاهِدٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ * مُنْطَرِقٌ سَاهٍ عِبُوسُ
 أَيْنَ شِعْرٍ مِنْكَ نَضْرٌ * قَلْنَا فِيهِ مَسِيسُ^(٣)
 وَحَدِيثٌ مِنْكَ حُلُوٌ * يَتَشَهَّاهُ الْجُلُوسُ

(١) يتأى : يبعد . (٢) يقضى : يصنع ويعمل . قال تعالى : (فقضاهن سبع سموات فى يومين) .

(٣) مسيس ، أى حاجة ماسة ، يقال : مست الحاجة الى كذا ، أى أبلات إليه .

وَفُكَاهَاتُ عِذَابٍ * تَمَنَّاهَا النَّفُوسُ
 قَدْ جَفَوَتِ الشُّعْرَ حَتَّى * حَدَّثَتْ عَنْكَ الطُّرُوسُ
 وَهَجَرَتِ النَّاسَ حَتَّى * سَاءَلُوا أَيْنَ الْأَنْبِيسُ؟

فأجابه حافظ على البديهة أيضا :

(١)
 أَنَا فِي الْحِيزَةِ ثَاوٍ * لَيْسَ لِي فِيهَا أَنْبِيسُ
 أَنْكَرَ الْأَنْبِيسَ مَكَانِي * وَنَأَى عَنِّي الْجَلِيسُ
 لَيْسَ يَدْرِي مَنْ رَأَى نِي * أَطْلِقُ أُمَّ حَيْسُ

دعابة كتب بها إلى السيد محمد البيلالوي نقيب الأشراف

[لما ولد نقابة الأشراف في سنة ١٩٢٠م]

(٢) قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ زُرْنَا فِضِيلَتَهُ * فَذَادَنَا عَنْهُ حُرَّاسٌ وَجَّابُ
 (٣) قَدْ كَانَ بِأَبْكَ مَفْتُوحًا لِقَاصِدِهِ * وَالْيَوْمَ أَوْصَدَ دُونَ الْقَاصِدِ الْبَابُ
 (٤) هَلَا ذَكَرْتَ (بِدَارِ الْكُتُبِ) مُحِبَّتَنَا * إِذْ نَحْنُ رَغْمَ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَحْبَابُ
 (٥) لَوَاتِنِي جِئْتُ (لِلْبَابِ) لَا تُكْرِمَنِي * وَكَانَ يُكْرِمُنِي لَوْ جِئْتَهُ (الْبَابُ)

- (١) الثاري : المقيم . (٢) ذادنا : منعنا . (٣) أوصد الباب : أغلقه .
 (٤) صروف الدهر : نوابه ؛ يشير إلى أن السيد محمد البيلالوي كان هو والشاعر يعملان معا
 في دار الكتب المصرية . (٥) يريد «بالباب» : رأس الطائفة المعروفة بالبائية ، وهم فرقة من
 خلافة الشيعة ، وسمى بابا ، لأنهم يعدونه باب المهدي ، أي نائبه .

(١) لا تَحْسَ جَائِزَةً قَدْ جِئْتُ أَطْلُبُهَا * إني شَرِيفٌ وللأَشْرَافِ أَحْسَابُ
(٢) فَاهْتَابَ مَا نِلْتَ مِنْ فَضْلِ وَإِنْ قُطِعَتْ * بِنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ

استئذان الرئيس

بيتان آرتجلهما في الاستئذان على المغفور له سعد زغلول باشا

[نشر في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ م]

قُلْ لِلرَّيْسِ أَدَامَ اللهُ دَوْلَتَهُ * بَأَن شَاعِرَهُ بِالْبَابِ مُتَّظِرٌ
إِنْ شَاءَ حَدَّثَهُ أَوْ شَاءَ أَطْرَبَهُ * بِكُلِّ نَادِرَةٍ تُجَلِّي بِهَا الْفِصْرُ

دعابة

قالها في الدكتور محبوب ثابت سنة ١٩٢٧ م ، وكان كلاهما في ضيافة
المرحوم سعد زغلول باشا في مسجد وصيف ، وكان الدكتور - فيما قالوا -
مشغولا بأمرين إذ ذاك : وزارة يتولاها ، وفتاة غنية من بيت عريق يتزوجها
والى هذا يشير الشاعر في هذه القصيدة :

(٣) يُرْغِي وَيُزِيدُ بِالْقَافَاتِ تَحْسِبُهَا * قَصَفَ الْمَدَافِعِ فِي أَفْقِ الْبَسَاتِينِ
(٤) مِنْ كُلِّ قَافٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا * مِنْ مَارِجِ النَّارِ تَصْوِيرَ الشَّيَاطِينِ

(١) يشير بقوله : « إني شريف » ، إلى الحكم الشرعي المعروف من أن الصدقة لا تجوز على
الأشراف . (٢) يريد بالأسباب : روابط المودة . (٣) يشير بهذا البيت إلى كثرة ورود
حرف القاف في حديث الدكتور محبوب ثابت وحرصه على النطق بها . ويريد بالشرط الثاني منه أن هذه
القافات الثغيلة الوقع على الأذن في وسط كلماته الرقيقة أشبه بأصوات المدافع المرعدة في البساتين الغناء .
(٤) المارح : النار التي لا دخان لها .

(١) قَدْ حَصَّهُ اللهُ بِالْقَافَاتِ يَمْلِكُهَا * وَأَخْتَصَّ سُبْحَانَهُ بِالْكَافِ وَالنُّونِ
 (٢) يَغِيبُ عَنْهُ الْجَبَا حِينًا وَيَحْضُرُهُ * حِينًا فَيَخْلِطُ مُحْتَلًا بِمُوزُونِ
 (٣) لَا يَأْمَنُ السَّامِعُ الْمَسْكِينُ وَثَبْتَهُ * مِنْ (كَرْدَقَانَ) إِلَى أَعْلَى (فَلِسْطِينَ)
 (٤) بَيْنَا تَرَاهُ يُنَادِي النَّاسَ فِي (حَلْبِ) * إِذَا بِهِ يَتَّحَدَى الْقَوْمَ فِي (الصَّيْنِ)
 (٥) وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ طَيْشٍ وَلَا خَيْلٍ * لَكِنَّا عَبَقَرِيَّاتُ الْأَسَاطِينِ
 (٦) بَيْتٌ يَنْسُجُ أَحْلَامًا مُذَهَبَةً * تَغْنِي تَفَاسِيرُهَا عَنْ (ابْنِ سِيرِينَ)
 (٧) طَوْرًا وَزِيرًا مُشَاعًا فِي وَزَارَتِهِ * يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِي كُلِّ الدَّوَابِينِ
 (٨) وَتَارَةً زَوْجَ عَطْبُولٍ خَدْبَلَجَةٍ * حَسَنَاءَ تَمْلِكُ آلَافَ الْفَسَادِينِ
 (٩) يُعْنَى مِنَ الْمَهْرِ إِكْرَامًا لِلْحَيْتِهِ * وَمَا أَظْلَمَتْهُ مِنْ دُنْيَا وَمِنْ دِينِ

- (١) يملكها: يمضغها. ويريد «بالكاف والنون»: قوله تعالى لما يريد خلقه: «كن فيكون» .
 (٢) الجبا: العقل والقطعة . (٣) كردقان: بلد بالسودان معروف. ويشير بهذا البيت وما بعده إلى كثرة تنقل الدكتور محبوب بين المجالس والأندية، وتنقله في موضوعات الحديث، وعدم استقراره في مكان واحد ولا موضوع واحد، وبعد المسافات التي يقطعها في هذا التنقل . (٤) تحذاه: باراه ونازه الغلبة .
 (٥) يريد «بالأساطين»: الأعلام المبرزين في مختلف العلوم والفنون، جمع أسطوانة، وهي في الأصل العمود والسارية . (٦) أظهر الهمز في «ابن سيرين» لضرورة الوزن . وابن سيرين: عالم معروف بتفسير الأحلام، وينسب له كتاب مشهور في ذلك . (٧) يشير بهذا البيت إلى أمنية الدكتور محبوب في أن يكون وزيرا في إحدى الوزارات، . هو لا يستقر في أمنية على وزارة واحدة .
 (٨) العطبول من النساء: الفتية الجميلة المنتمية، الطويلة العنق . والخدبلجة: المنتمية الذراعين والساقين . يشير إلى أمنية الدكتور محبوب في أن يتزوج من تلك صفتها . (٩) يشير بهذا البيت إلى طول لجة الدكتور محبوب وما يتوسمه الناس فيه بسببها من الصلاح والخير حتى إنهم ليفنونه من مهود بناتهم إكراما لها إذا أراد التزوج من إحداهن .

دمع السرور

قال هذين البيتين عند زيارته للجمع العلى بدمشق

شَكَرْتُ بِجَمِيلِ صَنِيعِكُمْ بَدْمَعِي * وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِقْيَاسُ الشُّعُورِ
لِأَوَّلِ مَرَّةٍ قَدْ ذَاقَ جَفْنِي * — عَلَى مَا ذَاقَهُ — دَمْعُ السُّرُورِ

دعابة كتب بها إلى صديق له

وكانت جواباً عن قصيدة دعابية أيضاً بحث بها إليه هذا الصديق

وَاقِي كِتَابِكَ يَزْدَرِي * بِالذَّرِّ أَوْ بِالْجَوْهَرِ
فَقَرَأْتُ فِيهِ رِسَالَةً * مُزِجَتْ بِذَوْبِ السُّكَّرِ
أَجْرَيْتَ فِي أَثْنَائِهَا * نَهْرَ أَنْسِجَامِ الْكَوْثَرِ^(١)
وَفَرَطْتَ بَيْنَ سَطُورِهَا * مَنْظُومَ تَاجِ الْقَيْصَرِ^(٢)
وَنَجَّاتَ فِي الْفَاطِمِهَا * مِنْ كُلِّ مَعْنَى مُسْكِرِ^(٣)
فَتَرَى الْمَعَانِي الْفَارِسِيَّةَ * فِي مَفَايِ الْأَسْطَرِ^(٤)
كَالغَايَاتِ تَقَنَّعَتْ * خَوْفَ الْمُرَيْبِ الْمُجْتَرِي

- (١) الكوثر: نهر في الجنة . وأنسجامه : انسيابه واطراداه ؛ وفي هاتين الكلمتين قلب ظاهر دعت إليه ضرورة الوزن ، والأصل : انسجام نهر .
(٢) منظوم تاج القيصر : جواهره .
(٣) المعاني الفارسية ، أي البديعة ؛ وقد نسبها إلى فارس لأنهم كانوا أهل إبداع في الفنون .
وشبه الأسطر المحتوية على المعاني بالمعاني ، وهي المنازل المسكونة .
(٤) الغايات : جمع غانية ، وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة . والمجترى : المجترى .

معني الذ من الشما * تة بالعدو المذير^(١)
 أو من عتاب بين مح * بوب وحب معذير^(٢)
 أو فترة أضعها ال * قامر عند الميسر^(٣)
 أو مجلس للخمير مع * قود بيوم مطير^(٤)
 تسعون بيتا شنتها * فوق سنان السمهي^(٥)
 والسمهي قلم * في كف ليث قسور^(٥)
 آتى القوافي كيف أذ * ت؟ فقد أطلت تحسري؟
 أترى أراك أم اللقا * ء يكون يوم المحشر^(٦)
 ... * ...
 ما كان ظني أن تعيد * ش أيا لئيم المكسير^(٧)
 ولقد قذفت إلى الحجية * سم وبئس عقبى المنكر^(٨)
 تالله لو أصبحت (أف) * لاطون تلك الأعصر^(٨)

- (١) المذير : المنهزم . (٢) الحب (بالكسر) : المحبوب . والمعذر : المنصف العادل .
ويجوز أن يراد به معنى المقصر فيأرضى محبوبه . (٣) يشبه لذة معانيه بلحظة اللعب
في الميسر . والقامر : المقامر . (٤) السمهي : الرخ الصلب . أو هونسة إلى سمهرزوج
ردينة الذين كانا يهفان الريح ؛ أو إلى قرية في الحبشة . ومعنى (شادها فوق سنان السمهي) أنه
أنشأها بقله الجبار . (٥) القسور : اسم من أسماء الأمد ، سمي بذلك لقلبه وقهره .
(٦) هنا نضرب عن ذكر أبيات انتضاها مقام المداعبة بين حديقين حميمين لا يصح نشرها .
(٧) الليم المكسر : الذي يظهر لومه بعد الاختبار . وأصله من العود الذي يظهر ضعفه حين يكسر .
(٨) أفلاطون : فيلسوف يوناني معروف ؛ ولد في سنة ٤٢٧ ق م ، وكانت وفاته في سنة ٣٤٧ ق م .

وَفَدَا (إِقْرَاط) يِيَا * بِكَ كَالْعَدِيمِ الْمُعِيرِ
 وَبَرَعَتَ (جَالِينُوسَ) أَوْ * (لُقْمَانَ) بَيْنَ الْحُضِرِ^(١)
 مَا كُنْتَ إِلَّا تَافِهَ أَلْ * آدَابِ عِنْدَ الْمُعَشِرِ
 غُفْرَانَكَ اللَّهُمَّ إِنِّي * مِنْ ظُلَامَتِهِ بَرِي^(٢)
 سَوِيَّتِهِ كَالْكُرْكُدُنِّ * وَجَاءَنَا كَالْأَخْدَرِيِّ^(٣)
 وَجْهٌ وَلَا وَجْهٌ الْخَطُوءُ * بِ وَقَامَةً لَمْ تُشْبِرِ^(٤)
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ مِثْ * لَ لِسَانِهِ لَمْ يَبْتَرِ^(٥)
 كَمْ بَاتَ يَلْتَحِمُ الْعُرُوءُ * ضَ وَجَاءَ بِالْأَمْرِ الْفَرِيِّ^(٦)
 فَافْعَلْ بِهِ اللَّهُمَّ كَالِ * مَرُودٍ فَهَوَّ بِهَا حَرِي^(٧)
 وَأَنْزِلْ عَلَيْهِ السُّخْطَ إِنْ * أَمْسَى وَلَمْ يَسْتَغْفِرِ^(٨)

- (١) الحضر : جمع حاضر . (٢) برى : برى .
 (٣) سويته : خلقته . والكركدن : حيوان في جنة الفيل خلقته نخلقة الثور إلا أنه أعظم منه ذوحافر ، وعلى رأسه قرن واحد ، وهو بتشديد الـدال وتخفيف النون ، ومجيبه كما هنا مشدد النون من لغة العامة ، وكذلك ورد في شعر المتنبي . والأخدرى : حمار الوحش .
 (٤) لم تشبر : لم تقس بالشبر لشدة قصرها .
 (٥) يتر : يقطع . (٦) يلتحم العروض ، أى يتال من أعراض الناس .
 والمعروف في هذا « لحم » و « اللحم » ؛ يقال : لحم فلان فلانا من باب نصر ، إذا أضر به وقاله بمكره ؛ وألحني عرض فلان ، إذا أمكنني منه أشتمه ، أى جعل عرضه لحمه لما تب . والفري (بتشديد الياء وخففت للشعر) : المصنوع المختلق (بفتح اللام) ، أو الأمر العظيم . (٧) المرود : جبار من القدماء كان في زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام . وحري (بتشديد الياء وخففت للشعر) : خليق وجدير .
 (٨) وأنزل ؛ أصله « وأنزل » بآثبات الهزلة ، ووصلها لضرورة الوزن .

فهو الذي ابتدع الربا * وأقام ركن الفجر
 وأقام دين عبادة الله * ينار بين الأظهر
 ولقد عجبت لبخله * ولكفه المستحجر
 لا يصرف السخوت إلا * وهو غير مخير^(١)
 لو أنت في إمكانه * عيشا غير تضور^(٢)
 لأختار سد الفتحة * ن وقال: يا جيب أحذر^(٣)

عتاب كتب به إلى محمد سليمان أباطة بك^(٤)

طال الحديث عليكم أيها السمر * ولاح للنوم في أجفانكم أثر^(٥)
 وذلك الليل قد ضاعت رواجه * فليس يرجى له من بعدها سفر^(٦)
 هذي مضاجعكم يا قوم فالتقطوا * طيب الكرى بعيون شابها السهر^(٧)
 هل ينكر النوم جفن - لو أتبعه - * إلا أنا ونجوم الليل والقمر
 أبيت أسأل نفسي كيف قاطعتني * هذا الصديق ومالي عنه مضطرب

- (١) السخوت : الشيء القليل ؛ واستعمل في نوع من العملة قليل القيمة . (٢) التضور : التأم من شدة الجوع . (٣) يريد « بالفتحتين » مدخل الطعام ويخرجه . وأحذر ، أى أحذر الاتفاق . (٤) ذكر في هامش ديوان حافظ المطبوع عند ذكر هذه القصيدة أنها كانت طويلة فققد أكثر أبياتها ؛ وقد حاولنا العثور على بقيتها فلم نوفق . (٥) السمر : المتسامرون . (٦) الرواحل : الركائب . يشبه الليل في طوله بمسافر فقد رواجه ، فهو لذلك مقيم غير متحول . (٧) التقطوا طيب الكرى ، أى تصيدوا لذيق النوم . وشابها : خالطها .

- (١) فَا مُطَوَّقَةٌ قَدْ نَالَهَا شَرْكَ * عِنْدَ الْغُرُوبِ إِلَيْهِ سَاقَهَا الْقَدَرُ
- (٢) بَاتَتْ تُجَاهِدُهُمَا وَهِيَ آيِسَةٌ * مِنَ النَّجَاةِ وَجَنَحَ اللَّيْلُ مَعْتَكِرُ
- (٣) وَبَاتَتْ زُعْلُوهُمَا فِي وَكْرِهَا فَرِيضًا * مَرُوعًا لُرُجُوعِ الْأُمِّ يَنْتَظِرُ
- (٤) يَحْفَزُ الْحَوْفُ أَحْشَاهُ وَتَرْجِيحُهُ * إِذَا مَرَّتْ نَسْمَةُ أَوْ مَسَّ الشَّجَرُ
- (٥) مَنِّي بِأَسْوَأَ حَالًا حِينَ قَاطَعَنِي * هَذَا الصَّدِيقُ فَهَلَّا كَانَ يَذْكُرُ
- يَا بَنَ الْكِرَامِ أَتَنَسَى أَتَنِي رَجُلٌ * لِيُظِلَّ جَاهِيكَ بَعْدَ اللَّهِ مُفْتَقِرُ
- إِنِّي فَتَاكَ فَلَا تَقْطَعْ مُوَاصِلَتِي * هَبْنِي جَنَيْتُ فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَرُ؟

استعطاف

بعث به للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

- لَقَدِ بَيْتٌ مَحْسُودًا طَلَبْتُكَ لِأَتِي * وَهَلْ غَيْرُ الْمُنْعَمِ بِمَحْسُودٍ؟
- فَلَا تُبْلِغِ الْحَسَادَ مِنِّي شِمَاتَةً * فَيَفْعَلُكَ مَحْسُودًا وَأَنْتَ مَحْسُودُ

- (١) المطوقة : الحماة ذات الطوق؛ وهو لون يخالف لون سائرها يحيط بالمش .
- (٢) جنح الليل (بالكسر ويضم) : طائفة منه . واعتكر الظلام : اختلط .
- (٣) زعلوها : فرخها الصغير .
- (٤) يحفز أحشاه : يفزعها ويدفعها إلى الاضطراب . ويريد « بوسواس الشجر » : حقيقه .
- (٥) أسوأ : خبر « ما » في قوله السابق : « فامطوقة » ... الخ . ويذكر : يتذكر .

وداع محمد المويلحي بك^(١)

حين سفره إلى معرض باريس

(٢) يا كاتب الشرق ويا خير من * تلو بنو الشرق مقاماته
(٣) سافر وعد يحفظك رب الوري * وأبعث لنا عيسى بأياته

وقال يستقبله عند عودته من هذا المؤتمر :

من لم ير المعرض في أساع * وفاته ما فيه من إبداع
(٤) فمعرض القوم بلا زراع * في نقشة من ذلك اليراع

عتاب كتب به إلى جماعة من أصحابه

(٥) تناءيت عنكم فقلت عمرا * وضاعت عهد على ما أرى
(٦) وأصبح جبل اتصالي بكم * نخيط الغزاة بعد النوى

- (١) انظر التعريف بالمويلحي في الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ (٢) يريد «مقاماته» : كتاب عيسى بن هشام الذي أنشأه محمد بك المويلحي على نسق هذا النوع القديم من النثر المعروف بالمقامات .
(٣) يريد عيسى بن هشام ، الذي اقترضه محمد المويلحي بك صاحب حديثه ؛ ويشير بذلك الى أن مؤلف هذا الكتاب كان قد وعد بعمل جزء ثان خاص بأوروبا ، فهو يستنجزه وعده بذلك .
(٤) اليراع : القلم . ويريد بنفته : ما يخطه من عبو وجمود وصف ، شبه ذلك بنقش السحر .
(٥) تناءيت : بعدت . والعمرا : جمع عمروة ، وهي معروفة ؛ وقد كنى بها عن اليهود والمواثيق .
أى أنه بعد عنهم فقطعوا الصلة به . (٦) الغزاة : الشمس . ونخيطها : شعاعها . وقد شبه به جبل اتصاله بأصدقائه في الضعف والوهن .

وقد زال ما كان من ألفية * وودَّ زوالَ شهابِ الدُّجى
 (١)
 كأن بقاءَ الوفا بينكم * وبينى بقاءَ حبابِ الحيا
 (٢)
 سكنتُ إليكم ولم تسكنوا * إلى وقد كنتُ نعمَ الفقى
 ونفسي فريقيان : هذا به * مزجتُ الوفاء، وذاك الندى
 (٣)
 أصبتم تراثًا وأهائمكم السد * كثر عنا فسر العدا
 (٤)
 ومن كان ينسيه إثارؤه * صديقَ الخصاصة لا يصطفى

ذِكْرِي

كتب بها من السودان إلى طائفة من إخوانه

(٥)
 * مِنْ وَاجِدٍ مُتَّقِرِ الْمَنَامِ *
 * طَرِيدٍ تَهْمٍ جَائِرِ الْأَحْكَامِ *
 * مُشْتَتِ الشَّمْلِ عَلَى الدَّوَامِ *
 * مُلَازِمِ لِلْهَمِّ وَالسَّقَامِ *

(١) حباب الماء (فتح الحاء) : فقايقه التي تكون على سطحه . والحيا : المطر .

(٢) سكن إليه : اطمأن إليه ووثق به .

(٣) التراث (بالضم) : ما يصاب من المال الموروث . ويريد « بالتكاثر » : التنافس في كثرة

الأموال والمفاخرة بها . (٤) الإثراء : كثرة الأموال . والخصامة : الفقر والاحتياج .

(٥) الواجد، ذو الوجد . ومنقر المنام : مطرود عته النوم . وقوله : « من واجد » : خير مقدم ،

والمبتدأ قوله : « تحية » بعد أبيات طويلة .

- * إِلَيْكُمْ يَا نُزْمَةَ الْأَنَامِ *
- * وَفِيَّةَ الْإِنْسَانِ وَالْمُدَامِ *
- * مَنْ أَقْسَمُوا بِالزَّمِ الْأَقْسَامِ *
- * بَأَنَّ يَفْضُوا دَوْلَةَ الظَّلَامِ ^(١) *
- * مَا بَيْنَ بِنْتِ الْحَانَ وَالْأَنْفَامِ *
- * وَمُطَرِّبٍ مِنْ خَيْرِ الْأَقْوَامِ ^(٢) *
- * أَرَقَّ مِنْ شِعْرِ (أَبِي تَمَامٍ) *
- * وَجَمَلِيسٍ فِي غَفْلَةِ الْأَيَّامِ ^(٣) *
- * قَدْ مَلَّ فِيهِ كَاتِبُ الْأَنَامِ ^(٤) *
- * تَمِيَّةٌ كَالْوَرْدِ فِي الْكِيَامِ *
- * أَزْهَى مِنَ الصَّحَّةِ فِي الْأَجْسَامِ ^(٥) *
- * يَسُوقُهَا شَوْقٌ إِلَيْكُمْ نَامِي *
- * تَقْصُرُ عَنْهُ هِمَّةُ الْأَقْلَامِ *
- * يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ هَذَا الْعَامِ *

(١) بنت الحان : الخمر . والحان : موضع بيها . (٢) أبو تمام ، هو حبيب بن أوس الطائي شاعر عياشي معروف . (٣) مل : تعب . وكاتب الأنام : الملك الذي يكتب سيئات المرء وذنوبه . يريد أن المجلس قد أتى من المعاصي ما يعي كاتب الذنوب فيمل الكتابة من كثرة ما يكتب ويحصى . (٤) الكيام (بكر الكاف) : جمع كيامة ، وهي غطاء الزهر . (٥) نامي : زائد .

- * إِلَيْكُمْ تَرَى بِي الْمَرَامِي *
(١)
- * أَمْ يَنْقَوِينِي رَائِدُ الْجِمَامِ *
(٢)
- * فَأَنْظُرِي فِي هَذِهِ الْأَكَامِ *
(٣)
- * وَتُولِمُ الضَّعِجُ عَلَيَّ عِظَامِي *
(٤)
- * وَلَائِمًا لِلْوَحْشِ فِي الْإِظْلَامِ *
(٥)
- * فَإِنِ أَتَى يَوْمِي وَأَوْدَى لَامِي *
(٦)
- * وَبَاتَ زَادَ السُّدُودِ وَالرَّغَامِ *
(٧)
- * بِاللَّهِ أَدْعُوكُمْ وَبِالْإِسْلَامِ *
(٨)
- * أَنْ تَذْكُرُوا نَاطِمَ ذَا الْكَلَامِ *
(٩)
- * إِذَا جَلَسْتُمْ مُجَلِّسًا لِلْجَامِ *
(١٠)
- * وَكَانَ سَاقِيكُمْ مِنَ الْأَرَامِ *
(١١)
- * فِي لَيْلَةٍ وَالْبَدْرُ فِي تَمَامِ *
(١٢)

(١) انتواه : قصده . والحمام : الموت . ورائده : رسوله .

(٢) الأكام : جمع أكمة ، وهي الرابية والحجارة تجتمع في مكان واحد ؛ يريد أكام السودان .

(٣) تولم : تقيم للولائم .

(٤) أودى : هلك . ولام الإنسان ، شتمه .

(٥) الرغام : التراب .

(٦) الجام : الإناء من قضة ؛ ويريد به هنا : قذح الخمر؛ وهو لفظ فارسي معرب .

(٧) الأرام : الغزلان ، الواحد رثم .

وداع لصديقيه محمد بدر وأحمد بدر

عند سفرهما الى بلاد الإنجليز للتعلم

- (١) سيرا أيا بدرى سماء العلاء * وأستقبلا السَّمَّ ولا نأفلا
 (٢) سيرا إلى مهدي العلوم التي * كانت لنا ثمَّ ازدهاها ألبى
 (٣) سيرا إلى الأرض التي أنبتت * عزرا وأصحت للملا مؤثلا
 (٤) يمشي عليها الدهر مستخدبا * ومجزع الأحداث أن تزيلا
 شعار أهلها وأبنائها * أن يعلم المرء وأن يعمل
 (٥) فزينا المجد بنور النهى * وجملا الجاه بأن تكمل
 وأسبقا العلياء وأستمكا * بعروة الصبر ولا تعجلا
 (٦) وخبرا الغرب وأبناءه * باننا نحن الرجال الألى
 لئن عدا الدهر بنا مدبرا * لأبد للذير أن يقبلا
 (٧) لا زلتما قرصين في دوحه * يُظلل من رجي ومن أملا
 تمكنا مضرورا بأثما * أب كريم جد حتى علا

- (١) تم البدر : تمامه وأكثاله . وأقل القمر والشمس يأفل (بكسر الفاء وضمها) : غابا .
 (٢) ازدهاها ألبى : تهاون بها وأستخف . (٣) يريد « بالأرض » : بلاد الإنجليز .
 والموتل : الملجا . (٤) استخدى أستخذا : خضع وذل . (٥) النهى : العقول .
 (٦) الألى ، أى الذين كان لهم تاريخ حافل بالسبق في ميادين الحضارة والعلوم ؛ لحذف الصلة للعلم بها .
 (٧) الدوحه : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(١)
مَضَى وَقَدْ أَوْلَا كَمَا نِعْمَةٌ * لَا تَبْسُطَا فِيهَا وَلَا تَنْفُلَا
فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى وَالِدٍ * كَمَا كَمَا الْإِعْزَازَ بَيْنَ الْمَلَا

(٢) إلى أحمد شوقي بك

يودعه حين سفره إلى مؤتمر المستشرقين

(٣)
يَا شَاعِرَ الشُّرْقِ أَتَيْدُ * مَا ذَا تُحَارِلُ بَعْدَ ذَلِكَ
هَذِي النُّجُومُ نَظَمَتْهَا * دُرَّرَ الْقَرِيضُ وَمَا كَفَاكَ
وَالْبَدْرُ قَدْ عَلِمْتَهُ * أَدَبَ الْمُثُولِ إِذَا رَأَى
وَسَمَوْتَ فِي أُنْفِ السُّعُو * دَفِكْتَ تَعْتُرُ بِالسَّمَاكَ
وَحَبَاكَ عَبَّاسُ الْحَا * مِدِّ بِالْمَوَاهِبِ وَأَصْطَفَاكَ
وَدَعَّتْكَ مِصْرُ رَسُولَهَا * لِلغُرَبِ مُدْعَرَفَتْ عُلاكَ
فَارْحَلْ وَعُدْ بَوْدِيعةِ الرَّحْمَنِ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ

- (١) لا تبسطا فيها ، أى لا تسعيا فى الإلقاء . وغل يده يغلها (من باب نصر) : إذا قبضها عن الإلقاء . وأصله من وضع اليد فى الغل (بضم العين وتشديد اللام) ، وهو طوق من حديد أرجله يجعل فى العنق أرفى اليد . (٢) انظر التعريف بشوقي فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٥ .
(٣) أتيد : تمهل . (٤) أدب المثول ، أى أدب الوقوف بين يديك .
(٥) السماك : أحد كوكبين نيرين ، يقال لأحدهما : السماك الراح ، وللآخر : السماك الأعزل .
(٦) حباك : أعطاك .

إلى صديقه محمد عبده البابلي^(١) بك يعاتبه

كُتِبَ بِهَا إِلَيْهِ مِنَ السُّودَانِ

- (٢) أَنْ عَضَّكَ يَا أَخِي بِالسَّلَامِ * لَا يُؤَدِّي لِمِثْلِ هَذَا الْخِصَامِ
 (٣) أَنْتَ (وَالشَّمْسِ) (وَالضُّحَى) وَاللَّيَالِي أَلْ * عَشِيرَ (وَالفَجْرِ) غَيْرُ رَاعِي الذَّمَامِ
 (٤) مَا عَهْدُكَ يَا كَرِيمَ السَّجَايَا * تَصْرِفُ النَّفْسَ عَنْ هَنَاتِ الْكِرَامِ
 (٥) لَيْسَ فِي كُتُبِنَا سُؤَالُ نَوَالٍ * مِنْكَ حَتَّى خَشِيتَ رَدَّ السَّلَامِ
 (٦) نَحْنُ نَرْضَى بِالْقُوتِ مِنْ هَيْهَ الدُّنْيَا وَإِنْ بَاتَ دُونَ قُوْتِ النَّعَامِ
 (٧) وَإِذَا خَانَ قِسْمُنَا مَا شَكَّوْنَا * لِسِوَى اللَّهِ أَعْدِلِ الْقُسَامِ
 (٨) كَيْفَ تَنَمَّى يَا (بَابِلِي) غَرِيبًا * بَاتَ بَيْنَ الظَّنُونِ وَالْأَوْهَامِ
 (٩) وَحَزِينًا إِذَا تَنَفَّسَ عَادَتْ * فَحَمَّةُ اللَّيْلِ جَمْرَةٌ مِنْ ضِرَامِ
 (١٠) وَإِذَا أَنْتَ كَادَ يَنْصَدِعُ الْأَفْ * تُقِي وَتَقْتُلُ دَوْرَةَ الْأَجْرَامِ
 بَاتَ تَحْتَ الْبَلَاءِ حَتَّى تَمَّتْ * لَوْ يَكُونُ الْمَيْتُ تَحْتَ الرِّغَامِ

(١) انظر تعريف محمد البابلي في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ (٢) عضبك، أى
 عضى إليك . (٣) يقسم بما أقسم الله به في سورة (الشمس) (والضحى) (والفجر) . والذمام :
 الحق والخير . (٤) يريد بالهنات : الهفوات اليسيرة التي يحتمل مثلها ، الواحدة هنة ؛ أى
 ما عهدناك تسامح لغيرك في أقل حفرة ، فما بالك تأتي بالأخطاء الكبيرة . (٥) النوال : العطاء .
 (٦) ضرب الشاعر قوت النعام مثلا في التفاحة والقلعة ، لأن النعام تقتات بالحصى والحجارة إذا لم تجد
 ما تقتات به . (٧) القسم (بكر القاف) : التصيب والحظ من الخير والرزق . (٨) يريد
 «بفحمة الليل» : سواده الشديد المشبه للقمح . (٩) الأجرام : الأفلاك . (١٠) الرغام
 (فتح الراء) : التراب . وكفى مالميت تحت الرغام عن الموت .

وكتب إليه أيضا يعاتبه ويداعبه :

أَدْلَالٌ ذَاكَ أُمَّ كَسَلٌ * أُمَّ تَنَاسٍ مِنْكَ أُمَّ مَلَلٌ
 أُمَّ غَيْرِيقٌ أَنْتَ فِي جَدَلٍ * أُمَّ بَكَامَاتِ الْهَنَا تَمَلُّ^(١)
 أُمَّ - وَقَاكَ اللَّهُ - فِي كَدْرِ * أُمَّ عَلَى الْأَعْدَارِ مَتَكَلُّ^(٢)
 أُمَّ مَشُوقٌ مَغْرَمٌ وَلِه * شَفَهُ التَّشْيِيبُ وَالغَزَلُ^(٣)
 أُمَّ غَنِيٌّ بَاتَ يَشْفَلُهُ * مَالُهُ وَالكَسْبُ وَالْأَمَلُ^(٤)
 أُمَّ وَشَى وَأَشِ الْيَكْ بِنَا * فَأَحْتَوَاكَ الشُّكَّ (يَابَطَلُ)^(٥)
 قَدْ مَضَى شَهْرٌ وَأَعْقَبَهُ * ضِعْفُهُ وَالْفِكْرُ مُشْتَعِلُ
 لَا كِتَابٌ مِنْكَ يُطْفِئُ مَا * فِي فُؤَادِي بَاتَ يَشْتَعِلُ
 لَا وَلَا رَدُّ يُعَالِنِي * أَوْ عَلَى التَّسْلِيمِ يَشْتَمِلُ^(٦)
 يَا صَدِيقِي لَا مُؤَاخَذَةٌ * أَنْتَ يَا بَيْنَ الْبَابِلِيِّ

وكتب إليه أيضا يتشوق :

نَمِي يَا بَابِلِيُّ إِلَيْكَ شَوْقِي * وَعَيْنِي لَأَزِمَتْ سَكَبَ الدَّمُوعِ^(٦)
 وَلَوْ أَنَّي تَرَكْتُ سَرَاخَ قَلْبِي * لَطَارَ إِلَيْكَ مِنْ قَفْصِ الضُّلُوعِ

(١) الجذل (بالتحريك) : الفرح . والنمل : النشوان . (٢) الوله : المتعير من شدة الوجد . رشفه : هزله وأوهنه . والتشيب بالنساء : وصفهن وذكر محاسنهن . (٣) احتواه : ملكه وطلب عليه . (٤) علاه : شغله وألهاه . (٥) موضع هذه القطف كلمة يستجبا من ذكرها ، ولا تخفى على القارئ . (٦) نمي : زاد .

شُكْرُ وزيرِ زارِ حافظا في منزله

لا غَرَوَ إِذْ أَشْرَقَ فِي مَنزِلِي * فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مُجِيبًا الْوَزِيرَ
فَالْبَدْرُ فِي أَعْلَى مَدَارَاتِهِ * لِلْعَيْنِ يَبْدُو وَجْهَهُ فِي الْغَدِيرِ^(١)

دُعَاةُ كُتُبِهَا إِلَى الْأَسْتَاذِ حَامِدِ سَرِي^(٢)

في يوم زفافه (٢ نوفمبر سنة ١٩١٧) يستهديه من طعام العرس وثيابا يلبسها، وكانا إذ ذاك متجاورين بالجيزة:

أَحَامِدُ كَيْفَ تَنَسَّابِي وَبَيْتِي * وَبَيْتِكَ يَا أَخِي صِلَةُ الْجَوَارِ
سَأَشْكُو لِلْوَزِيرِ فَإِن تَوَانِي * شَكْوَتِكَ بَعْدَهُ لِلسُّتَارِ^(٣)
أَتَسْبِعُ مُصْطَفَى الْخَوْلَى وَأُمِّي * أَعَالِجُ جَوْعَتِي فِي كِسْرِ دَارِي^(٤)
وَبَيْتِي فَارِغٌ لَا شَيْءَ فِيهِ * سِوَايَ وَإِنِّي فِي الْبَيْتِ عَارِي
وَمَا لِي جَزْمَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى * أَوْافِيكُمْ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ
وَعِنْدِي مِنْ صَحَابِي الْآنَ رَهْطٌ * إِذَا أَكَلُوا فَاسَادُ صَوَارِي
فَإِن لَمْ تَبْعَثْنِي إِلَى حَالًا * بِمَائِدَةٍ عَلَى مَتْنِ الْبُخَارِ
تُغَطِّيهَا مِنَ الْحُلْوَى صُنُوفٌ * وَمِنْ حَمَلٍ تَبَيَّلَ بِالْبَهَارِ
فَإِنِّي شَاعِرٌ يُخَشِي لِسَانِي * وَسَوْفَ أُرِيكَ عَاقِبَةَ أَحْتِقَارِي

(١) يقول في هذين البيتين: إن الوزير على سمو منزله قد أشرق نوره في منزلي على ضعفه، ولا عجب، فالبدر في السماء تظهر صورته في غدير الماء. (٢) وردت الينا هذه الأبيات بعد الانتهاء من طبع هذا الباب فأثبتناها في آخره؛ وكان مقتضى طريقتنا في ترتيب القصائد ترتيبا تاريخيا أن نوضع قبل ذلك، أي بعد الأبيات التي رد بها حافظ على شوقي في سنة ١٩١٧ (٣) يريد وزير الزراعة؛ وكان حامد سري بك من رجال هذه الوزارة ولا يزال بها إلى اليوم. (٤) إنما خص الأستاذ مصطفى الخولي بك بالذكر لما بينه وبين الأستاذ حامد سري من صلة المصاهرة.

الوصف

وصف كساء له

قالها أرتجالا في مجلس من إخوانه

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

(١)
لِي كِسَاءٌ أَنْعَمَ بِهِ مِنْ كِسَاءٍ * أَنَا فِيهِ أَتَيْهُ مِثْلَ الْكِسَائِي
حَاكِهِ الْعِزْمِينَ خُيُوطِ الْمَعَالِي * وَسَقَاهُ النَّعِيمُ مَاءَ الصُّفَاءِ
(٢)
وَتَبَدَّى فِي صِبْغَةٍ مِنْ أَدِيمِ اللَّيْلِ مَضْقُولَةً بِجُسْرِنِ الطَّلَاءِ
(٣)
خَاطَهُ رَبُّهُ بِإِبْرَةِ يَمِينٍ * أَوْجَرُوا سَمَّهَا خُيُوطَ الْهَنَاءِ
فَكَأَنِّي - وَقَدْ أَحَاطَ بِجَسْمِي - * فِي لِبَاسٍ مِنَ الْعُلَا وَالْبَهَاءِ
تُكْبِرُ الْعَيْنُ رُؤْيِي وَتَرَانِي * فِي صُفُوفِ السُّلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ
أَلْفِ النَّاسِ - حَيْثُ كُنْتُ - مَكَانِي * أَلْفَةَ الْمُعْدِمِينَ شَمْسَ الشَّنَاءِ
(٤)
يَا رِدَائِي وَأَنْتَ خَيْرُ رِدَائٍ * أَرْجِيهِ لَزِينَةٍ وَأَزْدِهَاءِ

(١) الكسائي، هو علي بن حمزة، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وكان معلما لأولاد أمير المؤمنين
هارون الرشيد؛ وتوفي حوالي سنة ١٨٩ هـ. (٢) تبدى: ظهر. والأديم: الجلد. وأديم
الليل: سواده، لأنه كالجلد يغشى الليل ويغطيه. (٣) اليمين: البركة. «وأوجروا سمها» الخ
أي أدخلوا الخيوط في ثقبها. والإيجار في الأصل: إدخال الوجور (وهو الدواء) في فم المريض؛
أو هو الطعن بالرمح في الفم أو الصدر. (٤) الأزدهاء: الزهو والاختيال.

(١)
 لا أَحَالَتْ لَكَ الْحَوَادِثُ لَوْنًا * وَتَعَدَّتْكَ نَاسِجَاتُ الْجَوَاءِ
 غَفَلَتْ عَنْكَ لِلَّيْلِ نَظَرَاتُ * وَتَحَطَّتْكَ إِبْرَةُ الرَّفَاءِ
 (٢)
 صَحْبَتِي قَبْلَ أَصِطْحَابِكَ دَهْرًا * بِذَلَّةٍ فِي تَلَوْنِ الْحِرْبَاءِ
 (٣)
 نَسَبُهَا لَطِيلَسَانَ (ابن حرب) * نِسْبَةً لَمْ تَكُنْ بِذَاتِ افْتِرَاءِ
 كُنْتُ فِيهَا إِذَا طَرَقْتُ أَنَسًا * أَنْكُرُونِي كَطَارِقٍ مِنْ وَبَاءِ
 كَسَفَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا وَأَسْتَعَارَتْ * لَوْنًا وَجِهَ الكَذُوبِ عِنْدَ اللِّقَاءِ
 يَا رِدَائِي جَعَلْتَنِي عِنْدَ قَوْمِي * فَوْقَ مَا أَشْتَهَى وَفَوْقَ الرَّجَاءِ
 (٤)
 إِنِّي قَوْمِي تَرَوْقَهُمْ جِدَّةُ الثَّوْبِ * بِي وَلَا يَعْتَشِقُونَ غَيْرَ الرُّوَاءِ
 قِيمَةُ المِرْيَةِ عِنْدَهُمْ بَيْنَ ثَوْبٍ * بَاهِرٍ لَوْنُهُ وَبَيْنَ حِذَاءِ
 (٥)
 قَعَدَ الفَضْلُ بِي وَقُتَّ بَعِزِّي * بَيْنَ صَحْبِي ، جُرَيْتِ خَيْرِ الجَزَاءِ

(١) أحاله : حوله من حال إلى حال . وناسجات الجواء : الرياح التي تذهب في الأجواء طولاً وعرضاً كما يفعل الناصح فيما ينسجه ، لأنه يعترض النسيجة فليحم ما أطال من السدى . والجواء : جمع جَوٍّ بالمعنى المعروف ؛ أو بمعنى القلاة الواسعة . (٢) البذلة من الثياب : ما لا يبان منها . والحرباء : دوية نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها وتدور معها كيف دارت ، وتتلون ألواناً بجوار الشمس ؛ ويضرب بها المثل في القلب . (٣) الطيلسان (بالفتح وتثنية اللام) : كساء مدور أخضر لا أسفل له ، لحمته وقيل سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء ، وأصله من لباس العجم . وطيلسان ابن حرب : مثل يضرب لكل ثوب قديم خلق ، وسبب ذلك أن بعض الشعراء كان قد مدح ابن حرب ، فخلع عليه طيلساناً بالياً ، فقال في ذلك الطيلسان شعراً كثيراً حتى صير ذلك الطيلسان مثلاً لكل ما يلي ورث من الثياب ؛ فن ذلك قوله :
 يَا بَنَ حَرْبِ كَسَوْتَنِي طَيْلِسَانًا * رَقٌّ مِنْ صَحْبَةِ الزَّمَانِ وَصَدَى
 طَالَ تَرْدَادُهُ إِلَى الرَّفْوِ حَتَّى * لَوْ بَعَثْنَا وَحْدَهُ لَهَدَى
 وغير ذلك من الشعر . والاقراء : اختلاق الكذب . (٤) تروقهم : تعجبهم . والرؤاء : حسن المنظر . (٥) قعد بي : عجز عن رفع شأنى ، إذ لم يقوّمه قومى بلهلمهم به .

الحاكي

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

وَجَدُوا السَّبِيلَ إِلَى التَّقَاطُعِ بَيْنَنَا * وَالسَّمْعُ يَمْلِكُهُ الكَذُوبُ الحَاقِقُ
 لَا تَجْعَلِي الوَاشِينَ رُسُلَكَ فِي الهَوَى * فَلَا صَدَقَ الرُّسُلَ أَجْمَادُ النَّاطِقِ^(١)

الشمس

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

لَا حَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاطِقِينَ * فَتَسُوا بِاللَّيْلِ وَضَاحَ الْجَبِينِ^(٢)
 وَمَحَّتْ آيَتُهَا آيَتَهُ * وَتَبَدَّتْ فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ
 نَظَرَ آبرَاهَامُ فِيهَا نَظْرَةً * فَارَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ اليَقِينَ^(٣)
 قَالَ : ذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَّتْ * (قَالَ : إِنِّي لَا أَحِبُّ الْإِفْلِينَ)^(٤)
 وَدَعَا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا * وَأَتَى الْقَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينِ^(٥)

- (١) يصف في البيت الأول الوشاة وأنهم أصابوا السبيل لامتلاك سمع من يحجبها بما يقون اليها من أكاذيب؛ وما أقدر الكذوب على ذلك، وبنهاها في البيت الثاني عن أن توسط الوشاة بينه وبينها، فان فعلت فليكن الرسول ذلك الحاكي، فهو الجماد الناطق الصادق . (٢) وضاح الجبين : القمر .
 (٣) ابراهام : لغة في ابراهيم، وهو نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام . ويشير بذلك الى ما قصه الله تعالى في القرآن في سورة الأنعام عن ابراهيم عليه السلام؛ قال تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة) الآية .
 وقوله : «فارى الشك» ... الخ، أي أظهر لقومه أنه شك في الإله لكي يهديهم إليه وهو متيقن وجوده .
 (٤) أفلتت : غابت . (٥) السلطان : الحجية .

رَبِّ إِنَّ النَّاسَ ضَلُّوا وَغَوَوْا * وَرَأَوْا فِي الشَّمْسِ رَأْيَ الْخَاسِرِينَ
 خَشَعَتْ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا بَدَتْ * وَإِلَى الْأَذْقَانِ نَحَرُوا سَاجِدِينَ
 نَظَرُوا آيَاتِهَا مُبْصِرَةً * فَعَصَوْا فِيهَا كَلَامَ الْمُتَمَلِّينَ
 نَظَرُوا بَدْرَ الدُّجَىٰ مِرَاتَهَا * فَتَجَلَّىٰ فِيهِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
 ثُمَّ قَالُوا : كَيْفَ لَا نَعْبُدُهَا * هَلْ لَهَا فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ قَرِينٌ؟
 هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا * هِيَ أُمُّ الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ جَنِينٌ^(١)
 هِيَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعًا * هِيَ أُمُّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ الْمَعِينِ^(٢)
 هِيَ طَلَعُ الرُّوْضِ نَوْرًا وَجَنَى * هِيَ نَشْرُ الْوَرْدِ، طَيْبُ الْيَاسْمِينِ^(٣)
 هِيَ مَوْتُ وَحَيَاةٌ لِلسُّورَى * وَضَلَالٌ وَهُدًى لِلغَايِرِينَ
 صَدَقُوا لِكُنْهَم مَّا عَلِمُوا * أَنَّهَا خَلَقَ سَبِيلَ السَّنِينِ
 أَيْلَهُ لَمْ يُسْتَرَّ ذَاتَهُ * عَنِ كُفُوفٍ، بِنَسْ زَعْمِ الْجَاهِلِينَ
 لَأَمَّا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيَاتِهَا * مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ
 حِكْمَةٌ بِالْغَيْةِ قَدْ مَثَلَتْ * قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ عَاقِلِينَ

- (١) يشير بقوله : « هي أم الأرض » ، الى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس .
 ثم اقصت وبرد ظاهرها بتطاول الزمن . (٢) المعين : التابع من العيون .
 (٣) يريد « بالطلع » : ما يسدو من الثمرة في أول ظهورها . ونور النبات : زهره . والجنى :
 ما يجنى من الشجر . ونشر الورد : راحته المنتشرة منه .

دولة السيف ودولة المدفع

[نشرت في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠م]

- * يَدَوَلَةُ الْقَوَاضِبِ الصَّقَالِ ^(١)
- * وَصَوْلَةُ الذَّوَابِلِ الطَّوَالِ ^(٢)
- * كَمْ شَدَّتْ بَيْنَ الْأَعْصِرِ الْخَوَالِي ^(٣)
- * مَمَالِكًا عَزِيزَةَ الْمَنَالِ ^(٤)
- * قَامَتْ بِحَدِّ الْأَبْيَضِ الْقَصَالِ ^(٥)
- * وَسِنَّ ذَاكَ الْأَسْمَرِ الْعَسَالِ ^(٦)
- * رَاحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي
- * وَخَلَقَتْهَا دَوْلَةُ الْجَلَالِ
- * مَمْلَكَةً الْمِدْفَعِ ذَاتُ الْخَالِ ^(٧)
- * قَامَتْ بِحَوْلِ النَّارِ وَالزَّلْزَالِ ^(٨)
- * فَأَرْهَبَتْ أَفئِدَةَ الْأَبْطَالِ
- * أَرْهَبَهَا مُزْعِزُ الْجِبَالِ ^(٩)

- (١) القواضب: السيوف القواطع، الواحد قاضب. والصقال: السيوف المجلوة، الواحد صقيل.
 (٢) الصولة: السطوة والقهر. والذوايل: الرماح الرقيقة اللاصقة باليط، وهو القشر؛ وهي أجود الرماح، الواحد ذابل. (٣) الخوالي: الماضية. (٤) عزيزة المنال: ممتعة على من يريدها.
 (٥) يريد « بالأبيض »: السيف. والقصال (بالقاف): القطاع. (٦) الأسمر: صفة للرمح. والعسال: الشديد الاهتزاز والاضطراب لبيته، وهو من صفات الرماح الجيدة. (٧) الخال: الكبر والخلاء. (٨) الحول: القوة. (٩) يريد « بمززع الجبال »: المدفع.

- * وَمُفْرِزِعُ اللَّيْثِ فِي الدَّحَالِ ^(١) *
- * وَقَاطِعُ الْأَجَالِ وَالْأَمَالِ *
- * وَخَاطِفُ الْأَرْوَاحِ مِنْ أَمِيَالِ *
- * يَثُورُ كَالْبِرْكَانِ فِي السَّزَالِ ^(٢) *
- * فَيُتْبِعُ الْأَهْوَالَ بِالْأَهْوَالِ *
- * وَيُرْسِلُ النَّارَ عَلَى الْتَوَالِي *
- * فَيَحِطِّمُ الْهَامَ وَلَا يُيَالِي ^(٣) *
- * مَا كَوَّكَبُ الرَّجِيمِ هَوَى مِنْ عَلِي *
- * فَكَرَّ كَالْفِكْرِ سَرَى بِالْبَالِ *
- * عَلَى عَنِيدٍ مَارِدٍ مُخْتَالِ ^(٤) *
- * مُسْتَرِقٍ لِلسَّمْعِ فِي ضَلَالِ ^(٥) *
- * مِنْ عَالِمِ التَّسْبِيحِ وَالْإِهْلَالِ ^(٦) *
- * أَمْضَى وَأَنْكِي مِنْهُ فِي الْقِتَالِ ^(٧) *

(١) الدحال : جمع دحل (فتح الدال وسكون الحاء) وهو قنب ضيق فيه ، ثم يتسع أسفله حتى يشي فيه ، وربما أنبت الصدر ، وتستر فيه السباع . (٢) الزال : القتال . (٣) يحطم : يكسر . والهام : الروس ، الواحدة هامة . (٤) العنيد : المخالف للحق الذي يرده وهو يعرفه ، والجمع عند (بضمتين) . ويريد «بالعنيد المارد» : الشيطان . (٥) استرق السمع : استمع مستخفيا . ويشير الشاعر إلى ما ورد من أن الجن كانت تسترق السمع من السماء قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث عليه الصلاة والسلام أرادت الجن استراق السمع كما كانوا يفعلون قبل البعثة ، فرجوا بالشهب ؛ وقد ذكر الله ذلك في القرآن في سورة الجن (٦) الإهلال : رفع الصوت بذكر الله . ويريد «بعالم التسبيح والإهلال» : عالم الملائكة . (٧) قوله : «أمضى» ... الخ خبر «لما» في قوله قبل : «ما كوكب الرجيم» . وأنكى : أبلغ نكاية ، أى قتلا وجرحا .

- * إذا سَرَّتْ قُنْبَلَةُ الْوَبَالِ ^(١) *
- * مِنْ فِيمَا مَحْشُوًّا بِالنَّكَالِ ^(٢) *
- * يُنْذِرُهُمْ فِي سَاحَةِ الْمَجَالِ *
- * بِالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَبِالْآجَالِ *
- * وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ الْخِتَالِ ^(٣) *
- * يَحْزُرُ فِي أَلْهَامٍ وَفِي الْأَوْصَالِ ^(٤) *
- * صَامِتَ قَوْلٍ نَاطِقَ الْفِعَالِ *
- * رَأَيْتُهُ كَالْقَوْمِ فِي الْمِثَالِ ^(٥) *
- * مَالُوا عَنِ الْقَوْلِ إِلَى الْأَعْمَالِ *
- * فَامْتَلَكُوا نَاصِيَةَ الْمَعَالِي ^(٦) *

ليلة عيد جلوس الخديوى

يصف فيها الزينة الكبرى التي أقيمت بمدينة الأزبكية في مساء ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

يَا لَيْلَةَ الْهَمْتِي مَا أَيْبُهُ بِهِ * عَلَى حِمَاةِ الْقَوَافِي أَيْمًا تَاهُوا ^(٧)

إِنِّي أَرَى عَجَبًا يَدْعُو إِلَى عَجَبٍ * الدَّهْرُ أَضْمَرَهِ وَالْعَيْدُ أَفْشَاهُ

- (١) استعمال «القنبلة» بمعنى ما يخرج من فم المدفع عند انطلاقه استعمال شائع في كلام عصرنا، ولم ترد به لغة العرب؛ وإنما ورد ذكر القنبلة بعمان أخرى. والوبال: الهلاك. (٢) النكال: العذاب.
- (٣) الختال: الخداع، ويريد به السيف، والمعنى أن المدفع لا يأخذ الناس على غرة، بل يندرم بشره المشبه للبرق، ثم بصوته المشبه للعد؛ ولم يكن كالسيف الذي يفنك بهم على غفلة فلا يشعرون به إلا وهو يحزرهم ومهم ويقطع في أوصالهم. (٤) يحزر: يقطع. وهي من الأفعال التي تتعدى بنفسها، وعديت هنا بالحرف على تضمينها معنى (يقرض) أو نحوها مما يتعدى بالحرف. والأوصال: المفاصل، الواحد وصل (بالكسر وبالضم). (٥) يريد «بالقوم»: أم القرب. (٦) الناصية: مقدم الرأس. وامتلكوا ناصية المعالي، أى بلغوا ذروتها وأعلاها. (٧) حماة القوافي: فحول الشعراء.

- (١) هل ذاك ما وعدَّ الرحمن صفوته * روض و حور و ولدان و أمواه
 (٢) أم الحديقة ذات الوشي قد حليت * في منظر يستعيد الطرف مرآه
 (٣) أرى المصابيح فيها وهي مشرقة * كأنها النور والوشي حياه
 (٤) أو إنما هي ألفاظ مديحة * وكل لفظ تجلى فيه معناه
 (٥) أرى عليها قلوب القوم حائمة * كالطير لاج له ورد فوافاه
 (٦) أرى نبي مصر تحت الليل قد نسلوا * إلى سعود به ضاح مجاه
 (٧) أرى على الأرض حياء قد نسيبت به * حلى السماء وحسنا لست أنساه
 (٨) أرى أريكة (عباس) تحف بها * وقاية الله والإقبال وأجلاه
 أرى سمو خديونا وقد بسطت * بالعنل والبذل يمناه ويسراه
 قل للألى جعلوا للشعر جائزة * فيم الخلاف! ألم يرشدكم الله!
 (٩) إني فتحت لها صدرًا تليق به * إن لم تحلوه فالرحمن حللاه

(١) صفوته: من اصطفاهم. والأمواه: جمع ماء. (٢) يريد «بالوشي» هنا: ما اختلف من ألوان النبات والزهر، تشبها بالوشي في الثوب، وهو النقر. «ويستعيد الطرف مرآه» أي أن جمال المنظر يفرى بتكرار النظر. (٣) النور: زهر النبات. والوشي: المطر أول الربيع. (٤) مديحة: مزخرفة مزينة. وتجلي: تكشف. (٥) حام الطائر على الماء: دار حوله. والورد (بكسر الواو): الماء المورود. (٦) نسلوا: أسرعوا. وضاحي الحيا: مشرق الوجه. (٧) الحلى: ما يزين به. (٨) الأريكة: سرير الملك. (٩) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى جماعة من كبار الأدباء والعلماء، منهم أحمد زكي باشا، وإسماعيل صبرى باشا، وحفنى ناصف بك، اجتمعوا على أن يجعلوا للشعر جوائز من أنواع مختلفة تمنح الشعراء بحسب درجاتهم في الشعر؛ لحافظ يقول: «لا تختلفوا في تفضيل بعض الشعراء على بعض، فالأمر في تفضيلي بين لا جدال فيه، وإنكم إن لم تحلوا صدرى بأعلى هذه الأنواع وأفضلها، فإن الله قد حللاه بما وهبني من شاعرية مبدعة، وملكة فياضة».

(١) لَمْ أَحْشَ مِنْ أَحَدٍ فِي الشَّعْرِ يُسَبِّحُنِي * إِلَّا قَتَى مَا لَه فِي السَّبْقِ إِلَاهُ
(٢) ذَاكَ الَّذِي حَكَمْتُ فِينَا يَرَاعَتُهُ * وَأَكْرَمَ اللَّهُ (وَالْعَبَّاسُ) مَثْوَاهُ

البورصة

[نشرت في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤]

بِيَايِكَ النَّحْسُ وَالسُّعُودُ * وَمَوْقِفُ الْيَأْسِ وَالرَّجَاءِ
(٣) وَفِيكَ قَد حَارَتِ الْيَهُودُ * يَا مَطْلَعِ السَّعْدِ وَالشَّقَاءِ

*
* *

(٤) وَوَجْهِكَ الضَّاحِكُ الْعَبُوسُ * قَدْ ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ الْبَيَانُ
(٥) كَمْ سَطَّرَتْ عِنْدَهُ طُرُوسُ * بِقِسْمَةِ الْعِزِّ وَالْهَوَانِ
(٦) وَطَوَّطَّتْ دُونَهُ رُءُوسُ * يَهْتَرُّ مِنْ خَوْفِهَا الزَّمَانُ

*
* *

وَكَمْ أَطَافَتْ بِهِ وَفُودُ * وَاكْتَرُوا حَوْلَهُ الدُّعَاءُ
(٧) فَرَايِحُ نَجْمِهِ سَعِيدُ * وَطَامِعُ بِالْخَسَارِ بَاءُ

- (١) يريد « بالفتى » : أحد شوقي بك شاعر الأمير . (٢) البراعة : القلم . والمثوى : المنزلة .
(٣) إنما خص اليهود ، لأنهم أعلم من غيرهم بمسائل المال وطرق اكتسابه واستناره ، كما هو معروف .
(٤) سكنت هذه القافية دفعا لما يرتب على تحريكها من وجود إقواء في البيت الثاني ، وهو اختلاف في حركة الروى . ويلاحظ أن في هذه القصيدة أبياتا أخرى سكن رويها دفعا لهذا العيب المتقدم .
(٥) الطروس : الصحائف يكتب فيها ، الواحد طرس (بكر فسكون) . (٦) طوطت : أي انخفضت وتطامت .
(٧) باء بالخسارة ، أي رجع به .

+
+ +

لَمَّا عَلَتْ صَبِيحَةُ الْمُنَادِي * وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ فِي عَنَاءِ
(١)
وَشَمَّرَتْ ثَرْوَةَ الْبِلَادِ * وَضَجَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ
(٢)
قَنَعْتُ بِالْقُطْنِ فِي الْوَسَادِ * وَفِي الْحَشِيَّاتِ وَالغِطَاءِ
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الرَّشِيدُ * مَنْ سَارَ فِي مَنَهْجِ النَّجَاءِ
(٣)
بِاللَّهِ يَا قَوْمُ لَا تَزِيدُوا * فَإِنَّ آمَالَكُمْ هَبَاءُ

+
+ +

(٤)
مُضَارَبَاتٌ هِيَ الْمَنَايَا * وَرُسُلُهَا أَحْرَفُ الْبُرُوقِ
(٥)
صَبُوحٌ أَصْحَابُهَا الرِّزَايَا * وَمَا لَمْ دُونَهَا غُبُوقُ
قَدْ أَتَلَقْتُ أَنْفُسَ الْبَرَايَا * بِأَسْمِهِمُ الْغَدْرِ وَالْعُقُوقِ

+
+ +

هُبُوطُهَا الْمَوْتُ، وَالصُّعُودُ * ضَرْبٌ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْبَلَاءِ
وَمَا لَهَا عِنْدَهُمْ عُهُودُ * إِلَّا كَمَا تَعَاهَدُ النِّسَاءُ

- (١) شمّرت ثروة البلاد، أى استعدت للإسراع فى الذهاب والضياع .
(٢) الحشيات: الفرش المحشوة، الواحدة حشبة (فتح الحاء وتشديد الياء)، وهى المعروفة بالمرتبة .
(٣) الهباء: الغبار؛ أو هو الشئ المنبث فى ضوء الشمس يشبه الدخان .
(٤) يريد «بأحرف البروق»: الرسائل التفرافية .
(٥) الصبوح: ما يشرب فى الصباح . والغبوق: ما يشرب فى العشي .

+ +

(١) كم "بالة" سببت وبالا * وأشبهت لامع السراب

(٢) وبذرة أنبتت خبالا * وأثمرت عاجل الخراب

وكم غني أضاع مالا * وشاب في موقف الحساب

+ +

(٣) فليتعظ منكم البعيد * وليتق الله ذو الثراء

(٤) فذلك التاجر الشهيد * قد عاف من أجلها البقاء

(٥) زلزال مسينا

سنة ١٩٠٨ م

(٦) نبثاني إن كنتما تعلمان * ما دهي الكون أيها الفرقدان

(٧) غضب الله أم تمردت الأر * ض فأنتحت على بني الإنسان؟

ليس هذا سبحانه ربي ولا ذا * لك ولكن طبيعة الأكوان

(١) الباله : مقدار وزن معروف . (٢) الخبال : ذهاب العقل .

(٣) الثراء : الغنى . (٤) يشير بقوله : «التاجر الشهيد» الى أن بعض التجار كان قد انخرجن

ذهبت ثروته كلها في تلك المضاربات . وعاف الشيء : يمافه ويعيقه : كرهه وزهد فيه . (٥) مسينا :

بلد بجنوب إيطاليا معروف وقع فيه هذا الزلزال . (٦) الفرقدان : نجران معروفان .

(٧) أنتحت على بني الإنسان ، أى أقبلت عليهم بالعذاب . ويرويه بعض الأدباء : « فأختت » ،

أى أهلكتهم وأتت عليهم .

غَلِيَانٌ فِي الْأَرْضِ نَفْسَ عَنْهُ * ثَوْرَانٌ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرْكَانِ
 رَبِّ، أَيْنَ الْمَفْرُ وَالْبَحْرُ وَالْبَابُ * عَلَى الصَّكِّدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ؟
 كُنْتُ أَخَشَى الْبِحَارَ وَالْمَوْتَ فِيهَا * رَاصِدٌ غَفْلَةً مِنَ الرِّبَانِ^(٢)
 سَابِحٌ تَحْتَنَا، مُطِلٌّ عَلَيْنَا * حَائِمٌ حَوْلَنَا، مُنَاءٌ مُدَانِي^(٣)
 فَإِذَا الْأَرْضُ وَالْبِحَارُ مَسَوَاءٌ * فِي خَلَاقٍ كِلَاهُمَا غَادِرَانِ
 مَا (لِلسِّنِّ) عُوِجِلَتْ فِي صِبَاهَا * وَدَعَاهَا مِنَ الرَّدَى دَاعِيَانِ^(٤)
 وَحَمَّتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ مِنْهَا * حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا آيَاتِ
 خُسِفَتْ، ثُمَّ أُغْرِقَتْ، ثُمَّ بَادَتْ * قُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِي
 وَأَتَى أَمْرُهَا فَأَصْحَتْ كَأَنَّ لَمْ * تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةَ الْبُلْدَانِ^(٥)
 لَيْتَهَا أُمِهَلَتْ فَتَقْضَى حُقُوقًا * مِنْ وَدَاعِ اللَّدَاتِ وَالْجِيرَانِ
 لَمَحَّةٌ يَسْعَدُ الصَّدِيقَانِ فِيهَا * بِاجْتِمَاعِ وَيَلْتَقِي الْعَاشِقَانِ^(٦)
 بَفِي الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ عَلَيْهَا * وَطَنِي الْبَحْرُ أَيْمًا طُغْيَانِ^(٧)
 تَلَكُ تَغْلِي حَقْدًا عَلَيْهَا فَتَنْشَقُ * أَنْشِقَاقًا مِنْ كَثْرَةِ الْغَلِيَانِ

(١) نفس عنه: خفف . (٢) الربان: رئيس السفينة . (٣) الخلاق: الحظ والنصيب
 من الخير والصلاح . بقول في هذه الآيات الثلاثة: إنه كان لا يخشى إلا غائلة البحر، ويأمن جانب البر
 فإذا بهما في التدرسوا . (٤) يريد « بالآيتين »: زوال الأرض؛ وفيضان البحر .
 (٥) اللدات: الأتراب، الواحدة لدة (بكسر اللام وتخفيف الدال) . والمراد نظائرهما من البلاد .
 (٦) بغي عليه: ظله . (٧) تلك، أي الأرض .

- (١) فُتِجِبُ الْجِبَالُ رَجْمًا وَقَذْفًا * بُسُوطٍ مِنْ مَارِجٍ وَدُخَانٍ
 (٢) وَتُسُوقُ الْبِحَارُ رَدًّا عَلَيْهَا * جَيْشٍ مَوْجٍ نَائِي الْجَنَاحِينَ دَائِي
 (٣) فُهِنَا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوًّا * وَهِنَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ قَانِي
 (٤) جَنَدَ الْمَاءِ وَالثَّرَى لِهَلَاكِهِ * خَلَقِي ثُمَّ اسْتَعَانَ بِالنَّيِّرَانِ
 (٥) وَدَعَا السُّحْبَ عَاتِيًا فَأَمَدَّهُ * هُجَيْشٍ مِنَ الصَّوَاعِقِ ثَانِي
 (٦) فَاسْتَحَالَ النَّجَاءُ وَأَسْتَحْكَمَ الْيَأَى * سُوحَارَتْ عَزَائِمُ الشُّجْعَانِ
 (٧) وَشَفَى الْمَوْتُ غَلَّهُ مِنْ نُفُوسٍ * لَا تُبَالِيهِ فِي مَجَالِ الطَّعَانِ
 (٨) أَيْنَ (رِدْجُو) وَأَيْنَ مَا كَانَ فِيهَا * مِنْ مَغَانٍ مَاهُولَةٍ وَغَوَانِي
 (٩) عُوَجِلَتْ مِثْلَ أُخْتِهَا وَدَهَاها * مَا دَهَاها مِنْ ذَلِكَ الثَّورَانِ
 (١٠) رَبُّ طِفْلِ قَدْ سَاخَ فِي بَاطِنِ الْأَرَى * ضِئْضِئِي : أُمِّي ، أَبِي ، أَدْرِكَانِي

- (١) الشواط : لهب لادخان فيه . والمارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .
 (٢) نائي الجناحين ، أى بعيد ما بين الجناحين . والدائي : القريب . يريد أن الموج يتسع مرة
 ويضيق أخرى . (٣) الجون : الشديد السواد . والقاني والقاني : الشديد الحمرة . والعرب تطلق
 الموت الأسود على الموت خفياً ، والموت الأحمر على الموت قتالاً لما يحدثه القتل من سيلان الدم -
 (٤) الضمير في «جند» و«استعان» : للموت . (٥) عاتياً : معتدياً ظالماً .
 (٦) خارت : ضعفت . (٧) الغل : الحقد والموجدة .
 (٨) رديجو كالبريا : ولاية في إيطاليا ، وهى القصوى من جهة الجنوب ، متاخمة للبحر الأيونى وبوظار
 مسينا ، وقد هدمها ما اتناها من الزلازل . والى هذا يشير الشاعر . والمغانى : المنازل التى غنى بها أهلها
 أى سكنوا وأقاموا ، الواحد مغنى (بفتح الميم والنون وسكون النين) . والغوانى : النساء غنن بجمالهن
 وحسنهن عن الزينة . (٩) أختها ، أى مسينا . (١٠) ساخ : غاص .

(١) وَقِيَاءَ هَيْفَاءَ تُسَوِي عَلَى الْجَمْدِ * بِرِ تُعَانِي مِنْ حَرِّهِ مَا تُعَانِي
 وَأَبِي ذَاهِلٍ ، إِلَى النَّارِ يَمْشِي * مُسْتَمِيئًا تَمْتَدُّ مِنْهُ أَيْدَانِ
 (٢) بَاحِثًا عَنِ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ * مُسْرِعَ الْخَطْوِ مُسْتَطِيرَ الْجَنَانِ
 (٣) تَأْكُلُ النَّارُ مِنْهُ لَا هُوَ نَاجٍ * مِنْ لَظَاهَا وَلَا اللَّظَى عَنْهُ وَإِنِّي
 (٤) غَضَبَتِ الْأَرْضُ أَنْتَحِمَ الْبَحْرُ مِمَّا * طَوِيَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ
 وَشَكَا الْحَوْتُ لِلنُّسُورِ شَكَاةً * رَدَدَتْهَا النَّسُورُ لِلحَيْثَانِ
 (٥) أَسْرَفًا فِي الْجُسُومِ تَقْرًا وَنَهْشًا * ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِظَّةٍ يَشْكُوَانِ
 (٦) لَا رَعَى اللَّهُ سَاكِنَ الْقِمَمِ الشُّمِّ * وَلَا حَاطَ سَاكِنَ الْقِيَعَانِ
 (٧) قَدْ أَغَارَا عَلَى أَكْفٍ بَرَاهَا * بَارِئُ الْكَاثِبَاتِ لِلْإِثْقَانِ
 (٨) كَيْفَ لَمْ يَرْحَمَا أَنَا مِلْهَا الْغُدْرُ * وَلَمْ يَرْفُقَا بِتِلْكَ الْبَنَانِ
 (٩) لَهْفٌ نَقِيٌّ وَأَلْفٌ لَهْفٍ عَلَيْهَا * مِنْ أَكْفٍ كَانَتْ صَنَاعَ الزَّمَانِ

(١) الهيفاء: الضامرة البطن، الرقيقة الخصر. (٢) مستطير الجنان، أي ذاهب القلب

جزوا وإشفاقا. (٣) اللظى: حزالنار واشتعالها.

(٤) غصت، أي امتلأت. وأنحمت: امتلا جوفه، من التخم، وهي الامتلاء من الطعام.

(٥) الكظفة: البطة وما يعترى الإنسان من الامتلاء من الطعام. (٦) ساكن القمم: يريد

النسر، لأنه يسكن أعلى الجبال. والشم: العالية المرتفعة، الواحدة شماء. وحاط: حفظ ووقى.

ويريد «ساكن القيعان»: ما يسكن قيعان البحر من الحيتان، كما يدل على ذلك ما سبق. (٧) براهها:

خلقها. ويريد أكف أصحاب الفنون. (٨) البنان: الأصابع، الواحدة بنانة. (٩) الصناعات:

الحاذاة الماهرة في العمل.

(١) مُولَعَاتٍ بِصَيْدٍ كُلِّ جَمِيلٍ * نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ الْأَلْوَانِ
 حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ * شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبُنْيَانِ
 (٢) مُنْطِقَاتٍ لِسَانٍ كُلِّ جَمَادٍ * مُفْجِحَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَفْنَانِ
 مُلْهَمَاتٍ مِنْ دِقَّةِ الصَّنْعِ مَالَا * يُلْهِمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي
 (٣) مِنْ تَمَائِيلَ كَالنُّجُومِ الدَّرَارِي * يَهْرَمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي عُنُقِ الْوَانِ
 (٤) عَجَبٌ صُنْعُهَا وَأَعْجَبٌ مِنْهُ * صُنْعُهُ تِلْكَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ
 (٥) إِلَيْهِ « مَسِينٌ » آتِيهِ الْيَوْمَ « بُمَيْيٍ » * « سَى » فَقَدْ أَوْحَشَتْ بِذَلِكَ الْمَكَانِ
 آتِيهِ الدَّرَّةُ الَّتِي كَانَتْ الْحِدِّ * بِيَّةٌ فِي تَاجِ دَوْلَةِ (الرُّومَانِ)
 (٦) غَالَهَا قَبْلَكَ الزَّمَانُ أَغْتِيَالًا * وَهِيَ تَلْهُو فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ

- (١) الحبائل : الأشرار . ويريد بقوله : « ناصبات حبائل الألوان » أن هذه الصور تصيد القلوب والأبصار بما فيها من دقة وإتقان . ويجكى أن رقائيل المصور المعروف صور مرة عقودا من العنب على حائط فخدع بها بعض الطيور، فال إليه ينقر حبه .
- (٢) سواجع الأفنان : الجمائم التي تسجع ، أى تقرد . والأفنان : الأغصان ، الواحد قنز (بالتحريك) . ويشير بالشرط الأول الى ما تصنعه هذه الأيدي من التماثيل التي تقرب من الحقيقة حتى تكاد تنطق ؛ وبالشرط الثانى إلى أيدي الموسيقين البارعين .
- (٣) الدراري (بتشديد الياء ، وخفف للشعر) : جمع درى ، وهو الكوكب المتوقد المتلألئ الصافى الشعاع . وعنقوان الشباب : أوله وريبانه . (٤) صنعه ، أى صنع الله تعالى . يقول : إن هذه التماثيل مهما بولغ في إتقانها ودقتها فهى لا تبلغ صنع الله الذى أقرن كل شئ .
- (٥) بمبي : مدينة قديمة من إيطاليا الجنوبية تبعد اثني عشر ميلا عن نابلى الى الجنوب الشرقى وموقعها بجوار جبل فيزوف ؛ وقد حدث فيها زلزلتان تترتا فيما منها فى سنة ٦٣ م وكان بين هاتين الزلزلتين فترة أشهر ، ثم خربت بالمواد المتقدة فى ٢٤ آب سنة ٧٩ ، وبقيت هذه المدينة مدة سبعة عشر قرنا بعد ذلك مطمورة ، طامة الذكر ، حتى استكشفت أخيرا . (٦) غالها : أهلكها .

(١)
 جَاءَهَا الْأَمْرُ وَالسَّرَاةُ عَكُوفٌ * فِي الْمَلَاهِي عَلَى غِنَاءِ الْقِيَانِ
 (٢)
 يَنْ صَبَّ مُدَلَّهُ وَطَرُوبٍ * وَخَلِيحٍ فِي اللَّهْوِ مُرْتَحِي الْعِنَانِ
 فَانظُرُوا كَانِطُوا إِهْلِكَ بِالْأَمْرِ * سِيسِ وَزَالَتْ بَشَاشَةُ الْعُمَرَانِ
 (٣)
 أَنْتِ (مَسِينٍ) لَنْ تَزُولِي كَمَا زَا * لَتَّ وَلَكِنْ أَمْسَيْتِ رَهْنَ الْأَوَانِ
 إِنَّ إِيطَالِيَا بَنُوهَا بُنَاةً * فَاطْمِنِّي مَا دَامَ فِي الْحَى بَانِي
 فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَوَلَّيْ * تِ بِمَا فِيكَ مِنْ مَغَانٍ حِسَانِ
 وَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَعُودِي * مِنْ كَمَا كُنْتِ جَنَّةَ الطُّلْبَانِ
 وَسَلَامٌ مِنْ كَلِّ حَى عَلَى الْأَرِّ * ضِ عَلَى كَلِّ هَالِكٍ فِيكَ فَانِي
 (٤)
 وَسَلَامٌ عَلَى الْأَلَى أَكَلِ الدُّدِّ * بُ وَنَاشَتْ جَوَارِحُ الْعِقْبَانِ
 (٥)
 وَسَلَامٌ عَلَى أَمْرِي جَادَ بِالذَّمِّ * عِجِ وَتَنَّى بِالْأَصْفَرِ الرَّنَانِ
 ذَاكَ حَقُّ الْإِنْسَانِ عِنْدَ بَنِي الْإِنْدِ * سَانِ لَمْ أَدْعُكُمْ إِلَى إِحْسَانِ
 فَانْكُتُبُوا فِي سَمَاءِ (رِدْجُو) وَ(مَسِي) * وَ(كَالْبَرِيَا) بِكَلِّ لِسَانِ
 (٦)
 هَاهُنَا مَصْرَعُ الصَّنَاعَةِ وَالتَّصَدُّ * يِرِ وَالْحِدْقِ وَالْحِجَا وَالْأَغَانِي

(١) يريد «بالامر»: الحلاك والفتاء . والسراة : جمع سري (يفتح السين وتشديد الياء)، وهو الرفع القدر من الناس . والقيان : المغنيات ، الواحدة قية . (٢) المدله : الذاهب العقل من عشق ونحوه . والخليح : المتهتك . ومرنح العنان : الممدود له في حبل الشهوات . (٣) يريد بقوله : «أمسيت رهن الأوان» : أنه سيأتي الوقت الذي يجدد الشعب فيه عمارتك ، ويعيد ما هدمته الزلازل من مغانيك فتصبحين كما كنت ، كما يدل عليه البيت الذي بعده . (٤) ناشت : نهشت . (٥) الأصفر الرنان : الذهب ؛ يريد ما يتبرع به المتبرعون في عمارة هذا البلد . (٦) الحجا : العقل .

براعة غناء

قالها في جاك رومانو المغنى الإسرائيلي المعروف

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م]

إِرْحَمُونَا نَبِيَّ الْيَهُودِ كَفَانُكُمْ * مَا جَمَعْتُمْ بِجِدْقِكُمْ مِنْ قُودٍ^(١)
 وَأَصْفَحُوا عَنَّا عُقُولِنَا وَدَعُوا الْخَلْدَ * تَقَى بِسِرِّ التَّوْرَةِ وَالتَّسْوُدِ^(٢)
 لَا تَزِيدُوا عَلَي الصُّكُوكِ فِخَاخًا * مِنْ غِنَاءٍ مَا يَبِينُ دَفَّ وَعُودِ^(٣)
 وَيَحْكُمُ إِنَّ (جَاكَ) أَسْرَفَ حَتَّى * زَادَ فِي قَوْمِهِ عَلَي (دَاوُدِ)^(٤)
 أَسْكُتُوهُ لَا أَسْكَتَ اللَّهُ ذَاكَ الْصَّوْتِ صَوْتِ الْمُتَيْمِّمِ الْفَرِيدِ^(٥)
 أَوْ دَعُوهُ، فِدَاؤُهُ إِنِّي تَغْنَى * كُلُّ نَفْسٍ وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ

وقال فيه أيضا :

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م]

يَا (جَاكَ) إِنَّكَ فِي زَمَانِكَ وَاحِدٌ * وَلِكُلِّ عَضْرِ وَاحِدٌ لَا يُلْحَقُ
 إِذَا الْآلَى قَدْ طَاصَرُوكَ وَفَاتَهُمْ * أَنْ يَسْمَعُوكَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا

- (١) جاك رومانو : يهودى من أهالى الاسكندرية ، كان من رجال المال ، يعمل عملا رئيسيا في أحد المصارف ، وكان حسن المتأدبة والغناء ، ظريف الثمائل ، وكان صديقا حميما للرحوم عبده الحامولى .
 (٢) التلمود : سفر دينى لليهود نما في القرون الأربعة أرسلة من العهد المسيحى ، وصار مع التوراة كتاب اليهود المقدس .
 (٣) الصكوك : وثائق الديون التى اشتهر بها اليهود .
 (٤) خص داود عليه السلام لما اشتهر به من حسن الصوت ، ولما اشتهرت به من اميره من الترميمها وتريلها .
 (٥) الفريد : المعزود .

- (١) قد جاء (موسى) بالعصا وأتينا * بالعود يسدو في يدك وينطق
 فاذا ارتجت لنا الغناء فكلنا * مهج تسيل وأنفس تتحرق
 فطالب بإعادة ومطالب * بزيادة ومهل ومصفق
 تتسابق الأسماع صوبك كما * غنيها شوقا اليك وتعنى
 وتود أفيدة هتكت شغافها * لو أنها بذيوها تتعلق
 خلق كما شاء المجلس وشيمة * يذكوها صدر الندى ويعبق
 ومروءة لو أنها قد قسمت * بين اليهود لأحسنوا وتصدقوا

نادى الألعاب الرياضية

أنشدها في ليلة أحيائها نادى الألعاب الرياضية بالأوبرا السلطانية

[ليلة السبت ٨ أبريل سنة ١٩١٦ م]

- ينادى الجزيرة قف ساعة * وشاهد بربك ما قد حوى
 ترى جنة من جنان الربيع * تبدت مع الخلد في مستوي
 جمال الطبيعة في أقيها * تجلى على عرشه وأستوى

- (١) موسى ، هو نبي الله موسى بن عمران عليه السلام ؛ ومعجزته في عصاه مشهورة ورد ذكرها في القرآن .
 (٢) صوبك : جهتك . وتعنى : تسرع .
 (٣) بذيوها ، أى الأسماع . وشغاف القلب : غلافه . (٤) الندى : مجلس القوم .
 ويذكو ويعبق ، أى يطيب ويتعطر . (٥) تبدت : ظهرت .
 (٦) تجلى : ظهر . وأستوى ، أى استقر .

فَقُلْ لِلخَزِينِ وَقُلْ لِلعَلِيلِ * وَقُلْ لِلْمَلُولِ : هُنَاكَ الدَّوَا

(١)

وَقُلْ لِلأَدِيبِ : ابْتَدِرْ سَاحَهَا * إِذَا مَا البَيَانُ عَلَيْكَ اتَّسَوَى

(٢)

وَقُلْ لِلْمِكْبِ عَلَى دَرَسِهِ * إِذَا نَهَكَ الدَّرْسُ مِنْهُ القُوَى :

(٣)

تَسْمُ صَبَابَهَا تُجَدِّدُ قُوكَ * فَأَرْضُ الْجَزِيرَةِ لَا تُجْتَوَى

(٤)

فَفِيهَا شِفَاءٌ لِمَرْضَى الهمومِ * وَمَلَهَى كَرِيمٌ لِمَرْضَى آلِهَوَى

(٥)

وَفِيهَا وَفِي نِيْلِهَا سُؤْلَةٌ * لِكُلِّ غَرِيبٍ رَمْتَهُ النَّوَى

(٦)

وَفِيهَا غِذَاءٌ لِأَهْلِ العُقُولِ * إِذَا الرَّأْسُ إِثْرَ كَلَالٍ خَوَى

(٧)

وَيَا رَبَّ يَوْمٍ شَدِيدِ اللَّظَى * رَوَى عَنْ جَهَنَّمَ مَا قَد رَوَى

(٨)

بِهِ الرِّيحُ لِفَاحَةِ اللُّجُوهِ * بِهِ الشَّمْسُ نَزَاعَةَ الشُّوَى

(٩)

قَصَدْتُ الْجَزِيرَةَ أَبْغَى النِّجَاةِ * وَجِسْمِي شَوَاهُ اللَّظَى فَاشْتَوَى

(١٠)

فَأَلْقَيْتُ نَادِيَهَا زَاهِرًا * وَأَلْقَيْتُ ثُمَّ نَعِيًا نَوَى

(١١)

فَأَنْزَلَنِي مُنْزَلًا طَيِّبًا * وَرَوَى فَوَادِي حَتَّى آرْتَوَى

(١٢)

وَأَطْفًا وَإِرْفُ تِلْكَ الظَّلَالِ * سَعِيرَ الهَجِيرِ وَحَرَّ الجَوَى

(١) السَّاحُ : جَمْعُ سَاحَةٍ . وَالنَّوَى : صَعْبٌ وَأَمْتَعَى . (٢) الْمِكْبُ عَلَى دَرَسِهِ : الْمَقْبَلُ عَلَيْهِ

الْمُجْتَهِدُ فِيهِ . (٣) لَا تُجْتَوَى ، أَيْ لَا تُكْرَهُ الْإِقَامَةُ بِهَا . (٤) النَّوَى : الْبَعْدُ . (٥) الْكَلَالُ :

الْإِعْيَاءُ وَالتَّعَبُ . وَخَوَى : خَلَا . (٦) اللَّظَى : شِدَّةُ الْحَرِّ . (٧) لِفَاحَةِ اللُّجُوهِ : مَحْرَفَةٌ لَهَا مَغْفِرَةٌ

لِأَلْوَانِهَا . وَالشُّوَى : الْبِدَانُ وَالرَّجْلَانُ وَخُفُّ الرَّأْسِ . وَكُنِيَ بِقَوْلِهِ : « نَزَاعَةُ الشُّوَى » : عَنْ شِدَّةِ الْحَرِّ . يُشِيرُ

إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي وَصْفِ جَهَنَّمَ : (كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَاعَةَ لَشُّوَى) . (٨) نَوَى بِالْمَكَانِ : أَقَامَ بِهِ .

(٩) الْوَارِفُ مِنَ الظَّلَالِ : مَا اتَّسَعَ وَامْتَدَّ مِنْهَا . وَالهَجِيرُ : شِدَّةُ الْحَرِّ . وَالجَوَى : الْحَرُّ وَالْحَرَّةُ وَشِدَّةُ الْوَجْدِ .

- (١) وَحَلَّ الْأَصِيلُ عِقَالَ الشَّمَالِ * فَهَبَّتْ بَنَشِيرَ إِلَيْهَا أَنْضَوَى
 (٢) فَأَحْيَتْ بِنَفْسِي ذِكْرَى الشَّبَابِ * وَمَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ أَنْطَوَى
 (٣) وَعَاوَدَ قَلْبِي ذَاكَ الْخُفُوقِ * وَقَدْ كَانَ بَعْدَ الْمَشِيبِ أَرْعَوَى
 (٤) فَمَا بِالْ قَوْمِي لَا يَأْخُذُونَ * لِتِلْكَ الْجِنَانِ طَرِيقًا سَوَا
 (٥) وَمَا بِالْ قَوْمِي لَا يَتَزَلُّونَ * بَغَيْرِ (جُرْبِي) وَ(بَارِ اللُّوَا)
 (٦) تَرَاهُمْ عَلَى نَزْدِهِمْ عَكْفًا * يُبَادِرُ كُلُّ إِلَى مَا غَوَى
 (٧) وَلَوْ أَنْصَفُوا الْجِسْمَ لَأَسْتَظْهَرُوا * لَهُ بِالْمِرَانِ وَطِيبِ أَلْهَوَا



- فِي نَادِيَا ضَمَّ أَنْسَ النَّدِيمِ * وَهَوَّ الْكَرِيمِ وَقَيْتَ أَلْبَلِي
 (٨) لِيَا لَيْكَ أَنْسُ جَلَاهَا الصِّفَا * فَأَسْرَتْ إِلَيْكَ وَفُودُ الْمَلَا
 (٩) فَكَمْ لَيْلَةٍ طَابَ فِيكَ الْحَدِيثُ * فَكَانَ الْكُثُوسَ وَكَانَ الطَّلَا

- (١) الأصيل : وقت العشى . يقول : إن ريح الشمال انطلقت في هذا الوقت . والنشر : الرائحة الطيبة . وانضوى : انضم إليها وامتزج بها . (٢) الضمير في « منها » للذكرى ؛ وفي « منه » للشباب . (٣) ارعوى عن الأمر : رجع عنه وكف . (٤) طريقا سوا (بفتح السين والقصر) ، أى سوا (بالمدة) بمعنى المستوى الذى لا عوج فيه . (٥) جربى ، وبار اللوا : مقهيان معروفان في القاهرة يقصد إليهما خاصة الناس . (٦) الـ د ، هو اللعبة المعروفة بالطاولة . (٧) استظهروا ، أى استعانوا . و « له » أى لأجله . والذى وجدناه في كتب النسخة مرن الجسم مرونا ومرانة لا مرانا كما استعمله الشاعر متابعة لما شاع في كلام أهل العصر . (٨) الإسمراء والمرى : السير بالليل . (٩) الطلاء (بالمدة) وقصر للضرورة) : الخمر؛ شبه به طيب الحديث .

(١) فَمِنْ مُشْجِيَاتٍ إِلَى مُطْرِبَاتٍ * إِلَى مُضْحِكَاتٍ تُسَلِّي ، إِلَى ...
 وَقَدْ زَانَ لَهْوَكَ ثُوبُ الْوَقَارِ * فَلَهْوِكَ فِي كُلِّ ذَوْقٍ حَلَا
 تَنْخَفُ إِلَيْهِ رِزَانُ الْجَمَا * وَتَمْشِي إِلَيْهِ السَّرَاةُ الْأَلَى (٢)
 فَقُلْ لِلذِّي بَاتَ تَحْتَ الْعُقُودِ * بِحَرْبٍ عَلَى نَفْسِهِ مُبْتَلَى (٣)
 أَتَلِكِ الْأَمَاكِنُ لَا تُسْتَرَادُ * أَتَلِكِ الْمَنَاطِرُ لَا تُجْتَلَى (٤)؟
 أَتَحْتَ السَّمَاءِ وَبَدْرِ السَّمَاءِ * وَبَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْخَلَا
 يَمَلُّ الْجُلُوسُ وَيَفْنَى الْحَدِيثُ * فَهَذَا النَّعِيمُ وَإِلَّا فَلَا؟
 سَأَلْتُ الْأَلَى يَقْدِرُونَ الْحَيَاةَ * أَلَمْ تَفْتَنِّيكُمْ؟ فَقَالُوا : بَلَى
 مَكَانٌ لَعَمْرُكَ مَا حَلَّ فِي * نَوَاحِيهِ ذُو الْحُزْنِ إِلَّا سَلَا
 فَمَا أَنْتَ فِي مِصْرَ إِنْ لَمْ تَطْرُقْ * إِلَيْهِ فَتَشْهَدَ تَلِكِ الْخُلَى
 لَهُ مَلْعَبٌ فِيهِ مَا يَسْتَهِي * مُحِبُّ الرِّيَاضَةِ مَهْمَا غَلَا
 لِكُلِّ فَرِيْقٍ بِهِ لُعبَةٌ * تُلَاقِمُ مِنْ سِنِّهِ مَا خَلَا (٥)
 وَلِعبٌ هُوَ الْجَدُّ لَوْ أَنْنَا * نَظَرْنَا إِلَيْهِ بَعَيْنِ النَّهْيِ

(١) إلى ، أى إلى غير ذلك من أنواع اللهو . (٢) الرزان : جمع رزين ، يريد العقول الراجحة . وتنفخ له ، أى إلى ما فى هذا النادى من لهو ومنتاع . وسراة القوم : ذور الأقدار الرفيعة ، الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الياء) . والألى ، أى الذين بلغوا من الرفعة وعلو المنزلة مبلغا عظيما ؛ فحذف الشاعر الصلة للعلم بها . (٣) العقود : نوع من الأبنية معروف فى مصر ؛ ومنه ما يسمى بالبواكى ؛ وكان بعض أصحاب المقاهى يتخذون تحتها مقاعد للناس . (٤) تستراد : تبغى وتطلب . (٥) ماخلا ، أى ماضى من عمره .

لَدَى غَيْرِ (مَصْرَ) لَهُ حُظْوَةٌ * فَمِ رَاحَ يَلْهُو بِهِ مَنْ لَهَا
وَفِي أَرْضِ (يُونَانَ) شَاهَدْتُهُ * فَأَيُّ جَمَالٍ إِلَيْهِ أَتَيْتُ
وَشَاهَدْتُ مُوسِمَهُ قَدْ حَوَتْ * تَوَاجِيهِ غَايَةً مَا يُسْتَهَى
وَمَاجَ بَزْوَارِهِ الْمُؤَلَعِينَ * وَأَضْحَى بَعْرِشَ الْمُلُوكِ أَزْدَهَى (١)
وَقَدْ زَادَ الْعَابَةَ بَهْجَةً * مَكَانٌ فَسِيحٌ مَعْدُهُمَا (٢)
صِرَاعٌ وَعَدُوٌّ بَعِيدٌ الْمَدَى * وَوَثْبٌ يَكَادُ يَنَالُ الشُّهَى (٣)
وَشَاهَدْتُ عَدَاءَهُمْ قَدْ عَدَا * ثَلَاثِينَ مِيلاً وَمَا إِنِّ وَهَى (٤)
وَقَامَتْ مُلَاكَةٌ الْأَلْعِينَ * فَأَنْسَتْ تَتَاطَحَ وَحِشَ الْمَهَى (٥)
بَأَوْحَى مِنَ اللَّحْمِ كَانَ النَّزَالُ * فَيَاوِيلَ مَنْ مِنْهُمَا قَدْ سَهَى (٦)
وَلَوْ رَحَتْ أَنْعَتُ تِلْكَ الضُّرُوبُ * لَضَاقَ الْقَرِيضُ وَأَعْيَا يَهَا
عَلَى أَنْتِ فِي أَفْقِنَا نَهْضَةً * سَتَبْلُغُ رَغَمَ الْقَعُودِ الْمَدَى (٧)
وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بَلَّغْتِ أَوْجَهَا * كَذَا كُلُّ شَيْءٍ إِذَا مَا أَبْتَدَا (٨)
وَنَادَى الرِّيَاضَةَ أَوْلَى بَأَنْتِ * يَكُونُ عَلَيْهَا مَنَارَ الْهُدَى

(١) ازدهى : افتخر وأختال .

(٢) العدو : الجرى . والسها : كوكب خفي لشدة بعده . (٣) عدا : جرى . وهى : ضعف .

(٤) المها : بقر الوحش ، الواحدة مهاة . (٥) أوحى من اللحم ، أى أسرع منه . والوحى :

(بالألف المقصورة ، والوحاء بالمد) : السرعة . ومنها ، أى من المتلاكين .

(٦) الضروب : أنواع اللعب . (٧) أوجها ، أى غاية ما تسمو إليه .

(٨) عليها ، أى على تلك النهضة السابق ذكرها .

(١) أَظَلَّتْ جَلَائِلَ أَعْمَالِهِ * ظِلَالُ حَلِيفِ النَّدَى
(٢) مَلِيكَ رَعَاهُ بِإِقْبَالِهِ * وَحُسْنِ عِنَايَتِهِ وَالْجَدَا
فِي عَهْدِهِ فَلْيَجِدْ الْمَجْدَ * فَإِنَّ السُّعُودَ بِهِ قَدْ بَدَا

رحلته إلى إيطاليا

[نشرت في نوفمبر سنة ١٩٢٣ م]

(٣) عَاصِفٌ يَرْتَمِي وَبِحَجْرٍ يَغِيرُ * أَنَا بِاللَّهِ مِنْهُمَا مُسْتَجِيرُ
(٤) وَكَأَنَّ الْأَمْوَاجَ، وَهِيَ تَوَالِي * مُحْتَقَاتٍ، أَشْجَانُ نَفْسٍ تُشَوِّرُ
(٥) أَزْبَدَتْ، ثُمَّ جَرَجَتْ، ثُمَّ تَارَتْ * ثُمَّ فَارَتْ كَمَا تَفُورُ الْقُدُورُ
(٦) ثُمَّ أَوْفَتْ مِثْلَ الْجِبَالِ عَلَى الْفُؤْدِ * لِيكَ وَالْفُلُوكِ عَزْمَةٌ لَا تُحَوِّرُ
(٧) تَتَرَامَى بِجُؤْجُؤٍ لَا يُبَالِي * أَمِيَاهُ تُحَوِّطُهُ أَمْ صُخُورُ؟
أَزْعَجَ الْبَحْرُ جَانِبَيْهَا مِنَ الشَّدِّ * فَجَنْبٌ يَعْلُو وَجَنْبٌ يَغُورُ
(٨) وَهُوَ أَنَا يَنْحَطُّ مِنْ عُلُوِّ كَالسِّيِّ * بَلِ وَأَنَا يَحُوطُهَا مِنْهُ سُورُ

- (١) يريد المغفور له السلطان حسين كامل . والندى : الجود . (٢) الجدا : العطاء .
(٣) يرتمي : يشتد في هوبه . (٤) توالي ، أى تتوالى . ومحقتات : غاضبات . وتشور :
تهيج . (٥) أزبدت : قذفت بالزبد (بالتحريك) ، وهو الرغوة التي تعلو الماء عند فورانه .
وجرجرت : صوتت . (٦) أوفى عليه : أشرف . وتحور : تضمف . (٧) ترامى ، أى
الفلك ؛ وهو يذكر ويؤنث . ويجؤجؤ السفينة : صدرها . (٨) ضمير وهو ، والهاء ، فى قوله :
« منه » البحر . ومن علو (مثلث الواو) ، أى من أعلى .

(١) وهى تزور كالجواد إذا ما * ساقه للطعان نذب جصور
 (٢) وعليها نفوسنا خائرات * جازعات كادت شعاعاً تطير
 (٣) فى شأيا الأمواج والزبد المذ * دوف لاحت أكفاننا والقبور
 مر يوم وبعض يوم علينا * والمنايا إلى النفوس تشير
 (٤) ثم طافت عناية الله بالقد * ك فزالت عن ثقل الشرور
 ملكت دفة النجاة يد الله * ف سبحان من إليه المصير
 (٥) أمر البحر فاستكان وأمسى * منه ذاك العباب وهو حصير
 أيها البحر لا يغرنك حول * وأتسع وأنت خلق كبير
 (٦) إنما أنت ذرة قد حوتها * ذرة فى فضاء ربى تدور
 إنما أنت قطرة فى إناء * ليس يدري مداه إلا القدير
 (٧) إليه (اسبيرياً) فدتك الجوارى * منشآت كأنهن القصور
 يا عروس البحار إنك أهل * أن تحليك بالجمان البحور
 (٨) فالبسى اليوم من ثأنى عقدا * تشبهه من الحسان النحور
 (٩) (١٠)

(١) تزور: تحرف وتميل. والنذب: الماضى الخفيف فى الحاجة. (٢) طارت نفسه شعاعاً، أى ذهبت مشرقة من خوف أو نحوه. (٣) يقال: نذب القطن يندفه، وذلك إذا ضربه بالمدف ليرق. وشبه الشاعر زبد البحر بالقطن المنذوف. (٤) ثقل: تحمل. (٥) استكان: سكن وخضع. والعباب: الموج. وهو حصير، أى مستوى السطح كالحصير. (٦) الحول: القوة. (٧) أى إن البحر ذرة من الكرة الأرضية التى هى ذرة فى الفضاء. (٨) مداه، أى مدى الإناء. ويريد «بالإناء» الكون. (٩) اسبيرياً: اسم البانحة التى أقلت الشاعر الى إيطاليا. والجوارى: السفن، الواحدة جارية. (١٠) الجمان: اللؤلؤ، الواحدة جمانة. وخص الجمان لأنه مما تحويه البحار فى أجوافها.



(١) إِيهِ إِيْطَالِيَا عَدَّتْكَ الْعَوَادِي * وَتَنَحَّى عَنِ سَاكِنِيكَ الثُّبُورُ
فِيكَ يَا مَهِيْطَ الْجَمَالِ فُنُونُ * لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْجَمَالِ قُصُورُ
وَدُمِّي بَجَمْعِ الْحَاسِنِ فِيهَا * صَنَعُ الْكَفِّ عِبْقَرِي شَهِيْرُ
قَدْ أُقِيْمَتَ مِنَ الْجَمَادِ وَلَكِنْ * مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ فِيهَا سَطُورُ
فَهِيَ تَبْدُو مِنَ الْمَلَائِكِ يَكْسُو * هَا جَمَالٌ عَلَى حِفَافِيهِ نُورُ
أَمِرْتُ بِالسُّكُوتِ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ * بَدُنِيَا فِيهَا الْأَحَادِيثُ زُورُ
أَرْضُهُمْ جَنَّةٌ وَحُورٌ وَوِلْدَانُ * نُنْ كَمَا تَشْتَهِي وَمَلِكٌ كَبِيْرُ
تَحْتَهَا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - نَارُ * وَعَذَابٌ وَمُنْكَرٌ وَنِكِيْرُ
إِنَّ يَوْمًا كَيَوْمِ (رِدْجُو) وَ(مِسِيْدِ) * وَ(نَا) وَ(كَالْبِرْيَا) لَيَوْمِ عَسِيْرِ
سَاعَةٌ مِنْهُ تَهْلِكُ الْحَرثُ وَالنَّسْ * لَ وَتَمْحُو مَا سَطَّرَتْهُ الدُّهُورُ
ذَاكَ (فِيْرُوفِ) قَائِمًا يَتَلَطَّى * قَدْ تَعَالَى شَهِيْقُهُ وَالزَّفِيْرُ

- (١) عدتك العوادي : جاوزتك النوايب وتخطتك . والثبور : الهلاك .
(٢) يريد « بالدمى » : التماثيل ، الواحدة دمية . وصنع الكف (بالتحريك) : حاذق بصنعه .
ويشير بهذا البيت وما بعده الى ما اشتهر به الإيطاليون من صنع التماثيل التي تنطق بمهارة صناعتها وحذقهم .
(٣) على حفافيه : على جانبيه . (٤) منكر ونكير : ملكان قيل لهما بفتان الميت
في قبره ؛ وهما مثلان في الفزع والرعب . ويشير بهذا البيت الى ما خصت به طبيعة بلادهم من وجود
البراكين وكثرة الزلازل بها . (٥) يريد بيوم ريدجو وميسينا : يوم الزلزال الذي وقع في هذين
البلدين انظر القصيدة السابقة في زلزال ميسينا . (٦) الحرث : الزرع . (٧) فيروف :
بركان بايطاليا معروف .

(١) يُنذِرُ الْقَوْمَ بِالرَّحِيلِ وَلَكِنْ * لَيْسَ يُغْنِي مَعَ الْقَضَاءِ النَّذِيرُ
 وَكَذَلِكَ الْأَوْطَانُ مَهْمَا تَجَنَّتْ * لَيْسَ لِلْحُرِّ عَنِّ جَاهَا مَسِيرُ
 تَمْسَهُمْ غَادَةً عَلَيْهَا حِجَابٌ * فِيهِ شَرْقِيَّةٌ حَوَّثَهَا الْخُدُورُ
 تَمْسَنَا غَادَةً أَبَتْ أَنْ تَوَارَى * فِيهِ غَرْبِيَّةٌ جَلَّاهَا السُّفُورُ
 جَوْهَهُمْ فِي تَقَلُّبٍ وَأَخْتِلَافٍ * غَيْرَ أَنَّ الثَّبَاتَ فِيهِمْ وَفِيرُ
 جَوْنَا أَثْبَتَ الْجَوَاءِ وَلَكِنْ * لَيْسَ فِينَا عَلَى الثَّبَاتِ صَبُورُ
 وَلَدَيْهِمْ مِنَ الْفُنُونِ لُبَابٌ * وَلَدَيْنَا مِنَ الْفُنُونِ قُشُورُ
 أَنْكَرَ الْوَقْفَ شَرَعَهُمْ فَلِهَذَا * كُلُّ رَيْحٍ بَارِضِهِمْ مَعْمُورُ
 لَيْسَ فِيهَا مُسْتَنْقَعٌ أَوْ جِدَارٌ * قَدْ تَدَاعَى أَوْ مَسْكَنٌ مَهْجُورُ
 كُلُّ شِبْرٍ فِيهَا عَلَيْهِ بِنَاءٌ * مُشْمَخِرٌ أَوْ رَوْضَةٌ أَوْ غَدِيرُ
 قَسَمُوا الْوَقْتَ بَيْنَ لَهْوٍ وَجِدٍّ * فِي مَدَى الْيَوْمِ قِسْمَةٌ لَا تَجُورُ
 كُلُّهُمْ كَادِحٌ بِكُورٍ إِلَى الرِّزِّ * قِيَّ وَلَايِهِ إِذَا دَعَاهُ السُّرُورُ

- (١) أى إن فيزوف بما يتصلد منه من دخان دائم كأنه نذير القوم بالرحيل عن جواره واختيار مكان آخر يقيمون به ، ولكن إذا حم القضاء فلا تغنى النذر . (٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة . وشرقية ، أى امرأة شرقية ؛ ويشير إلى ما يحجب الشمس في بلادهم من الضباب والغيمة . (٣) غربية ، أى امرأة غربية . ويشير إلى صحو الحق وصفاته من الغيم في بلاد الشرق . (٤) الجواء : جمع جو . (٥) يشير إلى ما يلحق منازل الأرقاف في مصر من التخريب والدمار لقلّة العناية بها . وكان للشاعر كلمة مأثورة في هذا ، وهى : « بيوت الوقف كالجدري في وجه المدينة » . (٦) تداعى : تهتم . (٧) مشمخر : مرتفع . (٨) الكادح : الساعى المحمّد في طلب الرزق . والبكور (فتح الباء) : المبكر .

لَا تَرَى فِي الصَّبَاحِ لَا عِبَ نَزْدٍ * حَوْلَهُ لِلرَّهَانِ جَمٌ غَفِيرٌ
 لَا وَلَا بَاهِلًا سَلِيمَ النَّوَاحِي * لِلْقَهَاوِي رَوَاحِدَ وَالْبُكُورِ^(١)
 لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَلَاهِي * أَوْشُرُونَ الْحَيَاةَ جَوْ مَطِيرٌ^(٢)
 لَا يُيَاوُونَ بِالطَّيْبَةِ حَنْتٌ * أُمُ تَجَنَّتْ أُمُ أَحْتَوَاهَا النُّعُورُ^(٣)
 عَصَفَتْ فَوْقَهُمْ رِيَّاحٌ عَوَاتٍ * أُمُ أَجَازَتْ بِهِمْ صَبَابًا أُمُ دُبُورِ^(٤)
 قَدِ اعْتَدُوا لِحَادِثَاتِ اللَّيَالِي * عُدَّةٌ لَا يَحُوزُهَا التَّقْدِيرُ
 نَضَرُوا الصَّخْرَ فِي رُءُوسِ الرُّوَامِي * وَلَدَيْنَا فِي مَوْطِنِ الْخِصْبِ بُورِ^(٥)
 قَدِ وَقَفْنَا عِنْدَ الْقَدِيمِ وَسَارُوا * حَيْثُ تَسِيرِي إِلَى الْكَمَالِ الْبُدُورُ
 وَالْجَوَارِي فِي النَّيْلِ مِنْ عَهْدِ (نُوحٍ) * لَمْ يُقَدَّرْ لُصْنِعِهَا تَغْيِيرُ
 وَلَعَ الْقَوْمُ بِالنِّظَافَةِ حَتَّى * جُنَّ فِيهَا غَنِيَهُمْ وَالْفَقِيرُ

- (١) الباهل : المتردد بلا عمل . وسليم النواحي ، أى صحيح الجسم ليس به عادة تمنعه العمل .
 وإطلاق «القهوة» على المكان الذى تشرب فيه : مجاز ، كإطلاق النار على جهنم .
- (٢) يريد بهذا البيت أن الأمطار فى تلك البلاد مهما غزرت فلن تعوق السائرين عن مقاصدهم
 لما لديهم من الوسائل التى تجعل ذلك من الأمور المألوفة . ويشير الشاعر إلى المقارنة بين ما لديهم من تلك
 الوسائل وما لدينا . (٣) النور : الريح التى تفاجئك بمرأت فى برد ، أو يبرد وأنت فى حر .
- (٤) العواتى من الرياح : الشديدة العصف ، التى جاوزت حد هبوبها . وأجازت بهم ، أى مرت
 بهم . وفى كتب اللغة أن أجاز وجاز ، كلاهما بمعنى جاوز . ومنه حديث المسعى : «لا تجيزوا البطحاء
 إلا شدا» أى لا تجوزوا . والصبا : ريح الشمال ، وتقابلها الدبور ، وهى ريح الجنوب .
- (٥) يشير بهذا البيت إلى ما امتازت به أم الغرب من دؤوب على العمل وعلم جم حتى إنهم جعلوا
 الصخر فى رموس الجبال التى لاتنت شيئا نضرة بما غرسوا فيها من ألوان النبات ، عكس ما لدينا من كسل
 وتواكل جملا أرضنا الخصبه مقفرة من الزرع .

فَاذَا سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ نَهَارًا * خِلْتُ أَنِّي عَلَى الْمَرَايَا أَسِيرُ
 أَقْرَطُ الْقَوْمَ فِي النَّظَامِ وَعِنْدِي * أَنْ فَرَطَ النَّظَامِ أَسْرَ وَنِيرُ^(١)
 وَلَدَيْدُ الْحَيَاةِ مَا كَانَ فَوْضَى * لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرٌ أَوْ أَمِيرُ
 فَإِذَا مَا سَأَلْتَنِي قُلْتُ عَنْهُمْ * أُمَّةٌ حُرَّةٌ وَفَرْدٌ أَسِيرُ^(٢)
 ذَاكَ رَأَيْ وَهَلْ أَشَارَكَ فِيهِ * إِنَّهُ قَوْلُ شَاعِرٍ لَا يَضِيرُ
 فِي جِبَالِ التِّيْرُولِ إِنْ أَقْبَلَ الصَّبِي * فُ نَعِيمٌ وَإِنْ مَضَى زَمْهَرِيرُ^(٣)
 أَذْكَرْتَنِي مَا قَالَهُ عَرَبِيٌّ * طَارِقِي أَمْسَى أَحْتَوَاهُ (شَلِيرُ)^(٤)
 حَلَّ تَرَكَ الصَّلَاةِ فِي هَذِهِ الْأَرَّ * ضِ وَحَلَّتْ لَنَا عَلَيْهَا الْجُمُورُ

- (١) النير : الخشبة المعرضة في عنق الثورين بأداتها . (٢) يشير بقوله : وفرد أسير، إلى كثرة ما سنوا من قوانين ونظم تقيد الأفراد في نواحي الحياة ولا تجعلهم مطلق الحرية .
- (٣) التيرول : إقليم جبلي من جبال الألب يقع في الشمال الشرقي من إيطاليا .
- (٤) طارقي : نسبة إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس . وشلير (بلفظ التصغير) : جبل بالأندلس من أعمال البيرة ، لا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا . وفي هذا البيت سناد حذو، وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الردف، والردف : حرف مد قبل الروي . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى قول بعض المغاربة وقد مر بشلير فوجد ألم البرد :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم * وشرب الحميا وهو شئ محرم
 فرارا إلى نار الجحيم فانها * أخف طينا من شلير وأرحم
 اذا هبت الريح الشمال بأرضكم * فطوبى لعبد في لقلى يتنعم
 أقول ولا أنحى على ما أقوله * كما قال قبلى شاعر متقدم
 فان كان يوما في جهنم مدخلى * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم
 وقد ضمن حافظ معنى هذه الأبيات في البيتين الآتيين .

إِن صَدَرَ السَّعِيرِ أَحْنَى عَلَيْنَا * مِنْ (شُلَيْرٍ) وَأَيْنَ مِنَّا السَّعِيرُ
 قَدْ بَلَوْتُ الْحَيَاةَ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْ * بِ فَمَا فِي الْحَيَاةِ أَمْرٌ يُسِيرُ
 مِنْ ثَوَاءٍ فِيهِ الْمَلَالُ لِزَامُ * أَوْ رَجِيلٍ فِيهِ الْعَنَاءُ كَثِيرُ^(١)

حريق

قال هذه الأبيات في حريق رآه بمنزل عبد الله أباطه بك

عَجِبَ النَّاسُ مِنْكَ يَا بَنَ سُلَيْمًا * نَ وَقَدْ أَبْصَرُوا لَدَيْكَ عَجِيْبًا
 أَبْصَرُوا فِي حِمَاكَ غَيْثًا وَنَارًا * ذَاكَ يَهْمِي وَتِلْكَ تَذْكُوْهُ لَهِيْبًا^(٢)
 وَتَسُوا أَنْ جُودَ كَفَّكَ غَيْثُ * ظَلَّ لِلرَّجِيْمِي الْوُرُودَ قَرِيْبًا^(٣)
 وَهِيَ ضَيْفٌ أَصَابَهُ عَنَتُ الدَّهْرِ * بِرٍ وَأَلْفَى هَذَا الْفِنَاءَ رَحِيْبًا^(٤)
 فَأَنَّى يُبْرِدُ الْغَلِيْلَ بِقَطْرِ * مِنْ نَدَى سَيِّدِ يُوَيْسِي الْغَرِيْبًا

(١) الثواء : الإقامة .

(٢) يهيم : ينصب . ويريد «بالغيث» : كرم المدوح . وتذكو : تظطرم وتشتعل .

(٣) هي ، أي النار . والعنت : الشدة والمشقة . والفناء (بكسر الفاء) : ساحة البيت .

(٤) الغليل : شدة العطش .

خنجر مكبث

قصيدة مترجمة عن الشاعر الإنجليزي شكسبير، قالها على لسان مكبث يخاطب خنجرا تخليه حينما هم بأغتيال آرن عمه دانكان الملك ليخلفه في ملكه ؛ ويصف تردده أوتلا ثم تصميحه بعد ذلك على تنفيذ ما أراد :

- (١) كَأَنِّي أَرَى فِي اللَّيْلِ نَصْلًا مَجْرَدًا * يَطِيرُ بِكِنَاةٍ صَفْحَتَيْهِ شَرَارُ
- (٢) تَقَلَّبَهُ لِلْعَيْنِ كَفُّ خَفِيَّةٍ * فِيهِ خُفُوقٌ تَارَةٌ وَقَرَارُ
- (٣) يُمَائِلُ نَصْلِي فِي صَفَاءِ فِرْنِدِهِ * وَيَحْكِيهِ مِنْهُ رَوْنَقٌ وَغِرَارُ
- (٤) أَرَاهُ فَتْدِنِي إِلَيْهِ شَرَّاسَتِي * فَيَنَآيُ فِي نَفْسِي إِلَيْهِ أَوَارُ
- (٥) وَأَهْوَى بَزْدِي طَامِعًا فِي الْتِقَاطِهِ * فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ الدُّنُوقِ نِفَارُ
- (٦) تَجَبَّطُنِي مَسٌّ مِنَ الْجَنِّ أَمْ سَرَتْ * بِأَجْزَاءِ نَفْسِي نَشْوَةٌ وَنَحَارُ
- أَرَانِي فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمٍ * فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلِيهِ نَهَارُ؟
- سَأَقْتُلُ ضَيْفِي وَابْنَ عَمِّي وَمَالِكِي * وَلَوْ أَنَّ عُقْبَى الْقَاتِلِينَ خَسَارُ

(١) نصل السيف : حده . والمجرد من السيوف : المسلول من غمده .

(٢) الخفوق : الاضطراب . والقرار : الاستقرار . (٣) فزند السيف : جوهره ومأوه

الذي يترقق في صفحته ؛ وهو فارسي معرب . وغرار السيف (بالكسر) : حده . والمعنى أن هذا

الخنجر يشبه خنجري في لماعته وبريقه ومضاء حده . (٤) الشراسة : الحدة وسوء الخلق .

وينأي : يبعد . والأوار : شدة العطش . (٥) الزند من الذراع : ما فوق المرفق . والنزار

(بكسر النون) والنفور (بضمها) كلاهما بمعنى واحد . (٦) يقال : تجبطنه الشيطان ، أى مسه

بأذى أوجنون . والنشوة : السكر . ونحار الخمر : ما خالطك من سكرها .

وَأَرْضِي هَوَى نَفْسِي وَإِنْ صَحَّ قَوْلُهُمْ * هَوَى النَّفْسِ ذُلٌّ، وَالْحِيَانَةُ عَارُ
 فَيَأْتِيهَا النَّصْلُ الَّذِي لَاحَ فِي الدَّبْحِ * وَفِي طَيِّ نَفْسِي لِلشُّرُورِ مَشَارُ^(١)
 تَرَى خَدَعَتْنِي الْعَيْنُ أَمْ كُنْتُ مُبْصِرًا * وَهَذَا دَمٌ، أَمْ فِي شَبَابِكَ نَارُ؟^(٢)
 وَهَلْ أَنْتَ تَمْتَلُّ لِكَيْدِ نَوَيْتِهِ * وَذَلِكَ الدَّمُ الْجَارِي عَلَيْكَ شِعَارُ؟^(٣)
 فَإِنْ لَمْ تَكُنْ وَهَمًّا فَكُنْ خَيْرَ مُسْعِدٍ * فَإِنَّ وَحِيدًا وَالْحُطُوبُ كُثَارُ^(٤)
 وَكُنْ لِي دَلِيلًا فِي الظُّلَامِ وَهَادِيًا * فَلَيْلِي بِسِيمٍ وَالطَّرِيقُ عِشَارُ^(٥)
 عَلَى الْفَتِكِ يَا (دُنْكَانُ) صَحَّتْ عَزِيمَتِي * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَتْنِي وَبَيْنَكَ نَارُ
 فَإِنَّ يَكُ حُبِّ النَّاسِ أَعْمَى بَصِيرَتِي * فَمَا لِي عَلَى هَذَا الْقَضَاءِ خِيَارُ
 أَعْرَنِي قُوَادًا مِنْكَ يَا دَهْرُ قَاسِيًا * لَوْ آتَى الْقُلُوبَ الْقَاسِيَاتِ تُعَارُ
 وَيَا حِلْمُ قَاطِنِي وَيَا رُشْدُ لَا تُتَبُّ * وَيَا شَرُّ مَالِي مِنْ يَدَيْكَ فِرَارُ^(٦)
 وَيَا لَيْلُ أَنْزِلِي بِجَوْفِكَ مَتْرَلًا * يَصِلُ بِهِ سِرْبُ الْقَطَا وَيَحَارُ^(٧)

(١) مثار، أى مكان لثوران الشر، ويجوز أن يراد به المصدر، أى ثورة الشر واحتياجه .

(٢) شباة السيف : حده .

(٣) الشعار : العلامة .

(٤) الكُثَار (بضم الكاف) : الكثير . يقول : إن كنت أيتها المنجر تنجرا حقيقيا فاعنى على

ما هممت به من قتل ابن عمي، فإنى وحيد لا أقوى على احتمال هذه المصائب المحيطة بي .

(٥) العثار : الشر .

(٦) لا تتب، أى لا ترجع .

(٧) سرب القطا : جماعة الحمام . وخص القطا بالذكر لأنها يضرب بها المثل في الهداية . يعلب

الى الليل أن يستره بظلامه حتى لا يهتدى أحد الى خيائنه وغدره .

- (١) وَإِنْ كُنْتَ لَيْلَ (الْمَانَوِيَّةِ) فَلْيَكُنْ * عَلَى سِرِّ أَهْلِ الشَّرِّ مِنْكَ سِتَارُ
 (٢) وَيَا قَدَمِي سِيرِي حِذَارًا وَخَاقِي * مِنَ الْمَشْيِ لَوْ يُنْجِي الْأَثِيمَ حِذَارُ
 وَقَفْتُ يَجُوفِ اللَّيْلِ وَقَفَّةَ سَاحِرٍ * لَهُ الْجِنُّ أَهْلٌ وَالْمَكَائِدُ دَارُ
 (٣) إِذَا أَشْتَمَلَ اللَّيْلُ الْبَيْمُ عَلَى الْوَرَى * تَجَرَّدَ لِلْإِيذَاءِ حَيْثُ يُشَارُ
 (٤) فَمَا لِي كَأَنِّي فَاتِكُ ذُو عَشِيرَةٍ * خِيَارُهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ شِرَارُ
 (٥) إِذَا مَا عَوَى ذِئْبُ الْفَلَاهِبِ جَمْعُهُمْ * إِلَى الشَّرِّ وَأَسْتَلْتُ ظُبًّا وَشِفَارُ

طول الليل

- (٦) يَا سَاهِدَ النَّجْمِ هَلْ لِلصُّبْحِ مِنْ خَبَرٍ * إِنِّي أَرَاكَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الضُّجْرِ
 (٧) أَظُنُّ لَيْلَكَ مُدَّةً طَالَ الْمُقَامُ بِهِ * كَالْقَوْمِ فِي مِصْرَ، لَا يَنْوِي عَلَى سَفَرٍ

(١) أضاف الليل الى المانوية، وهي الطائفة المنسوبة الى ماني، لأنهم كانوا يعتقدون أن الليل إله الشر، والنهار إله الخير، قال أبو الطيب المتنبي :

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب

- يقول : إن كنت أيها الليل إله الشر كما تزعم المانوية، فاستر على أهل الشر شرورهم ولا تدل أحدا عليهم .
 (٢) خاقي من المشي، أي خفيه ونخفي من صوته حتى لا يسمعه أحد . (٣) البيم : الشديد الظلمة . وتجرد للإيذاء : انبعث إليه وأسرع نحوه . ويتار : يهاج، أي أسرع إلى الإيذاء حيث يكون الإيذاء . (٤) يريد بهذه العشيرة : جماعة الصوص وقطاع الطرق وسفاكي الدماء .
 (٥) عوى : صوت . والفلا : الصحارى، الواحدة فلاة . وأسلت : أخرجت من أعماقها .
 والظبا : جمع ظبة (بضم ففتح) ، وهي حد السيف . والشفار : السكاكين، الواحدة شفرة .
 (٦) الساهد : الساهر . (٧) يريد «بالقوم» : الإنجليز . ولا ينوي، أي الليل . شبه الليل بجيش الاحتلال في مصر في طول الإقامة، وعدم ظهور أمارات تدل على الجلاء .

(١) وقال في هذا المعنى أيضا :

(٢) أَفْضِيهِ فِي الْأَشْوَاقِ إِلَّا أَقْلَهُ * بَطْنِي سَرَى أَبَدَى إِلَى اللَّبِثِ مَبْلَهُ

(٣) وَلَيْسَ أَشْتِيَاقِي عَنْ غَرَامٍ بِشَادِنٍ * وَلَكِنَّهُ شَوْقُ أَمْرِي فَاتَ أَهْلَهُ

(٤) فَيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ أَعْرَتْ نُجُومَهُ * تَوَقَّدَ أَنْفَاسِي وَعَانَيْتُ مِثْلَهُ

وَمَلَّ كِلَانَا مِنْ أَخِيهِ وَهَكَذَا * إِذَا طَالَ عَهْدُ الْمَرْءِ بِالشَّيْءِ مَلَّهُ

الشعر

(٥) ضَعَّتْ بَيْنَ النَّهْيِ وَبَيْنَ الْخَيَالِ * يَا حَكِيمَ النَّفُوسِ يَا بَنَ الْمَعَالِي

(٦) ضَعَّتْ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمِ هُجُودٍ * لَمْ يُفِيْقُوا وَأَمْسِيَةٌ مِكَسَالٍ

(٧) قَدْ أَذَالُوكَ بَيْنَ أَنْسٍ وَكَأْسٍ * وَغَرَامٍ بِظُيُوبَةٍ أَوْ غَزَالٍ

(٨) وَنَسِيبٍ وَمِنْذَحَةٍ وَهَجَاءٍ * وَرِثَاءٍ وَقِنَنَةٍ وَضَلَالٍ

(٩) وَحَمَاسٍ أَرَاهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ * وَصَفَارٍ يَجْرُدُ ذَيْلَ اخْتِيَالٍ

(١٠) عِشْتَ مَا يَلْنَهُمْ مُذَالًا مُضَاعًا * وَكَذَا كُنْتَ فِي الْعُصُورِ الْخَوَالِي

(١) أشير في الديوان المطبوع الى أنها قصيدة طويلة، ولم يعثر منها إلا على هذه الأبيات، ولم تقف

نحن أيضا على بقيتها . (٢) افضيه أى أفضى الليل . والبث : المكث . (٣) الشادن :

ولد الظبية . والمراد هنا : المليلح . (٤) يريد أن النجوم اشتملت من توقد أنفاسه ، وفي قلبه من

اللوعة والشوق مثل هذا التوقد . (٥) النهى العقول ، الواحدة : نهيبة . (٦) الهجود : النيام .

(٧) أذالك : أهانوك وأصغروا شأنك . (٨) النسيب : التشيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر .

(٩) الصغار : الذل . ومعنى قوله : «وصغار» الخ أى أنهم تياهون وهم أذلاء . (١٠) المذال : المهان .

(١)
حَمَلُوكَ الْعَنَاءَ مِنْ حُبِّ (لَيْلَى) * وَ (سُلَيْمَى) وَوَقْفَةَ الْأَطْلَالِ
(٢)
وَبُكَاءٍ عَلَى عَزِيزٍ تَوَلَّى * وَرُسُومٍ رَاحَتْ بَيْنَ اللَّيَالِي
(٣)
وَإِذَا مَا سَمَّوْا بِقَدْرِكَ يَوْمًا * أَسْكَنُوكَ الرَّحَالَ فَوْقَ الْجَمَالِ
أَنْ يَا شِعْرًا أَنْ تَفُكَّ قُبُودًا * قَيَّدْتَنَا بِهَا دُعَاءَ الْمُحَالِ
فَارْفَعُوا هَذِهِ الْكَلَامَ عَنَّا * وَدَعُونَا نُشْمُ رِيحَ الشَّمَالِ

خزان أسوان

قال هذين البيتين في العام الذي أسس فيه خزان أسوان وقص فيه الفيضان

(٤)
أَنْكَرَ النَّيْلُ مَوْقِفَ الْخَزَانِ * فَأَثْنَى قَافِلًا إِلَى السُّودَانِ
(٥)
رَاعَهُ أَنْ يَرَى عَلَى جَانِبَيْهِ * رَصَدًا مِنْ مَكَائِدِ الْإِنْسَانِ

مَعُونَةُ الدَّمْعِ

يَا مَنْ خَلَقْتَ الدَّمْعَ لُطًّا * سَفَا مِنْكَ بِالْبَاكِي الْخَزِينُ
بَارِكْ لِعَبِيدِكَ فِي الدُّمُوعِ * عَجْ فِإِنَّهَا نِعْمَ الْمُعِينُ

- (١) ليلي وسليبي : من الأسماء التي رددتها الشعراء قديما وأكثرها فيها القول نسيبا وتشبيها .
والأطلال : ما بقى من آثار الديار، الواحد طلل (بالتحريك) . والشعراء في الأطلال وقفات ذكروا فيها غرامهم
وحبهم وحسرتهم على أيام خلت . (٢) الرسوم : آثار الديار . (٣) «أسكنوك الرحال» الخ ،
أي وصفوا الرحال والجمال وما يتعلق بذلك في أشعارهم . ويعرض الشاعر بما نحن فيه من اتباع طريق العرب
في الشعر من ذكر العيس ، ومناداة الأطلال ؛ وإن صح هذا للعرب فلا يصح لنا ، فلقد كانوا يصدرون
في ذلك عما يحيط بهم ؛ وأما نحن فلا نحس من ذلك شيئا . (٤) القافل : الراجع .
(٥) الرصد : الحافظ والحارس .

الخمريات

قال :

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

- (١) هَذَا الظَّلامُ آثارَ كَامِنٍ دائِي * يا ساقِيَّ عَلَيَّ بالصَّهْبَاءِ
(٢) بالكاسِ أو بالطَّاسِ أو بأَثْنَيْهِما * أو بالدَّنانِ فَإِنَّ فِيهِ شِفائِي
(٣) مَشْمُولَةٌ لولا التَّقَى لَعَجِبْتُ مِنْ * تَحْرِيمِها وَالذَّنْبُ لِلقُدَماءِ
قَرَّبُوا الصَّلاةَ وَهُمْ سُكارى بَعْدَ ما * نَزَلَ الكِتابُ بِحِكْمَةٍ وَجَلاءِ
(٤) يا زَوْجَةَ ابنِ المَزنِ يا أُختَ الهَنا * يا ضَرَّةَ الأَحْزانِ في الأَحْشاءِ
(٥) يا طِيبَ (جالينوس) في أنواعِهِ * مالِي أراكِ كَثيرَةَ الأَعْداءِ

- (١) الصهباء : الخمر، سميت بذلك لصهبها ، أى حرمتها . (٢) الطاس : إناء معروف وذكر (أثنيهما) على اعتبار أنهما إناءان ، ولوراعى اللفظ لأنه ، لأن الكأس والطاس مؤنثان . والدنان (بالكسر) : جمع دن (بالفتح) ، وهو الجرة العظيمة . وفيه ، أى في الشراب .
(٣) المشمولة : الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحتها ؛ ولأن لها عصفة كعصفة ربح الشمال . وفي جعله الذنب على القدماء إشارة إلى سبب التحريم ، وذلك أن الله تعالى كان قد نهى المسلمين عن أن يقرئوا الصلاة وهم سكارى ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تقرئوا الصلاة وأتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ، فلما لم ينه بعضهم عن ذلك حرّمها الله بقوله : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) . وقد بسط الشاعر هذا المعنى في البيت التالي .
(٤) المزن (بالضم) : السحاب . وابن المزن : الماء الذي ينزل منه ، وجعل الخمر زوجة ابن المزن ، لأنها تمزج به . والضرة : الزوج الثانية . وجعلها ضرة الأحران ، لأنها لا يجتمع معها في قلب .
(٥) كلوديوس جالينوس : طبيب وفيلسوف يوناني مشهور ، ولد نحو سنة ١٣٠ م ، وتوفي نحو سنة ٢٠٠ م . وقد عني العرب بكتبه عناية شديدة بعد أن ترجمت إلى العربية ، فأكثر مؤلفوهم في الطب من الأخذ عنه .

- (١) عَصْرُوكِ مِنْ خَدَى سُهَيْلٍ خُلْسَةً * ثُمَّ اخْتَبَاتِ بِمُهْجَةِ الظُّلْمَاءِ
 (٢) فَلَيْتَ فِيهَا قَبْلَ نُوحٍ حِقْبَةً * وَتَدَاوَلَتْكِ أُنَامِلُ الْآنَاءِ
 (٣) حَتَّى أَتَاكَ اللَّهُ أَنْ تَتَجَمَّلِي * يَسِيدِ الْكَرِيمِ وَرَاحَةِ الْأَدْبَاءِ
 (٤) يَا صَاحِبِي كَيْفَ التَّرْوَعُ عَنِ الطَّلَا * وَلَقَدْ يُلِيْتُ مِنَ الْهُمُومِ بَدَاءِ
 (٥) وَاللَّيْلِ أَرْشَدَهُ أَبُوهُ لِشِقْوَتِي * وَكَذَا الْبُنُونَ عَلَى هَوَى الْآبَاءِ
 (٦) أَلْفَتْ بَيْنَ ابْنِ السَّحَابِ وَبَيْنَهَا * فَرَأَيْتُ صِحَّةَ مَا حَكَاهُ (الطَّائِي) :
 (٧) صَعِبَتْ وَرَاضَ الْمَرْجُ سَيِّءَ خُلُقِهَا * فَتَعَلَّمْتُ مِنْ حُسْنِ خُلُقِ الْمَاءِ

(١) سهيل ، هو أجمل نجم في السماء بعد الشعرى اليمانية ، وهو كثير الاضطراب ، ولونه يضرب إلى الحمرة ؛ قال المعري :

وسهيل كوجنة الحب في اللو * ن وقلب الحب في الخفقان

يريد تشبيه لون الخمر بلون هذا النجم . ويريد بقوله : « ثم اختبات » الخ : حفظها في الدنان .

(٢) الحقبة (بالكسر) : الدهر . والآاء : جمع آن ، وهو الحين والوقت ، أى تعاقبت عليك الأزمان حيناً بعد حين . يصفها في هذا البيت بقدم العهد .

(٣) يريد أنها لا يشربها إلا كريم أو أديب ، فهى تزداد في يديهما جلالاً .

(٤) النزوع : الكف والانتها . والطلاء (بكر الطاء والمد ، وقصر للشعر) : الخمر .

(٥) أبو الليل : الدهر . يريد أن الدهر أوصى أبته الليل بمحاربتى ، فخرت الأبناء على سنن الآباء .

(٦) ابن السحاب : المطر ، أى أنه مزجها بالماء . والطائي هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي

الشاعر المعروف .

(٧) راضه يروضه : ذلله وجعله ليئلاً سهلاً . يريد أن الماء قد كسر من حدتها وسورتها ، فكانها

أكتسبت ليئلاً ولطفه . وهذا البيت من قصيدة لأبي تمام يمدح بها يحيى بن ثابت ، ومطلعها :

قدك آتند أريبت في الغسلواء * كم تغذولت وأتم سجراني

وقال وقد بعث بها إلى محمد المويلحي بك الكاتب المعروف^(١)

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

(٢) أَوْشَكَ أَلَدَيْكَ أَنْ يَصْبِحَ وَتَقْسِي * بَيْنَ هَمٍّ وَبَيْنَ ظَنٍّ وَحَدْسٍ
(٣) يَا غُلَامُ، أَلْمُدَامَ وَالْكَاسَ، وَالطَّا * سَ، وَهَيَّ لَنَا مَكَانًا كَأَمْسِ
(٤) أَطْلِقِ الشَّمْسَ مِنْ غِيَاهِبِ هَذَا الدَّ * نَّ وَأَمَلًا مِنْ ذَلِكَ النُّورِ كَأَمْسِي
(٥) وَأُذِنِ الصُّبْحَ أَنْ يُلُوحَ لَعَيْنِي * مِنْ سَنَاها فَذَلِكَ وَقْتُ التَّحْسِي
(٦) وَأَدْعُ نَدْمَانَ خَلَوْتِي وَأَتِنَاسِي * وَتَعَجَّلْ وَأَسْبِلْ سُبُورَ الدَّمْقِسِ
وَأَسْقِنَا يَا غُلَامُ حَتَّى تَرَانَا * لَا نَطِيقُ الْكَلَامَ إِلَّا بِهَمْسِ
(٧) نَخْمَرَةً قِيلَ لَهُمْ عَصَرُوهَا * مِنْ خُدُودِ الْمِلَاحِ فِي يَوْمِ عُرْسِ
(٨) مُدْرَأَهَا فَتَى الْعَزِيزِ مَنَامًا * وَهُوَ فِي السَّجْنِ بَيْنَ هَمٍّ وَيَأْسِ

- (١) انظر التعريف بمحمد بك المويلحي في الحاشية رقم ٣ من ص ١٥٠ (٢) صياح الديك :
كناية عن طلوع الفجر . والحديس : التخمين والتوهم . والمعنى أن نفسه بين هم متيقن وهم مظنون .
(٣) المدام (بالنصب) ، أى هات المدام . (٤) يريد « بالشمس » : الخمر ، شبهها بها
في اللون . والغياب : جمع غيب ، وهى الظلمة . (٥) يريد في هذا البيت تشبيه لونها بضوء
الصبح . والسنا : النور . وتحسى الشراب : شربه شيئاً بعد شيء ، في مهلة .
(٦) الندمان : جمع نديم . والدقمس : الحرير أو الديباج ، ووصل الهمزة في قوله : « واسبل »
لضرورة الوزن . (٧) شبه الخمر في حمرةا بجمرة خدود الحسان في يوم العرس ، لأن خدودهن
تكون في ذلك الحين أشد احمرارا بما عليها من أصباغ . (٨) العزيز : ملك مصر . وفناه
هو أحد الفتين اللذين كانا مع يوسف عليه السلام في السجن ، وقد كان رأى في منامه أنه يعصر نخرا ،
وفسر له يوسف عليه السلام هذه الرؤيا بأنه سوف يسقى ربه عزيز مصر نخرا ، فالبث أن تخرج من
السجن ، وجعله العزيز صاحب شرابه . ويريد بهذا البيت والذي بعده أن رؤيا الخمر في المنام أسعدت
فتى العزيز بالنجاة ويخدمته لذلك بعد ما كان فيه من يأس ونحس ؛ فكيف لو كان شربها .

أَعْقَبْتَهُ الْخَلَّاصَ مِنْ بَعْدِ ضَيْقِي * وَحَبْتَهُ السُّعُودَ مِنْ بَعْدِ نَجْسِ
(١)
يَا نَدِيَّ بِاللَّهِ قُلْ لِي لِمَاذَا * هَذِهِ الْخَنْدَرِيسُ تُدْعَى بِرَجْسِ؟
(٢)
هِيَ نَفْسٌ زَكِيَّةٌ وَأَبْوَاهَا * غَرَسَهُ فِي الْحِنَانِ أَكْرَمَ غَرَسِ
(٣)
هِيَ نَفْسٌ تَعَلَّمَتْ حُسْنَ أَخْلَا * قِي (الْمَوْلِيِّ) فِي صَفَاءٍ وَأَنْسِ
(٤)
خَصَّهُ اللَّهُ حَيْثُ يُصْبِحُ بِالْإِقْ * بِبَالٍ، وَالْعِزِّ، وَالْعُلَا، حَيْثُ يَمْسِي
(٥)

مجلس شراب

وَقِيَانِ أَنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يَبْدُدُوا * جُيُوشَ الدُّجَى مَا بَيْنَ أَنْسٍ وَأَفْرَاجِ
(٦)
فَهَبُّوا إِلَى نَحْمَارَةٍ قِيلَ إِنَّهَا * قَعِيدَةٌ نَحْمَرٍ تَمْزُجُ الرُّوحَ بِالرَّاحِ
(٧)
وَقَالُوا لَهَا : إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظَمًا * نُنْحَاوِلُ وَرَدَ الرَّاحِ رَغْمًا عَنِ اللَّاحِي
(٨)
فَقَامَتْ فِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكِرَى * وَفِي رِدْفِهَا وَأَسْتَعْرَضَتْ جَيْشَ الْأَقْدَاجِ
(٩)

وقال أيضا :

مَرَّتْ كَعْمَرِ الْوَرْدِ بَيْنَنَا أَجْتَلِي * إِصْبَاحَهَا إِذْ آذَنْتَ بِرَوَاجِ
(١٠)
لَمْ أَقِضْ مِنْ حَقِّ الْمُدَامِ وَلَمْ أَقْمُ * فِي الشَّارِبِينَ بَوَاجِبِ الْأَقْدَاجِ
(١١)

(١) الخندريس : الخمر القديمة . والرجس : النجس . (٢) زكية : طاهرة . وأبو الخمر :
الكرم . يريد أن أصلها أكرم الأشجار في الحدائق . (٣) النخارة : بائعة الخمر . ويريد بكونها
« قعيدة نحر » : أنها ملازمة لها لا تفارقها . والراح : الخمر . (٤) الظما : الظلم (بالهمز) .
واللاحي : اللائم . (٥) الكرى : العجز . والردف : العجز . (٦) اجتلي الشيء :
نظر إليه . وآذنت : أعلمت . شبه جلسة الأنس وساعات اللهو بعمر الورد في القصر .

(١) وَالزَّهْرُ يَحْتَبُ الْكُتُوسَ بَلْحِظِهِ * وَيُسُوبُهَا بِأَرِيحِهِ الْفَيَّاحِ
(٢) أَخْشَى عَوَاقِبَهَا وَأَغْبَطُ شَرِبَهَا * وَأَجِيدُ مِدْحَتَهَا مَعَ الْمُدَّاحِ
وَأَمِيلُ مِنْ طَرَبٍ إِذَا مَالَتْ بِهِمْ * فَاعْجَبْ لِنُشْوَانِ الْجَوَانِحِ صَاحِي
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ فَإِنِّي * أَفْسَدْتُ فِي ذَاكَ النَّهَارِ صَلاحي

وقال :

(٣) نَحْمَرُ فِي (بَابِلِ) قَدْ صَهْرَجَتْ * هَكَذَا أَخْبَرَ حَاخَامُ الْيَهُودِ
أَوْدَعُوهَا جَوْفَ دَنْ مُظْلِمٍ * وَلَدَيْهِ بَسْرُوهَا بِالْحُلُودِ
سَأَلُوا الْكُهَّانَ عَنْ شَارِبِهَا * وَعَنِ السَّاقِي فِي أَيِّ الْعُهُودِ؟
(٤) فَأَجَابُوهُمْ : قَتَى ذَوْمِرَةَ * مِنْ بَنِي مِصْرٍ لَهُ فَضْلٌ وَجُودُ
(٥) مَغْرَمٌ بِالْعُودِ وَالنَّايِ مَعًا * مُوَلِّعٌ بِالشَّرْبِ وَالنَّاسُ هَجُودُ
(٦) هُمُ فَصْدُ دِنَانٍ وَنَدَى * وَأَبُوهُ هُمُ جَمْعُ التَّقُودِ

- (١) يحتب : يحث . يقول : كان الزهر بالحظاظه يوحى إلى الثارين والسقاة بالإسراع في إدارة الكتوس . وشاب الشيء يشوبه : خلطه . وأريح الزهر : نفحة ريحه .
(٢) عواقبها ، أى عواقب المدام ؛ ويريد أنه لا يشربها . والشرب : الشاربون .
(٣) بابل : ناحية بالعراق منها الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . وصهرجت ، يريد أنها حفظت في الصهاريج ؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذي وجدناه أن « الصهرجة » هى أن يطل الحوض بالصاويرج ، وهى النورة ؛ وليس هذا مرادها هنا . ويريد « بإخبار حاخام اليهود » أنها قد ورد ذكرها في الكتب القديمة ؛ وفي هذا دليل على قدمها .
(٤) المرة (بكسر الميم وفتح الراء مشددة) : القوة والعزيمة . (٥) الهجود : النيام .
(٦) فصد الدن : ثقبه وإهراق ما به من خمر ، تشبها له بفصد العرق .

ذِكْرِي مَجْلِسِ شَرَابٍ

بعث بها من السودان إلى بعض أصدقائه بمصر

فَيَّةَ الصَّهْبَاءِ خَيْرَ الشَّارِبِينَ * جَدُّوْا بِاللَّهِ عَهْدَ الْغَائِبِينَ
 (١)
 وَأَذْكُرُونِي عِنْدَ كَاسَاتِ الطَّلَا * إِنِّي كُنْتُ إِمَامَ الْمُدْمِينِ
 (٢)
 وَإِذَا مَا اسْتَنْهَضْتُمْ لَيْلَةً * دَعْوَةَ الْخَمْرِ فُتُورُوا أَجْمَعِينَ
 رَبِّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى * مَا تَعَاهَدْنَا وَكُنَّا فَاعِلِينَ
 (٣)
 فَقَضَيْنَاهُ وَلَمْ نَحْفَلْ بِمَا * سَطَّرَتْ أَيْدِي الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ
 (٤)
 بَيْنَ أَفْدَاجٍ وَرَاجٍ عُمَّتْ * وَرِيَّاحِينَ وَوِلْدَانَ وَعَيْنِ
 (٥)
 وَسُقَاةٍ صَفَّقَتْ أَكْوَابَهَا * بَعْضَهَا الْبَلُورُ وَبَعْضُ الْجِينِ
 (٦)
 أَنَسْتُ مِنَّا عِطَاشًا كَالْقَطَا * صَادَفْتُ وَرْدًا بِهِ مَاءٌ مَعِينِ
 فَشَتُّ بِالكَاسِ وَالطَّاسِ لَنَا * مِشِيَّةَ الْأَفْرَاجِ لِلْقَلْبِ الْحَزِينِ
 (٧)
 وَتَوَاتَبْنَا إِلَى مَشْمُولَةٍ * ذَاتِ أَلْوَانٍ تَسُرُّ النَّاطِرِينَ

- (١) الطلاء (بالكسر والمذ، وقصر للشعر) : الخمر . (٢) ثودوا : هبوا مسرعين .
 (٣) الكرام الكاتبون : الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسيئاته . (٤) العين : جمع عينا ، وهي الغادة الواسعة العين . (٥) الجين : الفضة . ويلاحظ أن في هذا البيت عينا من هبوب القافية يسمى (سناد الحدو) ، وهو اختلاف حركة ما قبل الرفع . والردف هو حرف المد الذي قبل الروي . (٦) القطا : جمع قطة ، وهي الحمامة . والورد : المورد . والمعين : الجارى .
 (٧) المشمولة : الخمر ، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحتها ، فهو فعيل بمعنى فاعل ، أولأن بها صفة كصفة ربح الشمال .

(١) عمَدَ السَّاقِي لَأَنْ يَقْتُلَهَا * وَهِيَ بِكَرٍ أَحْصَنْتُ مِنْدُسَيْنِ
 (٢) ثُمَّ لَمَّا أَنْ رَأَى عِقَّتَهَا * خَافَ فِيهَا اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ
 (٣) وَأَجَلْنَا الْكَاسَ فِيمَا بَيْنَنَا * وَعَلَى الصَّهْبَاءِ بَنَّا عَاكِفِينَ
 (٤) وَشَفِينَا النَّفْسَ مِنْ كُلِّ رَشَا * نَطَقَتْ عَيْنَاهُ بِالسَّحْرِ الْمُبِينِ
 (٥) وَطَوَى مَجْلِسَنَا بَعْدَ الْهَنَا * وَأَنْشِرَاحَ الصَّدْرِ تَكْبِيرُ الْأَذِينَ
 هَكَذَا كُنَّا بِأَيَّامِ الصَّفَا * تَهَبُ اللَّذَاتِ فِي الْوَقْتِ الثَّمِينِ
 (٦) لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى * مِنْ سَبِيلٍ لِلْقَاءِ أَمْ لَاتَ حِينَ

(١) عمده (من باب ضرب) : قصد . ويقتلها ، أى يمزجها بالماء ، وأصله من قول حسان بن ثابت :

إن التي ناولتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

وأحصنت البكر : حافظت على عفتها ؛ وإحصان الخمر هنا : بقاؤها في الدنان . (٢) كنى بعفة

الخمر في هذا البيت عن إبانها المزج . يقول : إن الساقى لما رأى أن الخمر لا تقبل المزج بالماء ، خاف فيها

الله رب العالمين ، أى لم يقتلها بالمزج وسقانا إياها صرفا . (٣) أجلسنا الكأس : أدناها .

(٤) الرشا (بالهمز وسهل للشعر) : ولد الظبية الذي قد تحرك ومشى ؛ يريد الملبح الحسن الجميل .

(٥) الأذنين : المؤذن . (٦) لات حين : أى ذهب وقت اللقاء وليس الحين حينه .

ويلاحظ أن قواعد اللثة تقتضى ذكر (أو) مكان (أم) في هذه العبارة ، فإن (أم) المتصلة لا تذكر بعد

(هل) إلا شذوذا ، نحو : هل زيد عندك أم عمرو ؛ وإنما تذكر مع همزة الاستفهام فى الأكثر .

الغزل

قال ترجمة عن جان جاك روسو :

[نشر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

يأبها الحب أمترج بالحشى * فإن في الحب حياة النفوس^(١)
وأسلل حياة من يمين الردى * أو شك يدعوها ظلام الرموس^(٢)

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نشر في سنة ١٩٠٠ م]

تمثلي إن شئت في منظر * (يا جولييا) أنكر فيه الغرام^(٣)
أوفأبني قلبا الى أضلع * راح به الوجد وأودى السقام^(٤)

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نشرت في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

غضى جفون السحر أوفأرحي * متبا يخشى نزال الجفون^(٥)
ولا تصولي بالقوام الذي * تميس فيه يا مناي المنون^(٦)
إني لأدرى منك معنى الهوى * (يا جولييا) والناس لا يعرفون

- (١) الرموس : القبور، الواحد رمس . يقول : انقذ الحياة بممارسة الحب قبل أن يقطعها الموت .
(٢) يرغب في هذا البيت إلى محبوبته أن تخلع تلك الصورة التي يجدها ، وتمثل في صورة أخرى ينكر فيها
جبه إياها وغرامه بها ، ليستريح مما يقاسيه من تباريح الهوى .
(٣) أودى به : ذهب . (٤) تميس : تتمايل وتبتخر . والمنون : الموت .

فِي جُنْدِيٍّ مَلِيحٍ

[تُشْرَا فِي سَنَةِ ١٩٠٦ م]

(١) وَمِنْ عَجَبٍ قَدْ قَلَّدُوكَ مَهْنَدًا * وَفِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ سَيْفٌ مَهْنَدٌ

(٢) إِذَا أَنْتَ قَدْ جَرَدْتَهُ أَوْ غَمَدْتَهُ * قَتَلْتَ بِهِ وَاللَّحْظُ لَا يَتَعَمَدُ

وقال :

(٣) أَنَا الْعَاشِقُ الْعَانِي وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي * أَعِيدُكَ مِنْ وَجْدٍ تَغْلَعَلْ فِي صَدْرِي

(٤) خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ فِي زِيهِ أَنَّى * فَقَمُّ نَلْتَمِسُ لِلْسُّهْدِ دِرْعًا مِنَ الصَّبْرِ

(٥) وَهَذَا السَّرَى نَحْوَ الْجَمِيِّ يَسْتَفْزِنَا * فَهَيَّا وَإِنْ كُنَّا عَلَى مَرَكَبٍ وَعَيْرِ

خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ قَدْ طَالَ عَمْرُهُ * وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ الْأَحَادِيثِ وَالذِّكْرِ

(٦) فَهَاتِ لَنَا أَذْكَى حَدِيثٍ وَعَيْتَهُ * أَلَّذُ بِهِ إِنَّ الْأَحَادِيثَ كَالنَّخْرِ

وقال :

(٧) قَالَتْ الْجَوْزَاءُ حِينَ رَأَتْ * جَفَنَهُ قَدْ وَاصَلَ السَّهْرَا

(٨) مَا لِهَذَا الصَّبِّ فِي وَلَّهِ * أَرَاهُ يَعَشَّقُ الْقَمَرَا

- (١) المهند : السيف . (٢) جردته : سلته من غمده . ولا يتعمد : لا يقصد القتل . ويريد بهذا أنه لا يحاسب على ما جنى لعدم قصده . (٣) العاني : الأسير . وتغلغل : دخل وأوغل . (٤) في زيه ، أى سواده . (٥) السرى : السير بالليل . ويستفزنا : يستخفنا . والوعر : الصعب . (٦) وعيته : حفظه . (٧) الجوزاء : برج في السماء معروف . (٨) الوله : التحير من شدة الوجد .

وقال يتغزل في مليح ويعرض بأحتلال الإنجليز :

(١) ظنبي ألمي بالله ما ضركا * إذا رأينا في الكرى طيفكا

وما الذي تخشاه لو أنهم * قالوا فلان قد غدا عبدك؟

(٢) قد حرموا الرق ولكنهم * ما حرموا ريق الهوى عندك

(٣) وأصبحت مصر مراحاً لهم * وأنت في الأحشا مراح لك

(٤) ما كان سهلاً أن يروا نيلها * لو أن في أسيا فنا لحظكا

يقين الحب

(٥) أذنتك ترتابين في الشمس والضحي * وفي النور والظلماء والأرض والسما

ولا تسمعي للشك يحيطر خطرة * بنفسك يوماً أنتى لست مغرماً

الخال

قالها في مليح رأى خالا على غرته

(٦) سألته ما لهذا الخال منقرداً * وأختار غرته الغرأ له سكا

(٧) أجابني: خاف من سهم الجفون ومن * نار الخدود، لهذا هاجر الوطن

(١) الكرى: الناس . والطيف: الخيال الطائف في المنام . (٢) الضمير في «حرموا» للإنجليز .
 (٣) المراح (بضم الميم) : المأوى والمنزل . ويجوز أن يقرأ بفتحها ، بمعنى الموضع يروح القوم
 منه وإليه . ولهم ، أى الإنجليز . (٤) أى لم يكن من اليسير على الإنجليز أن يحتلوا مصر لو أن سيف
 لحظك الفناك من سيوفنا . (٥) أذنتك ، أى أذنت لك . وترتابين ، أى تشكين . (٦) الغراء
 (بالمد وقصر للشعر) : البيضاء . (٧) يريد بالوطن (هنا) : خده ، لأن الخال أكثر ما يكون فيه .

رسائل الشوق

سُورِعِنْدِي لَهُ مَكْتُوبَةٌ * وَدَلَّوَيْسِرِي بِهَا الرُّوحُ الْأَمِينُ^(١)
 إِنِّي لَا أَمِنُ الرُّسُلَ وَلَا * أَمِنُ الْكُتُبَ عَلَى مَا تَحْتَوِينُ
 مُسْتَهِينٌ بِالَّذِي كَابَدْتُهُ * وَهَوَ لَا يَدْرِي بِمَاذَا يَسْتَهِينُ
 أَنَا فِي هَمٍّ وَيَأْسٍ وَأَسَى * حَاضِرُ اللَّوَعَةِ مَوْضُولُ الْأَيْنِ

(١) الروح الأمين : جبريل عليه السلام .

(٢) يريد بقوله : « وهو لا يدري » الخ أن محبوبه لم يكابد ألم الهوى حتى يعرف قدر ما يستهين به .

الاجتماعيات

(١)
حريق ميت غمر

[نشرت في ٧ مايو سنة ١٩٠٢ م]

سائلوا الليل عنهم والنهاراً * كيف باتت نساؤهم والعدارى

كيف أمسى رضيعهم فقد الأُم * وكيف أضطلى مع القوم ناراً

كيف طاح العجوز تحت جدارٍ * يتداعى وأسقف تجارى

رب إن القضاء أنحنى عليهم * فأكشف الكرب وأجيب الأقداراً

ومر النار أن تكف إذاها * ومر الغيث أن يسيل أنهاراً

أين طوفان صاحب الفلك يروى * هذه النار؟ فهي تسكو الأواراً

أشعلت فحمة الدياجى فباتت * تملأ الأرض والسماء شراراً

غشيتهم والنخس يجرى يمينا * ورمتهم والبؤس يجرى يسارا

فأغارت وأوجه القوم بيض * ثم غارت وقد كسهن قارا

(١) . ثبت النار في مدينة ميت غمر من أعمال الدقهلية في (يوم الخميس أول مايو سنة ١٩٠٢ م) (٢٢) .

محرم سنة ١٣٢٠ هـ) وبقيت تأكل كل ما أتى عليه في هذه المدينة حتى يوم ٨ مايو؛ وهلك بسبب هذا الحريق كثيرون، ودمرت كثير من الدور والمحال، ولعظمت التكلفة تألفت جماعة من الأعيان لتخفيف ويلات هذا المصاب، وتسابق أهل الخير بفادوا بالمال الكثير، وحضت الصحف الناس على جمع المال لذلك؛

وفيها يقول الشاعر هذه القصيدة . (٢) طاح : هلك . وتداعى الجدار : انقض وتهدم .
وتجارى : تسابق في السقوط . (٣) الفلك : السفينة . وصاحبها : نوح عليه السلام . والأوار
شدة الحرارة والعطش . (٤) فحمة الدياجى : ظلمة الليل، تشبهاها بالقوم . (٥) القار : الزفت .

- (١) أَكَلْتُ دُورَهُمْ فَلَمَّا اسْتَقَلْتُ * لَمْ تُغَادِرْ صِغَارَهُمْ وَالْكِبَارَا
 أَخْرَجْتُهُمْ مِنَ الدِّيَارِ عُرَاةً * حَذَرَ الْمَوْتِ يَطْلُبُونَ الْفِرَارَا
 يَلْبَسُونَ الظَّلَامَ حَتَّى إِذَا مَا * أَقْبَلَ الصَّبْحُ يَلْبَسُونَ النَّهَارَا
 حُلَّةً لَا تَقِيمُ البَرْدَ وَالْحَرَّ * وَلَا عَنْهُمْ تَرُدُّ القُبَارَا
 أَيُّهَا الرَّافِلُونَ فِي حُلِّ الوَشَى * مَيَّ يَجْرُونَ لِلدُّيُولِ افْتِخَارَا
 إِنْ فَوقَ العَرَاءِ قَوْمًا جِيعًا * يَتَوَارُونَ ذِلَّةً وَأَنْكِسَارَا
 أَيُّهَا السَّجِينُ لَا يَمْنَعُ السَّجْدُ * مِنْ كَرِيمًا مِنْ أَنْ يُقِيلَ العِثَارَا
 مَرُّ يَأْلِفُ لَهُمْ وَإِنْ شِئْتَ زِدْهَا * وَأَجْرَهُمْ كَمَا أَجَرْتَ النَّصَارَى
 قَدْ شَهِدْنَا بِالْأَمْسِ فِي مِصرَ عُرْسًا * مَلَأَ العَيْنَ وَالْفُؤَادَ ابْتِهَارَا
 سَأَلَ فِيهِ النَّضَارُ حَتَّى حَسِبْنَا * أَنَّ ذَاكَ الفِنَاءَ يَجْرَى نُضَارَا
 بَاتَ فِيهِ الْمُنْعَمُونَ بِلَيْلٍ * أَتَجَمَّلُ الصَّبْحَ حُسْنُهُ فَتَوَارَى

- (١) استقلت، أى عدت ما أحرقته من الدور قليلا . (٢) رفل في ثوبه : اختال فيه وتجتر .
 وحلل الوشى : الثياب المنقوشة . (٣) العراء : الفضاء . ويتوارون : يسترون . (٤) يريده
 بالسجين : المنشاوى باشا الثرى المعروف ، وكان إذ ذاك مسجوناً لارتكابه جريمة تعذيب اللصوص الذين
 اتهموا بسرقة بعض المواشى من مزرعة سمى الخديوى عباس حلى الثانى ، حتى اضطروهم إلى الإقرار بما سرقوا
 بتأثير العذاب ؛ وكان ذلك فى سنة ١٩٠٢ م . والعثار : الشر والمكروه . وإقالته : دفعه عن نزل به .
 (٥) يشير إلى أن المنشاوى كان قد أجار كثيراً من الأوربيين وحمام من أذى المصريين فى الثورة
 العرابية ، وأتزلهم يته . (٦) ابتهارة : يريده عجباً . ولم نجد فيما راجعنا من كتب اللغة هذا اللفظ
 بهذا المعنى . وهذا العرس الذى يشير إليه الشاعر هو عرس زواج الأمير حيدر رشدى فاضل بك من كريمة
 حلى فهى باشا وقد أقيم مهرجان عظيم بدار على فهى باشا مكث ثلاث ليال من ليلة الأربعاء ٢٠ إبريل
 سنة ١٩٠٢ م إلى ليلة الجمعة ٢ مايو من السنة قسماً . (٧) الفناء : ساحة الدار .

يَكْتَسُونَ السُّرُورَ طَوْرًا وَطَوْرًا * فِي يَدِ الْكَأْسِ يَخْلَعُونَ الْوَقَارَا
 وَتَمَعْنَا فِي (مَيْتِ غَمْرٍ) صِيَاحًا * مَلَأَ الْبَرَّ ضَجَّةً وَالْبَحَارَا
 جَلَّ مَنْ قَسَمَ الْحُظُوظَ فَهَذَا * يَتَغَنَّى وَذَاكَ يَبْكِي الدِّيَارَا
 رَبُّ لَيْلٍ فِي الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْسًا * وَسُعودًا وَعُسْرَةً وَيَسَارَا

(١) الى الأرض

[بركان مارتنيك سنة ١٩٠٢ م]

(٢) أَلْبَسُوكِ الدَّمَاءَ فَوْقَ الدَّمَاءِ * وَأَرْوِكِ الْعِدَاءَ بَعْدَ الْعِدَاءِ
 (٣) فَلَيْسَتْ النَّجِيعَ مِنْ عَهْدِ قَابِيلَ * لَلَّ وَشَاهَدْتِ مَضْرَعَ الْأَبْرِيَاءِ
 فَلَاكِ الْعُدْرُ إِنْ قَسَوْتِ وَإِنْ خُدَّ * تِ وَإِنْ كُنْتِ مَصْدَرًا لِلشَّقَاءِ
 (٤) غَلَطَ النَّاسُ، مَا طَغَى جَبَلُ النَّا * رِ بِأَرْسَالِ نَفْثَةٍ فِي الْهَوَاءِ
 (٥) أَخْرَجُوا صَدْرَ أُمِّهِ فَأَرَاهُمْ * بَعْضَ مَا أَضْمَرْتِ مِنَ الْبُرْحَاءِ

- (١) المارتنيك، هي إحدى جزر الهند الغربية الفرنسية، وبها كثير من الفوهات البركانية. ويشير الشاعر الى الثوران البركاني الذي حدث فيها، والذي لم يشهد العالم مثله في شدته وكثرة ضحاياه، وذلك في ٨ مايو سنة ١٩٠٢ م. (٢) ألبسوك: يخاطب الأرض. ويشير بهذا البيت والذي بعده الى عدوان الناس بعضهم على بعض بالقتل من عهد آدم الى اليوم. (٣) النجيع: الدم. وقابيل: هو ابن آدم عليه السلام، وهو الذي قتل أخاه هابيل؛ وقصتهما مشهورة ورد ذكرها في القرآن. (٤) قمة جبل النار: ما يقذف به البركان من نيران. (٥) أمه، أي الأرض. ويريد بالبرحاء: نار الضغن والحقد.

- (١) اسْتَخَطُّوْهَا فِصَابَرْتَهُمْ زَمَانًا * ثُمَّ انْحَتَّ عَلَيْهِمْ بِالْجَزَاءِ
 أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ يَكُنْ ذَاكَ سُخْطُ الْآرِضِ ، مَاذَا يَكُونُ سُخْطُ السَّمَاءِ ؟
 (٢) إِنْ فِي عُلُوِّمْ سِرْحًا لِلْقَادِيدِ * يَرِ فِي الْأَرْضِ مَكْنًا لِلْقَضَاءِ
 فَاتَّقُوا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ سَوَاءً * وَاتَّقُوا النَّارَ فِي الثَّرَى وَالْقَضَاءِ

اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها

[نشرت في سنة ١٩٠٣ م]

- (٣) رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَمَمْتُ حَصَاتِي * وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْتَسِبْتُ حَيَاتِي
 (٤) رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي * عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِدَاتِي
 (٥) وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي * رِجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدَّتْ بَنَاتِي
 (٦) وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً * وَمَا ضِغْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِي
 فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ * وَتُنْسِيقُ أَسْمَاءِ الْمُخْتَرَاتِ

- (١) صابرتهم ، أى طاولتهم فى الصبر . وانحمت عليهم بالجزاء : أقبلت عليهم به .
 (٢) فى علو ، أى فى أعلى ، وهو يسكون اللام وضم الواو وكسرها وفتحها ، يريد السماء .
 (٣) رجعت لى نفسى ، أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عددتها عند الله فى يادى . يقول على لسان اللغة العربية : إننى عدت الى نفسى وفكرت فى آل اليه أمرى ، فأسأت الظن بمقدرى ، وكدت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجدهم منهم سميعا ، فادخرت حياتى عند الله .
 (٤) العداة : الأعداء . يقول : أتهمونى بأنى لا ادعلى حين أنى فى ريمان شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزنى قولهم . وكنتى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجودها . (٥) يريد « بالمراس » : الألفاظ المجلوة الحسة . وواد البنات : دفنها حية . (٦) الآى : جمع آية .

أنا البَحْرُ في أَحْشَاءِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ * فهل سَأَلُوا الغَوَاصَّ عن صَدَفَاتِي
 (١)
 فَيَا وَيْحَكُمُ أَيْلَى وَتَبَى مَحَاسِنِي * وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي
 (٢)
 فَلَا تَكَلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَقَاتِي
 (٣)
 أَرَى لِرِجَالِ الغَرِبِ عِزًّا وَمَنَعَةً * وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
 أَتَوَا أَهْلَهُمُ بِالمُعْجِزَاتِ تَفَنُّتَا * فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالكَلِمَاتِ
 (٤)
 أَيَطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الغَرِبِ نَاعِبٌ * يُنَادِي بِوَادِي فِي ربيعِ حَيَاتِي
 (٥)
 وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ * بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ
 (٦)
 سَقَى اللهُ فِي بَطْنِ الجَزِيرَةِ أَعْظَمًا * يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي
 حَفِظَنَ وِدَادِي فِي البَيْلَى وَحَفِظْتُهُ * لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمِ الحَسَرَاتِ
 (٧)
 وَقَانَحَتْ أَهْلَ الغَرِبِ وَالشَّرْقِ مُطْرِقٌ * حَيَاءً بِتِلْكَ الأَعْظَمِ النُّخْرَاتِ
 (٨)
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالجَرَائِدِ مَزَلَقًا * مِنَ القَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أَنَاةِ

- (١) الأساءة : جمع الأسي، وهو الطيب . (٢) تكلوني : تتركوني . وتحين : تحل .
 (٣) يقال : هو في منعة ، أي في قوم يمنونه ويحمونه . (٤) الناعب : المصوت بما هو مستر . و ربيع الحياة : أيام الشباب والقوة .
 (٥) زجر الطير ، هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصيح به ، فإن ولاك في طيرانه ميامنه تفاءلت به خيرا ، وإن ولاك ميامره تطيرت منه . والعثرة : السقوط . والشات : الفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم ما يجردقني طليكم من السقوط والآنحلال .
 (٦) القناة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد « بالأعظم » : من دفن في الجزيرة من العرب الأولين . (٧) النخرات : البالية المفتحة . (٨) المزلق : مكان الاتزلاق ، أي السقوط والزلل . والأناة : التأني والإبطاء . ويريد وصف لفة الجرائد اذ ذاك بالضعف .

- (١) ^(١) وَاَسْمَعُ لِلْكَتَابِ فِي مِصْرَ صَجَّةً * فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي
- (٢) ^(٢) أَيُّجْرِنِي قَوْمِي - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ - * إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُوَاةِ
- (٣) ^(٣) سَرَتْ لُوثَةُ الْاَفْرِئِجِ فِيهَا كَمَا سَرَى * لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ قُرَاتِ
- بِفَاعَتِ كَثُوبٍ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً * مُشْكَلَةَ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ
- (٤) ^(٤) إِلَى مَعْشَرِ الْكُتَّابِ وَالْجَمْعِ حَافِلٌ * بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَايِي
- (٥) ^(٥) فَإِذَا حَيَاةٌ تَبَعَتْ الْمَيْتَ فِي الْبَلِي * وَتُنْبِتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي
- وَإِنَّمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ * تَمَاتٌ لَعْمَرِي لَمْ يَقْسُ بِمَمَاتِ

- (١) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .
- (٢) لم تتصل برواة ، أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من التغيير كما هو الشأن فى العربية . ويشير الى تلك اللغة المرقعة التى كانت مستعملة أيام تشرهذه القصيدة .
- (٣) اللوثة (بالضم) : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والقرات : الماء العذب .
- (٤) الشكاة : الشكوى .
- (٥) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ماتكسرو بلى ؛ يريد مابقى من الجسد بعد الموت .

زواج الشيخ على يوسف^(١) صاحب (المؤيد)

فالها ينحى فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية ، وما يراه من فوضى الرأي وقلة الثبات عليه

[نشرت في سبتمبر سنة ١٩٠٤ م]

^(٢)
حَطَمْتُ الْبِرَاعَ فَلَا تَعْجَبِي * وَعِغْتُ أَلْيَانَ فَلَا تَعْتَبِي

فَمَا أَنْتِ يَا مِصْرُ دَارَ الْأَدِيبِ * وَلَا أَنْتِ بِالْبَلَدِ الطَّيِّبِ

^(٣)
وَكَمْ فِيكَ يَا مِصْرُ مِنْ كَاتِبٍ * أَقَالَ الْبِرَاعَ وَلَمْ يَكْتُبِ

فَلَا تَعْدِلِينِي لِهَذَا السُّكُوتِ * فَقَدْ ضَاقَ بِي مِنْكَ الْخِشَاقُ بِي

^(٤)
أَيْعِجِبُنِي مِنْكَ يَوْمَ الْوِفَاقِ * سَكُوتُ الْجَمَادِ وَلِعَبُّ الصَّبِيِّ؟

وَكَمْ غَضِبَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِنَا * لَسَلْبِ الْحُقُوقِ وَلَمْ نَغْضَبِ

- (١) كان بين المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وبين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة مودة وصداقة ، فخطب الشيخ على ابنته السيدة صفية ، ورضيت الفتاة وسكت الأب ، فعقد العقد في بيت البكرى من غير علم الأب ، فرفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالبا فسخ العقد لعدم الكفاءة في النسب ، ودافع الشيخ على عن نفسه ، وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه في دفتر الأشراف ، وقضت المحكمة بالحيلولة المؤقتة بين الزوجين ، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج في أغسطس سنة ١٩٠٤ م فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الابتدائي الشرعي في محكمة مصر الشرعية الكبرى ، فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٩٠٤ م ، وكان لهذه القضية ثورة في الرأي العام فاضت بها الصحف وأكثر فيها الشعراء .
- (٢) حطمت : كسرت . والبراع : القلم . وعاف الشيء : يعافه : كرهه . والخطاب لمصر في هذا البيت وما يأتي بعده .
- (٣) أقال البراع : أعفاه من أن يكتب به .
- (٤) يشير الشاعر « يوم الوفاق » إلى الاتفاق الذي تم بين إنجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ م ، والذي أباح لفرنسا بعض امتيازات في مراکش في مقابل إطلاق يد الإنجليز في مصر .

(١)
 أَنَايَةَ الْعَصِيرِ إِنَّ الْغَرِيبَ * مُجِدِّ بِمَصْرَ فَلَا تَلْعَبِي
 يقولون: في النَّشَاءِ خَيْرٌ لَنَا * وَلِلنَّشَاءِ شَرٌّ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ
 أفي (الأزبكية) مَثْوَى الْبَيْنِ * وَيِنَّ الْمَسَاجِدِ مَثْوَى الْأَبِ؟
 (وكم ذا بمصر من المضحكات) * كما قال فيها (أبو الطيب)
 أَمُورٌ تَمُرُّ وَعَيْشٌ يَمِيزُ * وَنَحْنُ مِنَ اللَّهِوِي فِي مَلْعَبِ
 وَشَعْبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالِحَاتِ * فِرَارَ السَّلِيمِ مِنَ الْأَجْرِبِ
 وَصُحُفٌ تَطْنُ طَيْنِ الدُّبَابِ * وَأُخْرَى تَسُنُّ عَلَى الْأَقْرَبِ
 وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ الْأَمِيرِ * وَيَدْعُو إِلَى ظِلِّهِ الْأَرْحَبِ
 وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ السَّفِيرِ * وَيُطْنِبُ فِي وِرْدِهِ الْأَعْدِبِ
 وَهَذَا يَصْبِحُ مَعَ الصَّائِحِينَ * عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا مَارِبِ
 وَقَالُوا: دَخِيلٌ عَلَيْهِ الْعَفَاءُ * وَنِعْمَ الدَّخِيلُ عَلَى مَذْهَبِي
 رَأَا نِيَامًا وَلَمَّا نَفَقُ * فَشَمَّرَ لِلسَّعَى وَالْمَكْسَبِ

- (١) النابتة : الناشون . (٢) المثوى : موضع الثواء ، وهو الإقامة . يريد أن الشباب في الملاهي ، والآباء في المساجد . (٣) يشير إلى قول أبي الطيب المتنبي من قصيدة له في هجاء كافور :
 وكم ذا بمصر من المضحكات * ولصكته ضحكك كالبكا
 (٤) عيش يميز ، أي يصير مرأ . (٥) طين الدباب : صوته . وتسن على الأقرب :
 تصب عليه غارتها من كل جهة . ويريد «بالأقرب» : أبناء الوطن . (٦) الأرحب : المتسع .
 ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى انقسام الرأي السياسي في مصر ، ففرق مع الخديوي ، وآخر
 يتاصر دار العميد الإنجليزي ، وثالث لا إلى هؤلاء . ولا إلى هؤلاء . (٧) يريد «الدخيل» :
 الأجانب الذين أصابوا في مصر حظا من الثروة لم يصبه أهلها . والعفاء : البلى والاندثار .

(١) وماذا عليه إذا فاتنا * ونحن على العيش لم ندأب

ألفنا الخمول وباليتنا * ألفنا الخمول ولم نكذب

*
* *

(٢) وقالوا: (المؤيد) في غمرة * رماه بها الطمع الأشعي

(٣) دعاه الغرام بسن الكهول * بجن جنونا بينت النبي

(٤) فضج لها العرش والحاملوه * وضج لها القبر في يثرب

(٥) ونادى رجال بإسقاطه * وقالوا: تلون في المشرب

(٦) وعدوا عليه من السيئات * ألوفا تدور مع الأحقب

(٧) وقالوا لصيق بيت الرسول * أغار على النسب الأنجب

(٨) وزكى (أبوخطوة) قولهم * بحكم أحد من المضرب

(٩) فما للتهاني على داره * تساقط كالمطر الصيب؟

- (١) دأب في عمله يدأب: جد فيه واستمر عليه. (٢) يريد «بالمؤيد»: صاحب الشيخ على يوسف. والغمرة: ما يغمر الإنسان ويشمله من الشدائد؛ ويريد بها هنا ما وقع فيه من شدة بما أثير حوله في قضية الزوجية. والأشعي: نسبة إلى أشعب، وهو رجل من الموالي بالمدينة كان شديد الطمع فضرب به المثل، قليل: «أطعم من أشعب». (٣) بسن الكهول، أى فى سن الكهول؛ ويريد «بينت النبي»: السيدة صفية، وهى من أسرة السادة الوفائية. (٤) لها، أى لهذه الحادثة. ويثرب: اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم. (٥) يريد «بالمشرب»: المذهب أو الطريقة؛ وهو معنى مولد. (٦) الأحقب: السنون، الواحد حقب (بضم الحاء وسكون القاف أو بضمهما). وتدور مع الأحقب، أى تبقى على الدهر. (٧) اللصيق بالقوم: الداخل فيهم وليس منهم. (٨) أبوخطوة، هو الشيخ أحمد أبوخطوة قاضى المحكمة الذى حكم حكماً ابتدائياً بفسخ عقد الزواج. والمضرب (بكر الراء وفتحها): السيف، والجمع مضارب. (٩) داره، أى دار الشيخ على يوسف. والصيب: المنهمر المتدفق.

وما للوفود على بابيه * تزف البشائر في موكب^(١) ؟
وما للخليفة أسدى إليه * وساماً يليق بصدر الأبي؟^(٢)
فيا أمة ضاق عن وصفها * جنان المفوه والأخطب^(٣)
تضيع الحقيقة ما بيننا * ويصلى البريء مع المذنب^(٤)
ويهضم فينا الإمام الحكيم * ويكرم فينا الجهول الغبي
على الشرق مني سلام الودود * وإن طأطأ الشرق للغرب^(٤)
لقد كان خصباً يجذب الزمان * فأجذب في الزمن الخصب

إلى رجال الدنيا الجديدة

أنشدها في الحفل الذي أقامته كلية البنات الأمريكية بمصر لتوزيع الشهادات على خريجاتها .

في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٦ م

أي رجال الدنيا الجديدة مدوا * لرجال الدنيا القديمة باعاً
وأفيضوا عليهم من أيادي * كم علوماً وحكمةً وأختراعاً

- (١) يشير إلى ما ناله الشيخ على يوسف من الرتب والأوسمة من الدولة العثمانية . والأبي (بتشديد الياء ، وخففت للشعر) : الذي لا يرضى الدنية أفة وكبرا .
(٢) الجنان : القلب . والمفوه : المنطوق . وينعى الشاعر على الأمة أخلاقها ، فيينا هي تعد على الشيخ على يوسف السيئات ، وترميه بالتقلب في الرأي ، وتكر عليه زواجه ، إذا بها تتوافد على داره وتزف إليه التهانى . (٣) يصلى : يعذب . (٤) يقول : لقد كان الشرق غنياً بالحضارة والعمران في عهد خلو العالم منهما ، فأصبح مجدداً من ذلك ، إذ الزمان خصب بهما .

كُلُّ يَوْمٍ لَكُمْ رَوَائِعُ أَنَا * رِ تُوَالُونَ بَيْنَهُنَّ تَبَاعَا
 كَمْ خَلَبْتُمْ عُقُولَنَا بِعَجِيبٍ * وَأَمَرْتُمْ زَمَانَكُمْ فَاطْمَاعَا
 وَبَدَرْتُمْ فِي أَرْضِنَا وَزَرَعْتُمْ * فَرَأَيْنَا مَا يُعِجِبُ الزَّرَاعَا
 وَلَمَحْنَا مِنْ نُورِكُمْ فِي نَوَاصِي * حَفَلَةَ الْيَوْمَ لَمَعَةً وَسُعَاعَا
 وَشَهِدْنَا مِنْ فَضْلِكُمْ أَثْرًا فِيدٍ * هَا يَرُوقُ الْعُيُونُ وَالْأَسْمَاعَا
 لَيْتَنَا نَقْتَدِي بِكُمْ أَوْ نُجَارِي * كُمْ عَسَى نَسْتَرِدُّ مَا كَانَ ضَاعَا
 إِنِّ فِينَا لَوْلَا التَّخَاذُلُ أَبْطَا * لَا إِذَا مَا هُمْ أَسْتَقْلُوا الْبِرَاعَا^(١)
 وَعُقُولًا لَوْلَا الْجُمُولُ تَوَلَا * هَا لَهَاضَتْ غَرَابَةً وَأَبْجَدَاعَا
 وَدُعَاءَ الْخَيْرِ لَوْ أَنْصَفُوهُمْ * مَلَأُوا الشَّرْقَ عِزَّةً وَأَمْتِنَاعَا
 كَاشَفَ الْكَهْرَبَاءَ لَيْتَكَ تُعْنَى * بَاخْتِرَاعِ يَرُوضُ مِنَ الطَّبَاعَا^(٢)
 آلَةُ تَسْحَقُ التَّوَاكُلُ فِي الشَّرِّ * قِي وَتُلْقِي عَيْنَ الرِّبَاءِ الْقِنَاعَا
 قَدْ مَلَلْنَا وَقُوفْنَا فِيهِ نَبِيكِي * حَسَبًا زَائِلًا وَمَجْدًا مُضَاعَا
 وَمَسِينًا مَقَالَهُمْ كَانَ زَيْدٌ * عَبَقْرِيًّا وَكَانَ عَمْرُو شُجَاعَا
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تُتَارِعُ مِصْرٌ * غَيْرَهَا الْمَجْدَ فِي الْحَيَاةِ نَزَاعَا
 وَزَارَهَا تُفَاخِرُ النَّاسُ بِالْأَحْ * بِيَاءِ نَفَرًا فِي الْخَافِقِينَ مُدَاعَا^(٣)

(١) استقلوا اليراع، أى حملوا الأقاليم . (٢) يروض الطباع، أى يسوسها ويدلها بعد

بجاحتها . (٣) الخافقان : المشرق والمغرب .

- (١) (أرض كُولب) أَي نَبْتِكِ أَغْلَى * قِيمَةٌ فِي الْمَلَا وَأَبْقَى مَتَاعَا
 (٢) أَرْجَالُ بِهِمْ مَلَكَتِ الْمَعَالِي * أَمُّ نُضَارٍ بِهِ مَلَكَتِ الْبِقَاعَا
 لَأَعْدَاكِ السَّمَاءُ وَالْحِصْبُ وَالْأَمُّ * سُنُّ وَلَا زَلَّتِ السَّلَامُ رِبَاعَا
 (٣) طَالِبِي الْكُونَ وَأَنْظِرِي مَادَهَا * إِنْ رُكْنَ السَّلَامُ فِيهِ تَدَاعَى

مدرسة مصطفى كامل

أُنشدها في الحفل الذي أقامته المدرسة لتوزيع الجوائز على المتقدمين

من تلاميذها في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦ م

- (٤) سَمِعْنَا حَدِيثًا كَقَطْرِ النَّدَى * فَحَدَّدَ فِي النَّفْسِ مَا جَدَّدَا
 فَأَضْحَى لِأَمَانِنَا مُنْعَشَا * وَأَمْسَى لِأَمَانِنَا مُرْقِدَا
 قَدِينَاكَ يَا شَرْقُ لَا تَجْزَعَنَّ * إِذَا الْيَوْمُ وَثَى فِرَاقُ غَدَا
 فَكَمْ مِحْنَةٍ أَعْقَبَتْ مِحْنَةً * وَوَلَّتْ سِرَاعًا كَرَجْعَ الصِّدَى
 (٥) وَلَا يُبَيِّنَنَّكَ قِيلُ الْعُدَاةِ * وَإِنْ كَانَ قَيْلًا كَحَزِّ الْمُدَى
 (٦) أَتُودَعُ فِيكَ كُنُوزُ الْعُلُومِ * وَيَمِشِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرْفِدَا؟

- (١) أرض كولب : يريد أمريكا، أضيفت إلى مكتشفها كريستوف كولب . (٢) النضار : الذهب . يشير إلى كثرة الذهب في أمريكا . (٣) طالعي الكون : انظري إليه . وتداعي : تهديم . (٤) يريد « بالحديث » : ما قيل في الحفل من خطب وأشعار . (٥) قيل العداة : قوالم . والمدي (بالضم) : جمع مديّة ، وهي السكنين . (٦) المسترفد : طالب الرشد (بكسر الراء) وهو العطاء .

وَتَبَعْتُ فِي أَرْضِكَ الْأَنْبِيَاءَ * وَيَأْتِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرِشِدًا؟
 وَتَقْضِي عَلَيْكَ قُضَاةُ الضَّلَالِ * طَوَالَ اللَّيَالِي بَأَنْ تَرُقُّدَا؟
 أَتَشْقَى بِعَهْدِ سَمَاءٍ بِالْعُلُومِ * فَأَضْحَى الضَّعِيفُ بِهَا أَيَّدَا؟^(١)
 إِذَا شَاءَ بَزَّ السَّهَائِسِرَهُ * وَأَدْرَكَ مِنْ جَرِيهِ الْمَقْصِدَا^(٢)
 وَإِنْ شَاءَ أَذْنِي إِلَيْهِ النُّجُومِ * فَنَاجَى الْحَجْرَةَ وَالْفَرْقِدَا^(٣)
 وَإِنْ شَاءَ زَعَزَعَ شَمَّ الْجِبَالِ * نَحَرَّتْ لِأَقْدَامِهِ سَجْدَا^(٤)
 وَإِنْ شَاءَ شَاهَدَ فِي ذَرَّةٍ * عَوَالِمَ لَمْ تَحْمَى فِيهَا سُدَى^(٥)
 زَمَانٌ تُسَخَّرُ فِيهِ الرِّيَّاحُ * وَيَغْدُو الْجَمَادُ بِهِ مُنْشِدَا^(٦)
 وَتَعْنُو الطَّبِيعَةُ لِلْعَارِفِينَ * بِمَعْنَى الْوُجُودِ وَسِرِّ الْهُدَى^(٧)

- (١) الأيد (بتشديد الياء) : القوى ؛ من الأيد (بفتح الهيمزة وسكون الياء) بمعنى القوة .
 يقول : أتشقى أيها الشرق بحرمانك من العلوم وللطارف في زمن قاض فيه العلم ، وأخذت كل أمة منه بحظ
 حتى أصبح الضعيف ذا قوة بسببه ، بما اكتسب من علم . (٢) بز : غلب . والسها : كوكب
 صغير خفى الضوء في بنات نعش ، والناس يمتحنون به أبصارهم لظفاء ضوئه . يقول : إذا شاء ذو العلم
 سلب من هذا النجم سره المكتوم ، وجعله ظاهرا للناس يعرفون من أمره ما يعرفون من الكائنات التي يدركونها
 بحواسهم . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى علماء الفلك وما وصلوا إليه من اكتشافات في هذا العلم .
 (٣) الحجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر ، وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء ، ولهذا
 يشبهها الأدباء بالنهر ، فيقولون : نهر الحجرة . والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به ، جمعه فراقد .
 (٤) شم الجبال : ما علامها وشمخ ، الواحد أشم . ويشير بهذا البيت إلى المخترعات الحربية التي
 تصف الجبال . (٥) الذرة : واحدة الذر (بفتح الذال) ، وهو الهباء المنبث في الهواء . ويشير بهذا
 البيت إلى المنظار المكبر للأشياء ، المعروف بالمكسكوب ونحوه . ويريد «بالعوالم» : عوالم الميكروبات .
 (٦) يشير بالشر الأزل من هذا البيت إلى الطائرات ؛ وبالشر الثاني إلى الحاكى .
 (٧) تعنو : تخضع وتذل .

- (١) إذا ما أهابوا أجاب الحديد * وقام البخار له مسعدا
 (٢) وطارت إليهم من الكهرا * بروق على السلك تطوى المدى
 (٣) أيجل من بعد هذا وذاك * بأن نستكين وأن نجمدا
 (٤) وها أمة (الصفير) قد مهدت * لنا النهج فاستبقوا الموردا
 (٥) فأيها الناشئون أعملوا * على خير مضير وكونوا يدا
 (٦) ستظهر فيكم ذوات الغيوب * رجلا تكون لمصر الفدا
 فيا ليت شعري من منكم * إذا هي نادت يلبي النداء
 لك الله يا (مصطفى) من قتي * كثير الأيدي، كثير العدا
 إذا ما حمدتك بين الرجال * فانت الخلق بأن محمد
 سيحصى عليك سبيل الزمان * ثناء يجلد ما خلدا
 ويهتف بأسمك أبناؤنا * إذا آن للزرع أن يحصدا

(١) أهاب به : دعاه . ومسعدا : معيا .

(٢) المدى : المسافة على نوعها من زمنية أو مكانية . ويشير بهذا البيت إلى الآتين المعروفين

بالتلغراف والتليفون .

(٣) نستكين : نذل ونخضع .

(٤) يريد « بأمة الصفير » : اليابانيين ؛ وسما بذلك للونهم . والنهج : الطريق . واستبقوا الموردا

أى سبقوا غيرهم من أمم الشرق إلى الارتشاف من مناهل العلوم والمعارف .

(٥) كونوا يدا : عبارة يراد بها اتحاد الكلمة واجتماع الرأي حتى كأنهم فرد واحد

(٦) ذوات الغيوب، أى الأقدار التي في عالم الغيب .

إلى ناظر المعارف سعد زغلول باشا

[نشرت في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٦ م]

- (١)
مالي أرى ببحر السِّيا * سِةٍ لا نبي جزراً ومدًا
- (٢)
وأرى الصَّحائفَ أَيْبَسَتْ * ما بيننا أَخْذاً وردًا
- (٣)
هَذَا يَرى رَأى العَمِيءِ * يدِ وذا يعدُّ عليه عَدَا
- (٤)
وأرى الوِزارَةَ تَجَنَّبَنِي * مِنْ مَرِّ هَذَا العَيْشِ شُهْدا
- (٥)
نَامَتْ بِمِصْرَ وَأَيْقَظَتْ * لِحَوَادِثِ الأَيَّامِ (سَعْدَا)
- فَطَرَحَتْهَا وَسَأَلَتْ عُنْدَ * مُهْ قَيْلِ لِي : لَمْ يَأَلْ جُهْدَا
- (٦)
يا (سَعْدُ) أَنْتَ (مَسِيحُهَا) * فَاجْعَلْ لِهَذَا المَوْتِ حَدا
- يا (سَعْدُ) إِنَّ (مِصْرَ) أَيْ * تَأَمَّا تُؤَمِّلُ فَيْكَ سَعْدَا
- قَدْ قَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ * مِنَ العِلْمِ ضَيْقُ الحَالِ سَدَا

(١) نبي : يبطئ .

(٢) أَيْبَسَتْ ما بيننا ، أى قطعت ما بيننا من مودة ؛ وسِستار اليبس للتقاطع ؛ يقال : قد يبس ما بينهما : إذا تقاطعا ، كما يستعار الليل للتواصل .

(٣) يريد أن ساسة مصر فريقان : فريق يوافق عميد الدولة الإنجليزية على ما يرى ، وفريق آخر يعد مساوية في مصر .

(٤) يريد أن الوزراء كانوا يستغلون بؤس الناس لإسعاد أنفسهم .

(٥) نامت ، أى الوزارة .

(٦) شبهه بالمسيح في أنف معجزته لإحياء الموتى . قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى باذن الله) .

ما زِلْتُ أَرْجُو أَنَّ أَرَا * كَ أَبَا وَأَنَّ أَلْفَاكَ جَدًّا
 حَتَّى غَدَوْتَ أَبَا لَهُ * أَصَحَّتْ عِيَالُ الْقَطْرِ وَوَلَدَا
 فَارِدٌ لَنَا عَهْدَ (الإمام) * وَكُنْ بِنَا الرَّجُلَ الْمُقَدَّى (١)
 أَنَا لَا أَلُومُ الْمُسْتَشَا * رَ إِذَا تَعَلَّلَ أَوْ تَصَدَّى (٢)
 فَسَبِيلُهُ أَنْ يَسْتَبِي * دُ شَأْنَنَا أَنْ نَسْتَعِيدَا
 هِيَ سُنَّةُ الْمُحْتَلِّ فِي * كُلِّ الْعُصُورِ وَمَا تَعَدَّى

الحث على تعضيد مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقامه محفل الصدق الماسوني في دار التمثيل العربي،

وخصص إيرادده لمشروع الجامعة المصرية

[نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٧ م]

إِنْ كُنْتُمْ تَبْدُلُونَ الْمَالَ عَنْ رَهَبٍ * فَتَحْنُ نَدْعُوكُمْ لِلْبَدْلِ عَنْ رَغَبٍ
 ذَرِ الْكُتَاتِبَ مُنْشِئَهَا بِلا عَدَدٍ * ذَرِ الرَّامِدِ بَيْنِ الْحَاذِقِ الْأَرَبِ (٣)

(١) يريد « بالإمام » : الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده .

(٢) يريد بالمستشار : المستر (دائلوب) الإنجليزي ، مستشار المعارف إذ ذاك . وتعلل :
 تصنع العطل والمعاذير المانعة من نشر العلم في البلاد المصرية . وتصدئ : تعرّض للصلحين بالمنع .

(٣) الأرب : البصير الماهر . ويشير بهذا البيت إلى ما كان يقصد إليه المستشار الإنجليزي
 لنظارة المعارف والعميد الإنجليزي إذ ذاك من إلقاء المصريين وتسكينهم بأشغال الكاتيب الصغيرة في القرى
 والمدن عن أن يطلبوا إلى الحكومة إنشاء جامعة على نسق الجامعات الأوروبية .

فَأَنْشَأُوا أَلْفَ كُتَّابٍ وَقَدْ عَلِمُوا * أَنْ الْمَصَابِيحَ لَا تُغْنِي عَنِ الشُّهْبِ
 هَبُوا الْأَجِيرَ أَوِ الْحَرَّاتَ قَدْ بَلَّغَا * حَدَّ الْقِرَاءَةِ فِي صُحُفٍ وَفِي كُتُبِ
 مِنَ الْمُدَاوِي إِذَا مَا عِلَّةٌ عَرَّضَتْ * مِنَ الْمُدَافِعِ عَنْ عَرِيضٍ وَعَنْ نَسَبِ
 وَمَنْ يَرُوضُ مِيَاهَ النَّيْلِ إِنْ جَمَحَتْ * وَأَنْذَرَتْ مِصْرَ بِالْوَيَالِ وَالْحَرْبِ
 وَمَنْ يُوَكَّلُ بِالْقِسْطِ يَبْتَهِمُكُمْ * حَتَّى يَرَى الْحَقُّ ذَا حَوْلٍ وَذَا غَلَبِ
 وَمَنْ يُطَلُّ عَلَى الْإِفْلَاقِ يَرُصُّهَا * بَيْنَ الْمَنَاطِقِ عَنْ بَعْدٍ وَعَنْ كَثَبِ
 بَيْتٌ يُفَيْئِنَا عَمَّا تَسْمُ بِهِ * سَرَائِرُ الْغَيْبِ عَنْ شَفَافَةِ الْجُبِّ
 وَمَنْ يَبْزُ أَدِيمَ الْأَرْضِ مَا رَكَزَتْ * فِيهَا الطَّبِيعَةُ مِنْ بَدْعٍ وَمِنْ عَجَبِ
 يَظَلُّ يَنْشُدُ مِنْ قَرَاتِهَا نَبَأً * ضَمَّنَتْ بِهِ الْأَرْضُ فِي مَاضٍ مِنَ الْحُقُبِ
 وَمَنْ يُمِيطُ سِتَارَ الْجَهْلِ إِنْ طُمِسَتْ * مَعَالِمَ الْقَصْدِ بَيْنَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

(١) النشب (بالتحريك) : المال . ويشير بهذا البيت والآيات السبعة بعده إلى طوائف المتخرجين من الجامعة على اختلافهم : من أطباء ، ومحامين ، ومهندسين ، وقضاة ، وفلكيين ، وعلماء بطبقات الأرض ، ومعلمين . (٢) يروض مياه النيل : يقوم على تصريفها وتدير أمرها ، ولا يدعها تفرق البلاد بطغيانها . وأصله من رياضة الدواب ، وهو تذليلها بعد صعوبتها وتفورها . (٣) القسطاس (بكسر القاف وضمها) : ميزان العدل ؛ قيل هو روميّ معرب . والحول : القوة . (٤) يرصدها : يرقبها . والكثب (بالتحريك) : القرب . (٥) يبز : يسلب . وأديم الأرض : وجهها . وركزت ، أى طوت وخبأت . والبدع : الذى لا مثيل له . (٦) ينشد : يطلب . (٧) يميظ : يكشف . وطمست : انمحت . وأنذرت . ومعالم القصد : العلامات التى تبين طريقه وتدل عليه . يقول : إن هذا العالم الذى يميث فى طبقات الأرض وما حوت من معادن يظل يطلب فى كل ذرة من ذراتها سرا كتمته ولم تبج به فى غابر الأزمان لجهل الماضين بما فى باطن الأرض من عجائب .

- (١) فما لكم أيها الأقوام جامعة * إلا بجماعة موصولة السبب
 (٢) قد قام (سعد) بها حيناً وأسلمها * إلى (أمين) فلم يحجم ولم يهيب
 فعاونوه يعاونكم على عمل * فيه الفخار وما ترجون من أرب
 وبينوا لرجال الغرب أنكم * إذا طلبتم بلغتم غاية الطلب
 لا تلجسوا في العلا إلا إلى هم * وثابة لا تبالي هممة النوب
 (٣) فإت تأمليكم في غيركم وهن * في النفس يرنح عنان السعي والدأب
 (٤) إن قام منا مناد قال قائلهم * لا تصخبوا فهلاك الشعب في الصخب
 (٥) أو نابنا حدث نرجو إزالته * قال استكينوا وخلوا سورة الغضب
 (٦) فما سمونا إلى نجد نحاوله * إلا هبطنا إلى غور من العطب
 (٧) يا مضر هل بعد هذا اليأس متسع * يجري الرجاء به في كل مضطرب
 لا نحن موتى ولا الأحياء نُسبنا * كأننا فيك لم نشهد ولم نعب

(١) يريد بالجماعة (الأولى) : الرابطة التي تربط الأمة وتجمع طوائفها . وبالجماعة (الثانية) : ذلك المعهد المعروف . (٢) يريد المرحوم سعد زغلول باشا ، وكان من أقوى أنصار فكرة إنشاء الجامعة المصرية والساعين في تحقيقها ، فلما أسندت إليه نظارة المعارف أسلم أعمال الجامعة إلى المرحوم قاسم بك أمين . (٣) الوهن : الضعف . والدأب : الاجتهاد في الأمر والاستمرار عليه . (٤) الصخب (بالتحريك) : شدة الأصوات واختلاطها . (٥) استكينوا : استدلوا . وسورة الغضب : حدته . (٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . والغور : ما اطمأن منها وانخفض . والعطب : الهلاك . (٧) المضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أي يذهبون ويحيثون في أمور حياتهم . يقول : هل بعد هذا اليأس من فسحة تسع فيها آمال مصر في جميع مناحي الحياة ومذاهبها .

(١) نَبِيَّ عَلَى بَلَدِ مَالِ النَّضَارِ بِهِ * لِلوَافِدِينَ وَأَهْلُوهُ عَلَى سَغَبِ
 متى نراه وقد باتت خزائنه * كثرًا من العلم لا كثرًا من الذهب
 (٢) هذا هو العمل المبرور فآكتتبوا * بالمال إنا آكتتبنا فيه بالأدب

سورية ومصر

أشدها في الحفل الذي أقامه لتكريمه جماعة من السوريين بفندق شبرد

[نشرت في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٨ م]

(٣) لِمَصْرَ أَمْ لِرُبُوعِ الشَّامِ تَتَسَبُّ * هُنَا الْعَلَا وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ
 (٤) رُكَّانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا * قَلْبُ الْهِلَالِ عَلَيْهَا خَافِقٌ يَجِبُ
 (٥) خِدْرَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُهْتِكْ سُبُورُهُمَا * وَلَا تَحْوَلُ عَنْ مَغْنَاهُمَا الْأَدَبُ
 (٦) أُمُّ اللُّغَاتِ غَدَاةَ الْفَخْرِ أُمَّهُمَا * وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْآبَاءِ فَالْعَرَبُ

- (١) النضار : الذهب . والسغب : البلوع . (٢) استعمال «الاكتتاب» بمعنى جمع المال من القوم لمصلحة عامة أو خاصة ، استعمال شائع في كلام أهل العصر ، وهو استعمال مجازي ؛ وأصله من قولهم : اكتب فلان ، إذا كتب اسمه في ديوان السلطان . ولما كان المتبرعون بالأموال تقيد أسماءهم في سجل مخصوص لذلك ، صح أن يجوز في ذلك ويعبر عن جمع الأموال بالاكتتاب .
- (٣) أي انتسب إلى أي الأمتين شئت ، فكلاهما في الملا والحسب سواء . (٤) ويجب وجبا ووجيا : اضطرب ؛ وهو هنا تخاية عن الإشفاق على كلتا الأمتين والرعاية لهما والحرص عليهما . والهلل : شعار الدولة العثمانية .
- (٥) الضاد : تخاية عن اللغة العربية . والمغنى : المنزل الذي غنى به أهله ، أي أقاموا .
- (٦) يريد أن الأمتين تجمع بينهما أمومة واحدة وهي اللغة ، وأبوّة واحدة ، وهم العرب .

- (١) أَيْرَغْبَانٍ عَنِ الْحُسْنَى وَيَنْهَمَا * فِي رَائِعَاتِ الْمَعَالِي ذَلِكَ النَّسَبُ
- (٢) وَلَا يَمْتَنَانِ بِالْقُرْبَى وَيَنْهَمَا * تِلْكَ الْقَرَابَةُ لَمْ يَقْطَعْ لَهَا سَبَبٌ؟
- (٣) إِذَا أَلَمْتُ بِوَادِي النَّيْلِ نَارِلَةٌ * بَاتَتْ لَهَا رَاسِيَاتُ الشَّامِ تَضْطَرِبُ
- (٤) وَإِنْ دَعَا فِي تَرَى الْأَهْرَامِ ذُو أَلَمٍ * أَجَابَهُ فِي ذُرَا لُبْنَانَ مُتَحَبِّبٌ
- (٥) لَوْ أَخْلَصَ النَّيْلُ وَالْأَرْدُنُّ وَدُهُمَا * تَصَالَحَتْ مِنْهُمَا الْأَمْوَاهُ وَالْعُشْبُ
- (٦) بِالْوَادِيَيْنِ تَمَشَى الْفَخْرُ مِشْبَتَهُ * يَحْفُ نَاحِيَتَيْهِ الْجُودُ وَالذَّابُ
- (٧) فَسَالَ هَذَا سَخَاءً دُونَهُ دِيمٌ * وَسَالَ هَذَا مَضَاءً دُونَهُ الْقَضِبُ
- نَسِيمَ لُبْنَانَ كَمْ جَادَتْكَ عَاطِرَةٌ * مِنْ الرِّيَاضِ وَكَمْ حَبَاكَ مُنْسِكِبٌ
- (٨) فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ أَنْفَاسٌ مَسْعَرَةٌ * تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَكْبَادُهَا لَهَبٌ
- (٩) لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَتَغَوَّا بَدَلًا * مِنْ طَيْبِ رِيَاكَ لَكِنَّ الْعُلَا تَعَبٌ
- (١٠) كَمْ غَادَةٍ بِرُبُوعِ الشَّامِ بَاكِيَةٌ * عَلَى أَلْفِهَا يَرْمِي بِهَا الطَّلَبُ

- (١) يرغبان عن الحسنى : ينصرفان عن حسن الجوار . رائعات المعالي : ما ظهر منها ووضح .
 (٢) مت إليه بكذا : توسل إليه به . (٣) ألت : نزلت . وراسيات الشام : جبالها .
 (٤) ذرا لبنان : مرتفعا وأعليه ، الواحدة ذروة (٥) الأردن : نهر فلسطين معروف .
 والأمواه : جمع ماء . (٦) الذاب (بالتحريك) : الجد والاجتهاد . (٧) الديم
 من السحب : جمع ديمة ، وهي الدائمة المطر . والقضب : السيوف القواطع ، الواحد قضيب ، فعيل
 بمعنى فاعل . يشير بالشر الأول إلى وادي النيل ، وبالشر الثاني إلى وادي الأردن . (٨) مسعرة :
 ملتبة من الشوق . وتهفو : تميل . ويشير إلى حنين رجال لبنان النائين عن وطنهم في أنحاء الأرض طلبا
 للرزق . (٩) الريا : الرائحة الطيبة . (١٠) الغادة : الفتاة المثنية لينا ونعومة .
 « ويرى » الخ ، أى يقذف به طلب الرزق في أنحاء البلاد .

- (١) يَمْضِي وَلَا حِيلَةَ إِلَّا عَزِيمَتُهُ * وَيَنْتَنِي وَحُلَاهُ الْمَجْدُ وَالذَّهَبُ
 (٢) يَكُرُّ صَرْفُ اللَّيَالِي عَنْهُ مُتَقَلِّبًا * وَعَزْمُهُ لَيْسَ يَدْرِي كَيْفَ يَنْقَلِبُ
 (٣) بِأَرْضِ (كَوْلِب) أَبْطَالُ غَطَارِفَةٍ * أَسَدٌ جِيَاعٌ إِذَا مَا وَوُثِبُوا وَثَبُوا
 (٤) لَمْ يَجْهَرُوا عِلْمٌ فِيهَا وَلَا عُدَدٌ * سِوَى مَضَاءٍ تَحَامَى وَرَدَهُ النَّوْبُ
 (٥) أَسْطُولُهُمْ أَمَلٌ فِي الْبَحْرِ مَرْتَحِلٌ * وَجَيْشُهُمْ عَمَلٌ فِي الْبَرِّ مَغْتَرِبٌ
 (٦) لَهُمْ بِكُلِّ خِضْمٍ مَسْرَبٌ نَهْجٌ * وَفِي ذَرَا كُلِّ طَوْدٍ مَسْلَكٌ عَجَبٌ
 (٧) لَمْ تَبْدُ بَارِقَةً فِي أَفْقٍ مُتَجَعِّجٍ * إِلَّا وَكَانَ لَهَا بِالشَّامِ مَرْتَقِبٌ
 مَا عَابَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قَدْ تَرُّوا * فَالشَّهْبُ مَشْوَرَةٌ مَدَّ كَانَتْ الشَّهْبُ

- (١) يقول : إن هذا الطالب يذهب على وجهه غير مزود إلا بعزيمة صادقة ، ويعود متحليا بجلي
 المجد ، موفورا الثراء والغنى . (٢) « يكرُّ صرف الليالي عنه » الخ ، يقول : إن نواب الأيام
 ترتد عنه متقلبة وعزمه ثابت ماض في سبيله لا يتغير ولا يتبدل . (٣) أرض كولب : أمريكا
 أضيفت الى مكتشفها . والغطارفة : السادة الشرفاء والسراة من الناس ، الواحد غطريف وغطراف .
 ويريد رجال لبنان المهاجرين إلى أمريكا . وإذا ما ووثبوا وثبوا ، أي اذا ما اعتدى عليهم انتصفوا
 لأقسامهم . والمواثبة بين الخصمين : أن يثب كل منهما على صاحبه . (٤) تحامى : تتحامى ، فحذف
 إحدى التاءين للتخفيف . ويريد بقوله : « لم يجهم علم » : أنهم ليسوا أصحاب سفارة يحتمون بها
 وإنما يحتمون بمضاتهم وعزمهم اللذين ترتد عنهما نواب الأيام كليلة مهزومة . (٥) يقول : إنهم
 لا أسطول لهم ولا جيش غير الأمل البعيد والعمل للرزق في كل مكان . (٦) الخضم : البحر .
 والمسرب : الطريق . والنهج من الطرق (بتسكين الهاء) : الواضح المسلك منها ؛ وحرك الهاء بالفتح
 لضرورة الوزن . « وذرا كل طود » ، أي أعالي كل جبل . (٧) المتجعج : مكان الانثجاع ، أي
 طلب الرزق . يقول : إنه قد بلغ من سعيهم على الرزق أنه لا تظهر علامة تنبئ بوجوده في مكان إلا وجدت
 من رجال الشام من يرقبها ويسبق الناس إليها .

- (١) وَلَمْ يَضْرَهُمْ سُرَاءً فِي مَنَابِكِهَا * فَكُلُّ حَيٍّ لَهُ فِي الْكَوْنِ مُضْطَرَبٌ
 (٢) رَادُوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ وَجَدُوا * إِلَى الْمَجْرَةِ رَكْبًا صَاعِدًا رَكِبُوا
 (٣) أَوْ قِيلَ فِي الشَّمْسِ لِلزَّاجِئِينَ مُتَجَمِّعٌ * مَدُّوا لَهَا سَبَبًا فِي الْجَوِّ وَأَتَدَّبُوا
 (٤) سَعَوْا إِلَى الْكَسْبِ مَحْمُودًا وَمَا فَتَنَتْ * أُمَّ اللُّغَاتِ بِذَلِكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ
 فَأَيْنَ كَانَ الشَّامِيُّونَ كَانَ لَهَا * عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَحْتَجِبُ
 هُدَى يَدِي عَنْ بَنِي مِصْرٍ تُصَافِحُكُمْ * فَصَافِحُوهَا تُصَافِحُ نَفْسَهَا الْعَرَبُ
 (٥) فَا الْكِنَانَةُ إِلَّا الشَّامُ عَاجَ عَلِي * رُبُوعَهَا مِنْ بَيْنِهَا سَادَةُ نَجْبٍ
 (٦) لَوْلَا رِجَالٌ تَغَالَوْا فِي سِيَاسَتِهِمْ * مِنَّا وَمِنْهُمْ لَمَّا لَعْنَا وَلَا عَتَبُوا
 (٧) إِنْ يَكْتُبُوا لِي ذَنْبًا فِي مَوَدَّتِهِمْ * فَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الذَّنْبِ الَّذِي كَتَبُوا

- (١) السرى (مقصورا ومد للشعر) : السير بالليل . و منابك الأرض : نواحيها . والمضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويحيثون .
 (٢) رادوا : طلبوا . والمناهل : الموارد .
 (٣) اتدب فلان للأمر : خف إليه .
 (٤) يريد بقوله : « وما فتنت » الخ : أنهم ينشرون اللغة العربية حيثما حلوا ؛ وفي ذلك كسب لها .
 (٥) عاج على المكان : مال إليه .
 (٦) يقول : لولا جماعة المفرقين بين القطرين وتغاليمهم في ذلك ، لما وقع بيننا ما يوجب اللوم منا ولا العتاب منهم .
 (٧) الضمير في « مودتهم » للسوريين .

في الحث على تعزيد مشروع الجامعة

أشدها في الحفل الذي أقيم في « تياترو برنتانيا » في ٨ مايو سنة ١٩٠٨ م

- (١)
 حَيَّاكُمْ اللهُ أَحْيَا الْعِلْمَ وَالْأَدَبَا * إِنَّ تَشْرُوا الْعِلْمَ يَنْشُرْ فِيكُمْ الْعَرَبَا
 وَلَا حَيَاةَ لَكُمْ إِلَّا بِجَامِعِيَةِ * تَكُونُ أُمَّا لَطُلَّابِ الْعُلَا وَأَبَا
 تَبْنِي الرِّجَالَ رَبَّنِي كُلَّ شَاهِقِيَةِ * مِنْ الْمَعَالِي وَتَبْنِي الْعِزَّ وَالغَلْبَا
 ضَعُوا الْقُلُوبَ أَسَاسَا لَا أَقُولُ لَكُمْ * ضَعُوا النُّضَارَ فَإِنِّي أَصْغِرُ الذَّهْبَا
 وَأَبْنُوا بَأَجَادِكُمْ سُورَا لَهَا وَدَعُوا * قِيلَ الْعَدُوِّ فَإِنِّي أَعْرِفُ السَّبِيَا
 لَا تَقْنَطُوا إِن قَرَأْتُمْ مَا يُزَوِّقُهُ * ذَاكَ الْعَمِيدُ وَرِيمِكُمْ بِهِ غَضَابَا
 وَرَاقِبُوا يَوْمَ لَا تُغْنِي حَصَائِدُهُ * فَكُلُّ حَيٍّ سَيُجْزَى بِالَّذِي اكْتَسَبَا
 بَنِي عَلَى الْإِفْكِ أَبْرَاجَا مُشِيدَةً * فَابْنُوا عَلَى الْحَقِّ بَرَجَا يَنْطَعُ الشَّهْبَا
 وَجَاوِبُوهُ بِفِعْلٍ لَا يَقْوَضُهُ * قَوْلُ الْمُفْنِدِ أُنِّي قَالَ أَوْ خَطْبَا
 لَا تَهْجَعُوا إِيْنَهُمْ لَنْ يَهْجَعُوا أَبَدَا * وَطَالِبُوهُمْ وَلَكِنْ أَجْمَلُوا الطَّلْبَا

(١) « ينشر » الخ، أى يبعث فيكم مجد العرب كما كان أولا .

(٢) قيل العدر، أى قوله .

(٣) يشير إلى ما كان يقببه عميد الدولة الإنجليزية من العقبات في سبيل إنشاء الجامعة، وما كان يتهم

به المصريين وريميم به من أنهم ليسوا أهلا للتعليم العالي . (٤) حصائده، أى حصائد العميد،
 أى ما يقوله من الكلام الذى لا قيمة له لئني به العزائم عن إنشاء الجامعة .

(٥) الإفك : الكذب . (٦) يقوِّضه : يهدمه . والمفند : المكذب .

(٧) الضمير في "إنهم" للانجليز . وأجمل في الطلب : ترفق .

- (١) هل جاءكم نَبَأُ الْقَوْمِ الْآلَى دَرَجُوا * وَخَلَفُوا لِلْوَرَى مِنْ ذِكْرِهِمْ عَجَبًا
- (٢) عَزَّتْ (بِقُرطاجَة) الْأَمْرَاسُ فَأَرْتِهِنَتْ * فِيهَا السِّفِينُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا أَضْطَرَبَا
- (٣) وَالْحَرْبُ فِي لَهَبٍ، وَالْقَوْمُ فِي حَرَبٍ * قَدْ مَدَّ نَقْعُ الْمَنَايَا فَوْقَهُمْ طُنْبًا
- (٤) وَدَوَّ بِهَا وَجَوَارِيهِمْ مُعْطَلَةٌ * لَوْ أَنَّ أَهْدَابَهُمْ كَانَتْ لَهَا سَبِيًا
- (٥) هُنَالِكَ الْغَيْدُ جَادَتْ بِالَّذِي بَجَلَتْ * بِهِ دَلَالًا فَقَامَتْ بِالَّذِي وَجَبَا
- (٦) بَجَزَتْ غَدَائِرَ شَعْرِ سَرَحَتْ سُفْنًا * وَاسْتَقَدَّتْ وَطَنًا وَاسْتَرْجَعَتْ نَسَبًا
- (٧) رَأَتْ حُلَاهَا عَلَى الْأَوْطَانِ فَابْتَهَجَتْ * وَلَمْ تَحْسُرْ عَلَى الْحَلِيِّ الَّذِي ذَهَبَا
- (٨) وَزَادَهَا ذَاكَ حُسْنًا وَهِيَ عَاطِلَةٌ * تُرْهِى عَلَى مَنْ مَشَى لِلْحَرْبِ أَوْ رِكَبَا
- (٩) (و) برثران الَّذِي حَاكَ الْإِبَاءُ لَهُ * ثَوْبًا مِنَ الْفَخْرِ أَيْلَى الدَّهْرِ وَالْحَقْبَا

- (١) درجوا : مضوا وذهبوا . ويريد «بالقوم» : أهل قرطاجنة الآتى ذكرهم .
- (٢) قرطاجنة ، يريد قرطاجنة ، وهى مدينة على شاطئ افريقية الشمال بالقرب من موقع مدينة تونس الحالية ، أنشئت فى القرن التاسع قبل الميلاد . والأمراس : الحبال . وعزت : قلت . ويشير بهذا البيت الى الحرب البونية الثالثة التى وقعت بين الرومان والقرطاجنيين من سنة ١٤٩ ق م . الى سنة ١٤٦ ق م . والتى قلت فيها حبال السفن عند القرطاجنيين ، فذكر بعض المؤرخين أن نساءهم جدن بشعورهن لتتخذ منها تلك الحبال .
- (٣) الحرب (بالتحريك) : الهلاك والويل . والنقع : الغبار . ويريد «بالطنب» : الخيام ، شبه بها غبار الحرب . والطنب (فى الأصل) : حبال الخيام . (٤) الجوارى : السفن . (٥) الغيد : جمع غيداء ، وهى الفتاة المثنية لينا . (٦) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة من الشعر . والنشب : المسال والمقار . (٧) «رأت حلاها على الأوطان» أى رأت غداؤها تبذل فى الدفاع عن الوطن . وتحسر : تحسّر . (٨) الضمير فى قوله : «زادها» للعيد . «وترهى» : تتخال وتفتخر . (٩) حاك : نسج . وبرثران : قائد فرنسى ولد سنة ١٧٧٣ م ، ودخل الخدمة العسكرية سنة ١٧٩٢ ضابطا ، وجاء مع نابليون الى مصر حيث جعله قائدا للدفعية . وقد صحب نابليون الى (جزيرة البأ) ثم الى (جزيرة سنت هيلانة) حيث لبث معه الى سنة ١٨٢١ ؛ وكانت وفاته سنة ١٨٤٤ وقد ذكر الشاعر قصته مفصلة فى الأبيات الآتية .

أَقَامَ فِي الْأَسْرِ حِينًا تَمَّ قِيلَ لَهُ : * أَلَمْ يَنْ أَنْ تُفَدِّيَ الْمَجْدَ وَالْحَسَبَا
 قُلْ وَأَحْتِكُمْ أَنْتَ مُخْتَارٌ، فَقَالَ لَهُمْ : * إِنَّا رَجَالٌ نُهِنُ الْمَالَ وَالنَّشَبَا
 خُذُوا الْقَنَاظِيرَ مِنْ تَبْرِ مُقَنْطَرَةٍ * يُخَوِّرُ خَازِنُكُمْ فِي عَدَّهَا تَعْبَا (١)
 قَالُوا : حَكَمْتَ بِمَا لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ * حَمَلًا نَكَادُ نَرَى مَا قُلْتَهُ لَعْبَا
 فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فِي الْحَيِّ فَازِلَةٌ * مِنْ الْحِسَانِ تَرَى فِي فِدَتِي نَصَبَا (٢)
 لَوْ أَنَّهُمْ كَلَّفُوهَا بَيْعَ مِغْزَلِهَا * لَأَثَرْتَنِي وَصَحَّتْ قُوَّتُهَا رَغْبَا
 هَذَا هُوَ الْأَثَرُ الْبَاقِي فَلَا تَقْفُوا * عِنْدَ الْكَلَامِ إِذَا حَاوَلْتُمْ أَرْبَا
 وَدُونَكُمْ مَثَلًا أَوْشَكْتُ أَضْرِبُهُ * فِيكُمْ وَفِي مِصْرٍ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبَا
 سَمِعْتُ أَنْ أَمْرًا قَدْ كَانَ يَأْلَفُهُ * كَلْبٌ فَعَاشَا عَلَى الْإِخْلَاصِ وَأَصْطَحَبَا
 فَمَرَّ يَوْمًا بِهِ وَالْجُوعُ يَنْهَبُهُ * نَهَبًا فَلَمْ يَبْقِ إِلَّا الْجِلْدَ وَالْعَصَبَا (٣)
 فَظَلَّ يَبْكِي عَلَيْهِ حِينَ أَبْصَرَهُ * يَزُولُ ضَعْفًا وَيَقْضِي نَجْبَهُ سَغْبَا (٤)
 يَبْكِي عَلَيْهِ وَفِي يَمِينِهِ أَرْغَفَةٌ * لَوْ شَامَهَا جَائِعٌ مِنْ فَرَسِخٍ وَثَبَا (٥)
 فَقَالَ قَوْمٌ وَقَدْ رَفُّوا لِذِي الْأَمِّ * يَبْكِي ، وَذِي الْأَمِّ يَسْتَقْبِلُ الْعَطْبَا
 مَا خَطَبُ ذَا الْكَلْبِ؟ قَالَ : الْجُوعُ يَخْطِفُهُ * مَنِيٌّ وَيُنْشِبُ فِيهِ النَّابَ مُغْتَصِبَا
 قَالُوا وَقَدْ أَبْصَرُوا الرُّغْفَانَ زَاهِيَةً : * هَذَا الدَّوَاءُ فَهَلْ عَابَلَتْهُ فَأَبَى؟

(١) التبر : الذهب . ويخورد : يضعف ويفتر . (٢) النصب : التعب .

(٣) سغبا : جوعا . (٤) شامها : نظر إليها . (٥) يريد بذى الأثم الأول :

صاحب الكلب . وبذى الأثم الثاني : الكلب . والعطب : الهلاك .

- (١) أَجَابَهُمْ وَدَوَاعِيَ الشُّحِّ قَدْ ضَرَبَتْ * بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ مِنْ فَرَطِ الْقَلْبِ نُجْبًا
لِذَلِكَ الْحَدِّ لَمْ تَبْلُغْ مَوَدَّتَنَا * أَمَا كَفَى أَنْ يَرَانِي الْيَوْمَ مُتَّجِبًا
هَذِي دُمُوعِي عَلَى الْحَدَّيْنِ جَارِيَةً * حُزْنَا وَهَذَا فُؤَادِي يَرْتَعِي لَهْبًا
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ إِنْ كَانَتْ مَوَدَّتُنَا * كَصَاحِبِ الْكَلْبِ سَاءَ الْأَمْرُ مُنْقَلِبًا
أَعِيدُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُ فَزَرَى * مِنْكُمْ بُكَاءٌ وَلَا نُفِي لَكُمْ دَابًّا
إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ فِي أَوْطَانِكُمْ فَلَكُمْ * أَجْرُ الْمُجَاهِدِ، طُوبَى لِلَّذِي آكْتَبَا

رعاية الأطفال

أنشدها في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في الأوبرا في ٨ أبريل سنة ١٩١٠ م

- (٤) شَبَّحًا أَرَى أُمَّ ذَاكَ طَيْفِ خَيَالٍ * لَا، بَلْ قَنَاءٌ بِالْعَرَاءِ حِيَالِي
(٥) أَمَسْتُ بِمَدْرَجَةِ الْخُطُوبِ فَمَا لَهَا * رَاجِعٌ هُنَاكَ وَمَا لَهَا مِنْ وَآلِي
(٦) حَسْرَى، تَكَادُ تُعِيدُ فَحْمَةَ لَيْلِهَا * نَارًا بِأَنَاتٍ ذَكِينٍ طِوَالِ
(٧) مَا خَطْبُهَا، عَجْبًا، وَمَا خَطْبِي بِهَا؟ * مَا لِي أَشَاطِرُهَا الْوَجِيعَةَ مَا لِي؟
(٨) دَائِبَتُهَا وَلِصَوْتِهَا فِي مِسْمَعِي * وَقَعُ النَّبَالِ عَطْفَنَ إِثْرِ نِبَالِ

- (١) التلى : البغض والكراهية . (٢) المتقلب : المرجع والمصير .
(٣) الدأب : الجهد والاجتهاد . (٤) العراء (بفتح العين) : الفضاء الذي لا يستتر فيه شيء .
(٥) مدرجة الخطوب ، أى طريق النواذب . (٦) ذكين ، أى توفدن واشتغلن .
(٧) ما خطبها ، أى ما شأنها . (٨) عطفن : رجعن .

(١) وسألتها : مَنْ أَنْتِ؟ وَهِيَ كَأَنَّهَا * رَسَمٌ عَلَى طَلَلٍ مِنَ الْأَطْلَالِ
 قَتَمَلْتِ بَرِّمَا وَقَالَتْ : حَامِلٌ * لَمْ تَدْرِ طَعْمَ النَّعْمِضِ مُنْذُ لِيَابِي
 قَدِ مَاتَ وَالِدُهَا ، وَمَاتَتْ أُمُّهَا * وَمَضَى الْجِمَامُ بِعَمَّهَا وَالْحَمَالِ (٢)
 وَإِلَى هُنَا حَبَسَ الْحَيَاءُ لِسَانَهَا * وَجَرَى الْبُكَاءُ بِدَمْعِهَا الْمَطَّالِ
 فَعَلِمْتُ مَا تُخْفِي الْفَتَاةُ وَإِنَّمَا * يَخْنُو عَلَى أَمْثَالِهَا أَمْثَالِي
 وَوَقَفْتُ أَنْظُرُهَا كَأَنِّي عَابِدٌ * فِي هَيْكَلٍ يَرْتُو إِلَى تِمْتَالِ (٣)
 وَرَأَيْتُ آيَاتِ الْجَمَالِ تَكْفَلْتُ * بِزَوَاهِنِ فَوَادِحِ الْأَنْقَالِ (٤)
 لَا شَيْءَ أَفْعَلُ فِي النُّفُوسِ كَقَامَةِ * هَيْفَاءَ رَوْعِهَا الْأَسَى بِهَزَالِ
 أَوْ غَادَةٍ كَانَتْ تُرِيكَ إِذَا بَدَتْ * شَمْسَ النَّهَارِ فَأَصْبَحَتْ كَالْآلِ (٥)
 قُلْتُ : أَنْهَضِي ، قَالَتْ : أَيَنْهَضُ مَيْتٌ * مِنْ قَبْرِهِ وَيَسِيرُ شَرٌّ بِالِي (٦)
 فَحَمَلْتُ هَيْكَلَ عَظِيمِهَا وَكَأَنِّي * حَمَلْتُ حِينَ حَمَلْتُ عُودَ خِلَالِ (٧)
 وَطَفِئْتُ أَنْتَهَبُ الْخُطَا مُتِيمًا * بِاللَّيْلِ (دَارَ رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ)
 أَمْشِي وَأَحْمِلُ بِأَسِينِ : فَطَارِقُ * بَابَ الْحَيَاةِ وَمُؤَذِّنُ بَزْوَالِ (٨)

(١) الرسم : أثر الدار بعد بلاها . شبه هذه الفتاة برسوم الأطلال في النحول والفضالة .

(٢) الحمام : الموت . (٣) يرتو : ينظر .

(٤) يريد «فوادح الأقال» : نواب الدهر التي لا تختمل لثقلها . (٥) الآل : السراب .

(٦) الشن : القرية الخلق البالية . (٧) انتهب الخطا ، أى أسرع في السير . ومتيما : قاصدا .

(٨) طارق باب الحياة : الجنين . ويريد «بالمؤذن بالزوال» : أمه .

(١) أَبِكَيْمًا وَكَأَنَّمَا أَنَا ثَالِثٌ * لَهَا مِنَ الْإِشْفَاقِ وَالْإِعْوَالِ
 وَطَرَقْتُ بَابَ الدَّارِ لَا مُتَّهَبًا * أَحَدًا وَلَا مُتَرَقِّبًا لِسُؤَالِ
 طَرَقَ الْمُسَافِرِ آبَ مِنْ أَسْفَارِهِ * أَوْ طَرَقَ رَبَّ الدَّارِ غَيْرَ مُبَالِي
 وَإِذَا بِأَصْوَاتٍ تَصْبِيحُ: أَلَا أَفْتَحُوا * دَقَاتُ مَرْضَى مُدْلِجِينَ عِجَالِ^(٢)
 وَإِذَا بِأَيْدٍ طَاهِرَاتٍ عُدَّتْ * صُنْعَ الْجَمِيلِ تَطَوَّعَتْ فِي الْحَالِ
 جَاءَتْ تُسَاقِي فِي الْمَبْرَةِ بَعْضُهَا * بَعْضًا لَوْجِهِ اللَّهُ لَا لِلَّيْلِ
 فَتَنَوَّلَتْ بِالرَّفْقِ مَا أَنَا حَامِلٌ * كَالْأُمَّ تَكَلُّاً طِفْلَهَا وَتُوَالِي^(٣)
 وَإِذَا الطَّيِّبُ مُشَمَّرٌ وَإِذَا يَهَا * فَوْقَ الْوَسَائِدِ فِي مَكَانٍ عَالِي
 جَاءُوا بِأَنْوَاعِ الدَّوَاءِ وَطَوَّفُوا * بِسَرِيرِ ضَيْفَتِهِمْ كَبَعْضِ الْآلِ
 وَجَنَّا الطَّيِّبُ يَحْسُ نَبْضًا خَافِنَا * وَيُرُودُ مَكَّنَ دَائِمًا الْقَتَالِ^(٤)
 لَمْ يَدْرِ حِينَ دَنَا لِيَلُوقَهَا * دَقَاتِ قَلْبِ أُمِّ دَيْبِ نِيَالِ^(٥)
 وَدَعَتْهَا وَتَرَكْتَهَا فِي أَهْلِهَا * وَنَجَّحْتُ مُنْشِرًا رَضَى الْبَالِ
 وَعَجَزْتُ عَنْ شُكْرِ الَّذِينَ تَجَرَّدُوا * لِلْبَاقِيَاتِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ^(٦)
 لَمْ يُجِئُوهَا بِالسُّؤَالِ عَنْ أَسْمِهَا * تِلْكَ الْمُرُوءَةُ وَالشُّعُورُ الْعَالِي

(١) الإِعْوَالُ : الْبِكَاءُ . (٢) الْمُدْلِجُونَ : السَّارُونَ بِاللَّيْلِ . وَالْعِجَالُ : الْمَسْرَعُونَ .

(٣) تَكَلُّاً : تَحْفَظُ وَتَحْرَسُ . وَتُوَالِي : وَتُوَالِيهِ : تَتَمَهَّدُ وَتَخْنَعُ عَلَيْهِ . (٤) جَنَّا يَجْنُو : جَلَسَ عَلَى

رُكْبَتِهِ . وَالخَافَتُ : الضَّعِيفُ . وَيُرُودُ : يَطْلُبُ وَيَتَعَرَّفُ . وَمَكَّنَ دَائِمًا : حَيْثُ يَخْفَى الدَّاءُ مِنْ جَسْمِهَا .

(٥) يَلُوقُ : يَخْتَبِرُ . (٦) تَجَرَّدُوا : أَخْلَى قَسَمَهُ لَهُ . وَالْبَاقِيَاتُ : الْمَأْتَرَاتُ الَّتِي تَبْقَى بَعْدَ صَاحِبِهَا .

(١)
 خَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الْأَنْامِ صَنِيعَةٌ * تَتَّبِعُوا بِحَامِلِهَا عَنِ الْإِذْلَالِ
 وَإِذَا النَّوَالُ أَتَى وَلَمْ يَهْرَقْ لَهُ * مَاءُ الْوُجُوهِ فَذَلِكَ خَيْرُ نَوَالٍ
 مَنْ جَادَ مِنْ بَعْدِ السُّؤَالِ فَإِنَّهُ * وَهُوَ الْجَوَادُ - يُعَدُّ فِي الْبُخَالِ
 لِلَّهِ دَرَاهِمٌ فَكَمْ مِنْ بَائِسٍ * جَسْمٌ الْوَجِيعَةُ سَيِّئُ الْأَحْوَالِ
 تَرْمِي بِهِ الدُّنْيَا، فَمِنْ جُوعٍ، إِلَى * عُرِيٍّ، إِلَى سُقْمٍ، إِلَى إِفْلَالٍ
 عَيْنٌ مَسْهَدَةٌ وَقَلْبٌ وَاجِفٌ * نَفْسٌ مَرْوَعَةٌ وَجَيْبٌ خَالِي (٢)
 لَمْ يَدْرِ نَاطِرَهُ أَعْرِيَانَا يَرَى * أُمُّ كَاسِيًا فِي تِلْكَ الْأَسْمَالِ (٣)
 فَكَأَنَّ نَاحِلَ جِسْمِهِ فِي ثَوْبِهِ * خَلَقَ الْخُرُوقَ يُطَلُّ مِنْ غُرْبَالٍ
 يَا بَرْدُ، فَاحْمِلْ، قَدْ ظَفِرْتَ بِأَعْزَلٍ * يَا حَرُّ، تِلْكَ فَرِيْسَةُ الْمُغْتَالِ (٤)
 يَا عَيْنَ سَحَى، يَا قَلُوبَ تَفْطِرِي * يَا نَفْسَ رَقِي يَا مَرْوَعَةَ وَالِي (٥)
 لَوْلَاهُمْ لَقَضَى عَلَيْهِ شَقَاؤُهُ * وَخَلَا الْمَجَالُ لِحَاطِفِ الْأَجَالِ
 لَوْلَاهُمْ كَانَ الرَّدَى وَقَفًّا عَلَى * نَفْسِ الْفَقِيرِ ثَقِيلَةَ الْأَحْمَالِ
 لِلَّهِ دَرُّ السَّاهِرِينَ عَلَى الْآلِي * سَهَرُوا مِنَ الْأَوْجَاعِ وَالْأَوْجَالِ (٦)
 الْقَائِمِينَ بِنَجِيرٍ مَا جَاءَتْ بِهِ * مَدَنِيَّةُ الْأَدْيَانِ وَالْأَجْيَالِ

(١) الصنعة: الإحسان. «وتتبع بحاملها» الخ، أي تبعه بمن تقلدها عن الذل. (٢) مسهدة:

ساهرة. والواجف: الخائف. والمروعة: المفزعة. (٣) الأسمال: الخرق البالية.

(٤) الأعزل: الذي لا سلاح معه. ويريد به العاري من الثياب. يقول: أيها البرد احمل على هذا

العاري وهاججه فليس لديه ما يتقيك به. (٥) خاطف الأجال: الموت. (٦) الأوجال: المخاوف.

(١)
 أَهْلَ الْيَتِيمِ وَكَهْفِهِ وَحُمَاتِهِ * وَرَبِيعَ أَهْلِ الْبُؤْسِ وَالْإِمْحَالِ
 لَا تُتَمَلَّأُوا فِي الصَّالِحَاتِ فَإِنَّكُمْ * لَا تَجْهَلُونَ عَوَاقِبَ الْإِهْمَالِ
 إِنِّي أَرَى فُقَرَاءَكُمْ فِي حَاجَةٍ * — لو تَعَلَّمُونَ — لِقَائِلِ فَعَالِ
 قَسَابِقُوا الْخَيْرَاتِ فَهِيَ أَمَامَكُمْ * مِيدَانُ سَبْقِ الْجَوَادِ النَّالِ
 وَالْمُحْسِنُونَ لَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ * يَوْمَ الْإِثَابَةِ عَشْرَةَ الْأَمْثَالِ
 وَجَزَاءُ رَبِّ الْمُحْسِنِينَ يَجِئُ عَنْ * عَدٍّ وَعَنْ وَزْنٍ وَعَنْ مِكْيَالِ

مدرسة البنات ببور سعيد

أنشدها في حفل أقيم ببور سعيد في ٢٩ مايو سنة ١٩١٠ م لإغاثة تلك المدرسة

كَمْ ذَا يُكَابِدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي * فِي حُبِّ مِصْرَ كَثِيرَةَ الْعُشَاقِ
 إِنِّي لِأَجْمَلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةٌ * يَا مِصْرُ قَدْ تَخَرَّجَتْ عَنِ الْأَطْوَاقِ
 لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكِ طَلِيقَةً * يَجْمِي كَرِيمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقِي
 كَلَّفَ بِمَحْمُودِ الْخِلَالِ مُتَمِّمٌ * بِالْبَدْلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِنْفَاقِ
 إِنِّي لَتُطْرِبُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةٌ * طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأَوْبَةٍ وَتَلَاقِي

- (١) الكهف : اللجأ والمختبئ . ويريد بقوله : ربيع أهل البؤس : أنهم للباسين بمنزلة الربيع
 أي خصب وخير . والإمحال : الجذب . (٢) الجواد : الكريم . والنال : الكثير النائل
 وهو العطاء . (٣) الإثابة : الجزاء . ويشير إلى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) .
 (٤) الأطواق : جمع طوق ، وهو الجهد والطاقة . (٥) الكلف (فتح الكاف وكسر
 اللام) : الشد يد الحب للشيء .

وتَهزُنِي ذِكْرِي الْمُرْوَعَةَ وَالنَّدَى * بَيْنَ الشَّمَائِلِ هَزَّةَ الْمُشْتَاقِ
 (١)
 مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءِ مَزَاجِهَا * وَالشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسِبَاقِ
 وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُثُوسِ وَتَحْتَفِي * وَالْبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِ
 (٢)
 بِالَّذِي مِنْ خُلُقِي كَرِيمٍ طَاهِرٍ * قَدْ مَا زَجَّتْهُ سَلَامَةُ الْأَذْوَاقِ
 (٣)
 فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً تَحْمُودَةً * فَقَدْ أَصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ
 فَالِنَابِئُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ ، وَذَا * عِلْمٌ ، وَذَاكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
 (٤)
 وَالْمَالُ إِنْ لَمْ تَدْخِرْهُ مُحْصَنًا * بِالْعِلْمِ كَانَ نِهَآيَةَ الْإِمْلَاقِ
 (٥)
 وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلٌ * تُعْلِيهِ كَانَ مَطِيبَةَ الْإِنْخِفَاقِ
 (٦)
 لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ * مَا لَمْ يَتَّوَجَّرْ بِهِ بِخَلْقِ
 (٧)
 حِكْمِ عَالِمٍ مَدَّ الْعُلُومَ حَبَائِلًا * لَوْ قِيعَةٍ وَقَطِيعَةٍ وَفِرَاقِ
 (٨)
 وَقَفِيهِ قَوْمٌ ظَلُّوا يَرُصِدُ فِقْهَهُ * لِمَكِيدَةٍ أَوْ مُسْتَحَلِّ طَبَاقِ
 يَمْشِي وَقَدْ نُصِبَتْ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ * كَالْبُرْجِ لَكِنْ فَوْقَ تَلِّ نِفَاقِ

- (١) البابلية : النجر ، نسبة إلى بابل ، وهي ناحية بالعراق كان ينسب إليها النجر الجيد . والشرب : الشاربون . ويريد « بالسباق » : المسابقة في شرب النجر . (٢) ألد : خبر لـ « ما » في قوله السابق : « ما البابلية » . (٣) الخليفة : السجية والطبيعة . (٤) الإملاق : الفقر . (٥) تكتفه ، أي تحوطه وتحفظه . والشائيل : الأخلاق . والإخفاق : خيبة المسعى . (٦) الخلاق : النصيب من الصلاح والخير . (٧) حبايل الصيد : الأشرار التي يمدّها الصائد للاصطياد ، الواحدة حباله . والوقية : غية الناس . والقطيعة ، هي قطع الصلوات بين الناس بما تلقى بينهم من التثائم (٨) يرصد فقهه ، أي يعدّه ويهيئه .

- (١) يَدْعُونَهُ عِنْدَ الشَّقَايِ وَمَادَرُوا * أَنْتَ الَّذِي يَدْعُونَ خَدْنَ شِقَاقِ
 وَطَيِّبِ قَوْمٍ قَدْ أَحَلَّ لَطْبُهُ * مَا لَا تُحِلُّ شَرِيعَةُ الْخَلْقِ
 (٢) قَتَلَ الْأَجْنَةَ فِي الْبُطُونِ وَتَارَةً * جَمَعَ الدَّوَاتِقَ مِنْ دَمٍ مُهْرَاقِ
 (٣) أَغْلَى وَأَثَمَنُ مِنْ تَجَارِبِ عَلَيْهِ * يَوْمَ الْفَخَارِ تَجَارِبِ الْخَلْقِ
 (٤) وَمُهَنْدِسٍ لِلنَّيْلِ بَاتَ بِكَفِّهِ * مِفْتَاحُ رِزْقِ الْعَامِلِ الْمَطْرَاقِ
 (٥) تَنَدَّى وَتَيْبَسُ لِلخَلْقِ كَفُّهُ * بِالْمَاءِ طَوْعَ الْأَصْفَرِ الْبَرَّاقِ
 (٦) لَا شَيْءَ يَلْوِي مِنْ هَوَاهُ فَخَدُّهُ * فِي السَّلْبِ حَدَّ الْخَائِنِ السَّرَّاقِ
 وَأَدِيبِ قَوْمٍ تَسْتَحِقُّ يَمِينُهُ * قَطَعَ الْأَنَامِلِ أَوْ لَطَى الْإِحْرَاقِ
 يَلْهُو وَيَلْعَبُ بِالْعُقُولِ بَيَانُهُ * فَكَأَنَّهُ فِي السَّحْرِ رُقِيَةٌ رَاقِي
 (٧) فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَمِجُّ لَعَابُهُ * سَمًّا وَيَنْفِثُهُ عَلَى الْأَوْرَاقِ
 (٨) يَرِدُ الْحَقَائِقَ وَهِيَ بَيْضٌ نَصْعٌ * قُدْسِيَّةٌ عَلْوِيَّةٌ الْإِشْرَاقِ
 فَيَرُدُّهَا سُودًا عَلَى جَنَابَتِهَا * مِنْ ظُلْمَةِ التَّمْوِيهِ أَلْفَ نِطَاقِ

- (١) الخلدن : الصاحب والصديق . والشقاق : الخلاف . ويريد هنا الخلاف بين الزوجين .
 (٢) المهراق : المنصب . (٣) المطراق : الذي يكثر طرق أبواب الرزق . (٤) تندى : تجلج .
 والمراد فيضان يده بالماء . والأصفر البراق : الذهب ، ويريد الرشوة . (٥) يلوي من هواه
 أى يشنيه ويصرفه عما يريد . وحده في السلب ، أى جزاؤه على الرشوة . وحده السارق : قطع اليد .
 (٦) مج العباب من فته : رمى به . والعباب : الريق ، شبه المداد به . وينفته : يخرجها .
 (٧) النصع : الشديدة البياض . ويريد بقوله : «علوية الإشراق» : أن نورها من السماء .
 (٨) يريد بهذا البيت والذي نبهه أن هذا الكاتب يرى الحقائق ظاهرة جلية فيزورها بقلبه على القراء
 ويحوظها بالأكاذيب وأخيلة الشرح حتى يرددها مظلمة سوداء لا يظهر فيها الحق .

عَمِرَيْتَ عَنِ الْحَقِّ الْمُطَهَّرِ نَفْسُهُ * فَيَأْتُهُ ثِقَلٌ عَلَى الْأَعْنَاقِ
 لو كَانَ ذَا خُلُقٍ لِأَسْعَدَ قَوْمَهُ * بَيَانِهِ وَيَرَاعِهِ السَّبَاقِ
 مَنْ لِي بِتَرْيِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا * فِي الشَّرْقِ عِلَّةٌ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ
 الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّتْهَا * أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ
 الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحَيَا * بِالرِّيِّ أَوْرَقَ أَيَّمَا إِيْرَاقِ
 الْأُمُّ أَسْنَادُ الْأَسَاتِيذَةِ الْأَلَى * شَغَلَتْ مَأْتِرَهُمْ مَدَى الْآفَاقِ
 أَنَا لَا أَقُولُ دَعُوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا * بَيْنَ الرَّجَالِ يَجْلَنُ فِي الْأَسْوَاقِ
 يَدْرَجُنَّ حَيْثُ أَرَدْنَ لَا مِنْ وَازِعٍ * يَحْتَدِرْنَ رِقْبَتَهُ وَلَا مِنْ وَاقِي
 يَفْعَلْنَ أَفْعَالَ الرَّجَالِ لَوَاهِيَا * عَنِّ وَاجِبَاتِ نَوَاعِسِ الْأَحْدَاقِ
 فِي دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ * كَشُؤُونِ رَبِّ السَّيْفِ وَالْمِزْرَاقِ
 كَلَّا وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا * فِي الْمَجْبِ والتَّضْيِيقِ وَالْإِرْهَاقِ
 لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ حُلَى وَجَوَاهِرًا * خَوْفَ الضَّبَاعِ تُصَانُ فِي الْأَحْقَاقِ

- (١) الإخفاق : عدم الظفر بالمطلوب . (٢) الأعراق : الأصول ، الواحد عرق .
 (٣) الحيا : المطر . (٤) «شغلت» الخ ، أى ملأت أعمالهم الباقية أنحاء الدنيا .
 (٥) السوافر : المنكشفات الوجوه .
 (٦) يدرجن : يمشين . والوازع : الزاجر . والرقبة المراقبة .
 (٧) نواعس الأحداق : فترات الأجناف ؛ يريد انصرافهن عن الواجبات التي خص بها جنسهن .
 (٨) المزراق : الرمح ؛ يريد أن شأن المرأة في بيتها لا يقل عن شأن الفارس في الحرب .
 (٩) الإرهاق : الظلم .

- (١) لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أَنَاثًا يُقْتَنَى * فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِجٍ وَطِبَاقٍ
 (٢) تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا * دَوْلًا وَهَنَّ عَلَى الْجُمُودِ بِوِاقٍ
 (٣) فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا * فَالْشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ
 (٤) رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا * فِي الْمَوْقِفَيْنِ لَهَنَّ خَيْرٌ وَثَاقٍ
 وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتُكُمْ * نُورَ الْمُهْدَى وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِي

ملجأ رعاية الأطفال

أنشدها في حفل أقامته جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا ، وقد أسرتها بوصف القطار

[نشرت في أول فبراير سنة ١٩١١م]

- (٥) صَفْحَةُ الْبَرْقِ أَوْمَضَتْ فِي النَّعَامِ * أُمُّ شِهَابٍ يَسْتَقُ جَوْفَ الظَّلَامِ
 (٦) أُمُّ سَلِيلِ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَصْرِ * يَدِ فَاعِيَا سَوَاقِ الْأَوْهَامِ
 (٧) مَرَّ كَاللَّحِجِّ لَمْ تَكْذَبْ قَهْفَ الْعَيْدِ * بِنُ عَلَى ظِلِّ جَرِيمِهِ الْمُتْرَامِي
 (٨) أَوْ كَشْرَخِ الشَّبَابِ لَمْ يَدِرْ كَاسِيَهُ * يَدِ تَوَلَّى فِي يَقْظِيَةِ أَوْ مَنَامِ

- (١) المخادع : الغرف ، الواحد مخدع (بكسر الميم وضمتها ، مع فتح الدال وسكون ما بينهما) .
 (٢) يريد أن الزمن يتغير بأهله وهن باقيات على حال واحدة . (٣) يريد « بالحالتين » :
 التضييق على النساء والتوسيع عليهن . (٤) يريد « بالموقفين » : تقيد النساء في خدورهن وإطلاق
 السراح لهن . والوثاق : القيد الذي يوثق به من جبل أو نحوه . (٥) صفحة كل شيء :
 وجهه وجانبه . وأومض البرق : لمع خفيفا . (٦) يريد « بسليل البخار » : القطار .
 (٧) المترامي : المنتد . (٨) شرخ الشباب : أوله ودريمانه ، شبه به القطار في سرعة زواله .
 وكاسيه ، أي لابسها والمتمتع به .

(١) لا يُسَالِي السَّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلَ * لُ وَخَانَتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ
 (٢) يَقَطِّعُ الْيَدَ وَالْقِيَابِي وَجِيدًا * لَمْ تُضَعِّضْهُ وَحْشَةُ الْإِظْلَامِ
 (٣) لَيْسَ يَثْنِيهِ مَا يُذِيبُ دِمَاعَ الضُّبِّ * يَوْمَ الْحَجِيرِ بَيْنَ الْمَوَامِي
 (٤) لَا وَلَا يَعْتَرِيهِ مَا يُنْحِرِسُ النَّاسَ * يَجَّ فِي الزَّمْهَرِيرِ بَيْنَ أَنْطِيَامِ
 (٥) هَائِمٌ كَالظَّلِيمِ أَزْجَعُهُ الصَّبِيُّ * دُ وَرَاعَتْهُ طَائِشَاتُ السَّمَامِ
 (٦) فَهَوَّ يَشْتَدُّ فِي النَّجَاءِ وَيَهْوِي * حَيْثُ تَرْمِي بِجَانِبَيْهِ الْمَرَامِي
 (٧) يَا حَدِيدًا يَنْسَابُ فَوْقَ حَدِيدٍ * كَأَنْسَابِ الرُّقَطَاءِ فَوْقَ الرِّغَامِ
 (٨) قَدْ مَسَّحَتْ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا * بِذِرَاعِي مُشَمِّرٍ مِقْدَامِ
 (٩) بَيْنَ جَنَيْتِكَ مَا يَجْنِبِي لَكِنْ * مَا يَجْنِبِي مُسْتَدِيمُ الضُّرَامِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْغَرَامَ وَإِنْ كَذَّ * تَ تَرِينَا زَفِيرَ أَهْلِ الْغَرَامِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَيْنَ إِلَى الْإِلْد * فِي مَا هَذِهِ الدُّمُوعُ الْهَوَامِي

- (١) السرى : السير بالليل . واعتكر الليل : اختلط ظلامه . (٢) اليد : الفلوات ، الواحدة ييداء . والقيايى : المقازات لا ماء فيها . (٣) ما يذيب دماغ الضب : كناية عن شدة القبط . والحجير : شدة الحر . والموامى : المقازات لا ماء فيها ولا أنيس ، الواحدة موماء . (٤) الناجج : الكلب . يقول : إنه لا يصيبه ولا يثر فيه طول السير ولا شدة البرد اللذان يخرسان الكلب الناجج ويستكانه . (٥) الظلم : ذكر النعام ، وهو معروف بسرعة العدو . وراعه : أفزعه . (٦) النجاء : الإسراع . ويهوى ، أى يشتد في سرعته كأنه يندحر . وقوله : « حيث ترمى بجانبه المرامي » : كناية عن السرعة في اختراق الفلوات والمضى في قطع القيايى البعيدة . (٧) الرطاء : الحية المنقطة . والرغام : التراب . (٨) يشير بهذا البيت إلى نار القاطرة ونار شوقه . والضرام : الاشتعال . (٩) همى الدمع يهيمى (من باب ضرب) : سال .

- (١) أنت قاسى الفؤاد جلد على الأيد * بن شديد القوى شديد العرام
 (٢) لا تُبالي أرعت بالبين أحبا * بأ وأسرفت فى أذى المُستهام
 (٣) أم جمعت الأعداء فوق صعيد * وخلطت الأسود بالآرام
 إني قد شهدتُ فيك عجيبا * ضاق عن وصفه نطاقُ الكلام
 بُزت يومينا ونحن على الجسد * بر قيام الليل ليل التمام
 (٤) واذا راكبُ الى الجسر يهوى * بين صفتين من تَماتِ زوام
 (٥) مر كالمسهم بين تلك الحنايا * قد رماه من المقادير رامى
 (٦) فتردى فى الماء والماء غمر * يتقيه القضاء والنهر طامى
 (٧) وإذا ساجدٌ قد أنقض فى الماء * آتقضاض العقاب فوق الحمام
 (٨) غاص فى بلجة الخُوف بعزم * لم يعودَ مواقف الإجمام
 (٩) غاب فيها وطاد يمثُل جنما * سلّه من يد الملاك اللزام
 (١٠) كافح الموج، صارع الهول، أبلى * كبلاء المهند الصنصام

- (١) الجلد: الصبور. والأين: التعب. والعرام: الشراسة والقسوة. (٢) راعه يروعه: أفزعه.
 (٣) الآرام: الطباء، الواحد رُم؛ وأصله للظبي الجلاص الياض. (٤) الزوام من الموت:
 الكرية. ويريد «بالصفتين»: الموت على الجسر بالقطار، والموت بالفرق فى النهر. (٥) الحنايا:
 القسي، واحدها حنية. ولما شبه الهاوى بالمهم، شبه قضبان الجسر فى انحناؤها بالقسي.
 (٦) الماء الغمر: الكثير. وطام الماء: ارتفع وملا النهر. (٧) العقاب: طائر من الجوارح
 معروف. (٨) الخُوف: المهالك. وبلجتها، أى حيث تشتد. (٩) سلّه: انتزعه.
 والزام: الملازم. (١٠) المهند: السيف. والصنصام: الذى لا يثقى.

(١) وَأَنْتَنِي رَاجِعًا إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ * بِرُجُوعِ الْكَيْ غِبِّ اغْتِنَامِ
 وَقَفَ النَّاسُ ذَاهِلِينَ وَصَاحُوا * تَلَكِ إِحْدَى عَجَائِبِ الْأَيَّامِ
 أَنْجَاءٌ مِنَ الْقِطَارِ ، مِنَ الْجَسَدِ * بِرِ ، مِنَ النَّهْرِ ، جَلَّ رَبُّ الْأَنَامِ
 وَإِذَا صَبِيحَةٌ عَلَتْ مِنْ فِتَاةٍ * بَرَزَتْ مِنْ صُفُوفِ ذَلِكَ الزَّحَامِ
 وَقَفْتُ مَوْقِفَ الْخَطِيبِ وَنَادَتْ * تَلَكِ عُنُقِي رِعَايَةَ الْإَيْتَامِ
 بَسَطْتُ تَحْتَهُ أَكُفًّا تَلَقَّتْ * لَهُ وَحَاطَتْهُ رَغْمَ أَنْفِ الْجَمَامِ
 دَعْوَةَ الْبَائِسِ الْمَعْدِبِ سُورٍ * يَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْ حِيَاضِ الْكِرَامِ
 وَهِيَ حَرْبٌ عَلَى الْبَخِيلِ وَذِي الْبَغْدِ * سِي وَسَيْفٌ عَلَى رِقَابِ اللَّثَامِ
 إِنَّ هَذَا الْكَرِيمَ قَدْ صَانَ عِرْضِي * وَحَمَانِي مِنْ عَادِيَاتِ السَّقَامِ
 عَالَ طِفْلِي وَعَالَنِي وَحَبَانِي * بِكِسَاءٍ وَبَدْرَةٍ وَطَعَامِ
 وَهُوَ مِنْ مَعْشَرِ أَغَاثُوا ذَوِي الْبُؤْ * سِ وَقَامُوا فِي اللَّهِ خَيْرَ الْقِيَامِ
 وَأَقَامُوا لِلْبِرِّ دَارًا فَكَانَتْ * خَيْرَ وَرْدٍ يَوْمَهُ كُلِّ ظَامِي
 مِلْتَتْ رَحْمَةٌ وَفَاضَتْ حَنَانًا * فَهِيَ لِلْبَائِسَاتِ دَارُ السَّلَامِ
 زُرْتُهَا وَالشَّقَاءُ يُجْرِي وَرَائِي * وَشُعَاعُ الرَّجَاءِ يَسْرِي أَمَامِي
 لَمْ يَقُولُوا : مِنَ الْفِتَاةِ ؟ وَلَكِنْ * سَأَلُونِي هُنَاكَ عَنِ الْآمِي

(٢) الحمام : الموت .

(١) الكمي : الشجاع . وغيب : عقب .

(٤) عاله : كفاه معيشته . وحباه بكذا :

(٣) يريد «بجياض الكرام» : حمام .

(٥) ظامي : ظامى .

أعطاه . ويريد «بالبدرة» هنا : جملة من المال .

ثم أهوت الى الغريق تواسياً * به بأحلى من منعشات المدام
 (١)
 قبلت راحته شكراً وصاحت * قد نجا صاحب الأيادي العظام
 قد نجا المنعم الجواد من الموت * ت بفضل الزكاة والإنعام
 فأطفنا بها وقد ملا الأذى * ففس منا جلال ذلك المقام
 وشهدنا نغر الوفاء تجلى * إذ تجلى في نغرها البسام
 ورأينا شخص المروءة واليد * ر تبنى في شخص ذلك الهمام
 وعلمنا أن الزكاة سبيل * لده قبل الصلاة قبل الصيام
 خصها الله في الكتاب بذكر * فهى ركن الأركان في الإسلام
 (٢)
 بدأت مبداً اليقين وظلت * حياة الشعوب خير قوام
 (٣)
 لو وفى بالزكاة من جمع الدن * يا وأهوى على اقتناء الحطام
 ما شكنا الجوع معدم أو تصدى * لركوب الشرور والآثام
 (٤)
 راجاً رأسه طريداً شريداً * لا يبالي بشرعة أو ذمام
 (٥)
 سائلاً عن وصية الله فيه * أخذاً قوته بجد الحسام
 لم أقف موقفي لأشيد شعراً * صب في قالب بديع النظام

(١) الأيادي : النعم . (٢) القوام (بالكسر) : نظام الأمر وعماده الذى يقوم عليه .

(٣) حطام الدنيا : المال قل أو كثر . (٤) ركب رأسه : مضى الى ما يريد من الشر

لم يثبته شئ . . والشرعة : الشريعة . والذمام : الحق والحرمة ، لأن قرض ذلك يوجب الدم .

(٥) وصية الله : ما أمر الله به للبائس الفقير من بر ورحمة .

(١) إِنَّمَا قُمْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ نَشْوَى * مِنْ كُؤُوسِ الْهُمُومِ وَالْقَلْبُ دَامِي
 (٢) ذُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عَيْشًا * دُونَ شُرْبِي قَدَاهُ شُرْبُ الْجِمَامِ
 (٣) فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَانًا * وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخَطُوبِ الْجِسَامِ
 (٤) وَمَشَى الْمَهْمُ ثَاقِبًا فِي فُؤَادِي * وَمَشَى الْحُزْنُ نَاحِرًا فِي عِظَامِي
 فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِطِفُ النَّاسَ * عَلَى الْبَاسِيَيْنِ فِي كُلِّ عَامٍ

الى الخديوى عباس^(٥)

قالها عند عودة سموه من دار الخلافة وقد عرض فيها لما كان
 في مصر من الخلاف بين المسلمين والأقباط في سنة ١٩١١ م

كَمْ تَحْتَ أَذْيَالِ الظُّلَامِ مَتِّمٌ * دَامِي الْفُؤَادِ وَيَلَّهُ لَا يَعْلَمُ
 مَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَوَّلَ عَاشِقِي * رَامِيهِ لَا يَجْنُو وَلَا يَتَرَحَّمُ
 أَهْرَمْتَنِي يَا لَيْلُ فِي شَرِيحِ الصَّبَا * كَمْ فِيكَ سَاعَاتٍ تُشِيبُ وَيُهْرِمُ
 لَا أَنْتَ تَقْصُرُ لِي وَلَا أَنَا مُقْصِرٌ * أَتَعَبْتَنِي وَتَعَبْتِ، هَلْ مِنْ يَحْكُمُ؟
 لِلَّهِ مَوْقِفُنَا وَقَدْ نَاجَيْتُهَا * بِعَظِيمِ مَا يُجْنِي الْفُؤَادُ وَيَكْتُمُ

- (١) نشوى : سكرى . (٢) القذى : ما يقع في الشراب من وسخ . والحمام بالكسر :
 الموت . ويريد بقوله : « دون شربي » أى أن الموت أهون تجزعا على من تجزع هذا العيش المر .
 (٣) الجسام : العظام ، الواحد جسيم . (٤) يقال : نخر العظم ، اذا بلى وتفتت .
 (٥) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة في الاجتماعيات مع ما تضمنته من مدح الخديوى عباس ، لأن
 غرضها الأول مسألة اجتماعية ، وهى الفتنة بين مسلمى مصر وأقباطها إذ ذاك . (٦) شرح الصبا :
 أثره ورباعته . (٧) أقصر : كف وأمسك .

(١) قالت : من الشاكي؟ تُسائلُ سربها * عني، ومن هذا الذي يتظلم؟
 فأجبتها وعجبين كيف تجاهلت : * هو ذلك المتوجع المتالم
 (٢) أنا من عرفت ومن جهلت ومن له * - لولا عيونك - حجة لا تفحم
 (٣) أسامت نفسي للهوى وأظننها * بما يجشمها الهوى لا تسلم
 (٤) وآيتت يحدوني الرجاء ومن أتى * متحرماً بفنائكم لا يحرم
 (٥) أشكر لذات الخلال ما صنعت بنا * تلك العيون وما جناه المعصم
 لا السهم يرفق بالجريح ولا الهوى * يبقي عليه ولا الصبابة ترحم
 (٦) لو تنظرين إليه في جوف الدجى * ممتلئاً من هول ما يجشم
 (٧) يمشي إلى كنف الفراش محاذراً * وجلاً يؤخر رجله ويقدم
 يرمى الفراش بناظره ويتني * جزعاً ويقدم بعد ذلك ويمجم
 (٨) فكأنه - والياس ينشف نفسه - * للقتل فوق فراشه يتقدم
 (٩) رشقت به في كل جنب مديئة * وأنساب فيه بكل ركن أرقم

- (١) السرب (بالكسر) : الجماعة ، أي صواحبا . (٢) لا تفحم : لا تغلب .
 (٣) جشمه : كلفه . (٤) يحدوني : يدفعني ويسوقني . متحرماً : محتباً مستأناً .
 (٥) الخلال : الشامة في البدن ، وهو غالب على شامة الحد ؛ واجمع خيلان .
 (٦) ما يجشم : ما يقاسى . (٧) الكنف (محرّكة) : الجانب وناحية .
 (٨) ينشف نفسه ، أي يهلكها . و(القتل) : متعلق بقوله : « يتقدم » . (٩) الصم
 في « به » و « فيه » يعود على الفراش . وفي الشطر الأول من هذا البيت قلب ، إذ المسوع أن الباء تدخل
 على المرشوق به ، وهو المدية ونحوها ، لا على المرشوق ؛ يقال : رشقته بالسهم ، لا رشقت به السهم .
 وأنساب ، أي برت وتدافعت في مشيا . والأرقم : أخبث الحيات وأطلبها لا ذى .

(١) فِكَانَهُ فِي هَوَاهِ وَسَعِيرِهِ * وَإِذْ قَدْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِ جَهَنَّمَ
 هَذَا وَحَقُّكَ بِمَضٍ مَا كَابَدْتَهُ * مِنْ نَاطِرَيْكَ، وَمَا كَتَمْتُكَ أَعْظَمُ
 قَالُوا: أَهَذَا أَنْتَ! وَيَحْكُ فَاتِّدُ * حَسَامٌ تُجِيدُ فِي الْفَرَامِ وَتُتِمْ^(٢)
 كَمْ نَفْسَةٍ لَكَ تَسْتَيْرُ بِهَا الْهَوَى * (هَارُوتُ) فِي أَشْنَاهَا يَتَكَلَّمُ^(٣)
 إِنَّا سَمِعْنَا عَنْكَ مَا قَدْ رَأَيْنَا * وَأَطَالَ فَيْكَ وَفِي هَوَاكَ الْيَوْمُ
 فَازْهَبْ بِسِحْرِكَ قَدْ عَرَفْتُكَ وَاقْتَصِدْ * فِيمَا تُزِينُ لِلْحَسَانِ وَتُوهِمُ
 أَصَغَتْ إِلَى قَوْلِ الْوَشَاةِ فَاسْرَفَتْ * فِي هَجْرِهَا وَجَنَّتْ عَلَيَّ وَأَجْرَمُوا
 حَتَّى إِذَا يَلَسَ الطَّيِّبُ وَجَاءَهَا * أَنِّي تَلَفْتُ تَنَدَّمْتُ وَتَنَدَّمُوا
 وَأَنْتَ تَعُودُ مَرِيضَهَا لَابِلَ أَنْتَ * مِثْنِي تُشَيِّعُ رَاحِلًا لَوْ تَعْلَمُ
 أَقْسَمْتُ (بِالْعَبَّاسِ)، إِنِّي صَادِقٌ * فُرِيهِمْ يُجَلِّلُهُ أَنْ يُقْسِمُوا^(٤)
 مَلِكٌ عَدَوْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِحَوْلِهِ * وَغَدَوْتُ فِي آيَاتِهِ أَنْتَعَمُ^(٥)
 النَّجْمُ مِنْ حُرَابِهِ، وَالذَّهْرُ مِنْ * خُدَامِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُنْعَمُ
 هَلَلْتُ حِينَ رَأَيْتُ رَجَبَكَ سَالِمًا * وَرَأَيْتُ (عَبَّاسًا) بِهِ يَتَبَسَّمُ

(١) اطلعت : طلعت وظهرت . (٢) اتتد : تمهل . وأنجد : أتى نجداً ، وهو المرتفع من الأرض . وأتهم : أتى تهنه ، وهي المنخفض منها . والإيجاد والإتهام في الغرام : كناية عن الذهاب فيه كل مذهب . (٣) نفت السحر ، هو أن يعقد عقدة ثم ينفخ فيها . وهاروت يضرب به المثل في السحر ، وقد ذكره الله تعالى في القرآن . (٤) مريهم ، أي مري الوشاة بالقسم على صدقهم فيما وشوا به . (٥) الحول : القوة . والآلاء : النعم .

- (١) وَحَدَّثُ رَبِّي حِينَ حَلَّ عَرِينَهُ * مُتَجَدِّدَ الْعَزَمَاتِ ذَاكَ الضَّبِغِمْ
 خَفَقَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ وَأَشْفَقَتْ * دَارُ الْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ الْأَعْظَمِ
 (٢) وَدَعَا لَكَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ فَأَمَّتْ * بَطْحَاءُ مَكَّةَ وَالْحَطِيمُ وَزَمْرَمُ
 (٣) وَدَوَى بِمَصْرٍ لَكَ الدَّمَاءُ فَنِيلُهَا * وَسَهْوُلُهَا وَفَصِيحُهَا وَالْأَعْجَمُ
 (٤) وَمَشَى الصَّغِيرُ إِلَى الْكَبِيرِ مُسَائِلًا * يَتَسَقَطُ الْأَخْبَارُ أَوْ يَتَنَسَّمُ
 حَتَّى اطْمَأَنَّتْ بِالشِّفَاءِ نُفُوسُهُمْ * وَطَلَعَتْ بِالسَّعْدِ الْعِمِيمِ عَلَيْهِمْ
 (٥) مَوْلَايَ أَمْسَكَ الْوَدِيعَةَ أَصْبَحَتْ * وَعُرَا الْمَوَدَّةِ بَيْنَهَا تَتَفَصَّمُ
 (٦) نَادَى بِهَا الْقَبِيلُ مِلءَ لَهَاتِهِ * أَنْ لَا سَلَامَ وَضَاقَ فِيهَا الْمُسْلِمُ
 (٧) وَهَمَّ أَظَارَ عَلَى النَّهْيِ وَأَضَلَّهَا * بِلْجَرَى النَّبِيِّ وَأَقْصَرَ الْمُتَعَلِّمُ
 فَهَمُّوا مِنَ الْأَدْيَانِ مَا لَا يَرْضَى * دِينَ وَلَا يَرْضَى بِهِ مَنْ يَفْهَمُ
 مَا ذَا دَهَا قَبِيلُ مِصْرَ فَصَدَّهُ * عَنْ وَدِّ مُسْلِمِيهَا وَمَاذَا يَنْقِمُ
 وَعَلَامَ يَخْشَى الْمُسْلِمِينَ وَكَيْدَهُمْ * وَالْمُسْلِمُونَ عَنِ الْمَكَائِدِ نُومُ

- (١) الضبغيم : الأمد . وعريته : ماراه .
 والحطيم ، هو ما بين الركن وزمزم والمقام .
 إن نيل مصر وسهولها الخ تدعوك ، فغير قوله : « فنيها » الخ ، محذوف للعم به .
 (٢) بطحاء مكة : سهل واديها .
 (٣) المعروف (دوى) بالتشديد . يقول :
 (٤) تلم الخبر : تطف في التماسه .
 (٥) عرا المودة : روابطها . وتفصم : تنقطع .
 (٦) ملء لهاته ، أى ملء حنجرته .
 (٧) « بلجرى النبي » الخ ، أى سعى الأغبياء وقصار
 النظر في إشغال الفتنة بين المسلمين والأقباط ، وكف المتعلمون وأقصروا عن إجمادها وتلافى أسبابها .

قَدْ ضَمَّنَا أَلْمُ الحَيَاةِ وَكُنَّا * يَشْكُو، فَتَحْنُ عَلَى السَّوَاءِ وَأَنْتُمْ
 إِيَّيْهِ الضَّمِينُ المُسَيِّبِينَ جَمِيعُهُمْ * أَنْ يُخْلِصُوا لَكُمْ إِذَا أَخْلَصْتُمْ^(١)
 رَبِّ الأَرْبَكَةَ، إِنَّا فِي حَاجَةٍ * لِجَيْلِ رَأْيِكَ وَالحَوَادِثِ حُومِ^(٢)
 فَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ سَمَائِكَ حِكْمَةً * تَأْسُو القُلُوبَ فَإِنَّ رَأْيَكَ أَحْكَمُ^(٣)
 وَأَجْمَعُ شَتَاتِ العُنُصَرِينَ بِعَزْمَةٍ * تَأْتِي عَلَى هَذَا الخِلَافِ وَتَحْسِمُ
 فِكْلَاهُمَا لِعَزِيزِ عَرْشِكَ مُخْلِصٌ * وَكِلَاهُمَا بِرِضَاكَ صَبٌّ مُفْرَمٌ

محاورة بين حافظ و خليل مطران

في حفل أقامته جمعية رعاية الطفل بالأوبرا

انشرت في ٣١ مارس سنة ١٩١٣م |

حافظ :

هَذَا صَبِيٌّ هَائِمٌ * تَحْتِ الظَّلَامِ هِيَامَ حَائِرٍ
 أَيْ الشَّقَاءُ جَدِيدَهُ * وَتَقَلَّمَتْ مِنْهُ الأَظْفَرُ^(٤)
 فَانظُرْ إِلَى أَسْمَالِهِ * لَمْ يَبْقَ مِنْهَا مَا يُظَاهِرُ^(٥)

(١) الضمين : الكفيل . (٢) الأربكة : سرير الملك . والحوادث حوم ، أى تطوف بنا
 وتخلق حوالينا ، وأصله من تحويم الطائر حول الماء ، أى دورانه به ، (٣) تأسو : تشمى وتداوى .
 (٤) تقليم الأظافر : كناية عن أنه أعزل من أسلحة الجهاد في الحياة . (٥) الأسمال :
 الثياب البالية الخلقة ؛ ويقال : « ظاهر الرجل بين ثوبين » ، إذا طابق بينهما ولاءم . يريد أن الثوب
 الذى يلبسه هذا البائس قد صار طبقة واحدة رقيقة لا تدفع عنه ما يؤذيه من ألم الحر والبرد .

- (١) هُوَ لَا يُرِيدُ فِرَاقَهَا * خَوْفَ الْقَوَارِسِ وَالْمَوَاجِرِ
 (٢) لِكُنْهَا قَدْ فَارَقَتْ * لَهُ فِرَاقٌ مَعْدُورٌ وَعَازِرٌ
 (٣) إِنِّي أَعُدُّ ضُلُوعَهُ * مِنْ تَحْتِهَا وَاللَّيْلُ عَاكِرٌ
 أَبْصَرْتُ هَيْكَلَ عَظِيمِهِ * فَذَكَرْتُ سُكَّانَ الْمَقَابِرِ
 (٤) فَكَأَنَّمَا هُوَ مَيِّتٌ * أَحْيَاهُ (عَيْسَى) بَعْدَ (عَازِرِ)
 (٥) قَدْ كَانَتْ يَهْدِيهِ النَّسِيءُ * مُمْ كَادَ تَدْرُوهُ الْأَعَاصِرُ
 وَرَأَاهُ مِنْ فَرْطِ الْمُنْزَا * لِ تَكَادُ تَثْقُبُهُ الْمَوَاطِرُ
 (٦) عَجَبًا أَيَقْرِسُهُ الطَّوَى * فِي قَلْبِ حَاضِرَةِ الْحَوَاضِرِ
 (٧) وَتَعُولُهُ الْبُؤْسَى وَطَرٌ * فُ (رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ) سَاهِرٌ!
 (٨) كَمْ مِثْلِهِ تَحْتَ الدَّبَجِي * أَسْوَانَ بَادِي الضَّرِّ طَائِرٌ
 (٩) نَخْرِيَانِ، يَخْرُجُ فِي الظَّلَا * مِ خُرُوجِ خُفَاشِ الْمَقَاوِرِ

(١) القوارس : شدائد البرد . والمواجر : شدائد الحر .

(٢) يريد بقوله : « فراق معذور » الخ ، أنها قد تمزقت من القدم وطول العهد ، فهي معذورة

لفراقها إياه ، وهو نابل عذرها . (٣) عاكر : مختلط الظلام . (٤) عازر : اسم رجل

أحياه عيسى عليه السلام بعد الموت . شبه البائس بميت ظهرت فيه معجزة عيسى عليه السلام من إحياء الموتى

بعد ما ظهرت في عازر . (٥) تدروه : تفرق أجزاءه ، وتطير أشلاءه . والأعاصير : رياح ترتفع

بتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود ، الواحد إعصار . (٦) يقتره : يقتله . والطوى :

الجوع . ويريد « بمحاضرة الحواضر » : مصر . (٧) تنوله : تهلكه . (٨) الأسوان :

الخزين . ويريد بقوله : « طائر » أنه شديد الفزع والجزع مما يلاقى وما يتوقع من مصائب الزمن .

(٩) شبه البائس في أنه لا يظهر إلا مستترا بظلمة الليل بالخلعاش الذي لا يبصر بالنهار ، وإنما يبصر ليلاً .

مَتَلَفًا جِلْبَابَهُ * مُتَرَقِّبًا مَعْرُوفَ عَابِرٍ
يَقْدَى بِرُؤْيَيْهِ فَلَا * تَلْوِي عَلَيْهِ مِنْ نَظَرٍ

ومنها :

قَعَدَتْ شُعُوبُ الشَّرْقِ عَنْ * كَسْبِ الْمَامِدِ وَالْمَفَاخِرِ
فَوَتَتْ فِي شَرِّحِ النَّسَا * حُرْمَنْ وَنَى لَا شَكَّ خَائِرٍ
تَمَشَى الشُّعُوبُ لِقَيْصِدِهَا * قُدَمَا وَشَعْبُ النَّيْلِ آخِرِ
كَمْ فِي الْبِكَاةِ مِنْ قَتَى * نَذِبٍ وَكَمْ فِي الشَّامِ قَادِرٍ
لَكِنَّهُمْ لَمْ يُرْزُقُوا * رَأْيًا وَلَمْ يَرُدُّوا الْخَاطِرِ
هَذَا يَطِيرُ مَعَ الْحَيَا * لِ وَذَاكَ يَرْتَجِلُ النَّوَادِرِ
جَهَلُوا الْحَيَاةَ وَمَا الْحَيَا * ةُ لَفِيْرٍ حَكْدَاجٍ مُنَايِرِ
يَجْتَابُ أَجْوَازَ الْقِفَا * رٍ وَيَمْتَلِي مَتْنِ الزَّوَاخِرِ
لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى الْعَزِيدِ * حَمَةٍ فِي الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ
يَسْرِي وَرَاءَ الْبَاقِيَا * تِ بِنَفْسِهِ رَمَى الْمُقَامِرِ

- (١) يقول : إن هذا العابر إذا مر بهذا المكين ساء ما يراه بأديا عليه من يؤس وفاقة ، فينض بصره عنه كأنما قدرق في عيه القذى ، وهو ما يقع فيها من غصص أورمص .
(٢) يريد « بالتأخر » : شدة التغلب في الحياة الى أن يخر الناس بعضهم بعضا .
(٣) مشى قدما ، أى متقدما . (٤) التدب من الرجال : الماضى الخفيف في طلب الحاجة والسريع الى الفضائل . (٥) ارتجىل النادرة ومحورها : قالها من غير تردد . ويريد « بالنوادر » : تلك النكت التي يتظرف بها الناس في المجالس . (٦) يجتأب : يقطع . وأجواز القفار : أوساطها الواحد جوز (فتح الجيم) . والزواجر : البحار . (٧) في الموارد والمصادر ، أى في الحلل والترحال .

مَا هَدَّ عَزَمَ الْقَادِرِي * نَبْصَرَ إِلَّا قَوْلُ: (بَاكِر)
 كَمْ ذَا نُجَيْلٌ عَلَى غَيْدٍ * وَغَدٌ مَصِيرَ الْيَوْمِ صَائِرُ
 خَوَاتِ الدِّيَارُ فَلَا آخِرَا * عَ وَلَا اِقْتِصَادَ وَلَا ذَخَائِرُ
 دَعُ مَا يُجَشِّمُهَا الْجَمُ * دُومًا يَجْرِمُنَ الْجَرَائِرُ
 فِي الْاِقْتِصَادِ حَيَاتُنَا * وَبِقَاؤُنَا رَغَمَ الْمُكَابِرُ
 تَرَبُّو بِهِ فِينَا الْمَصَا * نِعُ وَالْمَزَارِعُ وَالْمَتَاجِرُ
 سَلْ (حِشْمَتًا) عَنْهُ فَهُ * لَذَا (حِشْمَتٌ) فِي الْجَمْعِ حَاضِرُ
 أَحْيَا الصَّنَاعَةَ وَالنَّجَا * رَةً مِثْلَمَا أَحْيَا الضَّمَائِرُ

مطران :

عَجَبًا تُعَرِّفُنِي بِهِ * وَأَنَا بِهِتِيهِ أَفْخِرُ!
 لِي فِيهِ مَالِكٌ فِيهِ مِنْ * أَمَلِي عَلَى الْأَيَّامِ صَكَارُ
 أَنْسَيْتَ (مُوجَزَ الْاِقْتِصَا * دِ) وَفَضْلَهُ أَمَّ أَنْتَ ذَا كَرُ
 أَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْوَزِيدِ * رُبُّ ذَلِكَ التَّمْرِيبِ آمِرُ
 أَنْسَيْتَ مَا عَانَيْتَهُ * وَاللَّفْظُ مُسْتَعِينٌ وَنَافِرُ

- (١) خواتم الديار: خلت. (٢) يجشمها: يكلفها. والجرائر: الجنابيات، الواحدة جريرة.
 (٣) المكابر: المغالب والمعانده. (٤) تربو: تزيد وتقوم. (٥) يريد المرحوم أحمد
 حشمت باشا ناظر المعارف إذ ذلك. (٦) الكابر: الكبير. (٧) (موجز الاقتصاد):
 كتاب في الاقتصاد نقله من الفرنسية الى العربية حافظ ومطران بأمر حشمت باشا وزير المعارف.
 (٨) يريد ما عاناه في ترجمة هذا الكتاب السابق ذكره.

حافظ :

لَسْمَ أَنَسَ مَا سَأَلْتُ بِهِ * مِنْ خَاطِرِي تِلْكَ الْمَقَاطِرُ

مطران :

لَمْ أَنَسْ إِذْ لَالَ الصَّكْلَا * مِ وَذِلَّتِي بَيْنَ الْحَايِرِ^(١)

حافظ :

لَمْ أَنَسَ نَحْتِي لِإِصْطِلَا * حِ دُونَهُ نَحْتُ الْحَايِرِ

مطران :

لَمْ أَنَسَ تَشْدِيبَ الْفُضُو * لِ وَمَقْرِضُ التَّثْقِيفِ دَائِرِ^(٢)

دعوة إلى الإحسان^(٣)

[نشرت في سنة ١٩١٥ م]

أَجَادَ (مَطْرَانُ) كَعَادَاتِهِ * وَهَكَذَا يُؤَثَّرُ عَنْ (قُسِّ)^(٤)فَإِنْ أَقْفَ مِنْ بَعْدِهِ مُنْشِدًا * فَإِنَّمَا مِنْ طَرْسِهِ طَرْسِي^(٥)

(١) يريد «بإدلال الكلام» : تكبيره واستعصاه وقلة مواناته .

(٢) تشذيب الفضول ، أى تقطيع الزوائد من الكلام وتختيها ؛ وأصله من تشذيب الشجر ، وهو إلقاء ما عليه من الأغصان الزائدة . والتثقيف : التقوم والإصلاح .

(٣) دعا سليم أفندي سركيس صاحب (مجلة سركيس) إلى إقامة حفل يخصص ما يجمع منه نفوة أحمد أفندي أبي العدل وأسرته محمود حبيب ، وكان من أشهر المثليين المصريين ؛ ففعدت بالأول الشيخوخة واغتالت المية الثاني . وفي مساء ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٥م أقيمت حفلة تمثيلية في تياترو برنانيا لهذا الغرض ، كان للشعراء فيها مجال ؛ وقد أعد خليل بك مطران قصيدة في هذا الغرض ؛ إلا أن المرض حال به وبين إنشادها ، فتولى ذلك عنه حافظ ، ومطلعها :

الضاحك اللاعب بالأمس * بات صريحا فاقد الأنس

(٤) يريد قس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب في الجاهلية ، ويضرب به المثل في الفصاحة والسن .

(٥) من طرسه طرسى ، أى أن شعره مستمد منه . والطرس : الصحيفة .

وَاِنِّ رَأَيْتُمْ فِي يَدِي زَهْرَةً * فَإِنهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَسِ
 (١)
 رَقِي (حَبِيبًا) وَرَقِي بَعْدَهُ * لِذَلِكَ الْمَوْفِي عَلَى الرَّسِ
 (٢)
 كَانَا إِذَا مَا ظَهَرَ مِنْبَرًا * حَلًّا مِنَ السَّامِعِ فِي النَّفْسِ
 فَاصْبَحَا هَذَا طَوَاهُ الرَّدَى * وَذَلِكَ نَهَبٌ فِي يَدِ الْبُؤْسِ
 (٣)
 لَوْلَا (سَلِيمٌ) لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ * وَلَمْ يُجِدْ مَنْ جَادَ بِالْأَمْسِ
 (٤)
 إِلَيْهِ مَا أَشْجَعَهُ إِنَّهُ * ذُو مِرَّةٍ فِينَا وَذُو بَأْسِ
 (٥)
 يَقُومُ فِي مَشْرُوعِهِ نَافِذًا * كَمَا أَنَّهُ (عَنْتَرَةُ الْعَبْسِيِّ)
 تَلْقَاهُ فِي الْجَدِّ كَمَا تَبْتَنِي * وَتَارَةً تَلْقَاهُ فِي (الْمَلْسِ)
 (سَرِيكَيْسُ) إِنْ رَاقَكَ مَا قُلْتَهُ * فِي مَعْرِضِ الْمَزَلِ فَقُلْ «مِرْمِي»
 أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآلِئِهِ * بِعَرْشِهِ بِاللَّوْجِ بِالْكُرْسِيِّ
 (٦)
 بِالْخُلْسِ الْكُنْسِ فِي سَبْحِهَا * بِالْبَدْرِ فِي مَرَّاهُ بِالشَّمْسِ
 (٧)
 بَأَنَّ هَذَا عَمَلٌ صَالِحٌ * قَامَ بِهِ هَذَا الْفَتَى الْقُدْسِيُّ
 ذَكَرْنَا وَالْمَرْءُ مِنْ نَفْسِهِ * وَعَيْشِهِ فِي شَاغِلِ يُنْبِي

(١) يريد « بحبيب » : المرحوم محمود حبيب ، والموفى على الرمس : المشرف على القسبر ،
 يريد به أحمد أفندي أبي العدل . (٢) ظهر المنبر ونحوه : علاه . (٣) يريد « بسليم » :
 سليم مركيس . ويشير بهذا البيت إلى دعوته إلى إقامة هذا الخفل . (٤) المرة : القوة والعزيمة .
 (٥) استعمال « المشروع » بمعنى الفرض الذي يبدأ في تحقيقه استعمال شائع في كلام أهل العصر .
 (٦) الخلس والكنس : الكواكب . (٧) القدسي : نسبة إلى بيت المقدس . يشير
 إلى مولده .

(١) يَا وَاجِبِ الْأَقْدَمِينَ فِي حَقِّ مَنْ * بَاعْتَه مَضْرُوبَةً الْوَكَيْسِ
 هَذَا (أَبُو الْعَدْلِ) فَمَنْ خَالَه * حَيًّا فَمَا خَالَ مِثْوَى الْعَكَيْسِ
 (٢) كَانَتْ لَهُ فِي حَلْقِهِ ثَرْوَةٌ * مِنْ نَبْرَةٍ تُسَجَّى وَمِنْ جَرْمِ
 (٣) فَغَالَمَا الدَّهْرُ كَمَا غَالَهُ * حَتَّى غَدَا كَالطَّلِيلِ الدَّرْمِ
 فَكَتَسَبُوا الْأَجْرَ وَلَا تَبْتَعُوا * شِرَاءَهُ بِالثَّمَنِ الْبَخْسِ
 (٤) إِنِّي أَرَى التَّمْيِيلَ فِي عَمْرَةٍ * غَامِرَةٍ تَدْعُو إِلَى الْيَأْسِ
 (٥) لَمْ يَرِمِهِ فِي شَرْخِهِ مَا رَمَى * لَوْ كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى أَسِّ
 أَكَلْنَا خَفَّتْ بِهِ مَخْوَةٌ * مِنْ دَائِهِ عُوِجَلٌ بِالنَّكْسِ
 إِنِّ تَفِضُلُوا دَارِسَ آثَارِهِ * عَنِّي عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالطَّمْسِ
 أَعْجَزَهَا النَّطْقُ بِفَاءَتِ بِنَا * تَنْوِبُ عَنْ أَلْسِنِهَا الْخُرْمِ

العقد والصديق

ترجمة عن قولته

[نشر هذا البيت في ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م]

لَا أَبَالِي أَدَى الْعَدُوِّ لِحُطْنِي * أَنْتَ يَا رَبِّ مِنْ وِلَاءِ الصَّدِيقِ

- (١) - الوكس :- التقصان والحساسة . (٢) الجرم :- الصوت الخفى .
 (٣) الطلل :- ما بقى من آثار الديار . والدرم ، أى الدارس البالى . (٤) غامرة غامرة
 أى شدة عامة شاملة . (٥) فى شرخه ، أى فى ريمانه وأقول نهوضه .

جمعية الاتحاد السوري

أنشدها في حفل خيري أقامته هذه الجماعة في الأوبرا السلطانية لإعانة الطلبة الشاميين بالأزهر

ليلة الثلاثاء ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م

- (١) أَيْهَا الْوَسْمِيُّ زُرْتَبَتَ الرَّبَابَا * وَأَسْبِقِ الْفَجْرَ إِلَى رَوْضِ الزَّهْرِ
 (٢) حَيْثُ وَأَثْرُهُ عَلَى أَكْبَامِهِ * مِنْ نِطَافِ الْمَاءِ أَشْبَاهَ الدَّرَرِ
 (٣) أَيْهَا الزَّهْرُ أَفَقٌ مِنْ سِنَةٍ * وَأَصْطَبِخُ مِنْ نَحْمَرَةٍ لَمْ تُعْتَصِرْ
 (٤) مِنْ رَحِيقِ أُمِّهِ غَادِيَةٍ * سَاقَهَا تَحْتَ الدُّجَى رُوحُ السَّحَرِ
 (٥) وَأَنْفَجِ الرُّوضَ بِنَشْرِ طَيْبٍ * عَلَيْهِ يُوقِظُ سُكَّانَ الشَّجَرِ
 (٦) إِنْ بِي شَوْقًا إِلَى ذِي غُنَّةٍ * يُؤْنِسُ النَّفْسَ وَقَدْ نَامَ السَّمَرِ
 (٧) إِلَيْهِ يَا طَيْرُ الْآمِنِ مُسْعِدٍ؟ * إِنِّي قَدْ شَفَّيْتُ طُولَ السَّهْرِ
 (٨) قُمْ وَصَفِّقْ وَأَسْتَحِرْ وَأَسْبِجْ وَنُحْ * وَأَرْوِعْ عَنْ إِسْحَاقَ مَا تُورِ الْخَبَرَ
 ظَهَرَ الْفَجْرُ وَقَدْ عَوَّدْتَنِي * أَنْ تُغْنِيَنِي إِذَا الْفَجْرُ ظَهَرَ

- (١) الوسمى : المطر أول الربيع . (٢) الأكام : أغصان الزهر . والنطاف : القطرات الصافية من الماء . (٣) السنة : النوم . والاصطباح : الشرب في الصباح . (٤) الرحيق : الخمر . والغادية : السحابة تنشأ غدوة . والبروح : الريح . جعل ماء المطر للزهر كالخمر . (٥) النثر : الراححة الطيبة . وسكان الشجر : الطير . (٦) السمر : السمار . (٧) المسعد : المعين . وشفه السهر : هزله وأضناه . (٨) تصفيق الطير : خفقه بأجنحته . واستحروا أي غن سمرا . وجميع الطير : تغريده . ويريد «إسحاق» : إسحاق بن إبراهيم الموصلى المعنى الباسي المعروف . يرغب إلى الطيور أن تغننه غناه .

(١) غَنِّي كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدٍ * سَرَّتِ الْأَشْجَانَ عَنِّي وَالْفِكَرَ
 (٢) انْحَرِقِ السَّمْعَ سِوَى مِنْ نَبَأٍ * خَرَقَ السَّمْعَ فَأَدْبَى فَوْقَهُ
 كُلَّ يَوْمٍ نَبَأَةٌ تَطْرُقُنَا * بَعِجِبٍ مِنْ أَعَاجِبِ الْعِبرِ
 (٣) أُمُّ تَفَنَى وَأَرْكَانُ تَهَى * وَعُرُوشٌ تَهَاوَى وَسُرُرُ
 (٤) وَجِيُوشٌ يَجِيُوشُ تَلْتَقِي * كَسِيُولٍ دَفَقَتْ فِي مُنْحَدَرِ
 (٥) وَرَجَالٌ تَتَبَارَى لِلرَّدى * لِأُتْبَالِي غَابَ عَنْهَا أُمُّ حَضَرَ
 (٦) مَنْ رَأَاهَا فِي وَغَاهَا خَالَهَا * صِيِيَةً خَفَّتْ إِلَى لُعبِ الْأَكْرِ
 وَحُرُوبٌ طَاحِنَاتٌ كَلَّمَا * أَطْفَيْتُ شَبَّ لظَاهَا وَأَسْتَعَرَ
 ضَجَّتِ الْأَفْلَاحُ مِنْ أَهْوَالِهَا * وَأَسْتَعَادَ الشَّمْسُ مِنْهَا وَالْقَمَرُ
 (٧) فِي الثَّرَى، فِي الْجَوِّ، فِي شَمِّ الذَّرَا * فِي عُبابِ الْبَحْرِ، فِي مَجْرَى النَّهْرِ
 (٨) أَسْرَفَتْ فِي الْخَلْقِ حَتَّى أَوْشَكُوا * أَنْ يَبِيدُوا قَبْلَ مِيعَادِ الْبَشَرِ
 (٩) فَأَصْمِدُوا ثُمَّ أَحْمِدُوا اللَّهَ عَلَيَّ * نِعْمَةَ الْأَمْنِ وَطِيبِ الْمُسْتَقَرِّ

- (١) سرت الأشجان : كفتها وخفت آلامها . (٢) يريد « بالنبا » : نبأ الحرب العظمى . يقول . اسمعني أيها الطائر من أنباتك ، (أي غنائك) ما يلذ به سمعي ، ولا تسمعني أنباء الحرب التي تصم الأذان وتدمى القلوب . (٣) تهى : تتحل وتسقط . وتهارو : يسقط بعضها إثر بعض . (٤) دفقت : انصبت بشدة . (٥) الردي : الهلاك . (٦) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . والأكر : جمع أكرة ، وهي لغة في الكرة . (٧) في شم الذرا ، أي في أعلى المرتفعات . (٨) ييدوا : يهلكوا . وميعاد البشر : يوم يقضى الناس جميعا . (٩) الصمد : القصد . ويستعمل في عصرنا بمعنى الصبر .

- (١) نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا * نِعْمَةُ الْأَمْنِ إِذَا الْخَطْبُ أَكْفَهَرَ
- (٢) وَاشْكُرُوا سُلْطَانَ مِصْرٍ وَاشْكُرُوا * صَاحِبَ الدَّوْلَةِ مَجْمُودَ الْأَثَرِ
- نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَمَنَّى دُونَهُ * أُمَّمٌ فِي الْغَرِيبِ أَشَقَّاهَا الْقَدْرُ
- (٣) تَتَمَنَّى هَجْمَةً فِي غِبْطَةٍ * لَمْ تُسَاوِرْهَا اللَّيَالِي بِالْكَدْرِ
- إِنَّ فِي الْأَزْهَرِ قَوْمًا نَالَهُمْ * مِنْ لَظَى نِيرَانِهَا بَعْضُ الشَّرِّ
- أَصْبَحُوا - لَا قَدَرَ اللَّهُ لَنَا - * فِي عَنَاءٍ وَشَقَاءٍ وَضَجْرٍ
- (٤) تَزَلَّاءُ بَيْنَنَا إِنْ يَرْهَقُوا * أَوْ يُضَامُوا إِنَّهَا إِحْدَى الْكِبَرِ
- (٥) فَأَعَيْنُوهُمْ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ * مَسْهُمْ ضَرْ وَنَابَتِهِمْ غَيْرُ
- (٦) اقْرِضُوا اللَّهَ يُضَاعِفْ أَجْرَكُمْ * إِنَّ خَيْرَ الْأَجْرِ أَجْرُ مَسْخَرِ

(١) اكفهر : تجهم وعبس .

(٢) صاحب الدولة : رئيس الوزراء ، وكان إذ ذاك حسين رشدي باشا .

(٣) الهجمة : النومة .

(٤) يرهقوا ، أى يعانوا من شطف العيش ما لا يطيقون .

(٥) غير الزمان : أحداثه وتقلباته

(٦) يستعمل إقراض الله بمعنى الإحسان وبذل المعروف ، لأن الله هو المتولى رده

والجزاء عليه .

الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشد هذه القصيدة بين يدي المنفور له السلطان حسين كامل في ليلة أحيتها الجمعية الخيرية بالأوبرا السلطانية .

وقد قالها على لسان صنبة من صنائع الجمعية كان يتيا بأسا فكفلته الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلمها

[نشرت في ٢٨ مارس سنة ١٩١٦ م]

قَضَيْتُ عَهْدَ حَدَاتِي * مَا بَيْنَ ذُلِّ وَأَغْتْرَابِ

(١)

لَمْ يُغْنِ عَنِّي بَيْنَ مَشِي * بِرِقِيهَا وَمَغْرِبِهَا أَضْطْرَابِ

(٢)

صَفَرْتُ يَدِي نَحْوِي لَهَا * رَأْسِي وَجَوْفِي وَالْوِطَابِ

(٣)

وَأَنَا ابْنُ عَشِيرِ لَيْسَ فِي * طَوْقِي مُكَالِحَةُ الصَّعَابِ

لَمْ يَبْقَ مِن أَهْلِ سَوَى * ذِكْرِ تَنَاسَاهُ الصَّحَابِ

(٤)

أَمْشِي بِرِنْحَنِ الْأَسَى * وَالْبُسُوسُ تَرِيحُ الشَّرَابِ

(٥)

فَلَمْ ظَلَلْتُ عَلَى طَوَى * يَوْمِي وَبِتُّ عَلَى تَبَابِ

(٦)

وَالْجُوعُ قَرَأْسُ لَهُ * ظَفَرٌ يَصُولُ بِهِ وَنَابِ

(٧)

فَكَانَهُ فِي مُهَجَّتِي * نَصْلٌ تَغْلُغَلُ لِلنَّصَابِ

(١) الاضطراب في الأرض : التردد فيها جيفة وذهايا . (٢) صفرت يدي : فرغت .

ونحوى : خلا . ويريد « بالوطاب » وعاء الزاد، والأصل فيه : سقاء اللبن .

(٣) الطوق : الجهد . (٤) يرنحني ، أى يميلني يمته ويريرة . والأسى : الحزن .

(٥) الطوى : الجوع . والتباب : الحمران . (٦) قرأس : شديد الاقتراس .

(٧) تغلغل النصل في الشيء : دخل فيه وقذف الى جوفه . ونصاب السيف والسكين ونحوهما :

المقبض .

- (١) وَلَكُمْ مَحَبَّتُ الْاَبْيَضِ * بِنِ قَابِلِيَا بَرْدِ الشَّبَابِ
 (٢) فَاِذَا ظَفِرَتْ بِكِسْرَةٍ * فَاِدَامُهَا مِنِّي لُعَابُ
 (٣) وَعَلَى طَمْرُ لَوْ هَفَّتْ * رِيحُ الشَّمَالِ بِهِ لَنَابُ
 نَحْرُوقُهُ وَمَصَائِي * فِي الْعَدِّ يُحِطُّهَا الْحِسَابُ
 (٤) مَا زِلْتُ اَوْسَعُ مِحْنَتِي * صَبْرًا وَاَحْتِمِلُ الْعَذَابُ
 (٥) حَتَّى تَنفَسَ صُبْحُ اِق * بِاَلِي وَتَجْمُ النَّحْسِ غَابُ
 (٦) وَلِكُلِّ سَيْفٍ مُصَلَّتِ * لِحَوَاثِ الدُّنْيَا قِرَابُ
 (٧) وَالْعَيْشُ فِي اِقْبَالِهِ * شُهْدُ وَفِي الْاِدْبَارِ صَابُ
 (٨) فَتَلَقَّنِي فِتْيَةً * رُحْبُ الشَّمَائِلِ وَالْجَنَابُ
 (٩) مَهَّدُوا لِاَنْفُسِهِمْ بِمَا * صَنَعُوهُ زُلْفَى وَاَحْتِسَابُ

(١) الأبيضان : الماء والخبز؛ قال الشاعر :

الأبيضان بردا عظامي * الماء والقت بلا إدام

(٢) الإدام : ما يؤتد به في الطعام .

(٣) الطمر : الثوب البالي من غير الصوف . وهفت الريح بالثوب ونحوه : حركته وذهبت به .

(٤) المحنة : ما يمتحن به صبر الإنسان من النوائب . (٥) تنفس الصبح : أضاء وأشرق ؛

وهو استعمال مجازي . (٦) المصلت من السيوف : المجرد من غمده . وقراب السيف : جرابه .

يريد أن كل شدة الى انتهاء ، وكل عسر الى يسر . (٧) الشهد : عسل النحل . والصاب :

عصارة شجر شديد المرارة ؛ يريد أن العيش حلوا في إقباله ، شديد المرارة في إدباره .

(٨) يريد « بالفتية » : رجال الجمعية الخيرية الإسلامية . (٩) مهدوا لأنفسهم ، أي كسبوا لها

خيرا . والزلفى : القربي . والاحتساب ، هو أن تقدم عملا صالحا تحتسبه عند الله ، أي تكثره ولا تبغى طيه

جزاء من الناس . ويلاحظ أن الوقف هنا يسكون الباء في آخر البيت على غير الأوضح ، وقد دعت إليه الضرورة .

(١) وَعَدُوا إِلَى الْحُسْنَى كَمَا * تَعْدُو الْمُطَهَّمَةَ الْعَرَابَ
 كَمْ أُسْرَةَ ضَاقَ الرَّجَا * ءُيُهَا وَأَعْيَاهَا الطَّلَابُ
 (٢) دَقُّوا عَلَيْهَا بِأَبِهَا * وَاللَّيْلُ مَسْدُولُ النَّقَابِ
 (٣) وَتَعَاهَدُوهَا مِثْلَمَا * يَتَعَاهَدُ النَّبْتَ السَّحَابُ
 وَجَمَالَ صُنْعِ الْبِرِّ أَلَا * يُسْتَشْفَى لَهُ حِجَابُ
 (٤) فَتَحُوا الْمَدَارِسَ حِسْبَةَ * وَتَنْظَرُوا حُسْنَ الْمَابِ
 فِيهَا تَبَيَّنَتْ الْمُهْدَى * وَقَرَأْتُ (فَاتِحَةَ الْكِتَابِ)
 (٥) وَبِهَا صَدَفْتُ عَنِ الضَّلَا * لَهْ وَأَهْتَدَيْتُ إِلَى الصَّوَابِ
 وَغَدَوْتُ إِنْسَانًا مُجَمَّلُهُ الْفَضَائِلُ لَا الثِّيَابِ
 مَبْصُرًا ذَا فِطْنَةٍ * تَنْفِي الْقُشُورَ عَنِ اللَّبَابِ
 (جَمْعِيَّةٌ خَيْرِيَّةٌ) * قَامَتْ لِتَخْفِيفِ الْمُصَابِ
 (٦) قَدْ كَانَ فِيهَا (عَبْدُهُ) * غَوْنًا يَلْبِي مَنْ أَهَابُ

- (١) عدوا : أسرعوا . والمطهَّم من الخيل : الذي تم حسنه وبرع في الجمال . والخيل العراب : الكرائم السالمة من الهجعة . (٢) يريد بقوله : «مسدول النقاب» : وصف الليل بشدة الظلام . ويصف رجال الجمعية بأنهم يبدلون المعروف في خفية وتكتم ، وذلك أفضل الإحسان . (٣) تعاهدوها : تفقدوها بالبدل والمعوثة . (٤) تنظروا : انتظروا وأرتقبوا . (٥) صدف عن الضلالة : أعرض عنها . (٦) يريد الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده . انظر التعريف به في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من هذا الجزء . وكان أقوى مؤسسى الجمعية الخيرية وأعظم الداعين الى إنشائها . وأهاب : دعا .

(١) لَمْ يَدْعُ مَسْمَاحًا إِلَى * إِنْعَاشِهَا إِلَّا أَجَابُ
 مَا غَابَ عَنْهَا مَرَّةً * حَتَّى تَغِيَّبَ فِي التُّرَابِ
 (٢) وَ (لِعَاصِمٍ) أَثْرُ بِهَا * بَاقٍ وَذِكْرٌ مُسْتَنْطَابُ
 (٣) قَدْ كَانَ يَجِيها كَمَا * تَجِي مَجَامِيهَا الْعُقَابُ
 ثَبَّتَتْ وَكَانَ ثَبَاتُهَا * يَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ الْعُجَابُ
 (٤) وَالشَّرْقُ أَوْرَثَ أَهْلَهُ * حُبَّ التَّقَلُّبِ وَالْخِلَابِ
 فِينَا عَلَى كَرَمِ الطُّبَا * عِ وَنُبْلِهَا طَبَعٌ يُعَابُ
 دَاءُ التَّوَاكُلِ وَهُوَ فِي الِ * عُمُرَانِ دَاعِيَةُ الْخَرَابِ
 (٥) ثَبَّتَتْ لِأَنَّ لَهَا إِي * أَعْتَابِ مَوْلَانَا أَتْسَابُ
 (٦) لَوْلَا (حُسَيْنٌ) لَمْ تَدُمُ * إِلَّا كَمَا دَامَ الْحَبَابُ
 اللَّهُ أَدْرَكَهَا بِهِ * بَحْرًا مَوَارِدُهُ عِيَابُ
 يَا وَاهِبَ الْأَلْفِ كَمُ * طَوَّقَتْ بِالْمَنِّ الرَّقَابُ
 (٧) لَكَ سَاحَةُ عَلَوِيَّةٍ * مَا أَمَّهَا أَمَلٌ وَخَابُ

(١) المسماح: الكثير السباح. (٢) يريد «بعاصم»: المرحوم حسن عاصم باشا. (٣) مجامع العقاب: مواضعها التي تنزل بها، الواحد مجثم؛ يقال: جثم الطائر، اذا لزم مكاناً فلم يبرحه؛ أو تلبد بالأرض. والعقاب: طائر من الجوارح، والعرب تسميه الكاسر. (٤) الخلاب: الخلداع. (٥) يريد بقوله: «مولانا» السلطان حسين كامل؛ وكان رئيساً لها أيام كان أميراً. والوقف على قوله: «أتساب» يسكون الباء لضرورة القافية جريا على غير الفصيح، وهي لثة ربيعة، فانهم يقفون على المنون بحذف تنوينه وسكون آخره مطلقاً، أى سؤاء أكان منصوباً كما في هذا اللفظ، أم مرفوعاً أم مجروراً. (٦) الحباب: فقاقيع الماء التي تملوه. (٧) علوية: نسبة إلى المنفورة ساكن الجنان محمد علي باشا جد الأسرة المالكة.

مَهَّدتَ لِلأَخْيَارِ مِيَّةَ * مَدَانِ السَّبَاقِ إِلَى الثَّوَابِ
(١)
لَا زِلتَ فِي القُطْرَيْنِ مَحَّةَ * مَرُوسِ الأَرِيكَةِ وَالرَّكَّابِ

جمعية إعانة العميان

فألمها في حفل أقامته الجمعية لبناء مدرسة للعميان بالأحداث بالأوبرا

في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٦ م ونشرت في اليوم التالي

(٢) إِنْ يَوْمَ احْتِفَالِكُمْ زَادَ حُسْنًا * وَجَلَالًا يَوْمَ عِيدِ الجُلُوسِ
(٣) فَاقْتَرَابُ اليَوْمَيْنِ رَمَزًا إِلَى أَيْمٍ * بِنِ وَبَشْرَى تَسْرَرُهِنَّ الحَبُوسِ
(٤) فَكَأَنِّي أَشِيمٌ عَاطِفَةٌ السِّيرُ * عِيَانًا تَجُولُ بَيْنَ الجُلُوسِ
(٥) وَأَرَى فِي الوُجُوهِ سِيَمًا آرْتِيَاجٍ * وَأَبْتِهَاجٍ لَسَعَى تِلْكَ العُرُوسِ
إِنْ حَقَّ الضَّرِيرُ عِنْدَ ذَوِي الأَبْدِ * صَارَ حَقٌّ مُسْتَوْجِبٌ التَّقْدِيسِ
لَمْ يَضُرَّهُ فِقْدَانُهُ نُورَ عَيْنَيْهِ * إِذَا اعْتَصَصَ عَنْهُمَا بِأَنْبِيسِ
أَنْسُوا نَفْسَهُ إِذَا أَظْلَمَ العَيْدِ * شُسُ بَعْلِمٍ فَالْعِلْمُ أَنْسَ النَفُوسِ
وَجَهَّوهُ إِلَى الفَلَاحِ يُفِدْتُمْ * فَوْقَ مَا يَسْتَفِيدُهُ مِنْ دُرُوسِ
(٦) أَكْمَلُوا قِصَّةَ يَكُنْ عَبْقَرِيًّا * مِثْلَ (طَه) مَبْرَزًا فِي الطَّرُوسِ

(١) القطران : مصر والسودان . والأريكة : سرير الملك . (٢) يريد عيد جلوس
المفقور له السلطان حسين كامل . (٣) يريد «برهن الحبوس» : أن هذا المكفوف رهين حبس
بصره ، وحبس بيته ، وكان أبو العلاء المعري يلقب «برهين المحبسين» . (٤) أشيم : أرى وأنظر .
(٥) يريد «بالعروس» : عاطفة البر السابق ذكرها . (٦) يريد «بطه» : الدكتور طه
حسين (بك) عميد كلية الآداب الآن . والطروس : جمع طرس ، وهو الصحيفة يكتب فيها .

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَكْمِهِ لَا يُجَارَى * وَضَرِيرٍ يَرْجَى لَيْسُومَ عَبُوسٍ
 لَمْ تَقِفْ آفَةُ الْعُيُونِ حِجَارًا * يَبْنَ وَثْبَاتِهِ وَيَبْنَ الشُّمُوسِ
 عَدِمَ الْحَسَّ قَائِدًا فَخَدَاهُ * هَدَىٰ وَجْدَانِهِ إِلَى الْحَسُوسِ
 مِثْلُ هَذَا إِذَا تَعَلَّمَ أَغْنَى * عَنْ كَثِيرٍ وَجَاءَنَا بِالنَّفِيسِ
 ذَاكَ أَنْ الذِّكَاءَ وَالْحِفْظَ حَلَا * فِي جِوَارِ النَّهْيِ بِتِلْكَ الرَّؤُوسِ
 فَعَلَىٰ كُلِّ أَكْمِهِ وَبَصِيرٍ * شُكْرُ أَعْضَائِكُمْ وَشُكْرُ الرَّئِيسِ

ملجأ الحرية

[نشرت في ١٩ مايو سنة ١٩١٩ م]

(١)
 أَيُّهَا الطِّفْلُ لَكَ الْبُشْرَى فَقَدْ * قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا أَنْ نُنْشَرَا
 قَدَّرَ اللَّهُ حَيَاةَ حُرَّةٍ * وَأَبَىٰ سُبْحَانَهُ أَنْ تُقْبَرَا
 (٢)
 لَا تَتَخَفْ جُوعًا وَلَا عُرْيًا وَلَا * تَبِكْ عَيْنَاكَ إِذَا خَطَبَ عَرَا
 (٣)
 لَكَ عِنْدَ الْبِرِّ فِي مَلْجَأِهِ * حَيْثُ تَأْوِي خَاطِرُنَا لِنُكْسِرَا
 (٤)
 حَيْثُ تَلْقَى فِيهِ حَدْبًا وَتَرَى * بَيْنَ أَرْبَابِكَ عَيْشًا أَنْضَرَا

- (١) نشر : تحيا ونبعث . جعل ما كان فيه المصريون قبل من إهمال اليتيم وإغفال شأنه كالموت ؛ وما صاروا إليه بعد من رعايته والعناية به حياة وبعثا . (٢) عرا : ألم ونزل . (٣) يستعمل « كسر الخاطر » في إنجمال السائل وردده بغير ما كانت يؤمل ، وهو استعمال شائع في كلام عصرنا . (٤) الحدب (بالتحريك وسكن للشعر) : العطف . ويجوز أن يقرأ بالضم بمعنى جماعة العاطفين . وأربابك : لذاتك ونظرائك ، الواحد ترب (بالكسر) .

لَا تُسِيءُ ظَنًّا بِمُثْرِينَا قَعْدًا * تَابَ عَنِ آثَامِهِ وَاسْتَغْفَرَا
 (١)
 كَانَ بِالْأَمْسِ وَأَقْصَى هَمِّهِ * إِنَّ أُنَى عَارِفَةً أَنْ يَظْهَرَا
 فَعَدَا الْيَوْمَ يُوَأْسِي شَعْبَهُ * وَهُوَ لَا يَرْغَبُ فِي أَنْ يُشْكِرَا
 (٢)
 نَبَتْ عَاطِفَةَ الْبِرِّ بِهِ * مِحْنَةً عَمَّتْ وَمِقْدَارٌ جَرَى
 (٣)
 جَمَعْتَنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ * وَأَرَادَتْنَا عَلَى أَنْ تُقَهَّرَا
 فَتَعَاهَدْنَا عَلَى دَفْعِ الْأَذَى * بِرُكُوبِ الْحَزْمِ حَتَّى نَنْظَرَا
 (٤)
 وَتَوَاصَيْنَا بِصَبْرٍ بَيْنَنَا * فَغَدَوْنَا قُوَّةً لَا تُزْدَرَى
 (٥)
 أَنْشَرْتُ فِي مِصْرَ شَعْبًا صَالِحًا * كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مُنْفَكَّ الْعُرَا
 (٦)
 كُمْ مَحِبٌّ هَائِمٌ فِي حُبِّهَا * ذَادَ عَنِ أَجْفَانِهِ سَرَحَ الْكُرَى
 (٧)
 وَشَبَابٍ وَكُھُولٍ أَقْسَمُوا * أَنْ يَشِيدُوا بِمَجْدِهَا فَوْقَ الذَّرَا
 يَارِجَالَ الْجِدِّ هَذَا وَقْتَهُ * أَنْ أَنْ يَعْملَ كُلُّ مَا يَرَى
 مَلْجَأًا أَوْ مَصْرِفًا أَوْ مَصْنَعًا * أَوْ تِقَابَاتٍ لِرُزَاغِ الْقُسْرَى
 (٨)
 أَنَا لَا أَعْذِرُ مِنْكُمْ مَنْ وَنَى * وَهُوَ ذُو مَقْدَرَةٍ أَوْ قَصْرَا

- (١) العارفة : العطية والمعروف . (٢) المحنة : ما يمتحن به الإنسان من بلية . والمقدار : القدر (فتح القاف والذال) . ويريد ما شمل الناس من فقر وضيق إذ ذاك . (٣) الضمير في « جمعنا » « للحنة » . ويقال : أرادته على الأمر ، وذلك إذا حمله عليه . (٤) لا تزدرى : لا تحتقر . (٥) أنشرت : أحييت . ويريد « بالعرا » : صلاة المودة ، الواحدة عمروة . (٦) الضمير في « حبها » لمصر . وذاد : منع ودفع . والكرى : النوم . (٧) الذرا : جمع ذرورة ، وهي المكان المرتفع . (٨) ونى : أبطأ .

فابْدَعُوا بِالْمَلْجَاِ الْحُرِّ الَّذِي * جِئْتُ لِلْأَيْدِي لَهُ مُسْتَمِطِرًا
 (١)
 وَاكْفُلُوا الْآيْتَامَ فِيهِ وَأَعْلَمُوا * أَنْ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
 أَيُّهَا الْمُثْرَى أَلَا تَكْفُلُ مَنْ * بَاتَ مَحْرُومًا يَتِيًّا مَعْسِرًا
 أَنْتَ مَا يُدْرِيكَ لَوْ أَنْبَأَهُ * رَبِّمَا أَطَّلَعْتَ بَدْرًا نَبْرًا
 (٢)
 رَبِّمَا أَطَّلَعْتَ (سَعْدًا) آخَرًا * يُحْكِمُ الْقَوْلَ وَيُرْقِي الْمُنْبِرَا
 (٣)
 رَبِّمَا أَطَّلَعْتَ مِنْهُ (عَبْدَهُ) * مَنْ حَمَى الدِّينَ وَزَانَ (الْأَزْهَرَا)
 رَبِّمَا أَطَّلَعْتَ مِنْهُ شَاعِرًا * مِثْلَ (شَوْقِي) نَاهِيًا بَيْنَ الْوَرَى
 (٤)
 رَبِّمَا أَطَّلَعْتَ مِنْهُ فَارِسًا * يَدْخُلُ الْغَيْلَ عَلَى أَسَدِ الشَّرَى
 كَمْ طَوَى الْبُؤْسَ نَفُوسًا لَوْرَعَتْ * مَنِبْتًا خِصْبًا لَكَانَتْ جَوْهَرَا
 (٥)
 كَمْ قَضَى الْعُدْمَ عَلَى مَوْهَبَةٍ * فَوَارَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى

- (١) كفله يكفله (من باب نصر) : قام بأمره . والقرا : الحمار الوحشي « وكل الصيد في جوف القرا » : مثل ؛ وأصله أن ثلاثة خرجوا متصيدين ، فاصطاد أحدهم أرنبًا ، والآخر ظيًّا ، والثالث حمارًا فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا ، وتطاولا على صاحب الحمار . فقال لهما : « كل الصيد في جوف القرا » ، أي ان هذا الذي رقت به وظفرت يشتمل على ما عندكما ، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار . ومعنى المثل هنا أن معونة اليتيم تحمل في ثناياها جميع الأعمال الصالحة .
- (٢) يريد المغفور له (سعد زغلول باشا) وكان رئيسًا للوفد المصري إذ ذاك .
- (٣) يريد « عبده » : الأستاذ الإمام محمد عبده (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من هذا الجزء . (٤) الغيل (بالكسر ويفتح) : الشجر الكثير المتف ، وتأوى إليه الأسود .
- (٥) العدم - الفقر .

كُلُّ مَنْ أَحْيَا يَتِيماً ضَائِعاً * حَسْبُهُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُؤَجِّرَا
 إِنَّمَا تُحْمَدُ عُنْفَى أَمْرِهِ * مَنْ لَأَنْرَاهُ بَدْنِيَاهُ اشْتَرَى

جمعية الطفل

أنشدتها في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٢٨ م

(١) أَيُّهَا الطِّفْلُ لَا تَخَفْ عَنَّا الدُّهُ * وَلَا تَخَشَّ عَادِيَاتِ اللَّيَالِي
 (٢) قَيْضَ اللَّهِ لِلضَّعِيفِ نَفْسًا * تَعَشَّقُ الْبِرَّ مِنْ ذَوَاتِ الْجِبَالِ
 أَيُّ ذَوَاتِ الْجِبَالِ عِشْتَنَ لِلْبِرِّ * وَدَمْنٌ قُدُوءٌ لِلرِّجَالِ
 لَمْ يَكُونُوا لِيُدْرِكُوا الْمَجْدَ لَوْلَا * كُنْ أَوْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمَعَالِي
 (٣) بِسْمَةِ تَجْعَلُ الْجَبَانَ شُجَاعًا * وَتُعِيدُ الْبَخِيلَ أَكْرَمَ نَالِ
 وَعِظَامُ الرِّجَالِ مِنْ كُلِّ جَنَسٍ * فِي رِضَاكُنْ أَرْخَصُوا كُلَّ غَالِي
 (٤) رَاعِنِي مِنْ نَفْسِي كُنْ جَمَالًا * يَتَجَمَّلُ فِي هَالَةٍ مِنْ جَلَالِ
 (٥) وَجَمَالَ النَّفُوسِ وَالشُّعْرِ وَالْأَخْ * لِقِ عِنْدِي أَسْمَى بِجَالِي الْجَمَالِ
 قُمْنَ عَلَمْنَا الْمُرُوءَةَ وَالْعَطَا * مَفَّ عَلَى الْبَائِسِينَ وَالسُّؤَالَ

(١) العنت : المشقة . (٢) قَيْضُ : أتاح . وذوات الجبال : النساء . والجبال : جمع
 حجلة ، وهي موضع يزين للعروس . ويشير إلى أن تلك الجمعية من السيدات : (٣) النال : الجواد
 الكريم . (٤) الهالة : دائرة القمر . (٥) بجالي الجبال ، أي مظاهره وما يبدو منه .

فَمَنْ عَلَّمَنَا الْحَنَانَ عَلَى الطَّفِّ * مِلِ شَرِيدًا فَرِيَسَةَ الْمُتَقَالِ
 قَدْ أَجَبْنَا نِدَاءَ كُنْ وَجِئْنَا * نَسَّالُ الْقَادِرِينَ بَعْضَ النَّوَالِ
 لَوْ مَلَكْنَا غَيْرَ الْمَقَالِ بَحْدُنَا * إِنْ جُهِدَ الْمُقَلُّ حُسْنُ الْمَقَالِ
 انْقَدُوا الطِّفْلَ إِنْ فِي شِقْوَةِ الطَّفِّ * لِي شَقَاءٌ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالِ
 إِنْ يَعِشَ بَائِسًا وَلَمْ يَطْوِهِ الْبُؤْسُ * مَسْ يَعِشُ نَكْبَةً عَلَى الْأَجْيَالِ
 رَبُّ بُؤْسٍ يُحِبُّ النَّفْسَ حَتَّى * يَطْرَحُ الْمَرْءَ فِي مَهَاوِي الضَّلَالِ
 أَنْقَدُوهُ فُرُبًا كَانَ فِيهِ * مُضْلِحٌ أَوْ مُغَامِرٌ لَا يُبَالِي
 رَبَّمَا كَانَ تَحْتَ طَمْرِيهِ عَزَمُ * ذُو مَضَاءٍ يَدُوكُ شَمَّ الْجِبَالِ
 رَبُّ سِرٌّ قَدْ حَلَّ جِسْمَ صَغِيرٍ * وَتَأَبَّى عَلَى شَدِيدِ الْحَالِ
 نِخْفَافُ الْأَفْيَالِ أَرْفَقُ وَقَعًا * لَوْ تَبَيَّنْتَ مِنْ دَيْبِ الثَّمَالِ
 شَاعَ بُؤْسُ الْأَطْفَالِ وَالْبُؤْسُ دَاءٌ * لَوْ أُبِيحَ الطَّيِّبُ - غَيْرُ عَضَالِ
 أَيَّدُوا كُلَّ تَجَمُّعٍ قَامَ لِلْبُرِّ * بِجَاهٍ يُظْلَهُ أَوْ بِمَالِ
 كُمْ يَتِيمٍ كَادَتْ بِهِ الْبَاءُ * سَاءُ لَوْلَا (رِعَايَةُ الْأَطْفَالِ)

(١) المقل : الفقير القليل المال . (٢) يطويه : يغيبه ويذهب به .

(٣) المغامر : المقاتل الذي لا يبالي بالموت .

(٤) الطمر : الثوب الخلق . وشم الجبال : المرتفعة منها ، الواحد أشم .

(٥) سر ، أى موهبة خفية ونبوغ كامن . وتأبى : امتنع . والحال : القدرة والقوة .

(٦) يريد بهذا البيت أن التلمة على ضالتها فيها من السر ما ليس للفقير على ضخامته .

(٧) داء عضال : شديد غالب معي .

(١) ويرجال الإسعاف أنبل - لولا * شهوة الحرب - من رجال القتال
 (٢) يسهرون الدجى لتخفيف وييل * أو بلاء مصوب أو تكال
 حكم جريح لولاهم مات ترفاً * في يد الجهل أو يد الإهمال
 (٣) كم صريع من صدمة أو صريع * من شوم تخدير الأوصال
 كم حريق قد أحمم الناس فيه * عن ضحايا تبن نعت اللال
 (٤) يرامون في اللهب سراعاً * كزاي الفظا ليورد الزلال
 (٥) لا لشيء يسوى المروءة يملؤ * طعنها في فم المريء المسوالي
 فاصنموا الرئعيين وجودوا * أيها القادرون قبل السؤال
 لا تشار العلوم أو لا تطواءه آل * بجؤس والشر أو لترفيه حال

ككلىة البنات الأمريكية

قالها في الحفل الذي أقامته الكلية لادوم مع ككبادات والحواض من العازات

[نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٨ء]

(٦) أي رجال الدنيا الجديدة مهلاً * قد شأوتهم بالمعجزات الرجال
 (٧) وفيهم معنى الحياة فأرصد * ثم عليها لكل نقص ككالا

- (١) يقول : لولا حاجتنا إلى الجند في الحرب التي لا نزال نحيا : لأن رجال الإسعاف أنبل منهم وأفضل . (٢) الكال : العذاب . (٣) يريد « بالجوم » : المخدرات . والأوصال : الأعضاء ، الواحد وصل (بالكسر وبالضم) . (٤) الفظا : جمع فظاة ، وهي طائر في جيم الهامة . (٥) المريء : ذر المروءة . والموالي : المنصر المين . (٦) الدنيا الجديدة : أمريكا . وشارتم : غاتم . (٧) أرصدتم ، أي أعددتهم .

(١) وحرصتم على العقول فخرم * ثم عصياً يراه قوم حلالاً
وقدرتم دقيقة العمر حرصاً * وسواكم لا يقدر الأجيالاً
كم أحالوا على غد كل أمر * ومجمل الأمور يبغى المحالاً
(٢) قد تحديتم المنية حتى * هم أن يغلب البقاء الزوالاً
وطويتهم فرايخ الأرض طياً * ومشيتهم على الهواء أختيالاً
ثم تنخرتم الرياح فسستم * حيث شتم جنوبها والشمالاً
(٣) تسرجون الهواء إن رتم السي * روفى الأرض من يشد الرحالاً
وتخذتم موج الأثير بريداً * حين ختم أن البروق كسالى
ثم حاولتم الكلام مع النج * حين فحتم الشعاع مقالاً
ومعا (فورد) آية المشي حتى * شرع الناس يندون النعالاً
(٤) وأنزعتم من كل شبر بظهير ال * أرض أو بطنها المحجب مالا
وأقسم في كل أرض صروحاً * تتطح السحب شامخات طوالاً
(٥)
(٦)

- (١) يشير بهذا البيت الى قانون تحريم الخمر الذي كانت جمهورية الولايات المتحدة قد أصدرته .
(٢) تحديتم المنية ، أى نازعتموها الغلبة وعارضتموها . ويشير الى ما فى هذه البلاد من العناية
الشؤون الصحية والمستحذات الطيبة ، والاهتمام الى مداواة بعض الأمراض التي كانت قبل مستعصية
العلاج . (٣) تسرجون الهواء ، أى تعدونه وتهيئونه للركوب كما يسرج القوس ، أى يشد عليه مرجه
ليركب . ويشير بذلك الى الطائرات . ويريد بقوله « روفى الأرض » الخ : أنه لا تزال فى الأرض أمم
متأخرة لم تتحول عن جمودها فى الحياة ، وتشد الرحال على ظهورها الجمال كمهداها فى المصور الأولى .
(٤) يشير بهذا البيت الى الآلات اللاسلكية . (٥) فورد : صاحب معامل كبيرة للسيارات
فى أمريكا . ويريد الشاعر أنه قد أكثر منها فى أنحاء العالم حتى يكاد الناس لكثرتها وقلة أمانها يستغنون
ركوبها عن المشي ولبس النعال . (٦) الصروح : الأبنية العالية .

وَغَرَسْتُمْ لِلْعِلْمِ رَوْضًا أَيْقًا * فَوْقَ دُنْيَا الْوَرَى يَمُدُّ الظَّلَالَ
 وَحَلَلْتُمْ بِأَرْضِنَا فَعَرَفْنَا * كَيْفَ تَنْمُونَ بَيْنَنَا الْأَطْفَالَ
 وَرَأَيْنَا الْبَنَاتِ كَيْفَ يُتَّقَفُ * مِنْ بَعْلِيمٍ يَزِيدُهُنَّ جَمَالَ
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى أَرْضَ مِصْرٍ * فِي حِمَى اللَّهِ تُنْبِتُ الْأَبْطَالَ
 وَأَرَى أَهْلَهَا يُبَارُونَكُمْ عِدًا * سَمَا وَوَثَبًا إِلَى الْعُلَا وَنِضَالًا
 قَدْ تَفَضَّنَا عَنَّا الْكَرَى وَأَبْتَدَرْنَا * فُرْصَ الْعَيْشِ وَأَنْتَقَلْنَا أَنْتِقَالَ
 وَعَلِمْنَا بَأَنَّ غَفْلَةَ يَوْمٍ * تَحْرِمُ الْمَرْءَ سَعِيَهُ أَحْوَالَ
 فَشَقَقْنَا إِلَى الْحَيَاةِ طَرِيقًا * وَأَصَبْنَا عَلَى الزَّحَامِ جَمَالَ
 وَنَهَضْنَا فِي ظِلِّ عَرْشِ (فُؤَادٍ) * وَرَفَعْنَا لِعَهْدِهِ تِمْشَالَ
 قَدْ أَبِي اللَّهُ أَنْ نَعِيشَ عَلَى النَّا * سِوَانِ ضَاقَتِ الْوُجُوهُ عِيَالًا

الأزبكية

كَمْ وَارِثٍ غَضُّ الشَّبَابِ رَمِيتهُ * بَغْرَامٍ رَاقِصَةٍ وَحِبِّ هَلُوكِ
 أَلْبَسْتِهِ الثَّوْبَيْنِ فِي حَالِيهِمَا * تِيهِ الْغَنِيِّ وَذِلَّةِ الْمَفْلُوكِ

- (١) ابتدرونا فرص العيش : عاجلناها وأسرعنا إليها . والكرى : النوم .
 (٢) الأحوال : السنون ، الواحد حول . (٣) الوجوه : المذاهب .
 (٤) الهلوك : الفاجرة المتساقطة على الرجال . (٥) المفلوك : الفقير البائس ؛ وهي تسمية فارسية . قال صاحب كتاب (الفلاحة والمفلوكون) : هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل العجم ، ويريدون بها شهادة مواقع الاستعمال : الرجل غير المحظوظ ، المهمل في الناس لإملاقه وفقره .

نشيد الشبان المسلمين

(١) أَعِيدُوا مَجْدَنَا دُنْيَا وَدِينًا * وَذُودُوا عَنِ تَرَاثِ الْمُسْلِمِينَ

(٢) مَن يَعْنُو لَعْنُ اللَّهِ فِيْنَا * وَنَحْنُ بَنُو الْغَزَاةِ الْفَاتِحِينَ

مَلَكْنَا الْأَمْرَ فَوْقَ الْأَرْضِ دَهْرًا * وَخَلَدْنَا عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرِي

أَيُّ (عَمْرٍ) فَأَنْسَى عَدَلٌ (كَسْرِي) * كَذَلِكَ كَانَ عَهْدُ الرَّاشِدِينَ

(٣) جِينَا السُّحْبَ فِي عَهْدِ الرَّشِيدِ * وَبَاتَ النَّاسُ فِي عَيْشِ رَغِيدِ

(٤) وَطَوَّقَتِ الْعَوَارِفُ كُلَّ جَيْدٍ * وَكَانَتْ شِعَارَنَا رِفْقًا وَلِينًا

سَلُّوا (بَغْدَادَ) وَالْإِسْلَامَ دِينٍ * أَكَانَ لَهَا عَلَى الدُّنْيَا قَرِينُ

رِجَالٌ لِلْعَوَادِثِ لَا تَلِينُ * وَعِصْمٌ أَيْدِ الْفَتْحِ الْمُبِينِ

(٥) فَلَسْنَا مِنْهُمْ وَالشَّرْقُ عَانِي * إِذَا لَمْ نَكْفِهِ عَنَّتِ الزَّمَانِ

وَنَرْفَعُهُ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ * كَمَا رَفَعُوهُ أَوْ نَلَقَى الْمُنُونَا

(١) ذودوا : ادفروا .

(٢) يعنو : يذل ويخضع .

(٣) جينا السحاب ، يريد بسطة الملك وسعة السلطان . ويشير بذلك الى ما روى عن أحد خلفاء

الإسلام حين رأى سحابة سارية فقال ما معناه : امطري حيث شئت فإن ما تنبتته سيجي خواجه الينا .

(٤) العوارف : العطايا والمنن ، الواحدة عارفة . والجيد : العنق .

(٥) العاني : الأسير المقيد . وعنت الزمان : مشقته .

غلاء الأسعار

أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ ضَاقَ بِنَا الْعَيْدُ * شُسُّ وَلَمْ تُحْسِنُوا عَلَيْهِ الْقِيَامَا
عَزَّتِ السَّلْمَةُ الدَّلِيلَةُ حَتَّى * بَاتَ مَسْحُ الْحِذَاءِ خَطْبًا جُسَامَا^(١)
وَقَدَا الْقُوْتُ فِي يَدِ النَّاسِ كَالِيَا * قُوْتُ حَتَّى نَوَى الْفَقِيرُ الصِّيَامَا
يَقْطَعُ الْيَوْمَ طَاوِيَا وَلَدَيْهِ * دُونَ رِيحِ الْقَنْتَارِ رِيحُ الْخَزَامَى^(٢)
وَيَخَالُ الرَّغِيفُ فِي الْبُعْدِ بَدْرَا * وَيَطْنُ الْكُومَ صَيْدًا حَرَامَا^(٣)
إِنْ أَضَابَ الرَّغِيفُ مِنْ بَعْدِكَ * صَاحَ : مَنْ لِي بَانَ أُصِيبَ الْإِدَامَا؟
أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ أَصْلَحْتُمُ الْأَرْضَ * ضَمَّ وَيَسْتَمُّ عَنِ النَّفْسِ نِيَامَا
أَصْلِحُوا أَنْفُسًا أَضْرَبَهَا الْفَقْدُ * رُ وَأَجِبَا بِمَوْتِهَا الْإِثَامَا
لَيْسَ فِي طَوْقِهَا الرَّجِيلُ وَلَا الْجِدُّ * وَلَا أَنْ تُوَاصِلَ الْإِقْدَامَا^(٤)
تُؤَثِّرُ الْمَوْتَ فِي رُبَا النَّيْلِ جَوْمَا * وَتَسْرَى الْعَارَ أَنْ تَعَافَ الْمُقَامَا^(٥)
وَرِجَالُ الشَّامِ فِي كُحْرَةِ الْأَرْضِ * ضِ يُبَارُونَ فِي الْمَسِيرِ الْغَنَامَا
رَكِبُوا الْبَحْرَ، جَاوَزُوا الْقُطْبَ، فَأَتَوْا * مَوْقِعَ النَّيْرَيْنِ خَاضُوا الظَّلَامَا

- (١) السَّلْمَةُ : المتاع المتجرفيه . والخَطْبُ الجَسَامُ : العظيم . (٢) طَاوِيَا : جائئا .
والقَنْتَارُ (بالضم) : رِيحُ الشَّوَاءِ . والخَزَامَى : نوع من الرياحين ، وزهره من أطيب الأزهار نَفْحَةٌ .
يقول : إن رِيحَ ذَاكَ الزَّهْرِ أَقْلُ شَأْنًا عِنْدَهُ مِنْ رِيحِ الشَّوَاءِ لِحَاجَتِهِ إِلَى الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ .
(٣) الْإِدَامُ : مَا يُؤْتَمُّ بِهِ . (٤) الرِّبَا : مَرْتَفَعَاتُ الْأَرْضِ ، الْوَاحِدَةُ رِبْسَةٌ .
وتَعَافَ : تَكَرَّهَ . (٥) بَارَاهُ : جَارَاهُ وَفَعَلَ مِثْلَ فَعَلَهُ .

يَمْتَطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْدِ * سِيش وَيَبْرُونَ لِلنَّضَالِ السَّهَامَا
 وَبَنُو مِصْرَ فِي حِمَى النَّيْلِ صَرَغَى * يَرْقُبُونَ الْقَضَاءَ عَامًا فَعَامَا
 أَيُّهَا النَّيْلُ كَيْفَ تُنْمِئِي عِطَاشًا * فِي بِلَادٍ رَوَّيَتْ فِيهَا الْأَنَامَا
 يَرِدُ الْوَاغِلُ الْغَرِيبُ فَيَرَوَى * وَبُنُوكَ الْكِرَامُ تَشْكُو الْأَوَامَا
 إِنَّ لَيْنَ الطَّبَاعِ أَوْرَثْنَا الدُّلَّ * وَأَغْرَى بِنَا الْجُنَاةَ الطَّغَامَا
 إِنَّ طَيْبَ الْمَنَاجِ بَرَّ عَلَيْنَا * فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ ذَاكَ الرَّحَامَا
 أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ رَفِّقَا بِقَوْمٍ * قَيْدَ الْعَجْزِ شَيْخَهُمُ وَالغُلَامَا
 وَأَغِيثُوا مِنَ الْغَلَاءِ نَفُوسًا * قَدْ تَمَنَّتْ مَعَ الْغَلَاءِ الْجَمَامَا
 أَوْشَكَتْ تَأْكُلُ الْهَيْدَ مِنَ الْفَقْدِ * بِرٍ وَكَادَتْ تَدُودُ عَنْهُ النَّعَامَا
 فَأَعِيدُوا لَنَا الْمَكُوسَ فَإِنَا * قَدْ رَأَيْنَا الْمَكُوسَ أَرْخَى زِمَامَا
 ضَاقَ فِي مِصْرٍ قِسْمُنَا فَاغْدِرُونَا * إِنَّ حَسَدَنَا عَلَى الْجَلَاءِ الشَّامَا
 قَدْ شَقِينَا - وَنَحْنُ كَرَّمْنَا اللَّهَ * لَهُ - بَعْضُ يَكْرَمُ الْأَنْعَامَا

- (١) الواغل : الذى يدخل على القوم فى طعامهم وشرابهم دون أن يدعى . والأوام :
 شدة العطش . (٢) الطغام (بالفتح) : أوغاد الناس وأراذلهم .
 (٣) الحمام (بكسر الحاء) : الموت . (٤) الهيد : حب الخنظل . وتذود : تدفع
 وتمنع . ونخص النعام لأنها تأكل هذا الهيد . (٥) المكوس : ضرائب كانت تؤخذ على السلع
 الواردة لباع فى المدن ، وكان يتعالى فى فرضها . والزمام : ما تزم به الدابة ، أى تقاد . ويريد بقوله :
 «أرخى زماما» : أن عهد المكوس كان أيسر على الناس وأهون . (٦) القسم (بالكسر) :
 النصيب من الرزق . ويريد «بالجلاء» : انتقال القوم من أوطانهم إلى أوطان أخرى طلبا للرزق .

أضرحه الأولياء

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرْزُقُونَ بِدِرْهَمٍ * وَبِأَلْفِ أَلْفٍ تُرْزَقُ الْأَمْوَاتُ
 مَنْ لِي بِحِطِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ * قَامَتْ عَلَى أَجْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
 يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا، وَيَجْرِي حَوْلَهَا * بِحَرِّ الشُّدُورِ، وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ
 وَيُقَالُ: هَذَا الْقُطْبُ بَابُ الْمُصْطَفَى * وَوَسِيلَةٌ تُقْضَى بِهَا الْحَاجَاتُ

وقال على لسان طفلة :

أَخَشَى مُرَيْتِي إِذَا * طَلَعَ النَّهَارُ وَأَفْرَعُ
 وَأَظَلَّ بَيْنَ صَوَاحِبِي * لِعِقَابِهَا أَتَوَقَّعُ
 لَا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لِي وَلَا * طَوْلُ التَّضَرُّعِ يَنْفَعُ
 وَأَخَافُ وَإِلْدَتِي إِذَا * جَنَّ الظَّلَامُ وَأَجْرَعُ
 وَأَيْتُ أَرْتَقِبُ الْجَزَا * ءَ وَأَعْيَنِي لَا تَهْجَعُ
 مَا ضَرَّنِي لَوْ كُنْتُ أَسَدُ * تَمِيعُ الْكَلَامِ وَأَخْضَعُ
 مَا ضَرَّنِي لَوْ صُنْتُ أَدُّ * بَوَابِي فَلَا تُتَقَطَّعُ
 وَحَفِظْتُ أَوْرَاقِي بِمِحْ * فَنَظْمِي فَلَا تَتَوَزَّعُ
 فَأَعِيشْ آمِنَةً وَأَمَّ * رَعُ فِي الْمَنَاءِ وَأَرْتَعُ

السِّيَاسِيَاتُ

العلمان المصري والانجليزى فى مدينة الخرطوم

- (١) رُوَيْدَكَ حَتَّى يَخْفُقَ الْعَلَمَانِ * وَتَنْظُرَ مَا يَجْرِى بِهِ الْفَتْيَانِ
(٢) فَمَا مِصْرُ كَالسُّودَانِ لُقْمَةٌ جَائِعٍ * وَلَكِنَّمَا مَرَهُونَةٌ لِأَوَّانِ
(٣) دَعَانِي وَمَا أَرْجَفْتُمَا بِاحْتِمَالِهِ * فَأَنَّى بَمَكْرِ الْقَوْمِ «وَشَقُّ» زَمَانِي
أَرَى مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَالهِندَ وَاحِدًا * بِهَا اللُّرْدُ وَالْفَيْكُنْتُ يَسْتَبِقَانِ
(٤) وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّ يَوْمَ جَلَائِهِمْ * وَيَوْمَ نُشُورِ الْخَلْقِ مُقْتَرِنَانِ
(٥) إِذَا غَاضَتِ الْأَمْوَاهُ مِنْ كُلِّ مُزِيدٍ * وَخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجِيمِ لِلْحَدَثَانِ

- (١) الفتیان : اللیل والنهار . مخاطب صاحبه بقول : تمهل حتى يخفق على السودان العلمان ، ويكل للإنجليز تملكه ، فإنهم بعد سيملكون مصر كما ملكوا السودان .
(٢) يشير بهذا البيت الى توقع أخذ مصر كما أخذ السودان ، وأن الاستيلاء عليها ليس فى سهولة الاستيلاء عليه ، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم .
(٣) ما أرجفتما ، أى ما خضتما فيه من القول الذى لم يصحح . واحتماله ، أى باحتمال وقوعه وتحققه ؛ وهو جلاء الإنجليز عن مصر . ويريد «بالقوم» : الانجليز . وشق (بكسر الشين) : كاهن عربى قديم اشتهر بمعرفة الغيب ، وكان فى زمن كسرى أنوشروان . (٤) يوم النشور : يوم القيامة .
(٥) غاض الماء : قل فنضب . والأمواه : جمع ماء . والمزبد : البحر يقذف بالزبد . والحدثان (محرّكة) : اسم بمعنى حوادث الدهر ونوائبه .

(١)
وعَادَ زَمَانُ السَّمْهَرِيِّ وَرَبِّهِ * وَحُكْمَ فِي الْهَيْجَاءِ كُلِّ يَمَانِي
(٢)
هُنَاكَ أَذْكَرًا يَوْمَ الْجَلَاءِ وَنَبَا * نِيَامًا عَلَيْهِمْ يَنْدُبُ الْهَرْمَانِ

إلى مولاي عبد العزيز سلطان مراکش

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا في عتاب مولاي عبد العزيز سلطان مراکش

[نشرت في ٤ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

(٣)
عبد العزيز) لقد ذكّرنا أمّا * كانت جوارك في لهو وفي طرب
ذكّرنا يوم ضاعت أرض أندلس * الحرب في الباب والسلطان في اللب
(٤)
فاحذر على التخت أن يسرى الخراب له * فتخت (سلطنة) أعدى من الحرب

(١) السمهرى : الرخ الصلب . أو هو المنسوب الى رجل من العرب اسمه سمهر ، كان مشهورا بصنع الرماح . والهيجاء : الحرب . واليماني : السيف ، نسبة الى اليمن ، لأن أجود السيوف كان يصنع بها .
(٢) هناك اذكرا : جواب «لإذا» في البيت السابق . يقول : اذا ظهرت أمارات الساعة من غيض مياه البعار... الخ ، أو وقع المستخيل ، فعاد الزمن الى سيرته الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظروا إذ ذاك خروج الإنجليز من مصر .

(٣) عبد العزيز سلطان مراکش ، هو ابن السلطان مولاي الحسن ، وكان مولده سنة ١٢٩٦ هـ . تولى الملك بعد وفاة أبيه في ٤ ذى الحجة سنة ١٣١١ هـ ، ثم خلع في سنة ١٣٢٦ هـ وسنة ١٩٠٨ م . وكان معروفا بالإخلاص الى المعجوز واليهود ، حتى إنه بعث الى مصر في طلب جماعة من المطربين والمطربات ، فسافر اليه جماعة منهم ، فأنكر عليهم المسلمون فعله ، لاسميا مصر ، وكتبت الصحف مستهجة هذا الصنيع من سلطان مسلم ، وأكثر الشعراء في ذلك من المقطعات الطريفة .

(٤) يريد « بالتخت » الأول في هذا البيت : سرير السلطان ، وهو معرب . وباللثاني : تخت الغناء ، تسمية عامية . وسلطنة : مغبة كانت من المغنيات المشهورات في مصر في ذلك العصر ، وكانت بين بعثة الغناء التي سافرت الى سلطان مراکش .

غادة اليابان

صنعتها غرامه بغادة يابانية، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا

[نشرت في ٦ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

(١) لا تلم كفى إذا السيف نبا * صح منى العزم والدهر أبي

رب ساج مبصر في سعيه * أخطأ التوفيق فيما طلب

(٢) مرحباً بالخطب يبلوني إذا * كانت العلياء فيه السببا

(٣) عني الدهر ولولا أنني * أوثر الحسنى عقت الأديبا

(٤) إيه يا دنيا أحبسي أو فأبسي * لا أرى برقك إلا خلبا

أنا لولا أنت لي من أمتي * خاذلاً ما يت أشكو النوبا

(٥) أمة قد فت في ساعدها * بغضها الأهل وحب الغربا

تعشق الألقاب في غير العلا * وتفدى بالنفوس الرتبا

(٦) وهي والأحداث تستهدها * تعشق اللهو وتهوى الطربا

(٧) لا تبالي لعب القوم بها * أم بها صرف الليالي لعبا

(١) نبا السيف : كل وأرتد . (٢) يبلول : يختبرني . (٣) عقت : ترك الاحسان

اليه ولم يبره . يقول : إن الدهر لم ينصفني ، والجاني على هو أدبي ؛ ولولا أنني أوثر الاحسان لمجرت

الأدب الذي كان سببا في شقائي . (٤) البرق الخلب : الذي يطمع الناس في مطره ويخلفهم .

(٥) فت في ساعدها : عبارة يكتن بها من الإضعاف وإيهان القوى . (٦) والأحداث

تستهدها ، أي أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لما ترميه . (٧) يريد « بالقوم » : الانجيز .

ومصروف الليالي : غيرها ونوائبها . أي أنها لا تعباً بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

- (١)
لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً * ذَاتَ شَجْوٍ وَحَدِيثًا عَجَبًا
- (٢)
كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً * وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا
- ذَاتُ وَجْهِ مَرْجِ الْحُسْنِ بِهِ * صُفْرَةٌ تُنْسِي الْيَهُودَ الذَّهَبَا
- حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأًا * لَا رَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَا
- (٣)
وَأَنْتِ تَحْطِرُ وَاللَّيْلُ فَتِي * وَهِلَالُ الْأَفْقِ فِي الْأَفْقِ حَبَا
- (٤)
ثُمَّ قَالَتْ لِي بِشْفَرٍ بِاسْمٍ * نَظَّمَ الدَّرْبُ بِهِ وَالْحَيَا:
- (٥)
نَبِّئُونِي بِرَجِيلٍ عَاجِلٍ * لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا
- (٦)
وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أُغْتَدِي * عَلَيَّ أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَا
- (٧)
نَدَّبِحِ الدُّبَّ وَنَفْرِي جِلْدَهُ * أَيُّظُنُّ الدُّبَّ إِلَّا يُغْلَبَا
- (٨)
قَلْتُ وَالْآلَامُ تَفْرِي مُهَجَّتِي: * وَيَا وَيَا! مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظُّبَا؟
- مَا عَيْدِنَاهَا لِقَطْبِي مَسْرَحًا * يَتَسَنَّى مَلَهَى بِهِ أَوْ مَلَعَبَا
- (٩)
لَيْسَتْ الْحَرْبُ نَفُوسًا تُشْتَرَى * بِالْمَتْنِيِّ أَوْ عُقُولًا تُسْتَبَى

- (١) يقال : شجاء شجوا، اذا هيج أحزانه وشوقه . (٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .
- (٣) والليل فتى، أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحب فى مهده .
- (٤) الحبب : الفقاقيع التى تعلو سطح الماء، شبه بها الأسنان فى بياضها . (٥) المنقلب : العودة والرجوع . (٦) اغتدى، أى أبادر بمبكرة للدفاع عنه . (٧) الدب : رمز تعرف به روسيا، كما تعرف إنجلترا بالأسد، واليابان بالتمين، وألمانيا بالنسر . ونقرى : نشق . ويشير بهذا البيت الى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م . (٨) الظبا : الظباء، وقصر الشعر . (٩) تسنى : تؤسر بالحلب .

- (١) أَحْسَبْتُ الْقَدَّ مِنْ عُدَّتِهَا * أم ظننت اللحظ فيها كالشبا؟
 (٢) فسليني ، إنني مارستها * وركبت الهول فيها مرصبا
 (٣) وتفتحمت الردى في غارة * أسدل النقع عليها هيدبا
 (٤) قطبت ما بين عينيها لنا * فرأيت الموت فيها قطبا
 (٥) جال عزرائيل في أمحائها * تحت ذاك النقع يمشي الهيدبا
 (٦) فدعها للذى يعرفها * وألزمي يا ظبية البان الحبا
 (٧) فاجابتي بصوت راعني * وأرتني الظبي ليثا أغلبا:
 إن قومي استعدبوا ورد الردى * كيف تدعوني ألا أشربا؟
 (٨) أنا يا بانيئة لا أنتني * عن مرادى أو أدوق العطبا
 (٩) أنا إن لم أحسن الرمي ولم * تستطع كفاى تقليب الغلبا

- (١) القد : القامة . والشبا . جمع شباة ، وهى حد السنان . (٢) مارستها : عانيتها .
 (٣) تفتحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدل من أسافله . وإثارة الغبار وكثرة وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكرو والفرز فيها .
 (٤) التقطيب : العبوس . والضمير فى «قطبت» للغارة . (٥) الهيدبى (بالمعجمة والمهمله) : نوع من المشى فيه جد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .
 (٦) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الغلباء . والحبيا (بالقصر) : الخبباء (بالمد) ، وقصر للشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبرأوصوف ، ويريد به البيت عامة .
 (٧) راعنى : أفزنى . والأغلب من السباع : الغليظ الرقبه ، وهى علامة للقوة . يقول : إنها غضبت من تقصه لها ، وأنها لا تصلح للحرب ، فأجابته بصوت أفزعه لشدة وقسوته ، واستعالت من ظي وادع إلى أسد قوى . (٨) العطب : الهلاك . (٩) الغلبا : جمع غلبة (بضم الأول) وهى حد السيف أو السنان .

(١) أَخْدِمُ الْجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ * وَأُوَايِسِي فِي الْوَعَى مِنْ نُكْبَا
 (٢) هَكَذَا (الْمَيْكَادُ) قَدْ عَلَّمَنَا * أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمَّ وَأَبَا
 مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
 (٣) وَإِذَا مَارَسْتَهُ الْفَيْتَهُ * حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلْبَا
 كَانَ وَالتَّاجِ صَغِيرَيْنِ مَعَا * وَجَلَالَ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصَّبَا
 ففَدَا هَذَا سَمَاءَ لِلْعُلَا * وَفَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوُكْبَا
 (٤) بَعَثَ الْأُمَّةَ مِنْ مَرْقِدِهَا * وَدَعَاهَا لِلْعُلَا أَنْ تَدَابَا
 (٥) فَسَمَتَ لِلْجِدِّ تَبْنِي شَأُوهُ * وَقَضَّتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَارْبَا

(٦) الحرب اليابانية الروسية

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م]

(٧) أَسَاحَةَ الْحَرْبِ أَمْ تَحْشَرُ * وَمَوْرِدُ الْمَوْتِ أَمْ الْكَوْثَرُ
 (٨) وَهَذِهِ جُنْدٌ أَطَاعُوا هَوَى * أَرْبَابِهِمْ ، أَمْ نَعَمْ تَحْشَرُ

- (١) الوعى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . (٢) الميكادو : لقب لملك اليابان .
 (٣) الحول : الشدائد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق الاخذ في اخرى . والقلب : البصير بتقلب الامور .
 (٤) تداب : تجتد في طلبها . (٥) الشار : الغاية . (٦) هي تلك الحرب التي نشبت بين اليابان
 والروس بسبب احتلال الروس لمنشوريا ، وبدأت بنسف اليابانيين جزءا من الأسطول الروسي في ميناء بورت آرثر
 في ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م ، وانهت في سبتمبر سنة ١٩٠٥ م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان في كوريا ،
 وبجلاء الروس عن منشوريا ، وبشروط اخرى في صالح اليابانيين . (٧) الكوثر : النهر ، وسمى به نهر في الجنة .
 شبه (في الشطر الأول) كثرة المتحاربين وأزدحامهم على القتال بازدهام الناس يوم المحشر ، وشبه في الشطر الثاني
 استعذاب الناس للموت باستعذابهم للكوثر . (٨) النعم : الإبل والشاة واليقر . يريد أن الأرواح قد رخصت
 في هذه الحرب وكثر القتل في الجنود حتى لم تبين إن كان هؤلاء بشرًا يجب حقن دماهم أو أفعاما تنحر .

لِلَّهِ مَا أَقْسَى قُلُوبَ الْأَعْمَى * قَامُوا بِأَمْرِ الْمَلِكِ وَأَسْتَأْذِنُوا !
 (١)
 وَغَرَّهُمْ فِي الدَّهْرِ سُلْطَانُهُمْ * فَامْعَنُوا فِي الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرُوا
 (٢)
 قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِصُلْبَانِهِمْ * لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يَنْصُرُوا
 (٣)
 وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْتَانِهِمْ * لَا يَغْمِدُونَ السِّيفَ أَوْ يَنْظُرُوا
 (٤)
 فَادَّت الْأَرْضُ بِأَوْتَادِهَا * حِينَ اتَّقَى الْأَبْيَضُ وَالْأَصْفَرُ
 وَأَتَمَّتْهَا نَحْمَرَةً مِنْ دَمٍ * يَلْهُو بِهَا (الْمِيكَادُ) وَالْقَيْصَرُ
 (٥)
 وَأَشْبَهَتْ يَوْمَ الْوَعْيِ أُخْتَهَا * إِذْ لَاحَ فِيهَا الشَّقِيُّ الْأَحْمَرُ
 (٦)
 وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُوفَانَهَا * لَعَلَّهَا مِنْ رِجْسِهَا تَطْهَرُ
 (٧)
 أَشْبَعَتْ يَأْحَرُ ذَنَابَ الْفَلَا * وَغَضِبَتْ الْعِقَابُ وَالْأَنْسَرُ
 (٨)
 وَمِيرَتِ الْحَيْتَانُ فِي بَحْرِهَا * وَمَطْمَعُ الْإِنْسَانِ لَا يُقْدَرُ
 (٩)
 إِنْ كَانَ هَذَا الدُّبُّ لَا يَنْتَهِي * وَذَلِكَ التَّنِينُ لَا يَقْهَرُ

- (١) أمعن : بالغ وأبعد . (٢) يريد 'بالبيض' : الروس .
 (٣) يريد 'بالصفر' : اليابانيين . (٤) مادت : تحركت واضطربت . وأوتاد الأرض :
 جبالها . (٥) الضمير في «أشبهت» للأرض . ويريد «بأختها» : السماء .
 (٦) الرجس : النجس . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول المعري :
 والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل
 (٧) غضت : امتلأت ونجحت . والعقبان : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح . والأنسر : جمع
 نسر . يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى . (٨) ميرت ، أتى لها
 بالميرة ، أي بالطعام من جثث القتلى . ولا يقدر ، أي لا يحمد ولا يقهر . (٩) التنين : الحية
 العظيمة . ويشير (بالدب) إلى روسيا ، و(بالتنين) إلى اليابان .

والبيضُ لا ترضى بجدلانها * والصفرُ بعد اليوم لا تكسرُ
 (١) فما لتلك الحربِ قد شمرت * عن ساقها حتى قضى العسكرُ
 (٢) سألت نفوس القوم فوق الطبا * فسالت البطحاءُ والأنهرُ
 (٣) وأصبحت (مكدن) يا قوتة * يغار منها الدرُّ والجوهرُ
 (٤) يا قوتة قد قومت بينهم * بأنفس كالقطر لا تُحصرُ
 أضحى رسول الموت ما بينها * حيرات لا يدري بما يؤمرُ
 عزيريل، نهل أبصرت فيما مضى * وأنت ذاك الكيس الأمهرُ
 (٥) كذلك المدفع في بطشه * إذا تمالى صوته المنكرُ
 (٦) تراه إن أوفى على مهجة * لا الدرع يُثيبه ولا المنقرُ
 (٧) أمسى (كروبتكين) في غمرة * وبات (أوياما) له ينظرُ

- (١) قضى : هلك . ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا في الشجاعة والقوة ، وصحمت كلتاهما على ألا تخذل ، فقيم الحرب وإراقة الدماء ، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون متصرومنهزم . (٢) الطبا : جمع طبة ، وهي حد السيف أو السنان . والبطحاء : مسيل الماء فيه دفاق الحصى ، ويريد به هنا : الفضاء المتسع . (٣) مكدن : مدينة مشهورة في منشوريا ، وكانت بها الموقعة الفاصلة التي بدأت بيوم ٦ مارس سنة ١٩٠٥ م . واستمرت خمسة أيام ، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل ، بين قتيل وجريح ، وأسرفها من الروس أربعون ألفاً . يقول : إن هذا البلد قد غطيت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها يا قوتة حمراء تروى بالدر والجوهر . (٤) يريد « بالأنفس » في هذا البيت : من قتل في هذه المدينة من الفريقين . (٥) كذلك ، متعلق « بأبصرت » . (٦) أوفى : أشرف . والمنقر : زرد يلبس تحت القلنسوة . (٧) كروبتكين : قائد الروس في تلك الحرب . وأوياما : قائد اليابان . والغمرة : الشدة التي تفسر الناس ، أي تعهم وتسلهم .

وَظَلَّتْ (الرُّوسُ) عَلَى جَمْرَةٍ * وَالْمَجْدُ يَدْعُوهُمْ أَلَا قَاصِرُوا
 (١) وَذَلِكَ الْأَسْطُولُ مَا خَطْبُهُ * حَتَّى عَرَهُ الْقَزَعُ الْأَكْبَرُ؟
 (٢) أَكَلْنَا لَاحَ لَهُ سَائِحٌ * تَحْتَ الدُّجَى أَوْ قَارِبٌ يَخْرُ
 (٣) ظَنَّ بِهِ (طُوجُو) فَأَهْدَى لَهُ * تَحِيَّةً (طُوجُو) بِهَا أَخْبَرُ؟
 (٤) تَحِيَّةً مِنْ وَاجِدٍ شَقِيٍّ * أَنْفَاسُهُ مِنْ حَرِّهَا تَرْفِرُ
 (٥) فَهَلْ دَرَى الْقَيْصَرُ فِي قَصْرِهِ * مَا تُعَلِنُ الْحَرْبُ وَمَا تُضْمِرُ؟
 (٦) فَكَمْ قَتِيلٍ بَاتَ فَوْقَ الثَّرَى * يَنْتَابُهُ الْأُظْفُورُ وَالْمِنْسَرُ
 وَكَمْ جَرِيحٍ بَاسِطٍ كَفَّهُ * يَدْعُو أَخَاهُ وَهُوَ لَا يَبْصُرُ
 (٧) وَكَمْ غَرِيقٍ رَاحَ فِي بِلْحَةٍ * يَهْوَى بِهَا الطُّودُ فَلَا يَظْهَرُ
 وَكَمْ أَسِيرٍ بَاتَ فِي أَسْرِهِ * وَنَفْسُهُ مِنْ حَسْرَةٍ تَقْطُرُ
 إِنْ لَمْ تَرَوْا فِي الصَّلْحِ خَيْرًا لَكُمْ * فَالْدَهْرُ مِنْ أَطْمَاعِكُمْ أَقْصَرُ

- (١) يريد «بالأسطول»: أسطول روسيا . (٢) يخمر: يشق عباب الماء .
 (٣) طوجو: أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوة، وهو الذي نسف أسطول بحر البلطيق الروسي في موقعة تسوشيا في ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥م، وقضى بذلك على كل أمل للروس في هذه الحرب .
 (٤) يريد «بالواجد الشقي»: المدفع . ويريد «بالتحية»: ما يصبه المدفع على السفينة من مقنوقاته؛ ولا يخفى ما في هذا من التهم . (٥) يقول: هل علم القيصر وهو نائم مطمئن في قصره بويلات الحرب، ما ظهر منها وما بطن، فينبه ذلك عن إثارها والاستمرار فيها . (٦) الأظفور: الظفر . والمنسر (كجلس ومنبر): منقار الطائر . يقول: إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نهباً لسباع القترسة والطيور الكاسرة . (٧) البجة: منظم البحر . والطود: الجبل العظيم . يصف البجة بالعمق بحيث لو هوى فيها الجبل لم يظهر .

تَسُوءُنَا الْحَرْبُ وَإِنْ أَصْبَحَتْ * تَدْعُو رِجَالَ الشَّرْقِ أَنْ يَفْخَرُوا
 أَنِّي عَلَى الشَّرْقِ حِينَ إِذَا * مَا ذَكَرَ الْأَحْيَاءُ لَا يُذَكَّرُ
 وَمَرَّ بِالشَّرْقِ زَمَانٌ وَمَا * يَمُرُّ بِالْبَالِ وَلَا يَخْطُرُ
 حَتَّى أَعَادَ (الصُّفْرُ) أَيَّامَهُ * فَانْتَصَفَ الْأَسْوَدُ وَالْأَسْمَرُ
 فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أُمَّةٍ * يَرَوِي لَهَا التَّارِيخُ مَا يُؤَثِّرُ^(١)

(٢) الى الامبراطورة أوجيني

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا في هذه الامبراطورة، ورواها
 بين مجيئها إلى مصر متكرة تزل في فندق سافواي ببورسعيد، ومجيئها قبل ذلك في سنة ١٨٦٩ في افتتاح
 قناة السويس، واستقبال الخديوي اسماعيل إياها استقبالا فخما .

[نشرت في ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أَيْنَ يَوْمُ (القَنَالِ) يَا رَبَّةَ النَّا * ج وَيَا شَمْسَ ذَلِكَ المِهْرَجَانِ ؟^(٣)
 أَيْنَ مَجْرَى القَنَالِ أَيْنَ مُيْتُ ال * حَالِ أَيْنَ العَزِيزُ ذُو السُّلْطَانِ ؟^(٤)

(١) يريد «الأمة» هنا : مصر . ينحصر عليها وينتدب ما ضيها .

(٢) ولدت أوجيني في غرناطة في ٥ مايو سنة ١٨٢٦ م . وفي ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوجها نابليون
 الثالث ، وكانت فيمن حضر إلى مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ؛ وقد آفق الخديوي اسماعيل باشا
 في استقبالها الكثير من المال ؛ وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا إلى إنجلترا ، ثم تركت إنجلترا إلى مدريد ،
 وبها ماتت في ١١ يولييه سنة ١٩٢٠ م .

(٣) المهرجان : عيد الفرس ، ويطلق الآن على كل عيد .

(٤) مجرى القنال ، يريد اسماعيل باشا الخديوي . وإمارة المال : سخاية عن الإبراف والاتساع في البذل .

- (١) أين هَارُونُ مِصْرَ؟ أين أبو الأشد * بِيَالِ رَبِّ الْقُصُورِ رَبِّ الْقِيَانِ؟
- (٢) أين لَيْثُ الْجَزِيرَةِ (ابن علي) * وَاهِبُ الْأَلْفِ مُكْرِمُ الضَّيْفَانِ؟
- أين ذَا الْقَصْرِ بِالْجَزِيرَةِ تَجْرِي * فِيهِ أَرْزَاقُنَا وَتَجْبُو الْأَمَانِي؟
- (٣) فِيهِ لِلنَّحْسِ كَوْكَبٌ مُسْرِعُ السَّيْرِ * بِرِوَالسَّمَدِ كَوْكَبٌ مُتَوَانِي
- (٤) قَدْ جَرَى النَّيْلُ تَحْتَهُ بِخُشُوعٍ * وَأَنْكَسَارٍ وَهَابَهُ الْفَتْيَانِ
- كُنْتَ بِالْأَمْسِ جَنَّةَ الْخُورِ يَا قَصْدَ * رُقَا ضَبَّحْتَ جَنَّةَ الْحَيَوَانِ
- (٥) خَطَرَ اللَّيْثُ فِي فِنَائِكَ يَا قَصْدَ * رُوَقِدَ كُنْتَ مَسْرَحًا لِلْحَسَانِ
- (٦) وَعَوَى الذُّبُّ فِي نَوَاحِيكَ يَا قَصْدَ * رُوَقِدَ كُنْتَ مَعْقِلًا لِللسَانِ
- (٧) وَحَبَاكَ الزُّوَارُ بِالْمَالِ يَا قَصْدَ * رُوَقِدَ كُنْتَ مَصْدَرًا لِلْإِحْسَانِ
- كُنْتَ تُعْطَى، فَالكَ الْيَوْمَ تُعْطَى * أين بَانِيكَ؟ أين رَبُّ الْمَكَانِ؟
- إِنْ أَطَافَتْ بِكَ الْخُطُوبُ فَهَيْدِي * سُنَّةُ الْكَوْنِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

- (١) هارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف ، وشبه به إسماعيل في ترفه وجاهه ، ذمعة سلطانه ، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والفناء ، وما عرف به من كرم وسخاء . والأشبال : أولاد إسماعيل . والقيان : الإماء المنفيات .
- (٢) يشير بقوله : «ليث الجزيرة» الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذي صار حديقة الحيوان ، كما يشير الشاعر الى ذلك بعد . وابن علي ، لأنه حفيد محمد صل .
- (٣) يريد أن صاحب هذا القصر اذا غضب فسرطان ما يزول غضبه ، وإذا أقبل طال إقباله ، فكانه في غضبه كوكب نحس ما طلع حتى فاب ، وفي رضاه كوكب سعد طويل الإقامة ، بلى السير .
- (٤) الفتیان : الليل والنهار؟ يريد الدهر .
- (٥) الفناء : الساحة .
- (٦) معقل اللسان ، أى حابس له عن الكلام هيبة لصاحب القصر
- (٧) حباه : أعطاه . يشير الى ما يدفعه كل داخل الى حديقة الحيوان .

- (١)
رُبَّ بَابٍ نَأَى، وَرُبَّ بِنَاءٍ * أَسَمْتَهُ النَّوَى إِلَى غَيْرِ بَابِي
- (٢)
تلك حالُ الإيوانِ يا رَبَّةَ التنا * حج فما حالُ صاحبِ الإيوانِ؟
- (٣)
قد طَوَاهُ الرَّدَى ولو كان حَيًّا * لَمَشَى فِي رِكَايِكَ الثَّقْلَانِ
- (٤)
وتولتُ حِرَاسَةَ المَوْكِبِ الأَسَدِ * نَحَى نَجْمُومُ السَّمَاءِ والنَّيِّرَانِ
- إن يكن غَابَ عَنَّ جَبِينِكَ تَأَجُّجٌ * كان بالغَرْبِ أَشْرَفَ التَّجْجَانِ
- فلقد زَانِكَ المَشِيبُ بِتَأَجُّجِ * لا يُدَانِيهِ فِي الجَلَالِ مُدَانِي
- ذالكِ مِنْ صَنَعَةِ الأَنَامِ وهذا * مِنْ صَنِيعِ المُهَيِّمِينَ الدِّيَانِ
- (٥)
كنتِ بِالأَمْسِ ضَيْفَةً عِنْدَ مَلِكٍ * فَأَنْزَلَنِي اليَوْمَ ضَيْفَةً فِي خَانَ
- (٦)
وأَعْدِرِينَا عَلَى القُصُورِ، كِلَانَا * غَيْرَتَهُ طَوَارِيءُ الحِذَانِ

- (١) نأى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب باني الدار ويخلفه عليها من لم ييتها .
- (٢) يريد «بالإيوان» : القصر، وهو في الأصل الصفة العظيمة ؛ أجمعى معرب .
- (٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنس والجن . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى ما كان أعده لها اسماعيل باشا حين حضرت إلى مصر سنة ١٨٦٩م ، في مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الحفاوة والإكرام .
- (٤) الأسنى ، من السناء ، وهو الرضة . والنيران : الشمس والقمر .
- (٥) الخان : الخانوت . ويريد به هنا : الفندق . يريد أنها بعد أن كانت تنزل في قصر ملك أصبحت تنزل في الفنادق حيث ينزل عامة الناس .
- (٦) القصور : التصغير . والحذنان (بكسر الحاء وسكون الدال) : النوايب .

عيد تأسيس الدولة العلية

أشدها في الحفل الذي أقيم في فندق (الكوتنتنال) في مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦ م

أَيْحِي مَعَانِيكَ الْقَرِيضَ الْمُهْدَبُ * عَلَى أَقْ صَدْرِ الشُّعْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ
 لَقَدْ مَكَّنَ الرَّحْمَنُ فِي الْأَرْضِ دَوْلَةً * لِعُمَّانَ لَا تَعْفُو وَلَا تَتَّعَبُ (١)
 بَنَاهَا فَظَنَّتْهَا الدَّرَارِي مَنَازِلًا * لِيَبْدُرِ الدُّجَى بُنَى وَلِلسَّعْدِ تُنْصَبُ (٢)
 وَقَامَ رِجَالٌ بِالْإِمَامَةِ بَعْدَهُ * فَزَادُوا عَلَى ذَاكَ الْبِنَاءِ وَطَبَّوْا (٣)
 وَرَدُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ عَهْدَ شَبَابِهِ * وَمَدُّوا لَهُ جَاهًا يَرْجَى وَيَرْهَبُ (٤)
 أَسْوَدٌ عَلَى الْبُسْفُورِ تَحْمِي عَيْرِيْنَهَا * وَتَرَعَى نِيَامَ الشَّرِقِ وَالغَرْبِ يَرْقُبُ (٥)
 لَهَا وَثَبَاتٌ تَحْتَ ظِلِّ هِلَالِهَا * كَمَا مَرَّ سَهْمٌ أَوْ كَمَا أَنْقَضَ كَوْكَبُ (٦)
 إِذَا رَاعَهَا مَسٌّ مِنْ الضَّمِيمِ خَلَّتْهَا * كَمَنْ رَاعَهُ بِالْمَسِّ سِلْكٌ مَكْهَرَبُ (٧)
 وَإِنْ هَزَّهَا ذَاكَ الْهِلَالُ لِحَادِثِ * رَأَيْتَ قَضَاءَ اللَّهِ يَمْشِي وَيَرْكَبُ (٨)
 إِذَا ضَاعَتِ الْأَحْسَابُ يَوْمًا لِمُعْرِيقِ * فَعُمَّانُ خَسِيرُ الْفَاتِحِينَ لَمْ أَبُ (٩)

- (١) عثمان ، هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وإليه تنسب ؛ ولد سنة ٦٥٦ هـ ، وتولى السلطنة سنة ٦٩٩ هـ ، وتوفي سنة ٧٢٦ هـ . وتعلمو : تشدر ونحى . وتتشعب : تتفرق .
 (٢) الدراري (بتشديد الباء وخففت للشمع) : الكواكب المضيئة العافية البياض ، الواحد درى .
 (٣) طنبوا البناء : مكنوه وزادوه منة وقوة . وأصل التظيب : شد الخيمة بالأطواب ، وهي الخيال .
 (٤) العرين : مأوى الأسد . (٥) يريد « بهلالها » : رأيتها المرسوم فيها الهلال ، وهو شعار الدولة العثمانية . (٦) راعها : أفرعها . (٧) يشير بقوله « يمشى ويركب » : إلى مشاة الجيش وفرسانه . (٨) المعرق : الذي له عرق وأصل في الكرم .

(١) وإن تاه بالآبَاءِ وَالْبَاسِ وَالِدٌ * فَأَوَّلَى الْوَرَى بِالثَّيْبِ ذَلِكَ الْمُعَصَّبُ
 (٢) فهذا سُلَيْمَانٌ وَقَانُونٌ عِنْدِهِ * عَلَى صَفْحَاتِ الدَّهْرِ بِالتَّبْرِ يُكْتَبُ
 (٣) وَذَلِكَ الَّذِي أَجْرَى السَّفِينِ عَلَى الثَّرَى * وَسَارَ لَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَرَكَبُ
 (٤) عَلَى بَابِهِ الْعَالِي هُنَاكَ تَأَلَّقَتْ * سَطُورٌ لِأَقْلَامِ الْجَلَالَةِ تُنْسَبُ
 (٥) هُنَا فَآخِضُوا الْأَبْصَارَ عَرْشِ مُحَمَّدٍ * هُنَا الْفَاتِحُ الْغَازِي الْكَمِيُّ الْمُدْرِبُ
 (٦) وَمَا كَانَ مِنْ (عَبْدِ الْمُجِيدِ) إِذْ أَحْتَمَى * بِأَكْثَافِهِ (كُوشُوطُ) وَالْحَطْبُ غَيْبُ

(١) المعصب : المتزوج . (٢) سليمان ، هو سليمان القانوني ، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ، وهو ابن السلطان سليم . ولد سنة ٨٩٠٠ هـ . وتولى الملك سنة ٩٢٦ هـ . ومات سنة ٩٧٤ هـ . وقد لقب بالقانوني لأنه وضع قانونا للدولة تسيير على مقتضاها .
 (٣) يشير بهذا البيت الى الطريقة التي اتبعها محمد الفاتح في مهاجمة القسطنطينية ، وتسييره سفنه على البر حتى وصل بها الى القرن الذهبي . (٤) تألقت : أضاءت ولعلت . (٥) الكمي : الشجاع . ومحمد ، هو محمد الملقب بالفاتح ، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان . ولد سنة ٨٣٣ هـ . وتولى الملك سنة ٨٥٥ هـ وهو في الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالناهب لفتح القسطنطينية . وفي سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م تم له فتحها ؛ وتوفي بفاة سنة ٨٨٦ هـ . ومدة ملكه إحدى وثلاثون سنة .
 (٦) الغيب : الشديد السواد . وعبد المجيد ، هو السلطان الحادي والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، ولد سنة ١٢٣٧ هـ ، وتولى السلطنة سنة ١٢٥٥ هـ بعد وفاة أبيه السلطان محمود ، وتوفي سنة ١٢٧٧ هـ ، ومدة جلوسه اثنان وعشرون عاما . ويشير الشاعر بهذا البيت والذي بعده الى ما حدث سنة ١٨٤١ م ، وذلك أن جماعة من الفارين ، ما بين بولونيين ومجريين ، التجأوا الى البلاد العثمانية ليتمتعوا فيها بالسكون والهدوء ، بعد أن نالهم الشيء الكثير من الظلم والاضطهاد والعذاب على أيدي النمساويين والروس الذين قمعوا الثورات الناشئة في بولونيا والمجر ، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون ، منهم (كوشوط) المجرى المذكور في هذا البيت ؛ وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر ، فطلبت النمسا والروس من الدولة العثمانية تسليمهم ، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن هذا التسليم لا تقره شريعة ولا خلق ، وعضده في ذلك سفير بريطانيا إذ ذاك ، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة العلية وبين النمسا وروسيا ؛ ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزي والفرنسي في مياه الدردنيل لتفاقم الخطب ووقعت الحرب .

(١) يُنَادِيهِمْ : أَمَا تَزِيلِي فِدُونَهُ * حَيَاتِي ، وَأَمَا صَارِمِي فَمَشْطَبُ
 فَإِنْ كَانَتْ الْحُسْنَى فَإِنِّي سَمَاؤُهَا * وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى فَشُدُّوا وَجَرَّبُوا
 (٢) كَذَلِكَ كَانُوا يَسْتَفِرُّونَ فِي الذَّرَا * وَأَعْدَاؤُهُمْ فِي الْغَرْبِ تَشَقَّى وَتُنَكَّبُ
 (٣) فَكَمْ طَلَبُوا مِنْهُمْ أَمَانًا فَأَمَّنُوا * وَأَمْسَى لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَسْرَى وَمَسْرَبُ
 (٤) فَكَانَ أَمَانَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَشْرِقُ * فَأَضْحَى أَمْتِيَّازَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ
 يَقُولُونَ : فِي هَذِي الرَّبُوعِ تَعْصَبُ * وَأَيُّ مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ تَعْصَبُ ؟
 (٥) فَيَا شَرْقُ إِنَّ الْغَرْبَ إِنْ لَانَ أَوْ قَسَا * فَبِهِ مِنْ الصَّهْبَاءِ طَبَعٌ مَذُوبُ
 - نَخَفَ بِأَسْهًا فِي الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ يَصْطَلِي * وَخَفَ ضَعْفَهَا فِي الْكَأْسِ وَالْكَأْسُ تُطْرِبُ
 (٦) وَيَا غَرْبُ إِنَّ الدَّهْرَ يَطْفُو بِأَهْلِيهِ * وَيَطْوِيهِ تَيَّارُ الْقَضَاءِ فَيَرْسِبُ
 (٧) أَرَاكَ مَقَرَّ الطَّامِعِينَ كَأَمَّا * عَلَى كُلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِكَ (أَشْعَبُ)

(١) الصارم : السيف القاطع . والمشطب : الذي فيه شطب ، وهي الخطوط والطرائق التي في نعله .

(٢) الذرا : جمع ذرورة (بالكسر والضم) ، وهي المكان المرتفع .

(٣) الضمير في « طلبوا » يعود على قوله « أعداؤهم » في البيت السابق . ومنهم ، أي من آل عثمان .

والمسرب : المذهب والطريق .

(٤) يريد « بالقوم » : الافرنج . ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما نالوه من بعض سلاطين

آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم في بلاد الشرق ، أيام قوة الدولة العثمانية ، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تمسك بها الغربيون وأوذيت بها تركيا ورعاياها .

(٥) الصهبا : الخمر . (٦) يطفو : يعلو . ويرسب : يهبط ويسفل .

(٧) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ؛ ويضرب به المثل

في الطمع ، فيقال : « أطمع من أشعب » .

(١) حادثة دنشواي

[نشرت في ٢ يولييه سنة ١٩٠٦ م]

(٢) أَيُّهَا الْقَائِمُونَ بِالْأَمْرِ فِينَا * هَلْ نَسِيتُمْ وِلَاءَنَا وَالْوِدَادَا
(٣) خَفَضُوا جَيْشَكُمْ وَنَامُوا هَنِيئًا * وَابْتَقُوا صَيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا
(٤) وَإِذَا أَعْوَزْتُمْ ذَاتُ طَوْقٍ * بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا فِصِيدُوا الْعِبَادَا
(٥) إِنَّمَا تَحْنُ وَالْحَمَامُ سَوَاءٌ * لَمْ تُغَايِرْ أَطْوَاقُنَا الْأَجْيَادَا
لَا تَنْظُنُوا بِنَا الْعُقُوقَ وَلَكِنْ * أَرْشِدُونَا إِذَا ضَبَلْنَا الرُّشَادَا
(٦) لَا تُقِيدُوا مِنْ أُمَّةٍ بِقَتِيلٍ * صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا
جَاءَ جَهَالُنَا بِأَمْرِ وَجَيْتُمْ * ضِعْفَ ضِعْفِهِ قَسْوَةً وَأَشْتِدَادَا

(١) في يوم الأربعاء ١٣ يونيو سنة ١٩٠٦ م ، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواي بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا ، لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهلين فأصعدوا بالإنجليز؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فنارت نائرة اللورد كرومر عميد القولة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المختصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومي فيها إبراهيم الهلباوي بك الهامى المعروف ، وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين ، وحبس ثمانية منهم . وقضت الإعدام والجلد في قسم البلد على مرأى وسمع من أهله ، وكان في ذلك الحكم وفي تنفيذه من القسوة ما أثار الأقس وأطلق السنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش في النفوس من أسمى وحسرة . (٢) الخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز . (٣) جاب البلاد : قطعها . (٤) ذات الطوق : الحمامة المطوقة ، لأن لها طوقا حول عنقها ، وهو لون يخالف سائر لونها . (٥) يريد « بالأطواق » في هذا البيت : أغلال الأسر والاستعباد . والأجياد : الأعتاق ؛ الواحد جيد . (٦) يقال : أقاد الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما قرره الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزي كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنْ ضَنْتُمْ بِعَفْوِي * أَقْصَا صَا أَرَدْتُمْ أَمْ كِيَادَا؟

أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنْ ضَنْتُمْ بِعَفْوِي * أَنْفُوسًا أَصَبْتُمْ أَمْ جَعَادَا؟

لَيْتَ شِعْرِي أَتِلْكَ (مَحْكَمَةُ التَّفْ) * عَادَتِ أُمَّ عَهْدٍ (نِيرُونَ) عَادَا؟^(١)

كَيْفَ يَحْلُو مِنْ الْقَوِيِّ التَّشْفِي * مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إِلَيْهِ أَلْقِيَادَا؟

إِنَّهَا مِثْلَةٌ تَشْفُ عَنْ الْغِي * وَلسْنَا لَفِيظِكُمْ أَنْدَادَا^(٢)

أَكْرِمُونَا بِأَرْضِنَا حَيْثُ كُنْتُمْ * إِنَّمَا يُكْرِمُ الْجَوَادُ الْجَوَادَا^(٣)

إِنْ عِشْرِينَ حِجَّةً بَعْدَ نَحْسٍ * عَلَّمْتَنَا السُّكُونَ مَهْمَا تَمَادَى^(٤)

أُمَّةُ النَّيْلِ أَكْبَرَتْ أَنْ تُعَادَى * مَنْ رَمَاهَا وَأَشْفَقَتْ أَنْ تُعَادَى

لَيْسَ فِيهَا إِلَّا كَلَامٌ وَإِلَّا * حَسْرَةٌ بَعْدَ حَسْرَةٍ تَهَادَى

* * *

أَيُّهَا الْمُدَّعِي الْعُمُومِيُّ مَهْلًا * بَعْضَ هَذَا فَقَدْ بَلَّغْتَ الْمُرَادَا^(٥)

قَدْ ضَمِنَّا لَكَ الْقَضَاءَ بِمِصْرٍ * وَضَمِنَّا لَنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا^(٦)

(١) تعرف محاكم الفتيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحقاقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم في اضطهاد العرب في اسبانيا في آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها في سنة ١٦٠٩ م. ونيرون، هو الملك الروماني المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد، وما ينسب إليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسرى هذا المنظر كأنما ينظر إلى رواية تمثل في ملهى من الملاهي. (٢) المثلة (بالضم): التنجيل. وتشف: تكشف وتبين. والأنداد: النظراء؛ الواحد ند (بكسر النون). (٣) الحجية: السعة. (٤) أشفقت: خشيت. (٥) المدعى العمومي: إبراهيم الحلباوى بك. (٦) يشير إلى ما كان يقال من أن الحلباوى بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الإنجليز في هذه الحادثة.

فإذا ما جلست للحكم فاذكُر * عهد (مِصِر) فقد شفيت الفؤاداً
 (١)
 لا جرى النيل في نواحيك يا (مِصِر) * ولا جادك ألجيا حيث جادا
 (٢)
 أنت أنبتت ذلك التبت يا (مِصِر) * فأضحى عليك شوكا قتادا
 (٣)
 أنت أنبتت ناعقا قام بالأم * يس فادمي القلوب والأكبادا
 (٤)
 إيه يا مدره القضاء ويا من * ساد في غفلة الزمان وشادا
 أنت جلدنا فلا تنس أنا * قد لبسنا على يدك الحدادا

استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواي^(٥)

[أشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

(٦) (قصر الدبارة) هل أذاك حديثنا * فالشرق ريع له وضج المغرب
 (٧) أهلا بساكنك الكريم ومرحبا * بعد التحية إنني أتعجب
 نقلت لنا الأسلاك عنك رسالة * بانث لها أحشاؤنا تتلهب

(١) الحيا : المطر . (٢) القناد : شجر صلب له شوك كالإبر . يخاطب مصر بأنها أحسنت
 إلى بعض أبنائها وبرت بهم ، فأساءوا إليها وجحدوا نعمتها . (٣) يريد « بالناعق » : المدعى
 العموى في هذه القضية . والنعيق (بالعين المهملة ، وفي كتب اللغة أنه بالعين المعجمة أفصح) : صياح
 الغراب . (٤) المدره : خطيب القوم والمتكلم عنهم . (٥) انظر الكلام على الحادثة التي
 وقعت في هذا البلد (في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) . (٦) ريع (بالياء للجهول) :
 من الروع ، وهو الفزع . يخاطب في هذا البيت القصر مريدا صاحبه . (٧) التعجب ، هو توأصف
 الموجدة ، ومخاطبة المدلين أخلاهم طالين حسن مراجعتهم ، ومذاكرتهم ما كره بعضهم من بعض .

- (١) ماذا أقول وأنت أصدق ناقل * عنا ولكن السياسة تكذب
- (٢) علمتنا معنى الحياة فما لنا * لا نشرب لها وما لك تفضب
- (٣) أتقمت منا أن نحس؟ وإنما * هذا الذي تدعو إليه وتندب
- (٤) أنت الذي يعزى إليه صلاحنا * فيما تقرر له لديك وتكتب
- (٥) إن ضاق صدر النيل عما هاله * يوم الحمام فإن صدرك أرحب
- (٦) أوكلما باح الحزين بأنه * أمست إلى معنى التعصب تنسب!
- (٧) رققا عميد الدولتين بأمة * ضاق الرجاء بها وضاق المذهب
- رققا عميد الدولتين بأمة * لست بغير ولاها تتعذب
- (٨) إن أرهقوا صيادكم فلعلهم * للقوت لا للمسلمين تعصبوا
- (٩) ولربما ضن الفقير بقوة * وسخا بمهجته على من يغضب

(١) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر نقلها البرق إلى الصحف المصرية، وفيها يطعن على المصريين ويصفهم بأنهم لا يراعون جميلاً. (٢) نشرب لها: نتطلع إليها. والأشرباب (في الأصل): مد العتق للنظر. (٣) ندبه إلى الأمر: دعاه إليه. (٤) يعزى: ينسب. يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر في تقاريره من أنه هو الذي جلب الخير والرفاهية لمصر. (٥) يوم الحمام، أى يوم صيد الحمام الذى سبب حادثة دنشواى المعروفة. (٦) الأنة: من الأنين، وهو التأوه. ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين في مصر من التعصب الدينى، وأن ذلك التعصب كان السبب فى قتل الإنجليز فى دنشواى. (٧) عميد الدولتين، أى عميد الدولة الإنجليزية والمصرية. (٨) أرهقوا صيادكم: اعتدوا عليه وآذوه. ويريد « بالصياد»: أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الحمام فى دنشواى ولاقى حنقه هناك. (٩) ضن: يجمل. وسخا بمهجته... الخ، أى بذل نفسه فى دفع من يغضبه طعانه. ويشير بهذا إلى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أجران القمح هناك.

في (دُنْشَوَايَ) وَأَنْتَ عَنَّا غَائِبٌ * لَعِبَ الْقَضَاءُ بِنَا وَعَزَّ الْمَهْرَبُ
 حَسِبُوا النَّفُوسَ مِنَ الْحَمَامِ بَدِيلَةً * قَسَابِقُوا فِي صَبْدِهِنَّ وَصَوَّبُوا
 نَكَبُوا وَأَقْفَرَتِ الْمَنَازِلُ بَعْدَهُمْ * لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْكَبُوا
 خَلِيَّتَهُمُ وَالْقَاسِطُونَ بِمَرْصِدٍ * وَسَيَاطَهُمُ وَجَاهِلُهُمْ تَنَاهَبُ
 جَلِدُوا وَلَوْ مَنِيَّتَهُمْ لَتَعَلَّقُوا * بِجِبَالٍ مِّنْ شُنُقُوا وَلَمْ يَتَهَيَّبُوا
 شُنُقُوا وَلَوْ مَنَحُوا الْخِيَارَ لِأَهْلُوا * بَلَطَى سَيَاطِ الْجَالِدِينَ وَرَحِبُوا
 يَتَحَاسَدُونَ عَلَى الْمَمَاتِ، وَكَأْسُهُ * بَيْنَ الشِّفَاهِ وَطَعْمُهُ لَا يَعْذِبُ
 مَوْتَانِ : هَذَا عَاجِلٌ مَّتَمَّرٌ * يَرْنُو ، وَهَذَا آجِلٌ يَتَرَقَّبُ
 وَالْمُسْتَشَارُ مَكَاثِرُ بِرِجَالِهِ * وَمُعَاجِزٌ وَمُنَاجِزٌ وَمُحْزَبٌ
 يَخْتَالُ فِي أَنْحَائِهَا مُتَبَسِّمًا * وَالذَّمُّ حَوْلَ رِكَابِهِ يَتَصَبَّبُ

- (١) يقال : صَوَّبَ السَّهْمَ نَحْوَ الرَّمِيَةِ (بِشَدِيدِ الْيَأْسِ) ، إِذَا سَدَّه .
- (٢) القَاسِطُونَ : الظَّالِمُونَ الْجَائِرُونَ عَنِ الْحَقِّ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (رَأَى الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) . وَالْمَرْصِدُ : الْمَرْقَبُ .
- (٣) مَنِيَّتُهُمْ ، أَي خَيْرَتُهُمْ فَيَا تَمَنُّونَهُ مِنْ أَخْفِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ .
- (٤) أَهْلُوا وَرَحِبُوا ، أَي قَالُوا : أَهْلًا وَمَرْحَبًا . وَمَعْنَى الْبَيْتَيْنِ : أَنَّ كَلَامًا مِنْ جِلْدٍ وَشَقٍّ رَأَى فِي مَذَابِهِ مِنْ الشَّدَةِ مَا تَمَنَّى مَعَهُ أَنْ يَسْتَبْدَلَ بِهِ عَذَابَ أُخْبِهِ . وَالْقَلْبُ : النَّارُ ؛ وَقِيلَ : لَهَا . (٥) التَّمَرُّ : التَّغَاضِبُ ، تَشْبِيهُهُ لَهَا بِالنَّمْرِ ، لِأَنَّ مِنْ عَادَتِهِ أَلَّا يَلْقَاكَ دَائِمًا إِلَّا مَتَنَكِرًا غَضْبَانًا ، وَيَرْنُو : يَنْظُرُ .
- (٦) يَرِيدُ «بِالْمُسْتَشَارِ» هُنَا : الْمُسْتَرْبُودُ الْإِنْجِلِيزِيُّ ، وَهُوَ مِنْ قَضَاءِ الْحَكْمَةِ الَّتِي حَكَمَتْ عَلَى مَتَمِّي دُنْشَوَايَ . وَالْمُعَاجِزُ : مَنْ عَاجَزَتِ الرَّجُلَ ، إِذَا آتَيْتَ بِمَا يَجْعَلُهُ عَاجِزًا . وَالْمُنَاجِزُ : الْمُقَاتِلُ الْمُبَارِزُ . وَمُحْزَبٌ ، أَي يَفْرُقُ أَعْرَافَهُ ، فَبَعْضُهُمْ يَتَوَلَّى أَمْرَ الْجِلْدِ ، وَبَعْضُهُمْ يَتَوَلَّى أَمْرَ الشَّقِّ ... الخ .

- (١) طَاحُوا بِأَرْبَعَةٍ فَأَرَدُوا خَامِسًا * هُوَ خَيْرٌ مَا يَرْجُو الْعَمِيدُ وَيَطْلُبُ
حُبٌّ يُجَاوِلُ غَرَسَهُ فِي أَنْفُسِ * يُجْنَى بِمَغْرِسِهَا الشَّاءُ الطَّيِّبُ
كُنْ كَيْفَ سِئْتِ وَلَا تَكِلْ أَرْوَاحَنَا * لِلسُّتَشَارِ فَإِنَّ عَدْلَكَ أَخْصَبُ
وَأَفْضُ عَلَى (بُنْدٍ) إِذَا وَلِيَ الْقَضَا * رِقْقًا يَهْشُ لَهُ الْقَضَاءُ وَيَطْرَبُ
قَدْ كَانَ حَوْلَكَ مِنْ رِجَالِكَ نُجْبَةٌ * سَأَسُوا الْأُمُورَ فَدَرُّوا وَتَدْرَبُوا
(٢) أَقْصَيْتَهُمْ عَنَّا وَجِئْتَ بِفَيْتِيَةٍ * طَاشَ الشَّبَابُ بِهِمْ وَطَارَ الْمَنْصِبُ
فَاَجْعَلْ شِعَارَكَ رَحْمَةً وَمَوَدَّةً * إِنَّ الْقُلُوبَ مَعَ الْمَوَدَّةِ تُكْتَسَبُ
وَإِذَا سُئِلْتَ عَنِ الْكِنَانَةِ قُلْ لَهُمْ * هِيَ أُمَّةٌ تَلْهُو وَشَعْبٌ يَلْعَبُ
(٣) وَأَسْتَبِقُ غَفْلَتَهَا وَنَمَّ عَنْهَا تَمَّ * فَالنَّاسُ أَمْثَالُ الْحَوَادِثِ قَلْبُ

شكوى مصر من الاحتلال

[نشرت في أول يناير سنة ١٩٠٧م]

- (٤) لَقَدْ كَانَ فِينَا الظُّلْمُ فَوْضَى فُهَدِّبَتْ * حَوَاشِيهِ حَتَّى بَاتَ ظُلْمًا مُنْظَمًا
(٥) تَمَنَّ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَنْ أَخْصَبَ الثَّرَى * وَأَنْ أَصْبَحَ الْمِصْرِيُّ حُرًّا مِنْهَا

(١) طاحوا بأربعة، أى ذهبوا بنفوسهم، وأردوا: أهلكوا. ويريد «بالخامس»: الحب المذكور في البيت الآتي. (٢) أقصيتهم: أبعدتهم. وطار المنصب، أى خفت أعلامهم من الغرور بمناصبهم. (٣) قلب، أى متقلبون لا يثبتون على حال واحدة. والذي وجدناه في كتب اللغة أن القلب: صفة للفرد أى المتقلب كيف شاء، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ، ومنه قول الشاعر: ولقد سميت من الحياة وطولها * ومسؤال هذا الناس كيف ليدي؟

(٤) الحواشى: التواشى. وتهذيبها: إصلاحها. (٥) تمنى: يخاطب عميد الدولة الإنجليزية. ويشير إلى ما كان يكتبه ذلك العميد في تقاريراته من صلاح حال مصر ورقتها بفضل الإنجليز.

- (١) أَعِدَّ عَهْدَ (إِسْمَاعِيلَ) جَلْدًا وَسُخْرَةً * فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَنَّ أَنْتَكِي وَالْمَا
عَمِلْتُمْ عَلَى عِزِّ الْجَمَادِ وَذُلِّنَا * فَأَقْلَيْتُمْ طِينَنَا وَأَرْخَصْتُمْ دِمَانَنَا
(٢) إِذَا أَخْصَبَتْ أَرْضٌ وَأَجْدَبَ أَهْلُهَا * فَلَا أَطْلَعَتْ نَبْتًا وَلَا جَادَهَا السَّمَاءُ
(٣) نَهَشَ إِلَى الدِّينَارِ حَتَّى إِذَا مَشَى * بِهِ رَبُّهُ لِلْسُّوقِ الْفَاهِ دِرْهَمَانَا
فَلَا تُحْسِبُوا فِي وَفْرَةِ الْمَالِ - لَمْ تُفِدْ * مَتَاعًا وَلَمْ تَعِصِمِ مِنَ الْفَقْرِ - مَغْنَمَانَا
(٤) فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَالِ وَالْخَفِضُ وَارِفٌ - * قَلِيلٌ إِذَا حَلَّ الْغَلَاءُ وَخَجَانَا

وداع اللورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد وضمها آراء الناس في سياسته

[نشرت في ٢٧ إبريل سنة ١٩٠٧ م]

- (٥) قَتَى الشَّعْرَ هَذَا مَوْطِنُ الصَّدِيقِ وَالْهُدَى * فَلَا تَكْذِبِ التَّارِيخَ إِنْ كُنْتَ مُنْشِدَانَا
(٦) لَقَدْ حَانَ تَوْدِيعُ الْعَمِيدِ وَإِنِّه * حَقِيقٌ بِتَشْيِيعِ الْمُحِبِّينَ وَالْعُدَانَا

(١) يشير بهذا البيت الى ما كان يردده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من اليهود، ولا سيما عهد إسماعيل، ممنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يجيق بهم من المظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجملة ظهورهم. (٢) جادها السماء أي نزل عليها المطر. (٣) هش اليه: ارتاح وبش. ويشير بهذا الى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها، حتى إن الدينار ينزل الى قدر الدرهم في الشراء. (٤) الخفض: سعة العيش ورغده. والوارف: المتسع. يقول: إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تغني شيئاً. (٥) قتى الشعر، يريد نفسه. (٦) العميد، هو عميد الدولة الإنجليزية في مصر، وهو اللورد كرومر، وقد بقى بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاماً، فقد حضر إليها في سبتمبر سنة ١٨٨٣ م وتركها في سنة ١٩٠٧ م. وحقيق: جدير.

- (١) فودّع لنا الطودَ الذي كان شايحًا * وشيخ لنا البحرَ الذي كان مُزبداً
 وزوده عنا بالكرامةِ كلِّها * وإن لم يكن بالباقياتِ مزوداً
 (٢) فلم لا نرى الأهرامَ يا نيلُ ميّداً * وفرعونُ عن واديك مُرتجلاً غداً؟
 (٣) كأنك لم تجزع عليه ولم تكن * ترى في حمى فرعونَ أمناً ولا جداً
 سلامٌ ولو أنا نُسِيءُ إلى الألى * أسأؤوا إلينا ما مددنا لهم يداً
 (٤) سنطري أياديك التي قد أفضتها * علينا فلسنا أمةً تجحدُ اليداً
 أمناً فلم يسلك بنا الخوفُ مسلماً * وإنما فلم يطرق لنا الذعرُ مرقداً
 وكنت رحيماً القلبِ تتحي ضعيفنا * وتدفع عنا حادِثَ الدهرِ إن عدا
 (٥) ولولا أسي في (دنشواي) ولوعةٌ * وفاجعةٌ أدمت قلوباً وأصعبداً
 (٦) ورميك شعباً بالتعصبِ غافلاً * وتصويرك الشرقي غمراً مجرداً

- (١) الطود : الجبل العظيم . والشايخ : المرتفع . والمزبد : الذي يقذف بالزبد (بالتحريك) ، وهو ما يعلو الماء من الرغوة ، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه . شبه الشاعر اللورد بالجبل العظيم في رسوخه في السياسة وعلو شأنه ، كما شبهه بالبحر المزبد في ثورته وغضبه .
 (٢) ميذا : مائلة مضطربة ، الواحد مائد . وشبه كرومر فرعون ، لما كانت يعرف به من الجبروت .
 (٣) الجحدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال) : العطاء . (٤) نظري : نمدح . والأيادي : النعم . وأفضتها : أجزيتها . ويشير في هذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى ماثر اللورد في مصر ، من نشر الأمن في ربوع البلاد ، والأخذ بناصر الضعفاء ، وإنصافهم من ظلم الأقوياء .
 (٥) الأسي : الحزن . وانظر التعريف بمحادثة دنشواي (في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) .
 (٦) رميك ، أي آتياك . والنر : الذي لا تجربة له بالأمر ولقصر نظره . ومجزداً ، أي غير مزود بأسباب النهوض والجهد .

لذُنْبِنَا أَسَى يَوْمَ الْوَدَاعِ لِأَنْتَا * نَرَى فِيكَ ذَاكَ الْمُصْلِحَ الْمُتَوَدِّدَا
تَسَعَّبَتِ الْآرَاءُ فِيكَ فَقَائِلٌ * أَفَادَ الْغِنَى أَهْلَ الْبِلَادِ وَأَسْعَدَا
وكانت له في المُصْلِحِينَ سِيَّاسَةً * تَرْخِصَ فِيهَا تَارَةً وَتَشَدِّدَا
رَأَى الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي بَسْطَةِ الْغِنَى * فَحَارَبَ جَيْشَ الْفَقْرِ حَتَّى تَبَدَّدَا
وَأَمْتَعَكُمْ بِالنَّيْلِ فَهُوَ مُبَارَكٌ * عَلَى أَهْلِهِ ، خِصْبًا وَرِيًّا وَمَوْرِدَا
وَسَنَّ لَكُمْ حُرِّيَّةَ الْقَوْلِ عِنْدَ مَا * رَأَى الْقَوْلَ فِي أَسْرِ السُّكُوتِ مُقِيدَا
وَأَخْرَجْتُمْ يَقْصِرُ عَلَى الْمَالِ هَمُّهُ * يَرَى أَنَّ ذَاكَ الْمَالَ لَا يَكْفُلُ الْهُدَى
فَلَا يَتَّجِدُ الْإِثْرَاءَ حَتَّى يَزِينَهُ * بَعْلِمُ ، وَخَيْرُ الْعِلْمِ مَا كَانَ مُرْشِدَا
يُنَادِيكَ قَدْ أَزْرَيْتَ بِالْعِلْمِ وَالْحِجَا * وَلَمْ تُبْقِ لِلتَّعْلِيمِ يَا (لُؤْدُ) مَعَهْدَا
وَأَنَّكَ أَخْصَبْتَ الْبِلَادَ تَعْمَدًا * وَأَجْدَبْتَ فِي مِصْرَ الْعُقُولَ تَعْمَدَا
قَضَيْتَ عَلَى أُمَّ اللُّغَاتِ وَإِنَّهُ * قَضَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ سَبِيلٌ إِلَى الرَّدَى

(١) ترخص : لان وسهل . (٢) بسطة الغنى : سمته .

(٣) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالرى وتحسين النظم فى صرف مياه النيل التى أجريت

فى عهد اللورد كرومر . (٤) سن : شرع . يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة فى عهد اللورد .

(٥) وآثر : معطوف على قوله السابق : « فقائل » . ويقصر ، أى يجبس . وهمه ،

أى همته وعزمه . (٦) الإثراء : كثرة الأموال .

(٧) أزرى به : تهاون به ووضع من شأنه . (٨) يريد « بأب اللغات » : اللغة العربية .

ويشير إلى ما كان فى عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم فى المدارس باللغة الإنجليزية .

والردى : الهلاك .

- (١) ووافيت والقطران في ظل رايته * فما زلت (بالسودان) حتى تمردا
 (٢) فطاح كما طاحت (مصوغ) بعده * وضاعت مساعينا بأطاعكم سدى
 (٣) حجبت ضياء الصحف عن ظلماته * ولم تستقل حتى حجبت (المؤيدا)
 (٤) وأودعت تقرير الوداع مغامزا * رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا
 غمزت بها دين النبي وإننا * لنغضب إن أغضبت في القبر (أحمدا)
 (٥) يناديك أين النايفون بعهدكم * وأى بناء شاخ قد تجددا
 (٦) فما عهد (إسماعيل) والعيش ضيق * بأجدب من عهدكم سال عسجدا
 (٧) يناديك ولت الوزارة هيثة * من الصم لم تسمع لأصواتنا صدى
 فليس بها عند التشاور من فتى * أي إذا ما أصدر الأمر أوردنا

(١) وافيت ، أى حضرت إلى مصر . والقطران : مصر والسودان . ويريد « بالراية » :
 الراية المصرية . وتمرد : عصى وخرج عن الطاعة . يشير بهذا البيت إلى رأى السياسة البريطانية الذى
 أشارت به على مصر من إخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤م عند ما ثار المهدي ، حتى استفحل أمره وانتشرت
 دعوته ، وتألقت معظم القبائل على الحكومة ؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجيشين المصرى والإنجليزى
 فى سنة ١٨٩٧م . (٢) طاح ، أى ذهب وضاع . ومصوغ : ثمر معروف على البحر الأحمر ، وقد كان
 فى يد مصر ، ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية ، فضمته إيطاليا إلى أملاكها بموافقة إنجلترا .
 (٣) ظلماته ، أى ظلمات السودان ؛ ويريد ظلمات الجهل التى فيه . ويشير الشاعر إلى ما حدث
 فى عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية ، ومنها صحيفة المؤيد ، من دخول السودان خوفا من
 نشر الدعاية ضد الإنجليز . (٤) المغامر : المطاعن . ويشير الشاعر إلى ما ذكره اللورد كرومر
 فى تقريره عن مصر ، حين تركها ، من طعن على المصريين . (٥) يناديك ، أى هذا الآخر الذى
 سبق ذكره فى قوله : « وآخر لم يقصر... الخ » . (٦) العسجد : الذهب الخالص .
 (٧) الصدى : ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يجيبه ؛ ولذلك يقال له : رجع الصدى .

- (١) بِرَبِّكَ مَاذَا صَدَدْنَا وَلَوْ يِنَا * عن القَصْدِ إِنْ كَانَ السَّبِيلُ مُمَهَّدًا؟
 (٢) أَشْرَتْ بِرَأْيِي فِي كِتَابِكَ لَمْ يَكُنْ * سَدِيدًا وَلَكِنْ كَانَ مَهْمَا مُسَدَّدًا
 (٣) وَحَاوَلْتَ إِعْطَاءَ الْغَرِيبِ مَكَانَهُ * تَجُرُّ عَلَيْنَا الْوَيْلَ وَالذُّلَّ سَرْمَدًا
 (٤) فَيَاوَيْلَ مِصْرٍ يَوْمَ تَشْقَى بِنَدْوَةٍ * يَبِيتُ بِهَا ذَاكَ الْغَرِيبُ مُسَوَّدًا
 (٥) أَلَمْ يَكْفِنَا أَنَا سُلَيْبًا ضِيَاعَنَا * عَلَى حِينٍ لَمْ نَبْلُغْ مِنَ الْفِطْنَةِ الْمَدَى
 (٦) وَزَاخَنَا فِي الْعَيْشِ كُلِّ مُمَارِسٍ * خَيْرٍ وَكُنَّا جَاهِلِينَ وَرُقْدًا
 وما الشَّرَكَاتُ السُّودُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * سِوَى شَرِكٍ يُلْقَى بِهِ مَنْ تَصِيدَا
 (٧) فَهَذَا حَدِيثُ النَّاسِ وَالنَّاسِ السُّودِ * إِذَا قَالَ هَذَا، صَاحَ ذَاكَ مَفْنَدًا
 وَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ بَيْنَهُمْ * لَسَجَلْتُ لِي رَأْيًا وَبَلَّغْتُ مَقْصِدًا
 وَلَكِنِّي فِي مَعْرِضِ الْقَوْلِ شَاعِرٌ * أَضَافَ إِلَى التَّارِيخِ قَوْلًا مُخَلَّدًا
 (٨) فَيَايُهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ تَحِيَّةٌ * وَيَايُهَا الْقَصْرُ الْمُنِيفُ تَجَلَّدًا
 لَنْ غَابَ هَذَا اللَّيْتُ عَنْكَ لِغَلَّةٍ * لَقَدْ لَبِثْتُ آثَارَهُ فِيكَ شُهَدًا

(١) لوى به عن القصد، أى صرفه عنه . يقول : إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة في مصر ووليت أمورها أكفأها، فإلنا نخرف عن القصد ونسير في غير النهج .
 (٢) المسدد : المصوب نحو الهدف . (٣) السرمد : الدائم . (٤) الندوة : المكان يجتمع فيه القوم للتشاور . ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس للشورى مختلط من المصريين والأجانب . (٥) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصبوه من أشراك الديون ذوات الفوائد المرهقة . (٦) مارس الأمر : عاينه وزاوله . يشير في هذا البيت إلى أرباب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستثماره من الأجانب، ويجهل المصريين بهذا الفن . (٧) مفندا : مكذبا مجهولا . (٨) يريد قصر الدوبارة الذي كان يسكنه العميد .

(١) استقبال السير غورست

قالها في استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر
بيت فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م]

(٢) بَنَاتِ الشَّعْرِ بِالنَّفْحَاتِ جُودِي * فَهَذَا يَوْمٌ شَاعِرِكَ الْمُجِيدِ
(٣) أَطْلَى وَأَسْفِرِي وَدَعِينِهِ يُجِي * بِمَا تُوحِينِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ
إِذَا مَا جَلَّ قَدْرُكَ عَنِ هُبُوطِ * مُرِيهِ إِلَى سَمَائِكَ بِالصُّعُودِ
وَأُولَى ذَلِكَ الْفَانِي يَبَانًا * يَتِيَهُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْخُلُودِ
(٤) وَحَلَى عُقْدَةً مِنْ أَصْغَرِيهِ * يَلِنُ لِهَيْبَتِهِ قَاسِي الْحَدِيدِ
(٥) فَا أَنَا وَاقِفٌ بِرُسُومِ دَارٍ * أَسْأَلُهَا وَلَا كَلْفٌ يَرُودِ
وَلَا مُسْتَنْزِلٌ هَيْبَةً بِمَنْجٍ * وَلَا مُسْتَنْجِزٌ حَرَّ الْوَعُودِ
وَلِكِنِّي وَقَفْتُ أَنْوَحُ نَوْحًا * عَلَى قَوِيٍّ وَأَهْتَفُ بِالنَّشِيدِ
(٦) وَأَدْفَعُ عَنْهُمْ بِشَبَابِ يَرَاعٍ * يُصُولُ بِكُلِّ قَافِيَةٍ شُرُودِ

- (١) ولد غورست سنة ١٨٦١ م، وتوفي في يولييه سنة ١٩١١ م. وكان مستشارا لوزارة المالية من سنة ١٨٩٨ م إلى سنة ١٩٠٤ م. وفي سنة ١٩٠٧ م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر.
- (٢) بنات الشعر: معانيه وخواطره. ويريد «بالشاعر المجيد»: نفسه. (٣) سفرت المرأة تسفر (من باب ضرب): كشفت عن وجهها. ويريد «بالرشيد»: هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف؛ وخصه بالذكر لكثرة من كان في زمنه من الشعراء المجيدين. (٤) الأصفران: القلب واللسان.
- (٥) رسوم الدار: آثارها. والكلف: المولع بالشيء الشديد الحب له. والرؤد (بالهمز وسهلت): الشابة الحسنة.
- (٦) شبا اليراع: سن القلم. وقافية شرود، أى سائرة ذاتمة.

- (١) بَنَاتُ الشُّعْرِ إِنِّ هِيَ أَسْعَدَتْنِي * شَكَوْتُ مِنَ الْعَمِيدِ إِلَى الْعَمِيدِ
(٢) وَلَمْ أَبْحَدْ عَوَارِفَهُ وَلَكِنْ * رَأَيْتُ الْمَنَّ دَاعِيَةً الْجُودِ
(٣) أَذِيقُونَا الرَّجَاءَ فَقَدْ ظَمِينَا * بَعْدَ الْمُصْلِحِينَ إِلَى الْوُرُودِ
(٤) وَمُنُوا بِالْوُجُودِ فَقَدْ جَهَلْنَا * بِفَضْلِ وَجُودِكُمْ مَعْنَى الْوُجُودِ
(٥) إِذَا أَعْلَوَى الصَّيَاحُ فَلَا تَأْمَنَّا * فَإِنَّ النَّاسَ فِي جُهْدِ جَهِيدِ
(٦) عَلَى قَدْرِ الْأَذَى وَالظُّلْمِ يَعْلُو * صِيَاحُ الْمُشْفِقِينَ مِنَ الْمَزِيدِ
(٧) جِرَاحٌ فِي النُّفُوسِ نَغْرَنَ نَغْرًا * وَكُنَّ قَدْ انْدَمَلْنَ عَلَى صَدِيدِ
(٨) إِذَا مَا هَاجَهُنَّ أَسَى جَدِيدٌ * هَتَكَنَّ سَرَائِرَ الْقَلْبِ الْجَلِيدِ
(٩) إِلَى مَنْ نَشَيْتُ عَنَّتَ اللَّيَالِي * إِلَى (العباس) أُمِّ (عبد الحميد)؟
وَدُونَ جَاهِمًا قَامَتِ رِجَالٌ * تَرَوَعُنَا بِأَصْنَافِ الْوَعِيدِ

- (١) أسعدتني : أعانتني . وفي كتب اللغة : أن «شكا» يتعدى بنفسه لا بالحرف .
(٢) العوارف : النعم ؛ الواحدة عارفة . وفي البيت تعريض بما كان يمين به اللورد كرومر على المصريين من أنه أنهضهم وأصلح من أحوالهم .
(٣) الخطاب في «أذيقونا» للخطين . وفي قوله : «بعهد المصلحين» تهكم ظاهر .
(٤) اعلوى : علا .
(٥) المشفقون : الخائفون .
(٦) نغرا الجرح : سال دمه . واندمل : التأم .
(٧) السرائر : جمع سريرة ، وهي ما يسره الإنسان من أمره . والجليد : الصبور .
(٨) العنت : الأذى والمشقة .
(٩) روعه : أخافه وأفرعه .

- (١) فَا جِئْنَا نَطَاوِلُكُمْ بِجَاهٍ * يُطْوِلُكُمْ وَلَا رُكْنٍ شَدِيدٍ
 (٢) وَلَا بِنْتًا نَعَايِزُكُمْ بَعْلِيمٍ * يَبِينُ بِهِ الْغَوِيُّ مِنَ الرِّشِيدِ
 (٣) وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقِّ * أَضْرَبْنَا بِأَهْلِهِ تَقْضُ الْعُهُودِ
 (٤) رَمَانًا صَاحِبُ التَّقْرِيرِ ظُلْمًا * بِكُفْرَانِ الْعَوَارِفِ وَالْكُنُودِ
 وَأَقْسَمَ لَا يُجِيبُ لَنَا نِدَاءً * وَلَوْ جِئْنَا بِقُرَّانٍ مَجِيدٍ
 (٥) وَبَشَرِ أَهْلِ مِصْرٍ بِأَحْتِلَالٍ * يَدُومُ عَلَيْهِمْ أَبَدَ الْأَيِّدِ
 (٦) وَأَنْبَتَ فِي النُّفُوسِ لَكُمْ جَفَاءً * تَعَهَّدَهُ بِمَنْهَلِ الصُّدُودِ
 (٧) فَأَثْمَرَ وَحْشَةً بَلَّغَتْ مَدَاهَا * وَزَكَاهَا بِأَرْبَعَةِ شُهُودِ
 (٨) قَتِيلِ الشَّمْسِ أَوْرَثْنَا حَيَاةً * وَأَيَّقَظُ هَاجِعَ الْقَوْمِ الرُّقُودِ
 فَلَيْتَ (كُرُومَرًا) قَد دَامَ فِينَا * يُطَوِّقُ بِالسَّلَاسِلِ كُلَّ جِيدِ

- (١) طاوله بجأه : فآخره به . وطاله يطوله : علاه وارفعه عليه . ويريد « بالركن الشديد » : العزة والمنعة . والخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز .
 (٢) نعايزكم : نأتي بما يعجزكم . (٣) يريد « بالعهود » : وعود ساسة الإنجليز بالجللاء عن مصر .
 (٤) صاحب التقرير ، هو اللورد كرومر ، وكان قد آتهم المصريين في أحد تقاريراته التي كان يرفعها لدولته بعدم الاعتراف بجميل الدولة البريطانية عليهم . والكفؤ بالنعمة .
 (٥) أبد الأبيد ، أي أبد الدهر . (٦) المنهل : المطريشد أنصبابه .
 (٧) يريد « بالشهود الأربعة » : من أعدموا في دنشواى ، فهم بما لقوا شهود عدول على ظلم العميد .
 (٨) قتيل الشمس : الضابط الإنجليزى الذى مات في حادث دنشواى بضربة الشمس ، وآتهم الأهلون بقتله . والهاجع : النائم . يريد أن ما أصاب الناس من العذاب بسبب هذا القتل جعلهم يهبون ويستيقظون الى المطالبة بالحرية .

وَيُثِخِفُ (مَضْرَبًا) أَنَا بَعْدَ آتِنِ * يَجْمَلُودِ وَمَقْتُولِ شَهِيدِ
 لِنَتْرَعَ هَذِهِ الْأَكْفَانَ عَنَّا * وَنُبْعَثُ فِي الْعَوَالِمِ مِنْ جَدِيدِ
 رَمَى (دَارَ الْمَعَارِفِ) بِالرُّزَايَا * وَجَاءَ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَيْنِيدِ
 يَلِدُ بِمَجَوْلِهِ وَيَتِيَهُ تَيْهَا * وَيَعْبَثُ بِالنَّهْيِ عَبَثَ الْوَلِيدِ
 فَبَدَّدَ شَمْلَهَا وَأَدَالَ مِنْهَا * وَصَاحَ بِهَا : سَيْلِكَ أَنْ تَيْبِدِي
 هَبُوا (دَنْلُوبًا) أَرْجَبَكُمْ جَنَانًا * وَأَقْدَرَكُمْ عَلَى تَرْعِ الْحُقُودِ
 وَأَعْلَى مِنْ (غِلَادَسْتُونَ) رَايَا * وَأَحْكَمَ مِنْ فَلَاسِفَةِ (الْمُنُودِ)
 فَإِنَّا لَا نَطِيقُ لَهُ جِوَارًا * وَقَدْ أَوْدَى بِنَا أَوْ كَادَ يُودِي
 مَلْنَا طُولَ صُحْبَتِهِ وَمَلَّتْ * سَوَابِقُنَا مِنَ الْمَشْيِ الْوَيْدِ
 بِحَمْدِ اللَّهِ مُلْكُكُمْ كَبِيرٌ * وَأَنْتُمْ أَهْلُ مَرَحْمَةٍ وَجُودِ
 خُذُوهُ فَأَمْتِعُوا شَعْبًا سَوَانَا * بِهَذَا الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ الْمَفِيدِ

(١) كل جبار عنيد : يريد مستشار المعارف إذ ذاك، وهو المستر دانلوب وأعوانه .

(٢) الحول : القوة .

(٣) أدال منها : أذلها وأذهب عزها ودولتها . وتبديد : تهلك .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) غلادستون ، هو وليم غلادستون . ولد بليفربول في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر

سنة ١٨٠٩ م ، وكان من ساسة الانجليز المشهورين ، وتولى وزارة المالية مرتين ، ثم كان رئيسا لمجلس

التواب ، ثم رأس الوزارة الانجليزية أربع مرات . وتوفي في ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ م .

(٦) السوابق : الخيل التي تحييء سابقه في الحلبة ؛ ويريد بهم أعلام الأمة ونوابغها . والوئيد من

المشي : البطيء منه .

- (١) إذا استوزرت فاستوزر علينا * قتي (كالفضل) او (كابن العميد)
- (٢) ولا تثقل مطاه بمسئار * يبيد به عن القصد الحميد
- (٣) وفي الشورى بنا داء عهيد * قد استعصى على الطب العهيد
- شيوخ كلها همت بأمر * زارتم دونه زار الأسود
- (٤) لحي بيضاء يوم الرأي هانت * على حمر الملايس والحدود
- (٥) أرضى أن يقال - وأنت حر - * بأنك قين هاتيك القيود؟
- (٦) وهل في دار ندوتكم أناس * بهذا الموت أو هذا الجود؟
- فتح غضاضة التاميز عنا * كفانا سائغ النيل السعيد
- (٧) أرى أحداثكم ملكوا علينا * (بمصر) موارد العيش الرغيد

(١) الفضل ، هو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل ، أسلم على يد المأمون في سنة ١٩٠ هـ . وكان وزيراً للرشد ، وكان يلقب بذي الرياستين لأنه كان رب القلم والسيف . ومات مقتولاً يوم الخميس ثاني شعبان سنة ٢٠٢ هـ . وابن العميد ، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسي الأصل ، وزر لركن الدولة أبي علي بن بويه ، والد عضد الدولة المشهور في سنة ٣٢٨ هـ ، فساس دولته ووطد أركانها ، وما زال في وزارته محط رجال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ . وخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب . (٢) المطا : الظهر . يرغب إلى العميد البريطاني أن يجعل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد ، على ألا يشل أيديهم بمسئار (كدنلوب) .

(٣) العهيد : القديم الذي أتى عليه عهد طويل . يقول إن مجلس الشورى في مصر عيوباً قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين . (٤) يريد «بالحي البيضاء» : أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية . و «بحمر الملايس والحدود» : الانجليز . وكان مما تميز به جنودهم إذ ذاك الأكية الحمراء .

(٥) القين : الحداد . (٦) دارندوتكم ، يريد بها مجلس العموم البريطاني . ويشير بهذا البيت والأبيات الأربعة التي قبله إلى ضعف رأى مجلس الشورى والجمعية العمومية ، لأن الحكومة كانت حرة في قبول رأيها أو رده . (٧) الرغيد : الواسع الطيب .

وقد ضيقنا بهم وأبيك ذرعاً * وضاق بهم ذرع البريد
 أكل موظف منكم قدير * على التشريع في ظل العيد؟
 فضع حدا لهم وأنظر إلينا * إذا أنصفتنا نظر الودود^(١)
 وخبرهم وأنت بنا خير * بأن الدل شيشنة العيد
 وأنت نفوس هذا الخلق تآبي * لغير إلهها ذل السجود^(٢)
 وول أمورنا الأختيار منا * تثب بهم إلى الشاؤ البعيد^(٣)
 وأشركنا مع الأختيار منكم * إذا جلسوا لإيقام الحدود
 وأسعدنا بجماعة وشيد * لنا من مجد دولتك المشيد^(٤)
 وإن أنعمت بالإصلاح فابدأ * بتلك فإنها بيت القصيد
 وفرج أزمة الأموال عنا * بما أوتيت من رأي سيد
 وسل عنها (اليهود) ولا تسلنا * فقد ضاقت بها حيل (اليهود)
 إذا ما نأح في (أسوان) بك * سمعت آنين شاك في (رشيد)
 جميع الناس في البلوى سواء * بأذنى الثغر أو أعلى الصعيد^(٥)
 تدارك أمة بالشرق أمست * على الأيام عائرة الحدود

(١) الشيشنة : العادة والطبيعة . (٢) الشاؤ : الغاية . (٣) يلاحظ أنه لم يرد
 في كتب اللغة « إيقام » بياء بعد الهزة كما في هذا البيت . والذي ورد « إقام » بدون ياء
 مصدر إقام . (٤) بتلك ، أى بالجماعة المصرية ، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك .
 (٥) عائرة الحدود : أى تاعسة المخطوط .

وَأَيْدٍ مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَأَغْمَ * ثَنَاءَ الْقَوْمِ مِنْ بَيْضِ وَسُودِ
 (١)
 وَمَا أَدْرِي وَقَدْ زَوَّدْتُ شِعْرِي * وَظَنِّي فِيكَ بِالْأَمَلِ الْوَطِيدِ
 (٢)
 أَجِئْتُ تَحُوطُنَا وَتَرُدُّ عَنَّا * وَتَرْفَعُنَا إِلَى أَوْجِ السُّعُودِ؟
 (٣)
 أَمِ اللُّرْدُ الَّذِي أَنَحَى عَلَيْنَا * أَتَى فِي ثَوْبٍ مَعْتَمِدٍ جَدِيدِ؟

تحيّة العام الهجرى

[سنة ١٣٢٧ هـ - يناير سنة ١٩٠٩ م]

أَطَّلَ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْحَلَقِ تَنْظُرُ * هِلَالٌ رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ فَكَبَّرُوا
 (٤)
 تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنَهَا * عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَنَهَا تَتَكَرَّرُ
 (٥)
 وَبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وَجَبِينِهِ * وَغُرَّتِهِ وَالنَّاطِرِينَ مَبْشَرُ
 (٥)
 وَأَذْكَرَهُمْ يَوْمًا أَغْرَ مَحْجَلًا * بِهِ تَوَجَّجَ التَّارِيخُ وَالسَّعْدُ مَسْفِرُ
 (٦)
 وَهَاجَرَ فِيهِ خَيْرُ دَائِعٍ إِلَى الْهَدَى * يَحْفَ بِهِ مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ عَسْكَرُ
 (٦)
 يُمَاشِيهِ جِبْرِيلٌ وَتَسْعَى وَرَاءَهُ * مَلَائِكَةٌ تَرَعَى خُطَاهُ وَتَحْفِرُ

- (١) الوطيد : الثابت القوى . و « بالأمل » متعلق بـ «زودت» . (٢) حاطه يحوطه :
 حفظه وتمهده . (٣) أنحى علينا ، أى أقبل علينا بالشدة والقسوة والعتف .
 (٤) تجلّى : ظهر وتكشف . (٥) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهورا . وأصل
 هاتين الصفتين من النعوت المحمودة فى الخليل ؛ الأغر منها : ما كان فى جبهته بياض . والمحجل : ما كان
 البياض فى فوائمه . والمسفر : المضى المشرق . ويريد بهذا اليوم : يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
 من مكة إلى المدينة . (٦) يماشيه : يمشى معه . وتحفر : تحرس .

يَسْرَاهُ بَرَهَاتٍ مِّنَ اللَّهِ سَاطِعٌ * هُدًى، وَيَمْنَاهُ الْكِتَابُ الْمَطْهَرُ
 فَكَانَ عَلَىٰ أَبْوَابِ (مَكَّةَ) رَكْبُهُ * وَفِي (يَثْرِبِ) أَنْوَارُهُ تَتَفَجَّرُ^(١)
 مَضَى الْعَامُ مَمِيونَ الشُّهُورِ مُبَارِكًا * تَمَدَّدُ آثَارُهُ لَهُ وَتَسْطُرُ^(٢)
 مَضَى غَيْرَ مَذْمُومٍ فَإِنْ يَذْكُرُوا لَهُ * هَنَاتٍ فَطَبَعُ الدَّهْرِ يَصْفُو وَيَكْدُرُ^(٣)
 وَإِنْ قِيلَ أَوْدَى بِالْأَلُوفِ أَجَابَهُمْ * حُجِيبٌ : لَقَدْ أَحْيَا الْمَلَائِينَ فَانظُرُوا^(٤)
 إِذَا قَيْسَ إِحْسَانٍ أَمْرِيَّ بِإِسَاءَةٍ * فَارَبِّي عَلَيْهَا فَالْإِسَاءَةُ تُغْفَرُ^(٥)
 فِيهِ أَفَاقَ النَّاسِمُونَ وَقَدِ انْتَمَتْ * عَلَيْهِمْ كَأَهْلِ الْكَهْفِ فِي النَّوْمِ أَعْصُرُ^(٦)
 وَفِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ * لَهُ آثَرٌ بَاقٍ وَذِكْرٌ مُعْطَرُ^(٧)
 سَلُّوا (الْتَرِكَ) عَمَّا أَدْرَكُوا فِيهِ مِنْ مَنَى * وَمَا بَدَّلُوا فِي الْمَشْرِقَيْنِ وَغَيْرِهِمَا
 وَإِنْ لَمْ يَقُمْ إِلَّا (نِيَازِي) وَ(أَنُورُ) * فَقَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا (نِيَازِي) وَ(أَنُورُ)^(٦)
 تَوَاصَوْا بِصَبْرِ ثُمَّ سَلُّوا مِنَ الْجَمَا * سُيُوفًا وَجَدُّوا جِدَّهُمْ وَتَدَبَّرُوا^(٧)

(١) يثرب : الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشبه انبثاق الأنوار بتفجر الماء .

(٢) هنات : المفردات اليسيرة التي تحمل أمثالا (٣) أودى بهم : أهلكهم .

(٤) أرب : زاد . (٥) يشير بقوله « أفاق الناسمون » : إلى بعض الشعوب

التي هبت في العام المتحدث عنه طالب بحريتها ودستورها بعد أن سكنت على الذل والاستعباد مدة

طويلة ، ومن هذه الشعوب : الشعب التركي والفارسي والمصري ، كما يشير الشاعر إلى ذلك بعد .

فشبه سكوتهم فيامضى بنوم أهل الكهف . (٦) نيازي وأنور : بطلان معروفان من

أبطال جمعية الاتحاد التركية ، وقد ألبيا بلاه حسنا في إعادة الدستور إلى أمتهما .

(٧) تواسوا ، أي الترك . والتواصي : أن يوصى القوم بعضهم بعضا . والجم : العقل . وجدوا

جدهم ، أي اجتهدوا وثاروا .

- (١) فسادوا وشادوا للهلال منازلاً * على هامها سعد الكواكب ينثر
 (٢) تجلّ بها (عبد الحميد) بوجهه * على شعبه والشاه خزيان ينظر
 سلام على (عبد الحميد) وجيشه * وأمتيه ما قام في الشرق منبر
 (٣) سلوا (الفرس) عن ذكري أيديهم * فقد كان فيه (الفرس) عمياً فأبصروا
 (٤) جلاهم وجه الحياة فشاقتهم * فباتوا على أبوابها وتجهروا
 (٥) ينادون أن منى علينا بنظرة * وأحى قلوبنا أو شكت تفتطر
 (٦) كلاتنا مشوق والسبيل ممد * إلى الوصل لولا ذلك المتغشمر
 (٧) أطلى علينا لا تخافي فإننا * يسرك أوفى منه حولاً وأقدر
 (٨) سلام عليكم أمة (الفرس) إنكم * خليقون أن تجوا كراماً وتفخروا
 (٩) ولا أقرى (الشاه) السلام فإنه * يريق دماء المصلحين ويهدر
 (١٠) وفيه هوى (عبد العزيز) وعرشه * وأخنى عليه الدهر والأمر مدير

(١) الهام : الروس ، الواحدة هامة . (٢) الشاه : ملك العجم . ووصفه بالخزي لأنه لم يعط
 أمته الدستور أسوة بالترك . (٣) أيديهم ، أى أيادى العام ونعمه عليهم . (٤) استعمال
 « التجمهر » بمعنى التجمع ، كما فى هذا البيت استعمال شائع فى كلام عصرنا ، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى
 فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا والصواب : « وتجهروا » بإسقاط الهاء وتشديد الميم ، أى
 يجمعوا . (٥) منى ، خطاب للحياة . وتفتطر : تشقق . (٦) المتغشمر : المتستر الظالم ،
 يريد شاه العجم . (٧) الحول : القوة . يقول : إننا بسبب إدراكنا سر الحياة حين نألفها أقوى وأقدر من
 ذلك الظالم الجبار الذى يحول بيننا وبينها . (٨) خليقون : جديرون . (٩) يشير بهذا البيت إلى ما كان
 يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية فى فارس من أنواع العذاب والقتل . (١٠) وفيه ، أى
 فى هذا العام المنصرم (سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م) . وهوى : سقط . وعبد العزيز ، هو سلطان مرا كش .
 (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .

(١) وَلَا تَعَجَّبْ أَنْ تُلَّ عَرْشُ مَمْلَكٍ • قَوَائِمُهُ عُدُودٌ وَدَفٌّ وَمِنْ زَهْرٍ
 (٢) فَالْتَقَى إِلَى (عَبْدِ الْحَفِيظِ) بِتَاجِهِ • وَمَرَّ عَلَى أَدْرَاجِهِ يَتَعَدَّرُ
 وَقَامَ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مُوَفَّقٌ • عَلَى عَهْدِهِ (مُرَاكَشٌ) تَقْبِضُ
 (٣) وَفِي دَوْلَةِ (الْأَفْغَانَ) كَانَتْ شُهْرُهُ • وَأَيَّامُهُ بِالسَّعِيدِ وَالْيَمِينِ تَزْهَرُ
 (٤) أَقَامَ بِهَا وَالْعُدُودُ رِيَانٌ أَخْضَرُ • وَفَارَقَهَا وَالْعُدُودُ فَيَنَانٌ مُثْمِرُ
 (٥) وَعَوَّذَهَا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ طَامِعٍ • إِذَا مَارَمَى (إِدُورْدُ) أَوْ رَاشَ (قَبِصْرُ)
 (٦) وَفِيهِ نَمَتْ فِي (الْهِنْدِ) لِلْعِلْمِ نَهْضَةٌ • أَرَى تَحْتَهَا سِرًّا خَفِيًّا سَيَظْهَرُ
 (٧) فَتَجْرِي إِلَى الْعَلْيَاءِ وَالْمَجْدِ شَوْطَهَا • وَيُنْخِصِبُ فِيهَا كُلُّ جَدْبٍ وَيَنْضُرُ
 (٨) وَفِيهِ بَدَتْ فِي أَفْقِ (جَاوَةِ) لَمْعَةٌ • أَضَاءَتْ لِأَهْلِهَا السَّبِيلَ فَبَكَرُوا
 (٩) فَيَالَيْتَهُ أَوْلَى (الْجَزَائِرِ) مِنَّةً • تُفَكُّ لَهَا تِلْكَ الْقَيْودُ وَتُكْسَرُ

- (١) نل : هدم . ويشير بهذا البيت إلى طلب عبد العزيز لجماعة من المغنين والمغنيات من مصر .
 (انظر الكلام على هذا في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . (٢) تولى عبد الحفيظ سلطة
 مراکش بعد خلع أخيه عبد العزيز سنة ١٩٠٨ م . وفي عهده جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد
 في ٢١ مايو سنة ١٩١١ م . وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاي يوسف عن السلطنة في سنة ١٩١٢ م .
 (٣) تزهرو : تشرق وتضيء . (٤) الفينان من النبات : الحسن الطويل . ويريد خصب البلاد
 وكثرة الخير فيها . (٥) عوذها : حصنها وحفظها . وإدوارد ، هو إدوارد السابع ملك الإنجليز .
 وراش السهم يريشه : ألصق عليه الريش ، وذلك ليكون أسرع في ذهابه نحو الفرض . وقبصر : لقب
 ملك روسيا . وإنما خص إدوارد وقبصر لمجاورة الهند وروسيا لبلاد الأفغان . والمعنى أن هذا العام
 حفظ بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء . (٦) نمت : زادت . (٧) ينضر ،
 من النضرة ، وهي الحسن والبهجة . (٨) لمعة : نى نعمة من شعاع الأمل . وبكر فلان إلى الأمر :
 أتاه في أول وقته وبأدر إليه . (٩) يريد « بالقيود » في هذا البيت : قيود الاستعباد والأمر
 التي قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب .

وفي (تونس) الخضراء باليتة بنى * له أثرًا في لوحه الدهر يذكر
 وفيه سرت في (مصر) روح جديدة * مباركة من غيرة تسعر
 خبت زمتنا حتى توهمت أنها * تجافت عن الإبراء لولا (كرومر)^(١)
 تصدى فأوراها وهيات أن يرى * سبيلًا إلى إخمادها وهي تزفر^(٢)
 مضى زمن التثويم يائيل وأقضى * ففي (مصر) أيقاظ على (مصر) تسهر
 وقد كان "مرفين" الدهاء مخدرا * فأصبح في أعصابنا يتخدر^(٣)
 شعرنا بحاجات الحياة فإن وثت * عزائمنا عن نيلها كيف نعدر؟
 شعرنا وأحسنا وباتت نفوسنا * من العيش إلا في ذرا العز تسخر^(٤)
 إذا الله أحيأ أمة لن يردها * إلى الموت قهار ولا متجبر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجية * إلى قادة تبني وشعب يعمر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجية * إلى عالم يدعو وداع يذكر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجية * إلى عالم يدرى وعلم يقرر
 رجال الغد المأمول إنا بحاجية * إلى حكمة تملئ وكف تحرر

(١) خبت : سكنت ونحلت . وتجافت : تباعدت . وإبراء النار : إشعالها .

(٢) تصدى : تعرض . وتزفر ، أى يسمع صوت توقدها . يقول : إن اللورد كرومر عميد الدولة

الإنجليزية تصدى لنار الوطنية في قلوب المصريين فأشعلها بعد نحودها بما صبه عليهم من المظالم والمحن .

(٣) المرفين : مخدر معروف ؛ والمراد به هنا خداع السياسة . (٤) ذرا العز (فتح الذال) :

(١)
 رِجَالِ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ * إِلَيْكُمْ فَسُدُّوا النَّقْصَ فِينَا وَشَمِّرُوا
 رِجَالِ الْغَدِ الْمَأْمُولِ لَا تَتْرُكُوا غَدًا * يَمْرُورَ الْأَمْسِ وَالْعَيْشُ أَغْبَرُ
 رِجَالِ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنِّي بِإِلَادِكُمْ * تُنَاشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَتَذَكَّرُوا
 عَلَيْكُمْ حُقُوقَ الْبِلَادِ أَجَلُهَا * تَعْهَدُ رَوْضَ الْعِلْمِ فَالرَّوْضُ مُقْفَرُ
 قُصَارَى مَنَى أَوْطَانِكُمْ أَنْ تَرَى لَكُمْ * يَدَا تَبَتَّي بَجَدًّا وَرَأْسًا يُفَكِّرُ
 فَكُونُوا رِجَالًا عَامِلِينَ أَعِزَّةً * وَصُونُوا حِمَى أَوْطَانِكُمْ وَتَحَرُّرُوا
 وَيَا طَالِبِي الدُّسْتُورِ لَا تَسْكُنُوا وَلَا * تَيْتُسُوا عَلَى يَأْسٍ وَلَا تَتَضَجَّرُوا
 أَعِدُّوا لَهُ صَدْرَ الْمَكَانِ فَإِنِّي * أَرَاهُ عَلَى أَبْوَابِكُمْ يَتَخَطَّرُ
 فَلَا تَتَطَّقُوا إِلَّا صَوَابًا فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُقَالَ تَهَوَّرُوا
 فَمَا ضَاعَ حَقٌّ لَمْ يَنْمَ عَنْهُ أَهْلُهُ * وَلَا نَالَهُ فِي الْعَالَمِينَ مَقْصَرُ
 لَقَدْ ظَفِرَ الْأَتْرَاكُ عَدْلًا بِسُؤْلِهِمْ * وَتَحْنُ عَلَى الْإِثَارِ لَا شَكَّ نَظْفَرُ
 هُمْ لَهُمُ الْعَامُ الْقَدِيمُ مُقَدَّرُ * وَتَحْنُ لَنَا الْعَامُ الْجَدِيدُ مُقَدَّرُ
 تَقُوا بِالْأَمِيرِ الْقَائِمِ الْيَوْمَ إِنَّهُ * بِكُمْ وَبِمَا تَرْجُونَ أَدْرَى وَآخِرُ
 فَلَا زَالَ مَحْرُوسِ الْأَرِيكَةِ جَالِسًا * عَلَى عَرْشِ (وَادِي النَّيْلِ) يَنْهَى وَيَأْمُرُ

(١) شمير الأمر : استعمله . (٢) قصارى منى أوطانكم ، أى غاية مناها ؛ يقال :

قصارك أن تفعل كذا ، أى جهدك وغايتك وأنرأمرك .

(٣) تهوروا : وقعوا فى المكره بقلة مبالاة ؛ والمراد هنا التكلم فى شئون السياسة بما تؤاخذهم

به القوانين . (٤) الأمير ، هو عباس حلى الثانى خديوى مصر السابق .

الانقلاب العثماني

قالها في ثورة الأتراك التي انتهت بجمع السلطان عبد الحميد وتولية السلطان محمد الخامس^(١)

[نشرت في ١٢ مايو سنة ١٩٠٩ م]

(٢) لا رعى الله عهداً من جدود * كيف أمسيت يابن (عبد الحميد)
 (٣) مشيع الخوت من حجوم البرايا * وجميع الجنود تحت البنود
 كنت أبكي بالأمس منك فإلى * يت أبكى عليك (عبد الحميد)؟
 فرح المسلمون قبل النصارى * فيك قبل الدروز قبل اليهود
 شمتوا كلهم وليس من الهمة أن يثمت الورى في طريد
 أنت (عبد الحميد) والتاج معقو * د و (عبد الحميد) رهن القيود
 خالد أنت رغم أنف الليالي * في كبار الرجال أهل الخلود
 لك في الدهر - والكحل محال - * صفحات ما بين بيض وسود
 (٤) حاولوا طمس ما صنعتت وودوا * لو يطيقون طمس خط الحديد

(١) ولد السلطان عبد الحميد في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م، وولى الملك في أغسطس سنة ١٨٧٦ م،
 وخلع في ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م، وتوفي في ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م. (٢) الجدود: الحظوظ؛
 الواحد جد (بفتح الجيم وتشديد الدال). (٣) يشير بقوله « مشيع الخوت » : الى من كان
 يأمر السلطان عبد الحميد بإغراقهم في مضيق البسفور. والبنود: الأعلام الكبيرة؛ الواحد بند، وهو
 فارسي معرب. ويشير بقوله « وجميع الجنود » : الى ما كان يقاسيه الجيش التركي من شظف العيش
 وضيق ذات اليد. (٤) يريد الخط الحديدى الجازى بين دمشق والمدينة الذى أنشاه السلطان
 عبد الحميد، وبدئ العمل فيه سنة ١٩٠٠ م، وأحفل بافتتاحه في سنة ١٩٠٨ م.

ذاك (عبد الحميد) ذُحِرَكَ عند الله * باق إن ضاع عند العبيد
 (١)
 أَكْرَمُوهُ وراقبوا الله في الشئ * خج ولا تُرهقوه بالتهديد
 لا تخافوا أذاه فالشيخ هاو * ليس فيه بقية للصعود
 ولي الأمر ثلث قرن ينادي * باسمه كل مسلم في الوجود
 (٢)
 كلما قامت الصلاة دعى الدا * عى (لعبد الحميد) بالتأييد
 فاسم هذا الأسير قد كان مقرو * تا بذكر الرسول والتوحيد
 (٣)
 بث أخشى عليكم أن يقولوا * إن أثرت من كينات الحقود
 (٤)
 كان (عبد الحميد) بالأمس فردا * فغدا اليوم ألف (عبد الحميد)
 (٥)
 يا أسيرا في (سنت هيلين) رحب * بأسير في (سألتك) جديد
 (٦)
 قل له كيف زال ملكك لم يعد * صمك إعداد عدة أو عديد
 لم تصنك الجنود تفديك بالأر * واج والمال يا غرام الجنود
 قل له كيف كنت؟ كيف امتلكت ال * أرض؟ كيف أنفردت بالتعجيد؟

(١) أرهقه : أثقل عليه وظلمه . (٢) يريد «بالصلاة» : صلاة الجمعة . ويريد «بالداعي» :
 الخطيب . (٣) أثاره إثارة : هيجه . وكينات الحقود : ما نخب منها . (٤) يقول لمن
 ولي الأمر من رجال تركيا : إن أثرت دفائن الصدور، وأسأتم التصرف في الأمور، تضاعف الظلم، فبدل
 أن كان يستبد بالأمر ويظلم الرعية فرد واحد هو عبد الحميد، يصبح مستبدا بأمركم ألف عبد الحميد .
 (٥) يريد «بالأسير في سنت هيلين» : نابليون بونابرت امبراطور فرنسا وقائدتها المعروف، وقد أسر
 في جزيرة سانت هيلانة، وظل بها أسيرا حتى مات، ونقلت رفاته بعد مدة إلى فرنسا . وسألتك : مدينة
 معروفة بمقدونيا، وكانت من أملاك الدولة العثمانية، وهي الآن من أملاك اليونان، وقد اعتقل فيها
 السلطان عبد الحميد بعد خلع . (٦) لم يصمك : لم يحفظك . والمدة : السلاح . والمديد : الكثرة .

(١)

فَثَلَّتِ العُرُوشَ عَرَشًا فَعَرَشًا * وَصَبَّغَتِ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ

كَلَّمَا نِلْتَ غَايَةَ لَمْ تَتَلَّهَا * هِمَّةُ الدَّهْرِ قَلَّتْ : هَلْ مِنْ مَرْيَدٍ؟

(٢)

ضَاقَتِ الأَرْضُ عَن مَدَاكَ فَأَرْسَدَتْ * بِطَرْفِ إِلَى السَّمَاءِ عَتِيدِ

قُلْ لَهُ : جَلَّ مِنْ لَه المُلْكُ لَا مُدَّ * لَكَ لَغَيْرِ المُهَيَّمِينَ المَعْبُودِ

(٣)

أَنْتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حَالًا * مِنْ أُسِيرِ الجَزِيرَةِ المَكْمُودِ

(٤)

وَأَسِيرُ الأَقْفَاصِ قَدْ كَانَ أَشَقَى * لَوْ سَأَلْتَ الأَسْفَارَ عَن (بَا يَزِيدِ)

كَانَ (عَبْدُ الحَمِيدِ) فِي القَصْرِ أَشَقَى * مِنْهُ فِي الأَسْرِ والبَلَاءِ الشَّدِيدِ

(٥)

كَانَ لَا يَعْرِفُ القَرَارَ بِلَيْلٍ * لَا وَلَا يَسْتَلِدُّ طَعْمَ المَهْجُودِ

حَذِرًا يَرْهَبُ الظُّلَامَ وَيَجْتَنِي * خَطَرَةَ الرِّيحِ أَوْ بُكَاءِ الوَلِيدِ

(٦)

نَفَقٌ تَحْتَ طَائِقِ الأَرْضِ أَخْفَى * فِي تَدَجِّيهِ مِنْ ضَمِيرِ الكَنُودِ

- (١) ثلثت العروش، أى هدمت ملكها . والصعيد : التراب . يريد أنه صبغه بدماء أعدائه .
 (٢) المدى : الغاية . والعتيد : المعتد المهيا . (٣) أرفه حالا : أحسنها . وأسير الجزيرة : نابليون بونابرت . والجزيرة : سانت هيلانة السابق ذكرها . والمكود : المحزون . (٤) الأسفار : الكتب ؛ الواحد : سفر (بكسر فكون) . وبايزيد ، هو بايزيد الأول ابن السلطان مراد الأول ، وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان ، ولد عام ١٤٦١ هـ . وجلس على كرسي الملك بعد وفاة أبيه عام ١٤٩١ هـ . وتوفي في سنة ١٥٠٥ هـ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى وقوع بايزيد في أسر تيمورلنك ملك التار في موقعة أنقرة سنة ١٤٠٥ هـ ؛ وسجنه إياه في قفص حتى مات كذا بعد سجنه بثمانية أشهر .
 (٥) المهجود : النوم . (٦) النفق (بالتحريك) : سرب في الأرض له مخرج إلى مكان . ويشير إلى المواضع الخفية التي كانت يختبئ فيها السلطان عبد الحميد حذرا من أعدائه . وتدجيه : إظلامه . والكود : الكفور . شبه ظلام المسارب التي كان يختبئ فيها عبد الحميد بظلام قلب الكفور لعدم نفوذ ضوء الحق اليه .

(١) يُعْجِزُ الْوَهْمَ عَنْ تَلَمُّسِ ذَاكَ الْ * بِبَابِ بَابِ الْخَلِيفَةِ الْمَنْكُودِ
 أَصْحِحُّ مَا قِيلَ عَنْكَ وَحَقُّ * مَا سَمِعْنَا مِنَ الرَّوَاةِ الشُّهُودِ
 (٢) أَنَّ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) قَدْ هَدَمَ الشَّرَّ * عَ وَأَرْبَى عَلَى فِعَالٍ (الْوَلِيدِ)؟
 إِنْ بَرِيثًا وَإِنْ أَيْمًا سَتُجْزَى * يَوْمَ تُجْزَى أَمَامَ رَبِّ شَهِيدِ
 (٣) أَصْحِحُّ بَكَيْتَ لَمَّا أَتَى الْوَفْدَ * دُ وَنَابَتَكَ رِعْشَةَ الرَّعْدِيدِ؟
 (٤) وَنَسِيتَ الْآبَاءَ وَالْمَجْدَ وَالشُّؤْ * دَدَ وَالْعِزِّيَا كَرِيمِ الْجُدُودِ؟
 (٥) مَا عَهْدَنَا الْمُلُوكَ تَبْكِي وَلَكِنْ * عَلَّهَا تَزْوَةَ الْفُؤَادِ الْجَلِيدِ
 عَلَّهَا دَمْعَةُ الْوَدَاعِ لِذَاكَ الْ * مُلْكِ أَوْ ذِكْرَةَ لَيْتِكَ الْعُهُودِ
 (٦) غَسَلَ الدَّمْعَ عَنْكَ حَوْبَةَ مَاضِي * لَكَ وَوَقَّاكَ شَرَّ يَوْمِ الْوَعِيدِ
 شَفَعَ الدَّمْعَ فِيكَ عِنْدَ الْبَرَايَا * لَيْسَ ذَاكَ الشَّفِيعُ بِالْمَرْدُودِ
 (٧) دَمَعَكَ الْيَوْمَ مِثْلَ أَمْرِكَ بِالْأَمِّ * سِيسَ مُطَاعٌ فِي سَيِّدٍ وَمَسْبُودِ
 (٨) كَانَ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) أَجْمَلَ أَمْرًا * مِنْكَ فِي يَوْمِ خَلْعِهِ الْمَشْهُودِ

(١) يقول: إن هذا التفتق خفي وضلت سبيله على طالبه، حتى إنه ليعجز الوهم عن تعرّف الطريق إلى بابه.
 (٢) أربى: زاد. والوليد: هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي المرواني المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهاونه بالدين. (٣) يريد الوفد المبعوث بخلعه. والرعيد: الجبان. (٤) السودد: السيادة والرفعة. (٥) الجليد: المتجدد الصابر. (٦) الحوبة (بفتح الحاء): الخليفة. (٧) يقول: إن دمعتك يوم الخلع قد بلغ من الأثر في رعيتك ما ردهم عن الانتقام منك، فكانت أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش. (٨) عبد العزيز، هو أحد سلاطين آل عثمان، وهو الثاني والثلاثون منهم، وهو ابن السلطان محمود الثاني. ولد عام ١٢٤٥هـ وتولى الخلافة في سنة ١٢٧٧هـ. وخلع في سنة ١٢٩٣هـ، وتوفى في السنة نفسها. وهو الذي زار مصر في عهد المغفور له اسماعيل باشا الخديوي، وسمى باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة.

- (١) خَافَ مَأْثُورَ قَوْلِهِ فَتَعَالَى * عَنْ صَغَارِ وَمَاتِ مَوْتِ الْأَسْوَدِ
 (٢) ضَمَّ مِقْرَاضَهُ إِلَيْهِ وَنَادَى * دُونَ ذَلِكَ الْحَيَاةِ قَطْعُ الْوَرِيدِ
 (٣) حَىَّ عَهْدَ الرَّشَادِ يَا شَرْقُ وَابْلُغْ * مَا تَمَنَيْتَ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدِ
 قَدْ تَوَلَّى (مُحَمَّدُ الْخَامِسُ) الْمُدَّ * لَكَ فَأَعْظِمْ بِتَاجِهِ الْمَعْقُودِ
 (٤) وَتَجَلَّى فِي مِهْرَجَانٍ تَجَلَّى * سَيْفِ (عُمَيْيَانَ) فِيهِ بِالتَّقْلِيدِ
 (٥) وَقَفَ الدَّهْرُ خَاشِعًا إِذْ رَأَى السَّيِّدَ * فَهَيْنَ فِي قَبْضَةِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
 (٦) طَاطِيَّ لِلْجَلَالِ يَا أُمَّمَ الْأَرَّ * مِنْ سُجُودًا، هَذَا مَقَامُ السُّجُودِ
 (٧) عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ عَهْدَ (رَشَادِ) * خَيْرٌ قَالٍ يَرُدُّ عَهْدَ (الرَّشِيدِ)

- (١) الصغار: الذل . يقول : إن هذا السلطان قد خاف في يوم خلعه أن يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة .
- (٢) المقراض : المقص .
- (٣) يريد « بالرشاد » : السلطان محمد رشاد الخامس ، وقد تولى الملك في سنة ١٣٢٧ هـ - سنة ١٩٠٩ م - بعد خلع السلطان عبد الحميد .
- (٤) المهرجان : عيد للفرس ، ويطلق على كل عيد . وعثمان ، هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التي تنسب إليه . (انظر التعريف به في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٧ من هذا الجزء) .
- (٥) يريد « بالسيفين » : سيف عثمان مؤسس الدولة ، وسيف الخليفة الجالس على العرش .
- (٦) طاطأ رأسه : خفضه .
- (٧) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي بلغت الأمة الإسلامية في أيامه من الرقي أقصاه .

عيد الدستور العثماني

أُنشدها في الحفل الذي أقيم في حديقة الأزبكية في مساء الجمعة ٢٣ يولييه سنة ١٩٠٩ م

(١) أَجَلٌ هَذِهِ أَعْلَامُهُ وَمَوَاسِكُهُ * هَنِيتًا لَمْ فَلَيسَحِبِ الذَّيْلَ سَاحِبُهُ

(٢) هَنِيتًا لَمْ فَالكَوْنُ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ * مَشَارِقُهُ وَضَاءَةٌ وَمَغَارِبُهُ

(٣) رَعَى اللهُ شَعْبًا جَمَعَ الْعَدْلُ شَمْلَهُ * وَتَمَّتْ عَلَى عَهْدِ الرَّشَادِ رَغَائِبُهُ

(٤) تَحَالَفَ فِي ظِلِّ الْهِلَالِ إِمَامُهُ * وَحَاخَمَهُ - بَعْدَ الْخِلَافِ - وَرَاهِبُهُ

(٥) خُذُوا بِيَدِ الْإِصْلَاحِ وَالْأَمْرِ مُقْبِلٌ * فَإِنِّي أَرَى الْإِصْلَاحَ قَدْ طَرَّ شَارِبُهُ

(٦) وَرُدُّوا عَلَى الْمُلْكِ الشَّبَابَ الَّذِي ذَوَى * فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمُلْكَ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ

فَمَنْ يَطْلُبُ الدُّسُورَ بِالسُّوءِ بَعْدَمَا * حَمَّتْهُ يَدُ (الْفَارُوقِ) فَاللَّهُ طَالِبُهُ

(٧) إِذَا (شَوَكَتُ الْفَارُوقُ) قَامَ مُنَادِيًا * إِلَى الْحَقِّ لِبَاهُ (نِيَازِي) وَصَاحِبُهُ

- (١) أجل : نعم ، وأعلامه ، أى أعلام العيد ، ولهم : للاشتراك ، وسحب الذيل : كناية عن التيه والفخر .
 (٢) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاد) ، أى ذات حسن وبهجة ، من الوضاعة (بفتح الواو وتخفيف الضاد) (٣) الرغائب : جمع رغبة ، وهى ما يرغب فيه .
 (٤) الهلال : شعار الدولة العثمانية . ويريد « بالإمام والحاخام والراهب » : اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية .
 (٥) طر شاربه : بنت وطلع ، وذلك فى أول عهد الشباب . ويريد بهذه العبارة : أن وقت الإصلاح قد حان .
 (٦) ذوى : ذبل ، والذوائب : الضفائر ، الواحدة ذرابة . وشيب الذرائب ، كناية عن الضعف والانحلال .
 (٧) شوكت ونيازى : بطلان من أبطال جمعية الاتحاد والترقى التركية . ويريد « بالصاحب » : أنور باشا القائد التركى المعروف . وكان لهؤلاء الثلاثة بلاء حسن فى الانقلاب العثمانى المعروف ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وإعادة الدستور إلى الأمة التركية .

- (١) ثَلَاثَةُ آسَادٍ يُجَانِبُهَا الرَّدَى * وَإِنْ هِيَ لَأَقَامَا الرَّدَى لَا تُجَانِبُهُ
(٢) يُصَارِعُهَا صَرْفُ الْمُنُونِ فَتَلْتَقِي * مَخَالِبُهَا فِيهِ وَتَتَّبِعُو مَخَالِبُهُ
رَوَتْ قَوْلَ (بَشَارٍ) فَتَارَتْ وَأَقْسَمَتْ * وَقَامَتْ إِلَى (عَبْدِ الْحَمِيدِ) تُحَاسِبُهُ:
(٣) إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ * مَشِينَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نَعَاتِبُهُ
(٤) وَسَارَ عَلَى أَعْقَابِهَا كُلُّ سَاحِجٍ * عَلَى مَتْنِهِ بَرَجٌ مَشِيدٌ يَدَاعِبُهُ
يَصِيحُ بِهِ : لَارِيٌّ أَوْ نَبْلُغُ الْمُنَى * وَلَا شَيْعٌ أَوْ يَرْجِعُ الْحَقُّ غَاصِبُهُ
(٥) هُنَالِكَ فَانْهَلْ وَأَنْتِجْدُ ثُمَّ مَرْبَطًا * (بِيلْدِز) وَأَحْمَدُ فِي الْوَعْجِي مَنْ تَصَاحِبُهُ
(٦) رِجَالٌ مِنَ الْإِيمَانِ مَلَأَى نُفُوسَهُمْ * وَجَيْشٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ظَمَأَى قَوَاضِيَهُ
(٧) صَوَالِجُهُ تُسْمَرُ الْقَنَا، وَكُرَاتُهُ * رُءُوسُ الْأَعَادِي، وَالْحُصُونُ مَلَاعِبُهُ

- (١) الردى : الهلاك . (٢) المنون : الموت . وتنبؤ : تكل وترتد .
(٣) صعرخده : أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم وكبرا . ويريد بقوله « نعاتبه » : تهذبه
بالسيوف وتندره بالقتل . وفي استعمال العتاب بهذا المعنى تهكم ظاهر . وهذا البيت من قصيدة لبشار بن برد
يلدح بها عمر بن هيرة . (٤) يريد « بالساحج » : الفرس الشديد الجري . والمتن : الظهر .
ويريد « بالبرج » : الفارس الذي يشبه البرج في ضخامته . (٥) انهل : اشرب ، من النهل
(بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . وبلدز : قصر الخلافة بالقسطنطينية . والوعجى : الحرب . يعد
الفارس فرسه بأنه سيلبغ ما يريد من النصر والظفر ، وأنه سيستبيح من حى القصر ما كان ممتعا ، وهناك يحمد
راكبه على صدق وعده . (٦) القواضب : السيوف القواطع . ومعنى قوله « ظمأى قواضيه » :
أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء . (٧) الصوالج : المعصى المعوجة الأطراف التى يلعبون بها
الكرة ؛ الواحد صويلجان ، فارسي معرب . والقنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . وقد شبه هذا الجيش في حربه
بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب ، وقلة مبالاته بالموت فيها ، فجعل الرماح صوالجه ، ورءوس الأعداء
كراته ، والحصون مواضع اللعب .

- (١) إذا تَارَ دُكَّتْ أَجْبَلٌ وَتَحَشَّتْ * بِحَارٌ وَأَمْضَى اللهُ مَا هُوَ كَاتِبُهُ
- (٢) وَثَلَّتْ عُرُوشٌ وَاسْتَقَرَّتْ مَمَالِكُ * وَلَوْ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ فِيهَا يُنَاصِبُهُ
- (٣) فَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ (يَلْدِزًا) بَعْدَ رَبِّهَا * وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْمُلْكُ وَأَنْدَكَ جَانِبُهُ
- (٤) وَأَسْأَلُهُ أَحْبَابُهُ لِقُضَائِهِ * وَفَرًّا - وَلَمْ يَخْشَ الْمَعْرَةَ - كَاتِبُهُ
- (٥) وَقَلَمَتِ الْأَقْدَارِ أَظْفَارِ بَطِشِهِ * وَدَلَّ عَلَى مَا تَجْهَلُ الْجَنُّ حَاجِبُهُ
- (٦) فَمَا شَهِدَ الدُّنْيَا تَزُولُ وَلَا رَأَى * بَلَاءَ قَضَاءِ اللَّهِ فِيمَنْ يُجَارِبُهُ
- (٧) أَيْبَحَ حِمَاهَا وَأَنْطَوَى مَجْدُ رَبِّهَا * وَقَامَتْ عَلَى الْبَيْتِ (الْحَمِيدِي) نَوَابِهُ
- (٨) وَلَمْ يُغْنِ عَنْ (عَبْدِ الْحَمِيدِ) دَهَاؤُهُ * وَلَا عَصَمَتْ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) تَجَارِبُهُ
- (٩) وَلَمْ يَحْمِهْ حِصْنٌ وَلَمْ تَرْمِ دُونَهُ * دَنَانِيرُهُ وَالْأَمْرُ بِالْأَمْرِ حَازِبُهُ
- (١٠) وَلَمْ يُخْفِهِ عَنْ أَعْيُنِ الْحَقِّ مُجَدِّعٌ * وَلَا نَفَقٌ فِي الْأَرْضِ جَمَّ مَسَارِبُهُ

- (١) دكت : تهدمت . وما هو كاتبه ، أى ما هو مقدّره من النصر والظفر لهذا الجيش .
- (٢) ثلث : هددت . وذو القرنين : ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات . ويناصبه : يعاديه .
- (٣) ربها : صاحبها ، وهو عبد الحميد .
- (٤) يريد « بكاتبه » : عزت العابد باشا . (٥) يقال : هو مقلّم الأظفار ، اذا كان أهنزل بغير سلاح . ويريد « بما تجهل الجن » : السرايب والأفئاق التي كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد من أعدائه .
- (٦) فما : جواب « من » في قوله السابق : « فمن لم يشاهد ... الخ » .
- (٧) أيبح حماها ، أى صارت يلدز مفتحة النواحي لكل داخل مهما قل شأنه .
- (٨) عصمت : حفظت . (٩) لم ترم دونه دنانيره ، أى أن أمواله لم تدفع عنه أعدائه .
- فشبه المال يحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرى السهام دفاعا عن من يختبئ به . وجزبه الأمر : نابه وأشتد عليه وضغطه . (١٠) يشير في هذا البيت الى المخابئ والأفئاق التي كان قد أعدّها عبد الحميد تحت الأرض ليختبئ فيها من أعدائه .

- (١) أَقَامَ عَلَيْهِ مَهْلَكًا عِنْدَ مَهْلَكٍ * يَمْرُبه رَوْحُ الصَّبَا فَيُؤَابِئُهُ
تَحَامَاهُ حَتَّى الْوَهْمُ خَوْفَ اغْتِيَالِهِ * فَلَوْ مَسَّهُ طَيْفٌ لِدَارَتْ لَوَائِبُهُ
وَأَسْرَفَ فِي حُبِّ الْحَيَاةِ فَاظْطَاهَا * بِسُورٍ مِنَ الْأَهْوَالِ لَمْ يَنْجُ رَاكِبُهُ
فَفِي كُلِّ قُفْلٍ لِلنِّيَّةِ مَكْرُنٌ * وَفِي كُلِّ مِفْتَاحٍ قَضَاءٌ يَر_اقِبُهُ (٢)
وَفِي كُلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ لَوْ تَكَلَّمَتْ * لَمَّا شَكَ فِي (عَبْدِ الْحَمِيدِ) مُخَاطِبُهُ
تَمَثَّلَ إِيَّاهُمْ أَنْيَمَتْ وَأَقْعِدَتْ * تَرَأَى بِهَا أَعْطَافَهُ وَمَنَاكِبُهُ (٣)
تَمَثَّلَ فِي نَوْمِهِ وَجُلُوسِهِ * وَتَمْتَدُّ فِيهِ الْمَوْتَ حِينَ يُقَارِبُهُ
أَقَامَ عَلَيْهِ أَلْفَ مَوْتٍ مُحْجَبٍ * لَيَغْلِبَ مَوْتًا وَاحِدًا عَزَّ غَالِبُهُ
سَأَلُوهُ أَعْنَتَ عَنْهُ فِي يَوْمِ خَلْعِهِ * عَجَائِبُهُ ؟ أَوْ أَحْرَزْتَهُ غَرَائِبُهُ ؟ (٤)
وَقَدْ نَزَلَ الْمِقْدَارُ بِالْأَمْرِ صَادِعًا * فَضَاقَتْ عَلَى شَيْخِ الْمُلُوكِ مَذَاهِبُهُ (٥)
وَأَخْرَجَهُ مِنْ (يَلْدِزِ) رَبِّ (يَلْدِزِ) * وَجَرَّدَهُ مِنْ سَيْفِ (عُمَانَ) وَاهْبِئُهُ
وَأَصْبَحَ فِي مَنْفَاهُ وَالْجَيْشُ دُونَهُ * يُغَالِبُ ذِكْرِي مُلِكِهِ وَتُغَالِبُهُ (٦)

- (١) الروح : الريح . يقول : إن عبد الحميد قد بالغ في المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطالبه ما لو مرت به ريح الصبا لوثب عليها ظننا منه أنها من أعداء السلطان .
(٢) يشير بهذا البيت الى ما كان يروى من العجائب التي كان يتخذها السلطان عبد الحميد في الخندق على نفسه من أعدائه ، حتى إنه قد صنعت لخائبته وخزائن أمواله أقفال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله .
(٣) تراءى ، أى تراءى . والأعطاف : الجوانب . (٤) أحرزته : حفظته .
(٥) المقدار : القدر . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . (٦) والجيش دونه ، أى واقف دونه يمنع من الفرار .

- (١) يُنَادِيهِ صَوْتُ الْحَقِّ: ذُقْ مَا أَذَقْتَهُمْ * فكلُّ أَمْرِي رَهْنٌ بِمَا هُوَ كَاسِبُهُ
- (٢) هُم مَنَحُوكَ الْيَوْمَ مَا أَنْتَ مُشْتِيهِ * فَرَدُّ لَهْمٌ بِالْأَمْسِ مَا أَنْتَ سَالِبُهُ
- (٣) وَدَعَّ عَنْكَ مَا أَمَلْتَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا * فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَمَالِ فَضْلٌ تُجَادِبُهُ
- (٤) مَضَى عَهْدُ الْأَسْتِبْدَادِ وَأَنْدَكَ صَرْحُهُ * وَوَلَّتْ أَفَاعِيهِ وَمَاتَتْ عَقَارِبُهُ
- (٥) لَكَ اللَّهُ يَا (تَمُوزُ) إِنْكَ بَلْسَمٌ * لِحَرْحَى الْأَسَى وَالذَّهْرِ تَعْدُو نَوَائِبُهُ
- (٦) فَكَمْ رُعْتَ جَبَّارًا وَأَرْهَقْتَ ظَالِمًا * وَأَنْصَفْتَ مَظْلُومًا تَوَالَّتْ مَصَائِبُهُ
- (٧) فَدَيْنَاكَ مِنْ شَهْرِ أَغْرٍ مَحْجَلٍ * أَوَائِلُهُ مَبْمُوتَةٌ وَعَوَاقِبُهُ
- (٨) تُقَابِلُهُ الْأَعْيَادُ فِي الْأَرْضِ كُلَّمَا * تَجَلَّى هَيْلَالُ الشُّهُرِ أَوْ لَاحَ حَاجِبُهُ
- (٩) فِي الْغَرْبِ عِيدٌ يَنْظِمُ الْغَرْبَ حُسْنَهُ * فَتَهْتَرِينَ مِنْ وَقْعِ السُّرُورِ جَوَائِبُهُ
- (١٠) وَفِي الشَّرْقِ عِيدٌ لَمْ يَرِ الشَّرْقُ مِثْلَهُ * تَدْفُقُ فِي دَارِ السَّلَامِ مَوَاقِبُهُ

- (١) رهن بما هو كاسبه ، أى مجزى بما اقترفه هو ، لا بما اقترفه غيره ؛ يقال : هو رهن بكذا ، أى مقصور عليه لا يتعداه . (٢) ما أنت مشتته ، أى الحياة . وما أنت سالبه ، أى حقوق الأمة وحريةها . (٣) شبه «الأمال» بالرداء الذى له فضول ، أى زيادات يجذب منها . يقول : إن آمالك فى الملك قد قصرت فليس فيها موضع تمسكه بيدك وتجلدها منه . (٤) الصرح : ما علا من البنيان . ويريد «بالأفامى والعقارب» : جواسيس عبد الحميد وزمىل الشرقى جهده . (٥) تموز : شهر معروف من السنة المسيحية ، ويوافق شهر يولييه ، وهو الذى نالت فيه الأمة التركية دستورها . والبلسم : دواء تضمد به الجراح . (٦) رعت : أفرغت . وأرهقت ظالماً : حملته ما لا يطيق من العذاب . (٧) يقال : يوم أو شهر أغر محجل ، إذا كان مشهوراً ، وأصلهما من الصفات اندوسة فى الخليل ، الأغر منها ما كان فى جبهته بياض ، والمحجل ما كان البياض فى قوائمه . (٨) تجلّى : ظهر . (٩) يريد «بالعيد الذى فى الغرب» : عيد الحرية فى فرنسا ، وهو فى شهر تموز (١٤ يولييه) . (١٠) يريد «بالعيد الذى فى الشرق» : عيد الدستور التركى ؛ وقد نسبة الى الشرق ، لأن الأمم الشرقية التابعة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيداً مثلها . ودار السلام : القسطنطينية .

(١) يُطِيفُونَ بِالْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَزَبَهُ * تُطِيفُ بِهِمُ الْآؤُهُ وَمُنَاقِبُهُ
 لِتَهْنِئَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا * خِلَافَتُهُ فَالْعَرْشُ سَعْدٌ كَوَاكِبُهُ
 (٢) سَمَّيْتُكَ أَمْوَاجَ الْبِحَارِ مَسْفِينُهُ * كَمَا مَلَكَتْ شَمَّ الْجِبَالِ كَتَاتِبُهُ
 مَمَالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وَتَغْوَرُهُ * رَكَابُهُ مَنصُورَةٌ وَمَرَاكِبُهُ

(٣) إلى البرنس حسين كامل باشا

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩ م]

(٤) لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فَمَتَى تَتَامُ * أَهَمُّ ذَادَ نَوْمَكَ أَمْ هِيَامُ
 (٥) غَفَا المَحْزُونُ وَالشَّارِكِي وَأَغْفَى * أَخُو الْبَلْوَى وَنَامَ الْمُسْتَهَامُ
 (٦) وَأَنْتَ تُقَلِّبُ الْكَفَّيْنِ أَنَا * وَأَوْنَةٌ يُقَلِّبُكَ السُّقَامُ
 (٧) تَمَحَدَّرَتِ المَدَامِيعُ مِنْكَ حَتَّى * تَعَلَّمَ مِنْ مَحَايِرِكَ الْغَنَامُ

- (١) الآلاء : النعم . والمناقب : الخصال الحميدة ؛ الواحدة منقبة .
 (٢) شم الجبال : أعاليها ، الواحد أشم . والكاتب : فرق الجيش ؛ الواحدة كتيبة .
 (٣) ولد السلطان حسين كامل في يوم ١٩ جفر سنة ١٢٧٠ هـ - ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م .
 وفي يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر . وتوفى رحمه الله في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .
 (٤) نصل الدجى : خرج من سواده وأبيض بطلوع الصباح . وذاد : منع . والهيام : العشق .
 (٥) غفا وأغفى : نام . والمستهام : العاشق . (٦) تقلب الكف : كناية عن الحيرة .
 (٧) المحاجر : جمع محجر (بفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما) ، وهو : دار حول العين . والغنام : السحاب . يقول : إن السحاب تعلم انهمال مطرده من انهمال مداسمت .

- (١) وَصَجَّتْ مِنْ تَقْلِيكِ الْحَشَايَا * وَأَشْفَقَ مِنْ تَلْهُفِكَ الظَّلَامُ
 (٢) تَبَيْتُ تُسَاجِلُ الْأَفْلَاكَ سُهْدًا * وَعَيْنُ الْكَوْنِ رَنَّهَا الْمَنَامُ
 وَتَكْتُمُنَا حَدِيثَ هَوَاكَ حَتَّى * أذَاعَ الصَّمْتُ مَا أَخْفَى الْكَلَامُ
 (٣) رَبِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إِلَى رَسِيْسٍ * مِنْ الذِّكْرَى وَهَلْ رَجَعَ الْغَرَامُ؟
 (٤) وَقَدْ لَمَعَ الْمَشِيبُ وَذَاكَ سَيْفٌ * عَلَى فَوْدِيكَ عُلِقَهُ الْجِمَامُ
 (٥) أَيْجَلُ بِالْأَدِيبِ أَدِيبٍ مُضِرٍ * بُكَاءُ الطِّفْلِ أَرْهَقَهُ الْفِطَامُ
 (٦) وَيَصْرِفُهُ الْهَوَى عَنْ ذِكْرِ مُضِرٍ * وَمِصْرٌ فِي يَدِ الْبَاغِي تَضَامُ؟
 (٧) عَدِمْتُ يَرَاعِي إِنْ كَانَ مَا بِي * هَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ لَهُ ضِرَامُ
 (٨) وَمَا أَنَا وَالْغَرَامَ وَشَابَ رَأْسِي * وَفَالَ شَبَابِي انْخَطَبُ الْجُسَامُ
 (٩) وَرَبَّانِي الَّذِي رَبِّي (لَيْدًا) * فَعَلَّمَنِي الَّذِي جَهَلَ الْأَنَامُ

- (١) الحشايا : الفرش المحشوة ؛ الواحدة حشية (بتشديد الياء) . (٢) تساجل الأفلاك : مهذا ، أى تشاركها فى السهر وتناوبها فيه . ورقها : خالطها . (٣) الرسيس : البقية والأثر .
 (٤) الفودان : ناحيتنا الرأس . والجمام (بكسر الحاء) : الموت . ويريد « بالسيف المعلق على ناحيتى الرأس » : الشيب ، لأن كليهما قاتل .
 (٥) أرهقه : آذاه وآله . (٦) الباغى : الظالم . (٧) اليراعة : القلم . ويريد بلاغته وأدبه ، لأنهما يكتبان به . وضرام النار : اشتعلها . (٨) غاله : أفناه وأهلكه .
 والجسام والجسيم : العظيم . (٩) يريد لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر المعروف ، صاحب المعلقة المشهورة ، التى أولها : * عفت الديار محلها فرسومها * . وكان من المعمرين ، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم . ويريد « بالذى ربى لبيدا » : الزمان وتطاوله . وخصه بالذكر لأنه من المعمرين ، ومن جربوا الحياة حتى ستموها ، قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

لَعَمْرُكَ مَا أَرَقْتُ لِغَيْرِ مُصِيرٍ * وَمَالِي دُونَهَا أَمَلٌ يُرَامُ^(١)
 ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ * تَصُولُ بِهَا الْفَرَاغَةَ الْعِظَامُ
 وَأَيَّامَ الرِّجَالِ بِهَا رِجَالُ * وَأَيَّامَ الزَّمَانِ لَهَا غُلَامُ
 فَأَقْلَقَ مَضْجَعِي مَا بَاتَ فِيهَا * وَبَاتَتْ مُصْرُفِيهِ ، فَهَلْ أَلَامُ؟^(٢)
 أَرَى شَعْبًا بِمَدْرَجَةِ الْعَوَادِي * تَمَخَّخَ عَظْمَهُ دَاءً عِقَامُ^(٣)
 إِذَا مَا مَرَّ بِالْبَاسَاءِ عَامُ * أَطَّلَّ عَلَيْهِ بِالْبَاسَاءِ عَامُ
 مَرَى دَاءُ التَّوَاكُلِ فِيهِ حَتَّى * تَخَطَّفَ رِزْقَهُ ذَاكَ الزَّحَامُ^(٤)
 قَدْ اسْتَعَصَى عَلَى الْحُكَمَاءِ مِنَّا * كَمَا اسْتَعَصَى عَلَى الطَّبِّ الْجُدَامُ^(٥)
 هَلَاكُ الْفَرْدِ مَنْشُؤُهُ تَوَانٍ * وَمَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشُؤُهُ انْقِسَامُ
 وَإِنَّا قَدْ وَبَيْنَا وَأَنْقَسَمْنَا * فَلَا سَعَى هُنَاكَ وَلَا وِثَامُ
 فِسَاءَ مَقَامُنَا فِي أَرْضِ (مِصْرٍ) * وَطَابَ لغيرِنَا فِيهَا الْمَقَامُ
 فَلَا عَجَبٌ إِذَا مُلِكَتْ عَلَيْنَا * مَذَاهِبُنَا وَأَكْثَرْنَا نِيَامُ^(٦)
 (حَسِينِ حَسِينِ) أَنْتَ لَهَا قَنَبَةٌ * رِجَالًا عَنِ طَلَابِ الْحَقِّ نَامُوا
 وَكُنْ بِأَيْدِيكَ لِابْنِ أَخِيكَ عَوْنًا * فَأَنْتَ بِكَفِّهِ نِعْمَ الْحُسَامُ^(٦)

- (١) أرق أرقا (وزان فرح فرحا) : سهر . (٢) المدرجة : الطريق . والعوادي : النواذب .
 وتمخخ العظم ، إذا أخرج منه . والداء العقام : الذي لا يرجي البرء منه . (٣) يريد «بالزحام» :
 مزاحمة الأجانب للصريين . (٤) الضمير في «استعصى» : يعود على «التواكل» السابق .
 (٥) المذاهب : الطرق . (٦) يريد «بابن أخيه» : عباس الثاني خديوي مصر السابق .

أَفِضْ فِي قَاعَةِ الشُّورَى وَإِنَّمَا * فَقَدْ أَوْدَى بِنَا وَبِهَا الْخِصَامُ
 وَعَلَيْهِمْ مُصَادِمَةُ الْعَوَادِي * فَثَلُوكَ لَا يَرُوعُهُ الصَّدَامُ^(١)
 فِي حِزْبِ الْيَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ * وَإِنْ قَالُوا فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ
 وَفِي حِزْبِ الشَّمَالِ لَدَيْكَ أَسَدٌ * كِبَاةٌ لَا يَطِيبُ لَهَا أَنْهِيَامُ^(٢)
 فَكُونُوا لِلْبِلَادِ وَلَا يَفْتِكُمْ * مِنْ النَّهْزَاتِ وَالْفُرُصِ آخِثَامُ^(٣)
 مَا سَادُوا بِمُعْجَزَةٍ عَلَيْنَا * وَلَكِنْ فِي صُفُوفِهِمْ أَنْضَامُ^(٤)
 فَلَا تَتَّقُوا بَوْعِدِ الْقَوْمِ يَوْمًا * فَإِنَّ مَحَابَّ سَاسَتِهِمْ جَهَامُ^(٥)
 وَخَافُوهُمْ إِذَا لَانُوا فَإِنِّي * أَرَى السُّوَّاسَ لَيْسَ لَهُمْ ذِمَامُ^(٦)
 فَكَمْ صَحَّكَ الْعَمِيدُ عَلَى لِحَانَا * وَغَرَّ سَرَائِنَا مِنْهُ آبْتَسَامُ^(٧)
 أَبَا الْفَلَاحِ إِنَّ الْأَمْرَ فَوْضَى * وَجَهْلُ الشَّعْبِ وَالْفَوْضَى لِيَزَامُ^(٨)
 فَاسْعِدْنَا بِنَشْرِ الْعِلْمِ وَأَعْلَمْ * بِأَنَّ النَّقْصَ يَعْقُبُهُ التَّمَامُ

- (١) العوادي : النوايب . ويروعه : يفزعه . (٢) الكباة : الشجمان ؛ الواحد كمي (بفتح الكاف وتشديد الياء) . (٣) النهزات : ما يتهمز من الفرص ، الواحدة نهزة (بضم فسكون) . (٤) سادوا : يريد شعوب الغرب . (٥) يريد « بالقوم » : الإنجليز . و « بوعدهم » : ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها . والجهام من السحب (بفتح الجيم) : الذي لا ماء فيه . (٦) الذمام : الذمة والعهد . (٧) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست) . والسراة من الناس : أهل الرفعة والمنزلة ؛ الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الياء) . (٨) أبو الفلاح : كنية كان يكنى بها المفقور له السلطان حسين كامل ، وذلك لما كان يظهره من العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم ويعود عليهم بالرعاية والخصب . ويزام ، أى ان الجهل والفوضى متلازمان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر .

وليس العلم يمسكنا وحيداً * اذا لم ينصير العلم اعتزاماً^(١)
 وإن لم يدرك الدستور (مضراً) * فما لحياتها أبداً قواماً^(١)
 حمونا ورد ماء (النيل) حذبا * وقالوا : إنه موت زوام^(٢)
 وما الموت الزوام إذا عقلنا * سوى الشركات حل لها الحرام^(٢)
 لقد سعدت بغفلتنا فراحت * بثروتنا وأولها (الترام)^(٣)
 فيا ويل القنائة إذا احتواها * (بنو التاميز) وأنحسر اللثام^(٣)
 لقد بقيت من الدنيا حطاماً * بأيدينا وقد عز الحطام^(٤)
 وقد كُننا جعلناها زماماً * فواللهنى اذا قطع الزمام^(٤)
 (فيا قصر الدبارة) لست أدري * أحرب في حرايك أم سلام^(٥)
 أجبناً ، هل يراد بنا وراء * فنقضى أم يراد بنا أمام^(٥)
 ويا حزب اليمين إليك عنا * لقد طاشت نبالك والسهام^(٦)
 ويا حزب الشمال عليك منا * ومن أبناء نجدتك السلام^(٦)

(١) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به . (٢) يشير بهذا البيت الى شركة المياه .
 ويريد بقوله : « موت زوام » : ما يجمله ماء النيل الكدر من الجراثيم . (٣) القنائة ، أى قناة السويس .
 وبنو التاميز : الإنجليز . والتاميز : نهر عندهم معروف . ويريد « بانحسار اللثام » : انكشاف الحجاب
 عما يضمرونه نحو مصر . (٤) بقيت ، أى القنائة . (٥) يريد بهذا البيت والذى قبله أن
 قناة السويس قد بقيت فى يدنا تراثنا عن السلف على قلة تراثنا ، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم
 وأخوف ما نخافه أن تنقطع هذه الصلة . (٦) نقضى : نموت . (٧) حزب اليمين : الأعضاء
 الذين كانوا يؤيدون الحكومة فى مجلس شورى القوانين . وحزب الشمال : المعارضون الذين كانوا يؤيدون
 رأى الأمة . وأبناء نجدتك ، أى الذين يناصرونك ويرون رأيك . والشجاعة والنصرة .

تحية العام الهجرى

[سنة ٥١٣٢٨ هـ - يناير سنة ١٩١٠ م]

- (١) لى فِىكَ حِينَ بَدَأَ سَنَاكَ وَأَشْرَقَا * أَمَلْتُ سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَتَحَقَّقَا
(٢) أَشْرَقَ عَلَيْنَا بِالسُّعُودِ وَلَا تَكُنْ * كَأَخِيكَ مَشْتُومَ الْمَنَازِلِ أَنْحَرَقَا
قد كَانَ جَرَّاحَ النَّفُوسِ فَدَاوَهَا * مِمَّا بِهَا وَكُنَّ الطَّبِيبَ مُوقِّفَا
(٣) هَلَلْتُ حِينَ لَمَحَتْ نُورَ جَبِينِهِ * وَرَجَّوْتُ فِيهِ الْخَيْرَ حِينَ تَأَلَّقَا
(٤) وَهَزَزْتَهُ بِقَصِيدَةٍ لَوْ أَنَّهَا * تَلَيْتُ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمِّ لِأَغْدَقَا
(٥) فَنَأَى بِجَانِبِهِ وَخَصَّ بِنَحْسِهِ * مِصْرًا وَأَسْرَفَ فِي النَّحُوسِ وَأَغْرَقَا
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا يُجِبُّهُ لَنَا * لَسَأَلْتُ رَبِّي ضَارِعًا أَنْ يُحَقِّقَا
(٦) أَوْلَى الْأَعَاجِمِ مِنْهُ مَذْكُورَةٌ * وَأَعَادَ لِلْأَتْرَاكِ ذَاكَ الرَّوْنَقَا
(٧) وَتَغَيَّرَتْ فِيهِ الْخُطُوبُ بِفَارِسٍ * حَتَّى رَأَيْتُ الشَّاهَ يَخْشَى الْبَيْدَقَا

(١) السنة: الضوء. يخاطب هلال المحرم. (٢) يريد بقوله «أخيك»: هلال العام الذى قبله. والمنازل: البروج التى ينتقل فيها القمر. والأخرق: من الخرق (بضم الخاء) والخرق (بفتح الخاء والراء)، وهو القسوة والحق. (٣) تألق: أضاء وأشرق. (٤) يقال: هزه إلى المعروف: إذا حركه إليه وشوقه إلى عمله. وأغدق: تفجر بالماء الكثير. ويريد «بالقصيدة»: القصيدة السابقة التى أولها:

أطل على الأكوان والخلق تنظر * هلال رآه المسلمون فكبروا

- (٥) نأى: بعد. يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه. وأغرق في النحوس: بالغ فيها وأفرط. (٦) أولى: أعطى. ويريد أن الأعاجم، وهم الفرس، نالوا فيه الدستور، وكذلك الترك. (٧) الخطوب: الشئون؛ الواحد: خطب (بفتح الخاء). والشاه: ملك العجم. والبيدق: الجندى. ويشير إلى الشاه والبيدق من قطع الشطرنج. والمعنى أن الحكم فى فارس قد أصبح بيد الأمة حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه.

- (١) وَأَدَالَ مِنْ (عبد الحميد) لشعبه * فهوى وحاول أنت يعود فأخفقا
 (٢) أَمْسَى يُبَالِي حَارِسًا مِنْ جُنْدِهِ * ولقد يَكُونُ وما يُبَالِي الفيلقا
 (٣) وَرَمَى عَلَى أَرْضِ الْكِنَانَةِ جَرْمَهُ * بالنزلات السود حتى أَرَهَقَا
 (٤) حَصَدَتْ مَنَاجِلُهُ غِرَاسَ رَجَائِنَا * ولو أنها أَبَقَتْ عليه لاورقا
 (٥) فَتَقَيَّدَتْ فِيهِ الصَّحَافَةُ عُنُودَهُ * ومشى أهوى بين الرعية مطلقا
 وَأَتَى يُسَاوِمُ فِي (القناة) خديعة * ولو أنها تَمَّتْ لَمَّ بِهَا الشقا
 (٦) إِنَّ الْبَلِيَّةَ أَنْ تُبَاعَ وَتُشْتَرَى * (مِصْرُ) وما فيها وألا تَطِطَقَا
 (٧) كَانَتْ تُوَاَسِينَا عَلَى الْإِمِينَا * صحف إذا نزل البلاء وأطبقت
 فَإِذَا دَعَوْتُ الدَّمْعَ فَاسْتَعَصَى بَكَتْ * عنا أسى حتى تنص وتشرقا
 (٨) كَانَتْ لَنَا يَوْمَ الشَّدَائِدِ أَسْهَمًا * نَزِمِي بِهَا وَسَوَابِقًا يَوْمَ اللَّقَا

- (١) يقال : أدال الله لك من فلان : اذا جعل الكرة والنصر لك عليه . وأخفق في السعي : لم ينجح فيه . (٢) الضمير في «أمسى» : لعبد الحميد . والفيلق : الجيش العظيم . (٣) رمى : الضمير فيها يعود على الهلال . وأرض الكنانة : مصر . وأرهق : أنزل على أهلها العسر والظلم والظلم والظلم . (٤) المناجل : جمع منجل ، وهو آلة يحمدها الزرع ، معروفة . (٥) يشير إلى تنفيذ قانون المطبوعات الذي عمل به في عهد وزارة بطرس غالي باشا ، فقيد حرية الرأي والكتابة في الصحف . والعنوة : القهر . ويريد «بالهوى» : الحكم بما يشتهي الحاكم ، لا بما يقتضيه العدل . ومطلقا ، أى لا قيد عليه . (٦) يشير بهذا البيت والذي قبله الى ما حدث في عهد نظارة بطرس غالي باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى بتبدي من سنة ١٩٦٩ م الى نهاية سنة ٢٠٠٨ م وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن في ذلك ضياعا فاحشا قدره بمبلغ ١٣٠٥٩٨٠٠٠ جنيها ، وكان ذلك في ٧ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وكان رأى الجمعية العمومية في هذه المسألة قطعيا لا استشاريا . (٧) أطبق عليهم البلاء : غشيم وغطاهم . (٨) السوابق : من صفات الخيل ، أى إن الصحف كانت عدوة لنا في الجهاد .

كانت صمًا للنفوس إذا غلت * فيها الهموم وأوشكت أن ترهقا .
 (١)
 كم نقت عن صدر حر واجد * لولا الصائم من الأسي لتمزقا
 (٢)
 مالي أنوح على الصحافة جازما * ماذا ألم بها وماذا أحدقا؟
 قصوا حواشيها وظنوا أنهم * أمنوا صواعقها فكانت أصعقا
 (٣)
 وآتوا بمذاقهم يكيد لهايما * يثني عزائمها فكانت أحدقا
 (٤)
 أهلا بنايتة البلاد ومرحبا * جددتم العهد الذي قد أخلقا
 لا تياسوا أن تستردوا مجدكم * قلب مغلوب هوى ثم ارتقى
 (٥)
 مدت له الآمال من أفلاكها * خيط الرجاء إلى العلا فتسلفا
 (٦)
 فتجشموا للمجد كل عزيمة * إنى رأيت المجد صعب المرتقى
 (٧)
 من رام وصل الشمس حاك خيوطها * سببا إلى آماله وتعلقا
 عار على ابن النيل سباق الورى * مهما تقلب دهره - أن يسبقا
 (٨)
 أو كما قالوا تجمع شملهم * لعب الشقاق بجمعنا فتفرقا

- (١) نقت : خفت . والواجد : الحزين . والأسي (فتح الهذرة) : الحزن . و« من الأسي » متعلق بقوله « لتمزقا » .
- (٢) ألم : نزل . وأحدق : أحاط .
- (٣) يريد « بمذاقهم » : بطرس غالى باشا رئيس النظار إذ ذاك . ويريد بقوله « فكانت أصعقا » : أنها كانت تؤدي عملها في نقد الحكومة بمهارة ومداورة حتى لا تؤاخذ .
- (٤) نابتة البلاد : نشوها وشبانها . وأخلق : بلى ورث .
- (٥) تسلق : صعد .
- (٦) تجشموا : تكلفوا .
- (٧) حاك : نسج . والسبب : الحبل . يقول : إن من يريد أن يبلغ معالي الأمور تلمس الوسائل لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها .
- (٨) الشقاق : الخلاف والمداورة .

- (١) فَتَدَفَّقُوا مُجَجًّا وَحُوطُوا نَيْلَكُمْ * فَلَمْ أَفَاضْ عَلَيْكُمْ وَتَدَفَّقَا
- (٢) حَمَلُوا عَلَيْنَا بِالزَّمَانِ وَصَرَفَهُ * فَتَانَقُوا فِي سَلِينَا وَتَانَقَا
- (٣) هَزُّوا مَغَارِبَهَا فَهَابَتْ بِأَسْمِهِمْ * يَا وَيْلَكُمْ إِنْ لَمْ تَهْزُوا الْمَشْرِقَا
- فَتَعَلَّمُوا فَالْعِلْمُ مِفْتَاحُ الْعُلَا * لَمْ يُبْقِ بَابًا لِلسَّعَادَةِ مُغَلَّقَا
- ثُمَّ آسَمَيْدُوا مِنْهُ كُلُّ قَوْمٍ * إِنْ الْقَوَى بِكُلِّ أَرْضٍ يُتَقَى
- (٤) وَأَبْنُوا حَوَالِي حَوْضِكُمْ مِنْ يَقْظَةٍ * سُورًا وَخُطُوا مِنْ حِذَارٍ خَنْدَقَا
- (٥) وَزَنُوا الْكَلَامَ وَسَدَّدُوهُ فَإِنَّهُمْ * خَبَأُوا لَكُمْ فِي كُلِّ حَرْفٍ مَزْلَقَا
- (٦) وَأَمْشُوا عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّ طَرِيقَكُمْ * وَعَرُّ أَطَافٍ بِهِ الْهَلَاكُ وَحَلَقَا
- (٧) نَصَبُوا لَكُمْ فِيهِ الْفِخَاخَ وَأَرَصَدُوا * لِلسَّالِكِينَ بِكُلِّ فِجٍّ مَوْبِقَا
- (٨) الْمَوْتُ فِي غِشْيَانِهِ وَطُرُوقِهِ * وَالْمَوْتُ كُلُّ الْمَوْتِ إِلَّا يُطْرَقَا
- (٩) فَتَحِينُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ كَثِيرَةً * وَتَعَجَّلُوا بِالْعَزَائِمِ وَالرُّقَى

- (١) حاطه : صانه وحفظه . (٢) حملوا علينا بالزمان ، أى حاربنا المحتلون بحوادث الزمان ونوابه وتأنق في الأمر : بالغ فيه . (٣) يقول : إن للإنجليز من الحول والقوة ما أربها به دول الغرب ، فليكن لكم أيها المصريون بين أم الشرق ما للإنجليز بين أم الغرب . (٤) المراد (بالحوض) هنا : الحمى . (٥) المزلق : مكان الانزلاق ، أى الزلل والسقوط .
- (٦) الوعر : الصعب . وحلق : ارتفع . يريد أن الهلاك قد غشى طريقكم من كل مكان .
- (٧) الفجج : الطريق . والموبق : المهلك . (٨) يريد أن طريق الأمة إلى المجد والحرية ملوه بأسباب الهلاك ، على أن ما نحن فيه من استنامة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر ، ففي الإقدام موت ، وفي الإجمام موت أعظم ، فتحينوا الفرص ، وهو ما يقوله في البيت الآتي .
- (٩) تعجل الأمر : طلبه عاجلا . والرقي : جمع رقية ، وهى معروفة . ويريد «بالعزائم والرقي» هنا : قوة الدهاء والتلطف في الحيلة ، وحسن التأني إلى المقاصد .

أَوْ فَاخْلُقُوهَا قَادِرِينَ فَإِنَّمَا * فُرُصَ الْحَيَاةِ خَلِيقَةً أَنْ تُخْلَقَا
 (١)
 وَتَفِيئُوا ظِلَّ الْأَرِيكَةِ وَأَقْصِدُوا * مَلِكًا بِأَمْتِهِ أَبْرًا وَأَرْفَقَا
 (٢)
 لَا زَالَ تَأْجُ الْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ * تَحْتَ الْهِلَالِ يَزِينُ ذَلِكَ الْمَفْرَقَا

تحية الأسطول العثماني

أنشدها في حفل أقيم ببياتروعباس في ٩ مارس سنة ١٩١٠ م برئاسة رؤوف باشا المعتمد العثماني

(٣)
 بِالَّذِي أَبْرَأَكَ يَا رِيحَ الْخُزَامَى * بَلَّغِي الْبُسْفُورَ عَنْ مِصْرَ السَّلَامَا
 (٤)
 وَأَقِطْنِي مِنْ كُلِّ رَوْضِ زَهْرَةٍ * وَأَجْعَلِيهَا لَتَحَايَانَا كَمَا
 (٥)
 وَأَنْشُرِي رِيَاكَ فِي ذَاكَ الْحَمَى * وَالشَّمْسِ الْأَرْضَ إِذَا جِئْتَ الْإِمَامَا
 مَلِكٌ لِلشَّرْقِ فِي أَيَّامِهِ * هِمَّةُ الْغَرْبِ نُهْوَضَا وَأَعْتَرَامَا
 أَيُّهَا الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ لَقَدْ * قُتِّمَتْ فِي النَّاسِ فَأَحْسَنْتَ الْقِيَامَا
 (٦)
 جَرَّدَ الرَّأْيَ فَكَمْ رَأَيْ إِذَا * سَلَّ مِنْ غَمْدِ النَّهْيِ فَلَ الْحُسَامَا

- (١) تفيئوا ظل الأريكة ، يطلب إليهم أن يلتجئوا إليها ويستظلوا بها ، والأريكة : سرير الملك .
 (٢) مفرق الرأس : وسطه ، وهو حيث يفرق فيه الشعر .
 (٣) الخزامى : نبات عطري زهره من أطيب الأزهار نضحة ؛ وهذا النبات يقارب البنفسج ، وزهره
 إلى الزرقة واللازوردية . (٤) الكمام : أغطية الزهر ؛ الواحد كم (بكسر الكاف وتشديد الميم) .
 يقول : حوطى محايانا بأزهار الرياض . ويشير بذلك إلى أن التحايا التي يبعث بها إلى البسفور أذكي من
 الأزهار ريحا ، لأن الأزهار أذكي من أكمامها وأطيب نضحة . (٥) الريا : الراحة الطيبة . ويريد
 « بالإمام » : خليفة المسلمين . (٦) النهى : العقول ؛ الواحد نهية . وفل الحسام : ثلثه وكسره .

- وَأَبَعِثِ الْأَسْطُولَ تَرِي دُونَهُ * قُوَّةُ اللَّهِ وَرَاءَ وَأَمَامًا
(١)
- يَكْلَأُ الشَّرْقَ وَيُرْعَى بِقَعَّةً * رَفَعَ اللَّهُ بِهَا (الْبَيْتَ الْحَرَامَ)
(٢)
- وَتُغُورًا هِيَ أَبِي مَنْظَرًا * مِنْ تُغُورِ الْغَيْدِيِّينَ أَبْتَسَامَا
(٣)
- خَصَّهَا اللَّهُ بِأَفْئِقِ مُشْرِقٍ * ضَمَّ فِي الْأَلَاءِ (مِصْرًا) وَ(الشَّامَا)
(٤)
- حَيَّ يَا مُشْرِقُ أَسْطُولَ الْأَلَى * ضَرَبُوا الدَّهْرَ بِسَوِّطٍ فَاسْتَقَامَا
(٥)
- مَلَكُوا الْبَرَّ فَلَمَّا لَمْ يَسْعَ * مَجْدُهُمْ نَالُوا مِنْ الْبَحْرِ الْمَرَامَا
(٦)
- بِحَوَارٍ مُنْشَأَتِ كَالدَّمَى * أَيَّمَا سَارَتْ صَبَا الْبَحْرِ وَهَامَا
(٧)
- كَلَّمَا أَوْفَتْ عَلَى أَمْوَاجِهِ * مَجَدَّ الْمَوْجُ خُشُوعًا وَأَحْتِشَامَا
(٨)
- كَانَ بِالْبَحْرِ إِلَيْهَا ظَمًا * وَعَجِيبٌ يَسْتَكِي الْبَحْرُ الْأَوَامَا
(٩)
- فَهِيَ فِي السَّلْمِ جَوَارٍ يُجْتَلَى * تَبَهَّرَ الْعَيْنَ رُوءَاءَ وَنِظَامَا
(١٠)
- وَهِيَ فِي الْحَرْبِ قَضَاءٌ سَابِحٌ * يَدْعُ الْحِصْنَ تِلَالًا وَرِجَامَا
(١١)

(١) يكلا الشروق : يحفظه ويصونه . ويريد «بالقعة» : الحجاز . (٢) الغيد : جمع غادة ،

وهي المرأة اللينة الناعمة . (٣) اللألاء : الضياء .

(٤) «ضربوا الدهر... الخ» : يريد أنهم أخضعوه لسلطوتهم وعزهم فاستقام لهم .

(٥) الجوارى المنشآت : السفن . والدعى : جمع دمية ، وهي الصورة المنقشة المزينة . شبه

السفن بها في جمالها .

(٦) أوفت : أشرفت . والاحتشام : الحياء .

(٧) الأوام : شدة العطش .

(٨) تجتلى : ينظر إليها الناس معجبين بحسنا وروفتها . والرواء (بضم الراء) : حسن المنظر .

(٩) الرجام : الجنارة ، الواحد درجة (بضم الراء وسكون الجيم) .

- (١) ما نُجُومُ الرَّجِيمِ مِنْ أَبْرَاجِهَا * إِثْرَ عَفْرِيتٍ مِنَ الْجِنِّ تَرَامِي
 (٢) مِنْ مَرَامِيهَا بِأَنْكِي مَوْقِعًا * لَا وَلَا أَقْوَى مِرَاسًا وَعُرَامًا
 وَهِيَ بَرْكَانٌ إِذَا مَا هَاجَهَا * هَاجُ الشَّرِّ عِدَاءً وَخِصَامًا
 (٣) جَبَلِ النَّارِ لَقَدْ رُعْتَ الْوَرَى * أَنْتَ فِي حَالَيْكَ لَا تَرَعِي ذِمَامًا
 (٤) أَنْتَ فِي الْبَرِّ بَلَاءٌ إِذَا * رَكِبَ الْبَحْرَ غَدًا مَوْتًا زَوْامًا
 (٥) فَاتَّقُوا الطُّودَ مَكِينًا رَاسِيًا * وَاتَّقُوا الطُّودَ إِذَا مَا الطُّودُ عَامًا
 (٦) حَمَلَتْ حَرِيًّا فَكَانَتْ حِقْبَةً * نُذْرًا لِلَّوْتِ تَجْتَاخُ الْأَنَامًا
 (٧) خَافَهَا الْعَالَمُ حَتَّى أَصْبَحَتْ * رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وَسَلَامًا
 يُبْعَثُ الْمَشْرِقُ مِنْ مَرْقَدِهِ * بَعْدَ حِينٍ ، جَلَّ مَنْ يُنْحِي الْعِظَامَا
 أَيُّهَا الشَّرْقُ شَمْرٌ لَا تَمَّ * وَأَنْفِضِ الْعَجْزَ فَإِنَّ الْجِدَّ قَامَا

(١) ترى، أى ترى وتتساقط . ويشير إلى أن الجن كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع من السماء ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم صار يريجم بالشهب كل من يريد منهم الدنق من السماء واستراق السمع ؛ وقد حكى الله تعالى ذلك فى القرآن فى سورة الجن . (٢) أنكى : خبر «لما» فى قوله السابق : «ما نجوم» . والعرام : الشراسة والأذى والحلدة . يريد أن الشهب التى يريجم بها الجن المسترقون السمع من السماء ليست أشد وقعا ولا أنكى عذابا من قذائف هذه السفن فى الحرب . (٣) رعت : أفزعت . والذمام : الحرمة والعهد . (٤) يشير بقوله «أنت فى البر» : إلى البراكين المعروفة . ويقول «فاذا ركب البحر» : إلى الأسطول ، تشبيها له بالبراكين . جعل للبركان مظهرين : مظهره الحقيقى فى البر ، ومظهره المجازى فى الأسطول . (٥) الطود : الجبل العظيم . (٦) الحقة من الدهر : مدة لاحد لها . وتجتاخ الأنام : تهلكهم . (٧) يريد بهذا البيت والذى قبله : أن هذه السفن خدمت الحرب والسلام معا ، فكانت فى الحرب رسل موت تحصد الأرواح ، وهى لقوتها وكمال استعدادها أخافت الأعداء فتجنّبوا حربها ، فكانت مبعث سلم أيضا .

- (١)
 وَاَمْتِطِ الْعَزْمَ جَوَادًا لِلْعَلَا * وَأَجْعَلِ الْحِكْمَةَ لِلْعَزِيمِ زَمَامًا
 (٢)
 وَإِذَا حَاوَلْتَ فِي الْأَفْقِ مَنَى * فَارْكَبِ الْبَرْقَ وَلَا تَرْضَ الْغَمَامَا
 لَا تَضِيقُ ذَرْعًا بِمَا قَالَ الْعِدَا * رَبِّ ذِي لُبٍّ عَنِ الْحَقِّ تَعَامَى
 سَابِقِ الْغَرْبِيِّ وَأَسْبِقِ وَاعْتَصِمِ * بِالْمَسْرُوعَاتِ وَبِالْبَأْسِ اعْتَصِمَا
 جَانِبِ الْأَطْمَاعِ وَانْهَجْ نَهْجَهُ * وَأَجْعَلِ الرَّحْمَةَ وَالْتَقْوَى لِزَامَا
 (٣)
 طَلَبُوا مِنْ عَلَيْهِمْ أَنْتَ يُعْجِزُوا * قَادِرَ الْمَوْتِ وَأَنْ يَثْنُوا الْجَمَامَا
 (٤)
 وَأَرَادُوا مِنْهُ أَنْتَ يَرْفَعُهُمْ * فَوْقَ هَامِ الشُّهْبِ فِي الْغَيْبِ مَقَامَا
 (٥)
 (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) * طَاوَلَ الْخَالِقَ فِي الْكَوْنِ وَسَامَى
 (٦)
 أَخْرَجَ الْغَيْبَ إِلَى أَنْتَ بَزَهُ * سِرَّهُ بَزًا وَلَمْ يَخْشَ آتِنِقَامَا
 قُوَّةَ الرَّحْمَنِ زَيْدِيًا قُوَى * وَأَفِيضِي فِي بَنِي الشَّرْقِ الْوِثَامَا
 أَفْرِغِي مِنْ كُلِّ صَدْرِ حِقْدَهُ * أَمَلًا تَارِيخَ وَالذُّنْبَا كَلَامَا
 أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَلْهَمَنَا * خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ شَيْخًا وَغُلَامَا
 (٧)
 أَنْتَ أَرَى فِي الْبَحْرِ وَالْبَرْلَنَا * فِي الْوَعْيِ أَنْدَادَ (طُوجُو) وَ(أَيَامَا)

(١) الزمام : ماتقاده الدابة . (٢) يريد « بركوب البرق » : شدة السرعة ، لأن بطء

الغمام لا يصلح مطية للجد . (٣) قادر الموت : مقدره ، وهو الله تعالى .

(٤) الهام : الروس . الواحدة هامة . والشهب : النجوم . (٥) طاول : غالب .

وساماه مسامة : باراه في السمق . (٦) بزه : سلبه . (٧) الوعى : الحرب .

والأنداد : الأشباه . وطوجو وأياما : قائدان يابانيان معروفان .

حرب طرابلس

[في سنة ١٩١٢ م]

- (٢) طَمَعُ أَلْقَى عَنِ الْغَرْبِ اللَّثَامَا * فَاسْتَفِيقُ يَا شَرْقُ وَأَحْذَرُ أَنْ تَتَامَا
 وَأَحْمِلِي أَيُّهَا الشَّمْسُ إِلَى * كَلِّ مَنْ يَسْكُنُ فِي الشَّرْقِ السَّلَامَا
 (٣) وَأَشْهَدِي يَوْمَ التَّنَادِي أَنَّنَا * فِي سَبِيلِ الْحَقِّ قَدِ مِتْنَا كِرَامَا
 (٤) مَا دَتِ الْأَرْضُ بِنَا حِينَ انْتَشَت * مِنْ دَمِ الْقَتْلِ حَلَالًا وَحَرَامَا
 (٥) عَجَزَ الطُّلِيَانُ عَنِ أَبْطَالِنَا * فَأَعْلَوْا مِنْ ذَرَارِينَا الْحُسَامَا
 (٦) كَبَلُوهُمْ ، قَتَلُوهُمْ ، مَثَلُوا * بَدَوَاتِ الْحَدِيرِ ، طَاحُوا بِالْيَتَامَى
 (٧) ذَبَجُوا الْأَشْيَاخَ وَالزَّمَنِي وَلَمْ * يَرْحَمُوا طِفْلًا وَلَمْ يَبْقُوا غُلَامَا
 (٨) أَحْرَقُوا الدُّورَ ، اسْتَحَلُّوا كُلَّ مَا * حَرَمَتِ (لَاهَاي) فِي الْعَهْدِ أَحْتِرَامَا
 (٩) بَارَكَ الْمَطْرَانُ فِي أَعْمَالِهِمْ * فَسَلُّوهُ بَارَكَ الْقِسْمَ عَلَامَا؟

- (١) ترجع أطماع إيطاليا في طرابلس منذ بدأت أوروبا تنشط في اقتسام إفريقيا . ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ في مصر وتونس ، قويت أطماعها في طرابلس . ولم تأت سنة ١٩١٢ م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا ، وفي هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته .
 (٢) اللثام (بالكسر) : النقاب . أى إن أم الغرب قد كشفتوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم .
 (٣) يوم التنادي : يوم القيامة . (٤) مادت الأرض : اضطربت . وانتشت : سكرت . (٥) أعلوا ، أى سقوا . وأصل الإعلال : السق بعد السق . (٦) طاح به : ذهب به وأهلكه . (٧) الزمنى : ذور العاهات ؛ الواحد : زمن (بفتح الأوتل وكسر الثاني) .
 (٨) يشير إلى مؤتمر لاهاي الذي عقد في سنة ١٨٩٩ م بدعوة من نقولا الثاني قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب ، بتقليل السلاح ، وتفويض المشاكل التي تقع بين الدول إلى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول . (٩) المطران (بالفتح ويكسر) : رئيس الكهنة ، وهو دون البطرق وفوق الأسقف .

أَيْدِيَهُمْ إِجْبِلُهُمْ * آمِرًا يُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ سَلَامًا؟
 كَشَفُوا عَنْ نِيَّةِ الْغَرِبِ لَنَا * وَجَلَّوْا عَنْ أَفْقِ الشَّرْقِ الظَّلَامَا
 فَقَرَأْنَاهَا سَطُورًا مِنْ دَمٍ * أَقْسَمْتُ تَلْتَهُمُ الشَّرْقَ آتِيَاهَا
 أَطْلَقُوا الْأَسْطُورَ فِي الْبَحْرِ كَمَا * يُطْلِقُ الزَّاجِلُ فِي الْجَوْ الْحَمَامَا^(١)
 فَمَضَى غَيْرَ بَعِيدٍ وَأَنْتَنَى * يَجْمَلُ الْأَنْبَاءَ سُؤْمًا وَأَنْهَزَامَا^(٢)
 قَدْ مَلَأْنَا الْبَرَّ مِنْ أَشْلَائِهِمْ * فَدَعُوهُمْ يَمْلُئُوا الدُّنْيَا كَلَامَا^(٣)
 أَعْلَنُوا الْحَرْبَ وَأَضْمَرْنَا لَمْ * أَيَّمَا حَلَّوْا هَلَاكًا وَأَخْتَرَامَا^(٤)
 خَبَرُوا (فِكْتُورَ) عَنَا أَنَّهُ * أَدْهَشَ الْعَالَمَ حَرْبًا وَنِظَامَا
 أَدْهَشَ الْعَالَمَ لَمَّا أَنْ رَأَوْا * جَيْشَهُ يَسْبِقُ فِي الْجَرِيِّ النَّعَامَا
 لَمْ يَقِفْ فِي الْبَرِّ إِلَّا رَيْثَمَا * يُسَلِّمُ الْأَرْوَاحَ أَوْ يُلْقَى الزَّمَامَا^(٥)
 حَاتِمَ الطُّلْيَانَ قَدْ قَلَدْنَا * مِثَّةً نَذَكُرُهَا عَامًا فَعَامَا
 أَنْتَ أَهْدَيْتَ إِلَيْنَا عُدَّةً * وَلِبَاسًا وَشَرَابًا وَطَعَامَا^(٦)
 وَسِلَاحًا كَانَ فِي أَيْدِيكُمْ * ذَا كَلَالٍ فَعَدَا يَفْرِي الْعِظَامَا

(١) الزاجل : الذي يرسل الحمام .

(٢) الأشلاء : الأعضاء وبهايا الأجساد؛ الواحد شلو .

(٣) اخترم القوم : استأصلهم . (٤) فكتور عمانوئيل ، هو ملك إيطاليا .

(٥) شبه ملك الطليان فيا تمخلى عنه جيشه للاتراك في هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد بجاتم

الطائي الذي يضرب به المثل في الكرم ، ولا يخفى ما في هذا من التهم .

(٦) كل السيف كلالا : لم يقطع . ويفري : يشق .

أَكْثَرُوا الزُّهْمَةَ فِي أَحْيَانِنَا * وَرُبَانَا إِنَّمَا تَشْفِي السَّقَامَا
 وَأَقِيمُوا كُلَّ عَامٍ مَوْسِمًا * يُسْبِعُ الْأَيْتَامَ مِنَّا وَالْأَيَامِي^(١)
 لَسْتُ أَدْرِي بِتُ تَرَعَى أُمَّةٌ * مِنْ بَنِي (التَّلِيَانِ) أُمُّ تَرَعَى سَوَامَا^(٢)
 مَا لَهُمْ - وَالنَّصْرُ مِنْ عَادَاتِهِمْ - * لَزِمُوا السَّاحِلَ خَوْفًا وَأَعْتَصَامَا^(٣)
 أَفْلَتُوا مِنْ نَارٍ (فِي زُوفٍ) إِلَى * نَارِ حَرْبٍ لَمْ تَكُنْ أَدْنَى ضِرَامَا
 لَمْ يَكُنْ (فِي زُوفٍ) أَدَهَى حَمًّا * مِنْ كُرَاتٍ تَنْفُثُ الْمَوْتَ الزُّوَامَا^(٤)
 يَا (فِي زُوفٍ) نَمَّ عَنْهُمْ فَقَدْ * نَفَضْتُ إِفْرِيْقِيَا عَنْهَا الْمَنَامَا
 فَهِيَ بَرْكَانٌ لَهُمْ سَخَّرَهُ * مَالِكُ الْمُلْكِ جَزَاءً وَأَنْتِقَامَا
 لَوْ دَرَوْا مَا خَبَأَ الشَّرْقُ لَهُمْ * آثُرُوا (فِي زُوفٍ) وَأَخْتَارُوا الْمَقَامَا
 تِلْكَ عُقْبَى أُمَّةٍ غَادِرَةٍ * تَتَكُتُّ الْعَهْدَ وَلَا تَرَعَى الذَّمَامَا^(٥)
 تِلْكَ عُقْبَى كُلِّ جَبَّارٍ طَنَى * أَوْ تَعَالَى أَوْ عَنِ الْحَقِّ تَعَامَى
 لَوْ دَرَّتْ (رُومَةٌ) مَا قَدَّ نَابَهَا * فِي (طَرَابُلُسٍ) أَبَتْ إِلَّا أَنْقِسَامَا
 وَأَبَى كُلُّ أَشْتَرَاكِيٍّ بِهَا * أَنْ يَرَى التَّجَاجَ عَلَى رَأْسِ أَقَامَا
 أَعْلَنُوا ضَمَّ مَغَانِينَا إِلَى * مُلْكِ (فِكْتُورٍ) وَلَمْ يَخْشَوْا مَلَامَا^(٦)

(١) الأيامي : جمع أيم (بتشديد الياء) ، وهي من لزوج لها . (٢) السوام : الإبل الراحية .
 (٣) فيزوف : بركان في جنوبي إيطاليا معروف . (٤) اللحم : جمع حممة ، وهي كل ما احترق
 من النار . يريد ما يقذفه بركان فيزوف . ويريد «بالكرات» : قذائف المدافع . والزوام : الكريه .
 (٥) الذمام : الحق والحرمة . (٦) المغاني : المنازل ؛ الواحد مغنى (بفتح فسكون) .

(١) أَعْلَنُوا الضَّمَّ وَلَمَّا يَفْتَحُوا * قَيْدَ أَظْفُورٍ وَرَاءَ أَوْ أَمَامًا
 (٢) فَأَعْجَبُوا مِنْ فَاتِحِ ذِي مِرَّةٍ * يَحْسَبُ التُّرْمَةَ فِي الْبَحْرِ صِدَامًا
 وَيَرَى الْفَتْحَ أَدْعَاءَ بَاطِلًا * وَأَفْتِرَاءَ وَأَحْتِجَاجًا وَأَحْتِكَامًا
 أَيُّهَا الْحَائِرُ فِي الْبَحْرِ أَقْتَرِبْ * مِنْ حِمَى (الْبُسْفُورِ) إِنْ كُنْتَ هُمَامًا
 كَمْ سَمِعْنَا عَنْ لِسَانِ الْبَرْقِ مَا * يُزِيحُ الدُّنْيَا إِذَا الْأَسْطُولُ طَامَا
 (٣) عَامَ شَهْرَيْنِ وَلَمْ يَفْتَحْ سِوَى * هُوَّةٍ فِيهَا الْمَلَايِينُ تَرَامَى
 دَفَنُوا تَارِيخَهُمْ فِي قَاعِهَا * وَرَمَوْا فِي إِثْرِهِ الْمَجْدَ غُلَامَا
 (٤) فَاطِمِيَّ أُمَّ الشَّرْقِ وَلَا * تَقْنِطِي الْيَوْمَ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا
 (٥) إِنْ فِي أَضْلَاعِنَا أَفْدَةٌ * تَعَشَّقُ الْمَجْدَ وَتَأْبَى أَنْ تُضَامَا

منظومة تمثيلية

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاماً من الأتراك؛ وذلك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية التي وقعت بين الإيطاليين والترك في سنة ١٩١٢ م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريج من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلي)، وطبيب، ورجل عربي

الجريج:

(لَيْلَى) مَا أَنَا حَيٌّ * يُرَجَى وَلَا أَنَا مَيِّتٌ

(٦) لَمْ أَقْضِ حَقَّ بِلَادِي * وَهَآنَا قَدْ قَضَيْتُ

- (١) قيد أظفور (بفتح القاف وكسرها)، أي مقدار ظفر. (٢) المرة (بالكسر): القوة والشدة.
 (٣) ترامى: ترامى. (٤) الجدد (بالفتح): الحظ. والمراد «بقيامه»: انتعاشه.
 (٥) تضام: تظلم. (٦) قضيت: مت.

شَفَيْتُ نَفْسِي لَوْ أَنِّي * لَمَّا رُمِيتُ رَمِيتُ
 (بيروت) لَوْ أَنَّ خَصْمًا * مَشَى إِلَى مَشَيْتُ
 أَوْ دَاسَ أَرْضِكَ بَاغٍ * لَدَسْتُهُ وَبَغَيْتُ
 أَوْ حَلَّ فِيكَ عَدُوٌّ * مُنَازِلُ مَا أَتَقَيْتُ
 (١)
 لَكِنْ رَمَاكَ جَبَانٌ * لَوْ بَانَ لِي لِأَشْتَفَيْتُ
 (ليلاى) لَا تُحْسِنِي * عَلَى الْحَيَاةِ بِكَيْتُ
 (٢)
 وَلَا تَطْنِي شَكَاتِي * مِنْ مَصْرَعِي إِنْ شَكَوْتُ
 (٣)
 وَلَا يُخَيِّفُنِيكَ ذِكْرِي * (بيروت) أَنِّي سَلَوْتُ
 (٤)
 (بيروت) مَهْدُ غِرَامِي * فِيهَا وَفِيكَ صَبَوْتُ
 جَرَّتْ ذَيْلُ شَبَابِي * لَمَّوْا فِيهَا جَرَيْتُ
 (٥)
 فِيهَا عَرَفْتُكَ طِفْلًا * وَمِنْ هَوَاكِ أَنْتَشَيْتُ
 (٦)
 وَمِنْ عُيُونِ رُبَاهَا * وَعَذَبِ فِيكَ أَرْتَوَيْتُ
 (٧)
 فِيهَا (لَيْلِي) كِنَاسٌ * وَلِي مِنَ الْعِزِّ بَيْتُ

(١) اشتغى : أخذ بتأمله فشغى بذلك نفسه . (٢) الشكاة : الشكوى .

(٣) أى لا تخشى باليلاى من شلوقى إياك حينما أذكر بيروت ، فكلاهما فى الحب عندى سواء ، كما يتبين

ذلك من الأبيات الآتية . (٤) صبا : مال . أى إن شوقى وغرامى وميل فىك وفيها .

(٥) انتشى : سكر . (٦) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربوة . وعذب

فىك ، أى ريقك العذب . (٧) الكناس : بيت الظبي الذى بأوى إليه .

فِيهَا بَنَى لِي مَجْدًا * أَوَائِلِي وَبَنَيْتُ
 (١)
 (لَيْلِي) سِرَاجُ حَيَاتِي * خَبَا فَمَا فِيهِ زَيْتُ
 (٢)
 قَدْ أَطْفَأْتَهُ كُرَاتٌ * مَا مِنْ لَظَاهُنْ قَوْتُ
 (٣)
 رَمَى بِهِنَّ بَغَاةٌ * أَصَابَتْنِي قَنَوَيْتُ

لَيْلِي :

لَوْ تَفْتَدَى بِحَيَاتِي * مِنْ الرَّدَى لَقَدَيْتُ
 وَلَوْ وَقَاكَ وَفِي * بِمُهْجَةٍ لَوَقَيْتُ
 (٤)
 إِنْ عَشْتَ أَوْ مِتَّ إِيَّي * كَمَا نَوَيْتَ نَوَيْتُ

الجريح :

(لَيْلَى) عَيْشِي وَقَرِي * إِذَا الْحِمَامُ دَعَانِي
 (لَيْلَى) سَاعَاتُ عُمُرِي * مَعْدُودَةٌ بِالثَّوَانِي
 (٥)
 فَكُفِّكِنِي مِنْ دُمُوعٍ * تَفْرِي حُشَّاشَةً فَانِي
 وَمَهْدِي لِي قَبْرًا * عَلَى ذُرَا (لُبْنَانِ)
 ثُمَّ أَكْتُبِي فَوْقَ لَوْحٍ * لِكُلِّ قَاصٍ وَدَانِي :

(١) خبا : نحد وطفى . (٢) يريد « بالكرات » : فذائف المدافع المعروفة بالفتابل .
 والظلي : النار، أو لهاها . والفوت : الانقلابات . (٣) نويت ، أى هلكت . (٤) كما نويت
 نويت ، أى أنى جعلت حياتى وموتى تبعا لحياتك وموتك . (٥) تفرى : تقطع . والحشاشة :
 بقية الروح فى المريض .

هنا الذي مات غدرا * هنا فتى الفتيان
(١)
رمته أيدي جناة * من جيرة النيران
(٢)
قرصان بحر تولوا * من حومة الميدان
لم يخرجوا قيد شبر * عن مسبح الحيتان
ولم يطيقوا ثباتا * في أوجه الفرسان
فشمروا لانتقام * من غافل في أمان
وسودوا وجه (روما) * بالكيد للجيران
(٣)
تبا لهم من بغاث * فروا من العقبان
لو أنهم نزلونا * في الشام يوم طعان
رأوا طرابلس تبدو * لهم بكل مكان
يا ليتني لم أعجل * بالموت قبل الأوان
حتى أرى الشرق يسمو * رغم اعتداء الزمان
ويسترد جلالا * له ورفعة شان
وليعلم الغرب أنا * كأمة (اليابان)

- (١) يريد « بجيرة النيران » : الإيطاليين ، لوجود البراكين في بلادهم .
(٢) قرصان البحر : لصومه . وحومة الميدان : موضع القتال . يريد ميدان طرابلس .
(٣) البغاث : طيور يضرب بها المثل في الضعف . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور الجوارح ، والعرب تسميه (الكاسر) .

لَا تَرْتَضِي الْعَيْشَ يَجْرِي * فِي ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ
 أَرَاهِبُ أَنْزَلُونَا * مَنَازِلَ الْحَيَوَانِ
 وَأَخْرَجُونَا جَمِيعًا * عَن رُتْبَةِ الْإِنْسَانِ
 وَسَوْفَ تَقْضِي عَلَيْهِم * طَبَائِعُ الْعُمَرَانِ (١)
 فَيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا * وَيَسْتَوِي الْخَافِقَانِ (٢)
 لَاهُمَّ جَدُّ قُؤَانَا * خِدْمَةُ الْأَوْطَانِ (٣)
 فَتَحْنُ فِي كُلِّ صُقْعٍ * تَشْكُو بِكُلِّ لِسَانِ (٤)
 يَا قَوْمَ إِنْجِيلِ (عِيسَى) * وَأُمَّةَ الْقُرْآنِ
 لَا تَقْتُلُوا الدَّهْرَ حَقْدًا * فَالْمَلِكُ لِلدِّيَانِ

ليلى :

إِنِّي أَرَى مِنْ بَعِيدٍ * جَمَاعَةً مُقْبِلِينَ
 لَعَلَّ فِيهِمْ نَصِيرًا * لَعَلَّ فِيهِمْ مُعِينًا

العروبي :

هَوْنٌ عَلَيْكَ، تَمَاسِكَ * إِنِّي سَمِعْتُ أُيُنَا (٥)
 أَظُنُّ هَذَا جَرِيحًا * يَشْكُو الْأَسَى أَوْ طَعِينًا
 يَا اللَّهُ مَاذَا دَهَاهُ * يَا هَذِهِ خَبْرِينَا؟

(١) يريد « بطبائع العمران » : سنته في الترقى من حسن إلى أحسن ، كما يدل عليه البيت الآتي .
 (٢) الخافقان : المشرق والمغرب . (٣) لاهم ، أى اللهم .
 (٤) الصقع (بالضم) : الناحية ، والجمع أصقاع . (٥) تماسك : تماسك .

ليلي :

لقد دهته المنايا * من غارة الخائنين
 صبوا علينا الرزايا * لم يتقوا الله فينا
 نخفوا من آذاه * إن كنتم فاعلينا

العربي :

لا تيأسي، وتجلد * أراك شهماً ركيناً^(١)
 أبشر فإنك ناج * وأصبر مع الصابرينا

الطيب :

أواه إنني أراه * بالموت أمسى رهيناً
 جراحه بالغات * تعني الطيب الفطينا
 وعن قريب سيقضى * غص الشباب حزينا^(٢)

العربي :

أف لقوم جياع * قد أزججوا العالمينا
 قراهم أين حلوا * ضرب يقد المتونا^(٣)
 عقوا المروءة هبوا * مفاخر الأولينا
 عاثوا فساداً وفروا * يستعجلون السفينا^(٤)

(١) الركين : الرزين . (٢) يقضى يموت . (٣) القسرى : ما يقدم للضيف . ويقصد : يقطع . والمتون : الظهور ؛ الواحد : متن . (٤) السفين : السفن ؛ الواحدة سفينة .

وَالْبَسُوا الْغَرْبَ خِزْيًا * فِي قَرْنِهِ الْعِشْرِينَ
 وَأَجْمُوا كُلَّ دَائِعٍ * وَأَحْرَجُوا الْمُصْلِحِينَ
 يَا (أُرْبَةُ) مَهْلًا * أَيْنَ الَّذِي تَدْعِينَا
 مَاذَا تُرِيدِينَ مِنَّا * وَالذَّاءُ أَمْسَى دَفِينَا
 أَيْنَ الْحَضَارَةُ إِنَّا * بَعِثْنَا قَدْرَضِينَا
 لَمْ نُؤْذِ فِي الدَّهْرِ جَارًا * وَلَمْ نُخَاتِلْ خَدِينَا
 (مَسْرَةَ) الشَّامِ إِنَّا * إِخْوَانَكُمْ مَا حِينَا
 ثَقُوا فَإِنَّا وَثِقْنَا * بِكُمْ وَجِئْنَا قَطِينَا
 أَنَا نَرَى فِيكَ (عَيْسَى) * يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ فِينَا
 قَرَّبَتْ بَيْنَ قُلُوبٍ * قَدْ أَوْشَكْتَ أَنْ تَبِينَا
 فَانْتَ نَحْرُ النَّصَارَى * وَصَاحِبُ الْمُسْلِمِينَ

الجريح :

رَأَيْتُ يَا سَنَ طَيْبِي * وَهَمَّسَهُ فِي فُؤَادِي
 لَا تَتَّذِبْنِي فَلَانِي * أَقْضَى وَتَحْيَا بِلَادِي

(١) لم نخاتل : لم نخادع . والخدين : الصاحب .

(٢) مسرة الشام : مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت . وكان

يعنى بالجرحى في هذه الحادثة . (٣) القطين : أهل الدار المقيمون بها . يريد أن المسلمين

والنصارى أهل وطن واحد في تلك البلاد . (٤) تبين : تفصل .

العربي :

(١) أَسْتَوِدِعُ اللَّهَ شَهْمًا * نَدْبًا طَوِيلَ النَّجَادِ
 أَسْتَوِدِعُ اللَّهَ رُوحًا * كَانَتْ رَجَاءَ الْإِلَادِ
 فَيَا شَهِيدًا رَمْتَهُ * غَدْرًا كُرَاتِ الْأَعَادِي
 تَمَّ هَائِنًا مُطْمَئِنًّا * فَلَمْ تَمَّ أَحْقَادِي
 فَسَوْفَ يُرِضِيكَ ثَارٌ * يُذِيبُ قَلْبَ الْجَمَادِ

استقبال الطيار العثماني فتحى بك

نشرت في سنة ١٩١٤ م ويلاحظ أن هذه القصيدة كانت قد أعدت لاستقبال الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته الى مصر، فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حيا وميتا

أَهْلًا بِأَوَّلِ مُسْلِمٍ * فِي الْمَشْرِقَيْنِ عَمَلًا وَطَارُ
 (٢) النَّيْلُ وَالْبُسْفُورُ فِيهِ * كَيْ تَجَاذِبَا ذَيْلَ الْفَخَّارِ
 (٣) يَوْمَ أَمَطَّيْتَ بَرَاقَكَ الْـ * حَيْمُونَ وَأَجْتَرْتَ الْقِفَارِ
 (٤) تَلْهُو وَتَعْبَثُ بِالرِّيَا * جِ عَلَى الْمَفَاوِزِ وَالْبِحَارِ

- (١) الندب: الذى اذا ندب الى الحاجة نحف لقضائها . والنجاد: حائل السيف . وطول النجاد: كناية عن طول القامة . (٢) كنى «بالنيل والبسفور» عن مصر وتركيا . (٣) البراق: الدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . شبه الشاعر طائرة فتحى بك بها فى سرعتها ويمتها . (٤) المفاوز: جمع مفازة، وهى القلاة الواسعة التى لا ماء فيها .

(١) لو سَابَقَتْكَ سَوَائِقُ أَلْ * أَفْكَارِ أَدْرَكَهَا الْعِثَارُ
 (٢) حَسَدَتَكَ فِي الْأَفْقِ الْبُرُ * قُ وَغَارَ فِي الْأَرْضِ الْبُخَارُ
 (٣) تَجْرِي بِسَائِحَةٍ تُسُّ * سَيْلَهَا شَقُّ الْإِزَارُ
 وَتَكَادُ تَقْدَحُ فِي الْأَيْ * مِرْفَيْسَتِحِيلُ إِلَى شَرَارُ
 (٤) مِثْلُ الشَّهَابِ أَنْقَصَ فِي * أَنْارِ عَفْرِيتِ وَثَارُ
 (٥) فَإِذَا عَلَتْ فَكَدَعُوهَ أَلْ * مُضْطَرَّ تَحْتَرِقُ السُّتَارُ
 (٦) وَإِذَا هَوَتْ فَكَاهَوَتْ * أُنْتَى الْعُقَابِ عَلَى الْهَزَارُ
 (٧) وَتُسِفُ آوِنَةٌ وَأَ * وَنَةٌ يَجِيدُهَا أَزْوَارُ
 فَيَخْلُمَا الرَّأُؤْنَ قَدْ * قَرَّتْ وَلَيْسَ بِهَا قَرَارُ
 (٨) لَعِبَ الْجَوَادُ أَقْلًا لِيَّ * مِّنْ قُضَاعَةَ أَوْ نِزَارُ

(١) يصفه في هذا البيت بالسرعة حتى إنه يسبق الفكر فيما يخطر به من خواطر .

(٢) كنى «بالبخار» عن القواطر البخارية .

(٣) يريد بالسابحة : الطائرة ، شبهها بالسفينة السابحة فوق الماء ، وشبه اختراقها للفضاء بشق الثياب .

(٤) شبه الطائرة في سرعتها بالشهاب الذي كان يرسل على كل من يحاول استراق السمع من الجن .

(٥) شبهها بدعوة المضطر ، لما روى في الآثار من أنها ليس بينها وبين الله حجاب ، فهي تحترق الآفاق

من غير أن يحول بينها وبين الصعود حائل . ويريد «بالستار» : حجاب السماء . (٦) هوت :

هبطت . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر . والهمزار (بالفتح) : عصفور صغير متنوع

الصوت ، ويقال له : العندليب . (٧) تسف : تدنو من الأرض ؛ يقال : أسف الطائر

إذا دنا من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها . والازرار : الانحراف .

(٨) أقل : حمل . وكنى بقوله : «لينا» من قضاة أوزار» عن كون الفارس مرياً . يقول : إن هذه

الطائرة تلعب في سيرها فرحاً ونشاطاً كما يلعب الجواد بفارسه العربي . وقضاة وزار : قيلتان معروفتان .

أو كاللُّعُوبِ مِنَ الْجَمَا * تَمِّمُ فَوْقَ مَلْعَبِهِ أَسْتَطَارُ
 (١)
 وَكَأَنَّهَا فِي الْأَفْقِ حِيد * مِنْ يَمِيلُ مِيزَانُ النَّهَارِ
 وَالشَّمْسُ تُلْقِي فَوْقَهَا * حُلَّ أَحْمَرٍ وَأَصْفِرَارُ
 مَلِكٌ يُمَثِّلُهُ لَنَا (النِّسْمَا) * فَيَأْخُذُنَا أَنْبَهَارُ
 (فَتَحِي) بِرَبِّكَ مَا رَأَيْد * تَبْ بِذَلِكَ الْفَلَكَ الْمُدَارُ
 (٢)
 أَبْلَغْتَ تَسْبِيحَ الْمَلَا * نِيكَ أَوْ دَنَوْتَ مِنَ السَّرَارِ
 (٣)
 أَمْ نَخِفْتَ تِلْكَ الرَّاصِدَا * تِي هُنَاكَ مِنْ شُهْبٍ وَنَارِ
 أَرَأَيْتَ سُكَّانَ النُّجُومِ * مِ وَأَنْتَ فِي ذَاكَ الْجَوَارِ
 (٤)
 أَهْنَاكَ فِي (الْمِرْيَخِ) مَا * فِي الْأَرْضِ مِنْ عِلَلِ الشُّجَارِ
 (٥)
 أَهْنَاكَ يَسْتَعِدِي الضَّعِيدِ * فُفْ عَلَى الْقَوِيِّ فَلَا يُجَارِ
 (٦)
 مَا لِأَبْنِ آدَمَ زَادَ فِي * غُلُوبِهِ فَطَنِي وَجَارِ
 (٧)
 يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَهُ * فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ نَارُ

- (١) ميلان ميزان النهار : كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها الى جهة المغرب .
 (٢) السرار (بالكسر) : مصدر ساره (بتشديد الراء) . ويريد به هنا : مناجاة سكان السماء . يقال : سار فلان فلانا يساره : اذا ناجاه وأعلمه بسره . يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلو الى حيث يسمع مناجاة الملائكة في السماء . (٣) الراصدات : الشهب التي أعدها الله للجن حين كانت تسترق السمع من السماء ؛ قال تعالى حكاية عن الجن : (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .
 (٤) الشجار : النزاع والخصام . (٥) يقال : استعديت الأمير على فلان فأعداني ، أى استعنت به عليه فأطاعني وأنصفتي منه . (٦) الغلواء (وتسكن اللام) : التغالى . والمراد هنا : التغالى في الأمل والطموح . (٧) النار : النار ، وسهلت الهمزة للشعر .

أم لاذ مُعْتَصِمًا بَكُرٍّ * سِيَّ الْمُهَيِّمِينَ وَأَسْتَجَارُ
 (١) فَأَسْتَلَّ مِنْ قَلْبِ الْجَمَا * دِ الصُّلْبِ أَجْنَحَةً وَطَارُ
 وَتَسْبَلِقُ الْأَجْوَاءَ مُدًّا * تَطِيًّا عَوَاصِفَهَا وَسَارُ
 (٢) يَرْجُو النَّجَاءَ مِنَ الْمَظَا * لِيمِ وَالْمَغَارِمِ وَالْدَّمَارُ
 (٣) يَا أَيُّهَا الطَّيَّارُ طِرْ * فَإِذَا بَلَغْتَ مَدَى الْمَطَارُ
 (٤) فَزِرِ السُّهَى وَالْفَرْقَدِي * بِنِ إِذَا أُتِيحَ لَكَ الْمَزَارُ
 وَسَلِّ النُّجُومَ عَنِ الْحَيَا * ةِ فِي السُّؤَالِ لَكَ أَعْتِبَارُ
 (٥) هُمْ يُنَبِّئُونَكَ أَنَّ كَلَّ الْكَائِنَاتِ إِلَى بَوَارُ
 (٦) وَالظُّلْمُ مِنْ طَبَعِ النَّظَا * مِ فَإِنْ ظَلِمْتَ فَلَا تُمَارُ
 (٧) إِنَّ الَّذِي بَرَأَ السَّيِّدِ * مَ هُوَ الَّذِي بَرَأَ الْغُبَارُ
 فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّ * نْفَلِي أَحْكَامُ تُدَارُ
 خُلِقَ الضَّعِيفُ لِحُدْمَةِ الْ * أَعْقَوِي وَليْسَ لَهُ خِيَارُ
 (٨) فَتَقَوُّ يَرْهَبُكَ الْقَوِي * وَهُنَّ يُلَازِمُكَ الصُّغَارُ

- (١) استل : اتزع . (٢) الدمار : الهلاك . (٣) مدى المطار : غاية .
 (٤) السها : كوكب خفي لبعده ، وهو في بنات نعش الصغرى : والفرقدان : نجمان يهتدي بهما .
 (٥) البوار : الهلاك والدمار . (٦) ماراه يماريه بمارة : جادله ونازعه . يقول لاتنازع
 في ظلم وقع عليك ولا تتبرم به ، فان تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوى وضعيف .
 (٧) برأ : خلق . والسديم : الضباب الرقيق .
 (٨) هان يهون : ذل . والصغار : الذل .

فِي الْأَرْضِ مَا تَبْغُونَ مِنْ * عِزٍّ وَأَمَالٍ كِبَارٍ
 فِيهَا الْحَدِيدُ وَفِيهِ بَأٌ * ^(١) سِ يَوْمَ يَمْتَمِنُ الدَّمَارُ
 فِيهَا الْكُنُوزُ الْخَافِلَا * تُلْمُنْ تَبْصَرَ وَأَسْتَنَارُ
 مِنْهَا أَسْتَمِدُّ قُوَاهُ مِنْ * قَهَرِ الْمَالِكِ وَأَسْتَعَارُ
 وَبِمَا أَحْتَوَتْ رَدَّ الْحَصِيْبِ * ^(٢) فُ الرَّاْيِ غَارَةَ مَنْ أَعَارُ
 فِي ذِمَّةِ الْآفَاقِ سِرٌّ * وَأَرْجِعُ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ
 وَأَجْعَلُ تَحِيَّتَنَا إِلَى * ^(٣) بَلَدٍ بِهِ لِلْكَ دَارُ
 دَارٌ عَلَيْهَا لِلْخَلَا * فَتَةٍ وَالْهُدَى رُفِعَ الْمَنَارُ
 دَارُ الْفُرَاةِ الْفَاتِحِيْبِ * ^(٤) مِنْ الصَّفْوَةِ الْغُرِّ الْخِيَارِ
 فِي كُلِّ حَاضِرَةٍ لَهْمٌ * ^(٥) غَزَوْ فَفْتَحَ فَأَنْتَصَارُ
 ضَرَبُوا الزَّمَانَ بِسَوْطِ عِزَّتِهِمْ فَلَانَ لَهْمٌ فَدَارُ
 يَمْشُونَ فِي ظَابِ الْقَنَا * ^(٦) مَشَى الْمُسْرِيْحُ بِالْعُقَارِ
^(٧)

- (١) الدمار (بالكسر) : ما يلزمك حفظه وحمايته . يقول : إن في الأرض من الحديد ما تتخذ منه
 أسلحة نعتز بها وندفع كل من يحاول أن يعتدى علينا ويتهك من حرماننا . (٢) « استعار » :
 معطوف على « استمد » ، أى استعار منها قوة وبأسه . (٣) حصيد الرأى : بجيده وبحكمه وسديده .
 (٤) يريد « بالديار » : بلاد تركيا موطن الطيار . (٥) يريد « بالبلد » : الآسنة مقر الخلافة .
 (٦) دار ، أى دار الزمان لم بما يشتهون . يقول : إنهم بما لديهم من عزة ومنعة قهروا الزمان
 على أن يواتهم بما شاءوا . (٧) القنا : الرماح ؛ الواحدة قناتة . شبيها بالغاب في كثرتها واشتباك
 بعضها ببعض ، والعقار (بالضم) : الخمر . والمرح بها : الذى يتمايل في مشيته سكرًا ، شبه الجنود رقد ملأوا
 بنشوة الفرح بالقتال ، يشارب الخمر المترحم سكرًا .

- (١) مِنْ كُلِّ أَرْوَعٍ فَاتِكِ * لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى الْغِرَارِ
 (٢) ذِي مِرَّةٍ تُسَجِّيهَا ذَا * تَنْتَقِعُ لَا ذَاتُ الْخِمَارِ
 (٣) يَغْشَى الْمَعَامِعَ ضَارِبًا * بِحَيَاتِهِ ضَرْبَ الْقِمَارِ
 (٤) لَا يَتَنَبَّئِي أَوْ تَخْرُجِ الْـ * أَجْرَامُ عَنْ فَلَكِ الْمَدَارِ
 (٥) عَبَسَتْ لَهُمْ أَيَّامُهُمْ * وَالْعَبَسُ يَعْقِبُهُ أَفْتَرَارُ
 مَا عَابَهُمْ أَنْ الصُّعُورُ * دَلِيلِيهِ فِي الدَّهْرِ أَنْجِدَارُ
 (٦) فَلِكُلِّ غَادٍ رَوْحَةٌ * وَلِكُلِّ وُضَاءٍ سِرَارُ
 (٧) وَاسْوَفَ يَبْلُو نَجْمَهُمْ * وَيَسْوَدُ ذِيَاكَ الشُّعَارُ

- (١) الأروع: هو الذي يهيجك بشجاعته ومنظره . والغرار (بالكسر): حد السهم والرمح والسيوف .
 (٢) المرة: قوة الخلق (بفتح الخاء) وشدة واستحكامه . وذات النقع: الحرب لما تثيره من النقع ، وهو الفبار . والخمار (بالكسر): ما تغطى به المرأة وجهها . يقول: إن الحرب تطرب هذا الفارس وتشوته أكثر مما تشوته النساء بجمالهن .
 (٣) المعامع: الحروب ؛ الواحدة: مععة . يقول: إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها .
 (٤) يصفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها في الدوران .
 (٥) العبس: العبوس . والافترار: التبس والضحك الحسن .
 (٦) الوضاء (بضم الواو وتشديد الضاد): البهيج الحسن ؛ يريد البدر . والسرار (بكسر السين): الليلة التي يستمر فيها القمر، أي يخفى، وذلك لا يكون إلا في آخر الشهر، وربما كان ليلة، وربما كان لياليتين . وكفى بذلك عما ينتهي إليه كل نظرة وجمال من بلى وذهاب .
 (٧) يريد « بالشعار»: الهلال ، وكان شعار الدولة العثمانية .

إلى معتمد بريطانيا في مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا، وهو السر مكاهون

[نشرت في يناير سنة ١٩١٥م]

أَيُّ (مَكْهُونٌ) قَدِمْتَ بآءُ * قَصْدِ الحِمْدِ وبالرَّعَايَةِ
 (١)
 مَا ذَا حَمَلَتْ لَنَا عَنَ الْ * مَلِكِ الكَبِيرِ وَعَن (غَرَايَةِ)؟
 أَوْضِحْ (بِمِصْرَ) الفَرْقَ مَا * بَيْنَ السِّيَادَةِ والحِمَايَةِ
 وَأَزِلْ شُكُوكًا بِالنُّفُوسِ * سِ تَعَلَّقَتْ مُنْذُ البِدَايَةِ
 وَدَعِ الوُعُودَ فإِنَّهَا * فِيهَا مَضَى كَانَتْ رِوَايَةِ
 أَضَحَّتْ رُبُوعَ النَّيْلِ سَدَّ * مَطْنَةً وَقَدْ كَانَتْ وِلَايَةِ
 فَمَهَّدُوهَا بِالصَّلَا * حِ وَأَحْسِنُوا فِيهَا الوِصَايَةِ
 (٢)
 إِنَّا لَنَشْكُو وَائْتِيقِ * بِنَ بَعْدِلِ مَن يُشْكِي الشَّكَايَةِ
 نَرْجُو حَيَاةَ حُرَّةَ * مَضْمُونَةً فِي ظِلِّ رَايَةِ
 وَنُرُومُ تَعْلِيمًا يَكُونُ * نُنْ لَهُ مِنَ الفَوْضَى وَقَايَةِ
 وَنَوْدُ أَلَّا تَسْمَعُوا * فِيهَا السَّعَايَةِ وَالوِشَايَةِ
 أَنْتُمْ أَطِبَاءُ الشُّعُوبِ * بِ وَأَنْبَلُ الأَقْوَامِ غَايَةِ

(١) غرايه، يريد السير إدوارد غراي، وزير خارجية إنجلترا إذ ذاك.

(٢) يقال: أشكيت فلانا، إذا قبلت شكواه وأرضيته وأزلت شكايته.

أَنِّي حَلَلْتُ فِي الْبِلَا * دِلْتُمْ مِنَ الْإِصْلَاحِ آيَةً
 رَسَخْتُ بِنَايَةَ مَجْدِكُمْ * فَبُوقِ الرَّوِيَّةِ وَالْمِهْدَايَةِ^(١)
 وَعَدَلْتُمْ فَلَكُمُ الْإِدُّ * نِيَا وَفِي الْعَدْلِ الْكِفَايَةِ
 إِنْ تَنْصُرُوا الْمُسْتَضْعَفِيَّةَ * مِنْ فَتْحِنِ أَعْضَفِهِمْ نِكَايَةَ
 أَوْ تَعْمَلُوا لِصَلَاحِنَا * فَتَدَارِكُوهُ إِلَى النَّهَايَةِ
 إِنَّا بَلَّغْنَا رُشْدَنَا * وَالرُّشْدُ تَسْبِقُهُ الْغَوَايَةِ
 لَا تَأْخُذُونَا بِالْكَلا * مِمْ فَلَيسَ فِي الشُّكْوَى جِنَايَةِ
 هَذَا (حُسَيْنٌ) فَوْقَ عَمْرٍ * شِشِ (النَّيْلِ) تَحْرُسُهُ الْعِنَايَةِ
 هُوَ خَيْرٌ مِنْ يَتْبَعِي لَنَا * فَدَعُوهُ يَنْهَضُ بِالْبِنَايَةِ

إلى غليوم الثاني امبراطور ألمانيا

فالها ينكر عليه إثارة الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

[نشرت في يناير سنة ١٩١٥م]

اللَّهُ آثَارُ هُنَاكَ كَرِيمَةٌ * حَسَدَتْ رَوَائِعَ حُسْنِهَا (بِرْلِينُ)^(٢)
 طَاحَتْ بِهَا تِلْكَ الْمَدَافِعُ تَارَةً * لَمَّا أَمَرَتْ وَتَارَةً (زِيلِينُ)^(٣)

(١) يصف في هذا البيت الانجليز بأنهم أسسوا مجدهم على الثاني في الأمور، واتباع سواء السبيل .

(٢) يريد آثار الحضارة في فرنسا وغيرها من الممالك التي تحربها الألمان في الحرب العظمى .

(٣) طاحت بها، أي محتها . وزيلين : يريد نوعاً من الطائرات سمي باسم مخترعه ، وهو الكونت

(١) ما ذا رَأَيْتَ مِنَ النَّبَالَةِ وَالْعُلَا * فِي عُدَيْهِنَّ وَكَلْهِنَّ عِيُونَ^١
لو أن في (برلين) عِنْدَكَ مِثْلَهَا * لَعَرَفْتَ كَيْفَ تُجْلِهَا وَتَصُونُ^٢
إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هَدَمْتَ (رِمَسَ) فَإِنَّهُ * أَوْدَى بِجِدِّكَ رُكْنَهَا الْمُوهُونَ^(٢)
لَمْ يُغْنِ عَنْهَا مَعْبَدٌ نَحْرَبْتَهُ * ظُلْمًا وَلَمْ يُمَسِّكْ عِنَانَكَ دِينَ^٣
لَا تُحْسِبَنَّ الْقَخْرَ مَا أَحْرَزْتَهُ * الْفَخْرُ بِالذِّكْرِ الْجَيْلِ رَهِينُ^٤
هَلْ شِدَّتْ فِي (برلين) غَيْرَ مَعْسَكِي * قَامَتْ عَلَيْهِ مَعَاقِلٌ وَحُصُونُ^٥
وَجَمَعْتَ شَعْبَكَ كُلَّهُ فِي قَبْضَةٍ * إِنْ لَمْ تَكُنْ لَأَنْتَ فَسَوْفَ تَلِينُ^(٣)
نَظَمْتَ تِجَارَتَكَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى * (فَالنَّيْلُ) نَاءَ بِهَا وَنَاءَ (السَّيْنُ)^(٤)
فَبِكُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجَالِكَ عُصْبَةٌ * وَبِكُلِّ بَحْرٍ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ^(٥)
تَسِيرِي وَتَسْرُكَ أَيْنَ لَحْنٍ يُظْلِمُهَا * لَا اللَّيْثُ يُزِجُّهَا وَلَا التَّنِينُ^(٤)
فَالأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْمَهْنَدُ مَهْمَدُ * وَالنَّهْيُ نَهْيُكَ وَالسَّرِيُّ مَأْمُونُ^(٥)

(١) عدمن ، أى فقدانهم وذهابهم . (٢) رمس : مدينة فرنسية مشهورة بكنيتها التاريخية ، وقد خربها الألمان بمدافعهم في الحرب الأخيرة ، ثم جددت بعد انتهاءها . والموهون . الذى أدركه الوهن ، وهو الضعف والانحلال . يقول : إن اعتدالك على هذا البلد أظهرتك بمظهر الخرب فانهدم بذلك ما بنيت من مجد ونفر .

(٣) يقال : ناء بالحل ، إذا أثقله ولم يقدر على حمله . والسين : نهر بفرنسا معروف .

(٤) يريد « بالنسر » : الراية الألمانية . والليث : إشارة إلى بريطانيا . والتنين : إشارة إلى اليابان . والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظلة براية دولتها ، فلا تقدر أية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها .

(٥) المهند : السيف . والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك فى أيام السلم .

قد كان في (بِرْلِينَ) شَعْبَكَ وَاِدْعَا * يستعمر الأسواق وهي سُكُونُ^(١)
 فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابَهَا فَسَبِيلُهَا * وَقَفَّ عَلَيْهِ وَرِزْقُهُ مَضْمُونُ
 فَعَلَامَ أَرْهَقْتَ الْوَرَى وَأَثَرَتَهَا * شَعْوَاءَ فِيهَا لِلْهَلَاكِ فَنُونُ^(٢)
 تَاللَّهِ لَوْ نَصَرْتَ جِيُوشَكَ لِأَنْطَوَى * أَجَلُ السَّلَامِ وَأَقْفَرُ الْمَسْكُونُ
 سَبْعُونَ مِيلُونَ إِذَا وَزَعَتْهَا * بَيْنَ الْحَوَاضِرِ نَالْنَا مِيلُونَ
 وَيَلُّ لَيْتَ يَسْتَعْمِرُونَ بِلَادَهُ * الْقَحْطُ أَيْسَرُ خَطْبِهِ وَأَلْهُونُ^(٣)
 أَكْثَرَتْ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ تَوَرَّطًا * وَزَعَمْتَ أَنَّكَ مَرْسَلٌ وَأَمِينُ
 عَجَبًا أَتَذْكُرُهُ وَمَمْلَأَ كَوْنَهُ * وَيَلَّا لِيَنعَمَ شَعْبَكَ الْمَغْبُونُ
 وَكَذَلِكَ الْقَصَابُ يَذْكُرُ رَبَّهُ * وَالنَّضْلُ فِي عُتْقِ الدَّبِيحِ دَفِينُ

(١) الوداع : الساكن المطمئن . ويستعمر، يريد : يعمر . والذي وجدناه في كتب اللغة أنه يقال : أعمره المكان واستعمره فيه ، أى جعله يعمره . وفي التنزيل العزيز : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) ، أى أذن لكم في عمارتها . ولم نجد في كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب المصر من قولهم : استعمرت المكان (بالبناء للفاعل) بمعنى عمرته .

(٢) أرهقت الورى : ظلتهم وحملتهم ما لا يطيقون . وشعواء، يريد غارة شعواء أى عامة شاملة .

(٣) الهون (بضم الهاء) : الذل .

الحرب العظمى

[نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٥ م]

- (١) لَاهُمُ إِنَّ الْغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً * مِنْ هَوَاهَا أُمُّ الصَّوَاعِقِ تَفْرُقُ
- (٢) الْعِلْمُ يَدِي نَارَهَا وَتُشِيرُهَا * مَدِينَةُ خَرْقَاءُ لَا تَتَرَفَّقُ
- (٣) وَلَقَدْ حَسِبْتُ الْعِلْمَ فِينَا نِعْمَةً * تَأْسُو الضَّعِيفَ وَرَحْمَةً تَتَدَفَّقُ
- (٤) فَإِذَا بِنِعْمَتِهِ بَلَاءٌ مَرِهَقٌ * وَإِذَا بِرَحْمَتِهِ قَضَاءٌ مَطْبِقٌ
- (٥) عَجَزَ الرَّمَاةُ عَنِ الرَّمَاةِ فَأَرْسَلُوا * كَسْفًا يَمُوجُ بِهَا دُخَانٌ يَخْنُقُ
- (٦) تَتَعَوَّذُ الْآفَاقُ مِنْهُ وَتَتَنَبَّئُ * عَنْهُ الرِّيَّاحُ وَيَتَّقِيهِ الْفَيْلِقُ
- (٧) وَتَسَابَلُوا بِالْكَيمِيَاءِ فَاسْرَفُوا * وَتَسَاجَلُوا بِالْكَهْرَبَاءِ فَأَغْرَقُوا
- وَتَنَازَلُوا فِي الْجَوْحِينَ بَدَأَ لَهُمْ * أَنْ الْبَسِيطَةَ عَنْ مَدَاهِمِ أَضِيقُ
- (٨) نَفْسُوا عَلَى الْحِيتَانِ وَاسِعَ مُلْكِهَا * فَتَفَنَّنُوا فِي سَلْبِهِ وَتَأَنَّقُوا
- (٩) مَلَكُوا مَسَابِحَهَا عَلَيْهَا بَعْدَ مَا * غَلَبُوا النَّسُورَ عَلَى الْجَوَاءِ وَحَلَقُوا
- إِنْ كَانَ عَهْدُ الْعِلْمِ هَذَا شَأْنُهُ * فِينَا فَهَهُدُ الْجَاهِلِيَّةِ أَرْفَقُ

(١) لاهم، أى اللهم . وتفرق : تخاف وتفرع . (٢) يدكى نارها : يشعلها . وانخرقاء : الحقاء . ويشير الى أثر العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة فى الحرب . (٣) تأسو الضعيف ، أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه . (٤) مطبق : عام شامل . (٥) يريد « بالكسف » : قطع الدخان من الغازات السامة التى استعملت فى الحرب أخيرا ، شبهها بكسف السحاب ، أى قطعه ؛ الواحدة كسفة . (٦) الفيلق : الجيش العظيم . (٧) التنازل : الترامى بالنبل . يشير إلى استعمال المواد الكيميائية وتسخير الكهرباء فى الإهلاك والتدمير . (٨) نفس عليه الشيء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٩) الجواء : جمع جو . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استخدام الغواصات والطائرات فى الحروب .

مظاهرة السيدات

قالها في مظاهرة قامت بها السيدات في الثورة الوطنية في سنة ١٩١٩ م
ونشرت إذ ذاك في منشورات وطنية ، وأُتْرِثَرها في الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ م

خَرَجَ الْغَوَايِي يَحْتَجِجُ * نِ وَرَحَتِ أَرْقَبُ جَمْعِهِنَّ

فَإِذَا بَيْنَ تَخِذْنِ مِنْ * سُودِ الثِّيَابِ شِعَارِهِنَّ

فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبِ * يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدَّجْنَةِ (١)

وَأَخَذْنَ يَحْتَرِنَ الطَّرِيدِ * تَقِ وَدَارُ (سَعْدٍ) قَصْدِهِنَّ

يَمْشِينَ فِي كَفِّ الْوَقَا * رِ وَقْدِ ابْنِ شَعُورِهِنَّ

وَإِذَا يَجِيئُ مَقْبِلِ * وَانْحِيلُ مُطْلَقَةَ الْأَعْنَةِ

وَإِذَا الْجُنُودُ سَيُوفُهَا * قَدْ صَوَّبَتْ لِنُحُورِهِنَّ

وَإِذَا الْمَدَافِعُ وَالْبَنَّا * دِقُّ وَالصَّوَارِمُ وَالْأَسِنَّةُ (٢)

وَانْحِيلُ وَالْفُرْسَانُ قَدْ * ضَرَبَتْ نِطَاقًا حَوْلَهِنَّ

وَالوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي * ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحِهِنَّ

فَتَطَاحَرْنَ الْجَيْشَانِ سَا * عَاتِ تَشِيبَ لَهَا الْأَجْنَةُ

فَتَضَعَنَّ النَّسْوَانُ وَالنَّسْوَانُ لَيْسَ لهنَّ مَنَسَةُ (٣)

ثُمَّ أَنهَزَمْنَ مُشْتَتَا * تِ الشَّمْلِ نَحْوَ قَصُورِهِنَّ

(١) الدجنة : الظلمة . (٢) الصوارم : السيوف القواطع . (٣) المنة : الفتوة .

فَلَيْهِنَا الْجَيْشُ الْفَخُو * رُبَّنْصِرِهِ وَبَكْسِرِهِنَّ
فَكَأْتَمَّا الْأَلْمَانُ قَدْ * لَيْسُوا الْبِرَاقِعَ بَيْنَهُنَّ
وَأَتَوْا (بِهِنْدِنْبَرَج) مُخ * تَفِيًّا بِمَصْرٍ يَقُودُهُنَّ^(١)
فَلِذَلِكَ خَافُوا بِأَسْرِهِنَّ * وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ

أياصوفيا^(٢)

قالها حين خيف على الآستانة أن تملكها دول الخلفاء وتزعمها من يد الأتراك
وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة

[وتأخر نشر هذه القصيدة الى سنة ١٩٣٢ م]

(أياصوفيا) حَانَ التَّفَرُّقُ فَادْكُرِي * عُهُودَ كِرَامٍ فِيكَ صَلَّى وَسَلَّمُوا^(٣)
إِذَا عُدَّتْ يَوْمًا لِلصَّلِيبِ وَأَهْلِهِ * وَحَلَّى نَوَاحِيكَ الْمَسِيحِ وَمَرِيَمَ^(٤)
وَدَقَّتْ نَوَاقِيسُ وَقَامَ مُزْمَرٌ * مِنْ الرُّومِ فِي مَحْرَابِهِ يَتَرَنَّمُ
فَلَا تُنْكِرِي عَهْدَ الْمَآذِنِ إِنَّهُ * عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ النُّوَاقِيسِ أَكْرَمُ

(١) هندنبرج، هو القائد الألماني المعروف في الحرب العظمى.

(٢) يلاحظ أننا راعينا في وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها، لأن مراعاة ذلك
أجدي على مؤرخ الأدب.

(٣) أياصوفيا: أعظم مسجد في القسطنطينية، وكان قبل الفتح العثماني الكنيسة الأولى في الشرق
فخولها العثمانيون مسجداً.

(٤) يريد صورتي عيسى ومريم اللتين توضعان في الكنائس عادة.

(١) تَبَارَكْتَ، (بَيْتُ الْقُدْسِ) جَدْلَانُ آمِنٌ * وَلَا يَأْمَنُ (الْبَيْتُ الْعَتِيقُ) الْمُحْرَمُ
 (٢) أَيْرِضِيكَ أَنْ تَغْشَى سَنَابِكَ خَيْلَهُمْ * حِمَاكَ وَأَنْ يُمْنَى (الْحَطِيمُ) وَ(زَمْرَمُ)؟
 وَكَيْفَ يَنْدُلُ الْمُسْلِمُونَ وَبَيْنَهُمْ * كِتَابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُكْرَمُ؟
 نَيْبُكَ مُحْزُونٌ وَبَيْتُكَ مُطْرِقٌ * حَبَاءٌ وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نُومٌ
 عَصِينَا وَخَالَفْنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا * وَحَكَمْتَ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ بِرَحْمٍ

مصر

أنشدها في الحفل الذي أقيم بهندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلى يكن باشا بعد عودته من أوروبا
 قاطعا للمفاوضة مع الانجليز ومستقبلا من الوزارة - نشرت في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ م
 وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث عن نفسها

وَقَفَ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا * كَيْفَ أَبْنَى قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحَدَى
 وَبُنَاةَ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ * بِرِ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحْدَى
 (٣) أَنَا تَاجُ الْعَلَاءِ فِي مَقْرِقِ الشَّرِّ * قِي وَدِرَاتُهُ فَرَانْدُ عِقْدِي
 أَيُّ شَيْءٍ فِي الْغَرْبِ قَدَّ بَهَرَ النَّاسَ * سَبَّ جَمَالًا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟

(١) كنى «بيت القدس والبيت العتيق» : عن معابد النصارى ومعابد المسلمين - يقول : إن معابد النصارى
 في فرج وأمن ، ومعابد المسلمين في خوف وفضع . (٢) سنابك الخيل : أطراف حوافرها ؛ الواحد
 سنبك . ويمنى : يتلى ويصاب . والحطيم : ما بين الركن وزمزم والمقام . جعل سقوط الآستانة في يد الإفرنج
 خطرا يخشى أن يمتد إلى البيت الحرام ، لأن في سقوط الدولة العثمانية سقوطا لولاياتها . (٣) العلاء
 (بالفتح والمد) : الرفة والشرف . والمقرق (كقعد ومجلس) : وسط الرأس . والفرائد : الجواهر
 التي لا توأم لها لنفاسها ؛ الواحدة فريدة . ويريد «بدراته» : بمالك الشرق التي كان لمصر الزمام عليها .

(١) فترابي تبرونتهري فرات * وسمائي مصقولة كالفيرند
 (٢) أينما سرت جنول عند كرم * عند زهير مدثر عند رند
 (٣) ورجال لو أنصفوهم لسادوا * من كهول ملء العيون ومرد
 لو أصابوا لهم بحالا لأبدوا * معجزات الذكاء في كل قصيد
 (٤) لهم كالظبا ألح عليها * صدأ النهر من نواء وغمد
 (٥) فاذا صيقل القضاء جلاها * كُنْ كالنوت ماله من مرد
 أنا إن قدر الإله مما تى * لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدي
 ما رماني رام وراح سليا * من قديم عناية الله جندي
 لكم بنت دولة على وجارت * ثم زالت وتلك عفتي التمدى
 (٦) إننى حرة كسرت قيودي * رغم رقي العدا وقطعت قدي
 (٧) وتماثلت للشفاء وقد دأ * تبت حني وهيا القوم لحدي
 قل لئن أنكروا مفانر قومي * مثل ما أنكروا ما ثرولدي
 (٨) هل وقفتم بقيمة الحرم الأكد * بر يوماً فرئتم بعض جهدي؟

(١) الفرات : العذب . والفرند : السيف . (٢) مدثر، أى مختلف الألوان ، أو مشرق متلألئ . والرند : شجر طيب الرائحة ، وله حب يقال له : النار . (٣) ملء العيون ، أى تعجبك مناظرهم . والمرد : جمع أمرد ، وهو الشاب نبت شاربه ولم تثبت لحيته . (٤) الظبا : جمع ظبية ، وهى حد السيف والسنان ونحوهما . والنواء : طول المكث . (٥) الصيقل : شاحذ السيف وجالها ، والجمع صياقل وصياقله . (٦) رقي العدا ، أى مرافقتهم ل . والقصد : القيد يمد من جلد . (٧) الحين (بالفتح) : الهلاك . (٨) فرئتم ، أى فرأيتم .

- (١) هَلْ رَأَيْتُمْ تِلْكَ التُّقُوشَ اللُّوَاتِي * أَتَجَزَّتْ طُوقَ صَنَعَةِ الْمُتَحَدِي؟
- (٢) حَالٌ لَوْ نُ الْنَّهَارِ مِنْ قَدَمِ الْعَهْدِ * يَدِ وَمَا مَسَّ لَوْهَا طُولُ عَهْدِ
- (٣) هَلْ فَهَيْتُمْ أُسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي * مِنْ عُلُومٍ مَجْبُوءَةٍ طَى بَرْدِي؟
- ذَاكَ فَنُ التَّخْنِيظِ قَدْ غَلَبَ الدَّهْ * مَرَّ وَأَبْلَى الْبِسْلَى وَأَتَجَزَّ نَدِي
- (٤) قَدْ عَقَدْتُ الْعُهُودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْنَ * نَ فِي (مِصْرَ) كَانَ أَوَّلُ عَقْدِ
- (٥) إِنْ مَجْدِي فِي الْأَوْلِيَّاتِ عَرِيقٌ * مَنْ لَهُ مِثْلُ أَوْلِيَّاتِي وَمَجْدِي؟
- (٦) أَنَا أُمُّ التَّشْرِيعِ قَدْ أَخَذَ الرَّوْ * مَا نُ عَنِّي الْأَصُولَ فِي كُلِّ حَدِّ
- (٧) وَرَصَدْتُ النُّجُومَ مِنْذُ أَضَاءَتْ * فِي سَمَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتُ رَصْدِي
- ٨ وَشَدَا (بَنْتُور) فَفَوْقَ رُبُوعِي * قَبْلَ عَهْدِ الْيُونَانِ أَوْ عَهْدِ (نَجْدِ)

(١) الطوق : الطائفة والجهد . والمتحدى : المعارض الذى ينازعه الغلبة والفخر .

(٢) حال : تغير وتحول . (٣) البردى (بالتشديد وخفف للشعر) : نبات تعمل منه الحصر

وكان يصنع منه الورق قديما . (٤) يشير إلى المحالفة التي عقدت بين رمسيس الثاني وملك

الحيثيين سنة ١٢٥٠ ق م على أن يمسا عن الحروب ، وأن يكونا صديقين الى الأبد . وقد حددا

في تلك المحالفة حدود أملاكهما ، وهي أقدم محالفة عرفت في التاريخ .

(٥) الأوليات ، أى السنين الأولى . (٦) يشير الى ما هو معروف من أن المصريين قديما

كانوا مصدر القوانين الإدارية ، وعنهم أخذت الأمم المجاورة لهم ، وقد وفد اليهم من واضعى القوانين

ليكرغ وصولون اليونانيين ، وعن اليونان أخذ الرومان .

(٧) كان المصريون من أقدم الأمم التي اشتغلت بعلم الفلك ؛ وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أمهم

أخذت هذا العلم عن المصريين ؛ وقد عثر في بعض المقابر على آلات للرصد ومصوّرات لشكل السماء ومواقع

نجومها . (٨) بنتاور : أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى . «قبل عهد اليونان» ... الخ ،

أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

- (١) وقدِيمَا بَنَى الْأَسَاطِيلَ قَوْمِي * فَفَرَّقَنَ الْبِحَارَ يَجْمَلْنَ بِنْدِي
 (٢) قَبْلَ أَسْطُولِ (نَلْسِن) كَانَ أَسْطُولُ * لِي سَرِيًّا وَطَالِيًّا غَيْرَ نَكِيدِ
 (٣) فَسَلُّوا الْبَحْرَ عَنْ بَلَاءِ سَفِينِي * وَسَلُّوا الْبَرَّ عَنْ مَوَاقِعِ جُرْدِي
 أَتْرَانِي وَقَدْ طَوَيْتُ حَيَاتِي * فِي مِرَاسٍ لَمْ أَبْلُغِ الْيَوْمَ رُشْدِي ؟
 (٤) أَيْ شَعْبَ أَحَقِّ مَنِّي بَعِيثِ * وَارِفَ الظَّلِّ أَخْضِرِ اللَّوْنِ رَغْدِ ؟
 آمَنَ الْعَدْلُ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ أَلْ * حَمَاءَ صَفْوَا وَأَنْ يُكَدَّرَ وَرْدِي ؟
 آمَنَ الْحَقُّ أَنَّهُمْ يُطَلِّقُونَ أَلْ * أَسَدَ مِنْهُمْ وَأَنْ تُقَيَّدَ أَسْدِي ؟
 نِصْفُ قَرْنٍ إِلَّا قَلِيلًا أُعَانِي * مَا يُعَانِي هَوَانَهُ كُلُّ عَبْدٍ
 نَظَرَ اللَّهُ لِي فَأَرْشَدَ أَبْنَا * نِي فَشَدُّوا إِلَى الْعُلَا أَيْ شَدُّ
 إِنَّمَا الْحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدِّ * بَانَ أَمْضَى مِنْ كُلِّ أَبْيَضِ هِنْدِي
 (٥) قَدْ وَعَدْتُ الْعُلَا بِكُلِّ آيَةٍ * مِنْ رِجَالِي فَأَنْجِزُوا الْيَوْمَ وَعْدِي
 (٦) آمِهْرُوهَا بِالرُّوْحِ فَهِيَ عُرُوسٌ * تَنْسُنَا الْمَهْرَ مِنْ عُرُوضٍ وَنَقِيدِ

(١) فرقن البحار: شققها، والبند: العلم الكبير، وقد ذكر المؤرخون أن نخاو من ملوك مصر القدماء، كان قد أرسل عددا من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقيا، فاتهموا سياحتهم في ثلاث سنين.
 (٢) نلسن، هو أمير البحر الإنجليزي الذي أحرق أسطول نابليون بوناپرت في موقعة أبي قير المعروفة، والنكد: الشؤم، (٣) الجرد: الخيل، ويريد الجيوش البرية.
 (٤) الوارف من الغلال: الواسع المنفذ، (٥) الأبيض الهندي: السيف.
 (٦) تشنا: تكرة، والعروض: جمع عرض (بالتحريك)، وهو كل شيء سوى الدرهم والدنانير.

- (١) وَرِدُوا بِي مَنَاهِلَ الْعِزِّ حَتَّى * يَنْخُطِبَ النُّجْمُ فِي الْمَجْرَةِ وَدِي
 (٢) وَأَرْفَعُوا دَوَاتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخْ * لَلِقِ فَالْعِلْمُ وَحَدَهُ لَيْسَ يُجِدِي
 (٣) وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ فَالصَّبْرُ إِنْ فَا * رَقَ قَوْمًا فَمَا لَهُ مِنْ مَسَدٍ
 (٤) خَلَقَ الصَّبْرُ وَحَدَهُ نَصَرَ الْقَو * مَ وَأَنْحَى عَنِ اخْتِرَاعٍ وَعَدَّ
 (٥) شَهِدُوا حَوْمَةَ الْوَعْيِ بِنُفُوسِ * صَابِرَاتٍ وَأَوْجِهٍ غَيْرِ رِيدٍ
 (٦) فَحَمَّ الصَّبْرُ آيَةَ الْعِلْمِ فِي الْحَرْ * بِ وَأَنْحَى عَلَى الْقَوِيِّ الْأَشَدِّ
 (٧) إِنْ فِي الْغَرْبِ أَعْيُنًا رَاصِدَاتٍ * كَتَبَتْهَا الْأَطْمَاعُ فِيكُمْ بِسُهِدٍ
 (٨) فَوْقَهَا يَجْهَرُ يْرِيبًا خَفَايَا * كُمْ وَيَطْوِي شُعَاعَهُ كُلَّ بَعْدٍ
 (٩) فَاتَّقَوْهَا يُجْنِي مِنْ وِثَامٍ * غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَفِي وَكَدِّ
 (١٠) وَأَصْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ * رَبِّ هَافٍ هَفَا عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ

- (١) « يخطب النجم... الخ » : كناية عن العلو والرفعة . (٢) يجدي : ينفع .
 (٣) من مسد، أي من شيء يقوم مقامه . (٤) يريد « بالقوم » : الإنجليز، وذلك لما
 اشتهروا به من الصبر والأناة . (٥) الوعي : الحرب، لما فيها من الجلبة والصوت . وحومتها :
 ساحتها . وربد : عابسة متجهمة ؛ الواحد أربد . (٦) يريد « بآية العلم » : ما اخترعه العلم
 من أسلحة . وأنحى نليه : أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك . ويريد « بالقوى الأشد » : الألمان .
 (٧) « كتبتها الأطماع... الخ » ، أي إن طمع الغربيين فيكم جعل أعينهم بقطة لاتذوق النوم ، تخمين
 بكم الفرص . (٨) المجهر : المنظار . (٩) الجنة (بالضم) : ما وفاقك في الحرب .
 والرث : النال . ويريد « بالعرا » : الصلات والروابط ؛ الواحدة عروة . (١٠) الهنات :
 جمع هنة ، وهي اليسير المحتمل من الزلات . ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذي بدأت بوادره
 في ذلك الحين على رئاسة المفاوضات الرسمية .

- (١) تَمُنُّ نَجْمًا زُ مَوْقِفًا تَعْتُرُ الْآ * رَأُ فِيهِ وَعَثْرَةُ الرَّأْيِ تُرْدِي
 (٢) وَنُعِيرُ الْأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا * مِنْ خِلَافِ وَالْخُلْفِ كَالسَّلِّ يَعْدِي
 (٣) وَتُسِيرُ الْفَبُوضَى عَلَى جَانِبَيْهِ * فَيُعِيدُ الْجَهْلُولُ فِيهَا وَيُعِيدِي
 وَيُظَنُّ الْغَوِيُّ أَنَّ لَا نِظَامُ * وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جِدِّي
 فَفَقُوا فِيهِ وَقَفَّةَ الْحَزْمِ وَأَرْمُوا * جَانِبَيْهِ بِعَزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ
 إِنَّا عِنْدَ بَغْرِيْلٍ طَوِيلٍ * قَدْ قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سَهْدٍ وَوَجْدٍ
 غَمْرَتَنَا سُودُ الْأَهَاوِيلِ فِيهِ * وَالْأَمَانِيُّ بَيْنَ بَحْرِ وَمَدِّ
 (٤) وَتَجَلَّى ضِيَاؤُهُ بَعْدَ لَأْيٍ * وَهُوَ رَمَزُ لَعَهْدِي الْمُسْتَرْدِّ
 (٥) فَاسْتَيْبِنَا قَصْدَ السَّبِيلِ وَجِدُوا * فَالْمَعَالَى مَخْطُوبَةٌ لِلْجِدِّ
 (٦)

تصريح ٢٨ فبراير

[نشرت في أول ابريل سنة ١٩٢٢ م]

- (٧) مَالِي أَرَى الْأَكْمَامَ لَا تُفْتَحُ * وَالرَّوَضَ لَا يَذْكُو وَلَا يُنْفَحُ
 (٨) وَالطَّيْرَ لَا تَلْهُو بِتَدْوِيمِهَا * فِي مَلِكِهَا الْوَايِسِ أَوْ تَصْدَحُ

(١) تردى: تهاك . (٢) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، كأنهم جعلوا الأول بكراً، وهي أشد الحروب . (٣) الضمير في قوله « جانبيه » يعود على قوله « موقفاً » المتقدم ذكره . (٤) الأهاويل: جمع أهوال . (٥) بعد لأى، أى بعد إبطاء واحتباس ومشقة . (٦) قصد السبيل: الطريق المستقيم . (٧) الأكمام: جمع كم (بكسر الكاف)، وهو غطاء الزهر . ويذكو: تسطع راحته . وينفح: يفوح طيبه . ويلاحظ أننا لم نجد في كتب اللغة « نفح » بتشديد الفاء؛ قلل حافظاً رأى هذه الصيغة في كلام بعض المولدين . (٨) تدويم الطائر: تحليقه في الهواء . وتصدح: ترفع صوتها بالغناء .

(١) وَالنَّيْلَ لَا تَرْقُصُ أَمْوَاهُ * فَرَحِي وَلَا يَجْرِي بِهَا الْأَبْطَحُ
 (٢) وَالشَّمْسَ لَا تُشْرِقُ وَضَاءَةً * تَجْلُو هُمُومَ الصَّدْرِ أَوْ تَنْزَحُ
 (٣) وَالْبَدْرَ لَا يَبْدُو عَلَى نَفْرِهِ * مِنْ بَسَاتِ الْيَمِينِ مَا يَشْرَحُ
 (٤) وَالنَّجْمَ لَا يَزْهَرُ فِي أَفْقِهِ * كَانَهُ فِي غَمْرَةٍ يَسْبِجُ
 (٥) أَلَمْ يَجِيئَهَا نَبَأُ جَاءَنَا * بَأَنَّ مِصْرًا حُرَّةٌ تَمْرَحُ؟
 (٦) أَصَبَحْتُ لَا أَدْرِي عَلَى خَبْرَةٍ * أَجَدَّتِ الْأَيَّامُ أَمْ تَمْرَحُ؟
 (٧) أَمَوْقِفٌ لِلْجِدِّ تَجْتَازُهُ * أَمْ ذَاكَ لِلْأَهْلِ بِنَا مَسْرَحُ؟
 (٨) أَلْمَحُ لِأَسْتِقْلَالِنَا لَمَعَةً * فِي حَالِكِ الشُّكِّ فَاسْتَرَوْحُ
 (٩) وَتَطْيِسُ الظُّلْمَةَ آثَارَهَا * فَأَنْتَنِي أَنْكِرُ مَا أَلْمَحُ
 (١٠) قَدْ حَارَتِ الْأَنْفَاهُ فِي أَمْرِهِمْ * إِنْ لَمَحُوا بِالْقَصِيدِ أَوْ صَرَحُوا
 (١١) فِقَائِلُ لَا تَعْجَلُوا إِنْكُمْ * تَمَكِّنْكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
 (١٢) وَقَائِلُ أَوْسَعُ بِهَا خُطْوَةٌ * وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَطْمَحُ
 (١٣) وَقَائِلُ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ : * هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَأَفْرَحُوا

(١) الأمواه : جمع ماء . والأبطح : المسيل الواسع للماء . (٢) وضاعة : ذات حسن وبهجة . وتنزح (من بابي منع وضرب) ، أى تنزح الهم وتفتنه وتذهب ، وأصله من نزع البئر ، وهو الاستقاء من ماؤها حتى ينفذ أو يقل . (٣) يزهر : يضيء ، ويتلألأ . ويريد «بالغمرة» : الماء الكثير . (٤) تمرح : من المرح (بالتحريك) ، وهو شدة الفرح . (٥) الحالك : الشديد السواد . واستروح إلى الشيء : سكن إليه واطمأن . (٦) الضمير في «أمرهم» للإنجليز . (٧) لا تمبطوا ، أى لا تعجلوا بالفرح وتهنئة بعضكم بعضاً بهذا الاستقلال المزعوم ، فإن حالتكم لم يغيرها هذا التصريح .

إِنَّ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ عَاهِدُوا * وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرْجِعُوا
 وَأَسَّسُوا دَارًا لِنُؤَابِكُمْ * لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْجَمَا أُنْفِجُوا ^(١)
 وَتَذَكِّرِ الْأُمَّةَ مِيثَاقَهَا * إِلَّا تَرَى عِزَّتَهَا تُجْرَحُ
 وَتَتَخَبُّ صَفْوَةَ آبَائِهَا * فَمِنْهُمْ الْمُخْلِصُ وَالْمُصْلِحُ
 وَلِيَتَّبِقِ اللَّهُ أَوْلُو أَمْرِهَا * أَنْ يَسْكُتُوا الْأَصْوَاتَ أَوْ يَرْفُحُوا ^(٢)

+

أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يَقُلْ حَازِرُوا * وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تَفْلِحُوا ^(٣)
 إِنِّي أَرَى قَيْدًا فَلَا تُسَلِّمُوا * أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدُ لَا يُسْبِجُ ^(٤)
 إِنَّ هَيَاوَهُ مِنْ حَسْرٍ لَكُمْ * فَهُوَ عَلَى لَيْنٍ بِهِ أُنْفِجُ
 حَتَّامٌ - وَالصَّبْرُ لَهُ غَايَةٌ - * لَغَيْرِنَا مِنْ يَتْرِنَا نَمْتَسِحُ؟ ^(٥)
 حَتَّامٌ - وَالْأَمْوَالُ مَشْفُوهَةٌ - * نَمْنَحُ إِلَّا (مِصْرَ) مَا نَمْنَحُ؟ ^(٦)
 حَتَّامٌ يُمِضِي أَمْرَنَا غَيْرِنَا * وَذَلِكَ بِالْأَحْرَارِ لَا يَمْلَحُ؟

(١) يلاحظ أننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : أنفحت له في المكان (بالهمز في قوله) ، والذي وجدناه أنه يقال : فدحت له فيه . قال تعالى : (فانسجوا بفسح الله لكم) .
 (٢) يريد بقوله « يرفحوا » : أنهم ينفون من خالفهم في سياستهم إلى ريف (بالتحريك) ، وهي مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة ، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح .

(٣) صابروا أعداءكم ، أي غالبوهم في الصبر .

(٤) لايسجج ، أي لايفرج عن تقيد به ولا يفلته .

(٥) منح الماء من البئر يمنحه منحا : استخرجه منها .

(٦) المشفوه : الذي كثرت عليه الأيدي حتى استنفد .

(١) أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَعْضِهِمْ * ظَنَّا وَقَدْ أَمْسَوْا وَقَدْ أَصْبَحُوا
 (٢) فَاتَهَزَّتْ أَعْدَاؤُنَا نُهْزَةً * فِينَا وَمَا كَانَتْ لَهُمْ تَسْنِجُ
 فَالرَّأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ أَنْ يُجْمَعُوا * فَإِنَّمَا إِجْمَاعُكُمْ أَرْجُ
 (٣) وَكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فِي صَدْعِكُمْ * فَإِنَّهُ فِي صَخْرَةٍ يَنْطَحُ
 أَخْشَى إِذَا اسْتَكْتَرْتُمْ بَيْنَكُمْ * مِنْ قَادَةِ الْأَرَاءِ أَنْ تُفْضَحُوا
 فَلتَقْصِدُوا مَا أَسْطَعْتُمْ فِيهِمْ * فَإِنَّمَا فِي الْقَيْلَةِ الْمَنْجَحُ

عيد الاستقلال

[نشرت في ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان : (بين القلطة والماتم)]

(٤) أَشْرِقَ فَدَتَكَ مَشَارِقُ الْإِصْبَاحِ * وَأَمِطَ لِثَامَكَ عَنِ نَهَارِ الضَّاحِي
 بُورِكَتَ يَا يَوْمَ الْخَلَاصِ وَلَا وَتَتْ * عَنْكَ السُّعُودُ بِغُدْوَةٍ وَرَوَاجِ
 (٥) بِاللَّهِ كُنْ يَمْنَا وَكُنْ بُشْرَى لَنَا * فِي رَدِّ مُغْتَرِبٍ وَفَكَ سَرَاخِ

(١) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية . وخر « أمسوا » « وأصبحوا » محذوف للعلم به ، أي أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن وآتاهم بعضهم بعضا بالحياة .
 (٢) النهزة : الفرصة . وتسنج : تلوح . (٣) يقال : نطح في صخرة ، إذا صعب عليه ما يريد من صدع وأنشقاق . وأصله من قول الأعشى :

كأطح صخرة يوما ليوهنا * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٤) أمط لثامك ، أي أكشف قناعك ؛ يخاطب عيد الاستقلال . والنهار الضاحي : المشرق .
 (٥) يشير بقوله « في رد مغترب ... الخ » : إلى المغفور له سعد زغلول باشا وكان منفيًا إذ ذاك في جبل طارق بعد أن كان مع صحبه في جزيرة سيشل .

- (١) أَقْبَلْتَ وَالْأَيَّامُ حَوْلَكَ مِثْلُ * صَفَيْنِ تَحْطِرُ خَطَرَةَ الْمِيَاكِ
 (٢) وَخَرَجْتَ مِنْ نُجْبِ الْغُيُوبِ مَجْجَلًا * فِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ أَلْفُ صَبَاحٍ
 لَوْ صَحَّ فِي هَذَا الْوُجُودِ تَسَاخُجٌ * لَرَأَيْتُ فِيكَ تَسَاخُجَ الْأَرْوَاحِ
 (٣) وَلَكُنْتُ يَوْمَ (اللابرنْت) بَعِينِهِ * فِي عِزَّةٍ وَجَلَالَةٍ وَسَمَاحٍ
 (٤) يَوْمَ يُرِيكَ جَلَالَهُ وَرُؤُؤَهُ * فِي الْحُسْنِ قُدْرَةَ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ
 (٥) خَلَعْتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حُلَّةَ عَسْجِدٍ * وَجَبَاهُ (أَذَارُ) أَرْقٍ وَشِجَاحٍ
 (٦) اللَّهُ أَثْبَتَهُ لَنَا فِي لَوْحِهِ * أَبَدَ الْأَيْدِي فَمَا لَهُ مِنْ مَاجِي
 (٧) حَيِّهِ عَنَّا يَا أَزَاهِرُ وَأَمَلْتِي * أَرْجَاءَهُ بِأَرْيَاحِ الْفَوَاحِ
 (٨) وَأَنْفَحَهُ عَنَّا يَا رَيْحُ بِكُلِّ مَا * أَطْلَعْتَ مِنْ رَنْدٍ وَنُورِ أَقَاجِ
 (٩) يَهْ يَا (فُؤَادُ) فَحَوْلَ عَرْشِكَ أُمَّةٌ * عَقَدَتْ خَنَاصِرَهَا عَلَى الْإِصْلَاحِ
 (١٠) أَبْنَاؤُنَا - وَهُمْ أَحَادِيثُ النَّدَى - * لَيْسُوا عَلَى أَوْطَانِهِمْ بِشِجَاحِ
 صَبَرُوا عَلَى مَرِّ الْخَطُوبِ فَأَدْرَكُوا * حُلُومِنِّي مَعْسُولَةَ الْأَقْدَاحِ

- (١) الميالك : المتبختر في مشيته ، وهو ضرب حسن من المشى . (٢) مججلا : مضينا .
 وأصله من التحجيل في الخيل ، وهو بياض في قوائمها . (٣) اللابرنْت : قصر أمنمحتب الثاني الذي
 اشتهر في قديم الزمان بعظمته ، وكان مقرا للحكومة . ويريد « بيومه » : أيام أمنمحتب التي كانت كلها
 خيرا وبركة على مصر . (٤) فائق الإصباح ، هو الله تعالى . (٥) المسجد : الذهب . وأذار :
 شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، تكثر فيه الأزهار . (٦) أبد الأيدى : كناية عن الدوام .
 (٧) أريح الزهر : رائحته . (٨) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والأفاحى : جمع
 أخوان ، وهو نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره صغيرة مفلجة ؛ وتشبه به التنوير . (٩) عقد
 الخناصر على الأمر : كناية عن الإجماع على القيام به . (١٠) الندى : الجود . وشجاء : بخلاء .

- (١) شاكى سلاح الصبر ليس بأعزّل * يغزوه ربّ عوامل وِصفاح
 الصبر - إن فكّرت - أعظم عدّة * والحق - لو يدرون - خير سلاح
 (٢) قد أنكروا حقّ الضعيف فهل أتى * إنكارُ ذاك الحقّ في إصّحاح؟
 (٣) كم خدرت أعصاب مضر نوافح * لوعودهم كنوافح التفاح
 (٤) فتعلّ المصيرى مغتبطا بها * أرايت طفلا علّوه بداح؟
 (٥) وتأتقوا في الخلف حتى أصبحت * أقوالهم تُدرى بغير رياح
 (٦) لما تنبه بالكفانة نائم * وأصات بالشكوى الأليمة صاحي
 (٧) وتكشفت تلك الغياهب وأنطوت * وبدت شمسُ الحقّ وهي ضواحي
 (٨) علموا بجمد الله أن قرارنا * في ظلّ غير الله غير متاح
 فاليوم قرى يا كنانة وأهدى * حرم الكفانة لم يكن بمباح
 من ذا يغير على الأسود بغابها * أو من يعوم بمسبح التمساح؟

- (١) شاكى سلاح الصبر، أى المتسلح به . والعوامل : هى صدور الراح مما يلى أستهما ؛ الواحد عامل وعاملة . والصفاح : السيوف . يقول : إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطمع فيه ذوالرخ والسيوف .
 (٢) الإصّحاح : من الأقسام التى تنقسم اليها أسفار التوراة والانجيل . يقول : هل أحل لكم إنكار حقّ الضعيف فى كتاب سماوى ؟
 (٣) نوافح التفاح : رواحه . وكان الشاعر يعتقد أن قفحة التفاح منومة ، فكان لهذا يكثر من شبهه وأكله ، نقل ذلك عنه أحد من أتضلوا به .
 (٤) الداح : نقش يلوح به للصبيان يعللون به .
 (٥) تأتقوا فى الخلف ، أى أتقنوه . وتدرى : تطير وتنتشر . (٦) أصات : صوت وصاح .
 (٧) الغياهب : الظلمات ؛ الواحد غيب . والضواحي : المشرقة . (٨) غير متاح : غير ممكن .

- (١) للنَّيْلِ بَجْدٍ فِي الزَّمَانِ مُؤْتَلٍ * مِنْ عَهْدِ (أَمُونِ) وَعَهْدِ (فَتَاحِ)
- فَسَلِ الْعُصُورَ بِهِ وَسَلِ آثَارَهُ * فِي (مِصْرَ) كَمْ شَهِدَتْ مِنَ السِّيَاحِ
- (٢) يَا صَاحِبَ الْقَطْرَيْنِ غَيْرِ مُدَافِعِ * مَا مِثْلُ مِصَاحِكَ فِي الْعُلَا مِنْ مِصَاحِ
- (٣) لَمْ يَبْدُ نُورٌ فَوْقَ نُورٍ يُجْتَلَى * كَالسَّاحِجِ فَسَوْقَ جَبِينِكَ الْوَضَاحِ
- (٤) ذَكَرْتَ بَعْرِيكَ (مِصْرُ) يَوْمَ وَلِيَّتَهُ * عَرْشِ (المُعِزِّ) بِهَا وَعَرْشِ (صَلَاحِ)
- (٥) فِي كُلِّ قُطَيْرٍ مِنْ جَلَالِكَ رَوْعَةٌ * وَلِكُلِّ قُطَيْرٍ مِنْكَ ظِلٌّ جَنَاحِ
- لَكَ (مِصْرُ) وَ(السُّودَانُ) وَالنَّهْرُ الَّذِي * يَجْتَالُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ بَطَاحِ
- (٦) وَبَوَاسِقِ (السُّودَانِ) تَشْهَدُ أَنَّهَا * غَيْرَتَتْ بِعَهْدِ جُدُودِكَ الْفَتَاحِ
- (٧) لَا غَرْوَ إِنْ غَنَى بِمَدْحِكَ صَاحِجٌ * أَوْ مُسْجِجٌ فِي حَلْبَةِ الْمُدَاحِ
- (٨) حُسْنُ الْغِنَاءِ مَعَ الصَّبَاحِ كُحْسِنِهِ * عِنْدَ الْخَيْرِ بِهِ مَعَ الْإِسْبَاحِ

- (١) المؤتل : المؤصل الثابت . وأمون : كان أجل معبود لقدماء المصريين حتى عهد اخناتون ، وكان اسمه يدج في أسماء الملوك ، فيقال : أمينحوب . وفتاح : يريد به مفتاح بن رمسيس الثاني .
- (٢) صاحب القطرين : ملك مصر والسودان . (٣) يجتلى : يرى .
- (٤) يريد « بالمعز » : المعز لدين الله الخليفة الفاطمي المعروف . و « بصلاح » : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .
- (٥) يشير بهذا البيت الى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق .
- (٦) البواسق : الأشجار المرتفعة ؛ الواحدة : باسقة .
- (٧) مسجج ، الصواب فيها : ساجج ، أى ساجع في غنائه كما تسجع الحمامة ، اذ المستعمل في هذا المعنى « مسجج » لا « أمسجج » . يقول : سيات من رفع صوته بمدحك ، أو من أرسله في هدوه وابن .
- (٨) يريد بالإسباح : السجع بالغناء ؛ وقد تقدم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال في الحاشية التي قبل هذه .

- (١) أولم يكن لك ملك مصر ونيها * ينساب بين مروجها الأفياح؟
 (٢) منضورة الجنات حالية الربا * مطلولة السرحات والأرواح
 (٣) قد قال (عمرو) في ثراها آية * مأثورة نُقِشت على الألواح:
 بينا ترأه لآلقا وكأتما * ثرت برثته ععود ملاح
 وإذا به للناظرين زمرد * يشفيك أخضره من الأتراح
 (٤) وإذا به مسك تُسُق سواده * شق الأديم حارث الفلاح
 البرتان تهيأت أسبابه * لم يبق من سبب سوى المفتاح
 هو في يدك وديعة لرعية * تُثني بالسنة عليك فصاح
 (٥) ردّ الوديعة يا (قواد) فإنما * ردّ الوديعة شيمة المساح
 (٦) وأنهض بشعبك يا (قواد) إلى العلا * وإلى مكان في الوجود براح

- (١) المروج : الأراضى الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح ، أى الواسعة .
 (٢) منضورة : حسنة بهيجة . وجمالية الربا ، أى مكسرة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات .
 ومطلولة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسرحات : جمع سرحة ، وهى الشجرة
 العظيمة . والأرواح : الرياح . (٣) يريد "بعمر" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير
 "بالآية" : إلى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأمبر المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا
 جاء منه هذه المعاني التى يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد . (٤) يشير بهذا البيت والبيتين
 اللذين قبله إلى أحوال ثلاث : حال ثرية مصر أيام الفيضان والماء يفسرها ، ثم حالها وقد تكشفت
 عنها المياه وكما النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشيها
 فى الحالة الأولى بالؤلؤ فى بياضه ، وفى الثانية بالزمرد فى خضرته ، وفى الثالثة بالمسك فى سواده . وقد
 وردت هذه المعاني فى وصف عمرو لمصر . (٥) المساح : الكثير المساح . (٦) البراح :
 المكان الذى لاسترة فيه من شجر وغيره ؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

- (١) فَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْحَلَائِقُ أَنَّنَا * طُلَّابُ حَقِّ فِي الْحَيَاةِ صِرَاحِ
 (٢) هَذَا مَنَارُ الْبَرْتَانِ أَمَامَكُمْ * لَهْدَى السَّبِيلِ كِلَابِرَةَ الْمَلَّاحِ
 (٣) قَتِّمُّوه مُخْلِصِينَ مَا لَكُمْ * مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبْطَةٍ وَفَلَاحِ
 (٤) الْفَصْلُ لِلشُّورَى وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي * تَرَعُ الْهَوَى وَتَرُدُّ كُلَّ بَحَّاحِ
 هِيَ لَا تَضِلُّ سَبِيلَهَا فَكَأَنَّمَا * خُلِقَ السَّبِيلُ لَهَا بِغَيْرِ نَوَاحِي
 (٥) هِيَ - لَا بَرَّاحَ - تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وَتَقْلُ غَرْبَ الْغَاصِبِ الْمُجْتَبَّاحِ
 (٦) فَتَكْنُفُوا الشُّورَى عَلَى اسْتِقْلَالِكُمْ * فِي الرَّأْيِ لَا تُوْحِيهِ بِه تَزَعَةٌ وَاحِي
 وَيَدُ الْإِلَهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَأَضْرِبُوا * بَعْصَا الْجَمَاعَةِ تَنْظَفِرُوا بَنَجَّاحِ
 (٧) كُونُوا رِجَالًا عَامِلِينَ وَكَذَّبُوا * وَالصَّبْحُ أَبْلَجُ ، حَامِلَ الْمِصْبَاحِ
 وَدَعُوا التَّخَاذُلَ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّمَا * شَبَّحُ التَّخَاذُلِ أَنْكَرُ الْأَشْبَاحِ

- (١) الصراح (بالكسر) وهو أنصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذي لا شائبة فيه .
 (٢) إبرة الملاح : هي التي يتبين بها الجهات ويهتدى بها في السير .
 (٣) تيمموه ، أى اقصروا إليه .
 (٤) ترع الهوى : تكفه وترزبه .
 (٥) لا برّاح ، أى لا ريب . وقيل : تنلم وتكسر . والغرب : الحد .
 (٦) تكنفوا الشورى : أحبطوا بها والزموها . وقوله « لا توحيه نزعته واحي » ، أى اصبروا
 عن رأيكم ولا تلقوا الأمر عن غيركم . والواحي : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .
 (٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليوناني ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى
 سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد نرج يوما في راحة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا
 الفيلسوف الذي ينكر وجود رجل يعتمد به ويعتمد عليه .

- (١) والله ما بلغ الشقاء بنا المدى * بسوى خلاف بيننا وتلاحي
 (٢) قم يا بن (مصر) فانت حر واستعد * تجدد الجود ولا تعد ليراج
 شمر وكافح في الحياة فهذه * ذنباك دار تناحر وكفاج
 (٣) وانهل مع النهل من عذب الحيا * فاذا رقا فامتح مع المتاج
 (٤) واذا ألح عليك خطب لا تهن * واضرب على الإلحاج بالإلحاج
 وخض الحياة وإن تلامم موجهها * خووض البحار رياضة السباح
 (٥) واجعل عيانتك قبل خطوك رائدا * لا تحسبن الغمر كالضحضاح
 (٦) واذا اجتوتك محلة وتكثرت * لك فاعدها واتزح مع التزاح
 في البحر لا تثيبك نار بواريج * في البر لا يلويك فاب رماح
 (٧) وأنظر إلى القربى كيف سمت به * بين الشعوب طيعة الكداح
 والله ما بلغت بنو القربى المنى * إلا يليات هناك مهاج
 (٨) ركبوا البحار وقد تجدد ماؤها * والجووين تناوح الأرواح

- (١) التلاحي : النعاصم . (٢) يريد « بالمراج » : الأخذ في أسباب الفرح واللهم .
 (٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . وراق (مسبل من
 رقا بالهمز) ، بمعنى جف واقطع . والتمح : ترح الماء من البئر . ينصح المصري بأن يرد موارد الحياة مهلها
 وصعبها . (٤) لاتهن ، أى لا تذل ولا تضعف . (٥) الغمر : الماء الكثير . والضحضاح :
 الماء القريب النور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا بنا بك منزل ، وتعدرت عليك الإقامة به
 فاجهره إلى غيره وارتمل منه مع المرتحلين . (٧) الكداح : الجادة المجتهد في العمل .
 (٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

- (١) والبر مصهور الحصى متأججا * يرمى بتزاع الشوى لواح
 (٢) يلقى قتيهم الزمان بهمة * عجب ووجه في الخطوب وقاح
 (٣) ويسقى أجواز القفار مغامرا * وعمر الطريق لديه كالصحصاح
 (٤) وأبن الكنانة في الكنانة راكدا * يرنو بعين غير ذات طماج
 (٥) لا يستغل - كما علمت - ذكاه * وذكاؤه كالحايط اللجاج
 (٦) أمسى كماء النهر ضاع فسرته * في البحر بين أجاجه المنداح
 (٧) فأنهض ودع شكوى الزمان ولا تسع * في فادح البؤسى مع الأنواع
 (٨) وأربح لمصر برأس مالك عزة * إن الذكاء جباله الأرباج
 (٩) وإذا رزقت راسة فانسج لها * بردين من حزم ومن إسجاج
 (١٠) واشرب من الماء القراح منعا * فلكم وردت الماء غير قراح

- (١) المصهور : الذى أصابه الحتر وحى عليه . والمتأجج : الملتهب . والشوى : اليدان والرجلان
 وحقق الرأس . يصف البر بأنه يقذف بحتر شديد ينزع الشوى . وفى القرآن فى وصف النار : (كلا إنها
 لظى نزاغة للشوى) . ولواح ، أى حتر مغير للألوان . (٢) وقاح : مجترى .
 (٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .
 (٤) يرنو : ينظر . والطماج : الطموح والتطلع إلى المجد .
 (٥) الحايط اللجاج : البرق .
 (٦) القرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المنبسط المتسع .
 (٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواع : النائمات .
 (٨) جباله الصائد : الشرك الذى يصيد به .
 (٩) الإسجاج : حسن العفو .
 (١٠) الماء القراح : الصافي الخالص . يريد العيش الصافي من الأكدار .

من قصيدة في شؤون مصر السياسية

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدق باشا

وقد نظمتها حافظ بعد إحاطته إلى المعاش في سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت

لم نشر منها إلا على هذه الأبيات

قَدِّمِ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ * وَأَبْنُ الْكِنَانَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ
صَبُّوا الْبَلَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَنُصِفُهُمْ * يَجِي الْبِلَادَ وَنُصِفُهُمْ حُكَّامُ
أَشْكُو إِلَى (قَصْرِ الدُّبَارَةِ) مَا جَنَى * (صَدِيقِ الْوَزِيرِ) وَمَا جَنَى (عَلَامُ)^(١)

ومنها في الإنجليز :

قُلْ لِلْحَايِدِ هَلْ تَهَيْدَتْ دِمَاءَنَا * تَجْرِي وَهَلْ بَعْدَ الدَّمَاءِ سَلَامُ؟^(٢)
سُفِكَتْ مَوَدُّتُنَا لَكُمْ وَبَدَا لَنَا * أَنْتَ الْحِيَادُ عَلَى الْخِصَامِ لِثَامُ
إِنَّ الْمَرَاجِلَ شَرُّهَا لَا يُتَّقَى * حَتَّى يَنْفَسَ كَرِيمٌ صِهَامُ^(٣)
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يَمْنَى نَفْسَهُ * بُوْدَادِكُمْ فُوْدَادِكُمْ أَحْلَامُ
أَمِنَ السِّيَاسَةَ وَالْمُرُوَّةَ أَنَّنَا * نَشْقَى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صُفُوفَنَا * سَمُّوتُ أَوْ تَجِبَا وَنَحْنُ كِرَامُ

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدق باشا :

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي مَحْرَابِهِ * الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
لَا هُمْ أَحَى ضَمِيرَهُ لِيَدُوقَهَا * غُضَبًا وَقَسِيفَ نَفْسَهُ الْآلَامُ

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله «وما جنى علام» : إلى ما كانوا يجربونه من الأموال إعانة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله «الحايد» : إلى أن الإنجليز في هذه الفترة التي قُبلت فيها هذه الأبيات كانوا يدعون الحياذ في الشؤون المصرية . (٣) المراجيل : القنود .

إلى الإنجليز :

[نشرت في ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(١) بنيتم على الأخلاقِ أساسَ ملككم * فكان لكم بين الشعوبِ ذمامٌ
 (٢) فما لي أرى الأخلاقَ قد شابَ قرنُها * وحلَّ بها ضعفٌ ودبَّ سقامٌ
 أخاف عليكم عثرةٌ بعد نهضة * فليس لملك الظالمينِ دوامٌ
 أضعمُ وداداً لو رصيمُ عهدِهِ * لما قامَ بين الأمتينِ خصامٌ
 (٣) أبعدَ حيايدٍ لا رعى الله عهدَهُ * وبعدَ الجروحِ الناهراتِ ولامٌ
 (٤) إذا كانَ في حُسنِ التفاهيمِ موثماً * فليس على باغي الحياةِ ملامٌ

إلى المندوب السامي

[نشرت في ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(٥) ألم ترفى الطريقِ إلى (كياد) * تصيدُ البطَّ بؤسَ العالمينا؟
 ألم تلمعَ دُموعَ الناسِ تجرى * من البسوى ألم تسمعَ أيننا؟
 ألم تُخبرني التاميزِ عناً * وقد بعثوك مندوباً أميناً
 بأننا قد لمسنا الغدرَ لمساً * وأصبحَ ظننا فيكم يقيناً؟

- (١) الذمام : الحق والحزمة . (٢) القرن : الذرابة من الشعر .
 (٣) الناهرات : الداميات . (٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم يجلب
 لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيراً لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بالعلم
 الشرقية اعتاد أن يذهب إليها المندوب السامي وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

- (١) أولم يكن لك ملك مصر ونيلها * ينساب بين مروجها الأفياح؟
 (٢) منضورة الجنات حالية الربا * مطلولة السرحات والأرواح
 (٣) قد قال (عمرو) في تراها آية * ماثورة قشيت على الألواح:
 بينا ترأه لآلئنا وكأتما * ثرت بقرينه عقود ملاح
 وإذا به للناظرين زمرد * يشفيك أخضره من الأتراح
 (٤) وإذا به مسك تشق سواده * شق الأديم محارث الفلاح
 البرلمان تهيأت أسبابه * لم يبق من سبب سوى المفتاح
 هو في يديك وديعة لرعية * ثنني بالسنة عليك فصاح
 (٥) رد الوديعه يا (فؤاد) فإنما * رد الوديعه شيمه المسماح
 (٦) وأنهض بشعبك يا (فؤاد) إلى العلاء * وإلى مكان في الوجود براج

(١) المروج : الأراضي الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح ، أى الواسعة .

- (٢) منضورة : حسنة بهيجة . وجالية الربا ، أى مكسوة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات . ومطلولة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسرحات : جمع سرحة ، وهى الشجرة العظيمة . والأرواح : الرياح . (٣) يريد "عمرو" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير "بالآية" : إلى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا جاء منه هذه المعاني التى يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد . (٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى أحوال ثلاث : حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يغمرها ، ثم حالها وقد تكشفت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشيها في الحالة الأولى باللؤلؤ في بياضه ، وفي الثانية بالزمرد في خضرته ، وفي الثالثة بالمسك في سواده . وقد وردت هذه المعاني في وصف عمرو لمصر . (٥) المسماح : الكثير المسماح . (٦) البراح : المكان الذى لاسترة فيه من شجر وغيره ؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

- (١) فالله يشهد والخلائق أننا * طَلَبُ حَقِّ فِي الْحَيَاةِ صِرَاحِ
 (٢) هَذَا مَنَارُ الْبَرْتَانِ أَمَامَكُمْ * هُدَى السَّبِيلِ كِابِرَةُ الْمَلَّاحِ
 (٣) فَيَمِّمُوهُ مُخْلِصِينَ مَا لَكُمْ * مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبْطَةٍ وَفَلَاحِ
 (٤) الْفَصْلُ لِلشُّورَى وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي * تَزَعُ الْهَوَى وَتَرُدُّ كُلَّ جِحَاحِ
 هِيَ لَا تَفِضُّ سَبِيلَهَا فَكَأَنَّمَا * خُلِقَ السَّبِيلُ لَهَا بِغَيْرِ نَوَاحِي
 (٥) هِيَ - لَا بَرَّاحَ - تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وَتَقُلُّ غَرْبَ الْغَاصِبِ الْمُجْتَبَاحِ
 (٦) فَتَكْتَفُوا الشُّورَى عَلَى اسْتِقْلَالِكُمْ * فِي الرَّأْيِ لَا تُوجِيهِ بِهِ نَزْعَةٌ وَاحِي
 وَيَدُ الْإِلَهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَأَضْرِبُوا * بَعْصَا الْجَمَاعَةِ تَطْفَرُوا بِنَجَاحِ
 (٧) كُونُوا رِجَالًا عَامِلِينَ وَكَذَّبُوا * وَالصَّبِيحُ أَبْلَجٌ ، حَامِلُ الْمِصْبَاحِ
 وَدَعُوا التَّخَاذُلَ فِي الْأُمُورِ فَلِئِمَّا * شَبَّحُ التَّخَاذُلِ أَنْكَرُ الْأَشْبَاحِ

- (١) الصراح (بالكسر) وهو أنصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذي لا شائبة فيه .
 (٢) إبرة الملاح : هي التي يتبين بها الجهات ويهتدى بها في السير .
 (٣) تيممه ، أى اقصدها إليه .
 (٤) تزع الهوى : تكفه وتزجره .
 (٥) لا برّاح ، أى لا ريب . وتقل : تثل وتكسر . والغرب : الحد .
 (٦) تكتفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توجيه نزعة واحي » ، أى اصدروا
 عن رأيكم ولا تلقوا الأمر عن غيركم ، والواحي : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .
 (٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليوناني ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى
 سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد نرج يوما في راحة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا
 الفيلسوف الذي ينكر وجود رجل يعتد به ويعتمد عليه .

(١) والله ما بلغ الشقاء بنا المدى * بسوى خلاف بيننا وتلاحي
 (٢) قم يا ابن مصر) فانت حر واستعد * تجدد الحدود ولا تعد لي راج
 شمر وكافح في الحياة فهذه * ذنباك دار تناحر وكفاج
 (٣) وانهل مع النهل من صنب الحيا * فاذا رقا فامتج مع المتاج
 (٤) واذا ألح عليك خطب لا تهن * واضرب على الإلحاج بالإلحاج
 وخض الحياة وإن تلاطم موجها * خوؤس البحار رياضة السباح
 (٥) واجعل عيانك قبل خطوك رائدا * لا تحسبن الغمر كالضخضاج
 (٦) واذا اجتوتك محلة وتنكرت * لك فاعدها واترح مع التراج
 في البحر لا تثليك نار بوارج * في البر لا يلويك غاب رماح
 وأنظر إلى الغربى كيف تمت به * بين الشعوب طيعة الكداج
 والله ما بلغت بنو الغربى المنى * إلا بيئات هناك صحاح
 (٨) ركبوا البحار وقد تجدد ماؤها * والجووين تناوح الأرواح

- (١) التلاحي : التخاصم . (٢) يريد « بالمراح » : الأخذ في أسباب الفرج واللهم .
 (٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . وراق (سهل من
 رقا بالهمز) ، بمعنى جف واقطع . والترح : ترح الماء من البئر . ينصح المصرى بأن يرد موارد الحياة سهلها
 وصعبها . (٤) لا تهن ، أى لا تذل ولا تضعف . (٥) الغمر : الماء الكثير . والضخضاج :
 الماء القريب الفور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا بنا بك منزل ، وتعلت عليك الإقامة به
 فاهجره إلى غيره وارتمل منه مع المرتحلين . (٧) الكداج : الجادة المجهتة في العمل .
 (٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

- (١) والبرّ مَصْهُورَ الحَصَى مُتَأَجِّجًا * يرمى بتزّاع الشّوى لَوَاجِ
(٢) يَلْتَقِي فَيَتِيهُمُ الزَّمَانُ بِهَيْمَةٍ * عَجِبَ وَوَجِهَ فِي الخَطُوبِ وَقَاجِ
(٣) وَيَشْقُ أَجْوَازَ القِفَارِ مُغَامِرًا * وَعَرُّ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كَالصَّحْصَاحِ
(٤) وَأَبْنُ الكِنَانَةِ فِي الكِنَانَةِ رَاكِدٌ * يَرْنُو بِعَيْنٍ غَسِيرٍ ذَاتِ طِمَاحِ
(٥) لَا يَسْتَعِجِلُ - كَمَا عَلِمْتَ - ذَكَاءَهُ * وَذَكَاءُهُ كَالخَاطِيفِ اللَّحَاحِ
(٦) أَمْسَى كَمَا النُّهْرِ ضَاعَ فُرَاتُهُ * فِي البَحْرِ يَبْتَزُّ أَجَايِجَ المُنْدَاحِ
(٧) فَانْهَضَ وَدَعَّ شَكْوَى الزَّمَانِ وَلَا تَمُحُ * فِي فَادِجِ البُسْؤَى مَعَ الأنْوَاكِ
(٨) وَأَرْبَعٌ لِمَصْرَ برَأْسِ مالِكِ عِزَّةٌ * إِنَّ الذِّكَاةَ جُبَالَةَ الأَرْبَاجِ
(٩) وَإِذَا رُزِقَتْ رَأْسَةً فَانْسُجْ لَهَا * بَرْدَيْنِ مِن حَزِيمٍ وَمِنْ إِسْبَاجِ
(١٠) وَاشْرَبْ مِنَ المَاءِ القَرَّاحِ مُنْعَمًا * فَلَكُمْ وَرَدَّتْ المَاءَ غَيْرَ قَرَّاحِ

- (١) المصهور : الذى أصابه الحزوحى عليه . والمتأجج : المتهب . والشوى : اليدان والرجلان
وقحف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بحجر شديد ينزع الشوى . وفي القرآن فى وصف النار : (كلا إنها
لظى نزاغة للشوى) . ولواج ، أى حر مغير للألوان . (٢) وقاج : مجترى .
(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .
(٤) يرنو : ينظر . والطموح : الطموح والتطلع إلى المجد .
(٥) الخاطف اللحاح : البرق .
(٦) الفرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المنبسط المتسع .
(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواج : النائمات .
(٨) جبالة الصائد : الشرك الذى يصيد به .
(٩) الإسباج : حسن العفو .
(١٠) الماء القراح : الصافى الخالص . يريد العيش الصافى من الأكدار .

من قصيدة في شؤون مصر السياسية

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدق باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالة إلى المعاش في سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت

لم نعر منها إلا على هذه الأبيات

قَد مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ * وَأَبْنُ الْكِنَانَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ
صَبُّوا الْبَلَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَنَصَفُهُمْ * يَجِي الْبِلَادَ وَنِصْفُهُمْ حُكَّامُ
أَشْكُو إِلَى (قَصْرِ الدُّبَارَةِ) مَا جَنَى * (صَدِيقِي الْوَزِيرُ) وَمَا جَنَى (عَلَامُ)^(١)

ومنها في الإنجيز :

قُلْ لِلْحَائِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِمَاءَنَا * تَجْرِي وَهَلْ بَعْدَ الدَّمَاءِ سَلَامُ؟^(٢)
سُفِكَتْ مَوَدَّتُنَا لَكُمْ وَبَدَأْنَا * أَنْتَ الْحِيَادَ عَلَى الْخِصَامِ لِثَامُ
إِنَّ الْمَرَاجِلَ شَرُّهَا لَا يُتَّقَى * حَتَّى يُنْفَسَ كَرْبَهُنَّ صِمَامُ^(٣)
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمَنِّي نَفْسَهُ * بِيُودَادِكُمْ فَيُودَادِكُمْ أَحْلَامُ
أَمِنَ السِّيَاسَةَ وَالْمُرُوءَةَ أَنَّنَا * تَشَقَّى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صُفُوفَنَا * سَمَّوْتُ أَوْ تَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدق باشا :

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي مَحْرَابِهِ * الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
لَا هُمْ أَحْيَى ضَمِيرَهُ لِيَذُوقَهَا * غُصَصًا وَتَسِيفَ نَفْسَهُ الْآلَامُ

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله « وما جني علام » : إلى ما كانوا يجبونه من الأموال لإغاثة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله « الحاييد » : إلى أن الإنجليز في هذه الفترة التي قبلت فيها هذه الأبيات كانوا يدعون الحيايد في الشؤون المصرية . (٣) المراجيل : القنود .

إلى الإنجليز :

[نشرت في ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(١) بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ * فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمَامٌ
 (٢) فَإِنِّي أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا * وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامٌ
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَثْرَةً بَعْدَ نَهْضَةٍ * فَلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوَامٌ
 أَضَعْتُمْ وِدَادًا لَوْ رَعَيْتُمْ عَهْدَهُ * لَمَا قَامَ بَيْنَ الْأُمَمِينَ خِصَامٌ
 (٣) أَبَعَدَ حَيَادٍ لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهُ * وَبَعَدَ الْجُرُوحِ النَّاعِرَاتِ وَوَلَامٌ
 (٤) إِذَا كَانَ فِي حُسْنِ التَّفَاهِيمِ مَوْثًا * فَلَيْسَ عَلَى بَاغِي الْحَيَاةِ مَلَامٌ

إلى المندوب السامي

[نشرت في ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(٥) أَلَمْ تَرَفِ الطَّرِيقَ إِلَى (كِيَادِ) * تَعْصِيدُ الْبَطِّ بُوَسَّ الْعَالِيَيْنَا؟
 أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجْرِي * مِنْ الْبَلَوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أَيْنِنَا؟
 أَلَمْ تُخْبِرْ نَبِيَّ التَّامِيرِ عَنَّا * وَقَدْ بَعَثُوكَ مَنْدُوبًا أَيْمِنَا
 بَأَنَّا قَدْ لَمَسْنَا الْفَدْرَ لَمَسًا * وَأَصْبَحَ ظَنَّنَا فِيكُمْ يَقِينَا؟

- (١) الذمام : الحق والحرمه . (٢) القرن : الذوابة من الشعر .
 (٣) الناعرات : الداميات . (٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم يجلب
 لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بالعلم
 الشرقية اعتاد أن يذهب إليها المندوب السامي وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

(١) كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمْ فَلَسْتُمْ * وَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ مُجَايِدِينَا
 (٢) سَنُجِيعُ أَمْرَنَا وَتَرَوْنَا مِنَّا * لَدَى الْجُلَى كِرَامًا صَابِرِينَا
 (٣) وَنَأْخُذُ حَقَّنَا رَغْمَ الْعَوَادِي * تُطِيفُ بِنَا وَرَغْمَ الْقَاسِطِينَا
 (٤) ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قَادَتِنَا نِعْلَاقًا * مِنَ الثَّرِيَانِ يَمِي الدَّارِصِينَا
 (٥) عَلَى رَغْمِ الْمُرُوءَةِ قَدْ ظَفَرْتُمْ * وَلَكِنْ بِالْأَسْوَدِ مُصَفِّدِينَا

الأخلاق والحياد

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدعون الحياد في الشؤون المصرية

[نشر في ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

(٦) لَا تَذْكُرُوا الْأَخْلَاقَ بَعْدَ حَيَادِكُمْ * فَمُصَابِكُمْ وَمُصَابِنَا سِيَانِ
 (٧) حَارَبْتُمْ أَخْلَاقَكُمْ لِتُحَارِبُوا * أَخْلَاقَنَا فَتَأَلَّمِ الشُّعْبَانِ

(١) لم نجد في كتب اللغة (النوايا) جمع نية، كما استعمله الشاعر هنا، وهو جمع شائع في كلام أهل مصر، وهو من غلطاتهم؛ والقياس: نيات - وبرح الخفاء، أى وضع الأمر وتبين - (٢) الجلى: النازلة الشديدة - (٣) القاسطون: الظالمون - (٤) الدارصون: لابسو اللروع - يشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من سجن وفقى واعتقال ومحاصرة بيوتهم بالجنود - (٥) المصفد: المقيد - (٦) يخاطب الإنجليز في هذا البيت ويقول: إنكم بهذا الحياد المكذوب تضيعون ما عرقتم به من الأخلاق الفاضلة، فلا تدعوها لكم بعد، فصابكم في الأخلاق بهذا الطمع والظلم كما صابنا باحتلالكم - (٧) يشير (بالأخلاق) المضادة الى الإنجليز في هذا البيت الى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف - وبالأخلاق المضادة لنا، الى ما أظهرناه في نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمساك بحقوق البلاد - يقول - إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر في سبيل محاربة أخلاقنا، فكلا الشعبين متألم، لأنه يحارب فيما طبع عليه -

ثمن الجهاد

[نشرت في ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لقد طال الجهاد ولم تكفوا * أما أرضاكم ثمن الجهاد ؟
أخذتم كل ما تبغون منا * فما هذا التحكم في العباد ؟
بلونا شدة منكم ولينا * فكان كلاهما ذر الرماد
وسالتم وعاديتم زمانا * فلم يغن المسلم والمعادى
فليس وراءكم غير التجنى * وليس أمامنا غير الجهاد

إلى الإنجليز

[نشرت في ٢٨ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

حولوا النيل وأججوا الضوء عنا * وأطمسوا النجم وأحرمونا النسيان
وأملئوا البحر إن أردتم سفينا * وأملئوا الجو إن أردتم رجوما
وأقيموا للعسف في كل شبر * (كنستبلا) بالسوط يفري الأديما^(١)
إننا لن نحول عن عهد مضر * أو ترونا في التراب عظاما رميا
عاصف صان ملككم وحمائم * وكفأكم بالأمس خطبا جيسيا

(١) العسف : الظلم والأخذ بالقوة . ويفري الأديم : يشق الجلد .

(١)
 ظَالَ (أَرْمَادَةً) الْعَدُوِّ فَفُزْتُمْ * وَبَلَّغْتُمْ فِي الشَّرْقِ شَأْوًا عَظِيمًا
 فَعَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وَبَغَيْتُمْ * وَتَرَكْتُمْ فِي النَّيْلِ عَهْدًا ذَمِيمًا
 فَشَهِدْنَا ظُلْمًا يُقَالُ لَهُ الْعَدُّ * لُ وَوُدًّا يَسْبِقِي الْحَمِيمَ الْحَمِيمًا (٢)
 فَاتَّقُوا غَضَبَةَ الْعَوَاصِفِ إِنِّي * قَدْ رَأَيْتُ الْمَصِيرَ أَمْسَى وَخِيَا

الحِيَادُ الْكَاذِبُ

[نشرت في سنة ١٩٣٢م]

(قَصَرَ الدُّبَارَةَ) قَدْ تَقَضَّ * تَتَّ الْعَهْدَ تَقَضَّ الْغَاصِبِ
 أَخْفَيْتَ مَا أَصْمَرْتَهُ * وَأَبْنَتَ وَدَّ الصَّاحِبِ
 الْحَرْبُ أَرْوَحُ لِلنَّفْوِ * سِ مِنْ الْحِيَادِ الْكَاذِبِ

جلاء الإنجليز عن مصر

قالها تنديدا بكتاب فرنسي كان قد زعم أن جلاء الإنجليز عن مصر سيكون في أكتوبر

كم حددوا يوم الجلاء الذي * أصبح في الإبهام كالمحشر
 وسن قوم الطيش من جهلهم * كذبة (إبريل لأكتوبر)

(١) ظال : أهلك . وأرمادة : هي الأسطول الأسباني الذي كان يريد مهاجمة الأسطول الإنجليزي في القرن السادس عشر ، فتحطم بعاصفة شديدة حالت بينه وبين مهاجمته . وإلى هذه القصة يشير الشاعر بهذا البيت والذي قبله . ويشير بقوله « وبلغتم في الشرق » : إلى كثرة مستعمرات الإنجليز فيه .
 (٢) يريد « بالحميم » الأول : الصديق . و« بالحميم » الثاني : الشراب الشديد الحرارة .

الامتيازات الأجنبية

- (١) سَكَتُ فَأَصْفَرُوا أَدْبِي * وَقُلْتُ فَأَكْبَرُوا أَرْبِي
- وما أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ * به ضاق الرِّجاءُ وبِي؟
- وهل (في مِصرَ) مَفْخَرَةٌ * سِوَى الْأَلْقَابِ وَالرُّتَبِ؟
- (٢) وَذِي إِرْثٍ يُكَاثِرُنَا * بِمَالٍ خَيْرٍ مَكْتَسَبٍ
- (٣) وَفِي الرُّومِيِّ مَوْعِظَةٌ * لِشَعْبٍ جَدَّ فِي اللَّعِبِ
- (٤) يُقْتَلُنَا بِلا قَوْدٍ * وَلَا دِيَّةٍ وَلَا رَهْبٍ
- (٥) وَيَمِشِي نَحْوَ رَأْيَيْهِ * فَتَحْمِيهِ مِنَ الْعَطْبِ
- فَقُلْ لِلْفَائِرِينَ : أَمَا * لِمَذا الْفَخْرِ مِنْ سَبَبٍ؟
- (٦) أَرُونِي بَيْنَكُمْ رَجُلًا * رَكِينًا وَاضِعَ الْحَسَبِ
- (٧) أَرُونِي نِصْفَ مُخْتَرِعٍ * أَرُونِي رُبْعَ مُحْتَسِبٍ؟
- أَرُونِي نَادِيًا حَفْلًا * بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ؟
- وماذا فِي مَدَارِسِكُمْ * مِنْ التَّعْلِيمِ وَالْكِتَابِ؟

- (١) الأرب : العقل . . (٢) كآثره بماله : فآثره بكثرة .
- (٣) يريد « بالشعب » : الشعب المصري . وجد في اللب : أي استمر عليه وواظب .
- (٤) القود : القصاص . والرهب (بالتحريك) : الخوف . (٥) العطب : الهلاك .
- (٦) الركين : الرزين . (٧) يريد « بالاحتساب » : العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها على أحسن وجه ؛ ومنه قولهم : « فلان محتسب البلد » .

- وماذا في مساجيدكم * من التبين والخطب؟
وماذا في صحائفكم * سوى التويه والكذب؟
حصائد أسن جرت * إلى الولايات والحرب^(١)
فهبوا من مراقيدكم * فإك الوقت من ذهب^(٢)
فهذي أمة (اليابا) * (ن) جازت دائرة الشهب^(٣)
فهامت بالعلاشفقا * وهننا بأبنة العنب

(١) حصائد الألسنة : ما تقطعه من الكلام الذي لا خير فيه ، الواحدة حصيد ، تشبها به بما يحصد من الزرع إذا جذ . وفي حديث معاذ : « وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد السهم » . والحرب (بالتحريك) : الهلاك .
(٢) الدارة : المنزل .
(٣) ابنة العنب : التمر .

الشكوى

الى محمد الشيمى بك المحامى بطنطا

قال حافظ هذين البيتين وكان يعمل بمكتبه فى أول شبابه قبل

انتظامه فى سلك المدرسة الحربية ، ثم تركه لخلاف وقع بينهما

جرابٌ حظى قد أفرغته طمعا * بباب أستاذنا (الشيمى) ولا عجباً

(١) فسادلى وهو مملوء فقلت له : * بما؟ فقال من الحسرات وأحرباً

الى آدم أبى البشر

(٢) سليل الطين كم نلنا شقاء * وكم نخطت أناملنا ضريماً

(٣) وكم أزرّت بنا الأيام حتى * فدت بالكبش (إسحاق) الذبيحاً

- (١) سكن السين فى « الحسرات » لضرورة الوزن ، والحرب بالتحريك : الهلاك .
(٢) سليل الطين ، يريد آدم أبا البشرية السلام . وخط القبر : حفره . يقول لآدم : تركت
بنيك يعبت بهم الشقاء والفتاء .
(٣) أزرّت بنا الأيام ، أى تهاونت بنا ، ووضعت
من شأننا . وإسحاق الذبيح ، هو نبي الله إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ؛ وقد اختلف
العلماء فى الذبيح من ولدى إبراهيم ، فقيل : هو إسحاق كما هنا ، وقيل : هو إسماعيل . وقصة هذا الذبيح
والفداء مشهورة ؛ وقد قصها الله تعالى فى القرآن ، إذ قال تعالى فى سورة الصافات : (فلما بلغ معه السعى
قال يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) الآيات .

- (١) وِبَاعَتْ (يُوسُفًا) بَيْعَ الْمَوَالِي * وَأَلْقَتْ فِي يَدِ الْقَوْمِ (الْمَسِيحًا)
- (٢) وَيَا (نُوحًا) جَنَيْتَ عَلَى الْبَرِيَاءِ * وَلَمْ تَمْنَحْهُمْ الْوَدَّ الصَّحِيحًا
- عَلَامَ حَمَلْتَهُمْ فِي الْفُلِكِ هَلًا * تَرَكْتَهُمْ فَكُنْتَ لَهُمْ مُرِيحًا
- (٣) أَصَابَ رِفَاقِي الْقِدْحَ الْمَعْلَى * وَصَادَفَ سَهْمِي الْقِدْحَ الْمُنِيحًا
- (٤) فَلَوْ سَأَقِ الْقَضَاءَ إِلَى تَقَعَا * لَقَامَ أَخُوهُ مُعْتَرِضًا شَجِيحًا

- (١) يوسف ، هو ابن يعقوب عليهما السلام ، وأمره مع إخوته من إلقاءه في الجب ، والتقاط بعض السيارة له ، وبيعهم إياه ببيع العيد مشهور ، وقد قص الله ذلك في القرآن في سورة يوسف .
والموالي : العيد ؛ الواحد مولى . ويريد « بالقوم » : جماعة اليهود الذين أرادوا صلب عيسى عليه السلام ؛ وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن .
- (٢) يشير إلى قصة نبي الله نوح عليه السلام ، وأمره مع قومه والطوفان الذي أرسله الله عليهم ونجاته بمن معه في السفينة مشهور ، وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن .
- (٣) القدح (بكسر القاف وسكون الدال) : واحد القداح ، وهي سهام الميسر . والقدح المعلى ، هو السهم السابع منها ، وهو أفضلها ، لأنه إذا خرج حاز سبعة أنصباء . والمنيح : سهم من سهام الميسر لا نصيب له ولا فرض ، وهو الثالث من القداح الغفل التي ليس لها فرض ولا أنصباء .
- (٤) أخوه ، أى أخو القضاء ، وهو القدر .

النفس الحزينة

بيتان مترجمان عن (جان چالك روسو)^(١)

[نشر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

(٢) خَلَقْتَ لِي نَفْسًا فَأَرَصَدْتَهَا * لِلْحُزْنِ وَالْبَلْوَى وَهَذَا الشَّقَاءُ
(٣) فَأَمَّنْ بِنَفْسٍ لَمْ يَشْبِهَا الْأَمْسَى * لَعَلَّهَا تَعْرِفُ طَعْمَ الْمَنَاءِ

سعى بلا جدوى

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإيابه ، ويتفق الراحة من ذلك بالموت

[نشرت في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠ م]

(٤) سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كَثُرَ أَتَّعِلُ الدِّمَاءَ * وَصَدْتُ وَمَا أُعْقِبْتُ إِلَّا التَّنَدِيمَ
(٥) لَحَى اللَّهُ عَهْدَ الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ * تَهْدَمُ مِنْ بِنَائِنَا مَا تَهْدَمُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بَيْنَهُمْ * فَلَا تَكُ مِصْرِيًّا وَلَا تَكُ مُسِيًّا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودِّعٍ * رَأَى فِي ظُلَامِ الْقَبْرِ أَنْسًا وَمَقْتًا

- (١) روسو، هو الكاتب الفرنسي المعروف، بطل الحرية وزعيم المساواة. ولد سنة ١٧١٢ م، وكانت وفاته في ٣ يولييه سنة ١٧٧٠ م. وله عدة تأليف، منها كتاب الاتفاق الجمهوري، وكتاب إميل، وقاموس في الموسيقى، وآخر في علم النبات، وغيرها. (٢) أرصدتها الحزن: حبستها عليه. (٣) لم يشبها: لم يخالطها. أي آمن على نفس أخرى لم يخالطها الأجران. (٤) يقول: إنه تقرحت قدماء من كثرة السعى على الرزق حتى صار دم قدميه أشبه بالنمل لها، وما عاد يعد كل هذا إلا بالندم. (٥) القاسطون: البخاترون المائلون من الحق، ويريد بهم المحتلين ومناعمهم.

- (١) أَضْرَبْتُ بِهِ الْأُولَى فَبَهَامَ بِأَخْتِهَا * فَإِنْ سَمِعْتَ الْأُخْرَى فَوَيْلَاهُ مِنْهُمَا
- (٢) فَهِيَ رِيَّاحُ الْمَوْتِ نُجْبًا وَأَطْفِي * سِرَاجَ حَيَاتِي قَبْلَ أَنْ يَحْطَمَا
- (٣) فَمَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي * وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ لِلْحُرِّ أَعْصَمَا
- (٤) فَيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعُ إِذَا عَضَّكَ الْأَمْسَى * فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَتَأَلَّمَ
- (٥) وَيَا صَبْرُ قَدْ آتَى الْجَمُودُ لِمَدْمَعِي * فَلَا سَبِيلَ دَمْعِ تَسْكِينٍ وَلَا دَمًا
- (٦) وَيَا يَدُ مَا كَلَّفْتِكِ الْبَسْطَ مَرَّةً * لِيَدِي مِثْلَ أَوْلَى الْجَيْلِ وَأَنْبَمَا
- (٧) فَلِلَّهِ مَا أَحْلَاكَ فِي أُنْمَلِ الْبَلَى * وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فِي الطُّرُوسِ وَأَكْرَمًا
- (٨) وَيَا قَدِيمِي مَا سَرَّتْ بِي لَمَلَّةٌ * وَلَمْ تَرْتَقِي إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سُلْمًا
- فَلَا تُبِطِّي سِيرًا إِلَى الْمَوْتِ وَأَعْلَى * بَانَ كَرِيمِ الْقَوْمِ مَنْ مَاتَ مُكْرَمًا
- (٧) وَيَا نَفْسُ كَمْ جَشَّمْتِكِ الصَّبْرَ وَالرِّضَا * وَجَشَّمْتَنِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعَلَّمًا
- (٨) فَمَا اسْطَعْتِ أَنْ تَسْتَمِرِّي مَرَّ طَعْمِهِ * وَمَا اسْطَعْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ أَنْ أَتَقَدَّمًا

- (١) يريد «بالأولى» : الدنيا . و «بالأخرى» : الآخرة ؛ فإن شق فيها كما شق في دنياه فويلاه .
- (٢) النكب : جمع نكباء ، وهي الريح إذا انحرفت عن وجهها ووقعت بين ريحين ، وهي ريح مهلكة للزرع والمواشي ، حابسة للقطر . ويحطم : يتكسر . (٣) عصمتني : حفظتني .
- (٤) يشير بقوله «بعد اليوم» : إلى الموت . (٥) جمود الدمع : انقطاعه أو قلته . قدّر الشاعر في هذا البيت أن ماتمناه من الموت قد وقع ، وانقطعت عنه أسباب الحزن المجرية للدموع .
- (٦) في أنمل البلى ، أى في يد الفناء . والطروس : جمع طرس (بكسر الطاء وسكون الراء) ، وهو الصحيفة يكتب فيها . (٧) جشمتك : كلفتك . والمعلم من الثياب : الذى فيه أعلام من طراز أو غيره . شبه المجد به في وضوحه وظهوره . (٨) استمرا الطعام : استناب به واستنصافه . ويشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الصبر والرضا الواردين في البيت السابق . ويقول «وما استطعت بين القوم ... الخ» إلى المجد ، في البيت السابق أيضا . يقول لنفسه : إن كليتا لم يستطع القيام بما كلف به .

(١) فهذا فراقٌ بيننا فتجملي * فإنت الردى أحلى مذاقا ومطما
ويا صدرُكم حلت بذاتك ضيقة * وكم جال في أنحائك الهم وأرتمى
(٢) فهلا ترى في ضيقة القبر فسحة * تنفس عنك الكرب إن بت مبرما؟
(٣) ويا قبرُ لا تبخل برد تيمية * على صاحب أوفى علينا وسلمنا
وهيات يأتى الحى للبيت زائرا * فإنى رأيت السود في الحى أسقما
(٤) ويأبها النجم الذى طال سهدُه * وقد أخذت منه السرى أين يمما
(٥) لعلك لا تنسى عهد منادم * تعلم منك السهد والأين كُما

الإخفاق بعد الكد

وفها ينمى مجد الترك والعرب ، ويشير الى معان أخرى فى الشكوى

[نشرت سنة ١٣١٨ هـ - سنة ١٩٠٠ م]

(٦) ماذا أصبت من الأسفار والنصب * وطيك العمر بين الوخذ والخبيب؟
(٧) نراك تطلب لا هونا ولا كثبا * ولا ترى لك من مال ولا تشيب

(١) مجلى : لا تظهرى الجزع . (٢) المبرم : المتضجر . (٣) أوفى ، أى أشرف
علينا زائرا . (٤) السرى (بضم السين) : السير ليلا . ويمم : قصد . (٥) الأين : التعب والإعياء .
وفى هذا البيت والذى قبله ينادى الشاعر النجم الذى أخذ منه السهر والسرى كل مأخذ ، ويطلب إليه أن
يذكر عهد أليف له فى مهره وسيره . وقوله « كثبا » ، أى كلما مهرت أيها النجم وتميت من السرى .
(٦) النصب (بالتحريك) : التعب . والوخذ : الإصراع فى المشى . والخبيب (بالتحريك) : أن ينقل
الفرس أيامه جميعا وأياسره جميعا إذا عدا . (٧) الهون : الهين . والكثب (بالتحريك) :
القرب . والهون والكثب : صفتان لموسوف محذوف ، أى لا طلبا هينا ولا قريبا . والنشب : المال الأصيل .

- (١) لا تُطعماني أنياب الملام على * هذا العشار فلاني مهبط العجب
 (٢) وددت لو طرحوا بي يوم جثهم * في مسبح الخوت أو في مسرح المطب
 (٣) لعل (ماني) لاقى ما أكابده * فودّ تعجيلنا من عالم الشجب
 (٤) إني احتسبت شباباً بت أنفقه * وعزمة شابت الدنيا ولم تسب
 (٥) كم همت في أليد والآرام قائله * والشمس ترمي أديم الأرض باللهب
 (٦) وكم لبست الدجى والتراب ناعسة * والليل أهدأ من جاشي لدى النوب
 (٧) والنجم يعجب من أمرى ويحسبني * لدى السرى تاميناً للسبعة الشهب
 (٨) لكنني غير مجدود وما فتئت * يد المقادير تقصيني عن الأرب

- (١) « لا تطعماني ... الخ » ، أى لا تجعلاني طعمة . وقد شبه الملام ، بالاسد ذى الأنياب ؛ وقسه بالقريسة .
 (٢) تمنى لو طرحه أهله يوم ولادته في قاع البحر أو في أى طريق من طرق الهلاك .
 (٣) ماني ، هو ماني الثنوي صاحب مذهب المانوية المشهور . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كان يراه ماني من وجوب تعجيل الفناء للبشر بقطع النسل ، وقد ظهر ماني في أيام سابور بن أردشير ، وقتل في زمن بهرام بن سابور . والشجب : الحزن والغنت يصيب الإنسان من مرض ونحوه . (٤) يريد أنه لم يستفد من شبابه ولا عزيمته في أيام الحياة شيئاً ، فاحتسبها عند الله وعددها فيما يدخره من أجر وثواب .
 (٥) هام : ذهب على وجهه حائراً لا يدري أين يتوجه . والآرام : الظباء ؛ الواحد : رثم ، وهو في الأصل مخصوص بالظبي الخالص البياض . والقائلة : المستكة وقت الظهيرة لشدة الحر ؛ وقال : إن الظباء لا تقبل إلا إذا اشتد القيظ . وأديم الأرض : وجهها وظاهرها . (٦) التراب (بضم فسكون) : جمع تراب ، بمعنى التراب ؛ وهذا الجمع مطرد في (فعلاء) مؤنث (أفعل) ويريد بكونها ناعسة ، أنها مستقرة في مكانها لقلّة من يثيرها من المأزة بالمشى عليها . والجأش : النفس . وقيل : القلب . يصف في الشطر الأخير الليل بأنه أشد هدوءاً من هدوء نفسه وأطمئنتها عند نواب الدهر . (٧) الشهب السبعة ، هي السيارة ، وهي : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر . يقول : إنه مستمر على السرى باستمرار هذه الكواكب ، حتى كأنه واحد منها . (٨) المجدود : المحفوظ .

(١) وقد غَدَوْتُ وَأَمَالِي مَطْرَحَةٌ * وفي أُمُورِي مَا لِلضَّبِّ فِي الذَّنْبِ
 فَإِنْ تُكُنْ نِسْبَتِي لِلشَّرْقِ مَا نَعْتِي * حَفَا فَوَاهَا تَجِيدُ التُّرْكِ وَالعَرَبِ
 وَقَاضِيَاتٍ لَهُمْ كَانَتْ إِذَا أَحْتَرِطْتُ * تَدَثَّرَ العَرَبُ فِي تَوْبٍ مِنَ الرَّهْبِ
 وَبَجْرَةٍ لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَا هَمَدْتُ * وَلَا عَلاهَا رَمَادُ الخُتْلِ وَالكَذِبِ
 مَتَى أَرَى (النَّيْلَ) لَا تَحْمِلُوا مَوَارِدُهُ * لَفِيرٌ مُرْتَهَبٌ لِلَّهِ مُرْتَقِبٌ
 فَقَدْ خَدَّتْ (مِصْرُ) فِي حَالٍ إِذَا ذِكْرَتْ * جَادَتْ بَجْفُونِي لَهَا بِاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ
 كَأَنِّي عِنْدَ ذِكْرِي مَا أَلَمَّ بِهَا * قَرَمٌ تَرَدَّدَ بَيْنَ المَوْتِ وَالْحَرَبِ
 إِذَا نَطَقْتُ فِقَاعُ السُّجْبِ مُتَكَأً * وَإِنْ سَكَتُ فَإِنَّ النُّفْسَ لَمْ تَطْبِ
 أَيَسْتَيْقِي الفَقْرَ فَاذِينَا وَرَائِحُنَا * وَيَمْنُ تَمْشِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
 وَالقَوْمُ فِي (مِصْرَ) كَالِإِسْفَنْجِ قَدْ خَطِرَتْ * بِالمَاءِ لَمْ يَتْرُكُوا ضَرْعًا لِحْتَلِبِ

(١) مطرحة ، ملقاة منبوذة . ويريد بقوله « وفي أمورى ... الخ » : أن أمورہ معقدة متعلدة

للحل ، كأنها ذنب الضب الذي يضرب به المثل في التعقيد .

(٢) القاضيات : السيوف القواطع . واحتراط السيف : استله من عمده . وتدثر : التف . والرهب

(بالتحريك) : الخوف والرهب . يخر على زمان كانت فيه للترك والعرب سطوة يخشى بأسها الغرب .

(٣) استعار « البجرة » في هذا البيت لقوة الدولة وشوكتها وعزها . والختل : الخداع . يصف

سياستهم بالصراحة وأنها لم يفتشها كذب ولا خداع كما غشى غيرها من سياسات دول الغرب .

(٤) الرطب (بسكون الطاء) معروف ، ويحريكها هنا لضرورة الوزن ، ويلاحظ أننا لم نجد ذلك

في شعر آخر فيها راجعنا . (٥) القرم : السيد العظيم والبطل الشجاع . (٦) يقول :

لأنه إذا ذكر مصر اضطرب أمره بين إقدام عاقبته العقاب ، وإحجام يمتبه لدع الضمير .

(٧) يريد « بالقوم » : الأجانب . يقول : إن هؤلاء الأجانب في مصر امتصوا كل خيرها

كالإسفنج يمتص ما في الوعاء من ماء . والضرع للبهائم بمنزلة الثدي للراة ، جمعه ضروع .

(١) (يا آلَ عُثْمَانَ) ما هذا الجفَاءُ لنا * ونحنُ في اللهِ إِخْوَانٌ وفي الكُتُبِ
ترَكْتُمونا لأَقْوَامٍ مُخَالِفِنا * في الدِّينِ والْفَضْلِ والأَخْلَاقِ والأَدَبِ

حسرة على فائت

[نشرت في يونيو سنة ١٩٠٢ م]

(٢) لم يَبْقَ شَيْءٌ مِن الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا * إِلَّا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فِي مَاقِينَا
كَمَا قِلَادَةٌ جَيِّدِ الدَّهْرِ فَانْقَرَطَتْ * وفي يَمِينِ العُلَا كُنَّا رِيَّاحِينَا
(٣) كانت مَنَازِلُنَا في العِزِّ شَاخِحَةً * لا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا في مَغَانِينَا
(٤) وكان أَقْصَى مُنَى نَهْرِ (المَجْرَةِ) لو * مِن مائه مُرِجَتُ أَفْدَاحِ ساقِينَا
والشُّهْبُ لو أَنهَا كانت مُسَخَّرَةً * لِرَجْمٍ مِن كانَ يَبْدُو مِن أَعادِينَا
(٥) فلم تَزَلْ وَصُروفُ الدَّهْرِ تَرْمِقُنَا * شَرًّا وَتُخَدِّعُنَا الدُّنْيَا وتُلهِينَا
(٦) حتَّى غَدَوْنَا ولا جَاهٌ ولا نَسَبٌ * ولا صَدِيقٌ ولا خَلٌّ يُواسِينَا

(١) آل عثمان : الترك .

(٢) المآقي : جمع مؤق وماق ، وهو مجرى الدمع من العين .

(٣) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذي غنى به أهله ، أى أقاموا .

(٤) المجرة : نجوم كثيرة يتشربونها فيرى كأنه بقعة بيضاء ، وتشبهها الشعراء بالنهر ، كما في هذا البيت .

(٥) صروف الدهر : غيره ونوابه . والنظر الشرر : أن تنظر إلى غيرك بجانب عينك ولا تستقبله

بوجهك معرضاً عنه ، أو غاضباً عليه .

(٦) النشب : المال والعقار .

وداع الشباب

قال هذه القصيدة في دار وسط مزارع في الجزيرة قضى فيها بعض أيام شبابه ، ثم مر بها بعد عهد طويل من تحوُّله عنها فتحركت في نفسه ذكريات ، وجاش صدره بهذه الأبيات

[نشرت في ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢ م]

(١)
 كَمْ مَرَّرِي فِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أَذْكُرُهُ * وَمَرَّرِي فِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أَنْسَاهُ
 وَدَعْتُ فِيكَ بَقَايَا مَا عَلِقْتُ بِهِ * مِنَ الشَّبَابِ وَمَا وَدَعْتُ ذِكْرَاهُ
 (٢)
 أَهْفُو إِلَيْهِ عَلَى مَا أَفْرَحَتْ كَيْدِي * مِنَ التَّبَارِيحِ أَوْلَاهُ وَأَخْرَاهُ
 لَيْسَتْهُ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ طَبَعَةً * وَالنَّفْسُ جِيَّاشَةٌ وَالْقَلْبُ أَوَاهُ
 (٣)
 فَكَانَ عَوْنِي عَلَى وَجْدٍ أَكْبَدُهُ * وَمَرَّرْتُ عَيْشِي عَلَى الْعِلَاتِ الْقَاهُ
 إِنْ خَانَ وَدِّي صَدِيقٌ كُنْتُ أَصْحَبُهُ * أَوْ خَانَ عَهْدِي حَبِيبٌ كُنْتُ أَهْوَاهُ
 (٤)
 قَدْ أَرَخَصَ الدَّمْعُ يَنْبُوعُ الْغَنَاءِ بِهِ * وَاهْتَفَّتِي وَنَضُوبُ الشَّيْبِ أَغْلَاهُ
 (٥)
 كَمْ رَوَّحَ الدَّمْعُ عَن قَلْبِي وَكَمْ غَسَلَتْ * مِنْهُ السُّوَابِقُ حُرْنًا فِي حَنَائِيَاهُ

(١) يقول: إنه مررت به في هذا البيت شؤون وأحوال نسي بعضها وذكر بعضها .

(٢) أهفو، أى أميل . والتباريح : ما يعانىه المحب من شدة الشوق .

(٣) جياشة : مضطربة بمختلف المواقف . والأواه : الحزين .

(٤) أرخصه : جعله رخيصا . والضمير في «به» يعود على الشباب . ونضوب الشيب ، أى ذبول

العود وجفافه في المشيب . يقول في الشطر الأول : إن فزارة الدمع في عهد الشباب قد جعلته رخيصا

يفيض لأقل الأشياء ؛ ويثلهف في الشطر الثاني على قلة هذا الدمع في عهد المشيب حتى غلا ومر ، فلا يجيبه

إذا دعاه . (٥) روح الدمع عن قلبي ، أى خفف من حزنه ونفس من لوعته . وسوابق الدموع :

ما أسرع منها .

(١) لَمْ أَدِرْ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّفَهُ * فَمُ الْمَشِيبِ عَلَى رَغْمِي فَأَفْنَاهُ
 قَالُوا تَحَرَّرْتَ مِنْ قَيْدِ الْمَلِاحِ فِعِشْ * حُرًّا فَنِي الْأَسِيرِ ذُلُّ كُنْتَ تَابَاهُ
 (٢) فَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صَرَامَتُهُ * مَا كَانَ أَرْفَقَهُ عِنْدِي وَأَحْنَاهُ
 (٣) بَدَلْتُ مِنْهُ بِقَيْدِ لَسْتُ أَفْلَتَهُ * وَكَيْفَ أَفْلَتُ قَيْدًا صَاغَهُ اللَّهُ
 أَسْرَى الصَّبَابَةَ أَحْيَاءُ وَإِنْ جَهْدُوا * أَمَّا الْمَشِيبُ فَنِي الْأَمْوَاتِ أَسْرَاهُ

وقال :

كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظه ويتشوق إلى مصر

(٤) رَمَيْتُ بِهَا عَلَى هَذَا التَّبَابِ * وَمَا أوردتها غير السَّرَابِ
 (٥) وَمَا حَمَلْتُهَا إِلَّا شَقَاءً * تُقَاضِينِي بِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ
 (٦) جَنَيْتُ عَلَيْكَ يَا نَفْسِي وَقَبْلِي * عَلَيْكَ جَنَى أَبِي فَدَعِي عِتَابِي
 (٧) فَلَوْلَا أَنَّهُمْ وَأَدُّوا بَيَانِي * بَلَّغْتُ بِكَ الْمُنَى وَشَقَيْتُ مَا بِي

(١) يده، أى نعمة الدمع عندي؛ ويقال: ترشفه، أى شربه قليلا قليلا .

(٢) ياليت، أى ياليت هذا القيد السابق ذكره . وصرامته: شدته وإحكامه وتعذر الإفلات منه .

(٣) المعروف أن الباء تدخل على المتروك عكس ما استعمله الشاعر هنا؛ ولكن ورد في عبارة بعض

اللغويين ما يفيد صحة دخول الباء على المأخوذ كاستعمال الشاعر . قال أبو العباس ثعلب: يقال «بدلت

الخطم بالحلقة»: إذا أذبت وسويته حلقة؛ وبدلت الحلقة بالخطم: إذا أذبتها وجعلتها خاتما . والمراد بالقيد

هنا: قيد المشيب . (٤) بها، أى بالنفس . والتباب: الخسران والتقصص . والسراب: هو ما تراه

نصف النهار من اشتداد الحر كالماء عن بعد؛ ويشبه به الخداع . (٥) تقاضيني: تحاسبني عليه .

(٦) جناية أبيه عليه أنه كان سبيا في ولادته، إشارة إلى قول المعزى:

هذا جناه أبى على * وما جنيت على أحد

(٧) وأده: دفعه حيا .

سَعَيْتُ وَكَمْ سَعَى قَبْلِي أُدَيْبُ * فَابَ بَحْيِيَّةَ بَعْدَ اغْتِرَابِ^(١)
 وَمَا أَعْدَرْتُ حَتَّى كَانَ نَعْلِي * دَمًا وَوِسَادَتِي وَجَهَ الثُّرَابِ^(٢)
 وَحَتَّى صَيَّرْتَنِي الشَّمْسُ عَبْدًا * صَبِيغًا بَعْدَ مَا دَبَّغَتْ إِهَابِي^(٣)
 وَحَتَّى قَلَّمَ الْإِمْلَاقُ ظُفْرِي * وَحَتَّى حَطَّمِ الْمِقْدَارُ نَابِي^(٤)
 مَتَى أَنَا بِالْبَلْخِ يَا (مِصْرُ) أَرْضَا * أَشْمُ بِتُرْبِهَا رِيحَ الْمَلَابِ^(٥)
 رَأَيْتُ ابْنَ الْبُخَارِ عَلَى رُبَاهَا * يَمْرُكًا نَهْ شَرِيحَ الشُّبَابِ^(٦)
 كَأَنَّ يَجْوَفَهُ أَحْشَاءَ صَبَّ * يُؤَجِّجُ نَارَهَا شَسُوقُ الْإِيَابِ^(٦)
 إِذَا مَا لَاحَ سَاءَلْنَا الدِّيَابِي * أَبْرُقُ الْأَرْضِ أَمْ بَرُقُ السُّحَابِ

وقال :

مَا لِهَذَا النَّجْمِ فِي السَّحْرِ * قَدْ سَهَا مِنْ شِدَّةِ السَّهْرِ؟^(٧)
 خَلْتَهُ يَا قَوْمُ يُؤْنِسُنِي * إِنْ جَفَانِي مُؤْنِسُ السَّحْرِ
 يَا لِقَوْمِي إِنِّي رَجُلٌ * أَفْنَتِ الْأَيَّامُ مُصْطَبِرِي^(٨)
 أَسْهَرْتَنِي الْحَادِثَاتُ وَقَدْ * نَامَ حَتَّى هَاتَفَ الشُّجَيْرُ

(١) ما أعدرت : ما قصرت . ويريد « يكون نعله دما » : كثرة السعي إلى أن تقرحت قدماه فصار الدم لها كالتعل . (٢) الصبيغ : المصبوغ . وإهاب الانسان : جلده . (٣) قلبه : قطعه . والإملاق : الفقر المدقع . ويريد « بالفقر والناب » في هذا البيت : أسباب قوته . (٤) الملاب : لفظ فارسي ، وهو كل عطر سائل . (٥) ابن البخار : القطار . والربا : ما ارتفع من الأرض . وشرخ الشباب : أوله وريعانه ، شبه به القطار في السرعة . (٦) الديابي : الظلمات ، جمع داجية . (٧) مؤنس السحر : حبيبه أو نديمه . (٨) هاتف الشجر : الطائر المقترد .

(١) والدجى يخطو على مهل * خطو ذى عز وذى خفير
 فيه شخص الياس مانقى * كحبيب أب من سفر
 (٢) وأثارت بي فوادحه * كامينات الهم والكدر
 وكانت الليل أقسم لا * ينقى أو ينقى عمرى
 (٣) أيها الزنجي ما لك لم * تحش فينا خالق البشر؟
 لي حبيب هاجر وله * صورة من أبداع الصور
 أتلاشى في محبته * كتلاشي الظل في القمر

شكوى الظلم

(٤) لقد كانت الأمثال تضرب بيننا * بجور (سدوم) وهو من أظلم البشر
 (٥) فلما بدت في الكون آيات ظلمهم * إذا (سدوم) في حكومته (عمر)

(١) الخفر : شدة الحياء . وقد كنى «بجمل الدجى في خطوه» عن طول الليل .

(٢) الفوادح : ما يثقل حمله من النواصب .

(٣) يريد «بالزنجي» : الليل ، لسواده .

(٤) سدوم (بالدال المهملة ؛ وقيل بالذال المعجمة) : إحدى مدائن قوم لوط الخمس التي دمرها الله لجور أهلها وكفرهم ، وكان لها قاض يضرب به المثل في الظلم ، يقال له : (سدوم) أيضا ، فقيل : «أظلم من قاضي سدوم» .

(٥) الحكومة : الحكم . وعمر ، هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ضرب به المثل في العدل .

ويريد الشاعر بهذا البيت : أن ظلم سدوم يتضامل حتى يصير عدلا إذا قيس بظلم حكام هذا العصر .

وقال في مرض له :

(١) مَرِضْنَا مَا عَادَنَا عَائِدٌ * وَلَا قَيْلَ : أَيْنَ الْفَقَى الْأَلْمَى ؟
 (٢) وَلَا حَنَّ طَرَسَ إِلَى كَاتِبٍ * وَلَا خَفَّ لَفْظٌ عَلَى مِسْمَعٍ
 سَكَّتْنَا فَمَزَّ عَلَيْنَا السُّكُوتُ * وَهَانَ الْكَلَامُ عَلَى الْمُدَّعَى
 (٣) فَيَا دَوْلَةَ آذَنْتِ بِالزَّوَالِ * رَجَعْنَا لِعَهْدِ الْهَوَى فَارْجِعِي
 (٤) وَلَا تَحْسِينَا سَلَوْنَا النَّسِيبَ * وَبَيْنَ الضُّلُوعِ فَوَادٍ يَبِي

سجن الفضائل

(٥) نَعْمَنَ بِنَفْسِي وَأَشَقَيْتَنِي * يَا لَيْتَنِي وَيَا لَيْتَنِي
 خِلَالَ تَزَلُّنَ بِمِصْبِ النَّفُوسِ * فَرَوَيْتَنِي وَأَظْمَأْتَنِي
 تَعَوَّدَنَ مِنِّي إِبَاءَ الْكَرِيمِ * وَصَبَرَ الْحَلِيمَ وَتِيَةَ الْغَنِيِّ
 وَعَوَّدْتَنِي زَالَ الْخَطُوبِ * مَا يَنْتَنِينَ وَمَا أَنْتَنِي
 (٦) إِذَا مَا لَهَوْتُ بِلَيْلِ الشَّبَابِ * أَهْبَنَ بَعَزْمِي فَنَهْنَسَنِي

- (١) الألمي : الذكي المتوقد ذكاه . (٢) الطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمسبح (بكر الميم الأولى) : الأذن . (وبفتحها) : السمع . (٣) يريد دولة الأدب . (٤) النسب : التشيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر . وبمعنى : يحفظ . (٥) نعمن ، أى الخلال المذكورة في البيت الآتي . فإليتني ويا ليتني ، أى ياليتني ما نعمن ويا ليتني ما شقيت . (٦) أهاب به : دماه .

(١) فَا زَلْتُ أَمْرَحُ فِي قَدَحِي * وَيَمْرَحُنْ مِنِّي بَرَوْضِ جَنِي
 إِلَى أَنْ تَوَلَّى زَمَانُ الشَّبَابِ * وَأَوْشَكَ عُوْدِي أَنْ يَنْجِي
 (٢) فَيَا نَفْسُ إِنْ كُنْتِ لَا تُوقِنِينَ * بِمَعْقُودِ أَمْرِكِ فَا سْتَيْقِنِي
 فَهَذِي الْفَضِيلَةُ سِبْغُنُ النَّفُوسِ * وَأَنْتِ الْجَدِيْرَةُ أَنْ تُسْجِنِي
 فَلَا تَسْأَلِينِي مَتَى تَنْقِضِي * لِيَالِي الْإِسَارِ؟ وَلَا تَحْزِنِي

كتاب الى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

كتب به اليه من السودان

(٣) كِتَابِي إِلَى سَيِّدِي، وَأَنَا مِنْ وَعْدِهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالسَّلْسَبِيلِ، وَمِنْ تَيْبِي بِهِ فَوْقَ
 النَّثْرِ وَالْإِكْلِيلِ؛ وَقَدْ تَعَجَّلْتُ السُّرُورَ، وَتَسَلَّفْتُ الْجُبُورَ؛
 (٤) * وَقَطَعْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَابِ *
 (٥)

وَبَشَّرْتُ أَهْلِي بِالَّذِي قَدْ سَمِعْتَهُ * فَمَا عَنَتِي إِلَّا لِيَالِ قَلَائِلُ
 (٦) وَقَلْتُ لَهُمُ لِلشَّيْخِ فِينَا مَشِيئَةٌ * فَلَيْسَ لَنَا مِنْ دَهْرِنَا مَا تُنَازِلُ

- (١) القَدَّ (بالكسر) : السير يقد من جلد يقيد به الأسير؛ والضمير يعود على الخلال . وروض جنى (تشديد الاء وخففت الشعر)، أى أدرك ثمره وصلح لجنى . يقول : انخى في ضيق من هذه الخلال الحميدة ، وهن في سعة من نفسى . (٢) بمعقود أمرك، أى بما هو حتم عليك من مصيرك وما لا بد لك منه ، وهو الموت . (٣) السلسبيل : اسم عين ماء في الجنة ؛ قال تعالى : «عينا فيها تسمى سلسبيلا» . (٤) النثر : اسم كوكب تسميه العرب «شرة الأسد» ، وهى من منازل القمر . والإكليل : منزل من منازل القمر (أيضا) ، وهو أربعة أنجم مصطفة . (٥) تسلفت الجبور : طلبته مقدما قبل أوانه . (٦) نازل : قاتل .

وَجَمَعْتُ فِيهِ بَيْنَ ^(١)ثِقَةِ الزَّيْدِيِّ ^(٢)بِالصَّمْصَامَةِ ، وَالْحَارِثِ بِالنَّعَامَةِ ؛ فَلَمْ أَقُلْ
 مَا قَالَ ^(٣)الْمُهْدَلِيُّ لِصَاحِبِهِ حِينَ نَسِيَ وَعْدَهُ ، وَحَجَّبَ رِقْدَهُ ^(٤) :
 * يَا دَارَ عَاتِكَةِ الَّتِي أَتَعَزَّلُ ^(٥) *

(١) الزبيدي ، هو عمرو بن معد يكرب الفارس المشهور ، وهو من بني زبيد ، وقد أدرك الجاهلية والإسلام ، وله بلاء حسن في المناركة التي شهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي غيرها .
 والصمصامة : اسم سيفه .

(٢) الحارث ، هو ابن عباد التغلبي ؛ وهو من شيوخ العرب ورؤسائهم . والنعامه : اسم فرسه .

(٣) يريد « بالهذلي » أبا بكر . و « بصاحبه » : أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي المعروف . ويشير الكاتب بهذا الكلام إلى ما حدث بينهما ، وكان أبو بكر الهذلي هذا من جلساء المنصور وصحابته ، وكان قد تعود ألا يكلم المنصور إلا جواباً على سؤال إجلاله ، ورهبة منه ، وقد وعده المنصور ذات يوم بجائزة ، ثم تناقل عن الوفاء بوعه ، فبينما هما يسيران ذات يوم إذ مررا بدار عاتكة التي يشبب بها الأحوص ؛ فقال الهذلي للمنصور : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة التي يقول فيه الشاعر .
 * يا دار عاتكة التي أتعزل *

فصعب المنصور من صاحبه كيف بدأه بالكلام على غير عادته ، وفتن إلى ما يريد الهذلي بذكر هذه الأبيات ، وهو قول الشاعر فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * ملق اللسان يقول ما لا يفعل

وتذكر وعده ، فقام بوفائه لساعته . والشمر للأحوص بن محمد بن عبد الله الأنصاري من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز ، وأولها :

يا دار عاتكة التي أتعزل * حذر العدا وبك الفؤاد موكل

إني لأمنحك الصدود وإني * تسما اليك مع الصدود لأميل

ويريد الكاتب بهذا الكلام : انه لا يذكر الأستاذ الإمام بوعه كما فعل الهذلي مع المنصور .

(٤) الرقد : العطاء والصلة .

(٥) أتعزل : أمتجيب .

بل أناديه نداء الأخيذة^(١) في عمورية، شجاع الدولة العباسية؛ وأمد صوتي بذكر
إحسانه، مد المؤذن صوته في أذانه؛ وأعمد عليه في البعد والقرب، اعتماد الملاح
على تجمية القطب .

وقال أصبح أبى وقد هانت النوى * وهالم أمرى : متى أنت قافل^(٢)؟

فقلت : إذا شاء الإمام فأوبى * قريب وربى بالسعادة أهل^(٣)

وهانا متماسك حتى تتحسر هذه الغمرة^(٤) ، وينطوى أجل تلك الفترة؛ وينظرلى

سدى نظرة ترفعى من ذات الصدع^(٥) ، إلى ذات الرجع؛ وتردنى إلى وكرى الذى^(٦)

فيه درجت رد الشمس قطرة المزن إلى أصلها ، ورد الوفى الأمانات إلى أهلها .

(١) الأخيذة : الأسيرة ، فعيلة بمعنى مفعولة . وعمورية : بلد من بلاد الروم فتحه المنصم باقه
ثامن خلفاء بنى العباس فى سنة ٨٢٣ . ويريد « بشجاع الدولة العباسية » : المنصم باقه السابق ذكره .
ويشير بهذا الكلام الى امرأة من نساء المسلمين أمرها الروم فى عمورية فى عهد المنصم ، وكان الروم
يعذبونها ، فصاحت : وامعتصاه ، فقال لها بعض الحراس ما نراها : سيأتيك المنصم على جواد
أبلى وخلفه خيول بلى فينقلك من أيدينا . ففى خبر هذا الكلام الى الخليفة المنصم ، فأقسم أن يفتح
بلاد الروم ، ويعود بالأسيرة ؛ ثم جرد لوقته على بلاد الروم جيشا كثيفا كله خيول بلى ، وتقدمه هوزلى
جواد أبلى . فنكل بالروم وفتح عمورية ، ودخل على الأسيرة فى مجنبا واستخلصها وأعادها الى بلادها .
(٢) النوى : البعد . وقافل : راجع . (٣) قال : « قريب » ولم يقل : « قريبة » لأنه يستعمل
فى المذكر والمؤنث كما قال الله تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » . وأهل بالسعادة : عامر بها .
(٤) تتحسر هذه الغمرة ، أى تنكشف هذه المصيبة . (٥) الصدع : الشق . ويريد
« بذات الصدع » : الأرض . والرجع : المطر بعد المطر . وذات الرجع ، أى السماء . قال تعالى :
(والسماوات ذات الرجوع والأرض ذات الصدع) . (٦) الوكر : عش الطائر ؛ والمراد به هنا :
وطنه . ودرجت : مشيت . والمزن (بضم فسكون) : السحاب . ويشير بهذه العبارة الى ماء المطر الذى
يسقط من السماء ، فتحوله الشمس بجزءها الى بخار ، ثم يعود الى أصله بمحبابا .

فإن شاء فالتقرب الذي قد رجوتُه * وإن شاء فالعز الذي أنا أملُّ
 وإلا فإني قاف (رؤبة) لم أزل (١) * بقيد النوى حتى تقول الغوائل
 فلقد حلت السودان حلول الكليم في التابوت، والمغاضب في جوف الحوت؛
 بين الضيق والشدة، والوحشة والوخدة . لا، بل حلول الوزير في تنوير العذاب
 والكافر في موقف يوم الحساب؛ بين نارين : نار القيظ، ونار الفيظ .
 فنأديت بأسم الشيخ والقيظ جمره * يذيب دماغ الضب والعقل ذاهل (٦)
 فصرت كإني بين روض ومنهل * تذيب الصبا فيه وتشدو البلايل (٧)

(١) رؤبة، هو ابن العجاج بن رؤبة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . وكان هو أبوه
 من رجاز الإسلام وفصحائهم المذكورين المتقدمين منهم . ومات رؤبة في أيام المنصور، وكان يصنع
 أكثر أراجيزه على روى القاف الساكنة، ف ضرب بقافه المشل في السكون ومدم الحركة؛ والمراد هنا :
 إن لم يدركني الأستاذ الإمام بمساعيه، فإني مستقر في هذه البلاد البعيدة لا أرحها، كقاف رؤبة
 في سكونها، حتى يأتي الأجل . وفي قاف رؤبة هذه يقول أبو العلاء :

مالي غدوت كقاف رؤبة قيدت * في الدهر لم يقدر له إيراؤها

والغوائل : الدواهي التي تأخذ الإنسان من حيث لا يدري . (٢) الكليم : نبي الله موسى عليه
 السلام؛ وقصة وضعه في التابوت وإلقائه في اليم وهو وليد مشهورة، وقد قصها الله تعالى في القرآن في غير
 موضع . (٣) يريد «بالمغاضب» : نبي الله يونس عليه السلام، قال تعالى في سورة الأنبياء :
 (وذا النون إذ ذهب مغاضبا) الآية . وقصة التقام الحوت إياه ونخروجه من جوفه مشهورة؛ وقد ذكرها
 الله تعالى في القرآن . (٤) كذا ورد ضبط هذا اللفظ بضم الواو في شرح القاموس ضبطا بالعبارة .
 (٥) يريد «بالوزير» : أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات، وزير الخليفة، المعتصم بالله، وابنه
 الواثق بالله . ويشير بهذه العبارة إلى ما يروى من أن هذا الوزير كان لشدة ظلمه قد صنع تنورا يدخل فيه
 من أمر بقتله مبالغة في تعذيبه، فأراد الله أن يكون هو أول من يعذب فيه حتى يموت، وذلك بأمر الخليفة
 المتوكل على الله سنة ٢٣٣ هـ . (٦) يذيب دماغ الضب : كناية عن شدة الحر . والضب : حيوان
 قصير الذنب، معقده، نحشن الجلد، ولونه إلى غيرة مشربة بالسواد . (٧) الصبا : ريح الشمال .
 وتشدو، أي تنزرد .

واليوم أكتب إليه وقد قعدت همة النجمين^(١)، وقصرت يد الجديدين^(٢)؛ عن
 إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد^(٣)، فلقد نمتي ضب^(٤) ضغنه على^(٥)، وبدرت^(٦)
 بوادر السوء منه إلى^(٧)؛ فأصبحت كما سر العدو وساء الحميم^(٧)، وآلامي كأنها جلود
 أهل الحميم^(٨)، كلما نضج منها أديم^(٨) تجدد أديم^(٨)؛ وأمسيت^(٨) وملك^(٨) آمالي إلى الزوال
 أسرع من أثر الشهاب في السماء، ودولة صبري إلى الاضمحلال^(٩) أحت^(٩) من حباب
 الماء؛ فنظرت في وجوه تلك العباد^(١٠)، وإني لفارس العين والفؤاد^(١٠)؛ فلم تقف
 فراستي على غير بابك .

(١) يريد «بالنجمين» : المشتري والزهرة؛ وكان القدماء يعتقدون أن لها تأثيرا في قوس البشر يؤلفان منها ما فترق . ويقال : قعدت همته عن كذا ، أى عجزته .

(٢) الجديدان : الليل والنهار .

(٣) يريد « بالجبار العنيد » : ككتشرباشا سردار الجيش المصرى إذ ذاك، وكان بينه وبين حافظ نفور وجفوة، حتى يقال : إنه لغضبه على حافظ كتب أمام اسمه : لا يرق ولا يرف .

(٤) نمتي نمتي ونمتي : زاد .

(٥) الضب : الغيظ والحقد الخفى .

(٦) بدرت : أمرعت . والبوادر : جمع بادرة ، وهى ما يبدو من الإنسان عند حدثه من خطأ وسقطات ، والمراد « ببوادر السوء » : أوائله .

(٧) الحميم : الصديق .

(٨) الأديم : الجلد . ويشير بهذه العبارة الى قوله تعالى فى صفة عذاب أهل النار : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليدوقوا العذاب) .

(٩) أحت : أشد سرعة . وحباب الماء : فقائعه التى تكون على سطحه .

(١٠) فارس : اسم فاعل من القراسة ، وهى الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية .

وإني أُهديكَ سَلاماً لو أمتَرَجَ بالسَّحابِ ، وأختَلَطَ منه باللُّعابِ ؛ لأصَبَحْتُ^(٢)
 تَهَادَى بِقَطْرِهِ الأَكاسِرِ ، وأمَسَّتْ تَدَحْرُمُهُ الرُّهْبَانُ في الأَدِيرَةِ ؛ ولأَغْفَى ذاتَ^(٣)
 المِجَابِ ، عنِ الغَالِيَةِ والمَلَابِ ؛ ولا يَدْعُ إذا جَادَ السَّيِّدُ بالرَّدِّ ، فقد يُرَى وَجْهُ^(٤)
 المَلِيكِ في المِرْآةِ ، وَخَيَالُ القَمَرِ في الأَضَاةِ ؛ وإنِ حالَ حائلٍ ، دونَ أُمْنِيَّةِ هَذَا^(٥)
 السَّائِلِ ؛ فهو لا يَدُمُ يَوْمَكَ ، ولا يَبْئَسُ مِنْ غَدِكَ ؛ فأنْتَ خَيْرُ ما تَكُونُ حينَ لا تَظُنُّ^(٦)
 نَفْسَ بِنَفْسٍ خَيْرًا ؛ والسَّلَامُ .^(٧)

(١) صوابه «أهدى لك» أو «إليك» . (٢) لعاب السحاب : مطره . (٣) قطر السحاب :
 ماؤه الذي يقطر منه . والأكامرة : ملوك فارس . (٤) لم نجد هذا الجمع «للدير» في مدونات
 اللغة التي بين أيدينا ؛ والذي وجدناه أن جمعه : أديار ، كما في القاموس وغيره ؛ وديورة ، كما في المصباح ؛
 وهذا الجمع المذكور هنا شائع الاستعمال في كلام المعاصرين ، بل لا يستعملون غيره . وقد شبه المطر المترج
 بسلامه بالنمر المعتقد عند الرهبان ، المحفوظة في أديارهم . (٥) الغالية : نوع من الطيب مركب
 من أخلاط تغلى على النار . والملااب : كل عطر مائع ؛ وهو لفظ فارسي معرب . (٦) لا بدع ،
 أي ليس غريباً ولا أول شيء حدث . (٧) الأضائة (بفتح الهززة وتخفيف الضاد) : الغدير ؛
 وجمعه أصوات (بالتحريك) .

المكراني

رثاء عثمان السيد أباطه بك^(١)

سنة ١٨٩٦ م

رُداً كُؤوسكاً عن شِبهِ مَفْؤودٍ * فليس ذلك يومَ الرَّاحِ وَالْعُودِ^(٢)
ياساقِيَّ أَرَانِي قَد سَكَنْتُ إِلَى * مَاءِ الْمَدَامِيعِ عَنِ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ^(٣)
وَيْتُ يَرْتَاحُ سَمِعِي حِينَ يَفْتَقُهُ * صَوْتُ النَّوَادِبِ لَا صَوْتُ الْأَغَارِيدِ^(٤)
فَأَمْسِكَا الرَّاحَ إِنِّي لَا أَخَامِرُهَا * وَبَلِّغَا الْغَيْدَ عَنِّي سَلْوَةَ الْغَيْدِ^(٥)
ثُمَّ أَمْضِيَا وَدَعَانِي إِنِّي رَجُلٌ * قَدْ آلَ أَمْرِي إِلَى هَمٍّ وَتَسْهِيدِ
أَبَدَ (عُثْمَانَ) أَبْنِي مَارَبًا حَسَنًا * مِنَ الْحَيَاةِ وَحَظًّا غَيْرَ مَنْكُودِ؟

(١) عثمان أباطه بك ، هو ابن السيد أباطه باشا ، ولد في سنة ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٨ م وألحقه والده بالمدرسة الخديوية ، ثم مدرسة الإدارة والألسن ، وهي مدرسة الحقوق في أول عهدها ؛ وقول جملة مناصب ، فكان ناظر قسم ، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية ؛ واختاره المغفور له اسماعيل باشا الخديوي مفتشاً لتفتيش (الزككون) وأنعم عليه بالرتبة الثانية ، وبعد أن تقلد عدة أعمال أخرى استقال منها ، وأقام ببلده (الربماتة) بإقليم الشرقية ؛ وكان بيته ملتقى العظماء والأدباء والشعراء ، وكان حافظ إبراهيم بك كثير التردد عليه ، وتوفي سنة ١٨٩٦ م . وكان أبوه السيد أباطه باشا أول من نال لقب (باشا) من المصريين العرب . (٢) المفؤود : مصاب الفؤاد . والراح : الخمر . (٣) سكن إلى الشيء : استراح إليه وأنس به . ويريد بماء العناقيد : الخمر . (٤) يفتقه ، أي يشقه وينفذ فيه . والأغاريد : جمع أغرودة ، وهي الأغنية . (٥) لا أخامرها ، أي لا أخالطها . والغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة المتثنية لبنا ونعمة .

- (١) اِنِّي لَيَحْزَنُنِي اَنْ جَاءَ يَنْشُدُهُ * دَاعِي الْمُنُونِ وَاِنِّي غَيْرُ مَنْشُودٍ
- (٢) اَمَسْتَ تُنَافِسُ فَيْكَ الشُّهْبَ مِنْ شَرَفٍ * اَرْضٌ تَوَارَيْتَ فِيهَا يَافَتَى الْجُودِ
- لَوْ لَمْ تَكُنْ سَبَقْتِكَ الْاَنْبِيَاءُ لَهَا * قُلْنَا بِاَنَّكَ فِيهَا خَيْرٌ مَلْحُودِ
- (٣) وَوَدَّتْ الرِّيحُ لَوْ كَانَتْ مَسْحُورَةً * لِحِمْلِ نَعْيِكَ عَنْ هَامِ الْاَمَاجِيدِ
- وَالشَّمْسُ لَوْ اَنَّهَا مِنْ اَقْفِهَا هَبَّتْ * وَاثَرَتْ مَعَكَ سُكْنَى الْقَفْرِ وَالْيَدِ
- (٤) وَقَدْ تَمَنَّى الضُّحَى لَوْ اَنَّهُمْ دَرَجُوا * هَذَا الْفَقِيْدَ بِثَوْبٍ مِنْهُ مَقْدُودِ
- يَا رَاحِلًا اَكْبَرْتَكَ الْحَادِثَاتُ وَمَا * اَكْبَرْتَهَا عِنْدَ تَلْيِينٍ وَتَشْدِيدِ
- (٥) اَبَكَيْتَ حَتَّى الْعُلَا وَالْمَكْرَمَاتِ وَمَا * جَفَّتْ عَلَيْكَ مَا قَى الْخُرْدِ الْخُودِ
- وَبَاتَ اَلْكَ وَالْاَصْحَابُ كُلُّهُمْ * عَلَيْكَ مَا بَيْنَ مَحْزُونٍ وَمَعْمُودِ
- (٦) يَكُوْنُ فَقْدَ اَمْرِي لَلْخَيْرِ مُنْسَبٍ * بِالْبَشْرِ مُنْتَقِبٍ فِي النَّاسِ مَجْمُودِ
- (٧) (بَنِي اَبَاظَةَ) لَا زَالَتْ دِيَارُكُمْ * اَفْقَ الْبُدُوْرِ وَغَابًا لِلصَّنَادِيْدِ

- (١) ينشده : يطلبه . والمنون : الموت . (٢) « تنافس فيك الشهب » الخ ، أى تفانرها بدفئك فيها . والشهب : النجوم . (٣) الهام : الروس ، الواحدة هامة .
- (٤) درجوا : لفوا . والمقدود : المقطوع . (٥) يقول : إن حوادث الأيام قد اكبرت همة الفقيد وأعظمت خطره فلا تحمل به رهبة منه ، وما كان هو يكبرها ولا يحسب لها حسابا لعفوها عن همة . (٦) يريد بالمآق : العيون . والخرد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تمس . والخود بضم الخاء جمع خود بفتحها ، وهى الشابة الحسنة . (٧) المعمود : من أصيب فى عمود قلبه ، أى صميمه . (٨) المنتقب : لابس النقاب ، وهو البرقع ؛ شبه به ما يبدو على الوجه من بشاشة واستبشار . (٩) بنو أباطة : أسرة معروفة ينتهى نسبها إلى بنى العائذ ، بلان من طيى (وكفر العائذ بإقليم الشرقية معروف) وقد حضرت هذه الأسرة من العراق إلى مصر مع الشيخ محمد أبى مسلم ، وذلك بعد سقوط بغداد فى يد (هولاكو) ملك التتار أيام الخليفة المستعصم ، ولقبت هذه الأسرة بأباطة لأن أهمهم كانت من قبيلة شركسية يقال لها : أباطة ، فنسبوا إليها .

لا قَدَرَ اللهُ بعدَ اليومِ تَعْرِيفَهُ * إِلاَّ هِنَاءً عَلَى عِزِّهِ وَتَحْلِيدِ
وَعَظَمَةِ اللهِ فِي (عُثْمَانَ) أَجْرَكُمْ * فِي رَحْمَةِ اللهِ أَمْسَى خَيْرَ مَغْمُودٍ

رثاء سليمان أباطه باشا^(١)

[قِيتَ فِي سَنَةِ ١٨٩٧ م]

(٢) أَيُّهَا الثَّرَى إِلامَ الثَّمَادِي * بَعْدَ هَذَا أَنْتَ غَرْنَانُ صَادِي
أَنْتَ تَرَوِي مِنْ مَدَمَعِ كُلِّ يَوْمٍ * وَتُعَدِّي مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
قَدْ جَعَلْتَ الْأَنَامَ زَادَكَ فِي الدَّهْرِ * بِرِ وَقَدْ آذَنَ الْوَرَى بِالنَّفَادِ
فَالْتَمِسْ بَعْدَهُ الْمَجْرَةَ وَرِدًّا * وَتَزُودُ مِنَ النُّجُومِ بِزَادِ
لَسْتُ أَدْعُوكَ بِالتُّرَابِ وَلَكِنْ * بِقُدُودِ الْمِلَاحِ وَالْأَجْيَادِ
بُحْدُودِ الْحِسَانِ ، بِالْأَعْيُنِ النَّجْمِ * لِ ، بِتِلْكَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْجَادِ
لَمْ تَلِدْنَا (حَوَاءً) إِلاَّ لِنَشْقِي * لَيْتَهَا عَاطِلٌ مِنَ الْأَوْلَادِ
أَسَلَّمْتَنَا إِلَى صُرُوفِ زَمَانٍ * ثُمَّ لَمْ تُوصِحْ بِحِفْظِ الْوِدَادِ

(١) انظر التعريف بسليمان أباطه باشا في الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٧ من الجزء الأول .
(٢) الغرنان : الجائع . والصادى : الظمان . يريد مداراة الثرى على مواراة الأجساد وإبلاء
الجسوم . (٣) المجرة : نجوم كثيرة يتشعروها في السماء ترى كأنها بقعة بيضاء .
(٤) القدود : جمع قد ، وهو القامة . والأجباد : جمع جيد ، وهو العنق . يريد بهذا البيت والذى
بعده : أن يسمى التراب بقدود الملاح وأجبادها وخذودها وعيونها ... الخ ، لأنها فئيت فيه فصارت منه .
(٥) النجل : الواسعة . (٦) صروف الزمان : نوائبه وتقلباته .

- (١) أَيُّهَا الْيَمُّ الْبَحْرُ، وَ«نَفْسُ» (بِالْجَمْرِ) عَلَى قَوْلِ بَعْضِ النُّحَوِيِّينَ، وَالنَّصْبُ أَرْجَحُ، لِلْفَصْلِ بَيْنَ «كَمْ» وَتَمْيِيزِهَا بِالْجَازِ وَالْمَجْرُورِ، وَأُودَتِ: هَلَكَتْ، وَذُرُّ الْأُرْتَادِ: لَقَبٌ لِفِرْعَوْنَ وَرَدَّ ذِكْرَهُ فِي الْقُرْآنِ.
- (٢) جَهَنِّينَ، يُرِيدُ جَهَنَّمَ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ مِنْ قَضَاعَةَ، وَيُشِيرُ الشَّاعِرُ إِلَى الْمَثَلِ الْمَعْرُوفِ: «وَعِنْدَ جَهَنَّمَ الْخَيْرَ الْيَقِينِ» - يَضْرِبُ لِمَنْ يَعْرِفُ الْأُمُورَ عَلَى حَقِّقَتِهَا، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ: تَسَائِلُ عَنْ حَصِينٍ كُلِّ رَكْبٍ * وَعِنْدَ جَهَنَّمَ الْخَيْرَ الْيَقِينِ وَالجواد: الكريم.
- (٣) فِيهِ، أَيُّ فِي «الْبَلَى» السَّابِقِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَكُنِيَ «بِكَثْرَةِ الرَّمَادِ» عَنْ سَعَةِ جُودِهِ، وَكَثْرَةِ إِطْعَامِهِ لِلنَّاسِ. (٤) الْغَوَادِي: السَّجْبُ تَنْشَأُ غَدُودَةً؛ الْوَاحِدَةُ غَادِيَةٌ.
- (٥) مَلَأَ الْعُيُونَ، كِتَابَةٌ عَنْ هَيْبَةِ النَّاسِ إِبَاهُ وَإِعْظَامِهِمْ لَهُ إِذَا رَأَوْهُ.
- (٦) الْأَسَى: الْحُزْنُ.

- (١) أَيُّهَا الْيَمُّ كَمْ بِقَاعِكَ نَفْسٍ * فِيكَ أُودَتِ مِنْ عَهْدِي الْأُوتَادِ
- قَدْ تَحَالَفَتِ وَالثُّرَابَ عَلَيْنَا * وَتَقَاسَمْتُمَا فَنَاءَ الْعِبَادِ
- (٢) خَبَرِينَا جَهَنِّينَ لَا تَكْذِبِينَا * مَا الَّذِي يَفْعَلُ الْبَلَى بِالْجَوَادِ؟
- (٣) كَيْفَ أَمْسَى وَكَيْفَ أَصْبَحَ فِيهِ * ذَلِكَ الْمُنْعِمُ الْكَثِيرُ الرَّمَادِ
- رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ لَفْظًا شَهِيًا * كَانَ أَحْلَى مِنْ رَدِّ كَيْدِ الْأَعَادِي
- (٤) رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ طَرْفًا تَقِيًا * وَيَمِينًا تَسِيلُ سَيْلَ الْغَوَادِي
- (٥) رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ شَهْمًا وَفِيًا * كَانَ مِلءَ الْعُيُونَ فِي كُلِّ نَادِي
- أَلْهَمَ اللَّهُ فِيكَ صَبْرًا جَمِيلًا * كُلُّ مَنْ بَاتَ نَاطِقًا بِالضَّادِ
- (٦) بَيْتٌ فِي حُلَّةِ النِّعَمِ وَبَيْتَانَا * فِي ثِيَابٍ مِنَ الْأَسَى وَالشُّهَادِ
- وَسَكَنْتَ الْقُصُورَ فِي بَيْتِ خُلْدٍ * وَسَكَّنَا عَلَيْكَ بَيْتَ الْحِدَادِ

وقال يرثيه أيضا :

- (١) لا والأسى وتلهب الأحشاء * ما بات بعدك معجب بوفاء
 أنى حلت أرى طيك مائما * فلمن أوجه فيك حسن عزائى؟
 (٢) لينيك ، أم لدويك ، أم للكون ، أم * للدهر ، أم لجماعة الجوزاء؟
 (٣) أودى (سليان) فأودى بعده * حسن الوفاء وبهجة العلياء
 لا تمسوه على الرقاب فقد كفى * ما حلت من منية وعطاء
 (٤) وذروا على نهر المدايح نعشه * يسرى به للروضية الفيحاء
 (٥) تالله لو علمت به أعواده * مذلماسته لأورقت للترائى
 خلق كضوء البدر ، أو كالروض ، أو * كالزهر ، أو كالنجر ، أو كالماء
 (٦) وشمال لو ما زجت طبع الدجى * ما بات يشكوه المحب أنائى
 وحميد نسجت له أكفانه * من عفة ، وسماحة ، وإباء
 (٧) ومناقب لولا المهابة والتقى * قلنا مناقب صاحب الإسراء
 (٨) وعزائم كانت تفل عزائم ال * لأحداث ، والأيام ، والأعداء

- (١) الأسى : الحزن . وقوله : « ما بات » الخ ، أى لم يبق بعد موتك وفاء يعجب به أحد من الناس .
 (٢) الجوزاء : برج فى السماء معروف . ويريد « جماعة الجوزاء » : الكواكب التى يتألف منها هذا البرج . (٣) أودى : هلك . (٤) الفيحاء : الواسعة ؛ ويريد بها منزله فى الجنة .
 (٥) أعواده : يريد أعواد نعشه . (٦) النائى : البعيد . يريد أنه لو كان ليل أخلاقه وسجايه ماشكا العاشق طولاه عليه ومهده فيه . (٧) صاحب الإسراء : رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 (٨) تفل : تلم . والأحداث : حوادث الزمن وشدايقه .

مَطَّلَتْ فَنَ الشُّعْرَ بَعْدَكَ وَأَنْطَوَى * أَجَلُ الْقَرِيضِ وَمَوْسِمُ الشُّعْرَاءِ
 (١)
 وَاللُّؤْلُؤُ اسْتَعَصَى عَلَيْنَا نَظْمُهُ * بَسْمُوطٍ مَدِجٍ أَوْ سُمُوطٍ هَنَاءِ
 (٢)
 إِلَّا عَلَى طَرْفِ بَكَائِكَ وَشَاعِيرِ * أَحْيَا عَلَيْكَ مَرَائِي الْخَنَسَاءِ
 (٣)
 شَوْقَتَنَا لِلتُّرْبِ بَعْدَكَ وَاشْتَهَى * فِيهِ الْإِقَامَةَ وَاحِدُ الْعَدْرَاءِ
 (٤)
 ثَبَّتْ فُؤَادَكَ يَا قَلِيلَ تَصَبُّرِي * وَأَشْرَحَ (لَا لِي أَبَاطِي) بَرَحَائِي
 فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بَاتَ عَزِيزُهُمْ * ضَيْقًا بِسَاحَةِ أَكْرَمِ الْكُرْمَاءِ

رثاء الملكة فكتوريا^(٥)

[نشرت في ٢٤ يناير سنة ١٩٠١ م]

أَعَزَّى الْقَوْمَ لَوْ تَمِيمُوا عَزَائِي . * وَأَطْلُنْ فِي مَلِيكَتِهِمْ رِثَائِي
 وَأَدْعُو الْإِنْجِيلِزَ إِلَى الرِّضَاءِ * بِمُحْكِمِ اللَّهِ جَبَّارِ السَّمَاءِ
 فَكُلُّ الْعَالَمِينَ إِلَى فَنَاءِ

- (١) السموط : جمع مطط (بالكسر) ، وهو خيط النظم ، مادام فيه الخب ، فاذا لم يكن فيه فهو سلك .
 (٢) الخنساء ، هي تماضر بنت عمرو بن الحارث ، وتكنى أم عمرو . والخنساء : لقب ظب عليها ،
 وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر ، فضرب بها المثل في الحزن . وقد شبت في الجاهلية ،
 وأدركت الإسلام وأسلبت . وتوفيت في أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٨٢٤ .
 (٣) واحد العدراء : عيسى المسيح عليه السلام ، إشارة إلى أنه في السماء ، فهو يود أن يستبدل بها
 الأرض لشرفها بدفن الفقيه فيها . (٤) البرحاء : شدة الحزن والمنا .
 (٥) الملكة فكتوريا ، هي الكسندرينا بنت ادوارد ، وهو الدوق كنيث ، رابع أبناء الملك جورج
 الثالث . ولدت سنة ١٨١٩ م ، وتولت عرش إنجلترا في سنة ١٨٣٧ م ، وتوفيت سنة ١٩٠١ م .

أَشْمَسُ الْمَلِكِ أُمَّ شَمْسِ النَّهَارِ * هَوَتْ أُمَّ تَلِكِ مَالِكَةَ الْبِحَارِ

(١) فَطَرُفُ الْعَرَبِ بِالْعَبْرَاتِ جَارِي * وَعَيْنُ السِّمِّ تَنْظُرُ لِلْبُخَارِ

بِنَظَرَةٍ وَاجِدِ قَلْبِي الرَّجَاءِ

أَمَالِكَةَ الْبِحَارِ وَلَا أَبَالِي * إِذَا قَالُوا تَعَالَى فِي الْمَقَالِ

فِيثَلْ عُلَاكِ لَمْ أَرَّ فِي الْعَالِي * وَلَا تَاجًا تَاجِكِ فِي الْجَلَالِ

وَلَا قَوْمًا كَقَوْمِكَ فِي الدَّهَاءِ

(٢) مَلَأَتْ الْأَرْضَ أَهْلًا مَجْدًا * وَشَدَّتْ لِأُمَّةِ (السَّكْسُونِ) مَجْدًا

(٣) وَكُنْتُ لِقَالِهَا يَمْنًا وَسَعْدًا * تَرَى فِي نُورِ وَجْهِكَ إِنْ تَبَدَّى

سُعُودَ الْبَدْرِ فِي بُرْجِ الْهَنَاءِ

(٤) وَكُنْتُ إِذَا عَمَدْتُ لِأَخْذِ نَارِ * أَسَلْتُ الْبَرَّ بِالْأَسْدِ الضُّوَارِي

(٥) وَسَيَّرْتُ الْمَدَائِنَ فِي الْبِحَارِ * وَأَمْطَرْتُ الْعُدُوَّ شِوَاظَ نَارِ

(٦) وَذَرَيْتُ الْمَعَاقِلَ فِي الْهَوَاءِ

(١) اليم : البحر . والواجد : الحزين . والمعنى أن البحر ينظر إلى البواخر الإنجليزية نظرة قلق على مستقبلها بعد موت الملكة فكتوريا . (٢) السكسون : صنف من الغزاة الذين وفدوا إلى بريطانيا مع الإنجيل من الشرق ، من الدنمارك وشمال ألمانيا الغربي ، بعد جلاء الرومان عنها سنة ٤١٠ م . وقد انتشروا في الجزيرة بالتدريج ، وباد أمامهم السكان الأصليون ، ومن بقى فتر إلى جبال الغالة أو إلى غيرها من الجهات القاصية ؛ وكان الإنجيل والسكسون يعيشون أول الأمر في ولايات مستقلة متصل بعضها عن بعض ، ثم ما لبثوا أن اتحدت كلمتهم ، وأعترفوا بالزعامة لأعظم ولاية من بين تلك الولايات ؛ وهي ولاية وسكس ، وتلقب ولاتها في أوائل القرن التاسع بالملوك . (٣) تبدى ، أي بدا وظهر . (٤) «أسلت الخ» أي جعلت البر يسيل بالشجعان كما يسيل الماء . والضواري : الجريئة التي تعودت الصيد ولازمته . (٥) يريد «بالمدائن» : السفن الكبيرة . وشواظ النار (بالضم وبالكسر) : حرها ولهبها . (٦) ذريت المعاقل ، أي نسفت الحصون وفرقت أجزاءها في الهواء .

(١)
أَعَزَّى فِيكَ تَاجِكَ وَالسِّرِيرَا * أَعَزَّى فِيكَ ذَا الْمَلِكِ الْكَبِيرَا
(٢)
أَعَزَّى فِيكَ ذَا الْأَسَدِ الْمَهْصُورَا * عَلَى الْعَلَمِ الَّذِي مَلَكَ الدُّهُورَا

وَوَضَّلَ تَحْتَهُ أَهْلَ الْوَلَاءِ

(٣)
أَعَزَّى فِيكَ أَبْطَالَ النَّزَالِ * وَمَنْ قَاسُوا الشَّدَائِدَ فِي الْقِتَالِ
(٤)
وَأَلْقُوا بِالْعَدُوِّ إِلَى الْوَبَالِ * وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ
(٥)
لَهَيْبُ الصَّيْفِ أَوْ قُرُ الشَّيْبِ

(٦)
بيتان كتبنا على قبر السيد عبدالرحمن الكواكبي

في سنة ١٩٠٢ م

هَنَا رَجُلُ الدُّنْيَا، هَنَا مَهَيْطُ التَّقَى * هَنَا خَيْرُ مَظْلُومٍ، هَنَا خَيْرُ كَاتِبٍ
(٧)
قُفُوا وَأَقْرَعُوا أُمَّ الْكِتَابِ وَسَامُوا * عَلَيْهِ فَهَذَا الْقَبْرُ قَبْرُ (الْكَوَاكِبِيِّ)

- (١) يريد « بالملك الكبير » ادوارد السابع ابن الملكة فكتوريا .
(٢) الأسد : رمز متخذ للدولة الإنجليزية . والمهصور : الكاسر . (٣) الصحيح « قاسوا » .
بفتح السين وسكون الواو، وضم السين في هذا البيت لضرورة الوزن . (٤) الوبال : الهلاك .
(٥) القر (بضم القاف) : البرد . يريد : أن الحر والبرد لم يمنعا من تساق الجبال .
(٦) ولد السيد عبد الرحمن الكواكبي بحلب سنة ١٢٦٥ هـ ، وتعلم على أساتذة عصره علوم الأدب
والشريعة ، وطالع من الكتب ما يتعلق منها بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ، ثم درس بعض العلوم الطبيعية
والرياضية ، فنال من ذلك حظا وافرا ، وساح في بلاد العرب وشرق أفريقيا وبعض بلاد الهند ، وألف
كتابه المشهور بن (أم القرى) و (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ، وتوفي في سنة ١٩٠٢ م
(٧) أم الكتاب : الفاتحة .

رثاء محمود سامي البارودي^(١) باشا

[نشرت في ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥]

- (٢) رُدُّوا عَلَيَّ بَيَانِي بَعْدَ (محمود) * إِنِّي عَيْبْتُ وَأَعْيَا الشُّعْرُ مَجْهُودِي
- مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضْبِي لَا تُطَاوِعُنِي * وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَائِي غَيْرَ تَمْدُودِي؟
- (٣) ظَنَنْتُ سَكُوتِي صَفْحًا عَنِ مَوَدَّتِهِ * فَأَسَأَلْتَنِي إِلَى هَمٍّ وَتَسْيِيدِ
- (٤) وَلَوْ دَرَّتْ أَنَّ هَذَا الْخَطْبَ أَغْنَيْنِي * لَا أَطَلَقْتُ مِنْ لِسَانِي كُلَّ مَعْقُودِ
- (٥) لَيْتَكَ يَا مُؤَنِّسَ الْمَوْتَى وَمُوحِّشَنَا * يَا فَارِسَ الشُّعْرِ وَالْمُهَيِّجَاءِ وَالْجُودِ
- (٦) مُلْكُ الْقُلُوبِ - وَأَنْتَ الْمُسْتَقِيلُ بِهِ - * أَبَقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابن داود)
- (٧) لَقَدْ تَزَحَّتْ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا تَزَحَّتْ * عَنْهَا لِيَا لَيْتَكَ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُودِ
- (٨) أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عَنْهَا وَازْدَرَيْتَ بِهَا * قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَوْجُودِ
- (٩) لَيْتَكَ يَا شَاعِرًا ضَنَّ الزَّمَانُ بِهِ * عَلَى النَّهْيِ وَالْقَوَائِي وَالْأَنَاشِيدِ

- (١) انظر التعريف بالبارودي في الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ج ١ (٢) ردا على بياني، أي أعيدوه إلى بعد أن عزب عني من هول المصاب . وعي يعيا (من باب رضى) : كل وتعب .
- (٣) أي ظننت البلاغة سكوتي عن رثاء الفقيه إعرافا عن مودته وتناصيا لصحته فتركتني أعذب بالهم والسهر . (٤) أغمه : أسكته وعقد لسانه . (٥) الهيجاء : الحرب .
- (٦) يريد « بابتن دارد » : نبي الله سليمان عليه السلام ، وبه يضرب المثل في سعة الملك .
- (٧) تزحمت : بعدت . والبيض والسود : إشارة إلى أيام نعم فيها البارودي بالعمز والجاه ، وأخرى شق فيها بالأسر وكف البصر ومصادرة المال والنهي . (٨) يشير بقوله : « أغمضت عينيك » إلى أن الفقيه كان قد كف بصره في آخر حياته فماش ضريرا . وازدريت بها : احتقرتها واستخففت بها . ولم تحفل : لم تبال . (٩) النهي : العقول ؛ الواحدة نهيبة (بالضم) .

- (١) تَجْرِي السَّلَاسَةُ فِي أَثْنَاءِ مَنْطِقِهِ * نَحْتِ النَّصَاحَةِ جَرَى الْمَاءِ فِي الْعُودِ
 (٢) فِي كُلِّ بَيْتٍ لَهُ مَاءٌ يَرِفُّ بِهِ * نَعَارُ مِنْ ذِكْرِهِ مَاءُ الْعَنَاقِيدِ
 لَوْ حَنَطُوكَ بِشِعْرِ أَنْتِ قَائِلِهِ * غَنَيْتَ عَنْ نَفَحَاتِ الْمِسْكِ وَالْعُودِ
 حَلِيَّتِهِ بَعْدَ أَنْ هَدَبْتَهُ بِسَنَا * عَقِدِ بِمَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ مَنْضُودِ
 كَفَاكَ زَادًا وَزِينًا أَنْ تَسِيرَ إِلَى * يَوْمِ الْحِسَابِ وَذَلِكَ الْعِقْدُ فِي الْجِيدِ
 لَيْتَكَ يَا خَيْرَ مَنْ هَزَّ الْبِرَاعَ، وَمَنْ * هَزَّ الْحُسَامَ، وَمَنْ لَبَّى، وَمَنْ نُودِيَ
 إِنْ هَدَّ رُكْنُكَ مَنكُوبًا فَقَدْ رَفَعْتَ * لَكَ الْفَضِيلَةَ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودِ
 إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزَلٍ وَتَوَلِيَةٍ * غَيْرِ الْمَوَاهِبِ فِي ذِكْرِ وَتَحْلِيدِ
 أَكْرَمَ بِهَا زَلَّةً فِي الْعُمْرِ وَاحِدَةً * إِنَّ مَعَ أَنْكَ فِيهَا غَيْرُ مَحْمُودِ
 سَلُّوا الْجَاهِلَ قَضَتْ أَرْبَابُهُ وَطَرًّا * دُونَ الْمَقَادِيرِ أَوْ فَازَتْ بِمَقْصُودِ

(١) السلاسة : الرقة والانسجام .

(٢) يقال : رف النبات يرف رفيفا ، إذا كثرت مائه من النضرة والفضاضة واهتز وتمائل . وقد شبه به أبيات البارودي في حسن رونقها وطلاوتها . وماء العناقيد : الخمر . (٣) السنن : النور . والمنضود : المنظوم . ويشير بهذا إلى قصيدة البارودي التي عارض بها قصيدة البوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ومماها : (كشف الغمة في مدح خير الأمة) وأولها :

ياسارى البرق يسم دائرة العلم * واحد الغمام إلى حى بذى سلم

(٤) الجيد : العنق . (٥) يشير إلى ما نكب به البارودي في حياته من عزله من مناصب الحكومة ، ونفيه ، وغير ذلك .

(٦) يريد «بالزلة» اشتراك الفقيه في الثورة العرابية .

(٧) الججا : العقل . والوطر : الحاجة . أى إن العقول وإن رجح رأيها لا تملك مع المقادير شيئا .

- (١) كنتَ الوَزِيرَ وكنتَ المُسْتَعَانَ به * وكان هَمُّكَ هَمَّ القَادَةِ الصَّيْدِ
 (٢) كَم وَقْفَةٍ لَكَ وَالْأَبْطَالُ طَائِرَةٌ * وَالْحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيدًا بِصِنْدِيدِ
 (٣) تَقُولُ لِلنَّفْسِ إِنَّ جَاشَتِ إِلَيْكَ بِهَا * هَذَا بِجَالِكَ سُودِي فِيهِ أَوْ بِيَدِي
 (٤) نَسَخْتَ (يَوْمَ كَرِيدِ) كُلَّ مَا تَقَلَّوْا * فِي يَوْمِ (ذِي قَارِ) عَنِ (هَانِي بْنِ مَسْعُودِ)
 (٥) نَظَّمْتَ أَعْدَاكَ فِي سِلْكِ الفَنَاءِ به * عَلَى رَوِيٍّ وَلَكِنْ غَيْرُ مَعْهُودِ
 (٦) كَانَهُمْ كَلِمٌ وَالْمَوْتُ قَافِيَةٌ * يَرْمِي بِهِ عَرَبِيٌّ غَيْرُ رِعْدِيدِ
 (٧) أَوْدَى (المَعْرَى) تَقِيُّ الشُّعْرَ مُؤْمِنُهُ * فَكَادَ صَرَحَ المَعَالِي بَعْدَهُ يُودِي

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو الرفع رأسه كبرا وزهوا . (٢) طائرة : أى مولىة فى سرعة من الخوف والفرح . والصنديد : البطل الشجاع . (٣) جاشت النفس : اضطربت من الخوف . وبها ، أى بالحرب ، وبأد يئيد : هلك . (٤) فى سنة ١٨٦٦ م انتفض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية : فأرسلت مصر جيشا لمساعدتها على تأديهم . وكان البارودى « رئيس ياورحرب » وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والحزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، وقد أبل الجيش المصرى فى إنقاذ تلك الثورة البلاء الحسن حتى أحمدها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، ومدتها خمسة آلاف مقاتل . ويوم ذى قار : يوم كان بين بكر بن وائل والفرس ، وهو من أعظم أيام العرب وأبلغها أثرا فى انتصاف العرب من العجم . وذوق قار ، هو الموضع الذى وقعت فيه هذه الواقعة ، وهو بين الكوفة وواسط . وقد ذكر الشاعر هنا هانى بن مسعود ، والمعروف فى هذه الحرب هو هانى بن قبيصة ابن هانى بن مسعود الشيبانى ، وكان من قواد العرب الذين اشتهروا فى هذه الواقعة ، وهو الذى أودع عنده النعمان بن المنذر ودائمه ، وبسبب ذلك وقعت هذه الحرب . (٥) به ، أى بيوم كريد . والروى : الحرف الذى تبنى عليه القصيدة . جعل وقوع القتلى قتيلًا بجانب قتيل كآيات القصيدة يضم فيها البيت الى مثله على روى واحد ، ولكن الفقيده قد نظم أعداءه فى سلك الموت على روى مبتدع لم يعهده الناس من قبل . (٦) الرعيد : الجبان . وشبه الموت الذى عم الأعداء بالقافية ، لانتحاده فى جميع آيات القصيدة . (٧) أودى : هلك . والمعرى ، هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف المعروف ، شبه به البارودى فى شعره المشتمل على الموعظة والحكمة . والصرح : كل بناء عال . ويودى ، أى يهدم وينقض .

وَأَوْحَشَ الشَّرْقُ مِنْ فَضِيلٍ وَمِنْ أَدَبٍ * وَأَقْفَرَ الرُّوضُ مِنْ شَدِيدٍ وَتَغْرِيدٍ
 (١) وَأَصْبَحَ الشُّعْرُ وَالْأَسْمَاعُ تُبِيدُهُ * كَأَنَّهُ دَسَمَ فِي جَوْفٍ مَمْعُودٍ
 (٢) أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ وَاسْتَرَخَتْ أَعْتَهُ * فَرَّاحَ يَعْثُرُ فِي حَشْوٍ وَتَعْقِيدٍ
 (٣) وَأَنْكَرَتْ نَسِمَاتُ الشُّوقِ مَرَبَعَهُ * تُبِيرُهَا خَطَرَاتُ الْخُرْدِ الْخُودِ
 (٤) لَوْ أَنْصَفُوا أَوْدَعُوهُ جَوْفَ لُؤْلُؤَةٍ * مِنْ كَثْرَةِ حِكْمَتِهِ لَا جَوْفَ أُخْدُودِ
 (٥) وَكَفَّنُوهُ بِتَدْرِجٍ مِنْ مَهَائِفِهِ * أَوْ وَأَخِجَ مِنْ قَيْصِ الصَّبِيحِ مَقْدُودِ
 (٦) وَأَنْزَلُوهُ بِأُنْفِ مِنْ مَطَالِعِهِ * فَوْقَ الْكَوَاكِبِ لَا تَحْتَ الْجَلَامِيدِ
 (٧) وَنَاشَدُوا الشَّمْسَ أَنْ تَنْعَى مَحَاسِنَهُ * لِلشَّرْقِ وَالغَرْبِ وَالْأَمْصَارِ وَالْيَدِ
 (٨) أَقُولُ لِلْبَهْلِ الْغَادِي بِمَوْكِبِهِ * وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ مَكْبُودٍ وَمَقْفُودِ
 (٩) غَضَبُوا الْعَيُونَ فَإِنَّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ * مَعَ الْمَلَائِكِ تَكْرِيمًا (أَحْمُود)

- (١) الممعدود : الذى اعتلت معدته فلا يستمرى ما يأكله . (٢) ألوى به : ذهب به . والأعنة : جمع عنان (بالكسر) ، وهو سير الجمام . وكفى باسترخاء أعنة الشعر عن ضعف بنائه ، وركاكة ألقاظه ، واضطراب قلبه . والحشو : فضول الكلام الزائدة عن الغرض .
- (٣) مرعبه : منزله . والأصل فى المربع : المنزل يقام فيه فى وقت الربيع . وانلرد : جمع خرودة ، وهى العذراء . وانلورد (بالضم) : جمع نخود (بالفتح) ، وهى الشابة الحسنة الخلقة . والمراد أن الغزل والنسب فى الشعر قد ذهبا بذهاب البارودى .
- (٤) الأخدود : الحفرة المستطيلة فى الأرض ، يريد بها القبر . (٥) الدرّج (بالفتح) : ما يكتب فيه . والمقدود : المشقوق . (٦) الجلاميد : الصخور؛ الواحد جلود .
- (٧) اليسد : الفلوات ؛ الواحدة بيداء . (٨) الملا : الجماعة . والمكبود : المصاب فى كبده . والمقود : المصاب فى فؤاده . (٩) يريد «بالروح» : الروح الأمين ، وهو جبريل عليه السلام .

- (١) يَا وَيْحَ لِلْقَبْرِ قَدْ أَخْفَى سَنَا قَمْرٍ * مُقْسِمِ الْوَجْهِ مَحْسُودِ التَّجَالِيدِ
 (٢) يَا وَيْحَهُ حُلِّ لَيْدِهِ ذُو قَرَيْبُتِهِ * مَا يَجِدُ الْمَعَالِي أَلْفَ مَوْلُودِ
 (٣) فَرَائِدُ خَرْدٍ لَوْ شَاءَ أَوْدَعَهَا * مَحْصَى الْجَدِيدِ بِجِبَلَاتِ الْمَوَالِيدِ
 (٤) كَانَهَا وَهِيَ بِالْأَلْفَاظِ كَاسِيَةٌ * وَحُسْنُهَا بَيْنَ مَشْهُودٍ وَمَحْسُودِ
 (٥) لِأَنَّ خَلْفَ بَلُورٍ قَدْ أَسْقَتْ * فِي بَيْتٍ دُهْقَانٌ تَسْتَهْوِي نُهَى الْغَيْدِ
 (٦) (مَحْسُودٌ) إِنِّي لَأَسْتَحْيِكَ فِي كَلِمِي * حَيًّا وَمَيِّتًا وَإِنْ أَبَدَتْ قَصَبِيذِي
 (٧) فَاعْذِرْ قَرَيْبِي وَأَعِذِرْ فِيكَ قَائِلَهُ * كِلَاهُمَا بَيْنَ مَضْعُوفٍ وَمَحْسُودِ

- (١) سنا القمر: ضوؤه . ومقسم الوجه : يجمل كلاء . كأن كل قسم من أخذ تسلا من الجمال . وتجاليد الإنسان : جسمه وبدنه .
 (٢) ذو (هنا) : بمعنى الذي ، في لغة طيء . والتلذد (بالكسر) : البيت . ويريد بقوله : « ألف مولود » : فصائده .
 (٣) الفرائد : الجواهر النادرة ، لأنها مفردة في نوعها . والخرد : اللآلئ التي لم تنقب ، الواحدة خريدة ؛ شبه فصائده بالفرائد الخرد في نفاستها وصيانتها من الابتال . ومحصى الجديد : من يقيد المعاني الجديدة التي يتكرها الشعراء . ويريد بقوله : « لو شاء » الخ : أن له معاني مبتدعة جديدة أن تسجل باسمه كما تسجل المواليد .
 (٤) كاسية ، أى حالية منجملة كما يجمل الإنسان بكسائه .
 (٥) الدهقان (بالكسر ويضم) : التاجر ؛ فارسي معرب . والغيد : جمع خيداء ، وهي المرأة المتخنة لنا . وقد شبه في هذا البيت المعاني في شعر الفقيده بالآلئ ، والألفاظ بالبلور في أنها تشف عما تضمنت من المعاني كما يشف البلور عما وراءه .
 (٦) قصد الشاعر (بالضعيف) : واصل عمل القصائد وأطال .
 (٧) المضعوف : الضعيف . والمحدود : المحروم والمنوع من الخير . والمراد أنه حرم الإجابة في رثاء الفقيده .

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده^(١)

[نشرت في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ م]

- (٢) مَسْلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النَّضْرَاتِ
 عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا، عَلَى الْعِلْمِ وَالْحِجْمَا * عَلَى الْبِرِّ وَالْتَقْوَى ، عَلَى الْحَسَنَاتِ
 لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى مَادِي الْمَوْتِ قَبْلَهُ * فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
 فَوَالْمَنِيِّ - وَالْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ - * عَلَى نَفْسَةٍ مِنْ تِلْكَ النُّظْرَاتِ
 وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعًا * كَأَنِّي حِيَالَ الْقَبْرِ فِي عَرَافَاتِ
 لَقَدْ جَهِلُوا قَدْرَ الْإِمَامِ فَأَوْدَعُوا * تَجَالِيدَهُ فِي مُوْحِشٍ بِفَلَاةِ
 وَلَوْ ضَرَحُوا بِالْمَسْجِدَيْنِ لِأَنْزَلُوا * بِخَسِيرٍ بِقَاعِ الْأَرْضِ خَيْرَ رَفَاتِ
 تَبَارَكْتَ هَذَا الدِّينُ دِينَ مُحَمَّدٍ * أَيُّتْرَكُ فِي الدُّنْيَا بغيرِ حُمَاةِ ؟
 تَبَارَكْتَ هَذَا حَالِمُ الشَّرْقِ قَدْ قَضَى * وَلَانَتْ قَنَاةُ الدِّينِ لِلغَمَزَاتِ

(١) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من الجزء الأول .
 (٢) النضرات : ذوات الحسن والرواق . (٣) والهنى : كلمة يخسر بها على ما فات .
 (٤) حاسر الرأس : حاربه . وحيال القبر : تلقاءه وأمامه . (٥) تجاليد الإنسان : جسمه
 وبدنه . والفلاة : الصحراء الواسعة . (٦) ضريح لبيت : حفره ضريحاً . ويريد « بالمسجدين » :
 المسجد الحرام بمكة ، وبيت المقدس . ورفات الميت : ما يلى وتكسر من عظامه . يقول : لو أنهم حفروا
 بأحد المسجدين ضريحاً لهذا الجسم لكان حراً بذلك ، لأنه خير جسم يدفن في خير بقعة من الأرض .
 (٧) قضى : مات . والقناة : الرجح . ولين القناة : تخاية عن الضعف والوهن . ويريد « بالغمزات » :
 المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه .

- (١) زَرَعْتَ لَنَا زَرْعًا فَأَخْرَجَ شَطَاءَهُ * وَبُنْتَ وَلِمَا تَجْتَنِي الثَّمَرَاتِ
 (٢) فَوَاهَا لَهُ إِلَّا يُصِيبَ مُوقَفًا * يُسَارِفُهُ وَالْأَرْضُ غَيْرُ مَوَاتٍ
 (٣) مَدَدْنَا إِلَى الْأَعْلَامِ بَعْدَكَ رَاحِنًا * فَرُدَّتْ إِلَى أَعْطَافِنَا صَفِرَاتٍ
 (٤) وَجَاءَتْ بِنَا تَبِيغِي سِوَاكَ عِيُونُنَا * فَعُدْنَ وَأَثَرَتْ الْعَمَى شِرْقَاتٍ
 (٥) وَأَذَوَكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأَنْكُرُوا * مَكَانَكَ حَتَّى سَوَّدُوا الصَّفَحَاتِ
 رَأَيْتَ الْأَذَى فِي جَانِبِ اللَّهِ لَدَّةً * وَرُحْتَ وَلَمْ تَهْمُ لَهُ بِشَكَاةٍ
 (٦) لَقَدْ كُنْتَ فِيهِمْ كَوْكَبًا فِي غَيَابِهِ * وَمَعْرِفَةً فِي أَنْفُسِ نَصِيرَاتِ
 (٧) أَبْلَتْ لَنَا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وَحِكْمَةً * وَفَرَّقْتَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ
 وَوَقَّعْتَ بَيْنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْجَمَا * فَأَطْلَعْتَ نُورًا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِ
 (٨) وَقَفَّتْ (هَانُوتُو) وَ(رَيْنَانُ) وَقَفَّةً * أَمَدَكَ فِيهَا الرُّوحُ بِالنَّفَحَاتِ

(١) شطاء الزرع : فراخه أو سنبله . وكنى بالزرع : عما قام به الفقيه من ضروب الإصلاح . وبنّت : بعدت .
 (٢) الضمير في « له » يرجع إلى الزرع . ويشارفه : يشرف عليه . والأرض الموات : الجديبة التي لا تنبت . يخشى ألا يجود الزرع من تعهده بعد الفقيه مع خصوبة الأرض وقبولها لما يفرس فيها .
 (٣) يريد « بالأعلام » : المشهورين من العلماء . والراح : جمع راحة ، وهي الكف . والأعطاف : الخواصر . وصفرات ، أى خاليات . (٤) شركات ، أى محرات من البكاء . (٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التي كان يوجهها أعداء الفقيه إليه ، وينشرونها في بعض الصحف تشهيرا به ، وتحقيرا من شأنه . (٦) الغياب : الظلمات . (٧) يشير بهذا البيت إلى الدروس التي كان يلقيها الأستاذ الإمام في تفسير القرآن . (٨) هانوتو : هو جبرائيل هانوتو السيامي المؤرخ الفرنسي . ولد في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م ، وقد كتب مقالات في الطعن على الإسلام . ورينان ، هو أرنست رينان الفرنسي ، ولد في ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣ م ، وقد كان قسا كاثوليكيًا ، وهو مشهور بمطاعنه في الدين الإسلامي كما حجه السابق ، وقد ردّ الفقيه على مطاعنها . وتوفى رينان في سنة ١٨٩٢ م . والروح : جبريل .

- (١) وَخِفتَ مَقَامَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ * نَخافَكَ أَهْلُ الشُّكِّ وَالزَّغَاتِ
(٢) وَكَمْ لَكَ فِي إِغْفَاءِ الفَجْرِ يَقْظَةً * نَقَضْتَ عَلَيْهَا لَذَّةَ المَجَمَاتِ
(٣) وَوَلَّيْتَ شَطْرَ البَيْتِ وَجْهَكَ خَالِيًا * تُنَاسِي إِلهَ البَيْتِ فِي آنِخَلَوَاتِ
(٤) وَكَمْ لَيْلَةٌ عَانَدَتْ فِي جَوْفِهَا الكَرَى * وَنَبَّهَتْ فِيهَا صَادِقَ العَزَمَاتِ
(٥) وَأَرَصَدْتَ لِلبَاغِي عَلَى دِينِ أَحْمَدٍ * شَبَابَةَ يَرَّاعِ سَاحِرِ النَّفَّاتِ
(٦) إِذَا مَسَّ خَدَّ الطَّرِيسِ فَاضَ جَبِينُهُ * بِأَسْطَارِ نُورٍ بَاهِرِ اللَّعَاتِ
(٧) كَأَنَّ قَرَارَ الكَهْرَبَاءِ بِشِقِّهِ * يُرِيكَ سَنَاهُ أَيَسْرِ اللِّسَاتِ
فِيَا سَنَةً مَرَّتْ بِأَعْوَادِ نَعِيشِهِ * لِأَنْتِ عَلَيْنَا أَشَامُ السَّنَوَاتِ
(٨) حَطَمْتَ لَنَا سَيْفًا، وَعَطَلْتَ مِنبْرًا * وَأَذْوَيْتِ رَوْضًا نَاضِرَ الزُّهْرَاتِ
(٩) وَأَطْفَأْتَ نِيرَاسًا وَأَشَعَلْتَ أَنْفُسًا * عَلَى جَمَرَاتِ الحُزْنِ مُنْطَوِيَاتِ

(١) الزغات : الوسوس .

(٢) الإغفاء : النوم . « ونقضت عليها » الخ ، أى أنه خلع على اليقظة لذة المهجة فصار يتلذذ من اليقظة تلذذ الناس بالمهجة ، أى النوم .

(٣) البيت : الكعبة .

(٤) الكرى : النوم . وصادق العزمات ، من إضافة الصفة الى الموصوف ، أى العزمة الصادقة .

(٥) أرسدت : أعددت وهيات . واليراع : القلم . وشبابه : سه . ونفثات القلم : ما يفيض به من كلمات تشبها لها بما ينفثه الساحر فى العقد .

(٦) الطريس (بالكسر) : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٧) سناه : ضوؤه ونوره . يقول : كأن الكهرياء مستقرة فى شق هذا القلم ، فبجرد المس يظهر نوره .

(٨) حطمت : كسرت . وأذويت : أذبلت .

(٩) النيراس : المصباح .

- (١) رَأَى فِي لَيْالِيكَ الْمُنْجَمُ مَا رَأَى * فَأَنْذَرْنَا بِالسَّوِيلِ وَالْعَثَرَاتِ
 وَنَبَاهُ عِلْمَ النُّجُومِ بِحَادِيثِ * تَبَيَّنَتْ لَهُ الْأَبْرَاجُ مُضْطَرِبَاتِ
 (٢) رَمَى السَّرَطَانَ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرٌ * وَرُبَّ ضَعِيفٍ نَافِذِ الرَّمِيَاتِ
 (٣) فَأَوْدَى بِهِ خَتَلًا فَمَالَ إِلَى الثَّرَى * وَمَالَتْ لَهُ الْأَجْرَامُ مُنْحَرِفَاتِ
 وَشَاعَتْ تَعَازِي الشُّهْبِ بِاللَّحْجِ بَيْنَهَا * عَنِ النَّيْرِ الْهَائِي إِلَى الْفَلَوَاتِ
 (٤) مَشَى نَعْشُهُ يَمْتَنَالُ عَجَبًا بِرَبِّهِ * وَيَخْطُرُ بَيْنَ اللَّيْسِ وَالْقُبُلَاتِ
 (٥) تَكَادُ الدُّمُوعُ الْجَارِيَاتُ تَقْلَهُ * وَتَدْفَعُ الْأَنْفَاسُ مُسْتَعِرَاتِ
 بَكَى الشَّرْقُ فَأَرْتَجَّتْ لَهُ الْأَرْضُ رَجَّةً * وَضَاقَتْ عُيُونُ الْكَوْنِ بِالْعَبْرَاتِ
 فِيهِ الْهِنْدُ مَحْزُونٌ وَفِي الصِّينِ جَازِعٌ * وَفِي (مِصْرَ) بَاكِ دَائِمُ الْحَسْرَاتِ
 وَفِي الشَّامِ مَفْجُوعٌ، وَفِي الْفُرْسِ نَادِبٌ * وَفِي تُونِسَ مَا سِثَّتْ مِنْ زَفْرَاتِ
 (٦) بَكَى عَالَمُ الْإِسْلَامِ عَالِمَ عَصْرِهِ * مِرَاجَ الدِّيَابِجِي هَادِمَ الشُّبُهَاتِ

(١) يريد « بالمنجم » : أحد المنجمين ، وكان قد تنبأ بوفاة الأستاذ الإمام في السنة التي توفي فيها ، وكتب ذلك في تقويمه السنوي .
 (٢) رمى السرطان ... الخ ، إشارة الى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان ، وهو هذا الداء المعروف . والليث خادر ، أي والأسد في أبعته . ويطلق السرطان أيضا على برج في السماء يقابله برج الأسد الذي أطلق الشاعر عليه لفظ الليث ، واستعمل الشطر الأول في المعنيين ، كما يدل عليه سياق الكلام في الأبيات التالية .
 (٣) أودى به : ذهب به . واختلل : الخداع . والأجرام : الأفلاك .
 (٤) ربه : صاحبه .
 (٥) قله : تحمله . ومستعرات : مشتعلات من الحزن .
 (٦) الديابجي : الظلمات .

- (١) مَلَاذَ عِيَايِلِ تِمَالِ أَرَامِلِ * غِيَاثَ ذَوِي عُدْمِ إِمَامِ هُدَاةِ
 فَلَا تَتَّصِبُوا لِلنَّاسِ تِمَالًا (عَبْدِهِ) * وَإِنْ كَانَ ذِكْرِي حِكْمَةً وَتَبَاتِ
 فَلَأَنِّي لَأَخْشَى أَنْ يَضِلُّوا فَيُؤْمِتُوا * إِلَى نُورِ هَذَا الْوَجْهِ بِالسُّجْدَاتِ
 فَيَاوِيحَ لِلشُّورَى إِذَا جَدَّ جَدُّهَا * وَطَاشَتْ بِهَا الْآرَاءُ مُشْتَجِرَاتِ
 وَيَا وَيحَ لِلْفُتْيَا إِذَا قِيلَ مَنْ لَهَا؟ * وَيَا وَيحَ لِلنَّيْرَاتِ وَالصَّدَقَاتِ
 بِحِكْمَتِنَا عَلَى فَسْرِدٍ وَإِنْ بَكَاءَنَا * عَلَى أَنْفُسِ اللَّهِ مُنْقَطِعَاتِ
 تَعْمَدَهَا فَضْلُ الْإِمَامِ وَحَاطَهَا * بِإِحْسَانِهِ وَالذَّهْرُ خَيْرُ مُوَاتِي
 فَيَا مَتْرَلًا فِي (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظْلَمَنِي * وَأَرْغَمَ حُسَّادِي وَغَمَّ عِدَائِي
 دَعَائِمُهُ التَّقْوَى وَأَسَاسُهُ الْهُدَى * وَفِيهِ الْإَيْدِي مَوْضِعُ اللَّيْنَاتِ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ، مَالِكٌ مُوَحِّشًا * عَبُوسٌ أَلْمَغَانِي مُقْفِرَ الْعَرَصَاتِ

(١) الملاذ (بالفتح) : الملجا . وعيايل : جمع عيل (بتشديد الياء) . وعيل الرجل : من يتكفل
 بهم ويمرنهم ويقوم عليهم . وتمال الأراميل : من يقوم بأمرهن ويعينهن . والغياث : المنقذ
 والمعين . والعدم : الفقر . (٢) يؤمتوا : يشيروا . وقد رد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه
 بعضهم من إقامة تمثال للإستاذ الإمام . (٣) يريد « بالشورى » مجلس شورى القوانين
 وكان الفقيد عضوا به . وطاشت : انحرقت عن القصد . ومشتجرات : مشتبات لا يتميز فيها الخلق
 من الباطل . (٤) حاطها : صانها وحفظها . والمواتي : المواقف المساعدة . (٥) عين شمس :
 ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وكان فيها بيت الفقيد . (٦) دعائم البيت : عموده .
 والأيدى : النعم . واللبنات : ما يضرب من الطين للبناء ، الواحدة لبنة .
 (٧) الموحش : الخالي الذي ليس به ساكن . ومغانيبه : منازل التي كان ينزل بها ساكنوه ؛
 الواحد مغنى . وعرصاته : ساحاته .

(١) لقد كنت مقصود الجوانب أهلاً * تطوف بك الآمال مبتهلات
(٢) مشابه أرزاق ، ومهبط حكمة * ومطلع أنوار ، وكتر عظام

رثاء مصطفى كامل باشا^(٣)

[نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨]

(٤) أيا قبر هذا الضيف أمال أمة * فكبر وهل وألق ضيفك جايباً
(٥) عزيز علينا أن نرى فيك (مصطفى) * شهيد العلاء في زهرة العمر ذابياً
(٦) أيا قبر لو أنا فقدناه وحده * لكان الناس من جوى الحزن شافياً
ولكن فقدنا كل شيء بفقيهه * وهيات أن يأتي به الدهر ثانياً
فيا سائلي أين المرؤة والوفا * وأين الجيا والرأي؟ ويحك هاهيا
(٧) هنيئاً لهم فليأمنوا كل صائح * فقد أسكت الصوت الذي كان عالياً

(١) منزل أهل : طامر بأهله . ومبتلات : داعية متضرعة .

(٢) المثابة : المرجع . أي إن الناس كانوا يرجعون إلى هذا البيت في طلب أرزاقهم .

(٣) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م . وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية في وقت واحد ، ثم ذهب إلى فرنسا ، ومنها أخذ شهادة الحقوق ، وبدأ حياته السياسية في سنة ١٨٩٥ م . وكانت باكرة أعماله كتابه الذي رفعه إلى رئيس مجلس النواب الفرنسي في ٤ يونيو سنة ١٨٩٥ م ؛ ثم كان زعيم النهضة الوطنية في مصر ، إلى أن توفي في سنة ١٩٠٨ م بعد أن ألف الحزب الوطني . (٤) جثا الرجل

يجنو : جلس على ركبتيه ؛ والمراد هنا : الخضوع . (٥) الذاري : الذابل .

(٦) التامى : اقتداؤك بمن سواك في الصبر على المصائب . وجوى الحزن : حرقته .

(٧) الضمير في « لهم » : للإنجليز .

- (١) ومات الذي أحيا الشعور وساقه * الى المجد فاستحيا النفوس البواليا
مدحتك لما كنت حيا فلم أجد * وإن أجد اليوم فيك المراثيا
(٢) عليك، وإلا ما لدا الحزن شاملا * وفيك، وإلا ما لدا الشعب بايا
يموت المداوي للنفوس ولا يرى * لما فيه من داء النفوس مداويا
(٣) وكأنيما حينما كنت ساهدا * فأشهدتنا حزنا وأمست غافيا
(٤) شهيد العلاء، لا زال صوتك بيننا * يرت كما قد كان بالأمس داويا
(٥) يهيب بنا : هذا بناء أقتنه * فلا تهيدوا بالله ما كنت بايا
(٦) يصبح بنا : لا تُشعروا الناس أنني * قضيت وأن الحى قد بات خاليا
ينشدنا بالله ألا تفرقوا * وكونوا رجالا لا تسروا الأعدايا
(٧) فروي من هذا المقام مطلة * تُشارفكم عنى وإن كنت باليا
فلا تحزنوها بالخلاف فإني * أخاف عليكم في الخلاف الدوايا
(٨) أجل، أيها الداعي الى الخير إنا * على العهد ما دمتما فتم أنت هانيا
بناؤك محفوظ، وطيفك مائل * وصوتك مسموع، وإن كنت نائيا

(١) استحيا، أى أحيا . والاستحيا (لغة) : الاستيقاظ . يقال : استحيا فلان فلانا ، إذا أيقاه حيا .

(٢) عليك ، أى عليك الحزن . وفيك ، أى فيك البكاء .

(٣) الساهد : الساهر . والنافى : النائم . (٤) المروف (دوى) يشهد به الوار ، واسم

الفاعل منه : مدق . وأما (دوى) بالتحفيف ، فهو استعمال شائع فى كلام أهل المصر ،

(٥) أهاب به : صاح به ودعاه . (٦) قضى : مات .

(٧) شارفه : نظر إليه من علو . (٨) أجل ، كلمة تقال فى الجواب بمعنى «نعم» .

عَهْدُكَ لَا تَبْكِي وَتُنْكِرِي أَنْ يَرَى * أَخُو الْبَأْسِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ بَايَا
 (١)
 فَرَّخَصَ لَنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءَ وَفِي غَيْدٍ * تَرَانَا كَمَا تَهْوَى جِبَالًا رَوَاسِيَا
 فَيَا نَيْلُ إِنْ لَمْ تَجْمِرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ * دَمًا أَحْمَرًا لَا كُنْتَ يَا نَيْلُ جَارِيَا
 وَيَا (مِصْرُ) إِنْ لَمْ تُحْفَظِي ذِكْرَ عَهْدِهِ * إِلَى الْحَشْرِ لَا زَالَ أَنْجِلَالُكَ بَايَا
 وَيَا أَهْلَ (مِصْرٍ) إِنْ جَهَلْتُمْ مُصَابِكُمْ * ثَقُوبًا أَنْ نَجْمَ السَّعْدِ قَدْ غَارَ هَاوِيَا
 (٢)
 ثَلَاثُونَ عَامًا بَلْ ثَلَاثُونَ دُرَّةً * بِجَيْدِ اللَّيَالِي سَاطِعَاتِ زَوَاهِيَا
 (٣)
 سَتَشْهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنِّي * قَتِي مُفْرَدًا بَلْ كُنْتَ جَيْشًا مُغَازِيَا

رثاء مصطفى كامل باشا أيضا

أنشدها في حفل الأربعين في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨ م

(٤)
 نَثَرُوا عَلَيْكَ نَوَادِي الْأَزْهَارِ * وَأَتَيْتُ أَنْثَرُ بَيْنَهُمْ أَشْعَارِي
 زَيْنَ الشَّبَابِ وَزَيْنَ طُلَّابِ الْعُلَا * هَلْ أَنْتَ بِالْمُهَيَّجِ الْحَزِينَةِ دَارِي؟
 (٥)
 غَادَرْتَنَا وَالْحَادِثَاتُ بِمِرْصِدٍ * وَالْعَيْشُ عَيْشُ مَلَّةٍ وَإِسَارِ

(١) الذي وجدناه أنه يقال: «رخصت له» ورخصته في كذا «أي أذنت له فيه» بعد النهي عنه .
 ولم نجد في كتب اللغة أنه يقال: رخصت له كذا بحذف «في» كما استعمله الشاعر في هذا البيت ،
 إلا أن يقال: إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير، فحذف الفاء . والرواسي: الرواسخ .

(٢) توفي مصطفى كامل باشا عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون في هذا البيت عدد تقريبي .

(٣) تشهد، أي الثلاثون عاما .

(٤) نوادي الأزهار: الرطبة المبتلة بالندى . (٥) برصد، أي أن الحوادث ترقبنا وتخبين

الفرص لمداومتنا . والمرصد، هو مكان الرصد، أي المراقبة .

- (١) ما كان أحوَجنا إليك إذا عدا * عادٍ وصاح الصائِحون : بدارٍ
 أين الخطيبُ وأين خلابُ النهي؟ * طالَ انتِظارُ السَّمعِ والأبصارِ
 بالله ما لك لا يُجيبُ مُنادياً * ما ذا أصابَكَ يا أبا المغوارِ
 قُم وَاخُ ما خَطَّت يَمِينُ (كُرومِ) * جَهلاً بيدينِ الواحِدِ القَهَّارِ
 قد كُنْتَ تَغْضَبُ لِلِكِئانَةِ كَلِمَا * هَمَّتْ وَهَمَّ رَجَاؤُهَا بِعِشارِ
 غَضَبَ التَّتِي لِرَبِّهِ وَتَكَايِهِ * أوْ غَضَبَةَ (الفاروقِ لِلخُتَّانِ)
 قد ضاقَ جِسْمُكَ عَن مَدَاكَ فَلَمْ يَطِقْ * صَبِراً عَلَيْكَ وَأَنْتَ شُعْلَةُ نارِ
 أودى به ذاك الجهادُ وهده * عَزَمَ يَهْدُ جَلالِ الأخطارِ
 لَعِبْتَ يَمِينَكَ بِالرِّياحِ فَأَعْجَزْتَ * لَعِبَ القِوارِيسُ بالقِنا الخَطَّارِ
 وَجَرَيْتَ لِلعَلِياءِ تَبْغِي شَأوِها * بَحْرِي القِضاءِ وَأَنْتَ فِي المِضْمارِ

(١) بدار : اسم فعل أمر بمعنى بادر، أى أسرع . (٢) المغوار : الكثير النارات على الأعداء .
 ويشير بهذه الكنية إلى قول الشاعر :

وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذلك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت بجهرة * لعل أبى المغوار منك قريب

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كتبه اللورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية في مصر من طعن على الدين
 الإسلامى . (٤) العثار : الكبر والتعس . (٥) الفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله
 تعالى عنه . والمختار : النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) مداك، أى غاية ما تطمح إليه من المعالى . (٧) أودى به : ذهب . « وهده
 عزم » الخ، أى أن عزمه الذى يذهب بالشدائد قد ذهب بجسده وأفناه . (٨) القنا : الرياح .
 والخطار : من صفات الريح ، لاضطرابه واهتزازه . (٩) الشار : الناية . ويريد
 « بالقضاء » : الموت .

(١) أَوْكَلْنَا هَزَّ الرَّجَاءُ مُهْنَدًا * بَدَّرْتُ إِلَيْهِ غَوَائِلَ الْأَقْدَارِ
 (٢) عَزَّ الْقَرَارُ عَلَى لَيْلَةٍ نَعِيهِ * وَشَهِدْتُ مَوَكِبَهُ فَقَرَّ قَرَارِي
 (٣) وَتَسَابَقَتْ فِيهِ النَّعَاءُ فَطَائِرٌ * بِالْكَهْرِبَاءِ ، وَطَائِرٌ يُخَارُ
 (٤) شَاهَدْتُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَوْمَ وَفَاتِهِ * وَعَلِمْتُ مِنْهُ مَرَاتِبَ الْأَقْدَارِ
 وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَفَى الشُّعُوبُ رِجَالَهَا * حَقُّ الْوَلَاءِ وَوَجِبَ الْإِبْرَارِ
 (٥) تَسْعُونَ أَلْفًا حَوْلَ نَعِيكَ خُشْعٌ * يَمْشُونَ تَحْتَ (لِوَائِكَ) السَّيَارِ
 خَطُّوا بِأَدْمُعِهِمْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى * لِلْعَزْنِ أَسْطَارًا عَلَى أَسْطَارِ
 أَنَا يُوَالُونَ الضَّجِيجَ كَأَنَّهُمْ * رَكِبُ الْحَجِيجِ بِكَعْبَةِ الزُّوَارِ
 وَتَخَالُمُ أَنَا لَقَرِطٍ خُشُوعِهِمْ * عِنْدَ الْمُصَلِّيِ يُنْصِتُونَ لِقَارِي
 (٦) فَلَبَّ الْخُشُوعُ عَلَيْهِمْ فُدُوعِهِمْ * تَجْرِي بِلَا كَلْحٍ وَلَا أَسْتِنَارِ
 قَدْ كُنْتُ تَحْتَ دُمُوعِهِمْ وَزَفِيرِهِمْ * مَا بَيْنَ سَيْلِ دَافِقِي وَشَرَارِ
 أَسْعَى فَيَاخُذْنِي اللَّهَيْبُ فَأَنْتَنِي * فَيُصِدِّنِي مُدْفِقُ التِّيَارِ

(١) المهند : السيف . وغوائل الأقدار ، أى المهلكات منها . (٢) يريد بقوله : « وشهدت » الخ : أنه لما رأى وفاء الأمة للفقيد في جنازته هدأت نفسه . (٣) يريد « بالطائر بالكهرباء » : الرسائل البرقية . « وبالطائر بالبخار » : القطار . (٤) وعلمت منه مراتب الأقدار ، أى كيف تنزل الأمة عظامها منازلهم التى يستحقونها . (٥) اللواء : العلم . ويشير إلى جريدة اللواء التى كان يصدرها الفقيد .

(٦) بلا كلح ، أى بلا عبوس ولا تقطب . والمسوع : كلاح وكلوح (بالضم فهما) . والاستنار من الأنف معروف . ويريد « تجرى بلا كلح ولا استنار » : أن الدموع تجرى بطبيعتها بلا عبوس ولا غيره مما يصحب الدموع عادة .

- (١) لَوَلَّمْ أَلَّذُ بِالنَّعْشِ أَوْ بِظِلَالِهِ * لَقَضَيْتُ بَيْنَ مَرَاجِلٍ وَبِحَارِ
 كَمْ ذَاتِ خَذِرٍ يَوْمَ طَافَ بِكَ الرَّدَى * هَتَكْتُ عَلَيْكَ حَرَارَ الْأَسْتَارِ
 سَفَرَتْ تُودِّعُ أُمَّةً تَحْمُولَةً * فِي النَّعْشِ لَا خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
 (٢) أَمِنْتُ عُيُونَ النَّاطِرِينَ فَمَزَّقْتُ * وَجْهَ الْجِمَارِ فَلَمْ تَلْذُ بِجِمَارِ
 قَدْ قَامَ مَا بَيْنَ الْعُيُونِ وَبَيْنَهَا * سِتْرٌ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْأَكْدَارِ
 (٣) أُدْرِجَتْ فِي الْعِلْمِ الَّذِي أَصْفَيْتَهُ * مِنْكَ الْوِدَادَ فَكَانَ خَيْرَ شِعَارِ
 (٤) عَلَمَانِ مِنْ فَوْقِ الرَّعُوسِ كِلَاهُمَا * فِي طَيْبِهِ بَيْرٌ مِنَ الْأَسْرَارِ
 (٥) نَادَاهُمَا دَاعِيَ الْفِرَاقِ فَاْمَسِيَا * يَتَعَانَقَانِ عَلَيَّ شَفِيرِ هَارِي
 (٦) تَاللَّهِ مَا بَجَزَعِ الْحُبِّ وَلَا بَعَكِي * لِنَوَى مَرُوعَةٍ وَبُعْدِ مَنَارِ
 (٧) بَجَزَعِ (الهِلَالِ) عَلَيْكَ يَوْمَ تَرَكْتَهُ * مَا بَيْنَ حَرَّاسِي وَحَرَّ أَوَارِ
 مُتَلَقْتَا مُتَحَيِّرًا مُتَخَيِّرًا * رَجُلًا يُنَاضِلُ عَنْهُ يَوْمَ نِفَارِ

- (١) قضى : هلك ومات . والمراجل : القصور ؛ الواحد مرجل (بكسر فسكون) . ويريد « بالمرجل والبحار » : ما أشار إليه في البيت الأسبق من الزفرات والدموع .
 (٢) الخمار : ما تغطى به المرأة وجهها .
 (٣) يقال : أدرجه في الثوب : إذا لفه فيه وطواه . ويريد « بالعلم » : علم مصر .
 (٤) يريد « بالعلمين » : الفقيده ، تشبيها له بالعلم في ارتفاعه وشهرته ، وعلم مصر الذي لف فيه النعش .
 (٥) شفير كل شيء : حرفه . والهارى : المنهار .
 (٦) النوى : البعد .
 (٧) الهلال : شعار الدولة العثمانية والولايات التابعة لها التي كانت منها مصر إذ ذاك . والأسى : الحزن . والأوار : الظلم ، ويريد به ما تركه فراقه في النفوس من تعطش إليه .

- (١) إِنَّ الثَّلَاثِينَ أَلْتِي بِكَ فَانْحَرْتُ * بَاتَتْ تُقَاسُ بِأَطْوَلِ الْأَعْمَارِ
 قَمَّتْ إِلَى التَّارِيخِ بِضَعِ صَحَائِفِ * بَيْضَاءَ مِثْلَ صَحَائِفِ الْأَبْرَارِ
 (٢) شَبَّهَتْ بِنُقْطَةِ عَطْرِيَّةٍ * وَسَمَتْ مُحْصَلَ رَوْضَةِ مِعْطَارِ
 خَلَقَتْهَا كَالْمَشَقِّ يَحْتُو حَذْوَهَا * رَاجِي الْوُصُولِ وَمُقْتَنِي الْآثَارِ
 (٣) مَاذَا عَلَى السَّارَى - وَهَنْ مَنَائِرِ - * لَوْ سَارَ بَيْنَ جَاهِلٍ وَقِفَارِ
 (٤) مَا زِلْتَ تَخْتَارُ الْمَوَاقِفَ وَعَمْرَةَ * حَتَّى وَقَفْتَ لِذَلِكَ الْجَبَّارِ
 (٥) وَهَدَمْتَ سُورًا قَدْ أَجَادَ بِنَاءَهُ * فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَالْأَنْهَارِ
 (٦) وَوَصَلْتَ بَيْنَ شَكَاتِنَا وَمَشَائِخِ * فِي (الْبَرْلَمَانِ) أَعِزَّةِ أَخْيَارِ
 (٧) كَشَفُوا الْغِطَاءَ عَنِ الْعُيُونِ فَأَبْصَرُوا * مَا فِي الْكِنَانَةِ مِنْ أَدَى وَضِرَارِ
 (٨) نَبَذُوا كَلَامَ (اللُّرْدِ) جِئِن تَبِينُوا * حَنَّ الْمَغِيظِ وَلَهْجَةَ الثَّرْنَارِ
 (٩) وَرَمَاهُمْ يُجْمَلِدِينَ رَمَوْهُمَا * فِي رُتْبَةِ الْأَصْفَارِ لَا الْأَسْفَارِ

- (١) يريد الثلاثين ستة التي ذكرها في مرثيته السابقة في قوله "ثلاثون عاما ... الخ" . وقد قدما أن الفقيه قد توفي عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون عدد تقريبي . (٢) الروضة المطار : الكثيرة الزهور والرياحين ، ومحصلها : ما يحصل من رياحينها وأزهارها . (٣) رهن ، أى الثلاثون عاما . والمناثر : جمع منارة ، وهى ما يهتدى به . يريد أن سارى الظلمات لا يضل وهو يهتدى بهذه الأعلام الواضحة . (٤) يريد «بالجبار» اللورد كرومر ؛ ويشير إلى مواقفه معه فى حادثة دنشواى وغيرها . (٥) الأوتاد : الجبال . ويضرب بفرعون المثل فى الجبروت والبغى ؛ شبه اللورد كرومر به . (٦) الشكاة : الشكوى . ويريد «بالبرلمان» : البرلمان الإنجليزى . (٧) كشفوا ، أى مشايخ البرلمان . (٨) الحنق : الغيظ . والثرنار : الذى يكثر الكلام تكلفا ونرجوا عن الحق . (٩) يشير «بالمجلدين» : ما كتبه اللورد كرومر لحكومته عن مصر . والأسفار : الكتب ؛ والواحد سفر (بالكسر) .

- (١) وأما على تلك المواقف إنها * كانت مواقف ليث ضاري
 (٢) لم يلوه عنها الوعيد ولا تقي * من عزيمه قول المربيب : حذار
 فاهناً بمنزلك الجديد ونم به * في غبطة وانتم بنخير جوار
 (٣) وأستقبل الأجر الكبير جزاء ما * صحيت للأوطان من أوطار
 (٤) نسيم الجزاء ونعم ما بلفته * في منزلك ونسيم عقي الدار

رثاء قاسم أمين بك^(٥)

[نشرت في ٦ يونية سنة ١٩٠٨ م]

- (٦) لله درك كنت من رجلى * لو أمهلتك غوائل الأجل
 (٧) خلق كأنفاس الرياض إذا * أبتخرن غيب العارض المطيل

- (١) الضاري : الجري، المعود على الصيد . (٢) لم يلوه : لم يصرفه . والمربيب : ذو الريبة .
 يريد به هنا : التهم في وطنيته ، المشكوك في إخلاصه لبلاده . (٣) الأوطار : جمع وطر ،
 وهو البغية والحاجة . (٤) في منزلك ، أى الدنيا والآخرة .
 (٥) ولد قاسم أمين سنة ١٨٦٥ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر سافر الى فرنسا حيث
 درس الحقوق ، وعاد في سنة ١٨٨٥ ، ثم تدرج في المناصب القضائية حتى صار قاضيا بمحكمة الاستئناف
 الأهلية ، وهو أول من نادى بتحرير المرأة المصرية ، وله في ذلك كتابان : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) .
 واشترك أيضا في الدعوة الى إنشاء الجامعة مع صديقه المرحوم سعد زغلول باشا ؛ وتوفي رحمه الله
 في ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٨ م عن ثلاث وأربعين سنة .
 (٦) الغوائل : الدواهي المهلكة ، الواحدة غائلة .
 (٧) أصحح : صار في السحر . والعارض : السحاب المعترض في الأفق . والمطيل : المتتابع المطر ،
 العظيم القطر . والنسيم المنبعث عن الرياض أنقى ما يكون عقب المطر وفي السحر .

- (١) وشمالٌ لو أنها مُرِجَت * بطبائع الأيام لم تحل
 (٢) جَمُّ المَحمِيدِ غيرُ متهِم * جَمُّ التَّواضِعِ غيرُ مُبتَدَل
 (٣) يا ذَوَلَةَ الأخلاقِ رافِلةً * مِن (قايمٍ) في أُنهَجِ الحَلَلِ
 كيف أنطَويتِ به على عَجَلٍ * أكذا تكونُ مَصارِعُ الدُّوَلِ؟
 (٤) يا طالِعاً للشُّرِقِ لَجَّ به * نَحَسُ النُّحُوسِ فَرَّ في (زُحَلِ)
 هَلَّا وَصَلتَ سُراكَ مُتَقِلًّا * علَّ السُّعُودَ تكونُ في الثُّقَلِ
 (٥) ما لي أرى الأجداتِ حاليَّةً * وأرى رُبُوعَ النَّيْلِ في عَطَلِ
 (٦) فاذا الكُناهُ أَطَلَّتْ رَجُلًا * طاحَ القَضاءُ بِذلكَ الرَّجُلِ
 أو كما أرسَلتُ مرثيةً * مِن أَدْمِي في إِثْرِ مُرْتَجِلِ
 (٧) حاجتِ بي الأخرى دفينَ أسي * فوصَلتُ بينَ مَدامِجِ المُقِلِ
 إن خاتِي فإيا فحَتُّ به * شِعْرى فهذا الدَّمعُ يَشْفَعُ لي
 (٨) ولقد أقولُ وما يُطائِي * عندَ البَديهةِ قولُ مُرْتَجِلِ:
 يا مُرْسِلَ الأمثالِ يَضِرُّها * قد عَزَّ بِعدَكَ مُرْسِلُ المَثَلِ

(١) لم تحل، أى لم تحول ولم تتغير. والمعنى أن شماله من الثبات على الخير بحيث لو مرجت بطبائع الأيام المتقلبة لأكسبتها نباتا على ما يجب الناس. (٢) المبتدل: المتهن. (٣) رافلة: تجر الذيل متبخرة. (٤) لج به: ألح عليه. وزحل: كوكب معروف من الخنس، وهو عند المنجمين كوكب نحس. (٥) الأجدات: القبور؛ الواحد جدت (بالتحريك). وحالية: مزدانة. والعطل: التجرد عن الزينة. (٦) طاح به: ذهب به. (٧) «هاجت بي الأخرى» الخ، أى أثار المرثية الأخرى ما حفى من حزن. (٨) طاوله: قاله.

- (١) يا رائش الآراء صائبة * يرمى بين مقاتل الخطل
 (٢) لله آراء شأوت بها * في الخالدين نوابغ الأول
 (٣) قد كنت أشقانا بنا وكذا * يشقى الأبي بصحبة الوكل
 (٤) لمفى عليك قضيت مرتجلاً * لم تشك ، لم تستوص ، لم تقل
 (٥) غل القضاء يد القضاء فذا * يبكى عليك وذاك في جدل
 شغلتك عن دنياك أربعة * والمرء من دنياه في شغل
 (٦) حق تناصره ومفخرة * تمشى إليها غير متحل
 (٧) وحقائق العلم تنشدها * ما للحكيم بين من قبل
 (٨) وفضيلة أعيت سواك فلم * تمدد إليه يدا ولم يصل
 (٩) إن ريت رأيا في الجباب ولم * تعصم ، فتلك مراتب الرسل

- (١) الرائش : الذى يلزق الريش على السهم ليكون أسرع فى مضيه إلى الغرض . والخطل (بالتحريك) : الخطأ والفساد . (٢) شأوت : سبقت . (٣) الوكل (بالتحريك) : الضعيف العاجز الذى بكل أمره إلى غيره . ويشير بهذا البيت إلى ما لقيه الفقيد من ضروب النقد الشديد والطن الجارح حين أخرج كتابه : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) . (٤) قضيت مرتجلاً ، أى مت من غير علة ظاهرة . وتستوصى ، أى توصى . ولم نجد في أراجعتنا من كتب اللغة استوصيت بمعنى أوصيت . (٥) القضاء (الأول) ، بمعنى الموت (والثانى) بمعنى الفصل فى الخصومات . والجذل (بالتحريك) : الفرح . (٦) المتحل : الذى يدعى لنفسه ما لغيره . (٧) تنشدها : تطلبها . والقبل : الطاقة . (٨) أعيت : أعجزت ، ولم تمدد ... الخ ، أى لم تمدد الفضيلة إلى سواك يدا ولم يصل إلى نوالها . (٩) ريت : رأيت ، بخذف الهزة للوزن . ويشير بهذا البيت إلى دعوة الفقيد إلى سفور المرأة . وتلك ، أى العصمة .

الْحُكْمُ لِلْأَيَّامِ مَرِيحُهُ * فِيمَا رَأَيْتَ فَنَمَّ وَلَا تَسْلِي ^(١)
 وَكَذَا طَهَاةُ الرَّأْيِ تَتْرَكُهُ * لِلدَّهْرِ يُنْضِجُهُ عَلَى مَهَلٍ
 فَاذَا أَصَبْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ نَفْسِي * وَضَعَ الدُّوَاءَ مَوَاضِعَ الْعِلَلِ
 أَوْلَا ، فَحَسْبُكَ مَا شَرُفَتْ بِهِ * وَتَرَكْتِ فِي دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلٍ ^(٢)
 وَاهَا عَلَى دَارٍ مَرَرْتُ بِهَا * قَفْرًا وَكَانَتْ مُلْتَقَى السُّبُلِ ^(٣)
 أَرَخَصْتُ فِيهَا كُلَّ غَالِيَةٍ * وَذَكَرْتُ فِيهَا وَقْفَةَ الطَّلَلِ ^(٤)
 سَاءَ لُثْمًا عَنْ (قَائِمٍ) فَأَبَتْ * رَدَّ الْجَوَابِ فُرْحَتْ فِي خَبَلٍ ^(٥)
 مُتَعَثِّرًا يَنْتَابِنِي وَهَنْ * مُتَرَبِّحًا كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ ^(٦)
 مُتَذَكِّرًا يَوْمَ (الإمام) بِهِ * يَوْمَ أَنْتَوَيْتُ بِذَلِكَ الْبَطْلِ ^(٧)
 يَوْمَ أَحْتَسِبْتُ - وَكُنْتُ ذَا أَمَلٍ - * تَحْتَ التَّرَابِ بَقِيَّةَ الْأَمَلِ
 جَاوِرًا أَحْبَبْتَكَ الْأَلَى ذَهَبُوا * بِالْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ وَالْعَمَلِ ^(٨)
 وَأَذْكَرُ لَهُمْ حَاجَ الْبِلَادِ إِلَى * تَلْكَ النَّهْيِ فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

- (١) شبه في هذا البيت صاحب الرأي يرسله في الناس ويتركه ينفذ الى عقولهم شيئاً فشيئاً حتى يثبت ، بطاهى الطعام الذى يضعه على النار تنضجه شيئاً فشيئاً حتى يتم نضجه ، وبصير صالحاً لتناوله .
- (٢) يريد « بالدار » دار الفقيد . وملتقى السبل ، أى جمع الواقدين من كل طريق . ونصب « قفراً » على الحال .
- (٣) الغالية ، أى الدفعة الغالية التى لا تسيل إلا فى أشد المصائب . والطلل (بالتحريك) : الشاخص من آثار الدار . (٤) الخليل : الجنون . (٥) الرهن : الضعف . والمتربح . المتمايل سكرًا . والثمل : النشوان . (٦) الإمام ، هو المرحوم الشيخ محمد عبده . ويوم أنتويت به ، أى يوم رماني فيه الزمان وقصدني بمكروهه . (٧) احتسبه : قدّبه واعتدّه فيما يدخر عند الله .
- (٨) الحاج : جمع حاجة .

قل (للإمام) إذا التقيت به • في الجحشيين بأشكرم التزل:
 إن الحقيقة أصبحت هدفا • للراكين مراكب الزل
 لله آثار لكم خلدت • صاح الزوال بها فسلم تزل
 لله أيام لكم درجت • طالت عنوارها ولم تطل^(١)
 نسم الظلال لو أنها بقيت • أو أن ظلًا غير متقل

ذكرى مصطفى كامل باشا

أشدها في المنسل الذي أتم مندوبه لإسراء ذكراه الأزل

[نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩ م]

طوفوا بأركان هذا القبر وأسئلوا • وأفضوا هنالك ما تقضى به الذم^(٢)
 هنا جنات تعالى الله بآرئته • ضاقت بآماله الأقدار والميم
 هنا قم وبنان لآح بينهما • في الشرق فجر تهي ضوءه الأمم
 هنا قم وبنات طالما نثرا • نثرا يسير به الأمثال والحكم
 هنا الكبي الذي شادت عزائمته • لطالبي الحق ركننا ليس ينهيم^(٣)
 هنا الشهيد، هنا رب اللواء، هنا • حامي الذمار، هنا الشهم الذي طموا^(٤)

(١) درجت: مضت وذهبت. والموارف: جمع عارفة، وهي العطفة والمراد، ما علة بمعنى مفعولة.

(٢) استلم القبر: قبله أو لمسه بيده. (٣) الكبي: الشجاع. (٤) اللواء:

الصحيفة التي كان يصدرها الفقيد، والذمار: كل ما يلزمك حفظه وحمايته والدفاع عنه.

يَأْيَهَا النَّائِمُ الْهَانِي بِمَضْجَعِهِ * لِيَهْنِكَ النَّوْمُ لَاهِمٌ وَلَا سَقَمٌ
 بَاتَتْ تُسَائِلُنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ * عَنْكَ الْمَنَابِرُ وَالْقُرَطَاسُ وَالْقَلَمُ
 تَرَكْتَ فِيْنَا فَرَاغًا لَيْسَ يَشْغَلُهُ * إِلَّا أَبِي ذِكْرِي الْقَلْبُ مُضْطَرِمٌ
 مَنَعَرُ النَّوْمِ سَبَاقٌ لِغَايَتِهِ * آثَارُهُ عَمَمٌ آمَالُهُ أَمَمٌ
 إِنِّي أَرَى وَفُؤَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي * رُوحًا يَجُفُّ بِهَا الْإِجْكَارُ وَالْعِظَمُ
 أَرَى جَلَالًا، أَرَى نُورًا، أَرَى مَلَكًا * أَرَى مُجِبًا يُجِيبُنَا وَيَتَسَيَّمُ
 اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا الْوَجْهُ أَعْرِفُهُ * هَذَا قَتَى النَّيْلِ هَذَا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ
 غَضَبُوا الْعْيُونَ وَحَيَوُهُ تَجِيَّتُهُ * مِنْ الْقُلُوبِ إِذَا لَمْ تُسْعِدِ الْكَلِمُ
 وَأَقْسِمُوا أَنْ تَدُودُوا عَنْ مَبَادِيهِ * فَتَحْنُ فِي مَوْقِفٍ يَحْلُوبُهُ الْقَسَمُ
 لَيْبِكَ نَحْنُ الْآلَى حَرَكْتَ أَنْفُسَهُمْ * لَمَّا سَكَنْتَ وَلَمَّا غَالَكَ الْعَدَمُ
 جِئْنَا نُؤَدِي حِسَابًا عَنْ مَوَاقِفِنَا * وَنَسْتَمِدُّ وَنَسْتَعْدِي وَنَحْتَكِمُ
 قِيلَ اسْكُتُوا فَسَكَنْتَا ثُمَّ أَنْطَقْنَا * عَسْفُ الْجُفَاةِ وَأَعْلَى صَوْتِنَا الْأَلَمُ
 قَدْ أَتَيْمْنَا وَلَمَّا نَطَلِبُ جَلَالًا * إِنْ الضَّعِيفَ عَلَى الْحَالَيْنِ مَتَّهِمُ

- (١) مضطرم، أى مشتمل غيرة وحمية . (٢) منعر النوم : مسهد . وعمم ، أى عامة شاملة .
 (٣) المحيا : الوجه . (٤) أسعده : أعانه .
 (٥) تدودوا : تدفخوا . (٦) غاله : أهلكه .
 (٧) نستمد : نطلب المدد، أى المعونة . ونستعدى : نستنصر .
 (٨) العسف : القلم . ويريد «بالجفاة» : المحتلين . (٩) اطلب : طلب . والجلل :

قالوا : لقد ظلموا بالحق أنفسهم * والله يعلم أن الظالمين هم
 إذا سكتنا تاجوا ، تلك عادتهم * وإن نطقنا تادوا : فتنة هم
 قد مر عام بنا والأمر يحزبنا * آنا وآونة تشابنا النقم
 فالناس في شدة والدهر في كلب * والعيش قد حار فيه الحاذق الفهم
 وللسياسة فينا كل آونة * لون جديد وعهد ليس يحترم
 بينا نرى جمورها تخشى ملامسها * إذا به عند لمس المصطلي فحم
 تصبني لأصواتنا طورا لتخدعنا * وتارة يزدهيها الكبر والصمم
 فن ملانية أستارها خدع * إلى مصالبة أستارها وهم
 ماذا يريدون؟ لا قرت عيونهم * إن الكفانة لا يطوى لها علم
 كم أمة رغبت فيها لها ربت * لها - على حولها - في أرضها قدم
 ما كان ربك رب البيت تاركها * وهي التي بجبال منه تعصم
 لبيك إنا على ما كنت تعهده * حتى تسود وحتى تشهد الأمم
 فيعلم النيل أنا خير من وردوا * ويستطيل آخيا لا ذلك ألهم

(١) تاجوا : تساروا .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) كلب الدهر (بالتحريك) شدته وإلحاحه بما يسوء . (٤) يريد بهذا البيت : أن للسياسة

أحوالا مختلفة لحينا تكون نارا حامية ، وحينا فحمة باردة . (٥) الوهم (بسكون الهاء) ،

معروف . وحركة الشاعر للضرورة . (٦) ربت : ثبتت . والحول : القوة .

(٧) البيت : الكعبة .

هذا الغراس الذى واليت منبته * بخير ما والت الاضواء والنسم^(١)
 امسى واصحى وعين الله تحرسه * حتى نما وحلاه المجد والشمم
 فانظر اليه وقد طالت يواسفه * تهنأ به ولائف الحاسد الرغم^(٢)
 يايتها النشء سنيروا في طريقته * وثابروا، رضى الأعداء أو تقموا
 فكلكم (مصطفى) لو سار سيرته * وكلكم (كامل) لو جازه السام^(٣)
 قد كان لا وانيا يوما ولا وكلا * يستقبل الخطب بساما ويفتحم^(٤)
 وانت يا قبر قد جئنا على ظميا * فخذ لنا بجواب، جادك الديم^(٥)
 اين الشباب الذى اودعت نضرته * اين الحلال - رعاك الله - والشيم؟^(٦)
 وما صنعت بآمال لنا طويت * يا قبر فيك وعنى رسمها القدم؟^(٧)
 الا جواب يروى من جوانحنا * ما للقبور اذا ما نوديت تجيم؟^(٨)
 ثم انت، يكفيك ما عانيت من تعبي * فنحن في يقظة والشمل ملتئم
 هذا (لواؤك) خفاق يظللنا * وذاك شخصك في الأجداد من رسم

- (١) واليت منبته، أى لم تنقطع عن تمهده . والنسم (محركة) والنسيم : (كلاهما) نفس الريح؛ وقيل : النسم أول هبوبها . «وبخير ما والت» الخ، أى بأحسن ما تمد الشمس والنسيم حياة النبات .
- (٢) البواسق : ما طال وارفع من الأشجار . والرغم (بالسكون، وحرك وسطه الضرورة) : التراب . ولائفه الرغم : كناية عن الذلة والمهانة . (٣) جازه : جاوزه . (٤) الوكل (محركة) : العاجز الذى بكل أمره إلى غيره . (٥) الديم : جمع ديمة، وهى السحابة التى يدرم مطرها فى سكون بلا رعد ولا برق؛ ويقال : جادته الديم، إذا أصابه بغزير مائها . وهو كناية عن الدعاء بالخير والنعيم .
- (٦) الحلال : الخصال . (٧) الرسم : ما بقى من آثار الديار . وعفاه القدم : محاه وطمس آثاره .
- (٨) وجم يجيم : سكت عن الكلام وبجزم من كثرة البهم .

(١)
رثاء تولستوى

[نشرت في نوفمبر سنة ١٩١٠ م]

(٢) رثاك أمير الشعر في الشرق وانبرى * لمذك من كتاب مضر كبير
ولست أبالي حين أرثيك بعده * إذا قيل عني قد رثاه صغير
فقد كنت عوناً للضعيف وإننى * ضعيف ومالي في الحياة نصير
ولست أبالي حين أبكيك للورى * حوتك جنان أم حواك سجير
فإني أحب النايفين لعلمهم * وأعشق روض الفكر وهو نصير
دعوت إلى عيسى فضجت كئاس * وهز لها عرش وماد سيرير
وقال أناس إنه قول ملجيد * وقال أناس إنه لبشير

(١) ولد تولستوى الفيلسوف الروسى المشهور في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٨ م . وقد عاش في أملاكه يزرعها ويقسم ماثله بينه وبين فلاحيه ، ثم وزعها بينهم على الرغم من معارضة ذويه له . ومن كتبه : (الحرب والسلام) و(أين المخرج) . وله من الروايات المشهورة : (البعث) و(القيامة) . وآتهم في آخر حياته بالخروج على الكنيسة ، فحكمت بكفره ، وكانت وفاته في ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٢) يريد « بأمير الشعر » : المرحوم أحمد شوقى بك ، وله في رثاء تولستوى قصيدة مطلعها :

« تلستو » تجرى آية العلم دمعها * عليك ويبسكى بأس وفسير

ويريد « بالكاتب الكبير » : الأستاذ أحمد لطفى السيد وقد رثى تولستوى بكلمة صدر بها الجريدة ،

وعنوانها : (مات الرجل) نشرت في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٣) « حوتك جنان » الخ ، أى أنه لا يبالي حين يرثيه أ كان الفقيه مؤمناً أم كافراً .

(٤) ماد : اضطرب .

(١) وَلَوْلَا حُطَامٌ رَدَّ عَنْكَ بِكَادِهِمْ * لَضُنِقَتْ بِهِ ذُرْعًا وَسَاءَ مَصِيرٌ
 وَلَكِنْ حَمَاكَ الْعِلْمُ وَالرَّأْيُ وَالْجَمَا * وَمَالٌ - إِذَا جَدَّ التَّرَالُ - وَفِيرٌ
 (٢) إِذَا زُرْتَ رَهْنَ الْمُحْسِنِينَ بِمُخْفِرَةٍ * بِهَا الزُّهْدُ نَارُ وَالذِّكَاؤُ سَيِّرٌ
 (٣) وَأَبْصَرْتَ أُنْسَ الزُّهْدِ فِي وَحْشَةِ الْبَيْلَى * وَشَاهَدْتَ وَجْهَ الشَّيْخِ وَهُوَ مُنِيرٌ
 وَأَيَقْنَتَ أَنَّ الدِّينَ لِلَّهِ وَحْدَهُ * وَإِنْ قُبُورَ الزَّاهِدِينَ قُصُورٌ
 (٤) فَقِفْ ثُمَّ سَلِّمْ وَاحْتَسِبْ إِنْ شِئْنَا * مَهِيْبٌ عَلَى رَغَمِ الْفَنَاءِ وَقُورٌ
 وَسَائِلُهُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ فَإِنَّهُ * عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ بِصِيرٌ
 يُخَبِّرُكَ الْأَعْمَى وَإِنْ كُنْتَ مُبْصِرًا * بِمَا لَمْ تُخْبِرْ أَحْرَفٌ وَسُطُورٌ
 (٥) كَأَنِّي بَسَمِعِ الْغَيْبِ أَسْمَعُ كُلَّ مَا * يُجِيبُ بِهِ أَسْتَأْذِنًا وَيُجِيرُ
 (٦) يُنَايِكَ : أَهْلًا بِالَّذِي عَاشَ عَيْشَنَا * وَمَاتَ وَلَمْ يَدْرُجْ إِلَيْهِ غُرُورٌ
 قَضَيْتَ حَيَاةَ مَلُؤْمَا الْبِرِّ وَالْتِقَى * فَأَنْتَ بِأَجْرِ الْمُتَّقِينَ جَدِيرٌ
 وَسَمُوكَ فِيهِمْ فَيَلْسُوفًا وَأَمْسَكُوا * وَمَا أَنْتَ إِلَّا الْمُحْسِنُ وَالْمُجِيرُ
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا زَاهِدٌ صَاحٍ صَاحِيَّةٌ * يَرِنُ صَوْدَاهَا سَاعَةً وَيَطِيرُ

(١) الحطام : المال . والكباد : المكايده . يشير الى ثروة تولستوى التي كان يملكها ثم نزل منها بعد وفرقها بين الفقراء . وقد ذكر ذلك في ترجمته . (٢) رهن المحسنين ، هو أبو العلاء المعري ، سمى نفسه به ، وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقا ، فأراد بأحد المحسنين : البيت . وبالآخر : العمى . ونار : مقيم . وسير ، يريد أنه مستور ، بمعنى مدفون . (٣) يريد « بالشيخ » : أبا العلاء . (٤) الاحتشام : الحياء . (٥) أحرار الجواب يحيره : رده . (٦) عيشنا ، أى عيش الزاهدين . ويدرج : يمشى .

(١) سَلَوْتَ عَنِ الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُمْ صَبَّوْا * إِلَيْهَا بِمَا تُعْطِيهِمْ وَمَيِّسِرُ
 حَيَاةُ الْوَرَى حَرْبٌ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا * سَلَامًا وَأَسْبَابُ الْكِفَاحِ كَثِيرُ
 أَبَتْ سُنَّةُ الْعُمَرَانِ إِلَّا تَنَاحَرَا * وَكَدْحًا وَلَبَّوْا أَنْ الْبَقَاءَ يَسِيرُ
 مُحَاوِلٌ رَفَعَ الشَّرَّ وَالشَّرُّ وَاقَعَ * وَتَطَلَّبُ مَحْضِ الْخَيْرِ وَهُوَ عَسِيرُ
 وَلَوْلَا امْتِزَاجُ الشَّرِّ بِالْخَيْرِ لَمْ يَقُمْ * دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ قَدِيرُ
 وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ النَّبِيَّ لِلْهُدَى * وَلَمْ يَتَطَّلِعْ لِلسَّرِيرِ أَمِيرُ
 وَلَمْ يَعْشَقِ الْعَلِيَاءَ حُرٌّ وَلَمْ يَسُدْ * كَرِيمٌ وَلَمْ يَرِجِ الشِّرَاءَ فَقِيرُ
 وَلَوْ كَانَ فِيْنَا الْخَيْرُ مَحْضًا لَمَّا دَعَا * إِلَى اللَّهِ دَائِعٌ أَوْ تَبَلَّجَ نُورُ
 وَلَا قِيلَ هَذَا فَيَلْسُوفٌ مُوَفَّقٌ * وَلَا قِيلَ هَذَا عَالِمٌ وَخَيْرُ
 فَكَمْ فِي طَرِيقِ الشَّرِّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ * وَكَمْ فِي طَرِيقِ الطَّيِّبَاتِ شُرُورُ
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي قُتُّ قَبْلَكَ دَائِعِيَا * إِلَى الزُّهْدِ لَا يَأْوِي إِلَى ظَهِيرِ
 أَطَاعُوا (أَبِيْقُورًا) وَ(سُقْرَاطَ) قَبْلَهُ * وَخُولِفْتُ فِيمَا أَرْتَبِي وَأَشِيرُ

(١) صبا : مال وحن . وتميرهم : تاتيمهم بالميرة ، وهي الطعام .

(٢) تبلج ، أشرق . (٣) يلاحظ أن الرفع في قوله « شرور » آخر البيت لضرورة حركة

الروي ، وإلا فالوجه نصبه على الأرجح ، للفصل بينه وبين « كم » الخبرية بجوار ومجرور : أوجره ، على

مذهب بعض النحويين . (٤) الظهير : المعين . (٥) ولد أبيقور الفيلسوف الإغريقي

سنة ٣٤٢ ق م في جزيرة ساموس ، وأسس في أثينا مدرسة في حديقة منزله . وتوفي سنة ٢٧٠ ق م . واشتهر

بدعوته إلى طلب الذات في الحياة ، وأخطأ الناس ففهموا من فلسفته الإباحية المطلقة . وسقراط :

فيلسوف يوناني معروف ، عاش من سنة ٤٦٨ ق م إلى سنة ٤٠٠ ق م . ولم يعرف مذهب في اللذة

بالضبط ؛ من أجل ذلك وجدت مذاهب مختلفة بعده تنسب إليه ، منها مذهب اللذة .

(١) ومِتُّ ماتَهُ بِعِ طامِعٍ * عليها ولا ألقى القيادَ ضميرُ
 إذا هُتِّمَ للظلمِ زورٌ تَسَيَّدتْ * له فوقَ أكتافِ الكواكبِ دُورُ
 أفاضَ نانا في النصيحةِ جاهداً * وماتَ كِلانا والقُلُوبُ صُخُورُ
 فكمَ قيلَ عن كَهفِ المَساكينِ باطلٌ * وكمَ قيلَ عن شَيْخِ (المعرة) زورُ
 وما صدَّ عن فِعْلِ الأذى قولُ مُرسِلِ * وما راعَ مَفْتونَ الحِياةِ نَذيرُ (٢)
 (٣)

رثاء رياض باشا^(٤)

أنشدها على قبره في حفل الأربعين

[نشرت في ٢٩ يولييه سنة ١٩١١ م]

(٥) رياضُ) أفقٌ من غمرة الموتِ وأسمِعُ * حديثَ الورى عن طيبٍ ما كنتَ تصنعُ
 أفقٌ وأسمِعُ مِنِّي رثاءَ جمعتُهُ * تُشاركُنِي فيه البريةُ أجمعُ
 لتعلمَ ما تطوى الصدورُ من الأسى * وتُنظرَ مقروحَ الحشا كيفَ يجزعُ

(١) عليها ، أى على الأرض . وإلقاء القياد : كناية عن الإذعان والطاعة . والقياد بالكسر :
 الحيل يقاد به .

(٢) كهف المساكين : ملجؤهم . ويريد به هنا : تولستوى . وشيخ المعزة ، هو أبو العلاء المعرى
 السابق ذكره . ويريد بهذا البيت . أن كلا الرجلين قد اتهم بما ليس فيه ، ورماء الناس في عقيدته
 ومذهبه بما هو برى منه . (٣) راعه : أفرغه . والمفتون : الخدوع .

(٤) كان رياض باشا من رجال عباس باشا الأول ، وتولى عدة مناصب عالية في عهد إسماعيل
 وتوفيق وعباس الثاني ، وأسندت إليه رئاسة مجلس النظار ثلاث مرات ، وترك الحكم في ١٤ أبريل
 سنة ١٨٩٤ م ، وتوفي بالأسكندرية في ١٧ يونيو سنة ١٩١١ وكان معروفًا بالعدل والشدة في تنفيذ
 الأحكام ، وكانت له أباد بيضاء في تنظيم شؤون الداخلية . (٥) المعرة : الشدة .

لئن تكُّ قد عمَّرتَ دَهْرًا لَقَد بَكَى * عَلَيْكَ مَعَ الْبَاكِ خَلَاتِقُ أَرْبَعٍ :
مَضَاءٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَعَزْمَةٌ * ^(١) مِنَ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ أَمْضَى وَأَقْطَعُ
رُحِمَتَ ، فَمَا جَاءَ يُنَوِّهُ فِي الْعُلَا * ^(٢) بِصَاحِبِهِ إِلَّا وَجَاهُكَ أَوْسَعُ
وَلَا قَامَ فِي أَيَّامِكَ الْيَبِضُ مَا جَدُّ * ^(٣) يُنَازِعُكَ الْبَابَ الَّذِي كُنْتَ تَقْرَعُ
إِذَا قِيلَ : مَنْ لِلرَّأْيِ فِي الشَّرْقِ أَوْمَاتُ * إِلَى رَأْيِكَ الْأَعْلَى مِنَ الْغَرْبِ اصْبِحْ
وَإِنْ طَلَعَتْ فِي (مِصْرَ) شَمْسٌ نَبَاهَةٌ * ^(٤) فَمِنْ بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ تَبْدُو وَتَطْلُعُ
حَكْمَتَ فَمَا حَكْمَتَ فِي قَصْدِكَ الْهَوَى * ^(٥) طَرِيقَكَ فِي الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ مَهِيحُ
وَقَدْ كُنْتَ ذَا بَطِيشٍ وَلَكِنْ تَحْتَهُ * ^(٦) نَزَاهَةٌ تَفِيحُ فِي سَبِيلِكَ تَشْفَعُ
وَقَفْتَ (لِإِسْمَاعِيلَ) وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ * ^(٧) وَفِي كَفِّهِ سَيْفٌ مِنَ الْبَطِيشِ يَلْمَعُ
إِذَا صَاحَ لَبَّاهُ الْقَضَاءُ وَأَسْرَعَتْ * إِلَى بَابِهِ الْأَيَّامُ ، وَالنَّاسُ خُشَعُ
يَذُلُّ - إِذَا شَاءَ - الْعَزِيزُ وَتَرْتَبِي * ^(٧) إِرَادَتُهُ رَفَعَ الدَّلِيلَ فَيُرْفَعُ
فِي كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ مَائِسٌ * تَدُّكَ جِبَالٌ لَمْ تَكُنْ تَتَزَعَّرُ

(١) الصارم المصقول : السيف المجلو . (٢) نوه به : رفع ذكره .

(٣) أومات : أشارت . (٤) المهيج من العاريق : البين الواضح .

(٥) يقول : إن ابتعاد الفقيه عما يدنس أرباب الحكم من المظالم كان يشفع له عند الناس

إذا أخذهم بالقسوة والعنف في تنفيذ الأحكام . (٦) يشير إلى معارضته (إسماعيل باشا)

الخدوي عند ما أراد نفى (إسماعيل باشا صديق) ، وكان رياض باشا الرجل الوحيد الذي عارض

في هذا النفي ، وطلب محاكمته علنا ليعلم جرمه .

(٧) تدك : تهدم .

(١) وفي كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ بِاسْمٍ * تَسِيلُ بِحَارٍ بِالْعَطَاءِ فَمُرِعُ
 (٢) فَمَا أَغْلَبُ شَاكِيَ الْعَزِيمَةِ أَرْوَعُ * يُصَارِعُهُ فِي الْغَابِ أَغْلَبُ أَرْوَعُ
 (٣) بِأَجْرًا مِنْ ذَاكَ الْوَزِيرِ مُصَادِمًا * إِرَادَةَ (إِسْمَاعِيلَ) وَالْمَوْتَ يَسْمَعُ
 (٤) وَفِي الثَّوْرَةِ الْكُبْرَى وَقَدْ أَحْدَقَتْ بِنَا * صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْمَنِيَّةُ مَشْرَعُ
 (٥) نَظَرْتَ إِلَى (مِصْرٍ) فَسَاءَكَ أَنْ تَرَى * حُلَاهَا بِأَيْدِي الْمُسْتَطِيلِينَ تَتَرَعُ
 (٦) وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَبْرًا عَلَى هَتِكِ خَدْرِهَا * فَفَارَقَتْهَا أَسْوَانٌ وَالْقَلْبُ مُوجِعُ
 (٧) وَعُدْتَ إِلَيْهَا حِينَ نَادَاكَ نَيْلُهَا : * أَقْلَ عَثْرَتِي فَالْقَوْمُ فِي الظُّلْمِ أَبْدَعُوا
 (٨) فَكُنْتَ (أَبَا مَحْمُودٍ) غَوًّا وَعِصْمَةً * إِلَيْكَ دُعَاةُ الْحَقِّ تَأْوِي وَتَفْرَعُ
 (٩) وَكَمْ نَابِغٍ فِي أَرْضِ (مِصْرٍ) حَمِيَّتِهِ * وَمِثْلُكَ مَنْ يَجِيءُ الْكَرِيمَ وَيَمْنَعُ

(١) تمرع، أى تفيض بالحب والخير . (٢) الأغلب : الأسد، لفظ رقبته . وشاكي العزيمة ،
 أى ذوشوكة وحدة في عزيمته . والأروع : من يعجبك بشجاعته . (٣) والموت يسمع : كناية عن قرب .
 (٤) أحدقت بنا : أحاطت . وصروف الليالي : نوائها . والمشرع : المورد .
 (٥) المستطيلون : المتجبرون . (٦) الأسوان : الحزين .
 (٧) العثرة : الكبوة والزلة . وإقاتها : إنهاض صاحبها والأخذ بيده . يشير بهذا البيت والأبيات
 الثلاثة قبله : إلى هجرة الفقيه من مصر إلى أوروبا ، عند ما ثار الضباط في عهد إسماعيل في ١٨ فبراير
 سنة ١٨٧٩ م ، لأن ناظر المالية إذ ذاك السير (ريفيس ولس) رأى أن يرفق ٢٥٠٠ ضابط على
 سبيل الاقتصاد من غير أن يدفع لهم المتأخر من مرتباتهم ، فظاهروا أمام نظارة المالية ، وأوسعوا نوبارباشا
 رئيس النظارة (ولس) لكما وضربا ، وكادوا ينالون من الفقيه ، وكان وزيرا للداخلية في هذه الوزارة ؛
 وقد بقى الفقيه في أوروبا حتى دعاه المنفور له توفيق باشا لتولى رئاسة النظارة ، فعاد إلى مصر في ٣ سبتمبر
 سنة ١٨٧٩ م . (٨) منع الشاعر (محمودا) من الصرف لضرورة الشعر . (٩) يشير بقوله
 « وكَمْ نَابِغٍ » والأبيات الأربعة الآتية بعد : إلى ترحيب الفقيه وتعضيده للسيد جمال الدين الأفغانى حينما
 ترك الأستانة إلى مصر سنة ١٨٧١ وإلى ما كانت تمدّه به حكومة رياض من مساعدة مالية ، ذلك إلى أنها
 رخصت له في إلقاء محاضرات في الأزهر لينشر آراءه ويستفيد الناس من علمه .

رَعَيْتَ (بِجَمَالِ الدِّينِ) ثُمَّ اصْطَفَيْتَهُ * فَأَصْبَحَ فِي أَفْيَاءِ جَاهِكَ يَرْتَعُ^(١)
 وَقَدْ كَانَتْ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ثَاوِيًا * وَفِي صَدْرِهِ كَثْرٌ مِنَ الْعِلْمِ مُودَعُ^(٢)
 بَحِثْتَ بِهِ وَالنَّاسُ قَدْ طَالَ شَوْقُهُمْ * إِلَى الْمَعْيَى بِالْبَرَاهِينِ يَصُدَعُ^(٣)
 فَحَرَّكَ مِنْ أَفْهَامِهِمْ وَعُقُولِهِمْ * وَعَاوَدَهُمْ ذَاكَ الذِّكَاؤُ الْمَضْيَعُ^(٤)
 وَوَلَّيْتَ تَحْرِيرَ الْوَقَائِعِ (عَبْدَهُ) * بَفَاءَ بِمَا يَشْفِي الْغَلِيلَ وَيَنْقَعُ^(٥)
 وَكَانَتْ لِرَبِّ النَّاسِ فِيهِ مَشِيئَةٌ * فَأَمَسَتْ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي الْحَقِّ تَرْجِعُ^(٦)
 وَجَاءُوا (بِابْرَاهِيمَ) فِي الْقَيْدِ رَاسِنًا * عَلَيْهِ مِنَ الْإِمْلَاقِ ثُوبٌ مُرْقَعُ^(٧)
 فَأَلْفَيْتَ مِلءَ الثُّوبِ نَفْسًا طُمُوحَةً * إِلَى الْمَجْدِ مِنْ أَطْهَارِهَا تَطَّلَعُ^(٨)
 فَأَطْلَقْتَهُ مِنْ قَيْدِهِ وَأَقْلَقْتَهُ * وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ السَّعَادَةِ يَطْمَعُ
 وَكَمْ لَكَ فِي (مَصِيرِ) وَفِي (الشَّامِ) مِنْ يَدٍ * لَهَا أَيْنَ حَلَّتْ نَفْحَةٌ تَتَضَوُّعُ^(٩)

(١) الأفياء : الظلال ؛ الواحد في .

(٢) ثاوريا : مقيا .

(٣) الألعى ، الذكي المتوقد . ويصدع بالبراهين : يجهر بها . (٤) عبده ، أى الشيخ محمد عبده ،

وكان رياض باشا قد عهد إليه في سنة ١٨٨٠ م بالإشراف على تحرير الوقائع المصرية حيث خصص فيها قسم للحركة الأدبية والعمرانية . والغليل : شدة العطش . ونقعه : إرواؤه .

(٥) أى وكانت لله مشيئة في أن يكون الشيخ محمد عبده عظيم القدر ، موثلا للحق .

(٦) يريد بـابراهيم : ابراهيم الهلباوى بك الحامى المعروف . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده

إلى ما كان من طعن الهلباوى على الحكومة والحجى به متهما أمام رياض باشا ، فأنس منه رياض ماسر به

فمفاعته ، وتولاه برعايته . (٧) نفسا طموحة ، أى مستشرقة إلى معالى الأمور ، متطلعة إليها .

والمسموع ، طموح ، بلا تاء في آخره ، للذكر والمؤنث . والأطهار : الخلق من الثياب ؛ الواحد طاهر

(بالكسر) . (٨) تتضوع : تتشرأبحتها .

(١) رَفَعَتْ عَنِ الْفَلَاحِ عِبَاءَ ضَرِيَّةٍ * يَنْوُءُ بِهَا أَيَّامَ لَا غَوْثَ يَنْفَعُ
 (٢) وَأَرْهَبَتْ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَأَرَعَوْا * وَكَانُوا أَنَاسًا فِي الْجَهَالَةِ أَوْضَعُوا
 (٣) نَخَافُوكَ حَتَّى لَوْ تَنَاجَوْا بِنَجْوَةٍ * نَلْأَلُوا (رِيَاضًا) فَوْقَهُمْ يَتَسَمَعُ
 (٤) أَقَمْتَ عَلَيْهِمْ زَاجِرًا مِنْ نُفُوسِهِمْ * إِذَا سَأَلْتِ أَمْرًا لَهُمْ قَامَ يَرُدُّعُ
 (٥) سَلِ النَّاسَ أَيَّامَ الرُّشَا مُسْتَفِيضَةً * وَأَيَّامَ لَا تَجْنِي الَّذِي أَنْتَ تَزْرَعُ
 أَكَنْتَ (رِيَاضٌ) عَنْهُمْ غَافِلٌ * يَرُدُّ الْأَذَى عَنِ أَهْلِ (مِصْرٍ) وَيُدْفَعُ
 (٦) (أُمُومَرَّ الْإِصْلَاحِ) وَالْعُرْفِ، قَدَمَضَى * (رِيَاضٌ) وَأَوْدَى الْوَاوِزِعُ الْمَتُورِعُ
 (٧) وَكَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ خَيْرَ جَالِسٍ * لَهَيْبَتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَخْشَعُ
 (٨) فَيَاوَيْلُنَا إِنَّا لَمْ نَسُدُّوا مَكَانَهُ * بِئِذِي مَرَّةً فِي الْخَطْبِ لَا يَتَضَعُّعُ

- (١) العبء : الحمل . وبنوء بها : لم يستطع حملها والنهوض بها . والغوث : المعين والناصر . ويشير إلى الغناء رياض باشا بعض الضرائب ، وكان مجموع ما ألغى منها أربعة وعشرين ضريبة ، منها عوائد الجمارك الداخلية التي كان يتضجر منها الفلاحون ، والضريبة الشخصية ، وضريبة الوزن .
- (٢) ارعوى : كف واتهى . وأوضعوا في الجهالة ، أى انغمسوا فيها واسترسلوا .
- (٣) تناجوا : تساوروا . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . يريد المكان البعيد عن الرقباء .
- (٤) يردع : يزجر .
- (٥) الرشا : جمع رشوة (بتدليث الراء) ، وهى معروفة « وأيام لا تجنى » الخ ، أى أيام كان يحرم العامل ثمرة عمله . (٦) يشير إلى أثر الفقيد في مؤتمر الإصلاح الذى انعقد فى سنة ١٩١١ م ، وتوالت جلساته خمسة أيام . وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما النظر فى حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية . والثانى الرد على مطالب الأقباط التى طلبوها فى مؤتمرهم المنعقد بأسبوط قبل ذلك فى ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان الفقيد رئيسا لهذا المؤتمر الإسلامى ، أو المؤتمر المصرى . وأودى : ذلك . والوازع : الزاجر . والمتورع : المتخرج .
- (٧) تعنو : تذلل وتخضع .
- (٨) المزة : القوة والعزيمة .

بَعِيدٍ مَرَامِ الْفِكْرِ أَمَا جَنَانُهُ * فَسَرَحْتُ ، وَأَمَّا عِزُّهُ فَمَمْنَعٌ^(١)
 فَيَأْتِيهِ الْمُسْتَضْعِفِينَ إِذَا عَدَا * عَلَيْهِمْ زَمَانٌ بِالْعَدَاوَةِ مُوَلِّعٌ^(٢)
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا قَامَ بَيْنَنَا * وَزَيْرٌ عَلَى دَسْتِ الْعُلَا يَتَرَبَّعٌ^(٣)

رثاء الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد^(٤)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بمنزل السادات

[نشرت في ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ م]

صَوَّنُوا يَرَاعَ (عَلِيٌّ) فِي مَتَاحِفِكُمْ * وَشَاوِرُوهُ لَدَى الْأَرْزَاءِ وَالنُّسُوبِ^(٥)
 وَأَسْتَلْهُمُوهُ إِذَا مَا السَّرَّاءُ أَخْطَأَتْكُمْ * يَوْمَ النُّضَالِ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالنَّشَبِ^(٥)
 قَدْ كَانَ سَلْوَةً (مِصْرِي) فِي مَكَارِهَا * وَكَانَ بَحْمَرَةً (مِصْرِي) سَاعَةَ الْغَضَبِ^(٦)
 فِي شِقِّهِ وَمَرَامِيهِ وَرِيقَتَيْهِ * مَا فِي الْأَسَاطِيلِ مِنْ بَطْشٍ وَمِنْ عَطَبِ^(٦)
 كَمْ رَدَّ عَنَّا وَعَيْنُ الْغَرِيبِ طَائِعَةٌ * مِنْ الرِّزَايَا وَكَمْ جَلِيٌّ مِنَ الْكُرْبِ^(٧)

- (١) الجنان : القلب . (٢) مولع : منعم . (٣) الدست : المجلس .
 (٤) ولد الشيخ علي يوسف الكاتب المعروف صاحب المؤيد في بلصنورة من أعمال مديرية جرجا ،
 وحفظ القرآن ، وتلقى مبادئ العلوم في بلدة بني عدي من أعمال منفلوط ، ثم أرسل الى الأزهر فتعلم فيه
 بعض علوم اللغة والدين ، وأنشأ جريدة المؤيد ، ظهر أول عدد منها في ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ، وكان
 المرحومان رياض باشا وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام به ، هذه الصحيفة ، وتوفى
 في سنة ١٩١٣ م ، وكان كاتباً معروفاً بالجدل وقوة الحجج ، وتولى مشيخة مجادة الوفاية .
 (٥) النشب : المال . (٦) ريقة القلم : مداده . والعطب : الهلاك .
 (٧) جلي : كشف .

- (١) له صريرٌ إذا جَدَّ التَّزَالُ به * يُنْشِى الكُفَاةَ صَبِيلَ البِيضِ والقَضْبِ
- (٢) مَا ضَرَمَنْ كَانَ هَذَا فِي أَنَامِلِهِ * أَنْ يَشْهَدَ الحَرْبَ لَمْ يَسْكُنْ إِلَى يَلْبِ
- (٣) فَلَوْ رَأَاهُ (أَبْنُ أَوْسٍ) مَا قَرَأَتْ لَهُ : * (السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الكُتُبِ)
- أَلَا فَتَى عَرَبِيٌّ يَسْتَقِيلُ بِهِ * بَعْدَ الفَقِيدِ وَيَجْمِي حَوْزَةَ الأَدَبِ
- (٤) وَيَمْنَعُ الحَقَّ أَنْ يُغْشَى تَبْلُجَهُ * مَا فِي السِّيَاسَةِ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبِ
- أُودَى فَتَى الشَّرْقِ ، بَلْ شَيْخُ الصَّحَافَةِ بَلْ * شَيْخُ الوَفَائِيَّةِ الوَضَّاحَةِ الحَسَبِ
- (٥) أَقَامَ فِينَا عِصَامِيًّا فَعَلَّمَنَا * مَعْنَى الثَّبَاتِ وَمَعْنَى الحِدِّ وَالدَّابِّ
- وَرِاحَ عَنَّا وَلَمْ تَبْلُغْ عَزَائِمُنَا * مَدَى مُنَاهَا وَلَمْ تَقْرُبْ مِنَ الأَرَبِ
- (٦) قَالُوا تَعَجَّبْنَا لِمَصْرِ يَوْمَ مَصْرَعِهِ * وَقَدْ تَعَجَّبْتُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ العَجَبِ

(١) صرير القلم : صوته في الكتابة . وصليل البيض والقضب : أصوات السيوف . والكفاة : الشجمان ؛ الواحد كفى . (٢) اليب : الدرع من الجلود . يريد أن من كان هذا القلم من أسلحته شهد الحروب بغير درع بقيه أسلحة الأبطال ، وحسبه هذا القلم وقاية له . (٣) يريد حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام . والشطر الثاني من هذا البيت هو مصدر بيت له من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله الخليفة العباسي حين فتح عمورية ، وبجز البيت :

* فِي حِذِّهِ الحِدِّ بَيْنَ الحِدِّ وَالعَبِّ *

لحافظ يقول : إن أبا تمام لو رأى هذا القلم لعرف فضله على السيف .

(٤) يغشى تبلجه ، أى يحجب إشراقه . (٥) العصامي : الذى ساد بنفسه لا بآبائه ،

نسبة الى عصام الذى يقول فيه الشاعر :

* نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا *

والدأب في العمل : الاستمرار عليه والاجتهاد فيه . (٦) قالوا عجبنا ... الخ ، أى عجبنا

لأهل مصر في تلقيهم نعي النقيد في فتور وقلة أكرثا .

(١) إِنْ الْأَلَى حَسِبُوهَا غَيْرَ جَارِعَةٍ * لَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَشْيَاءِ مِنْ كَثَبِ
 تَالِهٍ مَا جَهَلَتْ فِيهِ مُصِيبَتَهَا * وَلَا الَّذِي فَقَدَتْ مِنْ كَاتِبِ الْعَرَبِ
 (٢) لَكِنهَا أَلَفَتْ وَالْأَمْرُ يَحْزُبُهَا * فَقَدَ الرَّجَالِ وَمَوْتَ السَّادَةِ النَّجْبِ
 (٣) وَعَلِمَتْهَا أَلْيَالِي أَنْ تُصَابِرَهَا * فِي الْحَاثَاتِ وَإِنْ أَمَعْنُ فِي الْحَرْبِ
 (٤) كَمْ أَرْجَفُوا بَعْدَ مَوْتِ الشَّيْخِ وَارْتَقَبُوا * مَوْتَ (المُؤَيَّدِ) فِينَا شَرَّ مَرْتَقَبِ
 وَإِنْ يَمُتْ يَمُتِ الْأَمَالُ فِي بَلَدٍ * لَوْلَا (المُؤَيَّدِ) لَمْ يَنْشَطْ إِلَى طَلَبِ
 (٥) ضُبابَةٍ مِنْ رَجَاءٍ بَيْنَ أَضْلُعِنَا * قَدْ بَاتَ يَرْشُفُ مِنْهَا كُلَّ مُغْتَصِبِ
 (٦) أَلَمْ يَكُنْ لِبَنِي (مِصْرٍ) وَقَدْ دَهَمُوا * مِنْ سَاسَةِ الْعَرَبِ مِثْلَ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ
 كَمْ أَنْبَرَتْ فِيهِ أَقْلَامٌ وَكَمْ زُفِعَتْ * فِيهِ مَنَائِرٌ مِنْ نَظْمٍ وَمِنْ خُطَبِ
 وَكَانَ مَيْدَانٌ سَبَقَ لِلْأَلَى غَضِبُوا * لِلدِّينِ وَالْحَقِّ مِنْ دَائِعٍ وَمُحْتَسِبِ
 (٧) فَكَمْ يَرَاغِ حَكِيمٍ فِي مَشَارِعِهِ * قَدْ التَّقَى بِيَرَاعِ الْكَاتِبِ الْأَرَبِ

(١) الكذب (بالتحريك) : القرب . أى لا ينظرون الأمور على حقائقها .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) الحرب (بالتحريك) : اشتداد الغضب . (٤) أرجف القوم : خاضوا في الأخبار

السيئة على أن يوقعوا بين الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شيء . (٥) الصبابة :

البقية . يقول : ان المؤيد بقية من رجاء وعزاء يلوذ بها كل منسوب الحق . (٦) الضمير

في « يكن » للمؤيد . والمعقل : الحصن . والأشب : المتنع بما حوله من السياج والسلاح ، وهو من

قولهم : شجر أشب ، أى ذو شوك مشتبك بعضه ببعض .

(٧) المشارع : المناهل ، الواحد مشرع (بفتح الميم والراء) . والأرب : البصير الفطن .

(١) أَي الصَّحَائِفِ فِي الْقَطْرَيْنِ قَدْ وَسِعَتْ * رَدًّا (الإمام) مُنْزِيلِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
 (٢) أَيَّامَ يَحْصِبُ (هانوتو) بِفِرْيَتِهِ * وَجَهَ الْحَقِيقَةَ وَالْإِسْلَامَ فِي نَحْبِ
 مَالِي أَعْدَدُ آثَارَ الْفَقِيدِ لَكُمْ * وَالشَّرْقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ وَالغَلَبِ
 لَوْلَا (المؤيد) ظَلَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى * تَنَافُرٍ بَيْنَهُمْ فِي ظُلْمَةِ الْجُبِّ
 (٣) تَعَارَفُوا فِيهِ أَرْوَاحًا وَصَمَمُهُمْ * رَغَمَ التَّنَائِي زِمَامٌ غَيْرُ مُنْقَضِ
 فِي مِصْرَ فِي تُونِسَ فِي الْهِنْدِ فِي عَدْنِ * فِي الرُّوسِ فِي الْفُرْسِ فِي الْبَحْرَيْنِ فِي حَلَبِ
 هَذَا يَحْرُجُ إِلَى هَذَا وَقَدْ عَقِدَتْ * مَوَدَّةٌ بَيْنَهُمْ مَوْصُولَةُ السَّبَبِ
 (أَبَا بَثِينَةَ) نَمَّ يَكْفِيكَ مَا تَرَكْتُ * فِينَا يَدَاكَ وَمَا عَانَيْتَ مِنْ تَعَبِ
 جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ وَالْأَوْطَانِ مُحْتَسِبًا * فَأَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ مَاجُورًا وَقُزْ وَطِبِ
 (٤) وَأَحْمِلْ يُمْنَاكَ يَوْمَ النَّشْرِ مَا نَشَرْتُ * تِلْكَ الصَّحِيفَةُ فِي دُنْيَاكَ وَأَنْتَسِبَ

(١) يريد «بالإمام»: الشيخ محمد عبده، ويشير إلى رده على هانوتو الذي نشره في صحيفة المؤيد.

(٢) يحصب: يرمى، والفريية: الكذبة، والنحب (بسكون الحاء)، وفتحها هنا لضرورة الوزن:

أشد البكاء.

(٣) التناي: التباعد، ومنقضب: منقطع.

(٤) وانتسب، أي انتسب إلى تلك الصحيفة فهي حسبك من نسب.

رثاء على أبي الفتوح باشا^(١)

أشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه في الجامعة

[نشرت في ٩ فبراير سنة ١٩١٤ م]

(٢)

جَلَّ الأَسَى قَتَجَمَلِي * واذا آيَّتِ فَأَجَمَلِي

يَا مِصْرُ قَدْ أَوْدَى قَتَا * كِ وَلا قَتَى إِلا (عَلِي)

قَدَمَاتِ نَابِغَةُ القَضَا * وَغَابَ بَدْرُ المَحْفَلِ

(٣)

وَمَدَا القَضَاءُ عَلَى القَضَا * فَصَابَهُ فِي المَقْتَلِ

حَلَّالُ عَقْدِ المَعْضِلَا * تِ قَضَى بِدَاءِ مَعْضِلِ

(٤)

وَيَحِ الكِخَانَةَ مَا مَا * فِي غَمْرَةٍ لا تَجَمَلِي

بَاتَتْ وَكَارِثَةٌ تَمْرِبُهَا * وَكَارِثَةٌ تَلِي

يَا زَهْرَةَ المَاضِي وَيَا * رِيحَانَةَ المُسْتَقْبَلِ

كُنَّا نَعِدُكَ للشِّدَا * ئِيدِ فِي الزَّمَانِ المُقْبَلِ

(١) على أبو الفتوح باشا، هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا. ولد بيلقاس من أعمال الغربية في سنة ١٨٧٣ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر سافر إلى أوروبا لتلقي علوم القانون بكلية مونبلييه بفرنسا، ولبت فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس، وقد شهد له أساتذته في تقاريراتهم الرسمية بأنه يكتب اللغة الفرنسية كأحد أبنائها. وكان ينشر بعض المباحث في المجلات الفرنسية، وعاد إلى مصر في سنة ١٨٩٥ م. وأثر منصب تولاه في الحكومة المصرية وكالة المعارف في ٥ أبريل سنة ١٩١٠ م، وتوفي في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٣ م.

(٢) يريد « بالقضاء» الأول: الموت، وبالثاني: الفصل في الخصومات.

(٤) الغمرة: ما ينمر الناس، أي يشملهم من الخلوب والأرزاء.

يا لابس الخلق الكري * يم المظنين الأمثل

فارقنا في حين حا * جتنا ولم تمهل

يا راميا صدر الصعا * ب رماك رايمي الأجل^(١)

يا حافظا غيب الصديد * قى ويا كريم المقول^(٢)

أى المحامد غضة * بجلالك لم تجمل^(٣)

تلهو لداتك بالصبا * لهوا وأنت بمعزل^(٤)

تسعى وراء الباقيبا * ت الصالحات وتعتلي^(٥)

بين المحابر والدفا * تر دائبا لا تاتلي

أدركت علم الأجر يد * بن وخرت فضل الأول^(٦)

أدنى مرامك همة * فوق السماك الأعزل

وأجل قصيدك أن ترى * (مضرا) تسود وتعتلي^(٧)

درج الأجابة بعد ما * تركوا الأسى والحزن لي^(٨)

لم يحل لي من بعدهم * عيش ولم أتعلل

(١) الأجل : الصقر ، وهو معروف بالحذر والحرص . يقول : أصابك الموت الذى يصيب أشد المخلوقات حذرا وحوصا . (٢) المقول : اللسان . (٣) الغضة : الناضرة . (٤) لداتك : من ولدوا معك . (٥) لاناتلي : لا تقصر . (٦) السماك : اسم يطلق على نجمين فيرين ، وهما الأعزل والراح ، وسمى أعزل ، لأنه لا شئ بين يديه من الكواكب ، وهو من منازل القمر ؛ والراح ليس من منزله . (٧) درج الأجابة : ذهبوا ومضوا . (٨) أتعلل : أتشاغل وأتلهى .

لى كلِّ عامٍ وقفةٌ * حرى على مُتَحَلِّ^(١)
 أبكى بكاءَ الشاكِلا * تِ وَأَصْطَلِي ما أَصْطَلِي
 لم يبق لي يومُ الفقيه * يدِ عَزِيمَةٍ لم تُفَلِّ^(٢)
 يوم عبوسٍ قد مضى * بفتى أغرٍّ محجَّلِ
 من لم يُشاهدْ هولَه * عند القضاءِ المُتَزَلِ^(٣)
 لم يدِر ما قَصَمَ الظُّهُو * رِ ولا أَنخِزَالُ المَفْصِلِ
 يا قَبْرُ وَيحك ما صنَع * تَ بوجهه المُتَهَلِّ^(٤)
 عبست منه نَصْرَةٌ * كانت رياضَ المُجْتَلِي^(٥)
 وعبت منه بطرَةٌ * سَوْداءَ لما تُنْصَلِ
 يا قَبْرُ هل لَعِبَ البلى * يَلطافِ تلك الأُمَلِ؟^(٦)
 لهفى عليها فى الطُّرو * سِ تَسيلُ سِيلَ الجَدُولِ
 لهفى عليها فى الجِدا * لِ تَحُلُّ عَقَدَ المُشْكَلِ^(٧)
 لهفى عليها للرجا * ءِ وللعفاةِ السُّؤْلِ

(١) اصطلى النار : قاسى حرها .

(٢) أغر محجل ، أى مشهور المكانة معروف المنزلة . والأغر والمججل : اصلاهما من صفات الخيل .

(٣) انخزال المفصل : انفصاله . (٤) المجتلى : الناظر المستوضح للأشياء .

(٥) لما تنصل ، أى لم تخرج من لونها بعد ، وهو السواد . يريد أنها لم يدركها الشيب .

(٦) الجدول : النهر الصغير .

(٧) العفاة : طلاب المعروف ؛ الواحد عاف (كقاض) .

يا قَبْرُ ضَيْفِكَ بَيْنَنَا * قد كانَ خَيْرَ مُؤَمِّلٍ
 لَمْ يَنْقِضْ كِبْرًا بِنَا * دِيهٍ وَلَمْ يَتَبَدَّلِ
 إِنِّي حَلَلْتُ رِحَابَهُ * فَتَزَلَّتْ أكرمَ مَتَرِلٍ
 وَنَهَلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِ * فَوَرَدْتُ أَعْدَبَ مَنَهْلٍ^(١)

رثاء فتحي وصادق

قالها في رثاء الطيارين العثمانيين فتحي بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطائرة قرب دمشق، وكانا يعترضان

الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر، ويؤمل فيها وصول الطيار الآخر نوري بك سالمًا

[نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٤م]

أُخْتِ الكَوَاكِبِ ما رَمَا * كِ وَأَنْتِ رَامِيَةُ النُّسُورِ؟^(٢)
 ما ذا دَهاكِ وَفَوْقَ ظَهْرِ * بِرِيكِ مَرِيضِ الأَسَدِ المَهِصُورِ؟^(٣)
 خَضَعْتَ لِإمْرَتِهِ الرِّيا * حُ مِنْ الصِّبا وَمِنْ الدُّبُورِ^(٤)
 فَعَدَا يُصَرِّفُ مِنْ أَعْيُنِهَا تَصَارِيفَ القَدِيرِ^(٥)
 (فَتَحَى) وَهَلْ لِي إِنْ سَأَلْتُ * تُ عَنْ المِصْبِيَةِ مِنْ مُجِيرِ؟^(٦)
 وَيَلَاهُ هَلْ جُزَّتِ الحُدُودُ * دَ وَأَنْتِ مُخْتَرِقَةُ السُّتُورِ؟

- (١) نهلت : شربت . (٢) أخت الكواكب ، يخاطب الطائرة .
 (٣) مريض الأسد : موضع ربوضه ، أى بروكه . والمهصور : الذى يهصر فريسته ، أى يكسرها .
 (٤) الصبا : ريح الشمال . والدبور : الريح التى تقابلها . (٥) المجير : المخبب .
 (٦) جزت الحدود ... الخ . يقول : هل جاوزت الحدود التى تفصل بين العالمين : عالم السماء وعالم الأرض ، واخترقت المخبب التى بينهما ؟

(١) فَرَمَاكَ حُرَّاسُ السَّمَاءِ * وَتِلْكَ قَاصِمَةُ الظُّهُورِ
 (٢) أَمْ ظَارَ مِنْكَ السَّابِحَاتُ * وَأَنْتَ تَسْبِحُ فِي الْأَثِيرِ
 حَسَدَتِكَ حِينَ رَأَيْتَ وَحْدَ * دَكَ ثُمَّ كَالْفَلَاحِ الْمُنِيرِ
 (٣) وَالْعَيْنُ مِثْلُ السَّهْمِ تَنْدُ * فُذُّ فِي التَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ
 حَاوَلْتَ أَنْ تَرِدَ الْجَمْرَةَ * وَالْوُرُودُ مِنَ الْعَسِيرِ
 فَوَرَدْتَ يَا (فَتْحَى) الْجَمَا * مَ وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ النَّظِيرِ
 وَهَوَيْتَ مِنْ كَيْدِ السَّمَاءِ * وَهَكَذَا مَهْوَى الْبُدُورِ
 إِنْ كَانَ أَعْيُنُكَ الصُّعُورِ * دُ بِذَلِكَ الْجَسَدِ الطُّهُورِ
 فَاسْبِغْ بِرُوحِكَ وَحَدَا * وَأَصْعَدْ إِلَى الْمَلِكِ الْكَبِيرِ
 (٤) إِنْ رَاعِنَا صَوْتُ النَّعْيِ * وَفَاتِنَا نَبَأُ الْبَشِيرِ
 فَلَعَلَّ مَنْ ضَمَّتْ يَدَا * هُ عَلَى الْكِنَانَةِ بِالسَّرُورِ
 أَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَهَا * فِي حِفْظِ صَاحِبِكَ الْآخِيرِ
 بَاتَتْ تُرَاقِبُ فِي الْمَشَا * رِقِ وَالْمَغَارِبِ وَجَهَ (نُورِي)

(١) يريد بهذا البيت تشبيهه بالجن الذين كانوا يسترقون السمع من السماء فتحرقهم بشبهها المرسله عليهم .

(٢) السابحات : الكواكب . قال تعالى : (والسابحات سبحا) . (٣) يجارى في هذا

البيت ما هو شائع بين الناس من اعتقادهم في تأثير العين ، وأنها تصيب كما يصيب السهم .

(٤) راعنا : أفرعنا .

رثاء الدكتور شبلي شميل^(١)

أشدها في الحفل الذي أقيم في نادي جمعية الاتحاد السوري في مساء الأحد

٩ فبراير سنة ١٩١٧ م

سَكَنَ الْفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرَابٍ * إِنَّ ذَاكَ السُّكُونُ قَصْلُ الْخَطَابِ
لَقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ فَاتْرُكُوا الْمَرْءَ * لَدَيَّانِيهِ فَيْسِجُ الرَّحَابِ
حَزِنَ الْعِلْمُ يَوْمَ مِتُّ وَلَكِنْ * أَمِنَ الدِّينُ صَبِيحَةَ الْمُرْتَابِ^(٢)
كَنتَ تَبْنِي بَرْدَ الْيَقِينِ عَلَى الْأَرْضِ * ضِيقٌ وَتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ الْبَابِ
فَاسْتَرِحْ أَيُّهَا الْمُجَاهِدُ وَاهْدَأْ * قَدْ بَلَغْتَ الْمُرَادَ تَحْتَ التُّرَابِ
وَعَرَفْتَ الْيَقِينَ وَأَنْبَلَجَ الْحَقُّ * لَعَيْنَيْكَ سَاطِعًا كَالشَّهَابِ^(٣)
لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ قَضَيْتَ حَيَاةَ * بَيْنَ شَكِّ وَحَيْرَةٍ وَأَرْتِيَابِ
هَلْ أَتَاكَ الْيَقِينُ مِنْ طُرُقِ الشُّكِّ * فَشَكُّ الْحَكِيمِ بَدَأُ الصَّوَابِ
كَمْ سَمِعْنَا مُسَائِلًا قَبْلَ (شِبْلِي) * عَاشَ فِي الْبَحْثِ طَارِقًا كُلَّ بَابِ
أَطْلَقَ الْفِكْرَ فِي الْعَوَالِمِ حُرًّا * مُسْتَطِيرًا يُرِنُّ هَتَكَ الْجِجَابِ^(٤)

(١) الدكتور شبلي شميل، هو الطبيب اللبناني نزيل مصر، وكان من أشهر الأطباء. ولد في نحو سنة ١٨٥٠ م، في قرية كفر شيبا من قرى ساحل لبنان، وهي القرية التي ولد فيها الشيخ ناصيف اليازجي. وتعلم العلوم الطبيعية والطب في كلية الأمريكان ببيروت وأتم علومه في أوروبا. وهو مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية العميقة، وله من الآراء المتعلقة بالعقيدة الدينية ما أنكره الناس عليه، وإلى هذا يشير حافظ في قصيدته تلك. ومن أشهر كتبه: كتاب (النشوء والارتقاء). وتوفي سنة ١٩١٧ م.

(٢) المرتاب: الشاك في العقيدة. (٣) انبلج: أضاء وأشرق. (٤) يرينغ: يطلب.

يَقْرَعُ النَّجْمَ سَائِلًا ثُمَّ يَرْتَدُّ * إِلَى الْأَرْضِ بَاحِثًا عَنْ جَوَابِ
 أَعْجَزَتِهِ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ أَسْبَابًا * بِطَوَاهَا مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ
 وَقَفَّتْ دُونَهَا الْعُقُولُ حَيَارَى * وَأَنْثَى هِبْرِيهَا وَهُوَ كَابِي^(١)
 لَمْ يَكُنْ مُلِحِدًا وَلَكِنْ تَصَدَّى * لِشُؤْرَيْنِ الْمُهَيِّمِينَ السُّوَاهِبِ
 رَامَ إِدْرَاكَ كُنْهِ مَا أَعْجَزَانَا * سَقَدِيمًا فَلَمْ يَفُزْ بِالطَّلَابِ
 إِلَيْهِ شِبْلِي قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيكَ أَلْ * قَوْلَ حَتَّى تَفْتَنُوا فِي عِتَابِي
 قِيلَ : تَرَى ذَاكَ الَّذِي يُنْكِرُ النَّوْ * رَوْلَا يَهْتَدِي بِهِدْيِ الْكِتَابِ؟
 قُلْتُ : كُفُّوا فَإِنَّمَا قُتُّ أَرِي * مِنْهُ خِلَا أَمْسَى طَوِيلَ الْغِيَابِ
 أَنَا وَاللَّهِ لَا أَحَابِيهِ فِي الْقَوْ * لِ فَقَدْ كَانَ صَاحِبِي لَا يُحَابِي^(٢)
 أَنَا أَرَى شِمَائِلًا مِنْهُ عِنْدِي * كُنَّ أَحَلَى مِنَ الشَّهَادِ الْمُذَابِ^(٣)
 كَانَ حُرَّ الْأَرَاءِ لَا يَعْرِفُ الْخُدْ * لَ وَلَا يَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصَّحَابِ^(٤)
 مُفْضِلًا مُحْسِنًا عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ * بِرِجْمِيعِ الْفُؤَادِ رَحْبَ الْجَنَابِ^(٥)
 عَاشَ مَا عَاشَ لَا يُبْلِقُ عَلَى الْأَيْتَامِ مَالًا * وَلَمْ يَلِنَ لِلصَّعَابِ
 كَانَ فِي الْوُدِّ مَوْضِعَ الثَّقَةِ الْعُكْبِ * سَرَى وَفِي الْعِلْمِ مَوْضِعَ الْإِعْجَابِ

(١) الهبرزي : المقدام . والكابي : العاثر المنكب على ربهه .

(٢) الشهاد والشهد ، كلاهما بمعنى واحد . (٣) الختل : الخداع . (٤) المفضل :

المنعم . رجميع الفؤاد ، أى مجتمعه لا تفرق قلبه النوائب . (٥) يقال : فلان لا يلبق درهما

لسنانه ، أى لا يمسه .

نَكَبَ الطَّبُّ فِيهِ يَوْمَ تَوَلَّى * وَأَصِيبتُ رَوَائِعُ الآدَابِ
 (١) وَخَلَا ذَلِكَ النَّيْدِيُّ مِنَ الأَذِّ * سِيسَ وَقَدْ كَانَ مَرْتَعِ الكُتَابِ
 (٢) وَبَكَتْ فَقْدَهُ الشَّامُ وَنَابَتْ * فَوْقَ مَا نَابَهَا بِهَذَا المُصَابِ
 (٣) كُلُّ يَوْمٍ يَهْدُ رُكْنٌ مِنَ الشَّأْ * م، لَقَدْ آذَنْتُ إِذَا بِالخَرَابِ
 (٤) فَهِيَ (بِالبازيبي) وَ(بُجْرِي) وَ(شِبْلِي) * فُجِعَتْ بِالثَّلَاثَةِ الأَقْطَابِ
 فَعَلَى الرَّاحِلِ الكَرِيمِ سَلَامٌ * كَلَّمَا غِيبَ الثَّرَى لَيْتَ ظَابِ

رثاء جورجي زيدان^(٥)

سنة ١٩١٤

دَمَانِي رِفَاقِي وَالقَوَافِي مَرِيضَةٌ * وَقَدْ عَقَدْتُ هُوجُ الخُطُوبِ لِسَانِي
 (٦) بَخْتُ وَبِي مَا يَعْلَمُ اللهُ مِنْ أَسَى * وَمِنْ كَيْدِ قَدِ شَفَنِي وَبَرَانِي

- (١) الندى : مجتمع القوم . (٢) ناه بالحمل : نهض به مع جهد ومشقة وتناقل .
 (٣) آذنت : أهملت . (٤) يريد الشيخ ابراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف . (انظر
 التعريف به في الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٨٤ من هذا الجزء) . وجرجي ، هو جرجي زيدان (وسياتي
 التعريف به في الحاشية الآتية بعدها) . (٥) ولد جرجي زيدان في بيروت عاصمة لبنان
 في سنة ١٨٦١ م ، وتلقى بعض العلوم في مدارسها الابتدائية ، ثم ترك التعليم وهو لم يبلغ الثانية عشرة من
 عمره ، فإثر ميله الى العلم والأدب جعله لا يدع فرصة يستفيد منها إلا انتهزها ، إما بمطالعة ما تصل اليه يده
 من الكتب ، وإما بتقريبه من رجال العلم حتى صار من أعلام التاريخ والأدب المشهورين ؛ وهو منشئ مجلة
 الهلال المعروفة . وكانت وفاته في أغسطس سنة ١٩١٤ م ، وتأليفه كثيرة ، منها : كتاب (تاريخ مصر الحديث) ،
 و(تاريخ التمدن الإسلامي) ، و(تاريخ الماسونية) ، وغيرها من الكتب . (٦) مرض القوافي :
 سخاية عن قلة مواعاتها إياه وعصيانها عند إرادته لها . وشبه الخطوب والمصائب في ثورانها وتقلبها واشتداد
 وقعها بالرياح الهوج ، وهي التي لا تستوي في هبوبها وتقلع الخيام ؛ الواحدة هوجاء .

- مَلَيْتُ وَقُوفِي بَيْنَكُمْ مُتَلَهِّفًا * عَلَى رَاحِلٍ فَارَقْتُهُ فَشَجَانِي (١)
 أَيْ كُلِّ يَوْمٍ يَبْضَعُ الْحُزْنَ بَضْعَةً؟ * مِنَ الْقَلْبِ إِنِّي قَدْ فَقَدْتُ جَنَانِي (٢)
 كَفَانِي مَا لَقِيتُ مِنْ لَوْعَةِ الْأَسَى * وَمَا نَأْنِي يَوْمَ (الإمام) كَفَانِي
 تَفَرَّقَ أَحِبَابِي وَأَهْلِي وَأَنْحَرْتُ * يَدُ اللَّهِ يَوْمِي فَانْتَظَرْتُ أَوَانِي (٣)
 وَمَالِي صَدِيقٌ إِنْ عَثَرْتُ أَقَالَنِي * وَمَالِي قَرِيبٌ إِنْ قَضَيْتُ بَكَانِي
 آرَانِي قَدْ قَصَّرْتُ فِي حَقِّ صُحْبَتِي * وَتَقْصِيرُ أَمْثَالِي جِنَايَةٌ جَانِي (٤)
 فَلَا تَعْذِرُونِي يَوْمَ (فَتَحَى) فَإِنِّي * لِأَعْلَمُ مَا لَا يَجْهَلُ الثَّقَلَانِ (٥)
 فَقَدْ غَابَ عَنَّا يَوْمَ غَابَ وَلَمْ يَكُنْ * لَهُ بَيْنَ هَالَاتِ النَّوَابِغِ ثَانِي (٦)
 وَفِي ذِمَّتِي (لِلْيَازِجِيِّ) وَدَيْعَةً * وَأُنْحَرِي (لِزَيْدَانَ) وَقَدْ سَبَقَانِي

- (١) يوضع : يقطع ، والبضعة (بالفتح) : القلعة ، والجنان : القلب .
 (٢) يريد « بالإمام » : الشيخ محمد عبده . (٣) أقلت فلانا عشرته : صفحات عنها ودفعت عنه ما يتوقع من شرها . وقضيت : مت . (٤) الثقلان : الإنس والجن . ويريد « بفتحى » : أحمد فتحي زقزلوق باشا العالم القانوني المعروف ، ولد في سنة ١٨٦٣ م ببيانة من أعمال مركز فوة ، وآخر منصب تولاه وكالة لنظارة الحفانية . وتوفي في سنة ١٩١٣ م ، وله كثير من الكتب النافعة المترجمة من اللغات الأجنبية ، وشرح للقانون المدني . وقد مات فتحي ولم يرثه الشاعر ، وهو لهذا يعترف بتقصيره ، ويطلب الى الناس ألا يعذروه في ذلك .
 (٥) الهالة : دائرة القمر التي تحيط به . (٦) يريد « باليازجي » : الشيخ إبراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف ، وهو ابن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف ، ولد ببيروت سنة ١٨٤٧ م وكان شاعرا ناثرا متصرفا في أنواع أخرى من العلوم . وتوفي سنة ١٩٠٨ م . وهو منشئ مجلة البيان ومجلة الضياء ؛ الأولى في سنة ١٨٩٧ م والثانية في سنة ١٨٩٨ م . وآل اليازجي معروفون بكثرة من تخرج منهم من العلماء والأدباء والشعراء .

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَقُولَانِ فِي الثَّرَى * إِذَا التَّقِيَا يَوْمًا وَقَدْ ذَكَرَانِي
 وَقَدْ رَمَى بِالطَّرْفِ بَيْنَ جُمُوعِكُمْ * وَلَمْ يَشْهَدَا فِي الْمَشْهَدَيْنِ مَكَانِي
 أَيَجْمَلُ بِي هَذَا الْعُقُوقُ وَإِنَّمَا * عَلَى غَيْرِ هَذَا الْعَهْدِ قَدْ عَرَفَانِي
 دَعَانِي وَفَانِي يَوْمَ ذَاكَ فَلَمْ أَكُنْ * ضَنْينًا وَلَكِنِّ الْقَرِيضَ عَصَانِي
 وَقَدْ تُحْرِسُ الْأَحْزَانُ كُلَّ مَفْوَةٍ * بِصَرْفٍ فِي الْإِنْشَادِ كُلِّ عَنَانِ
 أَنَّنَسَاهُمَا وَالْعِلْمُ فَوْقَ تَرَاهُمَا * تَتَكَسَّرُ مِنْ أَعْلَامِهِ عَمَانِ
 وَكَمْ فُزْتُ مِنْ رَبِّ (الهِلَالِ) بِحِكْمَةٍ * وَكَمْ زِنْتُ مِنْ رَبِّ (الضِّيَاءِ) بِيَانِي
 (أَزِيدَانُ) لَا تَبْعُدْ وَتِلْكَ عِلَالَةٌ * يُنَادِي بِهَا النَّاعُونَ كُلَّ حُسَانِ
 لَكَ الْأَثْرُ الْبَاقِي وَإِنْ كُنْتَ نَائِيًا * فَأَنْتَ عَلَى رَغْمِ الْمَنِيَّةِ دَانِي
 وَيَا قَبْرَ (زَيْدَانِ) طَوَيْتَ مُؤَرَّخًا * تَجَلَّى لَهُ مَا أَضْمَرَ الْفَتْيَانِ
 وَعَقْلًا وَلَوْعًا بِالْكُنُوزِ فَإِنَّهُ * عَلَى الدَّرَّغَوَاصِ يَجْمُرُ (عُمَانِ)
 وَعَزْمًا شَامِيًا لَهُ أَيُّنَمَا مَضَى * شَبَابًا هِنْدَوَانِيًّا وَحَدَّ يَمَانِي

(١) المَفْوَةٌ : المنطوق . والعنان : سير الجمام . ويريد بقوله « يصرف في الإنشاد... الخ » :
 أنه يذهب فيه كل مذهب . (٢) رب الهلال : جورجي زيدان ، ورب الضياء : الشيخ إبراهيم
 اليازجي . والهلال والضياء : صحيفتان معروفتان .
 (٣) العلالة : ما يتعلل به الإنسان ، أي يتلهى به عن مراده إذا لم يظفر به . والحسان من الرجال
 (بضم الحاء وتخفيف السين) : الحسن منهم . (٤) تجلَّى : تكشف . والفتيان : الليل والنهار .
 (٥) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بمغاص اللؤلؤ . (٦) شبا هندواني ، أي سن رخ
 منسوب الى الهند . وحد يمانى ، أي حد سيف مصنوع باليمن .

- (١) وَكُنَّا إِذَا جَاءَتْ عَلَى الطَّرِيسِ جَوْلَةً * تَمَّائِلٌ إِعْجَابًا بِهَا الْبَلْدَانُ
 (٢) أَشَادَتْ بِذِكْرِ الرَّاشِدِينَ كَأَنَّمَا * قَتَى (الْقُدْسِ) مِمَّا يُنْبِتُ الْحَرَمَانَ
 (٣) سَأَلْتُ حُمَاةَ النَّسْرِ حَدْ خِلَالِهِ * فَمَالِي بِمَا أَعْيَا الْقَرِيضَ يَسْدَانُ

رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكرى باشا^(٤)

أُنشدها في الحفل الذي أقيم لنا بينهما في مدرسة القصر العيني في ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧ م

- (٥) لَا مَرَحَّبًا بِكَ أَيُّهَا الْعَامُّ * لَمْ يُرْعَ عِنْدَكَ لِلْأَسَاةِ ذِمَامُ
 فِي مُسْتَهْلِكَ رُغْتَنَا بِمَاتِمٍ * لِلنَّافِعِينَ مِنَ الرِّجَالِ تُقَامُ
 صَالِحَانِ مِنْ أَعْلَامِ (مِصْرَ) طَوَاهِمَا * فِيكَ الرَّدَى فَبِكْتُهُمَا (الْأَهْرَامُ)
 غِيَّبَتِ (شُكْرَى) وَهُوَ نَابُهُ عَصِيرِهِ * وَأَصْنَعْتِ (إِبْرَاهِيمَ) وَهُوَ إِمَامُ

(١) البلدان : مصر والشام . (٢) أشاد بذكره : رفعه بالثناء عليه . ويريد « بالراشدين » : خلفاء الإسلام ، و « قَتَى القُدْسِ » : القعيد . والحرمَان : مكة والمدينة . يقول : إن القعيد أثنى على الخلفاء الراشدين ورفع ذكركم في كتبه ، فكأنه من أهل الجواز مع أنه فلسطيني . (٣) تقول : مالى يدبها الأمر ، إذا عجزت عنه . وأعيا القريض ، أى أجز الشعر .

(٤) الدكتور إبراهيم حسن باشا ، هو ابن حسن رفعت مدير إحدى مديريات مصر . ولد بالقاهرة في ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من تعلم الطب في مصر وأوربا تولى بعض مناصب طبية كان آخرها رئاسة مدرسة الطب سنة ١٨٩٨ م ، وبعد إحالته إلى المعاش كان يقضى الصيف في أوربا والشتاء في مصر ، وقد حالت الحرب العظمى وهو في أوربا دون عودته إلى وطنه ، فقضى السنين الأخيرة بعيداً عنه إلى أن توفي في ٤ يناير سنة ١٩١٧ م . وأما الدكتور محمد شكرى باشا فقد كان طبيباً خاصاً بأمراض النساء ، وله في هذا الفرع من الطب شهرة واسعة ، وتولى تدريسه في مدرسة الطب . وكانت ولادته في نحو سنة ١٨٥٢ م ، ووفاته في مستهل سنة ١٩١٧ م . (٥) الأساة : الأخطاء ، الواحد آس (كقاض) .

خَدَمَا رُبُوعَ النَّيْلِ فِي عَهْدَيْهِمَا * وَالطَّبُّ نَبْتُ لَمْ يَحْدَهُ غَمَامٌ^(١)
 وَالنَّاسُ بِالغَرْبِيِّ فِي تَطْيِيبِهِ * وَلَعُوا عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَهَامُوا
 حَتَّى أَنْبَرَى (شُكْرِي) فَأَثَبَتْ سَبْقَهُ * أَنْ أَبْنَ (مِصْرَ) مَجْرَبٌ مِقْدَامٌ
 وَأَقَامَ (إِبْرَاهِيمُ) أَبْلَغَ حُجَّةٍ * أَنْ الْعَرِينَ يَحْلُهُ ضِرْغَامٌ^(٢)
 وَتَرَسَّمِ الْمُتَعَلِّمُونَ خُطَاهُمَا * فَأَنْشَقُّ مِنْ عَلَمَيْهِمَا أَعْلَامٌ^(٣)
 قَدْ أَقْسَمُوا لِلطَّبِّ أَنْ يَسْمُوا بِهِ * فَوْقَ السَّمَاءِ فَبَرَّتِ الْأَقْسَامُ^(٤)
 وَوَدَّتْ رُبُوعُ الطَّبِّ تَحْكَى جَنَّةً * فِيهَا (لُبْقِرَاطُ) الْحَكِيمِ مَقَامٌ
 وَرَأَى طَيْلُ النَّيْلِ أَنَّ أَسَاتَهُ * بَدُّوا الْأَسَاةَ فَلَمْ يَرَعَهُ سَقَامٌ^(٥)
 يَا (مِصْرُ) حَسْبُكَ مَا بَلَّغْتَ مِنَ الْمُنَى * صَدَقَ الرَّجَاءُ وَصَحَّتِ الْأَحْلَامُ
 وَمَشَى بَنُوكَ كَمَا اشْتَهَيْتِ إِلَى الْعَلَا * وَعَلَى الْوَلَاءِ - كَمَا عَلِمْتِ - أَقَامُوا
 وَمَدَدْتِ صَوْتِكَ بَعْدَ طُولِ خُفْوَتِهِ * فَدَعَا بِعَافِيَةٍ لَكَ الْإِسْلَامُ
 وَرَفَعْتَ رَأْسِكَ عِنْدَ مُفْتَخِرِ النَّهْيِ * بَيْنَ الْمَمَالِكِ حَيْثُ تُحْنَى الْهَامُ^(٦)
 كَمْ فِيكَ جَرَّاحٌ كَأَنَّ يَمِينَهُ * عِنْدَ الْجِرَاحَةِ بَلَسَمٌ وَسَلَامٌ^(٧)

(١) جاده الغمام : أمطره . (٢) العرين : مأوى الأسد . والضرغام : الأسد .
 (٣) فانشق من عليهما أعلام ، أى تخرج عليهما فى الطب أمثالها فى النبوغ . (٤) السماء : اسم
 لكوكبين تقدم الكلام عليهما فى حواشى هذا الديوان . (٥) بدوا الأساءة : غلبوهم وفاقوهم
 فى الطب . (٦) الهام : الرهوس . وإحناء الهام : كناية عن التواغر والانكسار والتسليم للنصم .
 (٧) يلاحظ أن الأريج فى قوله « جراح » النصب ، للفصل بينه وبين « كم » بالجار والمجرور ،
 ولكن الشاعر جرى على مذهب بعض النحويين فى جزم « كم » مع الفصل ، ومنه قول الشاعر :
 * كم بجود مقرف نال الفنى *
 والبلم : دواء تضمد به الجراح .

(١) قد صَبَغَ مَبْضَعُهُ وَإِنْ أُجْرَى دَمًا * مِنْ رَحْمَةٍ بِفَرْيُحِهِ بَسَامِ
 وَمَوْفِقِي جَمِّ الصُّوَابِ إِذَا التَّوَى * دَاءُ الْعَلِيلِ وَحَارَتِ الْأَنْهَامِ
 (٢) يَلْقَى بَسْمِعٍ لَا يَحُونُ إِذَا هَفَّتْ * أُذُنٌ وَخَانَ الْمِسْمَعِينَ صِمَامِ
 (٣) وَإِذَا عُضَالُ الدَّاءِ أَبْهَمَ أَمْرَهُ * عَرَفْتُ خَفِيَّ دَيْبِيهِ الْإِبْهَامِ
 يَسْتَنْطِقُ الْأَلَامَ وَهِيَ دَفِينَةٌ * نَرَسَاءُ حَتَّى تَنْطِقَ الْأَلَامِ
 (٤) كَمْ سَلَّ مِنْ أَيْدِي الْمَنَايَا أَنْفُسًا * وَثَنِي عِنَانَ الْمَوْتِ وَهُوَ زُؤَامِ
 (٥) وَمَطْبَبٌ لِلْعَيْنِ يَجْمَلُ مِيسَلُهُ * نُورًا إِذَا غَشَى الْعُيُونَ قَتَامِ
 (٦) وَكَانَتْ إِثْمِدَهُ ضِيَاءُ ذَرَّةٍ * (عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ) فَأَنْجَلَى الْإِظْلَامِ
 (٧) وَمَطْبَبٌ لِلطُّفْلِ لَمْ تَتَّبَتْ لَهُ * سِنٌّ وَلَمْ يَدْرَجْ إِلَيْهِ فِطَامِ
 يَشْكُو السَّقَامَ بِنَاطِرِيهِ وَمَالَهُ * غَيْرُ التَّفَرُّزِ وَالْأَيْنِ كَلَامِ
 (٨) فَكَمْ اسْتَشَفَّ وَكَمْ أَصَابَ كَأَمَّا * فِي نَظَرَتَيْهِ الْوَحْيُ وَالْإِهَامِ
 وَمَوْلِدٍ عَرَفَ الْأَجِنَّةُ فَضْلَهُ * إِنَّ أَعْسَرَتْ بِوِلَادِهَا الْأَرْحَامِ
 كَمْ قَدْ أَنَارَ لَهَا بِجَالِكَةِ الْحَشَا * سَبَلًا تَضِلُّ سُلُوكُهَا الْأَوْهَامِ

(١) المبضع : المشرط . (٢) المسمان : الأذنان . (٣) إنما ذكر الإبهام لأن الطيب يلبس بيده موضع الداء من جسم المريض ، فكأن بالإبهام عن اليد . (٤) الزؤام : الكرية المجهز على صاحبه . (٥) الميل : المرود الذي تكمل به العين . والقتام : الغلام . (٦) الإثم : الكحل . ويشير « عيسى بن مريم » عليه السلام : إلى ما أجراه الله على يده من إبراء الأكمة . قال تعالى حكاية عنه : (وأبرئ الأكمة والأبرص وأحي الموتى بإذن الله) . (٧) يدرج : يمشى . (٨) الضمير في (استشف) للطبيب ، السابق ذكره .

(١)
لولا يده سطا على أبدانها * كرتب النخاض وشفها الإيلام
فبهؤلاء الغرّيا (مصر) أهنتي * فبمثلهم تتفأخر الأيام
وعلى طيبيك اللذين رماهما * رامي المنون تيمية وسلام

(٢) رثاء المغفور له الشيخ سليم البشري

أنشدها عند دفنه

[نشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٧ م]

أيدري المسلمون بمن أصيبوا * وقد واروا (سلياً) في التراب
هو ركن الحديث فأي قطب * لطلاب الحقيقة والصواب
(موطأ مالك) عز (البخاري) * ودع لله تعزية (الكتاب)
فما في الناطقين فم يوقى * عزاء الدين في هذا المصاب
قضى الشيخ المحدث وهو يملي * على طلابه فصل الخطاب

- (١) شفها : هزلها . (٢) ولد الشيخ سليم البشري في سنة ١٢٤٨ هـ في محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت من مديرية البحيرة ، ولما بلغ التاسعة حضر إلى مصر ، وكان قد أتم حفظ القرآن ؛ وبعد أن أتم تعله في الأزهر تولى التدريس فيه ، ثم عين شيخاً لمسجد السيدة زينب ، وبعد ذلك بيضعة أعوام عين شيخاً وتقيياً للسادة المالكية ، ثم اختير عضواً في مجلس إدارة الأزهر ؛ وتولى مشيخة الأزهر مرتين ، ومات رحمه الله في سنة ١٣٣٥ هـ بعد أن عمر ما يقرب من تسعين سنة .
- (٣) كان الفقيه مشهوراً بتبحره في علوم الحديث ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٤) موطأ مالك ، كتاب لمالك بن أنس في الحديث مرتب على أبواب الفقه . ويريد «بالبخاري» : كتاب الجامع الصحيح الذي وضعه الإمام البخاري محمد بن إسماعيل . ويشير الشاعر إلى حرمان هذه العلوم الثلاثة : فقه مالك ، والحديث ، والتفسير التي كان يدرسها الفقيه مضطعاً بها . (٥) قضى : مات .

(١) وَلَمْ تَنْقُصْ لَهُ التَّسْعُونَ عَزْمًا * وَلَا صَدَّتْهُ عَنْ دَرِكِ الطَّلَابِ
 وَمَا غَالَتْ قَرِيحَتَهُ اللَّيَالِي * وَلَا خَانَتْهُ ذَاكِرَةُ الشُّبَابِ
 أَشْيَخَ الْمُسْلِمِينَ نَأَيْتَ عَنَّا * عَظِيمَ الْأَجْرِ مَوْفُورَ الثُّوَابِ
 لَقَدْ سَبَقَتْ لَكَ الْخُسْنَى فَطُوبَى * لِمَوْقِفِ شَيْخِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ
 إِذَا أَلْقَى السُّؤَالَ عَلَيْكَ مُلْقٍ * تَصَدَّى عَنْكَ بِرُكَّ الْبُحُوبِ (٢)
 وَنَادَى الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ إِنَّا * نُزَكِّي مَا يَقُولُ وَلَا نُحَابِي (٣)
 قِفُوا يَا أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَأَبْكُوا * وَرَوُّوا لِحَدِّهِ قَبْلَ الْحِسَابِ
 فَهَذَا يَوْمُنَا وَلَنَحْنُ أَوْلَى * بِبَدْلِ الدَّمْعِ مِنْ ذَاتِ الْخِضَابِ (٤)
 عَلَيْكَ تَمِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَقَفًّا * وَأَهْلِيهِ إِلَى يَوْمِ الْمَتَابِ

رثاء المغفور له السلطان حسين كامل^(٥)

[نشرت في أول نوفمبر سنة ١٩١٧م]

دُكَّ مَا بَيْنَ صُفْوَةٍ وَعَيْشِي * شَاخٍ مِنْ صُرُوحِ (آلِ عَلِيٍّ) (٦)
 وَهَوَى عَنْ سَمَاوَةِ الْعَرْشِ مَلِكٌ * لَمْ تَمْتَعْ بِعَهْدِهِ الذَّهَبِي (٧)

- (١) درك الطلاب : إدراك الطلب والحاجة . (٢) يريد « باللق » : الملك الذي يتولى حساب الميت على ما عمل . (٣) كان الفقيه معروفًا بالإحسان إلى الفقراء ، وكان لهم من مرتبه قدر معلوم كل شهر . (٤) ذات الخضاب : المرأة . (٥) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ٦٧ من الجزء الأول . (٦) دك : هدم . وآل علي ، أي آل محمد على جدّة الأسرة المالكة . (٧) يريد « بسماوة العرش » : أعلاه . والملك (بسكون اللام) ، لغة في الملك (بكسرهما) .

قد تَسَاءَلْتُ يَوْمَ مَاتَ (حُسَيْنٌ) * أَفَقَدْنَا بِفَقْدِهِ كُلَّ شَيْءٍ؟
 أَمْ تَرَى يُسْعِدُ الْكِنَانَةَ بَارِيدٌ * هِيَ وَيَقْضِي لَهَا بِلُطْفٍ خَفِيٌّ؟
 لَمْ تَكُنْ تُدْرِكُ النُّفُوسَ مُرَادًا * فِي زَمَانِ الْمَتْوَجِّ الْعَلَوِيِّ
 لَمْ تَكُنْ تَبْلُغُ الْبِلَادَ مِنْهَا * تَحْتَ أَفْيَاءِ عَدِيهِ الْكُسْرِيِّ
 لَمْ يَكُنْ يَنْعَمُ الْفَقِيرُ بِعَيْشٍ * مِنْ نَدَاهُ وَفَيْضِهِ الْحَاتِمِيِّ
 حَجَبَ الْمَوْتُ مَطْلِعَ الْجُودِ يَا (مُضَى) * بِجُودِي لَهُ بَدَمْعٌ سَخِيٌّ
 وَمَضَى وَاهِبُ الْأُلُوفِ فَوَلَّتْ * يَوْمَ وَلَّى بَشَاشَةُ الْأَرِيحِيِّ
 وَقَضَى كَافِلُ الْيَتَامَى فَوَيْلٌ * لِلْيَتَامَى مِنَ الزَّمَانِ الْعَسِيِّ
 كَمْ تَمَنَّى لَوْعَاشَ حَتَّى يَرَانَا * أُمَّةً ذَاتَ مَنَعَةٍ وَرُفِيِّ
 غَالَهُ الضُّعْفُ حِينَ شَمَّرَ لِلْإِصْدِ * بِلَاحٍ فِي مُلْكِهِ بَعَزْمٌ فَتِيٌّ
 حَبَسَ الْخَطْبُ فِيكَ أَلْسِنَةَ الْقَوِّ * لِ وَأَعْيَا قَرِيحَةَ الْعَبْقَرِيِّ
 وَإِذَا جَلَّتْ أَنْطُوبٌ وَطَمَّتْ * أَنْعَجَزَتْ فِي الْقَرِيضِ طَوْقَ الرَّوِيِّ
 إِنْ شَرَّ الْمُصَابِ مَا أَطْلَقَ الدَّمَّ * سَعَ وَرَاعَ الْمُفَوِّهِينَ بِسِيٍّ

(١) الأفياء: الظلال . وكسروي: نسبة الى كسرى من ملوك الفرس، وكان يقال له: الملك العادل.

(٢) الحاتمي: نسبة الى حاتم الطائي المعروف بالجوذ . والفيض: العطاء .

(٣) الأريحي: الواسع الخلق الذي يرتاح للعروف .

(٤) العي: الظالم المنجبر .

(٥) الطوق: الطاقة والجهد . وكنى بالروي عن الشعر، كما يكنى عنه بالقافية أيضا .

(٦) المفوه: المنطوق . والعي: عدم القدرة على الكلام .

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى أَنْبِطَاكِ لِلضِّيَاءِ * فِي وَدْيَالِكَ الْحَدِيثِ الشَّهِيءِ^(١)
 يَحْسَبُ الدَّارَ دَارَهُ وَهُوَ يَمِشِي * فَوْقَ زَاهِي إِسْطَاكِ الْأَحْمَدِيِّ^(٢)
 خُلِقَ مِثْلَمَا نَشَقَّتْ أَرْيَحَ الْـ * زُرَّ هَرِيرُ جَادَتِهِ زَوْرَةَ الْوَسْمِيِّ^(٣)
 وَاهْتَرَازُ الْعُرْفِ مِثْلُ اهْتَرَازِ الْـ * يَفِي فِي قَبْضَةِ الشُّجَاعِ الْكَمِيِّ^(٤)
 وَحِبَاءُ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ يَنْفِي * تَجَمَّلَ السَّائِلِ الْكَرِيمِ الْأَبِيِّ^(٥)
 وَاخْتِبَارُ يَثْنَى عِنَانَ الْعَوَادِي * وَوَقَارُ يَزِينُ صَدْرَ النَّدِيِّ^(٥)
 رَحِمَ اللَّهُ (يَا حُسَيْنُ) خِلَالًا * فِيكَ لَمْ يَجْتَمِعَنَّ فِي نَفْسٍ حَى
 يَا كَرِيمًا حَلَّتْ سَاخَ كَرِيمٍ * وَضَعِيْفًا حَلَّتْ سَاخَ الْقَسْوِيِّ
 قَدْ كَفَاكَ الشَّهَادُ فِي الْعَيْشِ فَأَهْنَأُ * يَا أَلَيْفَ الضُّسْنِيِّ بَنُوْمِ هَنِي
 وَيَجَّ (مَضْرِي) فَأَيُّ نَخِيْطِ رَجَاءٍ * قَطَعَتْهُ رَنَاتُ صَوْتِ النَّبِيِّ

(١) البساط الأحمدي، يكتفى به عن سهولة الجانب ومماحته وعدم الكلفة.

(٢) نشقت: شمت. وأريح الزهر: ريحه. والوسمي: مطر أول الربيع.

(٣) الاهتزاز للعرف: كناية عن الانبساط للبذل والارتياح للعناء. والكمي: الشجاع.

(٤) يثنى عنان العوادي، أي يصرف حوادث الأيام ويردّها عن قصدّها. والندي: مجتمع القوم.

(٥) يشير بقوله «يا أليف الضنبي»: إلى ما كان يعانيه الفقيد في آخر أيامه من مرض وأرق.

(١) رثاء باحثة البادية

[نشرت في سنة ١٩١٨ م]

(مَلَك) النَّهْيَ لَا تَبْعِدِي * فَاثَلِّقْ فِي الدُّنْيَا سَيْرَ
 (٢) لَائِي أَرَى لَكَ سَيْرَةً * كَالرُّوْضِ أَرْجَهُ الزَّهْرَ
 رَبِّي أَبُوكَ النَّاشِئِ * مَنْ فَعَّاشَ تَحْمُودَ الْأَثَرِ
 وَسَلَّكَتِ أَنْتِ سَبِيلَهُ * فِي النَّاشِئَاتِ مِنَ الصَّغَرِ
 (٣) رَبِّيْتِهِنَّ عَلَى الْفَضِي * لِمَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالْحَفْرِ
 وَعَلَى أَتْبَاعِ شَرِيعَةٍ * نَزَلَتْ بِهَا آيُ السُّورِ
 فَلَبِيْتِكُمْ فَضْلٌ عَلَى الْ * مَا حِيَاءُ أَنْتِي أَوْ ذَكَرِ
 لِلَّهِ دَرَكٌ إِنْ نَثَرُ * تِ وَدَرُّ (حَفْنِي) إِنْ نَثَرَ
 (٤) قَدْ كُنْتَ زَوْجًا طَبَّةً * فِي الْبَدْوِ عَاشَتْ وَأَلْحَضَرَ

(١) باحثة البادية ، هي السيدة ملك ناصف بنت المرحوم حفنى ناصف بك ، ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م وتلقت مبادئ العلوم في مدارس أولية مختلفة ، ثم دخلت المدرسة السنية فنالت الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٠٠ م ، ثم نالت إجازة التدريس من قسم المعلمات ، ومارست التعليم في مدارس البنات الأميرية ، وتوفيت في سنة ١٩١٨ م . وكانت من فضليات الكتاتيب والباحثات ، بذلت جهدا كبيرا في الدعاية الى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم ناسم أمين بك ، وكانت تفضل السفر على الجباب ، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها في كتاب سمته (النساءيات) وسلسلة محاضرات ألقتها في إدارة الجريدة التي كان يصدرها حزب الأمة ، وإلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ في هذه القصيدة .

(٢) أَرْجَهُ : طيبه . (٣) الخمر: شدة الحياء . (٤) يشير بقوله : « في البواخ » : الى أنها كانت زوجا لعبد الستار الباسل بك أحد مشايخ عرب الفيوم . والطلبة : الماهرة الحاذقة بعملها .

(١)
 سَادَتْ عَلَى أَهْلِ الْقُصُوفِ * رِيسُودَتْ أَهْلَ الْوَبْرِ
 غَرِيْبَةٌ فِي مَائِهَا * مَرْمُوقَةٌ بَيْنَ الْأَسْرِ
 شَرِيْبَةٌ فِي طَبِيعِهَا * مَحْدُورَةٌ بَيْنَ الْجُبْرِ
 بَيْنَا تَرَاهَا فِي الطُّرُوفِ * سِي تَخُطُّ آيَاتِ الْعِبَرِ
 وَتُرِيكَ حِكْمَةَ نَائِيهِ * عَرَكَ الْحَوَادِثَ وَأَخْتَبَرَ
 فَاذَا بِهَا فِي مَطْبَخِ * تَطْهُو الطَّعَامَ عَلَى قَدَرِ
 وَإِذَا بِهَا قَعَدَتْ تَجِيْدُ * طُ وَتَرْتَضِي وَخَسِرَ الْإِبْرَ
 نَحَرَتْ بِوَالِدِهَا وَوَا * لِدْهَا بِحِلَّتِهَا أَفْتَحَرَ
 بِالْعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَهَا * لَا بِاللَّائِي وَالذُّرْرِ
 فَانظُرْ شَمَائِلَ فِكْرِهَا * بِاللَّهِ يَوْمَ (الْمُؤْتَمَرِ)
 وَاقْرَأْ (مُحَاضِرَةَ الْجَرِيْدِ * مَدَّة) وَالْمَقَالَاتِ الْفَرَرِ
 وَأَرْجِعْ إِلَى مَا أَوْدَعْتَ * عِنْدَ الْجَلَلَاتِ الْكُبَرِ

(١) أهل الوبر: هم أهل البادية، لأن بيوتهم من الوبر.

(٢) الطروس: الصحائف التي يكتب فيها.

(٣) حل قدر، أي بحساب.

(٤) يريد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في سنة ١٩١١م وتوالت جلساته خمسة أيام، وكان لهذا

المؤتمر غرضان: أولهما، النظر في حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية؛ والثاني، الرد على مطالب الأقباط التي طلبوها في مؤتمرهم المنعقد بأسسوط قبل ذلك في ٦ مارس من السنة المذكورة. وكان رئيس المؤتمر الإسلامي المرحوم رياض باشا، وقد ألفت الفقيده محاضرة في هذا المؤتمر تتعلق بشؤون المرأة.

تَعْلَمُ بَأَنَا قَدْ قَعْدَ * نَا خَيْرَ رَبَّاتِ الْفِكْرِ
 ذَنْبُ الْمَيْبَةِ فِي أَعْيَا * لِ شَبَابِهَا لَا يُتَّقَرُ
 يَا لَيْتَهَا عَاشَتْ (لِصْد) * وَمَ تَغِيَّبُهَا الْخُفَرُ
 كَانَتْ مِثْلًا صَالِحًا * يَرْجَى وَكَثْرًا يُدْخَرُ
 إِنِّي رَأَيْتُ الْجَاهِلَا * تِ السَّافِرَاتِ عَلَى خَطَرِ
 وَرَأَيْتُ فِيهِنَّ الصُّبَا * نَةً وَالْعَفَافَ عَلَى سَفَرِ
 لَا وَازِعٌ - وَقَدْ أَنْطَوْتُ * (مَلَكٌ) يَقِيَّبُ الضَّرَّ^(١)
 لَا كَانَ يَوْمِكَ يَوْمَ لَا * حَ الْحَزْنَ مُخْتَلَفِ الصُّورِ
 عَاسَتْ هَائِفَةَ الْقُصُورِ * رِ نُوحَ هَائِفَةَ الشُّجَرِ^(٢)
 وَتَرَكَتِ أَتْرَابَ الصُّبَا * حَزْنَا يُقَطِّعَنَّ الشُّعْرَ^(٣)
 يَبْكِينَ عَهْدِكَ فِي الصُّبَا * حِ وَفِي الْمَسَاءِ وَفِي السُّحْرِ
 وَتَرَكَتِ شَيْخِكَ لَا يَبِي * هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ حَضَرَ^(٤)
 قَمَلًا تُرْتَحُّهُ الْهُمُورِ * مُ إِذَا تَحَامَلَ أَوْ خَطَرَ^(٥)
 كَالْفَرِيعِ هَزَّتْهُ الْعَوَا * صِفُ فَالْتَوَى ثُمَّ أَنْكَسَرَ

(١) الوازع : الزاجر . (٢) يريد « بهاتفه القصور » : الباكية من النساء ، و « بهاتفه الشجر » :
 النائحة من الطير . (٣) أتراب الإنسان : لداته ؛ الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .
 (٤) يريد « بالشيخ » : أباه . ويشير بقوله « هل غاب زيد » ... الخ الى ما كان أبوها مشهورا به
 من علم النحو واللغة وما اليها من علوم العربية ، وذلك لأن مدار الأمثلة في النحو على « زيد » .
 (٥) ترلحه : تيمله هنا وهنا .

(١) أو كالبناء يُريدُ أن * يتقضم من وقع الخسور
 قد زعزعتُه يدُ القضا * وزلزلته يدُ القدر
 أنا لم أذُق فقد البني * بن ولا البناتِ على الكبر
 لكنني لما رأيتُ * مت فؤاده وقد انفطر^(٢)
 ورأيتُه قد كاد يُح * ورقُ زائريه إذا زفر
 وشهدتُه أني خطا * خطوا تجبل أو عثر
 أدركتُ معنى الحزنِ جز * ن الوالدين ، لما أمرتُ^(٣)
 وشهدتُ زوجك مطرقاً * مستوحشاً بين السمر^(٤)
 كالمدلج الحيران في ال * بيداء أخطأه القمر^(٤)
 فعلمتُ أنك كنتِ عفا * يد هناه وقد أنتدُر
 صبراً أبا (ملك) فإن الباقيات لمن صبر
 وبقدري صبر المبتلى * طول المصيبة والقصر
 كن أنت أنت إذا نسا * كأنت أنت إذا تُسر
 يا برة بالوالدي * بن أبوك بعدك لا يقتر
 فسلي الهك سُلو * لأبيك فهو به أبر
 وليهنيك الحذر الجدي * د فذاك دار المستقر

(١) من وقع الخور، أي من وقوع الضعف به .
 (٢) انفطر : انشق .
 (٣) السمر : مجلس السهار بالليل .
 (٤) المدج : السارى بالليل .

رثاء محمد فريد بك^(١)

[في سنة ١٩١٩ م]

(٢) من ليوم نحن فيه من لعد * مات ذو العزيمة والرأي الأمد
 (٣) حل (بالجمعة) حزن وأسى * ومشي الوجد الى يوم (الأحد)
 وبدا شعري على قرطاسه * لوعة سالت على دمع جمد
 أيها النيل لقد جعل الأسى * كمن مدادا لي إذا الدمع نعد
 (٤) وأذلي يا زهرة الروض ولا * تبسيمي للطل فالعيش نكد
 (٥) والزيم النوح أيا طيرولا * تبتهج بالشنو فالشدو حد

- (١) المرحوم محمد فريد بك ، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية . ولد في مدينة القاهرة في رمضان سنة ١٢٨٤ هـ ، يناير سنة ١٨٦٧ م . وبه من أكبر بيوت مصر وأمجدها ، وقال شهادة الحقوق في مايو سنة ١٨٨٧ ثم اشتغل بالدائرة السنية ، ثم انتقل الى النيابة العمومية ، ثم الى نيابة الاستئناف . وقد أنعم عليه بالرتبة الثانية في أغسطس سنة ١٨٩١ م وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية ، والآخذين بيد الوطنيين من الكتاب وأصحاب الصحف ، واستقال من منصبه وقيد اسمه في جدول المحامين أمام المحاكم الأهلية في أول يونيو سنة ١٨٩٧ م ، وظل مشغلا بالمحاماة سبع سنين ثم ترك كل عمل ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية ، فكان خير عون للرحوم مصطفى كامل باشا وقد صحبه في كثير من رحلاته الى أوروبا ، واختاره مصطفى كامل لرئاسة الحزب الوطني في فبراير سنة ١٩٠٨ م وتوفي في برلين عاصمة ألمانيا في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ م وأحضرت جثته الى مصر ، ودفنت قرب مسجد السيدة قتيبة . (٢) يريد « باليوم والعد » : الحاضر والمستقبل . والأسد : الأصوب . (٣) الأسى : الحزن . وكفى « بيوم الجمعة والأحد » عن مسلمي مصر وقبطها . (٤) الطل : الندى ، أو أخف المطر وأضعفه . (٥) شدو الطير : ترنمه وتغريده . والحدد : الحرام الذي لا يحل أن يرتكب .

فلقد ولي (فريد) وأنطوى * ركن (مصر) وفتاها والسند
 خالد الآثار لا تمش ألي * ليس يئلى من له ذكر خلد
 زرت (برلين) فنادى سمها : * نزلت شمس الضحى برج الأسد^(١)
 وأختفت شمسك فيها وكذا * تخفى في الغرب أفسار الأبد
 يا غريب الدار والقبر ويا * سلوة (النيل) اذا ما الخطب جد^(٢)
 وحساما قل حديه الردى * وشهابا ضاء وهنا ونحمد^(٣)
 قل لصب (النيل) إن لا قبته * في جوار الدائم الفرد الصمد^(٤)
 إن (مصر) لا تني عن قصيدها * رغم ما تلقى وإن طال الأمد
 جئت عنها أحمى البشرى إلى * أول البانين في هذا البلد
 فاسترخ وأهنا ونم في غبطة * قد بدرت الحب والشعب حصد^(٥)
 آثر (النيل) على أمواله * وقسواه وهواه والولد^(٥)
 يطلب الخير (مصر) وهو في * شقوة أحلى من العيش الرغد^(٥)

(١) يحتمل هذا البيت معنيين : أحدهما أنه يريد وصف الفقيد بالقوة وجلال الشأن ، فشبهه حين نزل برلين مدينة القوة بالشمس حين نزل برج الأسد ؛ والثاني ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزل الشمس في برج الأسد دليل على وقوع الموت ؛ ويكون هذا البيت بالمعنى الثاني ترشيحا للبيت الذى بعده .
 (٢) قل حديه : تلهما . والوهن : نحو من نصف الليل . (٣) صب النيل : عاشقه . ويريد به (المرحوم مصطفى كامل باشا) . (٤) آثر النيل : فضله . يشير بهذا البيت الى هجرة الفقيد الى أوربا في سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده . (٥) العيش الرغد : العليب الواسع . ويشير بهذا البيت الى ما تجرعه الفقيد في غربته من بؤس وشقاء ، وإيثاره هذا البؤس على العودة الى وطنه المحتل .

- (١) ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ يَبْنِي مَأْرَبًا * كَلَّمَا قَارَبَهُ ، عَنْهُ ابْتَعَدُ
- (٢) لَمْ يَعْبه أَنْ تَجَنَّبِي دَهْرُهُ * رَبِّ جَدِّ حَادٍ عَنِ جَمْرَاهُ جَدِّ
- (٣) يَسْتَجِمُّ الْعَزْمَ حَتَّىٰ إِنْ بَدَتْ * فُرْصَةٌ شَدَّ إِلَيْهَا وَصَمَدُ
- (٤) فَهَوَ لَا يَتَّبِي عِنَانًا عَنْ مَنِي * وَهُوَ هَجِيرَاهُ (مَنْ جَدَّ وَجَدَّ)
- (٥) فَأَيَادِيهِ إِذَا مَا أَنْصَكْرَتْ * إِنَّمَا تُنْكِرُهَا عَيْنُ الْحَسَدِ
- فَقَدَّتْ (مِصْرُ فَرِيدًا) وَهِيَ فِي * مَوْطِنٍ يُعْوِزُهَا فِيهِ الْمَدَدُ
- (٦) فَقَدَّتْ (مِصْرُ فَرِيدًا) وَهِيَ فِي * لَهْوَةِ الْمِيدَانِ وَالْمَوْتُ رَصَدُ
- (٧) فَقَدَّتْ مِنْهُ خَيْرًا حَوْلًا * وَهِيَ وَالْأَيَّامُ فِي أَخْذِ وَرْدِ
- لَمْ يَكْدُ يَمْتَعُهَا الدَّهْرُ بِهِ * فِي رُبُوعِ (النَّيْلِ) حَيًّا لَمْ يَكْدُ
- (٨) لَيْتَهُ عَاشَ قَلِيلًا فَتَرَى * شَعْبَ (مِصْرٍ) عَيْنُهُ كَيْفَ اتَّحَدَ
- وَيَجَّ (مِصْرٍ) بَلَّ فَوَيْجًا لِلثَّرَى * إِنَّهُ أَبْلَغُ حُزْنًا وَأَشَدَّ
- (٩) كَمَ تَمَنَّى وَتَمَنَّى أَهْلُهُ * لَوْ يُوَارَى فِيهِ ذِيَاكَ الْجَسَدُ

(١) ضرب في الأرض : ذهب فيها ساعيا .

(٢) الجسد (بالكسر) : الاجتهاد . (وبالفتح) : الحظ . ومجراه ، أى طريقه . يقول : رب

اجتهاد أعطاه الحظ فلم يفد صاحبه ولم يثمر . (٣) يستجم العزم ، أى يريجه ؛ يقال : إني

لأستجم قلبى بشئ . من اللهو حتى أقوى على الحق ، أى إني لأجعل قلبى يتفكك بشئ . من اللهو ليستجمع قوته .

وصمد : قصد . (٤) هجيراه ، أى دأبه وشأنه وعادته . (٥) الأيادى : النعم .

(٦) شبه مصر في ميدان الجهاد بلهوة الرضى ، وهى بفتح اللام وضمها ، ما يلقى في فيها للطحن .

(٧) الخول : الخاذق البصير يحويل الأمور . (٨) يشير بهذا البيت الى اتحاد مسلمى مصر

وقبطلها في سنة ١٩١٩ م ، تحت رئاسة المرحوم سعد زغلول باشا . (٩) يوارى : يدفن .

لَمَفِّ نَفْسِي هَلْ (بِيرَلِينَ) أَمْرُو * فوق ذاك القبرِ صَلِّ وَتَجِدْ؟
 (١)
 هَلْ بَكَتْ عَيْنُ فَرُوتِ تُرْبِهِ * هل على أشجاره خَطُّ أَحَدٍ؟
 هَاهُنَا قَبْرُ شَهِيدٍ فِي هَوَى * أُمَّةٍ أَيْقَظَهَا ، ثُمَّ رَقَدَ

رثاء عبد الله أباطه بك^(٢)

[أنشد هذين البيتين على قبره في سنة ١٩١٩ م]

يا عابِدَ اللَّهِ تَمَّ فِي الْقَبْرِ مُغْتَبِطًا * ما كُنْتَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ الْعَرْشِ بِاللَّاهِي
 يَا رَحْمَةَ اللَّهِ هَذَا قَبْرُهُ فِقْفِي * وَأَيْسَى رُوحَهُ يَا رَحْمَةَ اللَّهِ

رثاء عبد الحميد رمزي

قالها على لسان ابراهيم رمزي بك في حفل تأبين ابنه عبد الحميد، وكان طالبا بالمدارس الثانوية ، ولم يقو أبوه على الكلام في هذا الحفل ، فناب عنه حافظ وقال هذه القصيدة :

[نشرت في ٦ مارس سنة ١٩٢٠ م]

وَلَدِي ، قَدْ طَالَ سُهْدِي وَتَمَجَّيِي * جِئْتُ أَدْعُوكَ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبِي؟
 جِئْتُ أَرُوي بدموعي مَضْجَعًا * فِيهِ أودَعْتُ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبِي

(١) خط أحد ، أي كتب على أشجار هذا القبر البيت الآتي بعده .

(٢) عبد الله أباطه بك ، هو ابن السيد أباطه باشا ، كان عضوا بالجمعية التشريعية ، وتقلد عدة

مناصب ، وتوفي في سنة ١٩١٩ م .

- لا تَحْفَ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَلَا * تَبْتَلِسُ إِنِّي مُوَافٍ عَنْ قَرِيبٍ
(١)
- أَنَا لَا أَنْرُكَ سَبِيلِي وَحَدَّهُ * فِي جَدِيدٍ مُوَحِّشٍ غَيْرِ رَحِيبٍ
(٢)
- أَوْحِينَ أَبْتَرَّ دَهْرِي قُوتِي * وَذَوِي عُدِي وَوَأَفَانِي مَشِيبِي
- وَأَكْتَسَى غُصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِهِ * تَحْتَ شَمْسِ الْعِزِّ وَالْجَاهِ الْخَصِيبِ
- وَرَجَوْنَا فِيكَ مَا لَمْ يَرْجُهُ * مِنْجِبُ الْأَشْبَالِ فِي الشَّيْلِ النَّجِيبِ
(٣)
- يَنْتَوِيكَ الْمَوْتُ فِي شَرِّحِ الصَّبَا * وَالشَّبَابِ الْغَضِّ فِي الْبُرْدِ الْقَشِيبِ
(٤)
- لَمْ يَدْعُ آسِيكَ جُهْدًا إِنَّمَا * غَابَ عِلْمُ اللَّهِ عَنْ عِلْمِ الطَّيِّبِ
(٥)
- إِيهِ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) انْظُرْ إِلَى * وَالِدِ جَمِّ الْأَسَى بَادِي الشُّحُوبِ
- ذَاهِلٍ مِنْ فَرِطٍ مَا حَلَّ بِهِ * بَيْنَ أَتْرَابِكَ يَمْشِي كَالْغَرِيبِ
- كَلَّمَا أَبْصَرَ مِنْهُمْ وَاحِدًا * هَزَهُ الشُّوقُ إِلَى وَجْهِ الْحَيْبِ
- يَسْأَلُ الْأَغْصَانَ فِي إِزْهَارِهَا * عَنْ أَخِيهَا ذَلِكَ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ
(٦)
- يَسْأَلُ الْأَقْمَارَ فِي إِشْرَاقِهَا * عَنْ مُحِيَّا غَابَ مِنْ قَبْلِ الْمَغِيبِ
(٧)
- غَمَّرَ الْحُزْنَ نَوَاحِي نَفْسِهِ * وَأَذَابَتْ لَبَّهُ سُودُ الْخَطُوبِ
- فَهُوَ لَا يَنْفَعُهُ الْعَيْشُ وَهَلْ * تَصْلُحُ الْأَبْدَانُ مِنْ غَيْرِ قُلُوبِ؟

(١) الشبل : ولد الأسد . ويعني «بالجديب الموحش» : القبر . (٢) ابتز : سلب . وذوي
عوده : ذبل ويجف . (٣) ينتويك : يقصدك . وشرخ الصبا : ريعانه . والقشيب : الجديد
(٤) الآسى : الطيب . (٥) الأمسى : الحزن . والشحوب : تغير اللون من حزن أو نحوه .
(٦) محيا الإنسان : وجهه . (٧) غمر الحزن نواحي نفسه ، أى شملها .

طالبي يا شمس قبرا ضمته * بالتحايا في شروق وغروب
واسكنني يا رحمة الله به * واجعلي فيضك منهل السكوب

رثاء عبد الحلیم المصری الشاعر المعروف

[نشرت في ٨ يولييه سنة ١٩٢٢م]

لَكَ اللهُ قَدْ أَسْرَعَتْ فِي السَّيْرِ قَبْلَنَا * وَأَثَرَتْ يَا مِصْرِي "سُكْنَى الْمَقَابِرِ"
وَقَدْ كُنْتَ فِينَا يَا قَتِي الشُّعْرِ زَهْرَةً * تَفْتَحُ لِلأَذْهَانِ قَبْسَلِ النَّوَاطِرِ
فَلَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ فِي الْبَلَى * فَكَمْ نَسَجَتْ قَبْلَ الْبَلَى مِنْ مَفَاخِرِ
وَيَا وَيْحَ الْأَشْعَارِ بَعْدَ نَجِيهَا * وَيَا وَيْحَ الْقَوَافِي سَاقَهَا غَيْرُ شَاعِرِ
تَزُوذَتْ مِنْ دُنْيَاكَ ذِكْرًا مُخَلَّدًا * وَذَاكَ لَعَمْرِي نِعْمَ زَادُ الْمُسَافِرِ
وَأُورَثْنَا حَزْنَا عَلَيْكَ وَحَسْرَةً * عَلَى فَقْدِ سَبَاقِ كَرِيمِ الْمُحَاضِرِ
فَلَمْ تَتَّوِيَا (عَبْدَ الْحَلِيمِ) بِمُحْفَرَةٍ * وَلَكِنْ بَرَوْضٍ مِنْ قَرِيضِكَ نَاضِرِ
فَسِدِّي وَأَنْتَ الرِّيَّانُ يُغْنِيكَ طَيْبُهُ * عَنِ الزَّهْرِ مَطْلُولًا يَجُودِ الْمَوَاطِرِ
فَسَامِرٍ (أَبَا بَكْرٍ) هُنَاكَ فَإِنَّهُ * سَيُظْفَرُ فِي عَدْنٍ بِخَيْرِ مُسَامِرِ

(١) نجيبا، أي من يتنجس بها . (٢) المحاضر: المجالس . (٣) ثوى بالمنزل :

أقام به . (٤) الزهر المطلول: المبلل بالطل . والجلود: المطر الكثير . والمواطير: السحب .

(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لعبد الحلیم المصری في سيرة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأولها:

أفضني أبا بكر عليهم قوافيا * وأمطر لساني حكمة ومعانيا

هَيْنَأُ لَكَ الدَّارُ الَّتِي قَدْ حَلَلْتَهَا * وَأَعْظَمُ بَيْنَ جَاوِرَتِهِ مِنْ مُجَاوِرٍ
(١)
عَلَيْكَ سَلَامٌ مَا تَزَنَّمُ مُنْشِدٌ * وَقَامَ خَطِيبٌ فَوْقَ هَامِ الْمَنَابِرِ

(٢) ذكرى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

أنشدها في الحفل الذي أقيم بالجامعة المصرية في يوم الثلاثاء ١١ يولييه سنة ١٩٢٢ م

وقد ضمنها رثاء المرحوم حفي ناصف بك

(٣)
أَذْنْتُ شَمْسُ حَيَاتِي بِمَغِيبِ * وَدَنَا الْمَهْلُ يَا نَفْسُ فِطْيِي
(٤)
إِنَّ مَنْ سَارَ إِلَيْهِ سَيْرَنَا * وَرَدَّ الرَّاحَةَ مِنْ بَعْدِ الْغُوبِ
(٥)
قَدْ مَضَى (حَفْنِي) وَهَذَا يَوْمُنَا * يَتَدَانِي فَأَسْتَثْبِي وَأُنْبِي
وَأَرْقِيهِ كُلُّ يَوْمٍ إِنَّمَا * نَحْنُ فِي قَبْضَةِ عَلَامِ الْغُيُوبِ
أَذْكُرِي الْمَوْتَ لَدَى النَّوْمِ وَلَا * تُغْفِلِي ذِكْرَتَهُ عِنْدَ الْهُبُوبِ
وَأَذْكُرِي الْوَحْشَةَ فِي الْقَبْرِ فَلَا * مُؤْنِسُ فِيهِ سِوَى تَقْوَى الْقُلُوبِ
قَدِّمِي الْخَيْرَ أَحْتِسَابًا فَكَنْفِي * بَعْضُ مَا قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ
رَاعَنِي قَدْ شَبَابِي وَأَنَا * لَا أَرَأُعُ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدِ مَشِيْبِي
حَنْ جَنْبَايَ إِلَى بَرْدِ الثَّرَى * حَيْثُ أُنْسِي مِنْ عَدُوِّ وَحَيْبِي

(١) هام المنابر: رسمها؛ الواحدة هامة. (٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء الأول.

(٣) أذنه بالأمر: أعله بهربه. والمهل: المورد؛ يريد به الموت. (٤) الغوب: التعب.

(٥) استثبي: اطلبى الثواب من الله. وأنبي: أرجى إليه بالطاعة.

(١) مَضَجَّ لَا يَشْتَكِي صَاحِبُهُ * شِدَّةَ الدَّهْرِ وَلَا شِدَّةَ الخَطُوبِ
 (٢) لَا وَلَا يُسَيِّمُهُ ذَاكَ الَّذِي * يُسَيِّمُ الأَحْيَاءَ مِنْ عَيْشِ رَتِيبِ
 (٣) قَدْ وَقَفْنَا سِتَّةَ نَبِيٍّ عَلَى * عَالِمِ المَشْرِيقِ فِي يَوْمِ عَصِيبِ
 وَقَفَ الخَمْسَةُ قَبْلِي فَمَضَوْا * هَكَذَا قَبْلِي وَأَنَا عَنْ قَرِيبِ
 وَرَدُّوا الخَوْضَ تَبَاطًا فَقَضَوْا * بِاتِّفَاقٍ فِي مَنَآيَاهُمْ عَجِيبِ
 (٤) أَنَا مُدُّ بَانُوا وَوَلَّى عَهْدُهُمْ * حَاضِرُ اللُّوْعَةِ مَوْصُولُ النُّجِيبِ
 هَدَّاتُ نِيرَانُ حُزْنِي هَدَاةً * وَأَنْطَوَى (حَفْنِي) فَعَادَتُ للشُّبُوبِ
 (٥) فَتَذَكَّرْتُ بِهِ يَوْمَ أَنْطَوَى * صَادِقُ العَزْمَةِ كَشَافُ الكُرُوبِ

(١) شد الخطوب، أي حملها عليه . (٢) يريد « بالرتيب » : العيش الثابت المتكرر بحال واحدة لا تتغير؛ والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى : الراتب لا الرتيب . (٣) يشير بهذا البيت وما بعده إلى قصة عجيبة ، وهي أنه لما توفي المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من الخطباء والشعراء ، أولهم الشيخ أحمد أبو خطوة ، ثم حسن حاصم باشا ، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير ، ثم قاسم أمين بك ، ثم حفنى ناصف بك ، ثم حافظ إبراهيم بك . واتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم في الرثاء ، فلاحظ ذلك المرحوم حفنى بك ناصف ، فبعث إلى حافظ بهذه الأبيات :

أتذكر اذ كنا على القبر ستة * نعتد آثار الإمام ونسندب
 وقفنا برتيب وقد دب بيننا * بمات على وفق الرثاء مرتب
 أبو خطوة ولي وقفاه حاصم * وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
 فلبى وظابت بصدده شمس قاسم * وعمما قليلا نجم عجايب يفسرب
 فلا تخش ملكا ما حييت وأن أمت * فإت الا خائف تسترقب
 نفاطروقع تحت القطار ولا تخف * وثم تحت بيت الوقف وهو مخرب
 ونخض بلحج الهيجا اعزل آمننا * فإن المنايا عنك تنأى وتهرب
 فلها ترفى حفنى بعد ذلك نظم حافظ مرثيته تلك . (٤) بانوا : بدوا .

(٥) يريد « بصادق العزيمة » : المرحوم الشيخ محمد عبده .

- (١) يَوْمَ كَفَّنَاهُ فِي آمَالِنَا * وَذَكَرْنَا عِنْدَهُ قَوْلَ (حَبِيب) :
- (٢) عَرَفُوا مَنْ غَيَّبُوهُ وَكَذَا * تُعْرِفُ الْأَقْمَارُ مِنْ بَعْدِ الْمَغِيبِ
- (٣) وَجِئْنَا بِإِمَامٍ مُصْلِحٍ * عَامِرِ الْقَلْبِ وَأَوَابٍ مُنِيبِ
- كَمْ لَهُ مِنْ بَاقِيَاتٍ فِي الْهُدَى * وَالنَّدَى بَيْنَ شُرُوقٍ وَغُرُوبِ
- (٤) يَبْدُلُ الْمَعْرُوفِ فِي السَّرِّ كَمَا * يَرْقُبُ الْعَاشِقُ إِغْفَاءَ الرَّقِيبِ
- يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ أَعْدَاؤُهُ * حِينَ لَا يَحْسُنُ ظَنُّ بَقَرِيبِ
- تَنْزِلُ الْأَضْيَافُ مِنْهُ وَالْمُنَى * وَالْخِلَالُ الْغُرُّ فِي مَرَعَى خَصِيبِ
- (٥) قَدْ مَضَتْ عَشْرٌ وَسَبْعٌ وَالنَّهْيُ * فِي ذُبُولِ وَالْأَمَانِي فِي نُضُوبِ
- (٦) تَرْقُبُ الْأَفْقَ فَلَا يَبْدُو بِهِ * لَامِعٍ مِنْ نُورِ هَادٍ مُسْتَيْبِ
- وَتُنَادِي كُلَّ مَأْمُولٍ وَمَا * غَيْرَ أَصْدَاءِ الْمُنَادِي مِنْ مُجِيبِ
- (٧) دَوَى الْجُرْحِ وَلَمْ يَقْدِرْ لَهُ * بَعْدَ نَاوِي (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَيْبِ
- (٨) أَجْدَبَ الْعِلْمُ وَأَمْسَى بَعْدَهُ * رَائِدُ الْعِرْفَانِ فِي وَادٍ جَدِيبِ

(١) حبيب ، هو ابن أوس الطائي ، المكنى أبا تمام ، الشاعر المعروف .

(٢) يلاحظ أن هذا البيت قد ورد في شعر حبيب بن أوس بمعناه قال يرثى إسحاق بن أبي ربيع :

قَد عَلِمْتَ مَارَزْتِ إِنَّمَا * يَعْرِفُ فَقَدَ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ

ولم يرد بلفظه كما توهمه عبارة حافظ في البيت الذي قبله . (٣) الأواب : كثير الرجوع إلى الله .

والمنيب : من أناب ، بمعنى رجع . . (٤) الإغفاء : النوم . (٥) النضوب : الجفاف .

(٦) مستيب ، أى يطلب بمن ضل طريق الهدى أن يثوب إليه ، أى يرجع . (٧) دوى :

مارذا داء . وناوى : المقيم . وعين شمس : البلد الذى كان يسكنه الفقيه ، وهى ضاحية من

ضواحي القاهرة معروفة . (٨) الرائد : الطالب .

- (١) رَحْمَةُ الدِّينِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * نَحْرَجَ التَّفْسِيرُ عَنْ طَوْقِ الأَرِيْبِ
 رَحْمَةُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * طَاشَ سَهْمُ الرَّأْيِ فِي كَفِّ المِصِيبِ
 رَحْمَةُ الفَهْمِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * دَقَّتْ الأَشْيَاءُ عَنْ ذِهْنِ اللُّيْبِ
 رَحْمَةُ الحِلْمِ عَلَيْهِ كَلَّمَا * ضَاقَ بِالحِذَانِ ذُو الصُّدْرِ الرَّحِيبِ
 لَيْسَ فِي مَيْدَانِ (مِصْرٍ) فَارِسُ * يَرْكَبُ الأَخْطَارَ فِي يَوْمِ الرُّكُوبِ
 كَلَّمَا شَارَفَهُ مِنَّا فَتَى * غَالَهُ المِقْدَارُ مِنْ قَبْلِ الوُثُوبِ (٢)
 مَا تَرَى كَيْفَ تَوَلَّى (قَاسِمٌ) * وَهُوَ فِي المَيْعَةِ وَالبُرْدِ القَشِيبِ (٣)
 أُنْبِي الأَحْيَاءُ ذِكْرِي (عَبِيدِهِ) * وَهِيَ لِلسُّتَافِ مِنْ مِسْكِ وَطِيبِ (٤)
 أَنَّهُمْ لَوْ أَنصَفُوا لَبَنَوْا * مَعَهْدًا تَعْتَادُهُ كَفُّ الوُهُوبِ (٥)
 مَعَهْدًا لِلدِّينِ يُسْقَى غَرْسُهُ * مِنْ نَمِيرٍ فَاضٍ مِنْ ذَاكَ القَلِيبِ (٦)
 وَنَسِينَا ذِكْرَ (حَفْنِي) بَعْدَهُ * وَدَفْنَا فَضْلَهُ دَفْنَ الغَرِيبِ (٧)
 لَمْ تَسَلْ مِنَّا عَلَيْهِ دَمْعَةٌ * وَهُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِالدَّمْعِ الصَّيْبِ

- (١) الطوق : الجهد والطاقة . والأريب : العاقل البصير . ويريد « بالتفسير » : تفسير القرآن الكريم ، وكان الفقيه يتولى تدريسه بالأزهر .
 (٢) شارفه : أشرف عليه ودنا منه .
 (٣) ميمة الشباب : أقرله . والقشيب : البلعبد .
 وقاسم ، هو المرحوم قاسم بك أمين .
 (٤) استاف العليب : شبهه .
 (٥) تعتاده ، أى تتعود الإتفاق عليه وتعهده بالبدل .
 (٦) الماء النمير : الناجع فى الرى . والقليب : البئر . ويريد به الفقيه .
 (٧) الصيب : المنصب .

(١) سَكَنَتْ أَنْفَاسُ (حَفْنِي) بَعْدَ مَا * طَيَّبَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسَ الْأَدِيبِ
عَاشَ خِصْبَ الْعُمْرِ مَوْفُورًا مَجِيًّا * صَادِقَ الْعِشْرَةِ مَأْمُوتَ الْمَغِيبِ

(٢) تَأْيِينَ حَسَنَ عَبْدِ الرَّازِقِ بَاشَا وَإِسْمَاعِيلَ زُهْدِي بَكْ

قالها في الحفل الذي أقامه الأحرار الدستوريون لتأيين الفقيدين
[يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ م]

طَمَّانٍ مِنْ أَعْلَامٍ مِصْرَ * رَعَدَا الرَّدَى فَطَوَاهُمَا
(حَسَنٌ) وَ(زُهْدِي) لَمْ يَمُدَّ * نَحْ بِالشَّبَابِ كَلَامُهَا
سَلَكَا سَبِيلَ الْحَقِّ مَا * عَاشَا وَمَا أَوْلَاهُمَا!
دَاسَ الْإِثْمِ جَاهُمَا * تَمَّتَ الدُّجَى وَدَهَاهُمَا
فَرَمَى النَّهْيَ وَالْفَضْلَ مَجْ * تَمَعِينَ حِينَ رَمَاهُمَا
إِنْ تَذَكَّرُوا هِمَّ الرَّجَا * لِي فَقَدَّمُوا ذِكْرَاهُمَا
أَوْ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْبِ * لَدَى مَبْدَأِ فُهُمَا هُمَا

- (١) سكون الأنفاس : كناية عن الموت . ويريد بقوله « طيبت في الشرق أنفاس الأديب » :
أن أدباء الشرق قد تخرجوا عليه ، وأخذوا من أدبه وفضله ما طابت به منشأتهم وارتفع به أديبهم .
- (٢) في مساء الخميس ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ م ، اعتدى معتد على عضوين من أعضاء حزب الأحرار
الدستوريين ، هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى بك ، فرماه بالرماس ولم يمهلهما
الأجل إلا أياما ، فتوفى إسماعيل بك أولا ، وتوفى حسن باشا بعده ، وكان مبعث هذا الاعتداء الخلاف
السياسى بين الأحزاب .

رثاء إسماعيل صبرى باشا^(١)

أنشدها في حفل التابين الذى أقيم في فناء مدرسة المغالين بالمنيرة في مايو سنة ١٩٢٣ م ، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة أكثر المجتمعون التصفيق ترحيبا به ، فقال مرتجلا :

أَكثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ فِي مَوْطِنٍ * كَانِ الْبُكَاءُ فِيهِ بِنَا أَلْيَقَا
فَاكْرُمُوا (صَبْرِي) بِإِنصَاتِكُمْ * وَلْيُعذِرِ الدَّمْعُ إِذَا صَفَّقَا

ثم أبتدأ في إنشاد قصيدته :

(٢) نَعَاكَ النُّعَاةُ وَحُصْمُ الْقَدْرِ * وَلَمْ يُغْنِ عَنَّا وَعَنكَ الْحَدْرُ
(٣) طَوَتْ ذَبْحَةَ الصَّدْرِ صَدْرَ النَّدِيِّ * فَلَمْ تَطْوِ إِلَّا بِجِبْلِ الْعَبْرِ
(٤) فَأَمْسَيْتَ تُدَكِّرُ فِي الْغَابِرِينَ * وَإِنْ قَلَّ مِثْلُكَ فَيَمُنُّ غَبْرُ
(٥) إِذَا ذِكْرَتْ سَيْرَ النَّابِهِينَ * فَسِيرَةُ (صَبْرِي) تَجِبُ السَّيْرُ
(٦) لَقَدْ كُنْتَ بَرًّا بِظُلِّ الشَّبَابِ * فَلَمَّا تَقَلَّصَ كُنْتَ الْآبْرُ

(١) ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا في سنة ١٨٥٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر ونال شهادة الحقوق ، سافر إلى أوروبا فأتى علومه القانونية هناك ، ونال الشهادة من كلية اكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وأتم منصب تولاه وكالة الحقانية ، واعتزله في سنة ١٩٠٧ ، وكانت وفاته في ربيع سنة ١٩٢٣ م . وشعره معروف بالرفقة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالإجادة في المقطعات الصغيرة ، وإلى هذا يشير حافظ في مرثيته . (٢) حم القدر : قضى (بالبناء للجهول فهما) . ويريد « بالقدر » : الموت . (٣) يشير إلى أن الفقيه توفى بالذبح الصدرية ، وقد عاش مصابا بها زحمة الله أعواما طويلة . والنسدى : مجلس القوم ومتداهم . (٤) الغابرون : الماضون . (٥) تجب السير : تقلمها وتذهب بها . يقول : إنه إذا ذكر الفقيه لم يذكر سواه في النابيين من الرجال . (٦) تقلص الفل : تقبض . يريد أنه قد بعد عن الإثم في شبابه ، فلما ذهب شبابه كان بعده عن الإثم أشد .

فَلَمْ تَسْتَبِقْ نَزْوَةً فِي الصَّبَا * وَلَمْ تَسْتَبِحْ هَفْوَةً فِي الْكِبَرِ
 أَهْنَى الثَّرَى أَمْ أَعَزَّى الْوَرَى * لَقَدْ فَازَ هَذَا وَهَذَا خَيْرَ
 (١)
 أَوَّلِ يَوْمٍ لَمَّهِدِ الرَّيْسِ * تَجِفُّ الرِّيَاضُ وَيَذْوَى الزَّهْرُ ؟
 (٢)
 وَيَذُبُّ زَهْرَ الْقَرِيضِ الثَّرَى * وَيُقْفِرُ رَوْضَ الْقَوَافِي الْغُرَى
 (٣)
 لِيَهْدَأُ (عُمَانُ) فَنَوَاصِيهُ * أَصِيبَ وَأَمْسَى رَهِينَ الْحُفْرِ
 (٤)
 فَقَدْ كَانَ يَتَّادُهُ دَائِبًا * بَكُورًا رَوْحًا لَتَهَبِ الدَّرَرُ
 (٥)
 يَقُولُ فَيُرِيخُ دَرَّ النَّحُورِ * وَيُغْلِي جُمَانَ بَنَاتِ الْفِكْرِ
 (٦)
 يَسُوقُ الْقِصَارَ فَيَأْبَى الْعِشَارَ * وَكَمْ مِنْ مُطِيلٍ مُمِلٍّ عَثَرَ
 قِصَارَ وَحَسَبُ النَّهْيِ أَنَّهَا * لَهَا مُعْجَزَاتُ قِصَارِ السُّورِ
 رُحِمْتَ، فَقَدْ كُنْتَ حُلَاوَاللِّسَانِ * جَلِيَّ الْبَيَانِ صَدُوقَ الْخَبَرِ
 (٧)
 قَلِيلَ التَّعْجِيبِ جَمِّ الْأَنَاءِ * حَكِيمَ الْوُرُودِ حَكِيمَ الصُّدْرِ
 (٨)
 شَمَائِلِكَ الْغُرُّهُنَّ الرِّيَاضِ * رَوَى عَنْ شَذَاهَا نَسِيمَ السُّحْرِ

- (١) ذرى الزهر : ذبل . ويشير بهذا الى أن وفاة الفقيه كانت في فصل الربيع .
 (٢) القريض الثرى : الفقى بمانيه وألفاظه . (٣) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بالؤلؤ المستخرج من بحرها . ويريد الشاعر بهذا البيت تشبيه شعر الفقيه بالؤلؤ الذى يؤتى به من بحر عمان .
 (٤) يتاده دائباً، أى يواظب على استخراج اللآلى منه ليرصع بها شعره . (٥) الجمان : اللؤلؤ، الواحدة جملة . ويريد « بنات الفكر » : معانى الشعر . (٦) يشير الى أن الفقيه كان أجود ما يكون شعره فى المقطوعات القصيرة . (٧) الأناءة : الثانى . ويريد « بحكيم الورد ... » الخ : أنه بصير بمواقع الأمور يحسن الدخول اليها والخروج منها . (٨) الشذا : الرائحة الطيبة .

- (١) لها مثل رُوح الدُّمَاءِ اسْتَجِيب * فعاقى وآوى وأغنى وسَترُ
 (٢) إذا ما وردت لها منهلاً * وردت نَميراً لَدِيدَ الحَصْرِ
 (٣) وفِكرُكَ في خِصْبِهِ ثَرَوَةٌ * لفِكرِ الأديبِ إذا ما افتقرُ
 (٤) وشِعْرُكَ كالماءِ في صَفْوِهِ * على صَفْحَتَيْهِ تراءى الصُّورُ
 (٥) عيونُ القَصَائِدِ مثلُ العيونِ * وشِعْرُكَ فيهنَّ مثلُ الحُورِ
 (٦) وكم لك شكوى هوى أو أسى * لها نَفْثَاتُ تَذِيبِ الجَرِّ
 (٧) هتفت بها مرةً في الهَجِيرِ * فكادَ يدبُّ إليك الشَّجَرُ
 (٨) وكم كنت تُشعلُ فِخْمَ الدُّبجى * بأنفاسِ صَبِّ طَوِيلِ السَّهْرِ
 فياوِجِ قَلْبِكَ ما ذا أَلحُّ عليه من الدَّاءِ حتى أنفَطَرَ
 أَيُحْفِقُ تحتَ الدُّبجى وَحَدَهُ * لِذِكْرَى أَلِيفِ سَلا أو هَجَرَ

(١) الروح : الراحة .

(٢) النَمير : الماء الناجع في الرى . وخصر الماء (بالتحريك) : برودته .

(٣) يريد بهذا البيت أن الأدباء يستمدون من معانيه إذا أوزنتهم المعاني .

(٤) تراءى ، تراءى ، أى تبين وتظهر . (٥) عيون القصائد : نقائسها

ركائزها . والحور في العين : اشتداد البياض والسواد في بياضها وسوادها ، واستدارة حدقتها ، ورقة جفونها .

(٦) الهجير : شدة الحر . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للرحوم اسماعيل صبرى باشا ، أولها :

يا سرحة بجسوار الماء ناضرة * سقاك دمي اذا لم يوف سابقك

عار عليك وهذا الظل منتشر * فتك الهجير يمشى في نواحيك

(٧) يشير بهذا البيت الى مقطوعات الفقيده في النسيب والشوق ، وهي من أنفاس شعره .

(٨) يشير بهذا البيت الى قول الفقيده يخاطب فؤاده :

سلا الفؤاد الذي شاطرته زمنا * حمل الصباية فأخفق وحدك الآنا

- (١) إِذَا قِيلَ (صَبْرِي) ذَكَرْتُ (الْوَلِيدَ) * وَمَرَّتْ بِنَفْسِي ذِكْرِي (عُمَرَ)
- (٢) يَزِينُ تَوَاضَعُهُ نَفْسَهُ * كَمَا زَانَ حُسْنَ الْمَلَّاحِ الْخَفَرَ
- (٣) زَيْكِيُّ الْمَشَاعِرِ عَفُّ الْهَوَى * شَبِيهُ الْأَحَادِيثِ حُلُو السَّمَرِ
- لَقَدْ كُنْتُ أَغْشَاهُ فِي دَارِهِ * وَنَادِيهِ فِيهَا زَهَا وَأَزْدَهْر
- (٤) وَأَعْرِضْ شِعْرِي عَلَى مَسْمَعٍ * لَطِيفٍ يُحْسِنُ نَبْوَالِ الْوَتْرِ
- (٥) عَلَى سَمْعٍ بِاقِعَةٍ حَاضِرٍ * يَمَيِّزُ الْقَدِيمَ مِنَ الْمُتَبَكَّرِ
- (٦) فَيَصْقُلُ لَفْظِي صَقْلَ الْجُمَانِ * وَيَكْسُوهُ رِقَّةَ أَهْلِ الْحَضَرِ
- (٧) يُرْقِرُقُ فِيهِ عَجِيرَ الْجَنَانِ * قَسْتَأْفُ مِنْهُ النَّهْيَ وَالْفِكْرَ
- كَذَلِكَ كَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - * إِمَامًا لِكُلِّ أَدِيبٍ شَعَرَ
- (٨) فَكُنَّا الْجَدَاوِلَ نُزَوِي الظَّمَاءِ * ظِمَاءَ الْعُقُولِ وَكَانَ النَّهْرَ
- (٩) زَهْدَتَ عَلَى شُهْرَةٍ طَبَّقَتْ * وَجَاهٍ أَظْلَ وَفَضْلٍ بَهْرَ

- (١) يريد «بالوليد وعمر» : أبا عبادة البحرى وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشى المخزومى ،
الشاعرين المعروفين . شبه بهما الفقيه فى رقة الأسلوب ، وعدوية الألفاظ ، وطراقة المعاني ، وحسن
النسيب . وكان اسماعيل صبرى رحمه الله ، يعجب كثيرا بشعر البحرى ويفضله على غيره من الشعر .
- (٢) الخفر : شدة الحياء . (٣) زكى المشاعر : طاهرها . وعف الهوى : عفيفه فلا يدعوه
حبه الى ارتكاب ماثم . (٤) يريد بقوله «يحسن نبوالوتر» : أنه كان يدرك بلطف حسه ودقة
ذوقه ما نابا من الألفاظ والعبارات ، وتذعما جاوره ولم ينسجم معه فى البيت أو القصيدة .
- (٥) الباقعة : الذكى المعارف الذى لا يفوته شىء . (٦) يصقل لفظى ، أى يجلوه ويحسنه .
- (٧) العبير : الرائحة الطيبة . وقستأف : تشم . والنهى : العقول .
- (٨) الجداول : الأنهار الصغيرة من النهر الكبير . (٩) أظل : أى امتد ظله واتسع .

(١) خَلَعْتَ الشَّبَابَ فَلَمْ تَبْكِهِ * وَسَاءَ لَكَ أَنْتَ لَمْ تُحْتَضِرْ
 (٢) وَقَدْ ذُقْتَ طَعْمَ الرَّدَى عِنْدَ مَا * أُصِيبَ قِطَارُكَ يَوْمَ السَّفَرِ
 (٣) فَاقْسَمْتَ أَنْتَ الْفَيْتَهُ * لَذِيذِ الْمَسْذَاقَةِ إِذْ تُحْتَضِرُ
 تَمَيَّنْتَ أَنْ لَمْ تَعُدْ لِلْحَيَاةِ * وَلَكِنْ أَبَاهَا عَلَيْكَ الْقَدَرُ
 (٤) وَكَمْ سَاعَةٍ بَيْنَ سَاعِ الْحَيَاةِ * سَقَّتْكَ الْمُرَارَ بِكَأْسِ الضُّجْرِ
 (٥) فَرُحْتَ إِلَى أُخْتِهَا شَايِكًا * أَذَاتَكَ مِنْهَا فَكَانَتْ أَمْرًا
 فَتَشَّتْ أَثْنَاءَهَا جَاهِدًا * بَعِيْنِي بِصَبْرِ بَعِيدِ النَّظَرِ
 (٦) فَلَمْ تَرَفِيهَا عَلَى طَوْلِهَا * هَنِيمَةً صَفْوٍ خَلَّتْ مِنْ كَدَرِ

(١) احتضر فلان بالبنا للجھول : مات غضا شابا . (٢) يشير بهذا البيت والذين بعده الى ما حدث للفقيد أيام كان محافظا لمدينة الاسكندرية ، وذلك أنه بينما كان راجعا قطار الرمل عائدا الى منزله من زيارة صاحب السموق الخديوي عباس الثاني اذ اصطدم القطار الذي كان يقفه مع قطار آخر ، وقد أصيب في هذه الحادثة كثيرون من الركاب باصابات مختلفة ، وتوفي بعضهم ، وقد أغمى على الفقيد إغماء طويلا ، وأصيب بارتجاج في مخه ، حتى إنه كان بعد ذلك كثير النسيان من أثر ذلك ، كما أصيب برضوض في كتفه الأيسر ، وكان يتحدث الى جلسائه بأنه قد ذاق طعم الموت في هذا الحادث فوجدته لذيق المذاق ، وكان يتمنى أن لم تعد اليه الحياة ثانية . (٣) احتضر فلان (البنا للجھول) : حضره الموت . (٤) الساع : جمع ساعة . والمرار بالضم : شجر شديد المرارة . شبه الأجران والمهموم بعصارة هذا النبات . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للفقيد في الساعة ، أوتها :

كَمْ سَاعَةٌ آلمَنِي مَسَا * وَأَزْعَجْنِي يَدَاهَا الْقَاسِيَه

(٥) يشير بهذا : الى قول الفقيد في مقطوعة الساعة التي سبقت الإشارة إليها :

وَكَمْ سَقَّتْنِي الْمُرَاخَتَ لَهَا * فَرِحْتَ أَشْكُوهَا إِلَى التَّالِيَه

فَأَسْهَلْتَنِي هَذِهِ عَنزَه * لِسَاعَه أُخْرَى وَبِي مَا يَبِيَه

(٦) يشير بهذا البيت والذي قبله الى قول الفقيد في مقطوعة الساعة أيضا :

فَتَشَّتْ فِيهَا جَاهِدًا لَمْ أَجِدْ * هَنِيمَةً وَاحِدَةً صَافِيَه

- (١) وما زلت تشكو الى ان انت * كما تشتهى ساعة لم تذر
 (٢) فلا صد تخشاه بعد الوصال * ولا ضعف تشكوه بعد الأشر
 (٣) أريج فؤادك مما ضناه * وصدرك مما عليه أنكدر
 (٤) تمنيتها خطوة للمات * تفرج عنك كرب الغير
 (٥) وما قد خطاها ونلت المنى * فهل في المات بلوغ الوطر
 صدقت في الموت نصر الأبى * على الدهر إن هو يوماً غدر
 (٦) مللت الثواء بدار الزوال * فاذا رأيت بدار المقر
 أتحت التراب يضام الكريم * ويشقى الحليم ويخفى القمر؟
 (٧) ويهضم حق الأديب الأريب * ويطمس فضل النبيه الأغر؟
 أتحت التراب تساق الشعوب * بسوط العبودة سوق البقر؟
 ويعقد مؤتمر للسلام * فتخرج منه إلى مؤتمر؟

(١) ساعة لم تذر : يريد ساعة الموت ؛ ويشير بهذا البيت الى قول الفقيه في آخر مقطوعة الساعة :

يا شاكي الساعات أسمع عسى * تنبيك منها الساعة القاضيه

(٢) الأشر : البطر؛ وقابله بالضعف لأن الأشر إنما يكون مع القوة والقدرة .

(٣) مما عليه أنكدر، أى مما أنصب عليه من الهموم .

(٤) الغير : تغيرات الزمان ونوابه . ويشير بهذا البيت والذي بعده الى قول الفقيه :

ياسوت هانذا نخذ * ما أهدت الأيام منى

بينى وبينك خطوة * إن تخطها فرجت عنى

(٥) الوطر : الحاجة . (٦) الثواء : الإقامة .

(٧) الأريب : العاقل الفطن .

فإن كان ما عندنا عندكم * فليس لنا من شقاء مفر
 خضم الحياة بعيد النجاة * فطوبى لراكبه إن عب^(١)
 فعد سائلا غائبا للتراب * كرايك في الموت وأهنا وقز

رثاء سعيد زغلول^(٢)

أنشدها على قبر الفقيه بعد دفنه

[نشرت في ٢١ يولييه سنة ١٩٢٣ م]

ما أنت أول ككوتب * في الغرب أدركه المغيب
 فهناك أقمار المشا * ريق قد أتيح لها الغروب
 داس الجمام عيرين خا * لك، وهو مرهوب مهيب^(٣)
 لم يثنه عنك الرئيد * سس ولا رمى عنك الخطوب^(٤)
 يا سعد كيف قضى (سعيد) * (سد) وهو من (سعد) قريب؟

(١) الخضم : البحر .

(٢) نشأ سعيد زغلول في ظل خاله المغفور له سعد زغلول باشا ، وبعد أن تخرج في مدرسة الحقوق عين مساعدا للنيابة ، ثم انتقل الى الديوان السلطاني في أيام المغفور له السلطان حسين كامل ، ثم عاد إلى النيابة ثانية ، ثم عين قاضيا في محكمة الزقازيق . ولما سئم خاله الوحدة ، وكان إذ ذاك متفيا بجبل طارق ، استدعاه إليه فكان معه في جبل طارق ، وحصبه في سفره بعد ذلك إلى أوربا ، وقد أصيب بمرض لم يمهله إلا أياما ، وكانت وفاته في ١٠ يولييه سنة ١٩٢٣ م ، ثم نقل جثمانه من أوربا إلى مصر . (٣) العرين : ماوى الأسد . (٤) لم يثنه : لم يصرفه . ويريد « بالرئيس » رئيس الوفد المصرى المرحوم سعد زغلول باشا .

(١)
عَجَبًا ! اُنْحَمِيْ اُمَّةٌ * وَتَخَافُ جَانِبَكَ الْخَطُوبُ
وَيُغَالُ ضَيْفُكَ وَابْنُ اُخْتِ * تِكْ وَهُوَ عَن (مِصْرٍ) غَرِيبٌ؟
نَبَّتُ اَنْكَ قَدْ بَكَتِ * تَ وَهَالِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبُ
وَإِذَا بَكَتِ (سَعْدٌ) بَكَتْ * لُبْكَاهِ مِنَّا الْقُلُوبُ
يا (آلَ زُغَلُولٍ) ذَوِي * مِنْ رَوْضِكُمْ غَضْنٌ رَطِيبٌ (٢)
فَقَدَّتْ بِهِ (مِصْرٌ) قَتَى * أَخْلَاقُهُ مِسْكٌ وَطِيبُ
يا (آلَ زُغَلُولٍ) وَعُو * دُمُّكُمْ عَلَى الْجُلِيِّ صَلِيبٌ (٣)
إِنِّي لِأَتَجَمَّلُ أَنْ أَعْزِيزَكُمْ وَكُلُّكُمْ أَرِيبٌ (٤)
شَاكِي سِلَاحِ الصَّبْرِ مُد * تَحْنٌ لِدُنْيَاهُ لَيْبٌ (٥)
خَطْبُ الْبِكَاثَةِ فِي قَعِيدٍ * يَدِكُمْ نَحْطِيبِكُمْ يُشِيبُ (٦)
لَمْ يَبْقَ مِنَّا وَاحِدٌ * إِلَّا لَهُ مِنْهُ نَصِيبٌ

(١) يلاحظ أن في هذا الشعر إبطاء، تكرر لفظ «الخطوب» في بيتين ليس بينهما غير بيت واحد .

(٢) ذوى : ذبل .

(٣) الجلى : المصيبة العظمى . وصليب ، أى صلب .

(٤) الأريب : ذوالعقل والرأى .

(٥) شاكى سلاح الصبر، أى متسلح بالصبر، قوى به على مواجهة الخطوب .

(٦) «نحطبكم» ... الخ، أى خطب مصر لأجل الخطب الذى أصبتم به يشيب الرأس لعظم هولاه .

رثاء محمد سليمان أباظه بك^(١)

[في سنة ١٩٢٣ م]

مَنْ لَمْ يَذُقْ فَقْدَ أَلْفِ الصَّبَا * لَمْ يَدْرِ مَا أَبْدَى وَمَا أَضْمِرُ
 أَفْقَدَنِي الْمَوْتَ بِهِ وَإِيَّا * لَا يَعْرِفُ الْخَتْلَ وَلَا يَغْدِرُ^(٢)
 تَقَرَّأَ فِي عَيْنَيْهِ كُلَّ الَّذِي * فِي نَفْسِهِ عَنِ نَفْسِهِ يَسْتُرُ
 ثَلَاثَةٌ لَمْ تَعْرَعْنَ عِفَّةً : * لِسَانُهُ وَالذَّيْلُ وَالْمِشْتَرُ^(٣)
 قَدْ كَانَ مِثْلًا لَأَمْوَالِهِ * وَكَانَ نَهَاضًا بَيْنَ يَعْتُرُ
 أَوْشَكَ أَنْ يُفْقِرَهُ جُودُهُ * وَمِنْ صُنُوفِ الْجُودِ مَا يُفْقِرُ^(٤)
 أَصِيبَ فِيهِ الْمَجْدُ يَوْمَ أَنْطَوَى * وَالْعُرْفُ وَالسَّائِلُ وَالْمُعْسِرُ

* *

كَمَا عَلَى عَهْدِ الصَّبَا سَبْعَةٌ * بِمُسْتَطَابِ اللَّهْوِ نَسْتَأْتِرُ^(٥)
 (البابلي) صَفْوَةٌ فِتْيَانِنَا * وَ(ابن المولحي) الْكَاتِبُ الْأَشْهَرُ
 وَ(صَادِقُ) خَيْرُنِي (مَسِيدُ) * وَ(بَيْرَمُ) إِذْ عُدَّه أَخْضَرُ
 وَكَانَ (عَبْدُ اللَّهِ) أَنْسَانَا * وَأَنْسُ (عَبْدُ اللَّهِ) لَا يُنْكَرُ
 لَهُو كَرِيمٌ لَمْ يُشَبَّ صَفْوَهُ * رِجْسٌ وَلَمْ يُشْهَدْ مُسْتَهْتَرُ^(٦)

(١) محمد سليمان أباظه بك، هو ابن سليمان أباظه باشا ولد سنة ١٨٧٢ وتعلم في مدرسة البوليس ثم كان ضابطا الى سنة ١٨٩٧ م ثم تولى عدة أعمال أخرى آخرها وراثته لمصلحة الأملاك وتوفي سنة ١٩٢٣ م .
 (٢) الختل : الخلداع . (٣) المنزر : الازار . وعفة المنزر : كناية عن عفة ماتمته . (٤) العرف : المعروف . (٥) انظر التعريف بالبابل والمولحي (في الحاشية رقم ٥ صفحة ١٦٦ والحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ من الجزء الأول على الترتيب) . (٦) لم يشب : لم يخالط . والرجس : النجس .

(١) فكم لنا من مجلس طيب * يشاققه (هارون) أو (جعفر)
 فلقب باللفظ كما ننتهي * ونضير المعنى فما يظهر
 ونرسل النكتة محبوباً * عن غيرنا في الحسن لا تصدر
 ثم أنطوى هذا وهذا وما * يطوى من الأيام لا ينشر
 (٢) كم دوحه أودى بها عاصف * والنجم من مأمته ينظر

ذكرى المرحوم محمد أبي شادي بك (٣)

عجبت أن جعلوا يوماً لذكركا * كأتنا قد تسينا يوم منعا
 (٤) إذا سلت (يا أبا شادي) مطوقة * ذكر الهديل فتح أنا سلونا
 (٥) في مهجة (النيل) والوادي وساكنه * رجع لصوتك موصول بذكركا
 (٦) قد عشت فينا نيمراً طاب مؤرده * أسمي سجايا الفتى أدنى سجايا

- (١) يريد هارون الرشيد، وجعفر بن يحيى البرمكي وذريته، وقد توفى جعفر مقتولاً بأمر الرشيد سنة ٨٧ هـ. (٢) الدرحة: الشجرة العظيمة. (٣) كان المرحوم محمد أبو شادي بك عالماً من أعلام المحاماة وإليه انتهت رئاسة نقابة المحامين حيناً من الزمن كما كان صحفياً مبرزاً وأنشأ صحيفة يومية سماها «الظاهر» وانتخب عضواً في مجلس النواب وتوفى في ٣٠ يونيو سنة ١٩٢٥ م.
- (٤) المطوقة: الحمامة، لما يحيط بمنقها من لون يخالف سائر لونها. والهديل: زعم بعض الأعراب أنه فرخ من الحمام قديم مات ضيعة وعطشا، فيقولون: ما من حمامة إلا وهي تبكي عليه.
- (٥) رجع الصوت: صده. (٦) النير: الماء الناجع في الري. ويريد بقوله «أسمي سجايا» = أن أعلى ما يلحى به الناس من صفات فاضلة هو أقل ما تلحى به من شيم ومكارم.

فما كأولائك في برِّ وفي كَرِيم * أولى كريم ، ولا عُقْبَى كَعُقْبَا كَا
 قَضِيَّةُ الْوَطَنِ الْمَغْبُونِ، قَدْ مَلَأَتْ * أَنْحَاءَ نَفْسِكَ شُغْلًا عَنْ قَضَايَا كَا
 (١)
 أَبْلَيْتَ فِيهَا بَلَاءَ الْمُخْلِصِينَ لَهَا * وَكَانَ سَهْمُكَ أَنِّي رِشْتَ قَتَا كَا
 (٢)
 أَجَمَلْتَ مَا فَصَّلُوهُ فِي قَصَائِدِهِمْ * حَتَّى لَقَدْ نَضَرُوا بِالْحَمْدِ مَثْوَا كَا
 لَمْ يُبْقِ لِي قَيْدَ شَيْبِ صَاحِبَائِي وَلَمْ * يَفْسَحْ لِي الْقَوْلَ لَا هَذَا وَلَا ذَا كَا
 يَا مُدِينَ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ مُحْتَسِبًا * هَانَتْ فِي الْخُلْدِ قَدْ جَاوَرْتَ مَوْلَا كَا
 (٣)
 لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي دُنْيَاكَ مَفْخَرَةٌ * سِوَى (زَكِيٍّ) لَقَدْ جَمَلْتَ دُنْيَا كَا

رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أشدها في الحفل الذي أقيم لتأبين الفقيد في ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ م

إِيهِ يَا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ الْمَصَابَا * كَيْفَ يَنْصَبُ فِي النُّفُوسِ أَنْصِبَابَا؟
 (٤)
 بَلَّغَ الْمَشْرِقَيْنِ قَبْلَ أَنْبِلَاجِ الصُّبْحِ * أَنْ الرِّيسَ وَلِيَّ وَظَابَا
 وَأَنْعَ لِلنِّيَّاتِ (سَعْدًا) فَ (سَعْدًا) * كَانَ أَمْضَى فِي الْأَرْضِ مِنْهَا شِهَابَا
 (٥)
 قَدْ يَا لَيْلُ مِنْ سَوَادِكَ ثَوْبًا * لِلدَّرَارِي وَاللُّضْحَى جِلْبَابَا

(١) راس السهم يریشه ، اذا الصق به الريش ليكون أسرع في مضيه .

(٢) نضروا ، من النضرة ، وهي الحسن والبهجة . ومثواك : قبرك .

(٣) المراد « زكي » : الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، ابن الفقيد .

(٤) انبلاج الصبح : إشرافه . (٥) قد : اقطع . والدراي (بتشديد الياء وخففت للشعر) :

الكواكب المضيئة الصافية الشعاع .

- (١) أُنْسَجِ الحَالِكَاتِ مِنْكَ نِقَاباً * وَأَحْبِ شَمْسَ النَّهَارِ ذَاكَ النَّقَابَا
 قُلْ لَهَا: غَابَ كَوْكَبُ الأَرْضِ فِي الأَرْضِ * ضِ فِغِيبِي عَنِ السَّمَاءِ أَحْتِجَابَا
 وَالبِسِينِي عَلَيْهِ نَوْبَ حِدَادٍ * وَأَجْلِسِي للعَزَاءِ فَالْحُزْنَ طَابَا
 (٢) أَيْنَ (سَعْدٌ)؟ فَذَاكَ أَوَّلُ حَفِيلٍ * غَابَ عَن صَدْرِهِ وَعَافَ الحِطَابَا
 لَمْ يَعُودْ جُنُودَهُ يَوْمَ خَطْبٍ * أَنْ يُنَادَى فَلَا يَرُدُّ الجَوَابَا
 (٣) عَلَّ أَمْرًا قَدْ عَاقَهُ ، عَلَّ سُقْمًا * قَدْ عَرَاهُ ، لَقَدْ أَطَالَ الغِيَابَا
 أَيْ جُنُودَ الرَّئِيسِ نَادُوا جِهَارًا * فَإِذَا لَمْ يُجِبْ فَشُقُّوا الثِّيَابَا
 (٤) إِنَّهَا النَّكْبَةُ الَّتِي كُنْتُ أَخْشَى * إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي كُنْتُ أَبِي
 (٥) إِنَّهَا اللَّفْظَةُ الَّتِي تَنْسِفُ الأَنْز * نَفْسَ نَسْفًا وَتَفْقُرُ الأَصْلَابَا
 مَاتَ (سَعْدٌ) ، لَا كُنْتُ يَا (مَاتَ سَعْدٌ) * أَسِيهَامًا مَسْمُومَةً أُمَّ حِرَابَا
 (٦) كَيْفَ أَقْصَدْتِ كُلَّ حَيٍّ عَلَى الأَرْضِ * ضِ وَأَحْدَثْتِ فِي الوُجُودِ أَنْقِلَابَا؟
 (٧) حَسْرَةً عِنْدَ أَنَّهُ عِنْدَ آهِ * تَحْتَهَا زَفْرَةٌ تُذِيبُ الصَّلَابَا
 (٨) قُلْ لِمَنْ بَاتَ فِي (فَلَسْطِينِ) يَبْكِي * إِنَّ زِلْزَالَنا أَجَلٌ مُصَابَا

(١) يقال : حباه كذا وبكذا يجبوه ، إذا أخطاه إياه . (٢) عاف الشيء : كرهه وزهد فيه .
 (٣) عراه : أصابه . (٤) آبي ، أي أكره . (٥) يريد باللفظة : (مات سعد) الواردة في البيت
 التالي . والأصلاب : عظام في الظهر ذات فقار من لدن الكاهل إلى العجب . وتفقرها ، أي تصيب هذه الفقار
 ففكسرها . (٦) أقصده : أصاب مقتله . (٧) الصلاب ، أي الحجارة الصلبة . (٨) يشير إلى
 زلزال فلسطين الذي حدث في ١١ يولييه سنة ١٩٢٧ م ، والذي عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية ،
 فدمر كثيرا من الدور ، وأهلك عددا ليس بقليل من الأتقى ، وقد تبرع الفقيد لتكويين هذا الزلزال بمئة جنيه .

- (١) قد دُهَيْتُمْ فِي دُورِكُمْ وَدُهَيْنَا * فِي نُفُوسٍ أَيْبَى إِلَّا أَحْتِسَابًا
- (٢) فَفَقَدْتُمْ عَلَى الْحَوَادِثِ جَفْنًا * وَقَقَدْنَا الْمُهَنْدَ الْقِرْضَابَا
- (٣) سَلَّهُ رَبُّهُ زَمَانًا فَأَبْلَى * ثُمَّ نَادَاهُ رَبُّهُ فَأَجَابَا
- قَدَرُ شَاءَ أَنْ يُزَلِّزَ (مِضْرًا) * فَتَعَالَى فَزَلَّزَلِ الْأَلْبَابَا
- (٤) طَاحَ بِالرَّأْسِ مِنْ رِجَالِ (مِضْرٍ) * وَتَحَطَّى التُّحُوتَ وَالْأَوْشَابَا
- وَالْمَقَادِيرُ إِنَّمَا رَمَتْ لِأَتْبَالِي * أَرُءُوسًا تُصِيبُ أُمَّ أَدْنَابَا
- خَرَجَتْ أُمَّةٌ تُشَبِّحُ نَعَشًا * قَدْ حَوَى أُمَّةٌ وَبَحْرًا عِبَابَا
- حَمَلُوهُ عَلَى الْمَدَائِفِ لَمَّا * أَنْجَزَ الْهَامَ حَمْلَهُ وَالرَّقَابَا
- (٥) حَالَ لَوْنُ الْأَصِيلِ وَالِدَّمْعُ يَجْرِي * شَفَقًا سَائِلًا وَصُبْحًا مُذَابَا
- وَسَهَا النَّيْلُ عَنِ سُرَاهُ ذُهُولًا * حِينَ أَلْفَى الْجُمُوعَ تَبْكِي أَنْتِجَابَا
- ظَنَّ يَا (سَعْدُ) أَنْ يَرَى مِهْرَجَانًا * فَرَأَى مَائِمًا وَحَشْدًا مُجَّجَابَا
- (٦) لَمْ تَسُقْ مِثْلَهُ قَرَاعِينُ (مِضْرٍ) * يَوْمَ كَانُوا لِأَهْلِهَا أَرْبَابَا

(١) احتساباً، أى إن هذه النفوس جعلت هذا المصاب وأحياناً له فيما يتخرفها عند الله .

(٢) الجفن : الغمد . والمهند : السيف . والقرضاب : القطاع . يقول : إن ما ضاع من الفلسطينيين بالززال بالقياس الى ما ضاع منا كالغمد اذا قيس بالسيف . (٣) سله : شهره .

(٤) طاح به : ذهب به . والتحوت : السفلة . والأوشاب : الأخلاط من الناس ؛ الواحد وشب (بالكسر) . (٥) يقول : إن لون الأصيل قد غيرته الدموع التي كانت تجرى دماً ، فكانت كأنها شفق مائل ، أو صبح مذاب ؛ وفي لون الشفق والصبح حمرة وصفرة تشبهان حمرة الدم وصفرته .

(٦) مثله ، أى مثل هذا الحشد .

- (١) خَضَبَ الشَّيْبُ شَيْبَهُمْ بِسَوَادٍ * وَمَا الْيَضُّ يَوْمَ مِتَّ الْخَضَابَا
 (٢) وَاسْتَهَلَّتْ سَحْبُ الْبُكَاءِ عَلَى الْوَا * دِي فَغَطَّتْ خَضْرَاءَهُ وَالْيَابَا
 (٣) سَأَقْتُ (الْتَيْمُسُ) الْعَزَاءَ إِلَيْنَا * وَتَوَخَّتُ فِي مَدْحِكَ الْإِسْهَابَا
 لَمْ يَنْحُ جَارِعٌ عَلَيْكَ كَمَا نَا * حَتَّ وَلَا أَطْنَبَ الْمَجْبُ وَحَابِي
 (٤) وَاعْتَرَأْتُ (الْتَامِيزِ) يَا (سَعْدُ) مَقِيَا * سُّ لِمَا نَالَ نَيْلَنَا وَأَصَابَا
 يَا كَبِيرَ الْفُؤَادِ وَالنَّفْسِ وَالْآ * مَا لِي أَيْنَ اعْتَرَمَتْ عَنَّا الذُّهَابَا؟
 كَيْفَ تَنْسَى مَوَاقِفًا لَكَ فِينَا * كُنْتُ فِيهَا الْمَهِيْبَ لَا أَلْمِيَابَا؟
 (٥) كُنْتُ فِي مَيْعَةِ الشَّبَابِ حُسَامًا * زَادَ صَقْلًا فِرْنْدُهُ حِينَ شَابَا
 (٦) لَمْ يُنَازِلْكَ قَارِحُ الْقَوْمِ إِلَّا * كُنْتُ أَقْوَى يَدًا وَأَعْلَى جَنَابَا
 (٧) عِظْمٌ لَوْ حَوَاهُ (كَنْسَرَى) أَنْوَشْرُ * وَانَّ (يَوْمًا لَضَاقَ عِنْدَ إِهَابَا
 (٨) وَمَضَاءٌ يُرِيكَ حَدَّ قَضَاءِ اللَّهِ * يَفْرِي مَتْنًا وَيَحْطِمُ نَابَا

- (١) يريد أن الشيوخ قد خضبوا شعورهم البيضاء بسواد الحداد، وترك النساء الخضاب حدادا على الفقيد . (٢) يقال : استهل المطر، إذا انهل واشتد أنصابه . والياب : الفقر .
 (٣) التيمس : جريدة انجليزية معروفة . (٤) التاميز : نهر في جنوب انجلترا، ويريد بالتاميز والنيل : أهليهما . (٥) ميعة الشباب : أوله . وفرند السيف : وشيه وجوهره .
 (٦) يريد « بالقارح » (هنا) : المكتمل القوة، المستحكم العقل والتجربة من الرجال . والقارح في الأصل من الأفراس : ما تمت أسنانه، وإنما تم في خمس سنين .
 (٧) كسرى أنوشروان : ملك من ملوك الفرس معروف . والإهاب : الجلد . أى إن بدن كسرى لا يتسع لمثل هذا السمور والعظم .
 (٨) يفري المتن، أى يقصم الظهر . ويحطم الناب : يكسره .

- (١)
 قَدْ تَحَدَّيْتَ قُوَّةَ تَمَلَّأَ الْمَعْدُ * مُورٍ مِنْ هَوْلِ بَطْشِهَا إِرْهَابًا
- (٢)
 تَمَلِّكَ الْبَرَّ وَالْبِحَارَ وَتَمَشِي * فَسَوْقَ هَامِ الْوَرَى وَتَجْبِي السَّحَابَا
- (٣)
 لَمْ يَنْهِنَهُ مِنْ عَزَمِكَ السَّجْنُ وَالنَّفْدُ * سِيٌّ وَسَاجَلَتَهَا (بِمَصْرَ) الضَّرَابَا
- (٤)
 سَأَلُوا (سَيْشِلًا) أَوْجَسَ خَوْفًا * وَسَأَلُوا (طَارِقًا) أَرَامَ انْسِحَابَا؟
- عَزَمَةٌ لَا يَصُدُّهَا عَنْ مَدَاهَا * مَا يَصُدُّ السُّيُولَ تَغَشَّى الْهَضَابَا
- لَيْتَ (سَعْدًا) أَقَامَ حَتَّى يَرَانَا * كَيْفَ نُعَلِّي عَلَى الْأَسَاسِ الْقِبَابَا
- قَدْ كَشَفْنَا بِهَيْدِيهِ كُلَّ خَافٍ * وَحَسِبْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَابَا
- تَجَجُّ الْمُبْطِلِينَ تَمْضِي سِرَاعًا * مِثْلَمَا تُطْلِعُ الْكُؤُوسُ الْحَبَابَا
- (٥)
 حِينَ قَالَ : (أَتَيْتُ) قُلْنَا بَدَانَا * تَحْمِلُ الْعِبَاءَ وَحَدَانَا وَالصَّعَابَا
- (٦)
 فَاحْجَبُوا الشَّمْسَ وَأَحْبِسُوا الرُّوحَ عَنَّا * وَأَمْنَعُونَا طَعَامَنَا وَالشَّرَابَا
- (٧)
 وَأَسْتَشِفُّوا يَقِينًا رَغْمَ مَا نَدُ * تَقَى فَهَلْ تَأْمَحُونَ فِيهِ آرْتِيَابَا؟

(١) يريد «بالقوة»: قوة الإنجليز . (٢) هام الوري : رومهم ، الواحدة هامة . ويريد بقوله « وتجبى السحابا » أن هذه الدولة لها ملك واسع ، بحيث أمطر السحاب وأنرج زرعاً كان ما يجبي من هذا الزرع لدولة الانجليز؟ وهو إشارة الى ما يروي من أن بعض الخلفاء رأى سحابة في الأفق فقال : امطري حيث تمطرين فانه ما تخرجينه من الزرع تجبي ثمراته اليانا . (٣) لم ينهه ، أى لم ينهه عن مطلبه ولم يصرفه . وساجلتها الضرابا ، أى حاربت هذه القوة كما حاربتك . (٤) سيشل : جزيرة انجليزية في المحيط الهندي تقع الى الشمال من جزيرة مدغشقر ، وقد نفى اليها سعد زقلول باشا هو وبعض أصحابه سنة ١٩٢١م ثم نقل من سيشل الى جبل طارق ، لأن جو سيشل أضر به . (٥) حين حضرت سعد الوفاة ، سئل : كيف أنت ؟ فقال : «أنا اتيتت» ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٦) الروح : نسيم الريح . (٧) استشف الشيء : تبيته من وراء حجاب . يقول في هذا البيت والذي قبله مخاطباً الانجليز : إننا على الرغم مما تصبونه علينا من ألوان العذاب ثابتون على مبدئنا لانرتاب فيه ولا يزعجنا عنه مزجج .

- (١) قد مَلَكْتُمْ فَمَ السَّبِيلِ عَلَيْنَا * وَفَتَحْتُمْ لِكُلِّ شَعْوَاءَ بَابًا
 (٢) وَأَتَيْتُمْ بِالْحَائِمَاتِ تَرَامَى * تَحْمِلُ الْمَوْتَ جَائِمًا وَالْحَرَابَا
 وَمَلَأْتُمْ جَوَانِبَ النَّبْلِ وَعَدَا * وَوَعِيدًا وَرَحْمَةً وَعَذَابَا
 (٣) هَلْ ظَفِرْتُمْ مِنَّا بِقَلْبِ أَبِي * أَوْ رَأَيْتُمْ مِنَّا إِلَيْكُمْ مَثَابَا
 (٤) لَا تَقُولُوا خَلَا الْعَرِينُ فِيهِ * أَلْفَ لَيْثٍ إِذَا الْعَرِينُ أَهَابَا
 (٥) فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ وَرُوعُوا حِمَاهَا * إِنَّ عِنْدَ الْعَرِينِ أَسَدًا غَضَابَا
 جَزِعَ الشَّرْقُ كُلَّهُ لِعَظِيمِ * مَلَأَ الشَّرْقُ كُلَّهُ إِعْجَابَا
 عَمَّ (الشَّامَ) وَ(العِرَاقَ) وَ(بِجَدَا) * كَيْفَ يُحْمَى الْجَمَى إِذَا انْخَطَبُ نَابَا
 (٦) جَمَعَ الْحَقُّ كُلَّهُ فِي كِتَابٍ * وَأَسْتَنَارَ الْأُسُودَ غَابًا فَعَابَا
 وَمَشَى يَحْمِلُ اللَّوَاءَ إِلَى الْحَقِّ * وَيَتَلَوُّ فِي النَّاسِ ذَاكَ الْكِتَابَا
 كَلَّمَا أَسَدَلُوا عَلَيْهِ حِجَابَا * مِنْ ظَلَامٍ أَزَالَ ذَاكَ الْإِجْجَابَا
 (٧) وَاقِفٌ فِي سَبِيلِهِمْ أَيْنَ سَارُوا * عَالِمٌ بِأَحْتِيَالِهِمْ أَيْنَ جَابَا

(١) الشعواء : الغارة المنتشرة . (٢) يريد «بالحائمات» : الطائرات .

(٣) المثاب : الرجوع . يقول : إنكم بالغم في تعذيبنا ، فهل استطعتم أن تميلوا إليكم قلبا أيا من قلوبنا ، أو أن تجدوا منا استسلاما لكم .

(٤) العرين : بيت الأسد وماواه . وأهاب : دعا .

(٥) راعه يروعه : أزعجه ورجّفه . والضمير في «حماها» لمصر .

(٦) يشير بهذا البيت والذي قبله الى اقتفاء الممالك الشرقية أثر مصر واقتدائها بها في نهضتها والنرد عن الأوطان .

(٧) أين جاب ، أى أين تنقل .

(١)
 أَي مَكْرِيْدُقٍ عَن ذَهْنٍ (سَعِيْدٍ) * أَي خَتَلٍ يُرِيغُ مِنْهُ أَضْطِرَابًا؟
 (٢)
 شَاعَ فِي تَقْسِيهِ الْيَقِيْنُ فَوْقًا * هُ بِهِ اللُّهُ عَثْرَةٌ أَوْ تَبَابًا
 عَجَزَتْ حِيْلَةُ الشُّبَاكِ وَكَانَ الشُّرْقُ لِلصَّيْدِ مَغْنَمًا مُسْتَطَابًا
 كَمَا أَحْكَمُوا بِأَرْضِكَ نَفَا * مِنْ فِخَايِحِ الدَّهَاءِ خَابُوا وَخَابَا
 (٣)
 أَوْ أَطَارُوا الْحَمَامَ يَوْمًا لِرَبْجَلٍ * قَابَلُوا مِنْكَ فِي السَّمَاءِ عُقَابًا
 (٤)
 تَقْتُلُ الدَّسَّ بِالصَّرَاخَةِ قَتْلًا * وَتَسْقِي مَنَايِقَ الْقَوْمِ صَبَابًا
 وَتَرَى الصَّدْقَ وَالصَّرَاخَةَ دِيْنًا * لَا يَرَاهُ الْمُخَالَفُونَ صَوَابًا
 (٥)
 تَعَشَّقُ الْجَوْصَانِي اللَّوْنُ مَهْمَا * وَالْمُضِلُّونَ يَعْشَقُونَ الضُّبَابَا
 أَنْتَ أَوْرَدْتَنَا مِنَ الْمَاءِ عَدْبًا * وَأَرَاهُمْ قَدْ أَوْرَدُونَا السَّرَابَا
 قَدْ جَمَعَتِ الْأَحْزَابَ حَوْلَكَ صَفَا * وَنَظَّمَتِ الشُّيُوخَ وَالنُّوَابَا
 (٦)
 وَمَلَكَتِ الزَّمَامَ وَأَحْتَطَّتْ لِلنِّي * بِبِ وَأَدْرَكْتَ بِالْأَنَاةِ الطَّلَابَا
 ثُمَّ خَلَّفْتَ بِالْكِنَانَةِ أَبْطَا * لَا كَهَوْلًا أُعِزَّةً وَشَبَابَا

- (١) يدق : يفض ويغنى . والختل : الخساع . ويرينغ منه : يريده على الاضطراب والخوف .
 (٢) وقاه : حفظه . والتباب : الخسران .
 (٣) الحمام الزاجل : حمام كان يستعمل لنقل الرسائل . ويريد « بإرساله للزجل » هنا : السى لبث أخبار السوء وإضرار الفتنة . والعقاب : عاثر من الجوارح تسميه العرب بالكاسر .
 (٤) تسقى (بالتشديد) : تسقى (بالتنفيف) ، وشددت للبالغة . والصاب : عصارة شجر مرمر .
 (٥) شبه في هذا البيت المصراحة في القول بصحو الجور وصفائه ، والتناق بظلمة النيم والضبباب .
 (٦) الأناة : التاني .

(١) قد مشى جمعهم إلى المقصد الأسد * حتى يغذون للوصول الركابا
يتنون العلايشيون مجدا * يسعدون البنين والأعقابا
(٢) قد بلوناك قاضيا ووزيرا * ورئيسا ومدرها خلايا
فوجدناك من جميع نواحي * لك عظيما موقفا غلابا
(٣) لم ينل حاسدوك منك منهم * لا ولم يلصقوا بعياك قابا
(٤) ثم هنيئا فقد سهدت طويلا * وسميت السقام والأوصابا
(٥) كم شكوت المهادي يوم كنا * بالبساتين تستعيد الشبابا
تهب الهو فاطلين وكنا * تحسب الدهر قد أناب وتابا
(٦) فإذا الرزء كان منا بمرى * وإذا حاتم الردى كان قابا
حرمنا المنون ذيلك الوج * له وذاك الحمى وتلك الرحابا
وسجيا لها في النفس روح * يعيد الفوز والدواء المجابا
(٧) كم وردنا موارد الأئس منها * ورشفنا سلافها والرضابا
ومرحنا في ساجها فلسينا آل * أهل والأصدقاء والأحبابا

- (١) يقال : أخذ فلان السير في السير ، إذا أسرع . (٢) بلوناك ، أى اخبرناك .
والمدره : خطيب القوم ولسانهم ؛ ويطلق في هذا المعنى على المحامى ؛ (٣) العاب : العيب .
(٤) الأوصاب : الأمراض والأوجاع الدائمة . (٥) يريد «البساتين» : بساتين فتح الله
بركات باشا التي تقع قريبة من مدينة بليس من أعمال الشرقية ، وقد كان الشاعر بها مع الفقيد .
(٦) قابا ، أى قريبا . (٧) السلاف : ما تحلب وسال قبل العصر ، وهو أجود الخمر .
والرضاب : لعاب العسل .

ثم ولت بشاشة العيش عنا * حين ساروا فوسدوك الترابا
خفت فينا مقام ربك حيا * فتتظر بحتبه الثوابا^(١)

رثاء أمين الرافعي بك^(٢)

أشدها في الحفل الذي أقامه الحزب الوطني لذكرى الشهداء في ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨ م

أما (أمين) فقد ذُقنا لمصره * وخطبه من صنوف الحزن ألوانا
لم تُنسنا ذكره الدنيا وإن تسجّت * للراحلين من النسيان أكفانا^(٣)
مضى تقيا عفيف النفس محتسبا * فهُد من دولة الأخلاق أركاننا^(٤)
جرت على سنن التوحيد نشأته * في الله والرأي إخلاصا وإيمانا^(٥)
لم يلوه المال عن رأي يدين به * (ولو حملت إليه الدهر مآلنا)^(٦)
ولم يلن عوده للخطب يرهقه * قسا عليه شديد العيش أم لانا
ظلم من القبر أن تبلى أنامله * فكم رمت في سبيل الله من خانا

(١) تنظر : انتظر . ويشير بهذا البيت الى قوله تعالى : « وان خاف مقام ربه جتان » .

(٢) ولد المرحوم أمين الرافعي بك في ديسمبر سنة ١٨٨٦ م ، وتوفي في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ، وهو الكاتب السياسي المعروف ، صاحب جريدة الأخبار ، وكانت له في النهضة القومية مواقف مشهودة .

(٣) محتسبا ، أى متذمرا عند الله ما قدمه من عمل صالح . (٤) السنن : الطريقة .

(٥) لم يلوه ، أى لم يصرفه . والشطر الثاني عجز بيت للتنبؤ من قصيدة يمدح بها أباه سهل سعيد بن عبد الله ،

وصدره : « ولا أمر بما غيري الحميد به » ومطلعها :

قد علم الين منا الين أجفانا * تدمى وألف في ذا القلب أحرانا

(٦) لان عوده : ضعف . ويرهقه : يحمله ما لا يطيق .

- (١) كانت مَطِيَّةَ سَبَاقٍ جَوَانِبُهُ * يُرْوِيكَ فَيَاضُهَا صِدْقًا وَعِرْفَانًا
عِشْرُونَ مَامَا عَلَى الطَّرْسِ الطُّهُورِ جَرَى * مَا خَطَّ فَاحِشَةً أَوْ خَطَّ بُهْتَانًا
يُحَوِّلُ بَيْنَ رِيَاضِ الْفِكْرِ مُقْتَطِفًا * مِنْ طِيبِ مَغْرِمِهَا وَرَدًّا وَرِيحَانًا
فَيَنْشِقُّ الدَّهْنَ مِنْ أَسْطَارِهِ أَرْجَا * وَتُبْصِرُ الْعَيْنُ فَوْقَ الطَّرْسِ بُسْتَانًا^(٢)
(أَمِينُ) فَارَقْتَنَا فِي حِينِ حَاجَتِنَا * إِلَى قَتَى لَا يَرَى لَيْلِ سُلْطَانَا
إِلَى أَمِينٍ عَلَى أَوْطَانِهِ يَقِظُ * ذِي مِرَّةٍ يَتَلَقَّى الْخَطْبَ جَذْلَانَا^(٣)
أَيْلِبَسُ الْخَزْمِ لَأَنْتَ مَهزَّتَهُ * وَأَنْتَ تَخْرُجُ مِنْ دُنْيَاكَ عُرْيَانًا؟^(٤)
إِنَّ الْقَنَاعَةَ كَثُرَتْ حَارِسَهُ * تَرَى بِهِ الْقُوْتَ يَا قُوْتًا وَمَرْجَانًا^(٥)
فَمَا سَعَيْتَ لَغَيْرِ الْحَمْدِ تَكْسِبُهُ * وَلَا رَضِيتَ لَغَيْرِ الْحَقِّ إِذْمَانَا
أُودَى بِكَ (السُّكْرُ) الْمُضْنِي وَلَا يَعْجَبُ * أَنْ يُورِثَ الْحُلُومَ الْعَيْشَ أَحْيَانًا^(٦)
مَا هَانَ خَطْبُكَ وَالْأَخْلَاقُ وَالْهَمَةُ * تَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا خَطَبُ أَمْرِي هَانًا^(٧)
(أَمِينُ) حَسْبُكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ * فَأَنْتَ أَرْجَحْنَا فِي الْحَشْرِ مِيزَانًا

(١) يريد «بالسباق»: القلم. ويريد «بجوانبه» شقيه. وفيهاضها، أي التي تفيض بالمعاني والأفكار.

(٢) أرج الزهر: تفحته وطيب ريحه. والطرس: الصحيفة يكتب فيها.

(٣) المزة: القوة والشدة. والجدلان: الفرح (بكسر الراء). (٤) الخز: الحرير.

ومن لانت مهزته، أي من كان ضعيفا في طلب الحق والدفاع عنه، وكان لينا لغاصب وطنه.

(٥) يريد بقوله: «ترى به القوت...» الخ: أنه يكفى من حطام الدنيا بالقوت، ويرى أنه يعدل

الياقوت والمرجان في نفاستهما، فلا يمتد طمعه الى عرض الدنيا قناعة منه. (٦) أودى به:

ذهب به وأهلكه. والسكر، هو ذلك المرض المعروف، وبه مات الفقيد. (٧) والهة: حزيمة.

أَشْرَفَاكَ فِي أَخْرَاكَ أَسْعَدْنَا * حَظًّا وَإِنْ كُنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَشْقَانَا
 بَلَّغْ ثَلَاثَتَكُمْ عَنَّا تَجِيئَنَا * وَأَذْكَرْ لِمَ مَا يُعَانِي قَوْمَنَا الْآنَا^(١)
 وَأَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُبْتَلَا * أَنْ يَجْرَسَ النَّيْلَ مِمَّنْ رَامَ طُنْيَانَا

رثاء الدكتور يعقوب صروف^(٢)

أُنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨ م

أَبِي وَعَيْنُ الشَّرْقِي تَبْكِي مَعِي * عَلَى الأَرِيْبِ الكَاتِبِ الأَلْمِي^(٣)
 جَرَى عَصَى الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِهِ * فَزَادَ فِي الجُسُودِ عَلَى الطَّيِّعِ^(٤)
 نَقَصَ مِنْ الشَّرْقِي وَمِنْ زَهْوِهِ * فَقَدْ البِرَاجِ المُعْجِزِ المُبْدِعِ^(٥)
 لَيْسَ لِصُرِي فِي رِجَالِهَا * حَظٌّ وَلَا لِشَامِ فِي أَرْوَاعِ^(٦)
 مُصَابُ (صُرُوفِ) مُصَابُ النَّهْيِ * فَلْيَبْكُ كُلُّ فُوَادٍ يَسِي^(٧)
 كُرْمٍ بِالأَمْسِ وَأَكْخَفَانِهِ * تَتَسَجُّهَا الأَقْدَارُ لِلصَّرْعِ^(٨)
 يَا صَائِغَ الدَّرِّ لِتَكْرِيمِهِ * صُغِّهْ لِنَمَاهُ مِنَ الأَدْمَعِ

- (١) برید «بالثلاثة» : المرحومين : مصطفى كامل ، ومحمد فرید ، وعلى فهى كامل .
 (٢) انظر التعريف بالدكتور يعقوب صروف (في الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٤ من الجزء الأول) .
 (٣) الأريب : العاقل . والألمى : الذكى المتوقع . (٤) برید «بعضى الدمع» : الدمع الذى يمنع عند نزول المصائب عزة وألفة من البكاء . (٥) الزهو : الكبر والفخر . (٦) الأروع : الشهم الذى الفؤاد . (٧) يمس : يحفظ . (٨) يشير بقوله «كرم بالأمس» : الى الاحتفال باليوبيل الذهبى لمجلة المتكلم الذى أقيم فى سنة ١٩٢٧ م ، وأُنشده فيه حافظ قصيدة نشرت فى هذا الديوان .

قَدْ زَيْنَ الْعِلْمَ بِأَخْلَاقِهِ * فَعَاشَ مِثْلَ الْعَيْنِ وَالْمِسْمَعِ
 تَوَاضَعُ وَالْكِبْرُ دَابُّ الْفَتَى * خَلَا مِنْ الْفَضْلِ فَلَمْ يَنْتَفِعْ
 تَوَاضَعُ الْعِلْمِ لَهُ رَوْعَةٌ * يَنْهَارُ مِنْهَا صَلْفُ الْمُدْعَى ^(١)
 وَحُلَّةُ الْفَضْلِ لَهَا شَارَةٌ * أَزْهَى مِنَ السِّبْقَيْنِ وَالْمِدْفَعِ
 يُسْبِعُ مَنْ حَصَلَ مِنْ عِلْمِهِ * وَهُوَ مِنَ التَّحْصِيلِ لَمْ يُسْبِعْ
 مَبَكَّرٌ تَحْسَبُهُ طَالِبًا * يُسَابِقُ الْفَجْرَ إِلَى الْمَطْلَعِ
 قَدْ ظَلَّتِ الْأَسْقَامُ أَضْلَاعَهُ * وَالرَّأْسُ فِي شُغْلٍ عَنِ الْأَضْلَعِ
 مَاتَ وَفِي أُنْمُلِهِ صَارِمٌ * لَمْ يَنْبُ فِي الضَّرْبِ عَنِ الْمَقْطَعِ
 صَاحِبَهُ تَحْسِينٍ عَامًا فَلَمْ * يَجُنْ لَهُ عَهْدًا وَلَمْ يَجْدَعْ
 مُوَفَّقًا أَنِّي جَرَى مُلْهَمًا * مَا ضَلَّ فِي الْوَرْدِ عَنِ الْمَشْرِعِ ^(٣)
 لَمْ يَبْرِهِ بِإِسْوَى رَبِّهِ * وَلَمْ يَحْزُهُ جَاهِلٌ أَوْ دَعَى ^(٤)
 فِي النُّقْلِ وَالتَّصْنِيفِ أَرْبَى عَلَي * مَدَى (أَبْنِ بَجْرِ) وَمَدَى (الْأَصْمَعِي) ^(٥)

(١) الصلف: الكبر. (٢) شبه القلم بالصارم، وهو السيف، ونبا السيف عن الضربة ينبو: كل
 وارتد عنها. (٣) المشرع: المورد الذي يستقي منه. (٤) خفف الياء في «دعى» لضرورة القافية.
 (٥) يريد «بالنقل»: ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية، وكان الدكتور صروف من أمهر
 العلماء في هذا الباب. وابن بجر، هو أبو عثمان عمرو بن بجر الجاحظ المتوفى بالقالج النصفى سنة ٥٢٥ هـ. ولد
 بالبصرة ونشأ بها، وأخذ العلم عن جهاذة الغويين والرواة، وتخرج في علم الكلام على أبي إسحاق النظام،
 ونصر مذهب الاعتزال. ومؤلفاته كثيرة لا يتسع لها المقام. والأصمعي، هو أبو سعيد عبد الملك بن قريش،
 ولد سنة ١٢٣ هـ ونشأ بالبصرة، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها، وأكثر الخروج إلى البادية،
 وشافه الأعراب وما كنهم، وكان من تلامذة الخليفة الرشيد، وتوفى في سنة ٢١٦ هـ، وأكثرت مؤلفاته في اللغة.

أَيُّ سَبِيلٍ لِلهُدَى لَمْ يَرِدْ * وَأَيُّ بَابٍ مِنْهُ لَمْ يَقْرَعِ
 يَقْتَطِفُ الزُّهْرَ وَيَخْتَارُهُ * كَالنَّحْلِ لَا يَعْفُو عَنِ الْأَيْعِ^(١)
 فَتَحَسَّبُ الثُّرَاةَ فِي جَنَّةِ * عَقُولُهُمْ فِي رَوْضِهَا تَرْتَسِي
 (صُرُوفٌ) لَا تَبْعُدُ فَلَسْتَ الَّذِي * يَطْوِيهِ طَاوِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ
 أَسْكَنَكَ الْمَوْتَ وَلَكِنَّهُ * لَمْ يُسَيِّكْتَ الْآثَارَ فِي الْمَجْمَعِ
 ذِكْرَاكَ لَا تَنْفُكُ مَوْصُولَةً * فِي مَعْهَدِ الْعِلْمِ وَفِي الْمَصْنَعِ

رثاء عبد الخالق ثروت باشا^(٢)

أنشدها في الحفل الذي أقيم بالأوبرا الملكية لتأبينه في يوم السبت ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م

لَعِبَ الْبِسْلَى بِمَلَايِبِ الْأَلْبَابِ * وَحَمَا بِشَاشَةِ فَمَّكَ الْخَلَابِ^(٣)

وَطَوَى الرَّدَى (عَمْرُو) الْكَيْفَانَةَ غَايِلًا * وَرَمَى شِهَابَ دَهَائِهِ بِشِهَابِ^(٤)

- (١) لا يعفو عن الأيغ، أي لا يترك الناضر من الزهر إلا أصاب منه طعامه .
 (٢) عبد الخالق ثروت باشا، هو ابن اسماعيل عبد الخالق باشا، من كبار رجال مصر في عصره .
 ولد ثروت باشا في سنة ١٨٧٣ م، وبعد أن تعلم في مصر ونال شهادة الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية، وهو أول مصري تولى منصب النيابة العمومية، وتولى رئاسة الوزارة في سنة ١٩٢٢ م، وتم في عهد وزارته حصول البلاد على تصريح ٢٨ فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسيادتها .
 ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية، ثم اعتزل السياسة أخيراً، وسافر إلى باريس للاستشفاء بها، فتوفي في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م . وكان من سؤاس مصر المعترف بمخذفهم وبصرهم بشؤون السياسة والحكم .
 (٣) يريد «بملاييب الألباب» : وصف الفقيده بسحر المنطق . وفي كتب اللغة أن ميم الفم تشدد في الشعر كما هنا .
 (٤) يريد بقوله «عمر الكفانة» : تشبيه الفقيده بعمر بن العاص المخزومي أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكان معروفاً بالدهاء والكياسة والخروج من مأزق الأمور، والقوة على مكيدة الخصوم، وهو فاتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب، وكان أميراً عليها حتى عزله عنها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وتوفي في خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ .

مَنْ كَانَ يَدْرِي يَوْمَ سَافَرَ أَنَّهُ * سَفَرٌ مِنَ الدُّنْيَا بِفَسِيرِ إِيَابِ
 حَزِنَتْ عَلَيْهِ عُقُوبُنَا وَقُلُوبُنَا * وَبَكَتْ، وَحَزِنَ الْعَقْلُ شَرُّ مُصَابِ
 الْقَلْبُ يُنْسِيهِ الْغِيَابُ الْإِيْفَهُ * وَالْعَقْلُ لَا يُنْسِيهِ طَوْلُ غِيَابِ
 بِالْأَمْسِ مَاتَ أَجَلُنَا وَأَعَزَّنَا * جَاهًا وَأَبْقَانَا عَلَى الْأَحْقَابِ
 وَالْيَوْمَ قَدْ ظَالَ الْجَمَامُ أَسَدَنَا * رَأْيًا فَطَاحَ بِحِكْمَةٍ وَصَوَابِ
 رَأْسٌ يَدْبُرُ فِي الْخَفَاءِ كَمَا نَهُ * قَدَّرَ يَدْبُرُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
 حَتَّى إِذَا أَرْضَى النَّهْيَ وَتَنَاسَقَتْ * آيَاتُهُ رَاعَ السُّورَى بِعُجَابِ
 يَمْشِي عَلَى سَنَنِ الْجَمَامِ مُتَهَيِّلاً * بَيْنَ الْعُدَاةِ الْكَثْرِ وَالْأَحْقَابِ
 تَنَازَرُ الْأَقْوَالُ عَنْ جَنَابِهِ * مِنْ شَانِيٍّ وَمُنَاصِرٍ وَمُحَابِي
 لَا الْمَدْحُ يُغَيِّرِيهِ وَلَا يُلَوِي بِهِ * عَنْ تَجْدِيدِ الْمَرْسُومِ وَقَعِ سَبَابِ
 حُلُوُ التَّوَاضُّعِ لَمْ يُجَالِطِ نَفْسَهُ * زَهْوُ الْمُدِيلِ يُحَاطُ بِالْإِعْجَابِ
 حُلُوُ الْأَنَاءِ إِذَا يُسُوسُ وَعِنْدَهُ * أَنْ التَّعَجُّلُ آفَةٌ الْأَقْطَابِ
 حُلُوُ السُّكُوتِ كَتُوكِبٍ مُتَأَلِّقٍ * وَاللَّيْلُ سَاجٍ أَسْوَدُ الْجَلْبَابِ

- (١) يريد بقوله: «أجلنا» الخ المرحوم سعد زغلول باشا زعيم الأمة . والأحقاب : الدهور .
 (٢) غال : أهلك . والجمام (بكسر الحاء) : الموت . (٣) تناسقت ، أى توافقت وتناهت
 على نسق ونظام واحد . (٤) السنن (بالتحريك) : الطريق . والحجا : العقل . والكثرت : الكثيرة .
 (٥) الشانئ : المبغض . (٦) ألوى به عن الطريق . حاد به عنه . والتجدد : الطريق البين
 الواضح ، قال تعالى : (وهديناه النجدين) . (٧) الزهو : الكبر . (٨) الأناة : التأني في الأمر .
 (٩) المتألق : المشرق . وبجا الليل يسجو : ركد ظلامه ودام .

يَهْدِي السَّبِيلَ لِسَالِكِيهِ وَلَمْ يَرِدْ * شُكْرًا وَلَمْ يَعْمَلْ لِنَيْلِ ثَوَابِ (١)
 مُتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَعْرِهُ * قَلِقُ الضَّعِيفِ وَحَيْرَةُ المُرْتَابِ (١)
 يَزِينُ الأُمُورَ كَأَنَّمَا هُوَ صَرِيفٌ * يَزِينُ النُّضَارَ بِدِقَّةٍ وَحِسَابِ
 وَيَحُلُّ غَامِضَهَا بِشَاقِبِ ذَهْنِهِ * حَلَّ الطَّيِّبِ عَنَاصِرَ الأَعْشَابِ (٢)
 وَيَقِيسُ شُقَّتَهَا بِمِقْيَاسِ النُّهَى * فَتَرَى صَحِيحَ قِيَاسِ (الأَصْطِرْلَابِ) (٣)
 مُتَبَسِّمٌ وَعَلَى مَعَارِفِ وَجْهِهِ * آيَاتُ مَا يَلْقَى مِنَ الأَوْصَابِ (٤)
 شِيمٌ تَرُدُّ النَاقِمِينَ لَوَدَّه * وَشِمَائِلٌ تَسْتَلُّ حَقْدَ النَّابِي (٥)
 يُرِضِي المُرْتَلَّ فِي الكَنِيسَةِ صُنْعُهُ * كَيْسًا وَيُرِضِي سَاكِنَ المِغْرَابِ (٦)
 يَرْتَاحُ لِلعُرُوفِ لَا مُتَرَجِّمًا * فِيهِ وَلَا هُوَ فِي الجَيْسِلِ مُرَابِي
 يُرَوِي الصِّدِيقَ مِنَ الوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ * بِالمَاسِدِ النُّعْمَى وَلَا المُنْتَابِ (٧)
 لَمْ يَبْدُ فِينَا جَازِمًا أَوْ غَاضِبًا * لَاهُمُ إِلَّا غَضَبَةُ النُّوَابِ (٨)
 وَبُكَاءُهُ فِي يَوْمِ (سَعِيدِ) زَادَنِي * عِلْمًا بِأَنَّ اليَوْمَ يَوْمُ تَبَابِ

(١) لم يعره، أي لم يصبه .

(٢) الشقة : المسافة . والاصطرلاب : آلة تعرف بها المسافات بين النجوم ، وهي كلمة يونانية

الأصل . (٣) معارف الوجه : ملاحظته وما يعرف به . والأوصاب : الأمراض ؛ الواحد

وصب (بالتحريك) . (٤) يريد أن هذه الشمائل تستخرج حقد المدثر الممرض عنه وتردّه الى

مودته . والنابي : المنصرف عنه . (٥) الكيس : العقل . يقول في هذا البيت : إنه بسياسة

وعقله ينال رضا المسلمين والنصارى . (٦) لا مترجما ، أي لا طالبارجما . (٧) لاهم ، أي

الهم . ويريد بهذا البيت أنه لا يتغضب لشخصه ولا يحزن لمنفعة فائته ، وإنما ينضب غضبة النائب عن

الأمة في سبيل المصلحة العامة . (٨) التباب ، الخسران .

- (١) قَامَتْ صِعَابٌ فِي مَسَالِكِ سَعِيهِ * مِنْ بَعْدِ (سَعْدٍ) دَعَمَتْ بِصِعَابِ
 (٢) فَظَهِيرُهُ عِنْدَ النَّضَالِ وَرُكْنُهُ * أَمْسَى حَيْثُ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
 (٣) لِلَّهِ سِرٌّ فِي بِنَايَةِ (ثُرُوتِ) * سُبْحَانَ بَانِي هَذِهِ الْأَعْصَابِ
 إِيَّيَّ سَأَلْتُ الْعَارِفِينَ فَلَمْ أَفْزُ * مِنْهُمْ عَلَى عِرْفَانِهِمْ يَجَوَابِ
 (٤) هُوَ مُسْتَقِيمٌ مَلْتَوِيٌّ، هُوَ لِينٌ * صَلْبٌ، هُوَ الْوَاعِي، هُوَ الْمُتَغَابِي
 (٥) هُوَ حَوْلٌ، هُوَ قَلْبٌ، هُوَ وَاضِحٌ * هُوَ غَامِضٌ، هُوَ قَاطِعٌ، هُوَ نَابِي
 (٦) هُوَ ذَلِكَ الطَّلَسَمُ مِنْ أَعْيَا الْحِجَا * حَلَا وَمَاتَ وَلَمْ يَقْزُ بِطَلَابِ
 (٧) هُوَ مَا تَرَاهُ مُفَاوِضًا كَيْفَ أَنْبَرَى * لِكَبِيرِهِمْ بِذَكَاتِهِ الْوَتَابِ
 (٨) لَمْ يَأْتِ مِنْ بَابِ لَصَيْدِ دَهَائِهِ * إِلَّا نَجَا بِدَهَائِهِ مِنْ بَابِ
 (٩) وَيَظُلُّ يَرْقُبُهُ وَيَغْزُو كِبَرَهُ * بِلْيُونَةٍ وَبِأَقِيَةٍ وَخِلَابِ

- (١) دعمت بصعاب، أى صعاب فوق صعاب . والتدعيم : التقوية . يشير بهذا البيت والذي بعده الى أن الفقيه كان يفاوض الإنجليز في القضية المصرية سنة ١٩٢٧ م قبل موت سعد في وزارة الائتلاف ، فلما مات سعد في أثناء تلك المفاوضة ، أمن البريطانيون ذلك الجانب الخوف ، وتشددوا فيما كانوا يريدون منحه لمصر قبل ذلك ، وعاد ثروت بمشروع للعاهدة لم يقبل ..
- (٢) الظهير : المعين . ويريد به سعدا . والجنادل : الحجارة .
- (٣) بناية ثروت ، أى تكوينه وخلقه (فتح فسكون) . (٤) الواعى : الحافظ . والمتغابي : مدعى العباوة .
- (٥) الحول القلب : الحاذق البصير بتقلب الأمور وتحويلها ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ في غيرها . (٦) الضمير فى «مات» ، للفقيه ، وفى «يفز» : للحجا .
- (٧) كبيرهم ، أى كبير الإنجليز ، ويريد به المستر أوستن تشمبرلين وزير خارجية إنجلترا ، وهو الذى كان يفاوض الفقيه إذ ذاك . (٨) الضمير فى «يأتى» : لكبير الإنجليز . وفى «نجا» : ثروت .
- (٩) الخلاب : المختالته والدهاء .

- (١) وَيَرُوضُهُ حَتَّى يَرَى اسْطُولَهُ * خَشَبًا تَنَاطَرَ فَوْقَ ظَهْرِ عُبَابِ
 (٢) وَيَرَى صُنُوقًا مِنْ ذَكَاءِ صَفَقَتِ * دُونَ الْجَنَى تُعْبَى أَسْوَدَ الْغَابِ
 (٣) وَأَتَى بِأَقْصَى مَا يَنْأَلُ مَفَاوِضَ * يُسَمَّى بِغَيْرِ كِتَابٍ وَحِرَابِ
 (٤) وَأَسْتَلَّ مِنْ أَشْدَاقِ آسَادِ الشَّرَى * عَلَمًا عَضَّضْنَ عَلَيْهِ بِالْأَنْبَابِ
 (٥) خَلَقًا خَبَا ضَوْءُ الْهَلَالِ لِطَيْهِ * جَمَّ التَّوَجُّعِ دَائِمِي الْأَهْدَابِ
 فَاخْضَرَ فَوْقَ رُبُوعِ مِصْرٍ حُودَهُ * فِي مَنِيَّتِ نَخْصِيبٍ وَرَحْبِ جَنَابِ
 (٦) إِنْ فَاتَهُ بَعْضُ الْأَمَانِي فَاذْكُرُوا * أَنَا أَمَامَ مُحَنِّكِينَ صِلَابِ
 (٧) قَدْ جَازَ تِهْيَاءَ الْأُمُورِ وَلَمْ يَحْكُنْ * فِي وَغْرِهَا وَهَكُّوودِهَا بِالْكَابِ
 (٨) رَجُلٌ يُفَاوِضُ وَحَدَهُ حَنْ أُمِي * إِنْ لَمْ يَفْزُ فَوْزًا فَلَيْسَ بِعَابِ
 (٩) رَفَعَ الْحِمَايَةَ بَعْدَ مَا بُسِطَتْ حَلَّ * أَنْبَاءِ (مِصْرَ) وَأَيْدَتْ بِكِتَابِ

- (١) يروضه، أى يسوسه، وأصله من رياضة الدواب، أى تذلليها وتيسير ما صعب منها . والعباب :
 بلجة البحر . (٢) الجنى، أى مصر، يريد بهذا البيت : أن ذكاء الفقيه كان حصنا للبلاد وقوة لها .
 (٣) الكتاب : فرق الجيش . (٤) ينير بهذا البيت إلى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م الذى
 رفع الحماية عن مصر، واعترف الإنجليز فيه باستقلالها . والفضل فى ذلك لثروت باشا الذى كان رئيسا للوزارة
 إذ ذاك . ويريد « بأساد الشرى » الإنجليز . (٥) يصف هذا العلم المصرى بأنه رث بال من طول
 ما طانى من أذى المستعبرين ، وأن ضوء الهلال قد خبا حزنا لطيه بأيدى الفاصيين . ونخص الهلال بالذكر ،
 لأنه شعار هذا العلم . (٦) يريد « بالحنكين الصلاب » : الإنجليز . والحنك : الذى أحكته التجارب .
 (٧) التيهاء : الصحراء التى يضل فيها السائر . والكؤود من العقبات : الصعبة الشاقة على من صدها .
 والكابى : العائر . (٨) فوزا، أى فوزا كاملا . والعباب : العيب . (٩) يريد الكتاب
 الذى أرسلته حكومة الإنجليز إلى المغفور له السلطان حسين كامل على يد الجنرال مكسويل قائد الجيوش
 البريطانية فى مصر إذ ذاك بوضع مصر تحت الحماية البريطانية ، وذلك فى ديسمبر سنة ١٩١٤م .

وأنى (لمصر) وأهلها بسيادة * مرفوعة الأعلام والأطناب
 غفراً فلست ببالغ فيك المدى * إني غدذتُ إلى مداك ركابي^(١)
 كم موقف لك في الجهاد مسجل * بشهادة الأعداء والأصحاب^(٢)
 في خطب مصر (بطرس) أحمدها * مشبوبة كانت على الأبواب^(٣)
 ألفت بين العنصرين فأصبحا * رتقا، وكنت موفق الأسباب^(٤)
 خالفت فيك الجازعين فلم أتح * حزناً عليك وأنت من أترابي^(٥)
 النوح في الجلى أجهاد مقصر * ألقى دماء الصبر غير مجاب^(٥)
 فانا الذي يبكي بشعر خالد * يبقى على الأجيال للأعقاب
 قد كنت تحسن بي وترقب جوتي * في حلبة الشعراء والكتاب
 وتهش إن لاقيتني وتخصني * باليشير في ناديك والترحاب
 فأذهب كما ذهب الربيع بنوره * تأسى الرياض عليه غب ذهاب^(٥)

- (١) غدذت : أمرعت . يقول : إنه قد حث مطايا الشعر واجتهد في أن يبلغ مدى وصف الفقيه فلم يستطع . والذي في كتب اللغة : «أغدذت» بالهمز في أوله .
- (٢) بشير يهد البيت والذي بعده إلى الفتنة التي كادت تشتعل نارها بين الأقباط والمسلمين حين قتل بطرس غالى باشا، وكان الفضل في إخماد هذه الفتنة ، ورجوع الطائفتين إلى ما تقضى به الحكمة ومصلحة الوطن ، لمرافعة الفقيه في هذه القضية ضد الورداني ، قاتل بطرس باشا ، وكان اذ ذاك نائباً عمومياً .
- (٣) رتقا : ملتصين .
- (٤) الجلى : ما جل وعظم من النوايب .
- (٥) النور (بفتح النون) : زهر النبات . و«تأسى الرياض» ... الخ ، أى تحزن لذهابه ، ويذوى نباتها لغيابه .

رثاء محمود سليمان باشا^(١)

[نشرت في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩ م]

مُسَدِي الْجَمِيلِ بِلَا مَنْ يُكَدِّرُهُ * وَمُكْرِمِ الضَّيْفِ أَمْسَى ضَيْفَ (رِضْوَانِ)^(٢)
 تَجْتَازُنَا عِبْقَةً مِنْ رَوْضَةِ أَنْفٍ * إِذَا أَلَمَّتْ بِنَا ذِكْرِي (سُلَيْمَانَ)^(٣)
 فُقُل (لَا لِي سُلَيْمَانَ) إِذَا جَزَعُوا * رُدُّوا النُّفُوسَ إِلَى صَبْرٍ وَسُلُوانِ
 مَا إِنْ رَأَيْتُ دَفِينًا قَبْلَ شَيْخِكُمْ * تَحْتِ التُّرَابِ وَفَوْقَ النُّجُومِ فِي آنِ
 قَضَيْتَهَا مِثَّةً فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ * تُعِدُّ زَادَكَ مِنْ بَرٍّ وَإِحْسَانِ^(٤)
 فَكَمْ صَفَحْتَ عَنِ الْجَانِيِ وَلَمْ تَرَهِ * وَكَمْ غَرَسْتَ وَكَانَ الْمُصَوِّزُ الْجَانِيِ^(٥)
 وَكَمْ أَقَلَّتْ كَرِيمًا عِنْدَ عَثْرَتِهِ * وَكَمْ مَشَيْتَ بِصُلْحٍ بَيْنَ إِخْوَانِ^(٦)
 إِنِّي رَأَيْتُكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي فَلَكٍ * مِنْ الْجَلَالِ عَلَى جَنِّيهِ نُورَانِ
 نُورُ الْيَقِينِ وَنُورُ الشُّبِّ بَيْنَهُمَا * سَكِينَةٌ حَرَكَتْ نَفْسِي وَوَجْدَانِي^(٧)
 عَلَى جَبِينِكَ آيَاتُ الرِّضَا ارْتَسَمَتْ * وَبَيْنَ جَنِينِكَ قَلْبٌ فَيْرٌ وَسَنَانِ^(٧)

(١) محمود سليمان باشا، كان عميد الأسرة السلطانية المعروفة بالصعيد، ومن كبار رجال النهضة الوطنية، ورئيسا للجنة الوفد المركزية، وهو والد صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة سابقا، وكانت وفاته في ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩ م، وقد نيف على التسعين ... (٢) مسدي الجميل : معطيه . والمن : عد الترم والصنائع تعيرا بها . (٣) «تجتازنا عبقة» الخ ... ، أي تمر بنا نقحة من طيب روضة مصونة لم يتنذل، شبه ذكره بطيب الرياض المصونة . (٤) هذا العدد الذي ذكره الشاعر لعمر الفقيه إنما هو على وجه التقريب . . (٥) الموز : الفقير السني الحال . ويريد «بالجاني» الأقر في هذا البيت : مقترف الجناية؛ و(بالتاني) : مجتني الثمار . (٦) يقال : أقلت فلانا عثرته، إذا صفحت عنه ودفعت ما نزل به من مكره . (٧) الوسنان : النائم .

- (١) قَسَمْتَ مَا جَمَعْتَ كَفَّالِكَ مِنْ نَشَبٍ * عَلَى يَنِيكَ فَكُنْتَ الْوَالِدَ الْحَيَّانِي
- (٢) مَالٌ حَلَالٌ مُزَكَّى مَا خَلَطْتَ بِهِ * مِلِّمْ تُمُحَّتْ وَلَا حَقًّا لِإِنْسَانٍ
- زَهَدْتَ فِيهَا وَهَامَ الْعَايِدُونَ لَهَا * يَجْمَعُ فَإِنْ يُعَانِي بِجَمْعِهِ فَاِنِي
- بِكُسْرَةٍ وَكِسَاءٍ عِشْتَ مُقْتَبِطًا * تُسَبِّحُ اللَّهَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
- (٣) أَقْرَّ عَيْنَيْكَ فِي دُنْيَاكَ أَنْ رَأَا * (مُحَمَّدًا) يَتَرَاءَى فَوْقَ (كَيَوَانَ)
- قَضَيْتَ فِي الْأَوْجِ مِنْ عِزِّيكَمَا وَكَذَا * يَقْضِي (سُلَيْمَانَ) فِي عِزِّهِ وَسُلْطَانٍ
- (٤) أَهْبَجْتَ أَرْبَعَةً سَادُوا بِأَرْبَعَةٍ : * فَضْلٍ وَنُبْلِ وَإِحْسَانٍ وَعِزِّ قَانٍ
- (٥) أَوْرَثْتَهُمْ شَمًّا هَشَّ الْإِبَاءُ لَهُ * وَأَوْرَقْتَ فِي ذُرَاهُ عِزَّةُ الشَّانِ
- (٦) يَذْكُرَنَّ بَرًّا رَحِيمًا قَدْ أَقَامَ لَهُمْ * صَرْحًا مِنَ الْمَجْدِ أَهْلَى رُسْمَتِهِ الْبَانِي
- (٧) كَمْ نِعْمَةٍ لَكَ يَا (مُحَمَّدُ) عِنْدَ أَبِي * بِشُكْرِهَا لَكَ عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْصَانِي
- (٨)

- (١) النشَب : المال . (٢) السحت : ما نخبث من المكاسب ونزيم عنه العار .
- (٣) يريد محمد محمود باشا ، وكان رئيسا للوزارة حين موت والده . وكَيَوَانَ : اسم كوكب زحل .
- ويضرب مثلا في علو المنزلة . (٤) قضيت : مت . والأوج : العلو . ويريد «سليمان» :
- نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام . (٥) يريد أولاده الأربعة ، وهم محمد محمود ، وحفني محمود ،
- وعبد الرحمن محمود ، وعلى محمود . (٦) الشم : كناية عن الرفعة وشرف النفس ، وهي في الأصل ،
- ارتفاع قصبه الأتف وحسنها وأستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة . وهش : ارتاح . وذراه : أعاليه .
- (٧) الضمير في قوله « يذكركن » : للصفات السابق ذكرها في البيت السابق ، وهي الشم والإباء
- وعزة الشأن . إذ ليس فيما سبق ما يصلح جعله مرجعا لهذا الضمير غيرها . (٨) يشير الشاعر
- بهذا البيت الى أن أباه ابراهيم أفندي فهمى مهندس قناطر ديروط كان له اتصال بالفقيد ، وكان للفقيد
- عليه كثير من الأيادي والتمن .

تأين محمد المويلحي بك^(١)

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

[نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠ م]

غاب الأديبُ أديبُ (مِصْرِي) وأخْتَفَى * فلتَبِكَ الأَقْلَامُ أو تَقْصِفَا
 لَهْفِي على تِلْكَ الأَنَامِلِ في البَيْتِ * كم سَطَرَتْ حِكْمًا وهَزَّتْ مُرَهَفًا
 ماتَ (المُوَلِّحِيُّ) الحُسَانُ ولم يَمُتْ * حَتَّى غَزَا «عَيْسَى» العُقُولَ وَثَقَّفَا^(٢)

وقال يرثيه أيضا :

أشد هذه القصيدة في حفل التأين الذي أقيم في مسرح حديقة الأزبكية في ١٣ يونيو ١٩٣٠ م
 دَمَعَةٌ مِنْ دُمُوعِ عَهْدِ الشَّبَابِ * كُنْتُ خَبَاتَهَا لِيَوْمِ المُصَابِ^(٣)
 لَبَّتِ اليَوْمَ يا (مُحَمَّدُ) لَمَّا * رَاعَنِي نَعْيُ أَكْتَبِ الكُتَابِ^(٤)
 هَدَّاتُ لَوْعَتِي وَسَرَّتْ قَلِيلًا * عن فُؤَادِي وَلَطَفَتْ بَعْضَ مَابِ^(٥)
 مَوَكَّبُ الدَّفْنِ خَلْفَ نَعْيِكَ يَمْشِي * في أَحْتِسَابٍ وَحَسْرَةٍ وَأَنْتِحَابِ^(٦)
 لَمْ يُجَاوِزْ مَنَازِلَ البَدْرِ عَدَا * مِنْ بَقَايَا الصُّدُوقِ والأَحْبَابِ^(٧)

- (١) انظر التعريف بمحمد المويلحي بك (في الحاشية رقم ٣ صفحة ١٥٠ من الجزء الأول) .
 (٢) الحسان : الحسن من الرجال . ويريد «بعيسى» : كتاب الفقييد ، وهو حديث عيسى بن هشام المعروف . (٣) خص عهد الشباب لأنه عهد الفتوة ، وفيه يجد الإنسان معينا من الهم وقوة على البكاء . (٤) راعنى : أفرغنى . (٥) سرت عن فؤادى : أى كشفت عنه الهم والمنز . (٦) فى احتساب ، أى فى طلب الثواب . (٧) منازل البدر : مواضع التى ينزل فيها فى دورانه ، وهى اثنا عشر منزلا . يقول : إن عدد الذين شيعوه قد بلغ مائة هذه المنازل فى القلة وعلو المنزلة .

لَمْ يَسْرِ فِيهِ مَنْ يُجَاوِلُ أَجْرًا * عِنْدَ حَىِّ مُؤَمِّلٍ أَوْ يُجَابِي (١)
 مُوَكَّبٌ مَاجَ جَانِبَاهُ بِجَفَلٍ * مِنْ وَفُودِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَحْسَابِ (١)
 شَاعَ فِيهِ الْوَفَاءُ وَالْحُزْنُ حَتَّى * ضَاقَ عَنْ حَشِيدِهِ فَسَبَّحَ الرَّحَابِ
 فَكَانَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ تَمْشِي * فِيهِ مِنْ هَيْبَةٍ وَعِزٍّ جَنَابِ
 نَتَمَنَّى قِيَاصِرُ الْأَرْضِ لَوْفَا * زَتْ لَدَى مَوْتِهَا بِهَذَا الرَّكَابِ (٢)
 رَبِّ نَعِيشٍ قَدْ شَبِعَتْهُ الْوَفَى * مِنْ سَوَادٍ تَعْلُوهُ سُودُ الثِّيَابِ (٢)
 لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ جَازِعٍ أَوْ حَزِينٍ * صَادِقِ السَّعْيِ أَوْ أَلِيفِ مُصَابِ
 كُنْتَ لَا تَرْتَضِي النُّجُومَ مَحَلًّا * فَلِمَاذَا رَضِيتَ سُكْنَى التُّرَابِ! (٣)
 كُنْتَ رَاحَ النَّفُوسِ فِي مَجْلِسِ الْأَذَى * سِيسَ وَرَاحَ الْعُقُولِ عِنْدَ الْخَطَابِ (٤)
 كُنْتُ لَا تُرْهِقُ الصِّدِيقَ بَلُومٍ * لَا وَلَا تَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصُّبَابِ (٤)
 وَلَمَنْ بَتَّ عَاتِبًا أَوْ غَضُوبًا * لَقَرِيبُ الرِّضَا كَرِيمِ الْعِتَابِ (٥)
 جَزَتْ سَبْعِينَ حِجَّةً لَا تُبَالِي * بِشَهَادِ تَعَاقَبَتْ أُمَّ بِيصَابِ (٦)
 وَسَوَاءٌ لَدَيْكَ وَالرَّأْيُ حُرٌّ * رَوْحُ (نَيْسَانَ) أَوْ لَوَافِحُ (آبِ) (٦)

(١) ماج : اضطرب . (٢) سواد الناس : عامتهم . (٣) الراح : الخمر
 (٤) ترهق الصديق ، أى تؤذيه وتحمله ما يسىء ويؤلم . (٥) الشهاد : غسل النحل .
 والصاب : عصارة شجر شديد المرارة . يريد حلول الزمان وممره . (٦) الروح : الريح . ونيسان ،
 شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله إبريل حيث يكون الربيع . واللوايح من الرياح : الحارة .
 وآب ، شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله أغسطس ، حيث يشتد القيظ . يقول : إنه سواء لديه
 في سبيل رأيد الحر ما يلاقيه من نعيم الزمان وشقائه .

يا شُجَامًا وَمَا الشُّجَاعَةُ إِلَّا الـ * بِرُّ لَا الخَوْضُ فِي صُدُورِ الصَّعَابِ

(١)

كُنْتَ نِعَمَ الصَّبُورِ إِنْ حَزَبَ الأَمْرُ * رُوسِدَّتْ مَسَارِحُ الأَسْبَابِ

(٢)

كُم تَجَلَّتْ والأَمَانِي صَرَغِي * وَتَمَسَّكْتَ والحِظُوظُ كَوَابِي

(٣)

عِشْتَ مَاعِشْتَ كالجِبَالِ الرُّوَامِي * فَوْقَ نَارِ تُذِيبُ صَمَّ الصَّلابِ

مُؤَثِّرِ البُؤْسِ والشُّقَاءِ عَلَى الشُّكِّ * وَبِإِنْ عَضَّكَ الزَّمَانُ بِنَابِ

(٤)

كُنْتَ تَحْلُو بِالنَّفْسِ والنَّفْسُ تُسَوِي * مِنْ كُؤُوسِ الهُمُومِ والأَوْصَابِ

(٥)

فُتْسِرِي بِالدُّكْرِ عِنهَا وَتَنْفِي * مَا عَرَاهَا مِنْ فُصَّةٍ وَأَكْتِنَابِ

وَتَرَى وَحِشَةَ أَنْفِرَادِكَ أَنَسَا * بِمُجَدِّثِ النَّفُوسِ والأَلْبَابِ

(٦)

بُنْتَ عِنهَا وَمَا جَنَيْتَ وَقَدَا * بَدَّتْ بِأَسَاءَهَا عَلَى الأَحْقَابِ

(٧)

وَبَدَّتْ الثَّرَاءُ تَبْدُلُ فِيهِ * مِنْ إِبَاءٍ فِي بَدْلِهِ شُرَابِ

(٨)

لَوْ شَهِدْتُمْ (مُحَمَّدًا) وَهُوَ يُمَلِي * آيَ عَيْسَى وَمُعْجِزَاتِ الكِتَابِ

وَقَفَّتْ حَوْلَهُ صُفُوفُ المَعَانِي * وَصُفُوفُ الأَلْفَاظِ مِنْ كُلِّ بَابِ

(١) يقال : حزبه الأمر ، إذا اشتد عليه وضغطه . وسدت مسارح الأسباب ، أي سدت مذاهب

العيش والرزق . (٢) تجلت ، أي لم تظهر الجزع . وكوابي ، أي عواثر .

(٣) صم الصلاب ، أي الجارة الشديدة الغليظة الصلبة . (٤) الأوصاب : الآلام ؛

الواحد وصب (بالتحريك) . (٥) الذكر : القرآن ، وكان الفقيده يكثر تلاوته في آخر أيامه .

(٦) بنت : بعدت . وعنها ، أي عن الدنيا . والأحقاب : السنون .

(٧) الثراء : الغنى . والعباب : العيب . والضمير في « بدله » : يعود على الإباء . يقول : إنك عفت

الغنى الذي لا ينال إلا بالتدل وقد الإباء ، وقد الإباء شر ما يعاب به الأبى .

(٨) آي عيسى ، أي آيات كتابه « حديث عيسى بن هشام » .

- (١) لَعَلِّمْتُ بَأْتِ عَهْدَ (أَبْنِ بَجْرٍ) * حَاوَدَ الشَّرْقَ بَعْدَ طُولِ أَحْتِجَابِ
- (٢) أَدَبٌ مُسْتَوٍ وَقَلْبٌ بِجَمِيعٍ * وَذَكَاءٌ يُرِيكَ ضَوْءَ الشَّهَابِ
- (٣) عِنْدَ رَأْيٍ مُوَفِّقٍ، عِنْدَ حَزْمٍ * عِنْدَ عِلْمٍ، يَفِيضُ فَيْضَ السَّحَابِ
- (٤) جَلَّ أَسْلُوبُهُ النَّقِيُّ الْمُصَنِّى * عَن غُمُوضٍ وَنَفْرَةٍ وَأَضْطِرَابِ
- (٥) وَسَمَّا تَقَدَّهُ التَّزْيِيهُ عَنِ الْمُهْجِ * سِرِّ فَمَا شَيْبَ مَرَّةً بِالسَّبَابِ
- (٦) ذُقْتَ فِي غُرْبَةِ الْحَيَاةِ عَنَاءً * فَذُقِ الْيَوْمَ رَاحَةَ فِي الْإِيَابِ
- (٧) بَلَّغَ (الْبَابِلِيُّ) عَنِّي سَلَامًا * كَعَمِيرِ الرِّيَاضِ أَوْ كَالْمَلَابِ
- كَانَ تَرْبِي وَكَانَ مِنْ نَعِيمِ الْمُبْدِ * يَدِيعُ - مُسْبِحَانَهُ - عَلَى الْأَتْرَابِ
- فَارِسٌ فِي النَّدَى إِذَا قَصَرَ الْقُرُ * سَانُ عَنْهُ وَفَارِسٌ فِي الْجَوَابِ
- يُرْسِلُ النُّكْتَةَ الطَّرِيفَةَ تَمِشِي * فِي رَقِيقِ الشُّعُورِ مَشَى الشَّرَابِ
- قَدْ أَمَارَ (الْمُحَمَّدَانِ) دَفِينًا * فِي فُؤَادِي وَقَدْ أَطَارَا صَوَابِي
- خَلَّفَانِي بَيْنَ الرَّفَاقِ وَجَيْدًا * مُسْتَكِينًا وَأَمَعْنَا فِي الْغِيَابِ

- (١) ابن بجر، هو أبو عثمان عمرو بن بجر الجاحظ الكاتب المتكلم المعروف .
- (٢) وقلب جميع، أى مجتمع لانفرقة الحوادث والشدائد .
- (٣) يريد « بالنفرة » تنافر الألفاظ وعدم اتساق بعضها مع بعض .
- (٤) المهجر (بالضم) : القبيح الفاحش من الكلام . وشيب : خلط . (٥) يريد « بالبابل » : محمد البابل بك . (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ من الجزء الأول) وعير الرياض : طبيها . والملاّب : كل عطر مائع وهو لفظ فارسي معرب . (٦) ترب الإنسان : نظيره في السن .
- (٧) المحمدان ، محمد المولى يحيى ، ومحمد البابل .

رثاء عبد الحلیم العلابی بك^(١)

[نشرت في ٦ مايو سنة ١٩٣٢ م]

- (٢) يا بنَ (عَبْدِ السَّلَامِ) لَا كَانَ يَوْمٌ * غَبَّتَ فِيهِ عَن هَالَةِ الْأَحْرَارِ
 كُنْتَ فِيهِمْ كَالرَّمِيحِ بَأْسًا وَلِينًا * كُنْتَ فِيهِمْ كَالكَوْكَبِ السَّيَّارِ
 (٣) يا عَيْرِيقَ الْأَصْوَإِ وَالْحَسْبِ الْوَضْدِ * سَاحِ وَالنَّبِيلِ يَا كَرِيمَ الْجَوَّارِ
 كُنْتَ فَرْمًا بِدَوْحَةِ الْعِزِّ تَأْوِي * تَحْتَ أَفْنَانِهِ عُفَاةُ الدِّيَارِ
 (٤) قَصَفْتَهُ الْمَنُوتُ وَهُوَ نَضِيرٌ * مُورِقٌ عُوْدُهُ جَنِي الثَّمَارِ
 كُنْتَ تَأْسُو جِرَاحَهُمْ وَتَقِيهِمْ * وَتُقِيلُ الْعِثَارَ عِنْدَ الْعِثَارِ
 (٥) خَانَ نُطْقِي وَلَمْ تُخْنِي دُمُوعِي * هَلَفَ نَفْسِي - فَقَصَّرْتَ أَشْعَارِي
 غَيْرُ بَدِيعٍ إِذَا نَظَّمْتُ رِثَائِي * فِي صَدِيقِي مِنَ الدُّمُوعِ الْجَوَّارِي
 (٦) فَمِنَ الْحُزْنِ مَا يَدُوكُ الرَّوَاسِي * وَمِنَ الْحُزْنِ مَا يَهْدِي الضُّوَارِي
 (٧)

- (١) عبد الحلیم العلابی بك ، هو ابن عبد السلام العلابی بك من سِراة دمياط المعروفين ، وقد اشترك في النهضة الوطنية زمانا طويلا ، وكان عضوا بارزا في حزب الأحرار الدستوريين ، وأُنتخب (سكرتيرا) عاما لهذا الحزب ، وكان عضوا في مجلس الثواب في بعض السنين ؛ وتوفي في ٣ مايو سنة ١٩٣٢ م .
- (٢) الهالة : دارة القمر ، شبه بها جماعة الأحرار الدستوريين . (٣) الحسب الوضاح : المشهور . (٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الثقل . والأفنان : الأغصان . والعفاة : طلاب المعروف . (٥) تأسو جراحهم : تداويها وتبرئها . وتقيم : تحفظهم . وأقلت فلانا عثرته ، إذا وقع في خطأ فدفعت عنه ما يتوقع من عاقبته وصفححت عن زلته .
- (٦) البدع : الغريب . (٧) يدك : يهدم . والرواسي : الجبال . والضواري : السباع المولعة بالاقتراس ، الواحد ضار .

وقال يرثيه أيضا :

[نشرت في ١٦ يونيو ١٩٣٢ م]

مَضَيْتَ وَتَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ * إِلَيْكَ وَمِثْلُ خَطْبِكَ لَا يَهُونُ
 بِرَقْمِ (النَّيْلِ) أَنْ عَدَّتِ الْعَوَادِي * عَلَيْكَ وَأَنْتَ خَادِمُهُ الْأَمِينُ
 بِرَغِيمِ (الثَّغْرِ) أَنْ غِيَّبْتَ عَنْهُ * وَأَنْ تَزَلَّتِ بِسَاحَتِكَ الْمُنُونُ^(١)
 أَجَلُ مَنْهَ لَوْ يَحْوِيكَ مَيْتًا * لِيَجْبُرَ كَسْرَهُ ذَاكَ الدَّفِينُ^(٢)
 أَسَالَ مِنَ الدَّمْوِجِ عَلَيْكَ بِحَرًّا * تَكَادُ بِأَجْهِ تَجْرِي السِّفِينُ^(٣)
 وَقَامَ النَّادِيَاتُ بِكُلِّ دَارٍ * وَكَبَّرَ فِي مَآذِنِهِ الْأَذِينُ^(٤)
 أَصِيبَ بِيَدِي مَضَاءٍ أُرِيحِي * بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ يَسْتَعِينُ
 فَتَى الْفِتْيَانِ ظَالَتِكَ الْمَنَايَا * وَغُضُنُكَ لَا تُطَاوِلُهُ غُصُونُ^(٥)
 مَهَيْتُكَ حِقْبَةً فَصَبِحَتْ حُرًّا * أَيًّا لَا يَهَانُ وَلَا يُهِينُ^(٦)
 تَبِيلَ الطَّبِيعِ لَا يَغْتَابُ خِلَا * وَلَا يُؤْذِي الْعَشِيرَ وَلَا يَمِينُ
 تَطَوَّعَ فِي الْجِهَادِ لَوَجْهِ (مُضِرٍ) * فَمَا حَامَتْ حَوَالِيهِ الظُّنُونُ
 وَلَمْ يَثْنِ الْوَعِيدُ لَهُ عِنَانًا * وَلَمْ تَحْنُثْ لَهُ أَبَدًا يَمِينُ

(١) يريد « بالثر » : مدينة دمياط . والمنون : الموت . (٢) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيه دُفن بقرافة الإمام الشافعي بمصر ولم يدفن بدمياط . (٣) الأذنين : المؤذن . ويشير بقوله « وكبر... الخ » : إلى ما كان مألوفاً من أنه إذا مات عظيم قام المؤذنون ينعونه بالتكبير على الماذن في غير أوقات الأذان . (٤) الضمير في قوله « أصيب » . للثر السابق ذكره . والأريحي : الذي يرتاح للعروف . (٥) الحقبة : الدهر . (٦) مان يمين : كذب .

وَلَمْ تَنْزِلْ بِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا * وَلَمْ يَمَلِّقْ بِهِ ذُلًّا وَهُونًا
 مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يَحْنِ رَأْسًا * وَلَمْ يَسْبِرْخْ مَرِيرَتَهُ اليَقِينِ
 تَرَكْتَ أَلْفِئَةً تُرْجُو مَعِينًا * وَلَيْسَ سِوَى الدُّمُوعِ لَهَا مُعِينٌ ^(١)
 تَتَوَحُّ عَلَى الْقَرِينِ وَأَيْنَ مِنْهَا * وَقَدْ خَالَ الرَّدَى — ذَاكَ الْقَرِينِ ^(٢)
 سَمِعْتُ أُنَيْنَهَا وَاللَّيْلُ سَاحِجٌ * فَمَزَّقَ مُهَجَّتِي ذَاكَ الْأَيْنِ
 فَقَدْ مَا نَيْتُ قَدَمَا مَا يُعَانِي * عَلَى مِلَاتِهِ الْقَلْبُ الْحَزِينُ ^(٣)
 مِنَ الْخَفِرَاتِ قَدْ نَعِمْتُ بِزَوْجٍ * سَمَا بِجَلَالِهِ أَذْبُ وَدِينُ
 أَقَامَتْ فِي النَّعِيمِ وَلَمْ تُرَوِّعْ * فَكُلُّ حَيَاتِهَا رَغْدٌ وَلِينُ
 لَقَدْ نَسَجَ الْعَفَافُ لَهَا رِدَاءً * وَزَانَ رِدَاءَهَا انْتِخَرُ الْمَصُونُ
 دَهَاهَا الْمَوْتُ فِي الْأَلْفِ الْمَقْدَى * وَكَدَّرَ صَفْوَهَا الدَّمْرُ الْخَلْوُونُ ^(٤)
 فَكَادَ مُصَابُهَا يَأْتِي عَلَيْهَا * لِسَاعَتِهَا وَتَقْتُلُهَا الشُّجُونُ ^(٥)
 رَبِيبَةَ نِعْمَةٍ لَمْ تَبُلْ حُزْنًا * وَلَمْ تُشْرِقْ بِأَدْمِعِهَا الْجُفُونُ ^(٦)
 وَفَتْ لِأَلْفِئَتِهَا حَيًّا وَمَيِّتًا * كَذَلِكَ كَرِيمَةُ (اللُّوزِي) تَكُونُ
 سَتَكْفِيهَا الْعِنَايَةَ كُلَّ شَرٍّ * وَيَحْرُسُ خَدْرَهَا (الرُّوحُ الْأَمِينُ)

- (١) يريد « بالأليفة » : زوجه . (٢) سبعا الليل : سكن وهدأ . (٣) الخفريات : ذوات الحياء ، الواحدة خفيرة (بفتح أوله وكسر ثانيه) . (٤) يأتي عليها : يذهب بها ويهلكها . (٥) لم تبل حزنا ، أي لم تعرفه ولم تذق مرارته . وشرق الجفن : احمر من البكاء . (٦) اللوزي : لقب لامرأة مريقة بشعر ديباط معروفة ، وكانت زوج الفقيد منها .

رثاء محمود الجمولي

وهو ابن المرحوم عبده الجمولي المنفى المعروف ، وكان قد مات بعد قرانه بقليل

(١) شَوْقَتَانِي أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ * لَبْدِرٍ تَمَّ غَابَ قَبْلَ الْأَوَانِ

(٢) وَكُلَّمَا أَشْرَقَتْ مَرَّةً * عَلِمْتُ عَيْنِي نَظْمَ الْجَمَانِ

(٣) عَلَى عَزِيْزٍ قَدْ تَوَلَّى وَلَنْ * يُؤُوبَ حَتَّى يَرْجِعَ الْقَارِظَانِ

عَجَلَتْ يَا (محمود) فِي رِحْلَةٍ * قَرَّتْ بِهَا أَعْيُنُ حُورِ الْجَمَانِ

(٤) كَأَمَّا آخِرُ عَهْدِ الْمَنَا * قَدْ كَانَ مِنَّا لَيْلَةَ الْمَهْرَجَانِ

رثاء حبيب المطران باشا^(٥)

(٦) أَعَزَّى فِيكَ أَهْلَكَ ، أَمْ أَعَزَّى * عَفَاةَ النَّاسِ ، أَمْ هِمَمَ الْكِرَامِ؟

(٧) وَمَا أَدْرِي أَرُكِّنُ أَلْجَاهِ أَوْدَى * وَقَدْ أَوْدَيْتَ أَمْ رُكْنُ الشَّامِ؟

(١) يريد : أنه كلما رأى الفرقدين تذكر ذلك البدر فاشاق إليه .

(٢) الجمَان : اللؤلؤ؛ الواحدة جمانة ، شبه بها الدموع . (٣) القارظان : رجلان من

عزة خرجا يجنيان القرض فلم يرجعا ، ولا عرف لها خبر ، ف ضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيا به .

(٤) المهرجان : عيد للفرس ؛ ويطلق الآن على كل حفل وعيد ؛ ويريد به هنا حفل العرس .

(٥) كان حبيب المطران باشا سرياً من سراة الشام ، وكان قصره في بعلبك مقصد الوزراء والوجهاء ،

وقد نزل به المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده في بعض أيام إقامته بالشام حين كان منغياً بها بعد الثورة

العراقية . (٦) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . (٧) أودى : هلك .

رثاء المرحوم أحمد البابلي

بَدَأَ الْمَاتُ يَدِبُّ فِي أَتْرَابِي * وَبَدَأَتْ أُعْرِفُ وَخَشَّةَ الْأَحْبَابِ
 يَا بَابِلِي فِدَاكَ الْفُكَّ فِي الْعَبَا * وَفِدَا شَبَابِكَ فِي التُّرَابِ شَبَابِي
 قَدْ كُنْتُ خُلْصَانِي وَمَوْضِعَ حَاجَتِي * وَمَقَرَّ آمَالِي وَخَيْرِ مَهَابِي
 فَادْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْكِرَامُ مُشِيْعًا * بِالْعَبْدِ مَبِيحًا مِنَ الْأَحْبَابِ

تعزية المرحوم محمود سامي البارودي باشا في أبنته

وَدَيْعَةٌ رُدَّتْ إِلَى رَبِّهَا * وَمَالِكُ الْأَرْوَاحِ أَوْلَى بِهَا
 أَلَمْ يَكُنْ صَبْرَكَ فِي بُعِيدِهَا * يَرْبُو عَلَى شُكْرِكَ فِي قُرْبِهَا ؟

وقال يرثيها أيضا :

يَبْنَ السَّرَائِرُ خِسْنَةً دَفْنُوكِ * أُمُّ فِي الْحَاجِرِ خُلْسَةً خَبْنُوكِ ؟
 مَا أَنْتِ مِمَّنْ يَرْتَضِي هَذَا الثَّرَى * نَزَلًا فَهَلْ أَرْضُوكِ أُمُّ غَبْنُوكِ ؟

- (١) الخُلْصَانُ (بالضم) : الخالص من الأخدان ، يستوى فيه الواحد كما هنا ، والجماعة أيضا .
 يقال : هو خُلْصَانِي ، وهم خُلْصَانِي .
 (٢) يَرْبُو : يزيد ؛ والمستعمل في هذا المعنى : أَرْبَى يَرْبِي .
 (٣) السَّرَائِرُ : جمع سريرة ، وهي السرية والمراد هنا : وضمة . وضمة ، أي بخلا بها . والحاجر : جمع محجر (وزان مجلس) ، وهو ما دار بالعين . «يريد» أن حرصهم على الفريدة وبخلهم بها جعله يظن أنهم دفنوها في ضمائرهم أرفى عيونهم ، فهو يستفهم عن أيها دفنت فيه . (٤) النزل : المكان المهيأ للنزل به .

- (١) يَا بِنْتَ (مَجْمُودٍ) يَعْزُّ عَلَى الْوَرَى * لَمَسُ التُّرَابِ لِحْسَمِكَ الْمَنُوكِ
 (٢) تَرَكَوْا شَبَابَكَ فِيهِ نَهْبًا لِلَّيْلِ * وَاهَا لِعَضِّ شَبَابِكَ الْمَتْرُوكِ
 (٣) وَحَثُوهُ فَوْقَ سَنَّاكَ يَا شَمْسَ الضُّحَى * فَبَكَى لَهُ بَدْرُ السَّمَاءِ أَخُوكِ
 (٤) دَاسَ الْجِثَامِ عَرَيْنَ أَسَادِ الشَّرَى * يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ كَانَ أَبُوكِ؟
 (٥) عَهْدِي بِهِ يَلْقَى الرَّدَى بِمَهْنِدٍ * يَعْلُوهُ غَمْدٌ مِنْ دَمٍ مَسْفُوكِ
 يَا نَفْسَ (مَجْمُودٍ) وَأَنْتِ عَلِيمَةٌ * بِطَرِيقِ هَذَا الْعَالِمِ الْمَسْلُوكِ
 (٦) عَهْدُوكِ لَا تَتَّصِدِعِينَ لِحَادِثِ * أَوْ أَنْتِ بَاقِيَةٌ كَمَا عَهْدُوكِ
 (٧) هَذَا التُّرَابُ - وَأَنْتِ أَعْلَمُ - مُلْتَقَى * هَذَا الْوَرَى مِنْ مَسْوَقَةٍ وَمُلُوكِ
 (٨) هَلْ أَنْتِ إِلَّا بَيْنَ جَنبِيٍّ مَاجِدٍ * صَعِبِ الشُّكِيمَةِ لِخَطُوبِ صَخُوكِ
 (٩) يُغْنِي بِمَحْضَرَتِهِ الزَّمَانُ فَيَلْتَقَى * عِزُّ الْمَلِكِ وَذِلَّةُ الْمَمْلُوكِ

(١) المنوك : المجهود المضى .

(٢) النض : الطرى الناعم .

(٣) حثا التراب على الميت يحثوه : هاله عليه . والسنا : الضوء .

(٤) الجثام (بالكسر) : الموت . وعرين الأسد : مأواه . والشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب

بأسادها المثل . ويريد «بعرين الأسد» : بيت أبيها .

(٥) المهند : السيف .

(٦) التصدع : التشقق . (٧) أنت : يخاطب نفس البارودى .

(٨) صعب الشكيمة ، أى أنوف أبى لا يتقاد .

(٩) يغنى الزمان ، أى يستحي منه ويهابه .

ملاحظة - أشير فى نهاية هذه القصيدة فى طبعة هذا الديوان السابقة الى أنها قصيدة طويلة ،

وأنه لم يعثر منها إلا على هذه الأبيات ، وقد بحثنا نحن أيضا عن بقيتها فلم نجدها .

”من مرثية وهمية“

بلغ حافظاً أن جورج الخامس ملك إنجلترا قد توفي، فلم يكده يسمع هذا النبأ حتى بدأ ينظم قصيدة في رثائه، ثم تبين له بعد عدم صحة هذا الخبر وقد وقفنا على يتبين من هذه المرثية، وهما :

إِنَّ الَّذِي كَانَتْ الدُّنْيَا بِقَبْضَتِهِ * أَمْسَى مِنَ الأَرْضِ بِحَوِيهِ ذِرَاعَانِ
وَوَظَّابَ عَنِ مُلْكِهِ مَنْ لَمْ تَقْبَأْ أَبَدًا * عَنِ مُلْكِهِ الشَّمْسُ مِنْ عِزِّهِ وَسُلْطَانِ



قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى .

من شعر حافظ في ثورة سنة ١٩١٩

وَلَّتْ بِشَاشَةً دُنْيَانَا وَدُنْيَاكَ * وَفَارَقَ الْأَنْسُ مَغْنَانَا وَمَغْنَاكَ
 حَمَاكَ دُونِي أُسُودًا لَا يُطَاوِلُهُ * شَاكِيَ السَّلَاحِ فَكَيْفَ الْأَعَزُّ الشَّاكِيَ
 وَجَشْمُونِي عَلَى ضَعْفِي وَقُوَّتِهِمْ * أَنْ أُمْسِكَ الْقَوْلَ حَتَّى عَنْ تَحَايَاكَ
 وَأَرْصِدُوا لِي رَقِيبًا لَيْسَ يُخْطِئُهُ * هَجَسُ الْفُؤَادِ إِذَا حَاوَلْتُ ذِكْرَكَ
 يُحِصِي تَرْدَ أَنْفَاسِي وَيَمْنَعُنِي * نَفْحَ الشَّمَائِلِ إِنْ جَازَتْ بَرِّيَاكَ
 مَنَعْتُ حَتَّى مِنَ النَّجْوَى وَسَلْوِيهَا * وَكَمْ تَعَلَّتُ فِي الْبَلَاوِي نَجْوَاكَ
 مَا كَادَ يَأْتِي عَلَى نَفْسِي وَيُورِدُنِي * مَوَارِدَ الْحَتْفِ إِلَّا حُبِّكَ الزَّاكِيَ
 تَنَاولَتْ مَا وَرَاءَ النَّفْسِ غَايَتُهُ * وَقَرَّرْتُ خَلَجَاتِ الْقَلْبِ مَتَوَاكَ
 وَظَنُّ أَهْلِكَ بِي سُوءًا وَأَرْمَضَنِي * قَوْلُ الْوَشَاةِ وَدَعْوَى كُلِّ أَفَّاكَ
 قَالُوا مَلَا عَنكَ غَدْرًا وَابْتغَى بَدَلًا * وَكَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ أَوْفَى رَعَايَاكَ
 كَمْ لِي أَحَادِيثُ شَوْقٍ لَا تُنَافِحُهَا * زَهْرُ الرِّيَاضِ وَلَا يُسْمُو بِهَا الْحَاكِيَ
 إِنْ تُكْرِيهَا فَكَمْ طَارَ الرِّوَاةُ بِهَا * إِلَى حِمَاكَ وَكَمْ قَدْ عَطَّرَتْ فَانِكَ
 سَتَعْلَمِينَ إِذَا مَا الْعَمْرَةَ أَحْسَرَتْ * مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَمَنْ بِالنَّفْسِ فَنَدَاكَ
 رَمَيْتُ عَنكَ إِلَى أَنْ خَانَنِي وَتَرَى * وَلَمْ أَخُنْ فِي إِسَارِي عَهْدَ نَعْمَاكَ

برقية من حافظ إلى الخديو عباس

جاءت الأنباء بسقوط مدينة أدرنة التابعة لدولة الخلافة العثمانية يوم
الاحتفال بزفاف كريمة الخديو إلى نجل الصدر الأعظم جلال باشا ، فأرسل
حافظ هذه البرقية إلى الخديو :

عَيْدُ هُنَا ، وَهَنَّاكَ قَامَ الْمَأْتَمُ * مَلِكٌ يَنْسُوحُ ، وَتَابِعٌ يَتَرْتَمُ .
عَجَبًا أَرَى تِلْكَ الدَّمَاءَ فَمَا هُنَا * دَمٌ فَرِحَ ، وَهَنَّاكَ لِلْقَتْلِ دَمٌ

فأمر الخديو بإزالة معالم الزينات مشاركة للخليفة وللعالم الإسلامي
في تلك النكبة .

قصر الدوبارة وقصر عابدين

قصر الدوبارة هو القصر الذي يقيم فيه المعتمد البريطاني ممثل الاحتلال
وصاحب السلطة الفعلية في البلاد .

وقصر عابدين هو قصر الخديو صاحب السلطة الشرعية والخاضع للسلطان الإنجليزي .
وفي هذين البيتين يعقد حافظ مقارنة بين كلا الحاكمين .

قصر الدوبارة ما للشيخ رابضاً * والذئب في قصر الإمارة يَحْبِلُ
إني سمعتُ بعابدين عوَاءَهُ * فمَجِبْتُ كَيْفَ يَسُودُ مَنْ لَا يَعْقِلُ

من حافظ شاعر مصر إلى فؤاد ملك مصر

يَا مَلِيكَاً يَرْغَمُهُ يُلْبَسُ النَّا * جَ وَرَقِي لِعَرْشِهِ مَمْلُوكَا
إِنْ أُتِمَّتْ يَدَاكَ تَحْرِيبَ مِصْرٍ * فَلَقَدْ مَهَّدَ الْخِرَابَ أَبُو كَا^(١)
أَبْقَى شَيْئًا — إِذَا مَضَيْتِ ذَمِيمَا * عَنْ قَرِيبٍ — يَأْتِي عَلَيْهِ بَنُوكَا^(٢)

(١) يشير إلى الخديو إسماعيل الذي أفلس مصر وأدانها بتبنيه وامرافه حتى سقطت في براثن
الاحتلال والديون الأجنبية . (٢) يقول الشاعر للملك فؤاد لا ترتكب المفاسد كلها ،
حتى يجد أبنائك من بعدك شيئاً يفسدونه ، فالفساد متأصل فيهم أصولاً وفرعاً .

إلى باني الهرم

من شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم إلى فرعون مصر العظيم ، باني الهرم
ومسخر الملايين .

من الشاعر في عهد الحرية الشخصية وحكم الديمقراطية ، إلى فرعون
في عهد الملوك الآلهة والرعايا العبيد .

من ابن مصر في القرن العشرين بعد الميلاد ، إلى سيد مصر في القرن العشرين
قبل الميلاد .

البلاغ الأسبوعي

تَخَّرَ العِلْمَ لِيَبْنِي آيَةً * فوق شَطِّ النيلِ تبدو كالْعَلَمِ^(١)
هي ذِكْرٌ خَالِدٌ لِكُنْه * عَابَسَ الوَجْهَ إِذَا الذُّكْرُ ابْتَسَمَ
كُلُّ مَا فِيهَا عَلَى إِعْجَازِهَا * أَنهَا قَبْرٌ لِحَبَّارِ حُطَمِ^(٢)
لَيْتَهُ تَخَّرَ مَا فِي عَهْدِهِ * مِنْ قُوَى فِي غَيْرِ تَقْدِيسِ الرَّمَمِ
مِنْ فَنُونِ أُعْجَزَتْ أَطْوَأَقْنَا * وَطَلُومِ عِنْدَهَا الْفِكْرُ وَجَمَمِ
وَبَنَانِ مَبْدَعَاتِ صَوْرَتِ * أَوْجَهَ العُذْرِ لِعِبَادِ الصَّنَمِ^(٣)
أَبْدَعَتْ مَا أَبْدَعَتْ ثُمَّ انْطَوَتْ * وَعَلَى أَسْرَارِهَا الدَّهْرُ خَسَمَ

(١) العلم : الجبل .

(٢) الحطيم : البالي — وحطام الشيء بقاياها .

(٣) يريد الشاعر أن يقول إن الأيدي الماهرة التي صنعت تلك التماثيل جعلت للناس العذر

في عبادتها لدقة الصنع وجمال التصوير .

من شاعر مصر إلى أبناء مصر

قلت بعد ائتلاف حزبي الوفد والأحرار الدستوريين

البلاغ الأسبوعي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٦

قد غَفَوْنَا وَاتَّبَعْنَا فإِذَا * نَحْنُ غَرَقْنَا ، وَإِذَا الْمَوْتُ أُمَّ ^(١)
 ثُمَّ كَانَتْ فِتْرَةٌ مَقْدُورَةٌ * غَرَّ فِينَا الدَّهْرُ ضَعْفٌ فَهَجَمَ
 فَتَمَسَّكْنَا فَكَانَتْ قُوَّةٌ * زَلَزَلَتْ رُكْنَ اللَّيَالِي فَانْهَدَمَ ^(٢)
 كَانَ فِي الْأَنْفِيسِ جُرْحٌ مِنْ هَوَى * نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فَالتَّامَ
 فَتَشَدَّدْنَا الْعَيْشَ حُرًّا طَلَقًا * تَحْتَ ظِلِّ اللَّهِ لَا ظِلَّ الْأُمَّ
 وَحَقِيقٌ أَنْ يُؤَوِّيَ حَقَّهُ * مَنْ يَجْتَلِي اللَّهَ وَالصَّبْرَ اعْتَصَمَ
 آفَةُ الْمَرْءِ إِذَا الْمَرْءُ وَنَى * آفَةُ الشَّعْبِ إِذَا الشَّعْبُ انْقَسَمَ
 لَيْسَ مِنْهَا مَنْ يَنْبِي أَوْ يَنْتَبِي * أَوْ يَمُوقُ النِّيلَ فِي رَعِي الدِّمِ
 نَشَاءَ مَصِيرًا ، نَبِّئُوا مَصْرًا : بِكُمْ * تَشْتَرُونَ الْمَقْصِدَ الْأَسْمَى ، بِكُمْ ؟
 بِنَضَالٍ يُصَبِّقُ الْعِزْمُ بِهِ * وَسُهَّادٍ فِي الْعُلَا حُلُوقِ الْأَلَمِ
 أَنَا لَا أَنْفِرُ بِالْمَاضِي ، وَلَا * أَحْسَبُ الْحَاضِرَ يُطْرَى أَوْ يَدْمُ
 كُلِّ هَمِيٍّ أَنْ أَرَاكُمْ فِي غَيْدٍ * مِثْلَ مَا كُنْتُمْ أُسُودًا فِي أَجَمِ

(١) أم - قريب .

(٢) المعنى أن في تماسكنا قوة فهزت الليالي ونكباتها التي سلطتها علينا .

فالفتى كل الفتى من لو رأى * في اقتحام النار عزا لا فتحتم
 لا تظنوا العيش أحلام المنى * ذاك عهد قد تولى وانصرم
 هو حرب بين فقير وفتى * وصراع بين بُرءٍ وسقم
 هو نار ووقود فإذا * غفل الموقد فالنار حم (١)
 فانفضوا النوم وجدوا للعلا * فالعلا وقف على من لم ينم
 ليس يجني من تمنى وصلها * وانياً أو وادعاً غير الندم
 والأمانى شر ما تمنى به * همة المرء إذا المرء اعتم
 تُجيد العزم وتثني حده * فهي كالماء لإجماد الضرم (٢)
 وانظروا اليابان في الشرق وقد * ركزت أعلامها فوق القمم
 حاربوا الجهل وكانوا قبلنا * في دجى عميائه حتى انهزم
 فاسألوا عنها الثريا لا الشرى * إنها تحتل أبراج الهمم
 هم يمشي بها العلم إلى * أنبل الغايات لا تدرى السأم
 فهي أنى حاولت أمراً مشت * حلقها الأيام في صف الخدم
 لا تبالي زلزلت من تحتها * أم عليها النجم بالنجم اصطدم
 اتخذت شمس الضحى رمزاً لها * وكفى بالشمس رمزاً للعظم
 فهي لا تالو صعوداً تبغى * جانب الشمس مكاناً لم يرم

(١) الهمم - الرماد .

(٢) الضرم - النار .

التبرع للتعليم

أقامت نقابة المعلمين حفلة في دار الجامعة المصرية مساء الجمعة ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٢٠ تكريماً لمحسني المنوفية: حسنين عبد الغفار وعبد العزيز حبيب ومحمود السيد أبو حسين لتبرعهم بسبعين فدانا من أطيانهم في المنوفية أوقفوها على التعليم .

ودعى حافظ للاشتراك في تكريمهم ، فألقى هذه القصيدة :

ثَلَاثَةٌ مِنْ سَرَاةِ النَّيْلِ قَدْ حَسُّوا * عَلَى مَدَارِسِنَا سَبْعِينَ فِدَانَا
أَحْيَا بِهَا أَمَلًا قَدْ كَانَ يَحْتَقُّه * بِجَهْلِ الْغَنِيِّ وَجَهْلٍ قَدْ تَفَشَّانَا
وَخَالَفُوا سُنَّةَ فِي مِصْرٍ شَائِعَةً * جَرَّتْ عَلَى الْعِلْمِ وَالْآدَابِ خُسْرَانَا
فَلِإِنْ هُمْ سَرَاةِ النَّيْلِ أَنْ يَقْفُوا * عَلَى الْقُبُورِ وَإِنْ لَمْ تَحْيُوا إِنْسَانَا
فَكَمْ ضَرِيحٍ خَلَاءُ لَا رُفَاتَ بِهِ * تَرَى لَهُ فِي مَنَاحِي النَّيْلِ «أَطْيَانَا»
وَكَمْ جَبُوسٍ عَلَى الْمَوْتِ وَظَلَّتْهَا * يَشْرِي الْجُبَاةُ بِهِ خَوْصًا وَرِيحَانَا
وَالْعِلْمُ فِي حَسْرَةٍ، وَالْعَقْلُ فِي أَسْفٍ * وَالدِّينُ فِي نَجْمٍ مِمَّا تَوَلَّانَا
مَا كَانَ ضَرَّ سَرَاةِ النَّيْلِ لَوْ فَعَلُوا * شَرَّوَانُكُمْ ، فَبَنُّوا لِلْعِلْمِ أَرْكَانَا^(١)
تَقْدَى عَيْونُ بَنِي مِصْرٍ بِمَظْهِرِهِمْ * فِي «الرِّمْلِ» حِينًا ، وَفِي «حُلْوَانَ» أَحْيَانَا^(٢)

(١) شرواكم أي مثل فعلكم وصنيعكم .

(٢) تقدى أي تؤذى — ويحيب الشاعر على الأثرياء بخلمهم في الاتفاق على العلم وتمتعهم بمباهج

الحياة ما بين رمل الإسكندرية صيفا وحلوان شتاء .

(١)
 يبغون أن تحتوى الدنيا خزائِنُهُم * ويزرعوا فلواتِ اللهِ أقطاناً
 وليس فيهم أخو نفعٍ وصالحٍ * ولا ترى لهمُ براً وإحساناً
 يا مصر حَتَّامٌ يشكو الفضلُ في زمنٍ * يُجنى عليه ويمسى فيك أسواناً (٢)
 قد سأل واديك خصباً مُتَمِّماً فتى * تسيلُ أرجاؤه عنتاً وعرفاناً

إلى الدكتور طه حسين

عند ما أصدر الدكتور طه حسين مؤلفه « في الشعر الجاهلي » شنَّ عليه جامدو الفكر حملة بتكفيره وبخروجه على الإسلام، وتعالى بعضهم فطالبوا باهدار دمه ، وكان منهم المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الذي كان عضواً بمجلس النواب ورئيساً لجمعية الشبان المسلمين وقتئذ فقال حافظ :

إن صحَّ ما قالوا ، وما أرجفوا * وألصقوا زوراً بدين العميد
 فكفِّرْ طه « عند دِيانِيهِ * أحبُّ من إسلامِ عبدِ الحميد

من حافظ إلى الشيخ عبد الرحيم الدمرداشي

لما ترجم حافظ كتاب البؤساء لفكتور هوجو، أقبل الفضلاء على تعميده بالاشتراك في أعداد من نسخ الكتاب ، عدا شيخ الطريقة الدمرداشية وكان من أغنى أغنياء البلاد .

فلما انتهى طبع الكتاب ، أرسل إليه حافظ نسخة هدية ، وكتب عليها
 إهداءه :

(١) الفلوات جمع الفلاة وهي الصحراء الواسعة .

(٢) حَتَّام أى حتى متى — أسوان أى حزين .

هَدِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ بَائِسٍ * إِلَى الدَّسْرَدَاشِيِّ وَوَلِيِّ النَّعَمِ
يُشْرِكُ بِاللَّهِ وَلَا يَسْتَرِكُ * فِي نَسْخَةٍ فِيهَا ضَرْبُ الْحِكْمِ

مداعبة لحافظ

كان حافظ مدعوا لإلقاء قصيدة في حفل جمعية رعاية الأطفال بمدينة الأذربكية . وعند دخوله أراد المشرف أن يداعبه ، فطلب منه التذكرة ، فقال له إنه حافظ إبراهيم وجاء للمشاركة في الاحتفال السنوي كعادته بقصيدة ، فزعم المشرف أنه لا يعرفه ، وعليه أن يثبت شخصيته بيتين يرتجلهما .

فضحك حافظ وقال له : لم أر أخيث منك مشرفا .. وارتل هذين

البيتين :

رِيَاضُ الْأَزْبَكِيَّةِ قَدْ تَحَلَّتْ * بِأَنْجَابِ كِرَامِ أَنْتَ مِنْهُمْ
فَهَبَا جَنَّةً فُتِحَتْ لِحَيْرٍ * وَأَدْخَلْنَا مَعَ الْمُعْفُوِّ عَنْهُمْ

وضحك المشرف وقال : تفضل يا حافظ بك ...

شهداء العلم

جريدة السفور — ١٥ إبريل سنة ١٩٢٠

في سنة ١٩٢٠ أوفدت مصر أول بعثة دراسية من شبابها النابه إلى أوروبا لاستكمال دراساتهم العليا في جامعاتها وقد ذهبوا جميعا ضحية حادث أليم وقع للقطار الذي كان يقلهم عبر إيطاليا في أكبر كارثة للسكك الحديدية شهدتها أوروبا .

وكان وقع المصائب الفادح بالغ الألم والأثر في مصر وفي سائر البلاد العربية والأجنبية . وقد رثاهم شاعر النيل بهذه القصيدة التي ألقيت في حفل جريدة السفور التي أقيمت مساء ١٤ من أبريل سنة ١٩٢٠ .

علمونا الصبر يُطفي ما استعر * إنما الأجر لمفجوع صبر
صدمة في الغرب أسمى وقعها * في ربوع الشرق مشوم الأثر
زلزلت في أرض مصر أنفساً * لم يزلزلها قرار المؤتمر^(١)
ما اصطدام النجم بالنجم هلى * ما كنى الأرض بأدهى وأمر
قطف الموت بواكير النهى * بفتى أجمل طاقات الزهر
وغدا الموت على أقمارنا * فتهاووا قمرًا بعد قمر
في سبيل النيل والعلم وفي * ذممة الله قضى الإثنا عشر
أى بدور الشرق ماذا نابكم * في مسار الغرب من صرف الغير
نبأ قطع أوصل المنى * وأصم السمع منا والبصر
كم بمصر زفرة من حرها * كُنس الأعفر، والطير وكر^(٢)

(١) المؤتمر هو مؤتمر الصلح بباريس الذي عقد عقب الحرب العالمية الأولى وحاول زعماء مصر حضوره للطالبة بجلاء الإنجليز عن مصر ، ولكن منع الزعماء من حضوره وأصدر المؤتمر قراره بالبقاء على الأوضاع في مستعمرات الدول المنتصرة ومنها إنجلترا .

(٢) وكر الطير أى لزم وكره — والمعنى أن الزفرات الحارة على شهدائنا كانت من القسوة والشدة كالريح السموم التي تكنس التراب وتلزم الطير وكره من حرارتها وهجيرها .

كم أب أسوانَ دَائمَ قَلْبُهُ * مستطيرِ اللَّبِّ مَفْقُورِ الظَّهْرِ
 سَاهِمَ الوَجْهِ لِمَا حَلَّ بِهِ * سَادِرَ النُّظْرَةِ مِنْ وَقْعِ الخَبْرِ
 كم بِهَا وَالِدِةٌ وَالِهِيَّةُ * عَضَّتْهَا التُّكُلُ بِنَابِ فَعَقْرِ
 ذَاتِ تَوْجٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى * عَلَّمَ الأَشْجَانَ سُكَانَ الشَّجَرِ^(١)
 تَسْأَلُ الأَطْيَارَ عَنْ مُؤْنِسِيهَا * كَمَا صَفَّقَ طَيْرٌ وَاصْطَحَرَ
 تَسْأَلُ الأَنْجِمَ عَنْ وَاحِدِهَا * كَمَا غُورَ نَجْمٌ أَوْ ظَهَرَ
 تَهَبُ العَمَرَ لِمَنْ يُنْبِئُهَا * أَنَّهُ أَفَلَّتْ مِنْ كَفِّ القَدَرِ

* * *

وَيَجِ مَصِيرٌ ، كُلُّ يَوْمٍ حَادِثٌ * وَبَلَاءٌ مَا لَهَا مِنْهُ مَفَسَّرٌ
 هَانَ مَا تَلَقَّاهُ إِلا خَطْبُهَا * فِي تَرَاتِبٍ مِنْ بَنِيهَا مُدْنَرٌ
 قَدْ ظَلَمْتُمْ بِجَدِّهِمْ فِي تَقْلِيهِمْ * إِنَّمَا نَقَلْتُهُمْ إِحْدَى الكَبْرِ^(٢)
 فَسَوَاءٌ فِي تَرَابِ الشَّرِيقِ أَمْ * فِي تَرَابِ الغَرْبِ كَانَ المَسْتَقَرُّ
 أَلَيْتُمْ أَنْ نَرَى يَوْمًا لَنَا * فِي رُبُوعِ العِلْمِ شَيْبَرًا فَذُنُورُ
 أَضَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بَيْنَهُمْ * شَاهِدًا مِنَّا لِكُتَابِ السَّيْرِ
 وَمَزَارًا كَمَا يَمُمُّهُ * نَاشِئٌ حَيًّا نَسْرَاهُ وَادَّكُرُ
 وَدَلِيلًا لِابْنِ مَصِيرِ كَمَا * قَامَ فِي الغَرْبِ بِمَصِيرِ فَافْتَخِرُ
 كَمْ مَسَلَاتٍ لَنَا فِي أَرْضِيهِمْ * صَوَّرَتْ مُعْجِزَةً بَيْنَ المَسُورِ

(١) سكان الشجر من الطير .

(٢) لم يررض حافظ عن نقل جثثهم إلى مصر ليدفنوا فيها ، بل آثر أن يدفنوا حيث ماتوا كمن

لجده مصر وكفاحها في سبيل العلم .

مُنَّ رَمَزًا لِعَصُورٍ قَدْ خَلَّتْ * أَشْرَقَ الْعِلْمُ عَلَيْهَا وَازْدَهَرَ
فَاجْعَلُوا أَمْوَاتَنَا الْيَوْمَ بِهَا * خَيْرَ رَمِيزٍ لِرَجَاءٍ مُتَنْظِرِ

* * *

أُمَّةَ الطُّلُبَانِ خَفَّتِ الْأَسَى * بِصَنِيعٍ مِنْ أَيْدِيكَ الْفُرَرِ
بَحَمَّتْ كَفْأَكَ عِقْدًا زَاهِيًا * مِنْ بَنِينَا فَوْقَ وَادِيكَ انْتَرِ
وَمَشَى فِي مَوَكِبِ الدَّفْنِ لَهْمٌ * مِنْ بَيْنِكُمْ كُلِّ مِسْجِدٍ أُخْرِ
وَسَعَى كُلُّ مَرِيءٍ مُفْضِلٍ * بِأَيْدِي الْأَحْزَانِ تَحْفُوضِ النَّظَرِ
وَبَكَتْ أَفْلَادُكُمْ أَفْلَادَنَا * بِدُمُوعِ رَوْضَتِ تِلْكَ الْحُفْرِ^(١)
وَصَنَعْتُمْ - صَنَعَ اللَّهُ لَكُمْ - * فَوْقَ مَا يَصْنَعُهُ الْجِلُّ الْأَبْرَ
قَدْ بَكَيْنَا لَكُمْ مِنْ رَحْمَةٍ * يَوْمَ "مِسِينَا" فَارْخَصْنَا الدَّرَرَ^(٢)
حَفِظْتُمْ وَشَكَرْتُمْ صُنْعَنَا * وَبَنُو الرُّومَانِ أَوْلَى مَنْ شَكَرَ

* * *

أَيَّ شَبَابِ النَّيْلِ لَا تَقْعُدْ بِكُمْ * عَنْ خَطِيرِ الْمَجِيدِ أخطَارُ السَّفَرِ
إِنَّ مَنْ يَعْشُقُ أَسْبَابَ الْعُلَا * يَطْرُحُ الْإِحْجَامَ عَنْهُ وَالْحَذَرَ
فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ جَسْمَكُمْ * فَوْقَ مَا تَحْمِلُ أَطْوَأُ الْبَشَرِ
تَمَنَّ فِي عَهْدِ جِهَادٍ قَائِمٍ * بَيْنَ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ لَمْ يَقِرَّ

(١) روضت الحفر ، أى جعلت قبور أبنائنا روضة من الرياض لكثرة ما سقطت من الدموع .
(٢) مسينا مدينة إيطالية دمرها زلزال مروع وصارحت مصر بمساعدة إيطاليا بالبرعات ، وكان
حافظ عن اشتركوا في الدعوة لتبديتها بقصيدة من روائع شعره الإنسانى ، وهى منشورة فى الديوان
بمعنوان زلزال مسينا .

رثاء فقيده العلم والوطن
محمد عاطف بركات باشا^(*)

ألقى في حفل تأبينه

المقطع في ١٣ سبتمبر ١٩٢٤

تَمَنَّيَ المَجِيدَ والمَحَامِدَ غَالِي * آلَ زَغُولٍ فَاصْبِرُوا لِلْيَالِي
قَدْ هَوَى مِنْكُمْ ثَلَاثَةٌ أَقْمَا * رِيخَلَّتْ مِنْهُمْ بَرُوجُ المَعَالِي
مَاتَ «فَتَحَى»، وَمَنْ لَنَا بِجَاهُ * وَأَفَانِينِ فِكْرِهِ الجَوَالِي
كَانَ أَعْجُوبَةَ الزَّمَانِ ذَكَاةً * وَمَضَاءَ فِي كُلِّ أَمْرٍ عُضَالِي
و«سَعِيدٌ» وَكَانَ غَضِنَا نَدِيًّا * فَتَحَّتْ فِيهِ زَهْرَةُ الآمَالِي
وَقَضَى «عَاطِفٌ» وَكَانَ عَظِيمًا * صَادَقَ العَزِيمَ مُطْمَآنًا الجَلَالِي
يَهْزِلُ النَاسُ وَالزَمَانُ، وَيَأْبَى * خَيْرَ جَدِّ مُوَاصِلِي وَنِضَالِي
سَاهَدُ الرَأْيَ، نَائِمُ الحَقِيدِ، لِأِهِ * عَنِ مَلَاهِي الوَرَى، عَفِيفُ المَقَالِي
قَدْ جَلَا سَيْفَ عَزْمِهِ صَبِيحُ الـ * بِنْفِي، فَأَرَبِي عَلَى السِيُوفِ العَصَالِي
وَنَمَّتْ رَأْيَهُ التُّجَارِبُ حَتَّى * بَاتَ أَمْضَى مِنْ نَافِذَاتِ النَّبَالِي
يَا شَهِيدَ الإِصْلَاحِ قَادَرَتِ مِصْرًا * وَهِيَ تَجْتَازُ هَوْلَ دَوْرِ انْتِقَالِي

(*) محمد عاطف بركات باشا أحد رجالات مصر الذين اشتغلوا بالتعليم ، ورأس حينها مدرسة القضاء الشرعي ، وظل يعمل في خدمة الحكومة حتى رقى إلى منصب وكيل وزارة المعارف العمومية ، وكان له الأثر الكبير في تطوير التعليم في مصر ، وكان يمت بصلة القرابة للزعيم سعد زغول ، حيث كان الزعيم في منزلة خاله .

(١) يشير الشاعر إلى سبق نفي الإنجليز لعاطف بركات مع الزعيم سعد زغول .

لو تَرَيْتَ لاسْتَطَالَ بِكَ النِّيبُ * لُ عَلَى هَذِهِ الحُطُوبِ التَّوَالِي
 غَيْرَ أَنْ الرَّدَى ، وَإِنْ كَثُرَ النَّاسُ * سُ ، حَرِيصٌ عَلَى البَعِيدِ المَنَالِ
 كَلِمًا قَامَ مُصْلِحٌ أَعْجَلَتْهُ * عَنِ مَنَاهُ غَوَائِلُ الآجَالِ
 يُحْطَفُ النَّابِغُ النَّبِيهُ وَيَبْقَى * خَامِلٌ الذِّكْرُ فِي نَعِيمٍ وَخَالِ
 أَيْعِشُ الرِّبَالُ فِي الغَابِ جِيلاً * وَيَمِرُّ الغُرَابُ بِالأَجْيَالِ

*
*

كُنْتُ فَوْقَ الفَرَاشِ وَالسَّقْمُ بِأَدِي * لَهَفَ نَفْسِي عَلَيْكَ وَالجَسْمُ بِإِلِي
 لَمْ يُزْحِزْكَ عَنِ نَهْوِضِكَ بِالأَعْيَا * إِ دَاءٌ يَهْدُ أُسْدَ الدَّحَالِ
 شَغَلْتِكَ الجُهُودُ وَالمَدَاءُ يَمْشِي * فِيكَ مَشَى المِحَازِرِ المَغْتَالِ
 لَمْ يَدْعُ مِنْكَ غَيْرَ قُوَّةِ نَفْسٍ * تَتَجَلَّى فِي هَيْكَلٍ مِنْ خَيَالِ
 عَجَزَ السَّقْمُ عَنِ بُلُوغِ مَدَاهَا * فَمَضَتْ فِي سَبِيلِهَا لَا تَبَالِي
 لَمْ تَزَلْ فِي بِنَاءِ النِّيشِ حَتَّى * هَدَمَ المَوْتُ عُمَرَ بَنِي الرِّجَالِ
 عَجَبَ النَّاسُ أَنْ رَأَوْا سَرَطَانَ الـ * بِبَحْرِ قَدَدَبٍ فِي رُؤُوسِ الجِبَالِ
 مَنْ رَأَى «عَاطِفاً» وَقَدْ وَصَلَ الأَشْءَ * نَغَالَ بَعْدَ المُهْدُوِّ بِالأَشْغَالِ
 ظَنَّ ، أَوْ كَادَ ، أَنْ أَوَّلَ نَوْمٍ * نَامَهُ كَانَتْ تَحْتَ تِلْكَ الرَّمَالِ
 أَوْ رَأَى قُوَّةَ العَزِيمَةِ فِيهِ * وَهُوَ فَوْقَ الفَرَاشِ بِأَدِي المُنْزَالِ
 ظَنَّ بِأَسِّ الحَدِيدِ فَارَقَ مَثْوَاهُ * هُ اجْتَوَاءً وَحَلَّ عَوْدَ الخِلَالِ

*
*

قَدْ تَبَيَّنَتْ كُلُّ مَعْنَى فَأَنْكَرَ * تَ عَلَى السَّالِفِينَ مَعْنَى الْمُحَالِ
 رُمَّتْ فِي أَشْهَرِ صَلَاحِ أُمُورٍ * دَمَّرَتْهَا يَدُ الْعَصُورِ الْخِوَالِ
 رُمَّتْ إِصْلَاحَ مَا جَنَّتْ يَدُ « دَنَلُو » * بَ « عَلَى الْعِلْمِ السَّنِينَ الطَّوَالِ
 وَقَلِيلٌ عِنْدِي لَهَا نِصْفُ جَيْلٍ * لِمَجْدٍ مُوَفَّقٍ فَعَالٍ
 لَمْ تَكُنْ مِصْرُ بِالْعَقِيمِ وَلَكِنْ * قَدْ رَمَاهَا أَعْدَاؤُهَا بِالْحَيَالِ
 أَفْسَحُوا لِلجَيَادِ فِيهَا مَجَالًا * قَدْ أَضْرَبَ الْجَيَادَ ضَيْقُ الْمَجَالِ
 أَصْبَحَتْ فِي الْقِيُودِ تَمْشِي الْمَوْتِنَا * كَسْفَيْنِ يَعْبرُنَ بِجَمْرِي الْقَنَالِ
 فَاصْدَعُوا هَذِهِ الْقِيُودَ وَخَلُّوْا * هَا تَبَارَى فِي السَّبْقِ رِيحَ الشِّمَالِ
 عَرَفَ الْغَرْبُ كَيْفَ يَسْتَمِرُّ الْجَدُّ * فَيَبْنِي بِفَضْلِهِ كُلَّ غَالِ
 وَدَرَى الشَّرْقُ كَيْفَ يَسْتَمِرُّ اللَّهُ * وَفِيْفِيضِي بِهِ إِلَى شَرِّ حَالِ
 فَاتْرَكُوا اللَّهْوَ فِي الْحَيَاةِ وَجِدُّوْا * إِنَّ فِي اسْمِ الرَّئِيسِ أَيْمَنَ قَالَ
 فَاصْنَعُوا صُنْعَ حَاطِفٍ وَإِذْ كَرِهَ * آيَةَ الْمَجِيدِ — ذِكْرَةَ الْأَبْطَالِ

* *

يَا مَعْجِبُ الْجِدَالِ نَمَّ مَسْتَرِيحًا * لَيْسَ فِي الْمَوْتِ مَنَعْدٌ لِلجِدَالِ
 صَامِتٌ يُسَكِتُ الْمَفْوَهَ فَاعْجَبْ * وَبَطِيءٌ يَسْبِزُّ خَطْوَ الْعِجَالِ
 كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا التَّحِيَةَ يُرَبِّحِي * فَهِيَ لَهِىَ اللَّهِ ، وَالِدُنَا لِلزَّوَالِ
 إِنْ بَكَتْ غَيْرَكَ النَّسَاءُ وَأَذْرَفِ * بِنَ طَلِيهِ الدَّمُوعِ مِثْلَ اللَّالِي
 فَعَمَلِ الْمَصْلُوحِينَ مِثْلِكَ تَبْكِي * ثُمَّ تَبْكِي جَلَائِلُ الْأَعْمَالِ

رثاء الأديب مصطفى لطفى المنفلوطى

مجلة النيل - ١٨ شبتمبر سنة ١٩٢٤

رَحِمَ اللهُ صَاحِبَ النُّظَرَاتِ * فَابْ عَنَا فِي أَحْرَجِ الْأَوْقَاتِ
 يَا أَمِيرَ الْبَيَانِ وَالْأَدَبِ النُّضْ * بِرِ لَقَدْ كُنْتَ نَخْرَ أُمَّ اللُّغَاتِ
 كَيْفَ غَادَرْتَنَا سَرِيعًا وَعَهْدِي * بِكَ يَا مُصْطَفَى كَثِيرَ الْأَنَاءِ
 أَقْفَرْتُ بِعَدِّكَ الْأَسَالِيبُ وَاسْتَرْ * نَحَى عِنَانُ الرِّسَالِ الْمُنْتَعَاتِ
 بَحَمَّتْ بِعَدِّكَ الْمَعَانِي وَكَانَتْ * سَلَسَاتِ الْقِيَادِ مُبْتَدَرَاتِ
 وَأَقَامَ الْبَيَانُ فِي كُلِّ نَادٍ * مَا تَمَّ لِلْبِدَائِعِ الرَّائِعَاتِ
 لَطَمْتَ «مَجْدَلِينَ» بِعَدِّكَ خَدَيْدٍ * بِهَا وَقَامَتْ قِيَامَةُ «الْعَبْرَاتِ»^(١)
 وَأَنْطَوَتْ رِقَّةُ الشُّعُورِ وَكَانَتْ * سَلْوَةَ الْبِائْسِينَ وَالْبِائِسَاتِ
 كُنْتَ فِي مِصْرَ شَاعِرًا يَبْهَرُ الْآلِد * بِبِ بَايَاتِ شِعْرِهِ الْبَيِّنَاتِ
 فَهَجَرْتَ الشُّعْرَ الْمُرَى إِلَى التُّ * بِرِ بَحَثَ الْكُتَّابَ بِالْمُعْجَزَاتِ
 مَتَّ وَالنَّاسُ عَنْ مُصَابِكَ فِي شُعْدٍ * بِرِ بِمَجْرَجِ الرَّئِيسِ حَامِي الْجَمَاءِ^(٢)
 شُغِلُوا عَنْ أَدِيبِهِمْ بِمُنْجَبٍ * بِهِمْ فَلَمْ يَسْمَعُوا نِدَاءَ النَّعَاءِ
 وَأَفَاقُوا بَعْدَ النِّجَاةِ فَالْفَوْأُ * مِثْرَلِ الْفَضْلِ مُقْفَرِ الْعَرَصَاتِ
 قَدْ بَكَكَ الرَّئِيسُ وَهُوَ جَرِيحٌ * وَدَمِوعُ الرَّئِيسِ كَالرَّحْمَاتِ

(١) «مجدلين» و «العبرات» و «النظرات» من الروايات التي ترجمها المرحوم المنفلوطى .

(٢) توفي المرحوم المنفلوطى يوم الاعتداء على الزعيم سعد زغلول في محطة مصر وهو متوجه إلى

لم تُبَقِّ يافتي المحامدِ مالا * فلقد كنت مغرماً بالهبات
 كم أسألت لك اليراعة سَيْلاً * من نُضارٍ يفيضُ فيضَ الفُراتِ^(١)
 لم تُؤثِّل مما كَسَبت ولم تُنح * سبب على ما أرى حسابَ المماتِ
 ميتٌ عن يافع ونحسِ بناتٍ * لم تُنخَف لها سوى الذِّكراتِ
 وتراثُ الأديب في الشرقِ حزنٌ * لبنيهِ ، وثروةٌ للرواة
 لا تُنخَف عَثرةُ الزمانِ عليهم * لا ، ولا صولةُ الليالي العواتِ
 حين سَعِدَ ترعاهمُ بعد عي * بن الله فاهداً فقد وجدت المواتِ

رثاء أحمد حشمت باشا

كان أحمد حشمت باشا من رجالات مصر في العصر السابق ، ولى مناصب
 القضاء والإدارة ثم وزيراً للمعارف « التربية والتعليم الآن » .
 وقد ناصر الأدب واللغة العربية في عصر اشتدت حملة الاستعمار والمبشرين
 عليها شتة مسعورة ، وكانت له رغم منصبه الوزاري ووجود مستشار المعارف
 الإنجليزي ، مواقف مشهودة ، نرجت بفضلها اللغة العربية سليمة خالصة
 لأهلها ، وحفظت عليهم لسانهم العربي المبين .
 وكان من الطبيعي أن تقوم الصلة قوية متينة بين حشمت باشا وشاعر النيل ،
 وأن يقتربه الوزير اليه ، ويعينه رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية .
 فكان عملاً جريئاً من الوزير أن يعين في وظيفة حكومية ، أديباً يطارد الاستعمار
 ويطارده الاستعمار في عصر الاستعمار ...

(١) النضار : الذهب — الفرات : الماء العذب .

ولقد رثاه الشاعر سنة ١٩٢٦ بهذه المرثية المنبثقة من ضمير ووجدان الشاعر

الوطني الوفي الكليم .

حَبَسَ اللِّسَانَ وَأَطْلَقَ الدَّمَاعَا * نَاجِ أَصَمِّ بِتَغْيِكَ السَّمْعَا
لَكَ مِئْتَةٌ قَدْ طَوَّقَتْ عُنُقِي * مَا إِن أُرِيدُ لَطَوِّقَهَا نَزْعَا
مَاتَ الْإِمَامُ وَكَانَ لِي كَنَفَا ^(١) * وَقَضَيْتَ أَنْتَ وَكُنْتَ لِي دِرْمَا
فَلَيْشَمْتَ الْحُسَّادُ فِي رَجُلِي * أَمْسَتْ مِنْهُ وَأَصْبَحْتَ صَرْعِي
وَلتَحْمِيلِ الْأَيَّامُ حَمَلَهَا * غَاضَ الْمَعِينُ وَأَجْدَبَ الْمَرْعِي
إِنِّي أَرَى مِنْ بَعْدِهِ شَلَا * يَدِ الْعَلَا وَيَأْنِفُهَا جَدَا
وَأَرَى النَّدَى مُسْتَوْحِشًا قَلْبَا * وَأَرَى الْمُرُوءَةَ أَقْفَرَتْ رِبْعَا
قَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَبُو حَسَنِ * بُولِي الْجَمِيلَ وَيُحْسِنُ الصَّنْعَا
إِن جَاءَ ذُو جَاهٍ بِمَحْمَدَةٍ * وَتَرَا شَاهُ بِمِثْلِهَا شَفْعَا ^(٢)
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَنَامِلِهِ * تَنَدَى ، حَسِبْتَ بِكَفِّهِ نَبْعَا
سَأَلْتَنِي مِنْ مَنَائِعِهِ * وَسَلِ « الْمَعَارِفِ » كَمْ جَنَّتْ نَفْعَا
قَدْ أَخَصَّبَتْ أُمُّ اللِّغَاتِ بِهِ * خِصْبًا أَدْرُ لِأَهْلِهَا الضَّرْعَا
تَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ يُقَالَ أَنِّي * بِدَمًا ، لَطَفْتُ بِقَبْرِهِ سَبْعَا
قَدْ ضَبَقْتُ ذَرْمًا بِالْحَيَاةِ وَمَنْ * يَفْقِدُ أَحْبَبَّهُ يَضِقُّ ذَرْمَا

(١) الإمام هو الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية سابقا وقدرناه الشاعر بقصيدة في هذا الديوان .

(٢) شاه أى زاد عليه ، والوتر الواحد والشفع الاثنان ، ومنها صلاة الوتر ذات الركعة الواحدة ،

وصلاة الشفع ذات الركعتين .

وَغَدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكْنُفُنِي * فِيهِ الشُّرُورُ وَلَا أَرَى دَفْعًا
 تَمَّ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُجَاسِنِي * وَكَأَنَّ تَحْتَ ثِيَابِهِ أَفْعَى
 يَسْعَى فَيُخْفِي لِي نَمَسَهُ * عَنِّي مَسَارِبَ حَيَّةٍ تَسْعَى
 تَمَّ حَاوَلْتُ هَدْيِي مَعَاوِلَهُمْ * وَأَبَى إِلَهُ فَزَادَنِي رَفْعًا
 أَصْبَحْتُ فَرْدًا لَا يُنَاصِرُنِي * غَيْرَ الْيَاقِينِ ، وَأَصْبَحُوا جَمْعًا
 وَمَنَاهِمُ أَنْ يَحِطُّوا بِيَدِي * قَلَمًا أَتَارَ عَلَيْهِمُ النَّقْعَا
 وَلَرُبُّ حُرِّ عَابَهُ تَقَرُّ * لَا يَصْلُحُونَ لِتَعْلِيهِ شَيْئًا
 مَنْ ذَا يُوَاسِنِي وَيَكْلَأُنِي * فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَرَعَى
 لَا جَاهَ يَجِينِي ، وَلَا مَدَدَ * عَنِّي يَرُدُّ الْكَيْدَ وَالْقَسْدَمَا
 بَكَ كُنْتُ أَدْفَعُ كُلَّ مَادِيَةٍ * وَأَجِيبُ فِي الْجُلِيِّ إِذَا أَدْعَى
 وَأَقْبِلُ عَثْرَةَ كُلِّ مَبْتَلِي * وَأَفِي الْحَقُوقَ وَأُنْجِحُ الْمَسْعَى
 حَتَّى نَسَى النَّاعِي أَبَا حَسَنِ * قَوَدَدْتُ لَوْ كُنْتُ الَّذِي يُنْعَى
 غِيْظُ الْعِدَاةِ فَاوَلُوا سَفَهَهَا * مِنْهُمْ لِحَبِيلٍ وَدَادِنَا قَطْعًا
 رَأْمُو لَهُ بَنًا - وَقَدْ حَمَلُوا * ظَلَمًا - فَكَانَ لَوْصِلِهِ أَدْعَى

* *

يَا دَوْحَةً لِلْبَرِّ قَدْ نَشَرْتُ * فِي كُلِّ صَالِحِيَّةٍ لَهَا فَرْمَا
 وَمَنَارَةٌ لِلْفَضْلِ قَدْ رُفِعَتْ * فَوْقَ الْكِنَانَةِ نَوْرُهَا شِعْمَا
 وَمَثَابَةٌ لِلرِّزْقِ أَحْمَدُهَا * مَارِدٌ مِسْكِينًا وَلَا دَعْمَا
 إِنِّي رَيْتُكَ وَالْأَسَى جَلُّ * وَالْحَزْنَ يُصَدِّعُ مَهْجَتِي صَدْمَا
 لَا غَرَوَ إِنْ قَصُرْتُ فَيْكَ قَعْدُ * جَلُّ الْمَصَابُ وَجَاوَزَ الْوُسْعَمَا
 سَأَيْتُكَ حَقُّكَ فِي الرِّثَاءِ كَمَا * تَرْضَى ، إِذَا لَمْ تُقْصِدِ الرَّجْعِي

فلسفة

القضايا

—

(حرف الهمزة)

صفحة		
٥٨	في الأطباء يستحق الثناء	هل رأيتم موقفا كمل
٢٠٥	أنا فيه آتية مثل الكساء	لى كساء أنهم به من كساء
٢١٣	وموقف اليأس والرجاء	يبابك النحاس والسعود
٢٣٩	يا ساقبي على الصهباء	هذا الظلام أثار كامن داني
٢٥٢	وأرورك العداة بعد العداة	ألبسوك الدماء فوق الدماء
٤٢٨	لحزن والبلوى وهنا الشقاء	خلقت لى قسا فأرصدتها
٤٤٩	ما بات بملك معجب بوفاء	لا والأسمى وتلهب الأحشاء
٤٥٠	وأعلن في مليكتهم رثائي	أعزى القوم لو سمعوا عزائي

(حرف الألف)

١٩٦	وضاعت جهود على ما أرى	تسابت عنكم لعلت عرا
٢٢٢	وشاهد بربك ما قد حوى	بنادى الجزيرة فف ساعة

(حرف الباء)

١٣	فقد عهدتك رب السبق والطلب	ماذا اتخرت لهذا العبد من أدب
١٥	فعلني آى العلاكيف تكتب	لعت جلال العبد والقوم هيب
٢٣	وقفا بى بعين شمس قفا بى	بكرى صاحبي يوم الإياب
٢٦	مذغبت عنا عيون الفضل والأدب	لو ينظمون اللآلى مثل ما نظمت
٣٨	في سماء الشعر نجم العرب	أجهمى كاد يعلو نجمه
١٥٤	ما فيه من علل ومن أسباب	شيخان قد خيرا الوجود زادركا
١٦٠	وأفض الأذكار حتى يغيبا	أخرق الدف لو رأيت شكيا

صفحة		
١٦١	منه الوقاية والتجديد للتكب	أديم وجهك يا زنديق لوجعلت
١٦٦	وداخلنى بصحبتك ارتياب	أخى والله قد ملئ الوطاب
١٧٦	وجرتم بقسدى مما الرتب	ملكتم على عنان الخطب
١٨٨	فإذا دنا منه حراس وجباب	قل للتقيب لقد زرنا فضيلته
٢٣٣	ن وقد أبصروا لديك عجيبا	عجب الناس منك يا بن سلما
٢٥٦	وضفت البيات فلا تعسبي	حطمت اليراع فلا تعجبي
٢٦٥	فنحن ندعوكم للبذل عن رغب	إن كنتم تبتلون المال عن رهب
٢٦٨	هنا الملا وهناك المجد والحسب	لمصر أم لربوع الشام تنسب
٢٧٢	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا	حياكم الله أحيوا العلم والأدبا
٣٠٢	ما بين ذل واضتراب	فضيت عهد حدائقى
٣٢٠	كانت جوارك فى لهوفى طرب	(عبد العزيز) لقد ذكرتنا أمما
٣٢١	صح منى العسزم والدهر أبى	لا تلم كفى إذا السيف نبا
٣٣١	هل أن صدر الشعر لادح أرحب	أيجصى معانيك القريض المهذب
٣٣٦	فالشرق ربيع له وخبج المنسرب	(نصر الدبارة) هل أتاك حديثنا
٣٦٢	هنيئا لهم فليسحب الذيل ساحبه	أجل هذه أعلامه ومواكبه
٤٢٣	ت المهسد نقض الغاصب	(نصر الدبارة) قد نقض
٤٢٤	وقلت فأحسبوا أربى	سكت فأصغروا أدبى
٤٢٦	يباب أستاذنا (الشيبي) ولا عجا	جرب حظى قد أفرغته طمعا
٤٣٠	وطوك المرين الوخذ والتجب	ماذا أصبت من الأسفار والنصب
٤٣٥	وما أوردتها غير السراب	وميت بها على هذا التياب
٤٥٢	هنا خير مظلوم هنا خير كاتب	هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى
٤٨٦	وشاوروه لدى الأرزاء والنوب	صونوا يراع (على) فى متاحفكم
٤٩٥	إن ذاك السكون فصل الخطاب	سكن الفيلسوف بعد اضطراب
٥٠٣	وقد وارا سلما فى التراب	أهدرى المسلمون بمن أصيبرا

صفحة		
٥١٤	جئت أدعوك فهل أنت مجيبي	ولدى قد طال سهدى ونحيبي
٥١٧	دنا المهمل يا قس فطيسي	أذنت شمس حياتي بمغيب
٥٢٨	في الغرب أدركه المنيب	ما أنت أول كوكب
٥٣٢	كيف ينصب في النفوس انصبايا	إيه يا ليل هل شهدت المصايا
٥٤٤	ومحا بشاشة فك الخلاب	لعب اللي بملاعب الألباب
٥٥٢	كثت خباتها ليوم المصاب	دمعة من دموع عهد الشباب
٥٦٠	وبدأت أعرف وحشة الأحباب	بدأ الممات يدب في آرابي
٢٧٢	إن تشرروا العلم ينشر فيكم العربا	حياكم الله أحيوا العلم والأدبا

(حرف التاء)

٥٥	يا مصر في الخيرات والبركات	فيك السعيدان اللذان تباريا
١٣١	معطرة في أسطر عطرات	إليكن يهدى النيل ألف تحية
١٩٦	تسلو بنو الشرق مقاماته	يا كاتب الشرق ويا خير من
٢٥٣	وناديت قومي فاحتسبت حياي	رجعت لقمي فاتهمت حصاتي
٣١٨	وبألف ألف ترزق الأموات	أحيائنا لا يرزقون بدرهم
٣١٨	وبألف ألف ترزق الأموات	أحيائنا لا يرزقون بدرهم
٣٨٣	يرجى ولا أنا ميت	(ليلاي) ما أنا حي
٤٥٨	سلام على أيامه النضرات	سلام على الإسلام بعد عهد

(حرف الحاء)

٧١	بها مصر وتاه بها مدحى	(لونا) شهرة في الطب تاهت
١٤٨	فهاؤكم قد زانها (المصباح)	أهل الصحافة لا تفضلوا بعده
٢٤٢	جيوش الدجى ما بين أنس وأفراح	وفتيان أنس أفسموا أن يتددوا
٢٤٢	إصباحها إذ أذنت برواح	مرت كعمر الورد بينا أجلسي
٤٠٨	والروض لا يذكو ولا ينفع	ما لي أرى الأكام لا تفتح

٤١١	وأعط ثامك من نهار ضاحي	أفرق فدتك مشارق الإصباح
٤٢٦	وكم نطقت أنا ملنا ضريحا	مسيل الطين لم لنا شقاء
(حرف الدال)		
٧	لما أتمت عيني ولا لحظه اعتدى	تعمدت قتل في الهوى وتعمدا
٣٣	أيا لیتی كنت السجين المصفدا	أهنيك أم أشكو فراقك قائللا
٥٠	إني عهدتك قبلها محسودا	إني هتوك بها فليست مهشا
١٤٤	هيمد الجلسوس وقد تبدى	أرأيت رب التاج في
١٥٣	فالحادات تجسد	يا صكوك الشرق أشرق
١٩٥	فناك وهمل غير المنم يحسد	لقد بت محسودا طيبك لأنى
٢٢١	ما جمعتم بحمدكم من تقود	ارحمونا بن الهسود صكفاكم
٢٤٣	هكذا أنعبر ما خام الهسود	نصرة في (بابل) قد صهرجت
٢٤٧	رفى كل لحظ منك سيف مهند	ومن عجب قد قلدوك مهندا
٢٦١	بلجد في النفس ما جسددا	معنا حديثا كقطر الندى
٢٦٤	سنة لا ينجزرا ومندا	مالي أرى بحر السبا
٣٢٤	همل نسيتم ولاءنا والسودادا	أيها القنائون بالأمر لينا
٣٤٥	فهذا يسوم شاعرك الهيسد	بنات الشعر بالفتحات جسودى
٣٤٥	فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا	قى الشعر هذا موطن الصدق والمدى
٣٥٧	كيف أمسيت يا بن (عبد المهدي)	لارعى الله عهدنا من جدود
٤٠٣	كيف أبى قوامد المهدي ومدى	وقف الخلق يتظرون بهيما
٤٢٢	أما أرضاكم ثمن الحيات	لقد طال الحيات ولم تكفوا
٤٤٥	فليس ذلك يوم الراح والسود	ردا كزوسكا من شبه مفزود
٤٤٧	بعد هذا أنت غرثان صادى	أيهذا الثرى إلام التمادى
٤٥٣	إني هيت وأعي الشعر مجهودى	ردوا هل ياني بعد (محسود)
٥١١	مات ذو العزمة والرأى الأسد	من يسوم لحن فيه من لفسد

صفحة

(حرف السراء)

١١	تجلت بهذا العيد أم تلك أشعاري	مطالع سعد أم مطالع أقرار
١٥	مر وعيد مولانا الكبير	في عيد مولانا الصنيع
١٨	قلقت للشعر هذا يوم من شعرا	لمحت من مصر ذاك التاج والقمر
٢٦	تاج الفخار ومطلع الأنوار	إن صؤورك وإنما قد صؤورا
٣١	وقالبت فيك الشوق وهو قدير	قصرت عليك العمر وهو قصير
٥٧	وعلى الزاهة والضمير الطاهر	رباك والدك الكريم على التقى
١١٤	بلد عن الأخلاق عارى	يا كاسى الأخلاق فى
١٥٠	سجدت له الأفلام وهى جوارى	قلم اذا ركب الأنامل أو جرى
١٦٧	فسالت قوس لثذكارها	شجنتنا مطالع أقرارها
١٨٥	أجمل خلقا منه فى الظاهر	كحافظ إبراهيم لكنه
١٨٩	بأن شاعره بالباب منتظر	قل للرئيس أدام الله دولته
١٩١	ودمع العين مقياس الشعور	شكرت جميل صنعكم بدمعى
١٩١	بالدر أو بالجواهر	وافى كتابك يزدرى
١٩٤	ولاح للنوم فى أجفانكم أثر	طال الحديث طليكم أيها السر
٢٠٤	فى ليلة القدر نجيا الوزير	لا غرو إن أشرق فى منزلى
٢٠٤	وبينك يا أحنى صلة الجوار	أحامد كيف تنسانى وبنى
٢٢٧	أنا بالله منهما مستجير	عاصف يرتقى وبجر يفسر
٢٣٤	يطير بكتنا صفحتيه شرار	كان أرى فى الليل نصلا مجزدا
٢٣٦	إنى أراك على شئ من الضجر	يا ساهد النجم هل للصبح من خبر
٢٤٧	أعيذك من وجد تطفل فى صدرى	أنا العاشق العانى وإن كنت لا تدرى
٢٤٧	جفنه قد واصل السهرا	قالت الجوزاء حين رأت
٢٥٠	كيف باتت نساؤهم والعدارى	سائلوا الليل عنهم والنهارا
٢٩٢	تحت الظلام هيام حائر	هذا صبي هائم

صفحة		
٢٩٩	واسبق الفجر الى روض الزهر	أيها الومى زر نبت الربا
٣٠٧	قد راقه لنا أن تنشرا	أيها الطفل لك البشرى فقد
٣٢٤	ومورد الموت أم الكوثر	أساحة للحرب أم محشر
٣٥١	هلال رآه المسلمون فكبروا	أطل على الأكوان والخلق تنظر
٣٩٠	في المشرقين صلا وطار	أهلا بأول مسلم
٤٢٣	أصبح في الإيهام كالمحشر	كم حددوا يوم الجلاء الذى
٤٣٦	قد مها من شدة السهر	ما لهذا النجم فى السحر
٤٣٧	بجود (سدوم) وهو من أظلم البشر	لقد كانت الأمثال تضرب بيننا
٤٦٥	وأيت أنثر بينهم أشعارى	ثروا عليك نواذى الأزهار
٤٧٨	لدهك من كتاب مصر كبير	رناك أمير الشعر فى الشرق وانبرى
٤٩٣	لك وأنت رامية النسور	أخت الكواكب مارما
٥٠٧	فالخلق فى الدنيا سير	منك النهى لا تبعسدى
٥١٦	وأثرت يا مصرى سكنى المقابر	لك الله قد أسرعت فى السير قبلنا
٥٢٢	ولم يغن عنا وعنك الحذر	نعاك النعاة وحرم القدر
٥٣٠	لم يدرا ما أبدى وما أضمر	من لم يلق فقد أليف الصبا
٥٥٦	ضبت فيه عن حالة الأحرار	يا بن (عبد السلام) لا كان يوم

(حرف السين)

١٠٣	أسمى بأمر الرئيس	آيت سوق عكاظ
١٨٨	ليس لى فيها أنيس	أنا فى البهزة نار
٢٤١	بينهم وبين ظن وحدهم	أرشك الديق أن يصيح ونفسى
٢٤٦	فإن فى الحب حياة النفوس	يايها الحب امتزج بالحنس
٢٩٦	وهكذا يسؤثر عن (نفس)	أجاد (مطران) كساداته
٣٠٦	وجلالا بيوم عيد الجلوس	إن يوم احتفالكم زاد حسنا

(حرف العين)

٢٤	ما أنت إلا عاشق مدعى	هجمت يا طسير ولم أجمع
١١٩	بشعر أمير الدولتين ورجوى	بلا بل وادى النيل بالمشرق اصبى
١٤٢	بيان وراع الجامعة	قد راع دار العدل طفد
١٤٣	بمدك من أرائك النافعه	قد أجديت دار الجفا والنهى
١٥٨	بارك الله فى (ظلال الدموع)	قد قرأنا ظلالكم فاشحننا
١٦١	ينخط ومن يتلو ومن يسمع	هنا يستغيث الطرس والنقس والذى
١٩٦	وفاته ما فيه من إبداع	من لم ير المعرض فى اتساع
٢٠٣	وعينى لازمت سكب الدموع	نمى يا بايلى إليك شوقى
٢٥٩	لرجال الدنيا القديمة باعا	أى رجال الدنيا الجديدة مدا
٣١٨	طلع النهار وأفسزع	أخشى مريبتى إذا
٤٣٨	ولا قيل أين الفقى الألمى	مرضنا فما عادنا عائد
٤٨١	حديث الورى عن طيب ما كتبت تصنع	(رياض) أفق من غمرة الموت واستمع
٥٤٢	على الأريب الكاتب الألمى	أبكى وعين الشرق تبكى معى

(حرف الفاء)

٢١	وأنصفت من نفسى وذو اللب ينصف	صدفت عن الأهواء والحز يصدف
٥٥٢	فلتبك الأقلام أو تنقصنا	ظاب الأديب أديب (مصر) واختنى

(حرف القاف)

٤٠	وسطا على جنينك هم مقلق	سكن الظلام وبات قلبك يخفق
١١٨	ميس العروس مشت على استبرق	ما بال (دندرة) تميمس تهاديا
١٤١	بآية الإعجاز فى الخلق	أيا يدا قبد خصها ريبا
٢٠٧	والسمع يملكه الكذوب الماذق	وجدوا السبيل الى التقاطع بينا
٢١٢	ولكل عصر واحد لا يلحق	يا (جالك) إنك فى زمانك واحد

صفحة		
٢٧٩	كم ذا يكابد عاشق ويلاقى	في حب (مصر) كثيرة العشاق
٢٩٨	لا أبالي أذى العدو لخطي	أنت يا رب من ولاء الصديق
٣٧٢	لى فيك حين بدا سالك وأشرقاً	أمل سألت الله أن يحققها
٤٠٠	لا هم إن الغرب أصبح شعله	من هولها أم الصواعق تفرق
٥٢٢	أكثرتم التصفيق فى موطن	كان الهكا فيه بنا أليقا

(حرف الكاف)

٣٦	الله عيـد كبير	يزهو بنور جبينك
١٠٩	أحمد الله إذ سالت لمصر	قد رماها فى قلبها من رماكا
١٣٣	سما الخطينان فى المعالى	وجاز شأراهما السابكا
١٦٠	عطلت فن الكهرباء فلم نجد	شيئا يعوق مسيرها إلا كا
٢٠١	يا شاعر الشرق اتشد	ماذا تحاول بمد ذاك
٢٤٨	ظبي الهى بالله ما ضركا	إذا رأينا فى الكرى طيفكا
٣١٤	كم وارت غض الشباب رميته	بفسرام راقصة وحب هلوك
٥٣١	عجبت أن جعلوا يوماً لذكراكا	كاننا قد نسينا يوم منماكا
٥٦٠	بين السرائر ضئيلة دفنوك	أم فى المهاجر خلصة نخبوك

(حرف اللام)

٤	بلفتك لم أنسب ولم أتفزل	ولما أقف بين الهوى والتدل
٥	قالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا	ما كل متنسب للقول لسوال
٦٧	هنيئاً أيها الملك الأجل	لك العرش الجديد وما يظلل
٧٥	فى ساحة (البدوى) حلت ساحة	عز البلاد بمزها موصول
٩٨	لقد عاشرتنا فلبت فينا	مثالا للتزاهة والسكال
١١٠	الشعب يدعو الله يا (زطلول)	أن يستقل على يدك النيل
١٣١	نسد قرأنا كم فهشت نهانا	فأقتبسنا نوراً يضىء السبلا

صفحة		
١٤٨	لنا ونعم الوكيل	أضحى (نجيب) وكبلا
١٥٣	شروى سميك جامع التنزيل	(عنان) إنك قد آتيت موقعا
١٥٩	لغير تفريق وتضليل	جراند ما خط حرف بها
١٥٩	أيدى البطاة وهو في تضليل	لا تعجبوا فليكنم لعبت به
١٧١	وأبى القرار ألا تزال صقيلا	يا صارما أف التواء بنمده
٢٠٠	واستقبلا التّم ولا تأفلا	سيرا أيا بدرى سماء العلا
٢٠٣	أم تناس منك أم ملل	أدلال ذاك أم كمل
٢٠٩	* يادولة القواضب الصقال *	
٢٣٧	يا حكيم القوس يابن المعالي	ضمت بين النهى وبين الخيال
٢٣٧	بطلء مرمى أبدى الى الليث ميله	أفضيه في الأشواق إلا أقله
٢٧٥	لا بل فتاة بالعراء حياى	شبحا أرى أم ذاك طيف خيال
٣١٠	مر ولا تخش عاديات الليالى	أيها الطفل لا تخف عنت الدهر
٣١٢	قد شاورتم بالمعجزات الرجالا	أى رجال الدنيا الجديدة مهلا
٤٧٠	لو أمهلتك غوائل الأجل	لله درك كنت من رجل
٤٩٠	وإذا أبيت فأجمل	جل الأسمى فتجمل

(حرف الميم)

٥٠	أدينا ودينا زادك الله أنما	منى نلتها يا لابس المجد معلما
٥٥	مد فهدى الى حماك الكريم	لم نجد ما ينى بقدرك فى الحج
٥٦	فأجبت رغم شواظى وسقاي	إنى دعيت الى احتفالك بخاة
٥٨	ودعاني فزرتها إلماما	جازى عرفها فهاج الغراما
٦٣	ب فرن شاء فليهنى وسامه	وسع الفضل كله صدرك الرح
٧٢	شغوف بقول المقيرين مفرم	يحييك من أرض الكناة شاعر
١٠٦	خليق أن يقيه على النجوم	أقصر الزعفران لأنت قصر
١٥٠	أثنى عليها الشرق والاسلام	أحييت ميت رجائنا بصحيفة

صفحة		
١٦٢	وذكرى ذلك العيش الرخيم	أثرت بنا من الشوق القديم
١٧٢	وعصافى الطبع السليم	ملككت على مذاهبي
١٩٧		* من واجد متفسر المنام *
٢٠٢	لا يؤدى لمثل هذا الخصاص	إن عضيك يا أخى بالسلام
٢٤٦	يا (جوليا) أنكر فيه الغرام	تمثلى إن شئت فى منظر
٢٤٨	وفى النور والظلماء والأرض والسماء	أذنتك ترتانين فى الشمس والضحى
٢٨٣	أم شهاب يشق جوف الظلام	صفحة البرق أو مضت فى الغمام
٢٨٨	دامى الفؤاد وليله لا يعلم	كم تحت أذيال الظلال متيم
٣١٦	ش ولم تحسنوا عليه القياسا	أيها المصلحون ضاق بنا العيد
٣٣٩	حواشيه حتى بات ظلها منتظما	لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت
٣٦٧	أهم ذاد نسومك أم هيام	لقد فصل الديبى فقى تنام
٣٧٦	يلقى (البسفور) عن (معصر) السلاما	بالذى أبراك ياربح الخزامى
٣٨٠	فاستغنى يا شرق واحذر أن تناما	طمع ألقى عن الغرب اللثاما
٤٠٢	عهد كرام فيك صلوا وسلوا	(أيا صوفيا) حان التفرق فاذكرى
٤١٩	وابن الكنانة فى حماء يضام	قدم مر عام يا (سعاد) وعام
٤٢٠	فكان لكم بين الشعوب ذمام	بنيت على الأخلاق آمان ملككم
٤٢٢	واطمسوا النجم واحرمونا النسيما	حوّلوا النيل واجهبوا الضوء عنا
٤٢٨	ومدت وما أعقبت إلا التندما	سميت الى أن كدت أنتعل الدما
٤٧٤	واقضوا هنالك ما تقضى به الذم	طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا
٥٠٠	لم يرح عنسدك للاساة ذمام	لامرحبا بك أيهذا العام
٥٢١	مر عدا الردى فطواهما	عليان من أعلام مصم
٥٥٩	صفاء الناس أم همم الكرام	أعزى فيك أهلك أم أعزى

(حرف النون)

٣	حائل لو شئت لم يكن	حال بين الجفن والوسن
٢٨	واقض المناسك من قاص وعن داني	طف بالأريكة ذات العز والشان

صفحة		
٤٤	وأجل عيد جلوسك الثقلان	أثنى المبيج طيك والحرمان
٦٣	ذكرى الأرائل من أهل وجيران	يا صاحب الروضة الغناء هجت بنا
٩٨	فتنظري يا (مصر) سحر بيانه	ورد الكفاة عبسرى زمانه
١١٨	أدب السرى وياقنى الفتيان	يا كاسى الخلق الرضى وصاحب الـ
١٣٣	وطالع اليمن من (بالشام) حيان	حيا بكور الحيا أرباع لبنان
١٤٢	ماذا اعتدت لجرح العاشق العانى	قل للطبيب الذى فعنو الجراح له
١٤٨	للناس قالوا معجز تانى	هذا كتاب منذ بدا مره
١٤٩	بشعرك فوق هام الأولينا	أراك - وأنت نبت اليوم - تمشى
١٥٩	ج هبت لا ترم الحصونا	يا ساكن البيت الزجا
١٧٩	أرهفت للقول ذهنى	يا يوم تكريم (حفى)
١٨٤	وبى أديب الزمان	يا سيدى وامامى
١٨٧	صاد ويسقى ربا مصر ويسقينا	عجبت للنيل يدري أن بلبله
١٨٩	قصف المدافع فى أقق البساتين	يرغى ويزبد بالقافات تحسبها
٢٠٧	قتسوا بالليل وضاح الجبين	لاح منها حاجب لناظرين
٢١٥	ما دهى الكون أيها الفرقدان	نبشاني إن كنتا تعلقان
٢٣٨	فأثنى قافلا الى السودان	أنكر النيل موقف الحزان
٢٣٨	فما منك بالباكى الحزين	يا من خلقت الدنع لط
٢٤٤	جددوا بالله عهد الغائبين	فتية الصباء خير الشارين
٢٤٦	منيا يخشى نزال الجفون	غضى جفون السحرا وفارحمى
٢٤٨	واختار غرتك الفرا له سكا	سأله ما لهذا الحال مفردا
٢٤٩	ود لو يسرى بها الروح الأمين	صور عندى له مكتوبة
٣١٥	وذودا عن تراث المسلمينا	أعيدوا مجدنا دنيا وديننا
٣١٩	وتنظر ما يجرى به الفتيان	رويدك حتى يتحقق العلمان
٣٢٨	ج ويا شمس ذلك المهرجان؟	أين يوم (القتال) ياربة التنا

صفحة		
٣٩٧	حدثت روائع حسنها (برلين)	قد آثار هناك كريمة
٤٠١	من ورحت أرقب جمهته	خرج القواني محتجج
٤٢٠	تصيد البط يؤس العالمينا	لم تر في الطريق إلى (بياد)
٤٢٦	فصاحبكم ومصابنا سيان	لا تذكروا الأخلاق بعد حياكم
٤٣٣	إلا بقية دمع في مآقينا	لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا
٤٣٨	فيا ليتهن ويا ليتني	فمن بنفسى وأشقتني
٤٩٧	وقد عقدت هوج الخطوب لسانى	دمانى رفاق والقواني مريضة
٥٤٠	ونخطبه من صنوف الحزن ألوانا	أما (أمين) فقد ذقنا لمصره
٥٥٠	ومكرم الضيف أسمى ضيف رضوان	مسدى الجليل بلا من يكره
٥٥٧	إليك ومثل خطبك لا يهون	مضيت ولحن أحوج ما تكون
٥٥٩	لبدر تم ظاب قبل الأران	شوقتانى أيها الفرقدان
٥٦٢	أسمى من الأرض يحويه ذراطان	إن الذى كانت الدنيا بقبضته

(حرف الهاء)

٣٧	ودان لك المقدار حق أمناء	ترامى لك الإقبال حتى تمهدناه
١٤١	مد زائسه شرف النهى	شرف الرئاسة يا مح
٢١١	هل حماة القسوانى أينما تاهوا	يا ليلة ألمتنى ما أتيسه به
٤٣٤	ومر بي فبك عيش لست ألساء	كم مر بي فبك عيش لست أذكرة
٥١٤	ما كنت من ذكر رب العرش باللاهى	يا طاب الله نم فى القسبر مغتبطا
٥٦٠	ومالك الأرواح أولى بها	وديعه ردت الى ربه

(حرف الياء)

٧٧	أن إلى ساحة (الفاروق) أهديا	حسب القواني رحسبى حين ألقيا
٣٩٦	تقصيد الحميد وبالرطايه	أى (مكهون) قدمت بال
٤٦٣	فكبر وهلل وألق ضيفك بجائيا	أيا قبر هذا الضيف آمال أمة
٥٠٤	شاخ من صروج آل عسل	دك ما يزن نخصوة وعشى

فلسفة

قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى

منحة

(حرف التاء)

٥٧٩ رحم الله صاحب النظرات غاب عنا في أخرج الأوقات

(حرف الدال)

٥٧١ إن صح ما قالوا ، وما أرجفوا وألصقوا زورا بدين العميد

(حرف الراء)

٥٧٣ علمونا الصبر يطفى ما استمر إنما الأجر لمفجوع صبر

(حرف العين)

٥٨١ حبس اللسان وأطلق الدما ناع أصم بنعك السما

(حرف الكاف)

٥٦٥ ولت بشاشة دنيانا ودنياك وفارق الأوس مغناقا ومغناك

٥٦٦ يا مليكا برغمه يلبس الثا ج ويرقى لعرشه مملوكا

(حرف اللام)

٥٦٦ قصر الدويارة ماليتك رابضا والذنب في قصر الإمارة يحجل

٥٧٦ ثمن المجد والمحامد غالى آل زغلول قاصبروا للبال

(حرف الميم)

٥٦٦ هيد هنا ، وهناك قام الماتم ملك يشوح ، وقابع يترنم

٥٦٧ سخر العلم ليني آية فوق شط النيل تبدو كالعلم

٥٦٨ قد فقسونا واتهننا فإذا نحن غرقى ، وإذا الموت أم

٥٧٢ هدية من شاعر بأش إلى الدمرداشى ولى النعم

٥٧٢ رياض الأزبكية قد تحلت بأنجاب كرام أنت منهم

(حرف النون)

٥٧٠ ثلاثة من سراة النيل قد حبسوا على مدارسنا سبعين فدانا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٣٨٥/١٩٨٧

ISBN ٩٧ - ٠١ - ١٥٣٦ - ٣

